سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٨٧)

الارتياب ومعانيه

من مصنفات التفسير

د/يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"فيكون عدتهما بالأشهر؛ فلذلك قلنا: إن هذا **الارتياب** في عدة الآيسات والصغائر.

ثم من قول أصحابنا: إن الرجل إذا طلق امرأته الآيسة أو الصغيرة أو الحامل للسنة يطلقها متى شاء، وليس له وقت معين في طلاقها للسنة، وإنما كان كذلك؛ لأنا قد وصفنا في قوله: (فطلقوهن لعدتهن): أن المراد منه: لقبل عدتهن، ومعلوم أن عدة التي ترى الحيض أحد شيئين: إما الدم ولم يعتبر ما يقابله وهو الطهر من العدة، وكذلك من جعل عدتها بالأطهار لم يعتبر ما يقابلها وهو الحيض من العدة، وإذا كان كذلك لم يكن بد من أن يكون هاهنا شيء يقابل عدتها؛ فثبت فيه معنى قبل عدتها؛ فجعل ذلك الطهر، وأما الآيسة والصغيرة والحامل فجميع أيامها من عدتها، وهي ثلاثة أشهر، وليس في أيامها شيء يقابل عدتها، فلذلك قلنا: إن له أن يطلقها في أي وقت شاء، وكذلك له أن يطلق الحامل التي من ذوات الأقراء؛ وذلك لأنه إنما نهي –عندنا– عن الطلاق على أثر الجماع في التي تحيض؛ لتوهم أن يكون الجماع أحبلها، فإذا طلقها ثم أراد نفي الحبل في العدة، لم يتهيأ له ذلك، وأما الآيسة والصغيرة والحامل، فليس فيهن هذا التوهم، والله أعلم.

ثم إن هذه العدة وإن ذكرها في هذه السورة على أثر الطلاق الواحد؛ فكأنها في التطليقات الثلاث؛ لأن هذه العدة مكان العدة التي ذكر الله تعالى في سورة البقرة من قوله: (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء)؛ لأنه ذكر هاهنا: (وأحصوا العدة) على الإجمال وذكرها ثم على التفسير؛ فإذا التحق التفسير بالمجمل يصير في المعنى والحكم كأنه واحد، ومعلوم أن تلك في الواحدة والثلاث؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)، وقوله: (أو تسريح بإحسان) هي التطليقة الثالثة.

وإذا كان الأمر على ما وصفنا، ثبت أن للمرء أن يطلق امرأته الحامل للسنة ثلاثا، والله أعلم.

قال – رحمه الله –: في قوله: (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أوجه من الفقه:." (١)

"ولأن عدة الوفاة لم تلزم لوطء متقدم؛ ألا ترى أنها قد تلزم من لم يكن زوجها من أهل الوطء، وأما عدة الحبل والحيض، إنما لزمت لوطء متقدم، وإذا لم تكن عدة الوفاة من جنس العدة بالحبل، لم تدخل في عدة الحبل فلا نوجب فيها الاحتياط، وذلك في الاعتداد بأبعد الأجلين.

ثم التخصيص بذكر الإنفاق على الحوامل يحتمل أن يكون بمعنى أنها في الحقيقة لا تدخل في قوله: (لا تخرجوهن)؛ لأنا قد وصفنا أنها إنما نهيت؛ لتحصين ماء الزوج، وإذا مضت تسعة أشهر، فقد خرجت عن التحصين، فكان الواجب أن تسقط النفقة بعد التسعة، لكن الله تعالى حث على الإنفاق في جميع المدة؛ لأنها لا محالة إنما بقيت في هذه المدة؛ لوطئه المتقدم؛ فلذلك حث الله تعالى في الإنفاق على الحوامل فيما يقع عندنا، والله أعلم.

وأما ابن مسعود – رضي الله عنه – فإنه يجوز أن يكون قوله – تعالى –: (وأولات الأحمال أجلهن) عنده مبتدأ خطاب، ليس بمعطوف على قوله: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم)؛ لأنا نعلم أنه لا يجوز أن يقع **الارتياب** فيمن تحتمل القروء؛ وذلك لأن الأشهر في الآيسات إنما أقيمت مقام الأقراء في ذوات الحيض، وإذا كانت الحامل ممن تحتمل

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٦٠/١٠

القروء لم يجز أن يقع لهم شك في عدتها؛ ليسألوا عن عدتها.

وإذا كان كذلك، ثبت أنه خطاب مبتدأ، وإذا كان خطابا مبتدأ تناول العدد كلها، ومما يدل على أنه مبتدأ خطاب ما روي في خبر سبيعة بنت الحارث الأسلمية: أنها وضعت بعد وفاة زوجها بخمس عشرة ليلة، فأمرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تتزوج؛ فدل إباحته النكاح قبل مضي أربعة أشهر وعشر على أن عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل في جميع الأحوال.

وقال الحسن: إن الحامل إذا وضعت أحد الولدين، انقضت عدتها، واحتج بقوله: (أن يضعن حملهن)، ولم يقل: " أحمالهن "؛ ولكن لا يستقيم ما قاله؛ لوجهين أحدهما: أنه قرأ في بعض القراءات (أن يضعن أحمالهن).

والثاني: أنه قال: (أجلهن أن يضعن حملهن)، ولم يقل: " يلدن "، بل علق بوضع حملهن، والحمل اسم لجميع ما في بطنهن، ولو كان كما قاله، لكان عدتهن بوضع." [1]

"من السامري موجود، لا أن الإضلال متقدم بغيرها.

وجائز أن تكون فتنتهم هي أنهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا إلى كفرهم؛ لأنهم نظروا إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء، ولم ينظروا إليه بعين التبجيل والتعظيم، فازدادوا بذلك كفرا، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا):

الاستيقان والزيادة واحد؛ لأن في الاستيقان زيادة إيمان، وفي الزيادة استيقان، فمعناه: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب والذين آمنوا.

ووجه استيقانهم: أنهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي في كتابهم؛ فيحملهم ذلك على الاستيقان أنه من عند الله تعالى.

ويحتمل أنه يراد به أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا إذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم؛ فيستيقنون: أنه إنما يخبر عن الله تعالى، ويرتفع عنهم **الارتياب**؛ ليكون أدعى لهم إلى الإيمان به، إن أراد منهم الإيمان، وأقرب إلى إلزام الحجة عليهم، إن لم يرد منهم الإيمان، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (ويزداد الذين آمنوا إيمانا)، أي: تصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة، وكذلك روي عن أبي حنيفة - رحمه الله - في قوله: (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا)، وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الإيمان: أن معنى الزيادة فيه: أنهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة؛ لأنهم إذا وحدوا الله - تعالى، وآمنوا به، فقد أقروا بأن له الخلق والأمر كله، وفي الإقرار بأن له الخلق إيمان بالرسل وتصديق منه إياهم بجميع ما أنزل عليهم من الكتب عن الله تعالى؛ فصار بإيمانه معتقدا للتصديق بكل رسول على الإشارة إليه، فإذا آمن بالرسول والكتاب المنزل إليه، فقد أتى بزيادة تصديق على ما وجد منه من التصديق بالجملة.

وجائز أن تكون الزيادة منصرفة إلى الثبات والاستقامة؛ لأن الإيمان له حكم التجدد في كل وقت؛ إذ المؤمن في كل وقت مأمور باجتناب الكفر، وإذا اجتنب الكفر، فقد أتى بضده، وهو الإيمان؛ فثبت أن الإيمان له حكم التجدد في كل وقت،

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٦٢/١٠

وإذا كان كذلك، استقام صرف الزيادة إلى الثبات والقرار عليه، فإن شئت فسم الدوام على الإيمان: زيادة، وإن شئت فسمه: إيمانا، وإن شئت فسمه: ثباتا، وفي الكتاب ما يطلق جواز." (١)

"القرابين؛ ثبت أن هذا الذي ادعوا ليس هو بعهد جاء به الرسل - عليهم السلام - ولكنه حيل السفهاء بتلقين الشياطين ووحيهم؛ لذلك لم يجب الذي ذكروا، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (فإن كذبوك (١٨٤)

يا محمد في القول، وما جئت من آيات تدل وتوضح أنك رسول الله، وأنك صادق في قولك

(فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات)

يعزي نبيه - عليه الصلاة والسلام - ويصبره؛ ليصبر على أذاهم وتكذيبهم إياه؛ كما صبر أولئك على أذاهم وتكذيبهم؛ كقوله - عز وجل -: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. . .) الآية.

وفي قوله - تعالى -أيضا-: (فقد كذب رسل من قبلك) وجوه:

أحدها: أن يصبره على ذلك بما له فيه أجر أن صبروا، على عظم ذلك عليهم؛ وذلك قوله تعالى: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل).

والثاني: على رفع العذر عنه في ترك الإبلاغ؛ فإن ذلك لم يمنع من تقدمه.

والثالث: على الأنبياء أنهم أصحاب تقليد في التكذيب، لا أن يكذبوا من محنة وظهور؛ فذلك أقل للتأذي، ولتوهم **الارتياب** في الأنبياء؛ ليستيقن من حضره، وصدقه - أن ذلك منهم على الاعتناد والتقليد دون المحنة والظهور، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (بالبينات):

قد ذكرناها فيما تقدم في غير موضع.

وقوله - عز وجل -: (والزبر):

قيل: أحاديث الأنبياء - عليهم السلام - من قبلهم بالنبوة على ما يكون.

وقيل: الزبر: هي الكتب، أي: جاءوا بالبينات والزبر، يعني: الكتب.

(والكتاب المنير):

قيل: الزبر والكتاب واحد.

وقيل: (والكتاب المنير): هو الذي فيه الحلال والحرام، والأحكام المكتوبة عليهم. والمنير: هو الذي أنار قلب كل من تمسك بالهدى؛ كما قيل في الفرقان أنه يفصل ويفرق بين الحق والباطل، والله أعلم.

وتسمي كتب الله كلها فرقانا ومنيرا؛ بما تفرق بين الحق والباطل، وتبين السبيلين." (٢)

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣١٧/١٠

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٥٥٠/٢

"ثم الدلالة على حكمته وعلمه: ما لم يعاين شيء ولا يشاهد إلا وفيه حكمة عجيبة، ودلالة بديعة مما يعجز الحكماء عن إدراك مائيته، وكيفية خروجه على ما خرج، وعلم كل أحد منهم بتصور علمه على ما عنده من الحكمة، والعلم عن إدراك كنه ذلك فيما ذكرنا، وخروج الفعل متقنا محكما - دلالة حكمة مبدعه وخالقه، وبالله التوفيق.

ثم الدلالة أنه لم يخلق الخلق للفناء خاصة؛ ولكن خلق للعواقب: يتأمل ويرجى ويخاف ويحذر - خروج فعل كل أحد في الشاهد من الحكمة إذا بنى للفناء والنقض، فإذا كان الحكمة التي هي جزء يخرج فعله عن الحكمة؛ إذا كان ذلك للفناء والهلاك خاصة، فخروج الكل عن ذلك لذلك أحرى وأولى أن يكون سفها لا حكمة، والله الموفق.

قال: دلت طمأنينة القلوب بموت كل نفس، وترك حكماء البشر الاحتيال - في دفعه، على ما ليس في الجوهر دليله، ولا في العقل امتناعه - أنه عرف ذلك بمن له التدبير فيها بالوحي إليه؛ وفي ذلك إيجاب القول بالرسل، ثم دل قهر جميع الحكماء به على حب الحياة إليهم، وبغض الموت عندهم - على خروج جميع الأحياء عن تدبيرهم، وفي خروجهم خروج الأموات؛ إذ هم تحت تدبير الأحياء.

ثم في طمأنينة كل قلب على الموت دلالة التدبير للواحد؛ إذ لو كان لأكثر لجوز التمانع وإبطال الوارد من الحي؛ وفي ذلك **ارتياب**، مع ما كانت كل نفس تحت أمور تقهرها، وتحوجها إلى أمور تعلم أن مدبرها هيأها على ذلك وطبعها، وأنه العليم بما به صلاحها وقوامها وإليه حاجتها، وعلى ذلك جبلها؛ ليظهر عظيم حكمته وتعاليه عن الشرك في التدبير، أو المعونة في التقدير.

ثم لا يحتمل نشوء مثله على ما جرى عليه من حكمته في موت كل - أنه كان للموت أنشأ لا لغير؛ إذ تدبير فعل واحد للفناء خاصة من حكماء البشر - يخرج عن معنى الحكمة، ويدل على قصور صاحب ذلك وسفهه؛ فجملة العالم الذي كانت حكمة الحكماء جزءا منها، وعقل العقلاء بعضا منها - أحق وأولى؛ فثبت أنها أنشئت (ليوم عظيم (٥) يوم يقوم الناس لرب العالمين (٦)، ويوم تجزى كل نفس بما كسبت، وذلك قوله - تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) الآية.

وقوله - عز وجل -: (وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)

لما ذكرنا أنهم لها خلقوا -أعني: الآخرة- للجزاء والثواب.

وقوله - عز وجل -: (فمن زحزح عن النار):." [1]

"وقوله - عز وجل -: (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون (٩٧)

خرج هذا في الظاهر مخرج الاستفهام، ولكن في الحقيقة على الإيجاب؛ كقوله: (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون). . .)، الآية، هذا في الظاهر وإن خرج مخرج الشك **والارتياب**، فهو في الحقيقة على الإيجاب؛ كأنه قال: في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا أن يحيف الله عليهم، فعلى ذلك قوله: (أفأمن أهل القرى) (أوأمن أهل القرى)، على الإيجاب، كأنه قال: قد أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا، (أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى) الآية.

ثم اختلف في قوله: (أفأمن أهل القرى) (أوأمن أهل القرى) إلى آخر ما ذكر: قال الحسن: هذه الآيات في الأمم السالفة،

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٥٥٢/٢

أخبر عن أمنهم بنزول بأس الله وعذابه بهم، لكن ذكر في هذه الأمة ليكونوا على حذر عن مثل صنيعهم.
وقال الآخرون: هذه الآيات في قرى هذه الأمة لا في الأمم السالفة، يقول: أمن هؤلاء بأسنا كما أمن أولئك منه فإنهم إذا صنعوا مثل صنيعهم ينزل بهم في الآخرة من العذاب مثل ما أنزل بأولئك في الدنيا من العذاب.
وقوله: (بياتا وهم نائمون) و (ضحى وهم يلعبون)
أخبر أن العذاب إنما نزل بهم في حال الأمن وهو وقت النوم واللعب؛ لأنه هو وقت الغفلة والسهو، وآمن ما يكون الإنسان إنما يكون في حال النوم، وإنما نزل بهم في وقت الغفلة والسهو، يذكر بهذا - والله أعلم - أهل مكة وغيرهم من الكفرة بتكذيبهم رسول الله؛ لئلا يكونوا آمنين عن بأس أبدا في وقت من الأوقات، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون (٩٩)
المكر في الشاهد: هو أن يراقب من عدوه حال غفلة لينتقم منه وينتصر، فإذا كان ما ذكرنا فسمى ما ينزل بهم من العذاب في حال الغفلة مكرا، وعلى ذلك الامتحان فيما بين الخلق: هو استظهار ما خفي على بعضهم من بعض، فيأمرون بذلك وينهون، فسمى الله - تعالى - ذلك امتحانا لمعنى الأمر والنهي، وإن لحانت الخفيات عن الخلق ظاهرة له بادية عنده.
وقوله - عز وجل -: (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون).
فالآية على المعتزلة؛ لأنهم يأمنون مكر الله في الصغائر حيث قالوا: الصغائر." [١]

"وقلة عددهم، وكثرة أعدائهم وقوتهم؛ رجاء أن يسلم لهم دينهم، يذكره لنا لنعرف عظيم محل الدين في قلوبهم؛ ليكون محل الدين في قلوبنا على مثل قدره.
وفي قوله: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) دلالة إثبات رسالة محمد؛ لأنهم إنما قالوا ذلك سرا فيما بينهم، فأطلع الله رسوله على ذلك؛ ليعلم أنه عرف ذلك بالله.
ثم اختلف في قوله: (والذين في قلوبهم)؛ قال بعضهم: هم المشركون، قال المنافقون والمشركون للمؤمنين: (غر هؤلاء دينهم).
وقال بعضهم: هم قوم أسلموا وقد كانوا ضعفاء في الإسلام والدين، فلما خرجوا إلى بدر، فرءوا ضعف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقوة أولئك القوم قالوا عند ذلك: (غر هؤلاء دينهم).
وقد ذكر في بعض القصة أن قوما كانوا أسلموا بمكة، ثم أقاموا مع المشركين ولم يهاجروا إلى المدينة، فلما خرج كفار مكة إلى قتال بدر خرج هؤلاء معهم، فلما عاينوا قهلة المسلمين شكوا في دينهم وارتابوا، فقالوا مع المنافقين: (غر هؤلاء دينهم)، يعنون: أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال الله: (ومن يتوكل على الله): من المؤمنين فيثق به في النصر ببدر؛ لقولهم: (غر هؤلاء دينهم).
وقوله: (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض): يجيء أن يكون هم المنافقون؛ على ما فسره في آية أخرى، فإن كان على ذلك فيكون على إسقاط الواو، وكأنه قال: يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض، إلا أن يقال: إن المنافقين هم الذين

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٥١١/٤

أضمروا الكفر حقيقة، والذين في قلوبهم مرض هم الذين لم يضمروا الكفر، لكنهم ارتابوا وشكوا، واعترضهم شك **وارتياب** من بعد إذ رأوا تأخر الموعود.

وقوله – عز وجل –: (غر هؤلاء دينهم) يخرج على وجهين:

أحدهما: قالوا: غر هؤلاء الموعود الذي وعدهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الفتوح لهم والنصر في الدنيا؛ يقولون: غر هؤلاء ذلك الموعود الذي كانوا به من الفتوح والنصر الذي وعدهم.

والثاني: يقولون: غر هؤلاء الموعود الذي وعدوا في الآخرة من النعيم الدائم والحياة الدائمة.." (١)

"وفيه: أن الثنيا إنما تلزم في كل فعل مستقبل مما يشك فيه ويرتاب، فأما ما كان سبيل معرفته الوحي واليقين – فإنه لا يستثنى فيه حيث قال موسى لفتاه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا): قال ذلك من غير ثنيا؛ لأنه – عز وجل – أمره أن يأتيه، ولا يحتمل أن يؤمر بالإتيان في مكان، ثم هو يشك أنه لعله لا يأتيه؛ لذلك قطع القول فيه، وكذلك قول ذلك العبد الصالح لموسى: (إنك لن تستطيع معي صبرا): قطع القول فيه من غير ثنيا؛ لأنه علم بالوحي أنه لا يصبر على ما يرى منه، وأما موسى فإنه قد استثنى فيما وعد أنه يصبر؛ لأنه أضاف إلى حادث من الأوقات على الشك منه أنه يصبر أو لا يصبر، وعلى **الارتياب** ليس على اليقين، فقال: (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) مما ذكرنا.

وفيه: أن الرجل إذا اختلف إلى عالم يقتبس منه العلم ويتعلم منه، فرأى منه مناكير ومظالم – يلزمه أن يفارقه، ولا يتعلم منه العلم؛ كصنيع موسى بصاحبه؛ لما رأى؛ من خرق السفينة، وقتل الغلام، وغيره مما كان منكرا وظلما في الظاهر، وإن كان ما فعل هو فعل الأمر كره موسى صحبته، وندم على ذلك أشد الندامة حتى جعله على علم من ذلك كله، فهكذا الواجب على الرجل إذا رأى مناكير من الذي يأخذ منه العلم ومظالم أن يفارقه ولا يأخذ من علمه، والله أعلم.

وفي قوله: (ستجدني إن شاء الله صابرا) دلالة أن الاختيار والمستحب في الثنيا أن يكون في ابتداء الكلام؛ لأن موسى ابتدأ به، وكذلك قوله: (وإنا إن شاء الله لمهتدون) فإذا تركه في أول كلامه أو نسي يستثنى في آخره؛ فيعمل عمله في دفع الخلف في الوعد والكذب، وعلى هذا تأول بعض الناس قوله: (واذكر ربك إذا نسيت) أي: استثن في آخره إذا نسيت في أول كلامك، والله أعلم.

ثم هذه القصص والأنباء التي ذكرت لرسول الله على أثر سؤال كان منهم، على ما ذكرنا في قصة أصحاب الكهف وغيرها من القصص، أو على غير سؤال، ولكن كانت في كتبهم؛ فذكرها له ليعلم أنه إنما عرف بالله تعالى.

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي أمر موسى على طلب العلم من عند ذلك الرجل وبعثه عليه.

قال بعضهم: وذلك أن موسى قام خطيبا في قومه، فخطب خطبة لم يخطب قط." (٢)

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٢٣٧/٥

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ١٩٣/٧

"خصومة، وأن اليهودي دعا بشرا إلى رسول الله، ودعاه بشر إلى كعب بن الأشرف، فقال: إن محمدا يحيف علينا، أو نحوه من الكلام؛ فنزل هذا؛ لكنا لا نعلم أنه فيمن نزل سوى أن فيه بيانا أنها إنما نزلت في المنافقين.

وفي ظاهر الآية دلالة أنهم علموا أن رسول الله لا يقضي إلا بالحق؛ ألا ترى أنه ذكر في آخره: (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين (٤٩) مسرعين مطيعين، ولو كان عندهم أنه يقضي بالجور لكانوا لا يأتونه للقضاء، وإن كان الحق لهم مخافة الجور والظلم عليهم، لكن ما ذكر في سياق هذا يمنع هذا التأويل.

وقوله: (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (٥٠) في هذا من الدلالة أن عندهم أنه لا يقضي بالحق لهم، وأنه يجور؛ حيث قال: (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) إن كان على هذا الوصف فهو يخاف جوره وحيفه، إلا أن تجعل الآية في فرق من المنافقين: فرقة منهم عرفوا أنه لا يقضي إلا بالحق، وفرقة منهم كان في قلوبهم مرض، وفرقة ارتابوا، وفرقة خافوا جوره، وهم كانوا فرقا؛ ألا ترى أنه قال: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله) ومنهم من قال: كذا، ومنهم من قال: كذا.

أو أن يكون تأويل قوله: (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي: وإن يكن لهم القضاء بالحق أتوه مذعنين؛ أي: إذا عرفوا أنه يقضي لهم لا محالة أتوه، وإلا لا يأتونه، فإن كان على هذا، فما ذكر على سياقه من المرض والارتياب والخوف في الحيف فمستقيم.

على هذين الوجهين يحتمل أن يخرج تأويل الآية، وأما على غير ذلك فإنا لا نعلم، والله أعلم.

وقوله: (وما أولئك بالمؤمنين)؛ لأن من ارتاب، أو شك في رسالته، أو خاف جوره وحيفه فهو كافر، ليس بمؤمن.

وفي قوله: (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون) يخرج على وجهين وإن كان ظاهره حرف شك:

أحدهما: على الإيجاب والتحقيق، أي: في قلوبهم مرض وارتابوا وخافوا على ما ذكرنا في حرف الاستفهام أنه في الظاهر، وإن كان استفهاما فهو في التحقيق علم وإيجاب؛ أي: قد علمت ورأيت ونحوه؛ لما لا يجوز الاستفهام منه، فعلى ذلك هذا.

والثاني: ما ذكرنا أنه في فرق: فرقة عرفت أنه لا يقضي إلا بالحق، وفرقة منهم ارتابت، وفرقة منهم خافت جوره وظلمه.." (١)

"قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم (٦٢) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)

وقوله: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)، وقال في آية أخرى:

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٧/٥٨٣

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا. . .) الآية، وقال في آية أخرى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا)، هذا – والله أعلم – ليس أن ما ذكر من الاستئذان وترك **الارتياب** من حقيقة الإيمان بالتلاوة، ونحوه من شرط الإيمان، ولكن – والله أعلم – أن الأولى بالمؤمنين هذا ألا يذهبوا حتى يستأذنوا رسوله وألا يرتابوا، وأن يجاهدوا، وأن تزداد لهم التلاوة وما ذكر، ليس على جعله شرطا للإيمان، ولكن ما ذكرنا من الأولى بهم والاختيار ما ذكر، والله أعلم.

ثم ذكر في هذه الآية: أن المؤمنين لا يذهبون عنه ولا يفارقونه إلا بالاستئذان منهم من رسول الله، وذكر أن المنافقين يذهبون ويفارقونه تسللا ولواذا؛ حيث قال: (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) وقال في آية أخرى: (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر)، ذكر أنهم لا يستأذنوك، وإنما يستأذنك المنافقون بقوله: (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) فهذه الآيات في ظاهر المخرج مختلفة وإن كانت في المعاني المدرجة فيها موافقة، فهذا سبيل من يحتج بظاهر المخرج؛ إذ للملاحدة أن تقول: هو مختلف في الظاهر وأنه من عند غير الله بقوله: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)، فدل ما ذكرنا أن الاحتجاج بظاهر المخرج باطل، والاعتقاد به فاسد خيال.

وجائز أن يكون ما ذكر من استئذان المؤمنين وترك استئذان أولئك للخروج منه؛ لما لا يستأذنه المؤمنون للخروج من القتال إلا لعذر، وأولئك يستأذنونه للخروج لا للعذر؛ كقوله – تعالى –: (إن بيوتنا عورة وما هي بعورة)، ونحوه، وأما المؤمنون فلا يستأذنونه إلا بعذر.

أو أن يكون ذلك في نوازل مختلفة، أو في فرق، أو أن يكون المؤمنون يظهرون له." (١)

"على ما ذكر.

والثالث: يتمنون نزول السورة؛ ليتبين لهم المصدق من المكذب، والمتحقق من المرتاب.

هذه الوجوه التي ذكرنا تكون لأهل الإيمان؛ لذلك يتمنون، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (فإذا أنزلت سورة محكمة) أي: محدثة، والمحدثة ليست بتفسير للمحكمة، إلا أن يعنوا بالمحدث، الناسخ، والناسخ هو المحدث والمتأخر نزولا، وهو محكم؛ لأنه يلزم العمل به، والله أعلم.

وفي حرف ابن مسعود – رضي الله عنه –: (لولا نزلت سورة محدثة)، والوجه ما ذكرنا.

والمحكمة عندنا على وجهين:

أحدهما: أي: محكمة بالحجج والبراهين.

والثاني: لما أنزلت على أيدي قوم وتداولت فيما بينهم فلم يغيروه ولم يبدلوه؛ بل حفظوه؛ ليعلم أنه من عند الله حقا ومنه نزل، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (وذكر فيها القتال) جعل الله – عز وجل – في القتال خصالا:

أحدها: كثرة أهل الإسلام، وكثرة الأموال، وإن كان في ظاهر القتال إفناء الأنفس والأموال؛ لأنه قبل أن يفرض القتال كان

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٦٠٠/٧

يدخل من الإسلام واحد، فلما فرض القتال دخل فيه فوج فوج؛ على ما أخبر: (يدخلون في دين الله أفواجا).

والثاني: ليتبين المصدق منهم من المكذب لهم، والمتحقق من المرتاب؛ لأنه لم يكن ليظهر ويتبين لهم المنافق من غيره إلى ذلك الوقت، فلما فرض القتال عند ذلك ظهر وتبين لهم أهل النفاق **والارتياب** من أهل الإيمان والتصديق.

والثالث: فيه آية الرسالة والبعث، وأما آية الرسالة فلأن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانوا عددا قليلا لا عدة لهم ولا قوة، أمروا بالقتال مع عدد لا يحصون، ولهم عدة وقوة؛ ليعلم أنهم لا بأنفسهم يقاتلون، ولكن بالله – تعالى – إذ لا يحتمل قيام أمثالهم لأمثال أولئك مع كثرتهم وقوتهم، والله أعلم.

وأما آية البعث فلأنهم أمروا بقتال أقاربهم، وأرحامهم، والمتعلق بهم، وفي ذلك قطع أرحامهم، وقطع صلة قراباتهم؛ ليعلم أنهم إنما يفعلون هذا بالأمر لعاقبة تؤمل وتقصد؛ إذ لا يحتمل فعل ذلك بلا عاقبة تقصد، وبلا شيء يعتقد، والله أعلم.." [1]

"وقوله – عز وجل –: (رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) كان أهل النفاق يكرهون نزول ما ينبئهم عما في ضميرهم من النفاق **والارتياب**، كقوله – تعالى –: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم)، وإذا أنزلت السورة يزداد لهم ما ذكر؛ حيث قال: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم).

وقوله – عز وجل –: (فأولى لهم) قال أهل التأويل: هذا وعيد لهم؛ كقوله: (أولى لك فأولى. . .) الآية، لكن ظاهره ليس بتوعد ولا تهدد، إنما ظاهره، أي: أحرى لكم وأولى أن تطيعوه، وأن تقولوا معروفا، فإذا تركوا ذلك يكون وعيدا، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (فإذا عزم الأمر ... (٢١) اختلف في تأويله:

قال بعضهم: هو صلة قوله: (فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال)، وعزم الأمر؛ فعند ذلك كان ما ذكر من المنافقين حيث قال: (رأيت الذين في قلوبهم مرض)، وليس في نفس ذكر القتال ما ذكر من نظر المغشي عليه من الموت إنما ذلك الوصف وتلك أن حال عند وجوب القتال، ولزومه، وتأكيده عليهم، وذلك في قوله – تعالى –: (فإذا عزم الأمر) أي: وجب وفرض، فعند ذلك يكون حالهم ما ذكر، فأما بذكر نفس القتال فلا، والله أعلم.

وقال بعضهم: (فإذا عزم الأمر) هو في الآخرة، أي: فإذا تحقق وظهر ما كان أوعدهم الرسول – عليه السلام – من نزول العذاب بهم في الآخرة (فلو صدقوا الله) في الدنيا لكان خيرا لهم في الآخرة؛ حيث كان لا ينزل العذاب بهم في الآخرة؛ أي: لو صدقوا رسول الله فيما يوعدهم من العذاب أنه ينزل بهم في الآخرة وتركوا مخالفته في الدنيا – لكان خيرا لهم في الآخرة، والله أعلم.

* * *

قوله تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٢٧٧/٩

أبصارهم (٢٣) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (٢٤) إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم (٢٥) ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم (٢٦) فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (٢٧) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم (٢٨).

وقوله – عز وجل –: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)." (١)

"ثم قوله – عز وجل –: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... (٢) يخرج على وجهين:

أحدهما: يرجع إلى ذنبه؛ أخبر أنه غفر له.

ثم لا يجوز لنا أن نبحث عن ذنبه ونتكلف أنه ما كان ذنبه؟ وأيش كانت زلته؟ لأن البحث عن زلته مما يوجب التنقص فيه، فمن تكلف البحث عن ذلك يخاف عليه الكفر، لكن ذنبه وذنب سائر الأنبياء – عليهم السلام – ليس نظير ذنبنا؛ إذ ذنبهم بمنزلة فعل مباح منا، لكنهم نهوا عن ذلك، والله أعلم.

وجائز أن يكون قوله – عز وجل –: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي: يغفر ذنبه ابتداء غفران؛ أي: عصمه عن ذلك، وذلك جائز في اللغة، والله أعلم.

والوجه الثاني يرجع إلى ذنوب أمته؛ أي: ليغفر لك الله ذنوب أمتك، وهو ما يشفع لأمته، فيغفر له؛ أي: لشفاعته، وهو كما روي في الخبر: " يغفر للمؤذن مد صوته " أي: يجعل له الشفاعة، فعلى ذلك جائز أن يكون قوله: (ليغفر لك الله) أي: يغفر لأمته بشفاعته، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (ويتم نعمته عليك) يحتمل إتمام نعمته عليه هو ما ذكرنا من الرسالة والنبوة، وفتح ما ذكر من أبواب الخيرات والحكمة في الدنيا والآخرة، والشفاعة له في الآخرة، أو إظهار دينه على الأديان كلها، وإياس أولئك الكفرة عن عوده إلى دينهم؛ كقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم. . .) الآية، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (وينصرك الله نصرا عزيزا (٣) يحتمل: أي: ينصرك نصرا عزيزا بالغلبة عليهم، والقهر، والظفر، لا صلحا، ولا موادعة، وعلى ذلك يخرج قول أهل التأويل: نصرا عزيزا لا يستذل ولا يسترذل، وظاهر الآية ليس على ذلك؛ لأنه قال على إثره: (ليغفر لك الله)؛ لأن الخيرات والحسنات تكون سببا للمغفرة؛ فجائز أن يكون ما ذكر من الفتح له والمغفرة هذا، لا ما ذكره أهل التأويل، إلا أن يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يسأل منه الفتح لما أقدم على أسباب الفتح، وهو القتال مع الكفرة، ونحو ذلك، وذلك من الخيرات التي تكون سبب المغفرة، إلا أن الله أضاف الفتح إلى نفسه، والقتال منهم، والله أعلم.

ويحتمل أن يكون ما ذكر من الفتح له ليغفر له هو أن الله جعل رسوله بحيث لا يخط بيده خطا، ولا يكتب كتابا، ولا يفهم

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٢٧٨/٩

كتابه، وهو ما وصفه الله - جل وعلا - بقوله: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) لدفع ارتياب المبطلين فيه على ما ذكر، ثم مع أنه جعله هكذا أحوج جميع حكماء الخلق إليه." (١)

"وقال بعضهم: هم الملائكة الذين ينزلون بالوحي، يأخذ هذا من هذا؛ إذ لله تعالى أن يرسل الوحي على يدي من يشاء من ملائكته، والله أعلم.

ثم اختلف في ذكر هذه الأشياء من الرياح والسفن، والسحاب والملائكة، لماذا؟

قال عامة أهل التأويل: إنما ذكرها على القسم بها.

وقال بعضهم: إنما ذكرها على سبيل تعداد النعم والمنافع التي جعلها الله لهم.

واحتج هؤلاء وقالوا: إن الله تعالى نهانا عن القسم بغيره، فكيف يقسم بغيره فيكون ذكر هذه الأشياء على الامتنان، لا على القسم.

والقائلون بالقسم اختلفوا: فمنهم من يقول: القسم بأعيان هذه الأشياء؛ لعظم منافع هذه الأشياء عند الخلق.

ومنهم من يقول: إن القسم بالله تعالى لا بعين هذه الأشياء؛ على الإضمار؛ كأنه قال: والذي ذرا الذاريات ذروا، والذي خلق الحاملات وقرا، فالجاريات يسرا، والمقسمات أمرا، وهو كقوله تعالى: (فورب السماء والأرض)؛ فيكون القسم بخالق هذه الأشياء لا بأنفسها، وكل واحد من الوجهين محتمل؛ لأن القسم خرج لرفع شبهة الكفرة في البعث وارتيابهم فيه بعدما أقام عليهم حجج البعث وبراهينه على أنه كائن لا محالة، ونظروا فيها لزوال ذلك الارتياب والشبهة عنهم، والقسم؛ لتأكيد ما وقع عليه بما يكون عندهم له حرمة وقدر وعظمة، قيد لهم ذلك على تأكيد الخبر المقرون بالقسم، فالقسم من الله تعالى بأنه خالق هذه الأشياء المذكورة مما يجل ويعظم عند الكفرة؛ لما كانوا يقسمون بالله تعالى عند عظم الأمور، كما أخبر تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)، فيصلح لتأكيد ما وقع عليه القسم، وكذلك القسم بهذه الأشياء يصلح مؤكدا لعظم خطر هذه الأشياء عندهم؛ لما تجل منافع هذه الأشياء، والعرف في الناس أنهم إنما يقسمون بالذي عظم خطره، وجل قدره عندهم؛ فأقسم الله تعالى بهذه الأشياء؛ لما عرف عظم خطرها وجليل قدرها عندهم، فمنافع الرياح مما يكثر عدها: قد أهلك بها أقواما، وبها استأصلهم، وبها تلقح الأشجار المثمرة وغيرها، وبها يساق السحاب في الآفاق للإمطار، وبها تجري السفن في البحار، وغيرها من المنافع، وبها سبب حياة الحيوانات بالتنفس، ودخول الريح فيهم، ونحوها في تذرية الطعام بحيث لولاها لتحرج الناس في التذرية.

وفيها آيات؛ فإن الريح جسم لطيف يرى ولا يدرك؛ ليعلم أن الرؤية لا توجب الإحاطة والإدراك، وغير ذلك من جهة الآيات؛ على ما تقدم.

وكذلك أقسم بالحاملات وقرا، وهي السحاب الذي فيه منافع الخلق من حمل." (٢)

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٢٩٢/٩

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣٧٣/٩

"سلك ظاهره، أفضاه إلى العذاب.

وجائز أن يفتح من النار إلى الجنة باب؛ فيرون ما حل بهم من العذاب، ويرون أهل النار أهل الجنة على ما هم عليه من النعيم؛ ليزداد لهم حسرة وندامة.

أو يكون اطلاعا لا من باب، ولكن من السور والأعراف الذي ذكر، وهو ما قال: قوله تعالى: (فاطلع فرآه في سواء الجحيم)، والاطلاع في الظاهر إنما يكون من مكان عال مرتفع إلى موضع منحدر، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور (١٤) أي: ينادي أهل النفاق المؤمنين ألم نكن معكم قالوا بلى، جائز أن يكون هذا القول منهم (ألم نكن معكم) تغرير منهم للمسلمين يومئذ كما كانوا يغرونهم في الدنيا، وهو ما أخبر عنهم، يكذبون في الآخرة كما كانوا في الدنيا؛ حيث قال: (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم)، ثم أخبر أنهم هم الكاذبون في حلفهم؛ فعلى ذلك جائز أن يكون قولهم: (ألم نكن معكم) يخرج على تغريرهم إياهم.

ثم الإشكال والكلام قول المؤمنين: (بلى)، وقد علموا أنهم لم يكونوا معهم، فكيف قالوا: بلى؟ فنقول: جائز أن يكون جوابهم خرج لأولئك على ما عرفوا من خطابهم ومرادهم، فأجابوهم على ذلك.

أو أن يكون قولهم: بلى إن كنتم تقولون بأنا معكم، ولكن لم تكونوا معنا.

أو يخرج جوابهم على ظاهر ما يرون من أنفسهم الموافقة دون الحقيقة.

وقوله: (ولكنكم فتنتم أنفسكم) يخرج على وجوه:

أحدها: امتحنتم أنفسكم في الرجوع إلى من جعل لكم المنافع والعاقبة، كقوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) أي شدة، وقال القتبي: (فتنتم أنفسكم) أي: أثمتموها.

وقوله: (وتربصتم) يخرج على وجهين:

يحتمل تربصتم برسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه سيموت عن قريب، أو أنه يرجع عن الإسلام إلى دين أولئك الكفرة.

وقوله: (وارتبتم)، أي: شككتم وإن قام لكم ما يدفع **الارتياب** والشك عنكم والشبه.

وقوله: (وغرتكم الأماني) يخرج على وجهين:

أحدهما: ما ذكرنا من اتباعهم المنافع التي كانوا يتوقعونها فكيفما كان يتبعون غرضهم في ذلك.

والثاني: ما تمنت أنفسهم من موت رسول الله وهلاكه، أو عوده إلى دينهم.." (١)

"المنافقون؛ فنزلت هذه الآية، والله أعلم.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٩/٥٢٢

وقوله – عز وجل –: (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم (١٢).

يشبه أن يكون ما ذكر من مناجاة الرسول – عليه السلام – على وجوه، والناس في مناجاته طبقات:

أحدهم: يناجيه مسترشدا في أمر الدين، وما ينزل به من النوازل.

والآخر: يناجيه افتخارا به على غيره من الناس ومباهاة منه؛ ليعلم أن له خصوصية عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفضلا له عنده، وهو صنيع المنافقين.

والفريق الثالث: يناجونه؛ ليسمعوا الناس الكذب ويسمعوهم غير الذي سمعوا، كقوله – تعالى –: (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين)، وهم اليهود وصنيعهم ما ذكر؛ فجائز أن يخرج المناجاة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الوجوه التي ذكرنا.

ثم ما ذكر من تقديم الصدقة على المناجاة يخرج على وجوه:

أحدها: أمر بتقديم الصدقة؛ لعظم قدر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والخصوصية له، يطهر بتلك الصدقة ويصير أهلا لمناجاة بها، وهو كالطهارة التي جعلها سببا للوصول إلى مناجاة الرب، سبحانه وتعالى.

والثاني: لما خصهم بمناجاة الرسول، وجعلهم أهلا لها، أمرهم بتقديم الصدقة؛ شكرا له منهم بذلك.

والثالث: جائز أن يكون أمرهم بتقديم الصدقة؛ امتحانا منه إياهم؛ ليظهر حقيقة أمرهم، وهو ما جعل الأمر بالجهاد سببا لظهور نفاقهم وارتيابهم في الأمر؛ فكذلك الأول، والله أعلم.

وجائز أن يكون الأمر بالصدقة لأهل المناجاة على الذين كانت لهم حوائج عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيمنعونه عن قضاء حاجاتهم بالاشتغال بالمناجاة، أمرهم بالصلة لأولئك؛ تطيبا لقلوبهم، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (ذلك خير لكم وأطهر).

أي: أن تقديم الصدقة أطهر لقلوبكم من ترك الصدقة.

وقوله: (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم).

جائز أن يكون هذا الأمر لأهل الغناء دون الفقر، حتى قال: (فإن لم تجدوا) ما تصدقون به، (فإن الله غفور رحيم).." [(١)]

"استشكل الزمخشري من ناحية أن لكن شرط الاستدراك لها معادة ما بعدها لما قبلها وهو هنا موافق، وأجاب بأن المعنى ما خرجوا ولكن تثبطوا [لكراهة انبعاثهم*]، ورده أبو حيان بأن التمكن أوقعت فيه بين متفقين في المعنى، وأجاب المختص بأن ما أحسن إلى أعم من كونه أشار إلى الأعم لا إشعار له بالأخص المعني، وقول ابن عرفة: صحة الاستدراك في الآية بأنه استدراك نقيض الثاني، قال: والمعنى ما أرادوا الخروج [اختيارا*] ولكن ما أرادوه اضطرارا؛ مثل [ما قام زيد اختيارا؛ بل ما قام اضطرارا*]، فقد وقعت، لكن بين مختلفين.

وأخذ [المسيلي*] في التذكرة من هذه الآية أن الأمر لا يستلزم الإرادة.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٩/٥٧٣

ابن عرفة: ويجاب بوجهين:

الأول: أن المكروه إنما هو انبعاثهم اللاحق لهم، وهو الانبعاث الذي لا تصحبه بقلب مخلص، بل يخرجون بأجسادهم دون قلوبهم، والمراد الخروج بنية [الطاعة*].

الثاني: أن الكراهة إن كانت صفة [منع*]، فالأخذ صحيح، وإن كانت صفة فعل فلا يتم له ذلك؛ لأن المراد أن الله تعالى أمرهم بالخروج وأراد ذلك ومنعهم منه، هكذا [يقول*] المعتزلة.

قوله تعالى: (قيل).

هذا (وارتابت قلوبهم) فقال ابن عرفة: هذا كلام ابن عطية، ثم قال: محصول كلامه هنا ثلاث حقائق مختلفة:

والارتياب: هو إتيان الحكم المتردد فيه.

والشك: هو الوقف من غير حكم.

والتردد هو الحكم أولا والانتقال عنه للآخر ثم الرجوع إلى الأول.

وقال الفخر في المحصول: حكم الذهن بأمر على أمر إما مع الجزم أو بدونه، والجزم إما مطابق أو لا، والمطابق إما لموجب أو لا، والموجب إما حسي أو عقلي أو هما، والجزم المطابق الذي [يوجبه هو العلوم الحسية والذي يوجبه*] عقلي إن كفي به جزاء القضية، ولم يحتج إلى وسط هو البديهي وإلا فهو النظر، والجزم المطابق الذي." (١)

"الرسول مع أنه لا يستلزم من استلزم الأخص أمر باستلزام الأعم له، والرسول أخص من النبي فالعطف تأسيس.

قوله تعالى: (فينسخ الله ما يلقي الشيطان).

النسخ رفع ما قد ثبت، وهذا لم يثبته قرآن بوجه، وهذا الذي تكلم به الشيطان وأوهم الكافرين أنه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم، فالمراد ننسخ سببه، وما نشاء منه، وما حصل في اعتقاد [من بعض المؤمنين*]، ومن كانت في نفسه ريبة وشك، فيزيل ذلك بنزول الآيات البينات الدالات على بطلانه، وأورد الفخر: أنه إذا ثبت أن الله تعالى قدر الشيطان على فعل مثل هذا، فيلزم **الارتياب** في جميع آيات القرآن، وعدم الوثوق بها، إذ لعل بعضها من قول الشيطان، وأجاب: بأنه إذا قدره على ذلك يلهم الرسول إلى استدراك الأمر، وإبطال ما هو من كلام الشيطان، كما ألهمه لها.

قال ابن عرفة: هذا فتح باب سوء، وإنما الجواب: أن القرآن مقطوع بصحته

ووروده من عند الله عز وجل، إما لأنه معجز ودليل الإعجاز يقطع هذا كله، وإما

التواتر والإجماع على أن هذا الذي نحن نقرأوه هو قرآن صحيح، وارد من عند الله عز

وجل، لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)،

قال الفخر: وآية القرآن على ثلاثة أقسام، فقوله تعالى: (الله نزل أحسن الحديث

كتابا متشابها)، وقوله تعالى: (كتاب أحكمت آياته)، تقتضي أنه كله محكم، وقوله تعالى: (منه آيات محكمات هن أم الكتاب

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٣١٠

وأخر متشابهات)، يقتضي أن بعضه محكم وبعضه متشابه،
فأجاب ابن عرفة: بأن المتشابه في قوله تعالى: (كتابا متشابها)،
بمعنى التماثل، لا بمعنى الاختلاف، والإحكام في قوله تعالى: (كتاب أحكمت
آياته)، يقتضي الإتقان.

قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ... (٥٤)﴾
مع أن العلم بوحدانية الله تعالى مرادف للإيمان، فالجواب: إما أن يراد بالعلم العلم التصويري، وبالثاني الذي هو الإيمان العلم التصديقي، وإما بأن يجعل الضمير المحذوف في قوله تعالى: (فيؤمنوا به)، عائد على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإما على قول ما قال الزمخشري: من أن المراد يعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق من ربك والحكمة، أن المراد قوله تعالى: (وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم)." (١)

"ليس بتكرار لأنه قوله: (لم تؤمنوا)، نفي لماض منقطع، وقوله (ولما يدخل) نفي لماض متصل بالحال فهو أبلغ.
وقال الفخر: الأول نفي للإيمان الكسبي، والثاني نفي للإيمان الإلهامي الذي يقع بقلب المؤمن من قبل أن يكفر، أي [كيف تقولون*] آمنا وما آمنتم إيمانا كسبيا، ولا يدخل الإيمان في قلوبكم إلهاما من غير فعلكم فلا إيمان لكم.
الزمخشري: ما في (لما) من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد.
فأبطله أبو حيان بأن (لما) لنفي قد فعل فهي تنفي التوقع، ويجاب: بأنها لنفي الفعل الذي كان متوقعا وقوعه لا لنفي التوقع فلم يزل التوقع ثابتا متعلقا بالمستقبل.
قوله تعالى: (وإن تطيعوا الله).
قيل: لم أتى بـ (إن) دون [إذا*] مع أن القاعدة أن الفعل إذا كان [محققا*] وقوعه فالمناسب له (إذا)، وإن كان [محققا*] عدمه أتى بـ إن؟ أجيب بوجهين:
الأول: أنه أشار إلى كمال استغناء الله تعالى عنهم.
الثاني: أنه يستحيل عليهم [جعل*] طاعتهم في حيز المحال، وإخراجها عن حيز الإمكان، فضلا عن أن تكون محققة الوقوع، ورد هذا بأن الزمخشري ذكر فيما تقدم أنهم آمنوا بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿ثم لم يرتابوا ... (١٥)﴾
[ارتاب مطاوع رابه*] فارتاب فهو مرتاب عليه، **فالارتياب** أخص لأنه لا يكون إلا مطاوعا، والريبة تكون ابتداء وتكون بعد تقدم سببها، فيرد السؤال وهو أن نفي الريبة أبلغ، ومثله وقع بين الشيخ ابن عبد السلام وابن الحباب، في قول ابن الحاجب ينقسم.

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١٩٤/٣

فقال ابن الحباب: انقسم المطاوع لا يكون إلا فيما يقبل القسمة وما لا فلا، والجواب: أنه قصد الرفق بالمؤمنين لأن كل واحد منهم لا يخلوا من خطور ريبة بقلبه، فمنهم من يسأل حتى يهتدي إلى الصواب، ومنهم من يدوم على ذلك حتى توجب تلك الريبة عنده **ارتيابا** في الإيمان فيكفر، فنفى هذا الثاني دون الأول؛ لأن الأول حصلت عنده الريبة ثم زالت، ولم توجب عنده **ارتيابا** في الإيمان.." [(١)]

"سورة (ق)

قوله تعالى: ﴿ق والقرآن ... (١)﴾

قال: مكي (والقرآن) قسم جوابه قبله وهو ما دلت عليه (ق) والتقدير والقرآن المجيد لقضي الأمر، انتهى، تقديم جواب القسم عليه ممتنع لكنه جعله دليل عن الجواب لا أنه نفس الجواب.

قوله تعالى: ﴿بل ... (٢)﴾

إضراب انتقال قبل تمام المنتقل عنه إلا أن يكون الجواب مقدم.

قوله تعالى: (أن جاءهم).

مفعول من أجله، فإن قلت: قد تقرر في المنطق أن التعجب لازم الإنسان بغير وسط فلا يقال: تعجبت لأجل كذا، قلت: التعجب زيادة في وصف الفاعل خفي سببها فنفس التعجب بغير واسطة؛ لكنه لا بد له من سبب ولا يسمى ذلك السبب واسطة.

قوله تعالى: (فقال الكافرون).

العطف بالفاء إشارة لمبادرتهم بالإنكار وتعجبهم الأول شك **وارتياب**، والثاني استهزاء وتصميم على كفرهم.

قوله تعالى: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم ... (٤)﴾

رد على قولهم: (أئذا كنا) ولم يقرر المفسرون وجه الرد، وتقريره أن إعادة الشيء تنبيه من شرطها قدرة الصانع وعلمه وكونه سبحانه وتعالى قادرا معلوم له بالضرورة لا ينازعون فيه فبين لهم اتصافه بالعلم، ولما كان العلم بما ينقص في المستقبل أبلغ من العلم بما انتقص في الماضي [قيل (تنقص) دون نقصت*].

قوله تعالى: ﴿أفلم ينظروا ... (٦)﴾

لما تضمن الكلام السابق أنهم في أمر ملتبس مختلط قد يتوهم أن هذه الضلالة لعدم وضوح الدلائل التي تهديهم إلى طريق الحق، فأتى بهذه الآية شبه الاحتراس والتقدير [أغفلوا*] فلم ينظروا، وتقدير المعطوف عليه قبل الهمزة أولى من جهة المعنى

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/٥٠

لأن المقصود [إنكار*] عدم النظر وتوبيخهم عليه، وأما الغفلة فهي ثابتة مقدرة، ولكنه عند النحويين مقدر بعد الهمزة.." (١)

"الإيمان محله العقل، فنقول: الإيمان الأول قد تلا العقل [**وعيه]، وعبر جميعه فلا يجد الإيمان الثاني في العقل محلا يكون فيه إلا لو كان الإيمان الأول قام نصفه العقل، فيقوم الثاني بنصفه الآخر الذي هو فارغ منه، ومثاله الشيء الأحمر لا يقبل أن يقوم به حمرة أخرى إلا إذا أتى فيه جزء لم [تقم*] به الحمرة، فإن قلت: إنه يريد باعتبار المتعلقات، فمن ظهرت له ازداد تسبيحا وترنما تنزيها وتعظيما لله عز وجل كهذه الآية؛ لأن من آمن من أهل الكتاب وجدوا هذه الآية موافقة لما في كتبهم فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم، قلت: الذي يطلب من المؤمن حين الإيمان وممن يعلمه زيادة، وإنما الجواب أن يقال: إن تلك الزيادة تكميل مجازي راجع إلى قوة الإيمان وضعفه باعتبار الظهور والجلاء.

قوله تعالى: (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون).

فيها من أنواع البديع [**أبلغ من التفريق]؛ لأنه ذكر أولا كل صنف [...] الخاصة به، قلت: فنسب لأهل الكتاب الاستيقان وللمؤمنين ازدياد الإيمان، وجمع الفريقين هنا في عدم **الارتياب**، وأورد الزمخشري هنا سؤالا، قال: ما الفائدة في نفي الريبة عنهما مع أن اليقين وازدياد الإيمان يستلزم ذلك؟ وأجاب ما حاصله أنه مبالغة للتأكيد، ويجاب أيضا بأن اليقين وزيادة الإيمان مثبت للفريقين، والفعل من سياق الثبوت مطلق، فلا يقتضي الدوام بوجه، **والارتياب** منفي، والفعل في سياق النفي عام، فأفاد الأول حصول زيادة الإيمان للمؤمنين، وأفاد الثاني دوام ذلك لهم إذ [العلة*] تحصل في زمن ثم يفرض فيه الشك في الزمن الثاني، وقول القرطبي المراد بذلك. ومن تأتي في المستقبل، وكل كتاب يرد بأن مالكا قال: إذا قال: كل مملوك لي حسن [حر*]، إنه إنما يتناول ما في ملكه حينئذ لا ما حدث له بعد ذلك، والمؤمنون يحتمل أن يكون من عطف العام على الخاص، فيكون المراد بأهل الكتاب المؤمنين، وبالمؤمنين من آمن من أهل الكتاب ومن غيرهم، وأورد الزمخشري هنا سؤالا وأجاب عنه، ونقل الطيبي عن صاحب الانتصاف: أن السؤال المذكور دائما يرد على قواعد المعتزلة، وبدأ بالمنافقين؛ لأن منه [...] هذه المقالة منهم أغرب.

قوله تعالى: (وما يعلم جنود ربك إلا هو).

تقديم المفعول واجب إن كان الفاعل مقرونا بإلا اتفاقا، وتقديم الفاعل واجب إن كان المفعول مقرونا بإلا على اختلاف، وسبب ذلك أنك في الأول استثنيت من كلام ناقص، وهنا استثنيت من كلام تام، ومثله: ما ضرب إلا عمرو زيدا، فاستثنيت من كلام." (٢)

"﴿أَلَاَ إِنَّهُمْ﴾ أهل مَكَّة ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ فِي شكّ **وارتياب** ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ من الْبَعْث بعد الْمَوْت ﴿أَلَاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أَعْمَالهم وعقوبتهم ﴿مُحِيط﴾ عَالم

وَمن السُّورَة الَّتِي يذكر فِيهَا حم عسق وهى كلهَا مَكِّيَّة إِلَّا سبع آيَات ﴿قل لَا أَسأَلكُم عَلَيْهِ أجرا إِلَّا الْمَوَدَّة فِي الْقُرْبَى﴾

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/٥٣

(٢) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤/٣٢٠

﴿وَالَّذين يحاجون فِي الله من بعد مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ إِلَى آخر الْآيَة وَخمْس آيَات نزلت فى أَبى بكر الصّديق وَأَصْحَابه من قَوْله ﴿وَالَّذين يجتنبون كَبَائِر الْإِثْم﴾ إِلَى قَوْله ﴿إِن ذَلِك لمن عزم الْأُمُور﴾ فاهن مدنيات

آياتها خَمْسُونَ آيَة وكلماتها ثَمَانمِائَة وَسِتَّة وَثَمَانُونَ وحروفها ثَلَاثَة آلَاف وَخَمْسمِائة وَثَمَانِية وَثَمَانُونَ حرفا

﴿بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم﴾." (١)

"(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) شريف، نيط به أمر المعاش والمعاد، أو كريم عند الله، وإنما بالغ في القسم وجعل القرآن مقسماً به؛ لكون السورة مصدرة بأمر المعاد، وقد استوفى فيها أدلة الآفاق والأنفس على وجه تحار فيه الألباب، ولا يبقى لذي العينين **ارتياب**.

(فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) مصون عن يد الأغيار، ولم يقع فيه شائبة تبديل.

(لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) من دنس الآثام، وهم السفرة الكرام البررة، أو المطهرون من الأحداث. رواه مالك وأبو داود، فالنفي بمعنى النهي.

(تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) مصدر نعت به صفة أخرى للقرآن.

(أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) متساهلون، من الدهن. فإن المتهاون يلين جانبه.." (٢)

"المصارعة وقال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه مراراً، فلم يؤمن. والمعنى: ما جعلنا عدقم إلا العدد المخصوص الذي اقتضى فتنتهم واستهزاءهم. (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) لتوافق الكتابين في هذا العدد. على حذف العاطف أي: وليستيقن، أو عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالأثر وهو فتنة للذين كفروا؛ إشارة إلى أن هذا الأثر من لوازم ذلك المؤثر. (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) إذا صدقوا بذلك وإذا رأوا تسليم أهل الكتاب لهذا العدد. (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) تصريح بما علم ضمناً؛ توكيداً. (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) نفاق. إخبار بالغيب عما يكون؛ لأن السورة مكية، والنفاق إنما نجم بالمدينة. أو الشك **والارتياب**، وكان أكثر المشركين كذلك. (وَالْكَافِرُونَ) غير المنافقين أو الشاكين. وإنما عطف قول المنافقين والكافرين على الاستيقان، مع كون المعطوف عليه غرضاً دون المعطوف؛ لأن اللام للعلة، والعلة لا يلزم أن تكون غرضاً كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر. (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) تمييز أو حال. استعاروا لعدد الخزنة لفظ " المثل " من المثل المضروب؛ لكونه غريباً عندهم بديعاً. (كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) الكاف في محل النصب. أي: مثل ذلك الإضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين. (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)، لفرط الكثرة، فليس تخصص الخزنة بهذا العدد إلا لحكمة اقتضته، كعدد السماوات والأرضين وحمله العرش. (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) متصل." (٣)

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي ص/٤٠٥

(٢) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، الكوراني، أحمد بن إسماعيل ص/٨٥

(٣) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني، الكوراني، أحمد بن إسماعيل ص/٢٧٦

"(إلا على الذين هدى الله) أي هداهم للإيمان فانشرحت صدورهم لتصديقك وقبلت ما جئت به عقولهم، وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي أي أنها لا تخف ولا تسهل إلا على أهل الهدى، وقيل استثناء من مستثنى منه محذوف أي وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الذين، وقيل يحتمل كلا الوجهين والأول أولى، وعن ابن جريج قال: بلغني أن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا مرة ههنا ومرة ههنا.

(وما كان الله ليضيع إيمانكم) وهذه اللام تسمى لام الجحود عند البصريين وخبر كان محذوف أي ما كان الله مريدا لإضاعة إيمانكم، والكوفيون لا يقدرون شيئا وأن اللام عندهم للتأكيد وهكذا القول فيما أشبه هذا التركيب مما ورد في القرآن وغيره نحو (وما كان الله ليطلعكم، وما كان الله ليذر) قال القرطبي: اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ثم قال: فسمى الصلاة إيمانا لاجتماعها على نية وقول وعمل، وقيل المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة وعدم **ارتيابهم** كما ارتاب غيرهم، والأول يتعين القول به والمصير إليه لما أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحكم وصححه ابن عباس قال: لما وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى القبلة قالوا يا رسول الله فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل. (وما كان الله) الآية وفي الباب أحاديث كثيرة وآثار عن السلف.

(إن الله بالناس) تعليل لما قبله (لرؤوف رحيم) الرؤوف كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة وأكثر منها والمعنى متقارب وقدم الأبلغ للفاصلة.." (١)

"وقال المرزوقي: أكثر ما يستعمل فيما كان باطلا أو فيه **ارتياب**، وقال ابن القوطية: زعم زعما قال خبرا لا يدري أحق هو أو باطل، قال الخطابي: ولهذا قيل: زعموا مطية الكذب وزعم غير مزعم، قال غير مقول صالح وادعى ما لا يمكن. (وهذا لشركائنا) أي الأصنام (فما كان لشركائهم) أي ما جعلوه لها من الحرث والأنعام (فلا يصل إلى الله) أي إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها كالصدقة وصلة الرحم وقراء الضيف (وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) أي يجعلونه لآلهتهم وينفقونه في مصالحها (ساء ما يحكمون) أي حكمهم في إيثارهم آلهتهم على الله سبحانه ورجحان جانب الأصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفاظة، وهذا سفه منهم.

وقيل معنى الآية أنهم كانوا إذا ذبحوا ما جعلوه لله ذكروا عليه اسم أصنامهم، وإذا ذبحوا ما لأصنامهم لم يذكروا عليه اسم الله فهذا معنى الوصول إلى الله والوصول إلى شركائهم (رحمه الله ١).

رحمه الله____________

(رحمه الله ١) وكانوا إذا زكا ما لله، ولم يزك ما لشركائهم، ردوا الزاكي على أصنامهم، وقالوا: هذه أحوج، والله غني؛ وإذا زكا ما للأصنام، ولم يترك ما لله، أقروه على ما به.

قال المفسرون: وكانوا يصرفون ما جعلوا لله إلى الضيفان والمساكين. فمعنى قوله:

(فلا يصل إلى الله) أي: إلى هؤلاء ويصرفون نصيب آلهتهم في الزرع إلى النفقة على خدامها. نصيبها في الأنعام، ففيه ثلاثة

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٣/١

أقوال:

أحدها: أنه كان للنفقة عليها أيضا والثاني: أنهم كانوا يتقربون به، فيذبحونه لها.

والثالث: أنه البحيرة، والسائبة- والوصيلة، والحام.." (١)

"عداهم من المضرة عليهم فقال (ولا يزيد) القرآن كله أو كل بعض منه (الظالمين) الذين وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك **والارتياب** موضع اليقين والاطمئنان (إلا خسارا) أي هلاكا لأن سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردا وعنادا، فعند ذلك يهلكون، وقيل الخسار النقص كقوله (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) قال قتادة: لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان.

ثم نبه سبحانه على قبح بعض ما جبل عليه الإنسان من الطبائع المذمومة فقال." (٢)

"(وما كنت) يا محمد (تتلو من قبله من كتاب) أي من قبل القرآن كتابا، ولا تقدر على ذلك، لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب. و (من) زائدة. (ولا تخطه بيمينك) أي ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة، وخص اليمين لأن الكتابة، غالبا تكون باليمين، أي ولا كنت كاتبا، قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية قال النحاس: وذلك دليل على نبوته لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم.

قال ابن عباس: لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ ولا يكتب، وكان أميا، قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: قال البغوي في التهذيب: هل كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله أو لا؟ والأصح أنه كان لا يحسنهما ولكن كان يميز بين رديء الشعر وجيده، ذكره الشهاب وما أحسن ما قال آزاد رحمه الله:

ما كان يعرف ألواحا ولا قلما ... وكان يعرف ما في اللوح والقلم

وهذا شروع في الدليل على كون القرآن معجزا (إذا لارتاب المبطلون) أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أميا لا تقرأ ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة، ولا محل للشك أبدا، بل إنكار من أنكر وكفر من كفر، مجرد عناد وجحود بلا شبهة، وسماهم المبطلين لأن **ارتيابهم**." (٣)

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٤٨/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٤٥/٧

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٠٤/١٠

"(بل هو) أي القرآن الذي جئت به (آيات بينات) وقال قتادة ومقاتل: إن الضمير يرجع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أي بل محمد آيات، أي ذو آيات، وقرأ ابن مسعود: بل هي آيات بينات، قال الفراء معنى هذه القراءة بل آيات القرآن آيات بينات، واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل، وقد استدل لما قالاه بقراءة ابن السميفع بل هذا آيات بينات، ولا دليل في هذه على ذلك، لأن الإشارة يجوز أن تكون إلى القرآن كما جاز أن تكون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم احتياج ذلك إلى التأويل؛ وهو إضراب عن ارتيابهم أي ليس القرآن مما يرتاب فيه لكونه محفوظا.

(في صدور الذين أوتوا العلم) يعني العلماء المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده – صلى الله عليه وسلم –، وحفظوه بعده عن ظهر قلب، وهذا من خصائص القرآن بخلاف سائر الكتب فإنها لم تكن معجزات، ولا كانت تقرأ إلا من المصاحف، ولذا جاء في وصف هذه الأمة صدورهم أناجيلهم، ولذلك لا يقدرون على تحريفه ولا تغييره، والمراد أنهم يحفظونه تلقينا منك، وبعضهم من بعض، وأنت تلقيته عن جبريل عن اللوح المحفوظ فلم تأخذه من كتاب بطريق تلقيه منه.

(وما يجحد بآياتنا) أي القرآن الكريم (إلا الظالمون) أي المجاوزون للحد، والمتوغلون في الظلم." (١)

"قوة الثقلين يقبل أحدهم بالأمة من الناس يسوقهم، على رقبته جبل حتى يرمي بهم في النار فيرمي بالجبل عليهم " أخرجه ابن مردويه.

(ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) المراد بهم اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم قاله الضحاك وقتادة ومجاهد وغيرهم، والمعنى أن الله سبحانه جعل عدة خزنة جهنم هذه العدة ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم.

(ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وقيل أراد المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (إيمانا) أي ليزدادوا يقينا إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم.

وجملة (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) مقررة لما تقدم من الإستيقان وازدياد الإيمان، والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين أو في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر، ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين.

(وليقول الذين في قلوبهم مرض) المراد بأهل المرض المنافقون، والسورة وإن كانت مكية ولم يكن إذ ذاك نفاق فهو إخبار بما سيكون في المدينة فهو معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة، أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب وهو كائن في الكفار، قال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف.

والمراد بقوله (والكافرون) كفار مكة من العرب وغيرهم (ماذا) مجموع الكلمتين اسم استفهام ف (ذا) ملغاة أي أي شيء

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٠/٢٠٥

(أراد الله بهذا) العدد المستغرب استغراب المثل (مثلا) تسير به الركبان سيرها بالأمثال، قال الليث المثل الحديث ومنه قوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي حديثها والخبر عنها.." [1]

"(القصر) (رحمه الله١) فـ (إنما) أداة حصر. يعني: لا يستئذنك هذا الاستئذان الذي يراد به التخلف عن الجهاد والقعود لأعذار كاذبة.

﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله﴾ الذين لا يصدقون بالله ولا يؤمنون باليوم الآخر فلا يرغبون فيما عند الله، ولا يخافون عذاب الله.

وقوله: ﴿وارتابت قلوبهم﴾ شكت قلوبهم. فـ ﴿وارتابت﴾ معناه: شكت. والتاء فيه تاء الافتعال. وأصل حروفه الأصلية: الراء في محل الفاء، والياء في محل العين، والباء في محل اللام، أصل المادة (ريب) بـ (راء) فـ (ياء) فـ (باء) والتاء تاء الافتعال، وأصلها (وارتيبت قلوبهم) (رحمه الله٢)

أي: داخلها الريب. أصل الريب في لغة العرب معناه الإزعاج والإقلاق. هذا أصل معناه الأصلي، تقول العرب: رابه الأمر. إذا أزعجه وأقلقه. وهذا هو معناه الحقيقي، ومنه قول توبة بن الحمير الخفاجي (رحمه الله٣):

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت ... وقد رابني منها الغداة سفورها

أي: أزعجني وأقلقني، وكلما جاء الريب في القرآن **والارتياب** فمعناه الشك على كل حال. وإنما سمي الشاك مرتابا وأطلق اسم الريب على الشك لأن الشاك لا تطمئن نفسه إلى طرف الإيجاب، ولا إلى طرف السلب، فهو تارة يميل إلى الإيجاب، وتارة يميل إلى السلب، فنفسه منزعجة قلقة ليست مطمئنة إلى الثبوت ولا إلى

رحمه الله________________

(رحمه الله١) مضى عند تفسير الآية (٦٥) من سورة الأعراف.

(رحمه الله٢) انظر: معجم مفردات الإبدال والإعلال ص١٣٣، ٣٩١، ٣٩٣.

(رحمه الله٣) مضى عند تفسير الآية (٢) من سورة الأعراف.." [2]

"النفي. ومعنى ﴿وارتابت قلوبهم﴾ شكت قلوبهم والعياذ بالله. وأسند **الارتياب** إلى القلوب لأن القلب هو محل الإدراك الذي يكون فيه الشك، ويكون فيه اليقين، ويكون فيه العلم والإدراك. وهذا **الارتياب** سيبينه لهم المؤمنون يوم القيامة كما يأتي بيانه في سورة الحديد؛ لأنه سيأتي في سورة الحديد - إن شاء الله - أن كل من كان يقول: لا إله إلا الله في دار الدنيا يعطيه الله نورا، فيكون عند المنافقين نور، وعند المؤمنين نور، فإذا - مثلا - اشتد الأمر وصار الناس في فصل الخطاب انطفأ نور المنافقين وبقوا في ظلام دامس، وعند ذلك يقول المؤمنون: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ [التحريم: آية ٨] ويقول المنافقون للمؤمنين: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ [الحديد: آية ١٣] فإذا ضرب ذلك السور بين المنافقين والمؤمنين قال المنافقون للمؤمنين: ﴿ألم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤١٥/١٤

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٥٤٠/٥

نكن معكم﴾ [الحديد: آية ١٤] ألم نكن معكم في دار الدنيا؟ وكنا نحضر معكم المساجد والغزوات، ونأتي معكم المواطن؟ ﴿قالوا بلى﴾ كنتم معنا ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم﴾ وهذا محل الشاهد. ذلك **الارتياب** الذي قال عنهم هنا: ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: آية ٤٥] هو من الأسباب التي تجعلهم يوم القيامة وراء السور، والعياذ بالله.

وقوله: ﴿فهم في ريبهم﴾ أي: فهم في شكهم ﴿يترددون﴾ أي: يذهبون حائرين تارة يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى، يذهبون ويرجعون، يتوجهون إلى الإيمان مرة ويكفرون مرة (والعياذ بالله جل وعلا). وهذا معنى قوله: ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾.." (١)

"(فيه هدى للمتقين) جملة جديدة مستقلة وتكون لبيان كماله فوق أنه لا ريب فيه.

والثالث: الوقوف عند كلمة (فيه)، ويكون المعنى كالمعنى السابق، ثم يكون قوله (هدى للمتقين) جملة مستقلة، وهذه القراءات تتجه كلها إلى سمو القرآن وعلوه، وأنه فوق طاقة البشر، وفوق علم الناس، إنه كتاب الله العلي الحكيم.

ومعنى (لا ريب فيه) أنه لا يعتريه الريب لكمال حقائقه ووضوح مقاصده، والبراهين القاطعة المثبتة أنه من عند الله تعالى، فلا مساغ لمرتاب أن يرتاب. وإذا كان قد وقع فيه إنكار، فلأنهم جحدوا آيات الله تعالى، واستيقنتها أنفسهم، والنفي لوقوع الريب منه في ذاته، ويضل ناس فيجحدون ولا يؤمنون، ولا ينفي ذلك أنه لا مكان للريب، ولا موضع له، إذ هو **ارتياب** حيث اليقين، وإنكار حيث يجب الإيمان، وهو الحق الذي لايأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه.

(هدى للمتقين) الهدى مصدر على وزن فعل، كالسرى، والبكى، ومعناه الدلالة على الطريق الموصل للغاية الذي لا اعوجاج فيه، ولا تستعمل غالبا إلا للتوصيل إلى الخير، بدليل مقابلتها بالضلالة في قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)، وبدليل نسبة الهدى إلى الله تعالى، فقد قال تعالت كلماته: (قل إن الهدى هدى الله. . .)

، والمهتدي من انتفع بما وجد من هداية (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يفمل عليها. . .).

وإذا قيل: فإن الهداية إنما تكون للضالين ليسترشدوا، ويسيروا في طريق الحق، ويبتعدوا عن الغواية، وما يدفع إليه من ضلالة كما قال تعالى: (ووجدك ضالا فهدى).." (٢)

"(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة).

الختم مصدر ختصت ختما فهو مختوم ومعناه تغطية الشيء، والاستيثاق من الغطاء حتى لا يدخله شيء من خارجه، والختم يكون محسوسا، وإطلاقه على الأمور المعنوية يكون مجازا أو استعارة، ويكون المعنى أن الله تعالى شبه ابتعادهم عن الهداية، والحيلولة بين قلوبهم ووصول الحق إليها، بسبب ما تواردت عليه من أسباب الشك **والارتياب** وإظلام القلوب، وعدم قبولها لنور الهداية – شبهه بحال ما ختم عليه بختم استيثاقا من ألا يفتح ويدخل عليه شيء من الإيمان، وكان على القلوب، فلا

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٥٤١/٥

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٠٠/١

يكون معها مكان لهداية، وعلى السمع، فلا ينفتح لسماع كلمة حق هادية، وذلك من كثرة ما توارد عليها من أسباب العصيان والجحود، حتى طبع الله تعالى عليها بكفرهم، فقد قال – صلى الله عليه وسلم -: " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا (أي مقلوبا) لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكرا " (﵀١) رواه الصحيحان، ولقد قال ابن جرير في تفسيره: " إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم الذي ذكره الله سبحانه وتعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم).

والمعنى أن الذين أركست قلوبهم بتضافر ذنوبهم، وتوالى جحودهم، واستغراق المادة تغلق عليهم مسالك الهداية، وتسد عليهم مسام النور، فلا تصل إليهم هداية.

﵀____________

(﵀١) رواه مسلم: كتاب الإيمان: باب: بدأ الإسلام غريبا (٢٠٧).." [1]

"عارية الدراهم والدنانير قرض ويقول القانونيون في مثل هذا إنه عارية استهلاك، أي عارية لا ينتفع بالعين فيها إلا باستهلاكها والتصرف فيها.

وقال المالكية وأكثر الحنابلة: إنه يصح الأجل في القرض وتجب تسميته وتعريفه، لنص هذه الآية، إذ هو دين داخل في عموم الدين في الآية الكريمة، ولأن القرض لا فائدة فيه للمدين إلا إذا كان مؤجلا، فكانت المصلحة في أن يعين الأجل ويتفق عليه بينهما دفعا للمشاحة، ومنعا للنزاع وإن ذلك الرأي هو الأظهر وهو الذي يشمله عموم النص، وهو الأقرب إلى عرف الناس، والمصلحة فيه.

والأمر بالكتابة هنا أهو للطلب الملزم الذي لا محيص للمكلف عنه، أم للإرشاد أو الندب؟ قال جمهور العلماء: إنه للندب؛ وذلك لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – ما ألزم الدائنين بكتابة ديونهم، ولا المدينين بأن يكتبوها، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " (﵀١) ولأن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك: (فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته. . .)، وإن ذلك بلا ريب تسويغ لعدم الكتابة، والاعتماد على مجرد الأمانة، فإنه مع الكتابة لا ائتمان، أو لا اعتماد على الأمانة.

وقال الظاهرية: إن الأمر هنا للوجوب، ومن لم يفعل كان آثما، ذلك لأن الأصل في الأمر أنه للوجوب، ولا يخرج عن الوجوب إلى غيره إلا بدليل من النصوص، ولم يوجد الدليل؛ ولأن طلب الكتابة تأكد بطرق عدة؛ منها النص على الكتابة في الصغير والكبير من الديون بقوله تعالى: (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله) ومنها النص على أنه الأقسط والأقوم للشهادة، والأدنى للمنع من **الارتياب**؛ ومنها التعميم واستثناء صورة واحدة، وهي حال التجارة الدائرة بين التجار، وقصر نفي الإثم عليها دون غيرها، فإنه إذا كان نفي الإثم مقصورا على هذه الحال فمعنى ذلك أن الإثم ثابت في غيرها، وإن الائتمان لا يتنافى مع الكتابة،

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١١٨/١

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) رواه البخاري: الصوم – قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: " لا نكتب " (١٧٨٠)، ومسلم: الصيام – وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٨٠٦).." (١)

"هذا، ويلاحظ أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأبا حنيفة وأصحابه لا يقبلون شهادة غير المسلم على المسلم مطلقا في سفر أو حضر، في وصية أو غير وصية، ويظهر أنهم يسيرون على التخريج الأول.

وقد بين سبحانه طريق أداء الشهادة، فقال: (تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم) الضمير في قوله تعالى: (تحبسونهما من بعد الصلاة) يعود على الشاهدين ذوي العدل من المسلمين أو من غيرهما، والحبس الإمساك لأداء الشهادة اللازمة حتى تؤدى، والصلاة كما يفسر التابعون الذين تلقوا تفسير أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يراد بها صلاة العصر؛ إذ يكون وقت استجمام النفس، واستحضار عظمة الله تعالى، وطيب الجو، والفقهاء يعتبرون من السنة سماع الشهادة بعد صلاة العصر، حيث تكون النفوس قارة مطمئنة، وإذا كانا غير مسلمين، فإنهما يسمعان بعد صلاتهم.

وهذا حكم عام، ويلاحظ أن شهود الوصية لهم صفتان: إحداهما – صفة الشاهد العدل المخبر عن الواقع الناطق بالصدق فيه الذي يشهد على مثل الشمس عيانا، الصفة الثانية – أنهما وصيان للميت أمينان على ماله، يحافظان عليه، حتى يصل إلى أهله، ويسلم إليهم موفورا غير منقوص، ولذلك كان حقا عليهما أمانة الله تعالى، ولذلك كان أي ريب فيهما يؤدي إلى ضياع المال وحق المتوفى، وحق ذويه، ولذلك شرع القسم إن كانت ريبة أي ريبة كانت، ولو كانت نفسية ليس لها مظاهر مادية، ولذا قال: (فيقسمان بالله إن ارتبتم) وهذا النص الكريم يفيد أن الحبس بعد الصلاة والقسم على صدق القول لا يكون إلا حال **الارتياب**، وبهذا يرد قول الذين يقولون: إن الشهود لا يستقسمون، أولا – لأن هؤلاء ليسوا شهودا من كل الوجوه، لأن لهم صفة أنهم أوصياء، والأوصياء يحلفون إن كان ثمة ريبة في تصرفهم، وثانيا – لأن الحال حال استثنائية فيجب ما أمكن الاحتياط، والحلف عند **الارتياب**، فلا بد من توثيق القول بالوثائق، لكي يكون الاطمئنان بدل الشك **والارتياب**، وبين سبحانه تتميما للاستيثاق صيغة اليمين، فقال:." (٢)

"الذين استحق الإثم عليهم أي حقت آثاره ومغبته عليهم وهم الورثة، وهذا على قراءة الفعل بالبناء للمعلوم، ومعناها – كما رأيت – الذين حقت عليهم مغبة الإثم ونتائجه، وهم المستحقون للمال بعد وفاة المتوفى بوصية المورث أو بوصية الله تعالى بالميراث، وهناك قراءة بالبناء للمجهول (رَحِمَهُ اللَّهُ١)، ومعناها الذي استحق عليهم أي أخذ منهم بمقتضى الشهادة الباطلة، والمؤدى في القراءتين واحد.

ذكر النص أنهما الأوليان بالنطق بالحق لأجل الورثة، إما لأنهم أقرب الورثة أو لأنهما أرشدهم، أو ألحق بمحبتهم.

ومعنى النص الكريم على هذا أن اللذين شهدا المتوفى عند وفاته هما أولى الناس بذكر الحقيقة، وإن كان **ارتياب** يحبسان بعد الصلاة ويستقسمان قسما موثقا، فإن ظهر ما يدعو إلى تكذيب شهادتهما في كلها أو في بعضها، كان للمستحقين للتركة

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٠٦٦/٢

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٣٨٤/٥

حق الشهادة ويختار أولاهما بالتحدث عن المتوفى، وهذا معنى (أوليان)، وهي خبر لمبتدأ محذوف، وتدل على طريقة الاختيار، وإن هؤلاء لأن المال يئول إلمهم لا يقبل قولهم إلا بيمين لأنهم بمنزلة المدعى عليه بكلام الأوصياء الذين يكذبونهم، ولذا قال سبحانه:

(فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين) الفاء هنا للإفصاح عن شرط مقدر، وتقديره إذا كانا يتقدمان لإحقاق الحق فلابد أن يقسما بالله، وهنا إيجاز معجز، إذ يقسمان بالله تعالى على الختل (رحمه الله٢) في الأمانة وعلى ما يريان أنه الحق، ثم يقسمان مع ذلك على أمرين أولهما – أن شهادتهما أحق بالقبول من شهادة الآخرين لصدقها، ولظهور الخيانة في قولهم، ولأنه فقدت قوتها لعدم الأمانة، وثانيهما – أن يقسما على أنهما ما اعتديا، بأخذ

رحمه الله____________

(رحمه الله١) قرأها بالفتح (استحق) حفص، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم (غير النقار، وجبلة)، وقرأ الباقون بالضم، أي: (استحق). أفدته من غاية الاختصار – برقم (٨١٧).

(رحمه الله٢) فيقسمان على (عدم) الختل. والختل: الخديعة. من: ختله يختله ويختله ختلا وختلانا: خدعه.

كما في القاموس: ختل.." (١)

"جاءت كتب أهل الكتاب بالشهادة له فهو معجزة أزلية ثابتة، وقد قال تعالى في بيان ذكره في الكتب السابقة هو ورسوله الأمين: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)، فهو كتاب الخليقة الذي يشتمل على كل الحقائق الشرعية.

ولقد قال تعالى رادا على أي شكوك **وارتياب**: (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٩٤).

وإن الشك ليس من النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولكنه شك من المشركين أداهم إليه جحود الحق وقد عرفوه ولقد قال بعد ذلك في هذه الآية.

(فلا تكونن من الممترين)

الامتراء: الشك، والنهي مؤكد بنون التوكيد الثقيلة، والفاء للإفصاح عن شرط مقدر فإن تقدير القول إذا علمت أنه حكم الله تعالى، وأن الكتب السابقة شاهدة على الصدق، فلا تكونن من الممترين والنهي للنبي – صلى الله عليه وسلم –، بظاهر القول، وهو لأمته التي يدعوها إلى الإسلام، وإلى أولئك الذين تهجموا بطلب آيات أخرى، وليس النهي للنبي – صلى الله عليه وسلم – في الحقيقة؛ لأن النهي عن فعل يكون حيث يتوقع وقوعه، ولا يمكن أن يكون ذلك من النبي – صلى الله عليه وسلم –، لأنه الذي نزل عليه القرآن، فلا يمكن أن يكون منه امتراء إنما يكون من غيره، وإنما ذكر موجها إليه – صلى الله عليه وسلم –، لإعلاء شأن القرآن، ولبيان مكانته، وأنه فوق **ارتياب** المرتابين، ولأنه إذا كان النبي – صلى الله عليه

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٣٨٧/٥

وسلم – منهيا عن الامتراء، وهو من نزل عليه القرآن فغيره أولى بالنهي.

وإن نزول القرآن والتحدي به، وعجزهم عن أن يأتوا بمثله، وتقدير الله تعالى بأنه لا يؤتى بمثله قط إذ قال تعالت كلماته: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن." [١]

"(أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون (٥٠)

هذا استفهام توبيخي، وهو إنكار للواقع من أمرهم، والمرض الذي يصيب القلب إما النفاق، وإما ضعف الإيمان، فهو تشبيه للمرض النفسي من ضعف الإيمان بالحقائق وعدم الإذعان للأحكام الشرعية، بالمرض الجسمي الذي يضعف فيه الجسم، وقد تدرج سبحانه في توبيخ من هذا حاله فابتدأ بضعف الإيمان والنفاق، ثم ثنى في التوبيخ بأنهم واقعون في **الارتياب** في حقائق أصل الدين والإيمان، ثم قال سبحانه ما هو أعظم من ذلك فقال: (أم يخافون أن يحيف الله عليهم)، يحيف معناها يجور في الحكم، ولا يجدون العدل عند الله ورسوله، وهذا انتقال من دركة إلى دركة في التوبيخ، فوبخوا أولا بضعف الإيمان ومرض القلوب، ثم كان التوبيخ؛ لأنهم يرتابون في الحقائق الإسلامية ثم كان التوبيخ الأشد؛ لأنهم يحسبون أن الله ورسوله يجوران، فكان ذلك ترقيا في التوبيخ، حتى وصل أعلاه وهو الكفر البواح برمي الله تعالى بالظلم، وهم الظالمون، ولذا قال تعالى: (بل أولئك هم الظالمون) " بل " للإضراب ورد ما يومئ إليه حالهم، فهم الظالمون لأنفسهم بالضلال الذي اختاروه، وهم الظالمون لأنهم اختاروا الحكم الظالم، وتجانفوا عن الحق للإثم، وقد أكد الله تعالى ظلمهم بالجملة الاسمية، وبقصرهم على الظلم، وقصر الظلم عليهم، وبكلمة (هم) ضمير الفصل المؤكدة لظلمهم.

هذا مقال المنافقين وضعفاء الإيمان، أما مقال المؤمنين، فقد ذكره بقوله تعالت كلماته:

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (٥١)." [٢]

"(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا (٣٠)

هذه حال الرسول ورسالته وإعراضهم عنها في الدنيا مما يوقعهم في حالهم التي صورها سبحانه وتعالى في الآخرة، وعبر سبحانه بالرسول للإشارة إلى حق الرسالة عليه من الاتباع والدعوة، وحقه عليهم من الاستجابة والطاعة له.

وقد نادى ربه ضارعا له أن بنصره ويؤيده فقال: يارب؛ ليشكو بثه وحزنه إليه، إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا. وعبر بقومي لإبداء الغرابة من إنكارهم، لأنهم عرفوه صادقا أمينا، وعاشروه وعرفوا أنه الأمين، ليس بالكذاب ومعه الحجة المثبتة لرسالته التي لا تدع **ارتيابا** لمرتاب.

وقوله تعالى: (اتخذوا هذا القرآن) الإشارة إلى القرآن الذي عرف بصفاته العالية من أنه هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، وهو نور يهدي إلى صراط مستقيم وبلاغته تبعد عن كل قول وفيه الشريعة، اتخذوا القرآن صاحب الصفات العليا مهجورا، أي شيئا مهجورا، هجرته القلوب، وهجروه بذواتهم فكانوا يقو لون: (. . . لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)، وقالوا الهجر والفحش ما يدل على فحشهم وهجر أفعالهم، وقد استغرب النبي – صلى الله عليه وسلم – من حالهم المناقضة

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٢٦٣٨/٥

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٥٢١٢/١٠

لرشدهم. هذه شكوى الرسول – صلى الله عليه وسلم – من قومه، وقد عزى الله نبيه بأن الباعث على هذا هو العداوة، والعداوة من شأنها أن تؤدي إلى المهاترة، وهجر الأقوال والأفعال، وهؤلاء أعداء كما كان للرسل من قبلك أعداء.." (١)

"مطلب هل تعلم النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة والقراءة أم لا ، والنهي عن قراءة الكتب القديمة :

قال تعالى «وما كنت تتلوا» يا محمد «من قبله» أي الكتاب المنزل عليك «من كتاب» أصلا لأنك لم تقرأ «ولا تخطه بيمينك»

(٤٨٩/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٩٠

لأنك أمي لا تكتب ، وذكر اليمين زيادة تصوير لما نفي عنه صلى الله عليه وسلم من الخط ، فهو مثل العين في قولك نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجاز «إذا» لو كنت تقرأ وتكتب «لارتاب المبطلون» ٤٨ من قومك وغيرهم ولا تهموك بأنك تنقل من كتب الأقدمين وتتلو عليهم ما تحفظه منها ، وإلا لاحتج أهل الكتابين عليك بأنك لست نبي آخر الزمان ، لأنه موصوف بكتبهم أنه أمي ، وإذا ثبت أنك أمي فليس لهم أن يشكو برسالتك وختمك للأنبياء ، ولا يرتابوا بالكتاب الذي أنزل إليك ، لأن هذا كله مذكور في التوراة والإنجيل المنزلين من قبلنا على أنبيائهم ، تقدم الله تعالى إلى رسوله في هذه الآية ليعلمه أنه قادم في هجرته على أناس مذكور في كتبهم نعته على ما هو عليه ، وأخبره فيها بأنهم إذا قالوا لك في جملة مجادلتهم أنك لست نبي فقل لهم كيف ، وقد أنزل الله علي كتابا ، وإذا قالوا لك لعلك تعلمته فقل إني أمي ، وأهل مكة ومن حولهم يعلمون ذلك لأني لم أبرحهم ولم أتعلم الكتابة من أحد ، ولم أكن قارئا ، ووصفي موجود لديكم بما يثبت أني خاتم الأنبياء ، وهذا مما يزيل الشبهة في ، ولو كنت أقرأ وأكتب لشك في مشركو العرب الذين لم يتركوا شبهة إلا وألصقوها في ، ولا خصلة تنافي نبوتي إلا وصموني بها ، إلا أنهم لم يتهموني بالقراءة والكتابة لتحقق عدمهما في لديهم ، وقد وصف أهل مكة بالبطلان باعتبار ارتيابهم بنبوته ووصفهم له بالسحر والكهانة والتلقي من الغير ، وكفرهم به وبكتابه ، ومن المعلوم المحقق أن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم." (٢)

"والقدرة على القراءة فرع عن الكتابة ، وما جاء في صحيح البخاري وغيره عند كتابة صلح الحديبية ما لفظه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث المشهور ، وقال بهذا أبو ذر وعبد بن أحمد الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السماني وصنف فيه كتابا ، وسبقه إليه ابن منه ، هذا وإن معرفته الكتابة بعد أميته ونبوته صلى الله عليه وسلم لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم ، لهذا قال بعضهم صار صلى الله عليه وسلم يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها ، وعدم معرفتها قبل بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٥٢٧٣/١٠

(٢) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٤١/١

الكتابة حينئذ ، وذلك بإقدار الله تعالى إياه بدون تعلم من أحد ، وهذا معجزة له أيضا وأول ذلك قراءة ما هو مكتوب على باب الجنة المار ذكرها ، وقوله هذا قد يتجه في القراءة

، أما في الكتابة فلا ، لما جاء في الحديث الصحيح : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب.

وعليه إن كل ما ورد من أنه كتب يكون معناه أمر بالكتابة ، كما يقال كتب السلطان بكذا لفلان ، ومن المعلوم أن للسلطان كتبة يكتبون له ذلك بأمره ، لا هو نفسه ، وقد جاء في الآيتين ٩٤/ ١٠٥ (وإنا له لكاتبون) (ولقد كتبنا في الزبور) من سورة الأنبياء المارة ، فالمراد بالأولى والله أعلم حفظته الموكلون بتسطير أعمال الخلق ، وفي الثانية أمره للقلم بكتابة ما كان وما يكون الذي من جملته ما كتب في الزبور كما بيناه أول سورة القلم في ج ١.

هذا ، وتقدم قوله تعالى (من قبله) على قوله (ولا تخطه) كالصريح في أنه عليه الصلاة لم يكتب مطلقا.

(٤/٤٩١)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٩٢." [1]

"وقال علي كرم الله وجهه : إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن (ضعف ونقص) وغرمهن إلى وهن (ضعف في الأمر والعمل والبدن) اكفف أبصارهن بالحجاب ، فإن شدة الحجاب خير لهن من **الارتياب** ، وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن ، فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ويأتي الأفن بمعنى الأحمق ضعيف الرأي قليل التدبير ، والوهن الضعف والفتور.

وقال أبو بكر رضي الله عنه : ذل من أسند أمره إلى امرأة.

وقال عمر رضي

(٣/٢٠١)

بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٠٢

الله عنه : أكثروا لهن من قول لا ، فإن نعم تغريهن على المسألة وقال استعيذوا بالله من شر النساء وكونوا من خيارهن على حذر.

وجاء في حكمة داود عليه السلام وجدت في الرجال واحدا بألف ولم أجد واحدة في جمع النساء.

وقال الحكماء لا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثر.

وقال النخعي من اقتراب الساعة طاعة النساء ، ويقال من أطاع عرسه فقد أضاع نفسه ، وقال بعض الحكماء : إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم ولفظها مهم.

وورد : ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان رسولها إليه ورسوله إليها وللنساء حيل في إتمام مرادهن لا يقدر على بعضه

---

(١) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٤٣/١

عظام الرجال ، فالمرأة إذا أحبتك أكلتك ، وإذا أبغضتك أهلكتك ، وهي الشر كله فاتقها بكلك.

ثم التفت العزيز إلى يوسف وقال يا «يوسف أعرض عن هذا» الذي وقع لك مع سيدتك لا تذكره واطو حديثه ، والتفت إليها وقال توبي «واستغفري لذنبك» اقترفتيه مضاعفا بتهمتك غلامك من إرادة السوء الذي أنت مصدره ، واندمي على تعديك عليه بما رميته به «إنك كنت» بعملك هذا «من الخاطئين ٢٩» لخيانتك زوجك والبهت على غلامك ، ولم يقل الخاطئات تغليبا للرجال على النساء.." (١)

"بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٠١

(ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) ، وتنبيها إلى أن الكيد خلق لهن عريق ، والمكر من شأنهن قديم ، والحيل من عاداتهن والخداع دأبهن ، والفتنة من ديدنهن ، قال أبو تمام :

ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها سجية نفس كل غانية هند

و إنما وصف الله كيدهن بالعظم أشد تأثيرا في النفس ولأنه منهن يورث العار بخلاف صدور لكونه من الرجال ، ولربات القصور منهن القدح المعلى لأنهن أكثر تفرغا من غيرهن ، ولأن أحدا لا يجسر على فضيحتهن غالبا.

هذا ولعظم كيد النساء اتخذهن إبليس عليه اللعنة وسائل لإغواء من صعب عليه إغوائه ، ففي الخبر ما أيس الشيطان من أحد إلا أتاه من جهة النساء ، وفي خبر آخر : اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طلاع رصاد وما بشيء من فخوخه بأوثق لصيده في الأتقياء بالنساء ، قال بعض العلماء إن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهنن به.

وقال آخر أنا أخاف من النساء أكثر من الشيطان لقوله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) الآية ٧٥ من سورة النساء في ج ٣.

وقال هنا (إن كيدكن عظيم) وجاء في الحديث : اطلعت إلى النار فوجدت أكثر أهلها النساء إلخ يكفرن العشير.

وجاء ، النساء حبائل الشيطان.

وقال عليه السلام : لا تطلعوا النساء على حال ، ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذروهن إلا لتدبير العيال ، إن تركن وما يردن أوردن المهالك ، وأفسدن الممالك ، ينسين الخير ، ويحفظن الشر ، يتهافتن بالبهتان ، ويتمادين في الطغيان.

وقال سليمان عليه السلام امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة.

وقال صلى الله عليه وسلم : إياكم ومحادثة المرأة فإنه لا يخلو رجل بامرأة ليس لها محرم إلا هم بها.

وقال علي كرم الله وجهه : إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن (ضعف ونقص) وغرمهن إلى وهن (ضعف في الأمر والعمل والبدن) اكفف أبصارهن بالحجاب ، فإن شدة الحجاب خير لهن من **الارتياب** ، وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن ، فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ، ويأتي الأفن بمعنى الأحمق ضعيف الرأي قليل التدبير ، والوهن الضعف والفتور.

---

(١) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٢٨٢/١

وقال أبو بكر رضي الله عنه : ذل من أسند أمره إلى امرأة.

وقال عمر رضي." (١)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٩٠

لأنك أمي لا تكتب ، وذكر اليمين زيادة تصوير لما نفي عنه صلى الله عليه وسلم من الخط ، فهو مثل العين في قولك نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجاز «إذا» لو كنت تقرأ وتكتب «لارتاب المبطلون» ٤٨ من قومك وغيرهم ولا تهموك بأنك تنقل من كتب الأقدمين وتتلو عليهم ما تحفظه منها ، وإلا لاحتج أهل الكتابين عليك بأنك لست نبي آخر الزمان ، لأنه موصوف بكتبهم أنه أمي ، وإذا ثبت أنك أمي فليس لهم أن يشكو برسالتك وختمك للأنبياء ، ولا يرتابوا بالكتاب الذي أنزل إليك ، لأن هذا كله مذكور في التوراة والإنجيل المنزلين من قبلنا على أنبيائهم ، تقدم الله تعالى إلى رسوله في هذه الآية ليعلمه أنه قادم في هجرته على أناس مذكور في كتبهم نعته على ما هو عليه ، وأخبره فيها بأنهم إذا قالوا لك في جملة مجادلتهم أنك لست نبي فقل لهم كيف ، وقد أنزل الله علي كتابا ، وإذا قالوا لك لعلك تعلمته فقل إني أمي ، وأهل مكة ومن حولهم يعلمون ذلك لأني لم أبرحهم ولم أتعلم الكتابة من أحد ، ولم أكن قارئا ، ووصفي موجود لديكم بما يثبت أني خاتم الأنبياء ، وهذا مما يزيل الشبهة في ، ولو كنت أقرأ وأكتب لشك في مشركو العرب الذين لم يتركوا شبهة إلا وألصقوها في ، ولا خصلة تنافي نبوتي إلا وصموني بها ، إلا أنهم لم يتهموني بالقراءة والكتابة لتحقق عدمهما في لديهم ، وقد وصف أهل مكة بالبطلان باعتبار ارتيابهم بنبوته ووصفهم له بالسحر والكهانة والتلقي من الغير ، وكفرهم به وبكتابه ، ومن المعلوم المحقق أن حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم

أمي كما هو الواقع ، ومن قال بخلاف هذا فقد خالف كلام الله المصرح بأميته في الآية ١٥٧ من الأعراف في ج ١ صراحة لا تقبل التأويل ، وان أهل مكة الذين كانوا يلتقطون الزلات عليه لو علموا منه ذلك لما سكتوا ، بل لأداعوا عنه ذلك ، كيف وأنه لما كان يجتمع مع الأغيلمة والعبيد اتهموه بأنه يتعلم منهم مع أنهم عجم لا يفقهون العربية المطلقة ، فكيف بالفصحى ؟ وقد رد الله عليهم في الآية ١٠١ من النحل المارة كذبهم هذا لهذه العلة ، فراجعها ، فلهذا إن القول بأني غير أمي مخالف لصراحة القرآن ، ومخالفته كفر محض لأن كل من ينكر حرفا منه دون تأويل يكفر ، وتعليم مثل هذا القرآن ودراسته تحتاج إلى زمن طويل لما فيه من تفصيل الأحكام." (٢)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٤٩١

و بلاغة الكلام وفصاحة الألفاظ ، ولا يمكن تلقيه بحالة لم يطلع عليها أهل مكة لأني بين أظهرهم صباح مساء وليل نهار ، وهذا قبل النبوة لم يختلف فيه اثنان ، أما بعدها فقد وقع اختلاف في تعليمه القراءة فقط ، وهذا العلم بالقراءة على طريق المعجزة ، ولهذا فإن ما جاء عن مجاهد والشعبي أنه عليه الصلاة والسلام ما مات حتى كتب وقرأ ، وروى هذا ابن أبي شيبة أيضا ، وإن حجتهم ما رواه ابن ماجه عن أنس قال : قال صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة

---

(١) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٣/٢٠١

(٢) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٤/٤٩٠

الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ، الحديث.
والقدرة على القراءة فرع عن الكتابة ، وما جاء في صحيح البخاري وغيره عند كتابة صلح الحديبية ما لفظه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب ، وليس يحسن يكتب ، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الحديث المشهور ، وقال بهذا أبو ذر وعبد بن أحمد الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة ، وحكاه عن السمناني وصنف فيه كتابا ، وسبقه إليه ابن منه ، هذا وإن معرفته الكتابة بعد أميته ونبوته صلى الله عليه وسلم لا تنافي المعجزة ، بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم ، لهذا قال بعضهم صار صلى الله عليه وسلم يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها ، وعدم معرفتها قبل بسبب المعجزة لهذه الآية ، فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر **الارتياب** تعرف الكتابة حينئذ ، وذلك بإقدار الله تعالى إياه بدون تعلم من أحد ، وهذا معجزة له أيضا وأول ذلك قراءة ما هو مكتوب على باب الجنة المار ذكرها ، وقوله هذا قد يتجه في القراءة
، أما في الكتابة فلا ، لما جاء في الحديث الصحيح : إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب.
وعليه إن كل ما ورد من أنه كتب يكون معناه أمر بالكتابة ، كما يقال كتب السلطان بكذا لفلان ، ومن المعلوم أن للسلطان كتبة يكتبون له ذلك بأمره ، لا هو نفسه ، وقد جاء في الآيتين ٩٤/ ١٠٥ (وإنا له لكاتبون) (ولقد كتبنا في الزبور) من سورة الأنبياء المارة ، فالمراد بالأولى والله أعلم حفظته الموكلون بتسطير أعمال الخلق ، وفي الثانية أمره للقلم بكتابة ما كان وما يكون الذي من جملته ما كتب في الزبور كما بيناه أول سورة القلم في ج ١.
هذا ، وتقدم قوله تعالى (من قبله) على قوله (ولا تخطه) كالصريح في أنه عليه الصلاة لم يكتب مطلقا.." [1]
"" صفحة رقم ٣٧٥ "
أي من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان) أو آخران من غيركم (عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخا فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا) إن أنتم ضربتم في الأرض (أي سافرتم فيها) فأصابتكم مصيبة الموت (أي قاربتم الأجل) تحبسونهما (تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن غيركم أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما) من بعد الصلاة (صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل أي صلاة كانت) فيقسمان بالله إن ارتبتم (إن ارتاب الوارث منكم) لا نشتري به ثمنا (مقسم عليه وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال **الارتياب** والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا لطمع) ولو كان ذا قربى (ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف أي لا نشتري) ولا نكتم شهادة الله (أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لأفعلن) إنا إذا لمن الآثمين (أي إن كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها

---

(١) بيان المعاني، المؤلف غير معروف ٤/٤٩١

المائدة : (١٠٧) فإن عثر على . . . . .

) فإن عثر (فإن اطلع) على أنهما استحقا إثما (أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف) فآخران (فشاهدان آخران) يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم (من الذين جنى عليهم وهم الورثة وقرأ حفص) استحق (على البناء للفاعل وهو الأوليان) الأوليان (."[1]

"" صفحة رقم ٣٧٦ "

الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر محذوف أي هما الأوليان أو خبر) آخران (أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وأبو بكر عن عاصم) الأولين (على أنه صفة للذين أو بدل منه أي من الأولين الذين استحق عليهم وقرئ) الأولين (على التثنية وانتصابه على المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان) فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما (أصدق منها وأولى بأن تقبل) وما اعتدينا (وما تجاوزنا فيها الحق) إنا إذا لمن الظالمين (الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين أنفسهم إن اعتدينا ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى إذ روي أن تميما الداري وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا." [2]

"" صفحة رقم ٢٢١ "

وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان) إن الله غفور (لما فرط من المطيعين) رحيم (بالتفضل عليهم

الحجرات : (١٥) إنما المؤمنون الذين . . . . .

) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا (لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى ما أوجب نفي الإيمان عنهم و) ثم (للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس حال الإيمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهي كما في قوله) ثم استقاموا ( ) وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (في طاعته والمجاهدة بالأموال والأنفس تصلح للعبادات المالية والبدنية بأسرها) أولئك هم الصادقون (الذين صدقوا في ادعاء الإيمان

الحجرات : (١٦) قل أتعلمون الله . . . . .

---

(١) تفسير البيضاوى ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٣٧٥

(٢) تفسير البيضاوى ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٣٧٦

) قل أتعلمون الله بدينكم (أتخبرونه به بقولكم) آمنا ( ) والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي أنه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤوا وحلفوا أنهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية

الحجرات : (١٧) يمنون عليك أن . . . . .

) يمنون عليك أن أسلموا (يعدون إسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن بذلها إليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن) قل لا تمنوا علي إسلامكم (أي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض أو تضمين الفعل معنى الاعتدال) بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان (على ما زعمتم مع." [1]

"حدثنا أبي، ثنا محمد بن عبد الأعلى، أنبأ محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن،" " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض " ، قال : هم قوم لم يشهدوا القتال، فسموا منافقين".

حدثنا أبي، ثنا الحسن بن الربيع، ثنا ابن إدريس، عن ابن إسحاق،" " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض " ، وهم الفتية الذين خرجوا مع قريش من مكة، احتبسهم آباؤهم، فخرجوا وهم على **الارتياب**، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا : " غر هؤلاء دينهم " ، حين قدموا على ما قدموا عليه من قلة عددهم، وكثرة عدوهم، وهم فتية من قريش مسمون خمسة أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، المخزوميان، والحارث بن زمعة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه".." [2]

"« الجلد ثابت بالنص القرآني القاطع »

أم الجلد : فقد ثبت بالنص القرآني القاطع ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ والآية الكريمة إنما هي في حد الزاني (غير المحصن) والآية وإن كانت عامة في كل (زان) إلا أن السنة النبوية قد بينت ذلك ووضحته كما في حديث (عبادة بن الصامت) المتقدم ومهمة الرسول البيان كما قال تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] وكفى بتوضيح الرسول وبيانه وتفصيلاً وبياناً لمجمل القرآن!!

« الرجم ثابت بالسنة النبوية المتواترة »

وأمّا الرجم : فقد ثبت بفعل النبي A وقوله ، وعمله ، وكذلك بإجماع الصحابة والتابعين فقد ثبت بالروايات الصحيحة التي لا يتطرأ إليها الشك ، وبطريق التواتر أن النبي A أقام (حد الرجم) على بعض الصحابة كماعز ، والغامدية ، وأن الخلفاء الراشدين من بعده قد أقاموا هذا الحد في عهودهم وأعلنوا مراراً أن الرجم هو الحد للزنى بعد الإحصان .

ثم ظلّ فقهاء الإسلام في كل عصر وفي كل مصر مجمعين على كونه حكماً ثابتاً وسنة متبعة وشريعة إلهية قاطعة ، بأدلة متضافرة لا مجال للشك فيها أو **الارتياب** ، وبقي هذا الحكم إلى عصرنا هذا لم يخالف فيه أحد إلا فئة شاذة من المنحرفين عن الإسلام هم (الخوارج) حيث قالوا : إن الرجم غير مشروع وسنبين فساد مذهبهم فيما يأتي :

---

(١) تفسير البيضاوي ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٢٢١

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، المؤلف غير معروف ٧/١١٨

أدلة الخوارج والرد عليها :

استدل الخوارج على أنّ الرجم غير مشروع بأدلة ثلاثة هي أوهَى من بيت العنكبوت نلخصها فيما يلي :

أولاً : قالوا الرجمُ أشدُّ العقوبات فلو كان مشروعاً لذكِر في القرآن ولمّا يذكر دل على أنه غير مشروع .

ثانياً : إن حدّ الأمة نصف حد الحرة ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المحصنات مِنَ العذاب ﴾ [النساء : ٢٥] والرجم لا ينتصف فلا يصح أن يكون حداً للحرة .

ثالثاً : إن الحكم عام في جميع الزناة وتخصيص (الزاني المحصن) من هذا الحكم مخالف للقرآن .

هذه هي خلاصة أدلتهم وهي في الواقع تدل على جهلهم الفاضح وعدم فهمهم لمهمة الرسول A أو سوء إدراكهم لأسرار القرآن ومقاصده ، وذلك منتهى الجهل والغباء .

الرد على أدلة الخوارج :

وقد ردّ أهنل السنة والجماعة على الخوارج بأدلة دامغة تقصم ظهر الباطل ، وتخرس كلّ أفّاك أثيم نلخصها فيما يلي :

أولاً : إن عدم ذكر الرجم في القرآن لا يدل على عدم المشروعية فكثير من الأحكام الشرعية لم تذكر في القرآن وإنما بينتها السنة النبوية والله تعالى قد أمرنا باتباع الرسول والعمل بأوامره." (١)

"واختلف في تقدير سن اليأس على أقوال عديدة :

فقدره بعض الفقهاء بستين سنة .

وقدَّره بعضهم بخمس وخمسين سنة .

وقيل : غالب سن يأس عشيرة المرأة .

وقيل : أقصى عادة امرأة في العالم .

وقيل : غالب سن يأس النساء في مكانها التي هي فيه ، فإن المكان إذا كان طيِّب الهواء والماء ، يبطئ فيه سن اليأس .

وأما المرأة إذا كانت تحيض ثم لم تر الحيض في عدتها ولم يُدْر سببه :

فقال الحنفية والشافعية : إن عدتها الحيض حتى تدخل في السن التي لا تحيض أهلها من النساء فتستأنف عدة الآيسة ثلاثة أشهر .

ونقل عن علي وعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود .

وقال مالك وأحمد : تنتظر تسعة أشهر لتعلم براءة رحمها لأن هذه المدة هي غالب مدة الحمل فإذا لم يبن الحمل فيها علم براءة الرحم ، ثم تعتد بعد ذلك عدة الآيسات ثلاثة أشهر . ونقل عن عمر أنه قضى ذلك .

الحكم الثاني : ما المراد من قوله تعالى : ﴿ إِنِ ارتبتم فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أَشْهُرٍ ﴾ ؟

قال الجصاص : غير جائز أن يكون المراد به **الارتياب** في الإياس؛ لأنَّا إذا شككنا هل بلغت سن اليأس لم نقل عدَّتُها ثلاثة أشهر .

---

(١) تفسير آيات الأحكام، المؤلف غير معروف ص/٢٩٧

واختلف أهل العلم في (الريبة) المذكورة في الآية على أقوال :

اختار الطبري : أن يكون المعنى « إن شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن؟ فالحكم أن عدتهن ثلاثة أشهر » وهو قول الجصاص فقد قال : « وذكُر **الارتياب** في الآية إنما هو على وجه ذكر السبب الذي نُزل عليه الحكم فكان بمعنى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر . . . » ونقل عن مجاهد .

وقال مجاهد : الآية واردة في المستحاضة أطبق بها الدم لا تدري أهو دم حيض أو دم علة .

وقال عكرمة وقتادة : من الريبة المرأة المستحاضة التي لم يستقيم لها الحيض ، تحيض في أول الشهر مراراً وفي الأشهر مرة .

وقيل : إنه متصل بأول السورة والمعنى « لا تخرجوهن من بيوتهن إن ارتبتم في انقضاء العدة » .

قال القرطبي : وهو أصح ما قيل فيه .

وقال الزجاج : المعنى إن ارتبتم في حيضهن ، وقد انقطع عنهن الدم وكن ممن يحيض مثلهن .

وقيل : إن ارتبتم أي تيقنتم وهو من الأضداد .

الحكم الثالث : ما هي عدة الحامل؟

نصت الآية على أن الحامل تنتهي عدتها بولادتها ، ودل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ [البقرة : ٢٣٤] على أن عدةاملتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ، فإذا كانت المتوفى عنها زوجها حاملاً فبأي الأجليت تأخذ؟ ولم يختلف السلف والخلف أن عدة المطلقة الحامل أن تضع حملها ، واختلفوا في المتوفى عنها زوجها .." [(١)]

" البقرة ٢٣

تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المنهى عنه القدر المشترك المنتظم لإنشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهى على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطى القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد ناى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهى خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا محيد في آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن جبر الانتظام في سلك الكفرة والإيذان بأنهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهى قلت بلى إنه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق أن الكتاب

---

(١) تفسير آيات الأحكام، المؤلف غير معروف ص/٦٠٢

الكريم الذي من جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز و جل على رسوله كما ان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن أن يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو **الارتياب** في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوك الوقوع وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الأعجاز ونهاية قوتها وإنما لم يقل وإن ارتبتم فما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبه وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار بأن ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه ليس معنى كونهم ." (١)

" في ريب منه **ارتيابهم** في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز و جل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ **ارتيابهم** وبناء التحدى عليه إرخاء للعنان وتوسيعا للميدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادى الاعتراف به كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه ايسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وإزاحة العلل وفي ذكره بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنوية والتنبيه على اختصاصه به عز و جل وانقيادة لأوامره تعالى مالا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيذان بان **الارتياب** فيه **ارتياب** فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والأمر في قوله تعالى فأتوا بسورة من باب التعجيز وإلقام الحجر كما في قوله تعالى فإت بها من المغرب والفاء للجواب وسببيه **الارتياب** للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على مافيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ... ولرهط حراب وقد سورة ... في المجد ليس غرابها بمطار ... فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول والقصر فهى من حيث أنتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب برتقى إليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشئ ولا يخفى ما فيه ومن في قوله من مثله بيانيه متعلقة

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٦٣/١

بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنةمن مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الأخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما أن رجوعه إلى المنزل يوهم أن له مثلا محققا قد ورد الأمر التعجيزي بالإتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه إلى المنزل عليه فإن تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والأمية يهون الخطب في الجملة خلا أن تخصيص التحدى يفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإيتان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى أو مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فأين هذا من تحدى أمة جمة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة ." (١)

" المائدة آية ١٠٦

والتنوين على أن عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا أي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم أي من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان أو آخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران أي كائنان من غيركم أي من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم إن أنتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد أن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا فقوله تعالى ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فالشاهدان آخران كذا قيل والأنسب أن يقدر عين ماسبق أي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه وأنت خبير بأنه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للأولين أيضا قطعا على

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ١/٦٤

أن اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الأمر بإشهادهماإذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد **الارتياب** بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي وقتئذ حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى إن ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال **الارتياب** أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفى بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فإن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما ." (١)

" المائدة آية ١٠٧

بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران أي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محظور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي توليها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما من الذين استحق على البناء للفاعل على قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله عنهم أي من أهل الميت الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجردوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة وقرىء الأولين على أنهم صفة للذين الخ مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرىء الأوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرىء الأولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها أحق بالقبول من شهادتهما أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقية في يمينهما راسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٨٩/٣

عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما إنا إذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن أطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم ولعل تخصيص الإثنين لخصوص الواقعة فإنه روى أن تميم بن أوس الداري وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه فوجدا فيه إناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع إلى أهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الإناء فقالا ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم ." (١)

" سورة يونس ٩٤ ٩٥ ٩٦ في نواحيهما حسبما نطق به قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها

ورزقناهم من الطيبات أى اللذائذ

فما اختلفوا في أمر دينهم

حتى جاءهم العلم أى إلا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوارة وعلمهم بأحكامها أو في أمر محمد صلى الله عليه و سلم إلا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين أعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه و سلم

إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانو فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالإثابة والتعذيب

فإن كنت في شك أى في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز و جل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما

مما أنزلنا إليك من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بنى إسرائيل

فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إظهار نبوته صلى الله عليه و سلم بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة اصلا أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته صلى الله عليه و سلم أو تهييجه صلى الله عليه و سلم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه صلى الله عليه و سلم ولذلك قال صلى الله عليه و سلم لا أشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وأضرابهم وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه و

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٣/٩١

سلم والمراد أمته أو لكل من يسمع أى إن كنت إيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين ينبغى ان يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرءون الكتب

لقد جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب في حقيته

من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة **الارتياب** وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه و سلم من التشريف ما لا يخفى

فلا تكونن من الممترين بالتنزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل

ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى أن ينهى عنه من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لأطماع الكفرة

فتكون بذلك

من الخاسرين أنفسا وأعمالا

٨ – إن الذين حقت عليهم ٨ شروع في بيان سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال أى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة

كلمة ربك حكمة وقضاؤه ." (١)

" سورة النور ٥٠ ٥١ على تضمين معنى الإسراع والإقبال كما في قوله تعالى فأقبلوا إليه يزفون والتقديم للاختصاص أفي قلوبهم مرض إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئيتها له كأنه قيل أذلك أى إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لأنهم ارتابوا في أمر نبوته صلى الله عليه و سلم مع ظهور حقيتها أم لأنهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشيته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون أى ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منها لأعرضوا عنه صلى الله عليه و سلم عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه صلى الله عليه و سلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم **وارتيابهم** حينئذ أيضا واما الثالث فلا نتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله صلى الله عليه و سلم في الأمانة والثبات علىالحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه صلى الله عليه و سلم لعلمهم بأنه صلى الله عليه و سلم يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص **الارتياب** بماله منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه صلى الله عليه و سلم تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به صلى الله عليه و سلم فمدار النفي حينئذ نفس **الارتياب** ومنشيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ١٧٥/٤

٥١ – يقتضيه النظر الجليل إنما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وأن مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والأول أقوى صناعة لأن الأولى للاسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بأن إذ لا سبيل إليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اعتزلت عنه الإضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو اكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذا هو أحق بالخيرية وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم أى الرسول صلى الله عليه و سلم بينهم أى وبين ." (١)

" العنكبوت ٤٨ ٥١ منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بإيتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء أي ومن العرب أو أهل مكة على الاول أو ممن في عصره على الثاني من يؤمن به أي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه وما كنت تتلو من قبله أي ما كنت قبل إنزالنا اليك الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه أي ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه إذا لارتاب المبطلون أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عن ذلك بل هو أي القرآن آيات بينات واضحات ثابته راسخه في صدور الذين أوتوا العلم من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه وما يجحد بأياتنا مع كونها كما ذكر إلا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل إنما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعا وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار بما اوتيت من الايات أو لم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أنا أنزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها يتلى عليهم في كل

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ١٨٧/٦

زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك إن في ذلك الكتاب العظيم ." (١)

" غافر ٣٤ ٣٧ مالكم من الله من عاصم يعصمكم من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الآباء الى الاولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرىء الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في الله بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق يجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك أي مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلب كل متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف **والارتياب** والمجادلة بالباطل وقرىء بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا أي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذ ظهر لعلى ابلغ الاسباب أي الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فأطلع الى اله موسى بالنصب على جواب الترجي وقرىء بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قوله عليه الصلاة و السلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما ." (٢)

" ٢٧٢٨٢٩ - ٩ الجاثية على أنه خبر كان أي ما كان متمسكا لهم شيء من الأشياء

إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين في أنا نبعث بعد الموت أي هذا القول الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسمية حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لأنه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الأشياء إلا هذا القول الباطل

قل الله يحييكم ابتداء

ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر

ثم يجمعكم بعد الموت

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٧/٤٣

(٢) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٧/٢٧٦

إلى يوم القيامة للجزاء

لا ريب فيه أي في جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات الدال على وقوعها حتما والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه

ولكن أكثر الناس لا يعلمون استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما

ولله ملك السموات والأرض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز و جل إثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة

ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في يوم يخسرو يومئذ بدل منه

وترى كل أمة من الأمم المجموعة

جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية أي جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثو وهي الجماعة

كل أمة تدعى إلى كتابها إلى صحيفة أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان

اليوم تجزون ما كنتم تعملون أي يقال لهم ذلك وقوله تعالى

هذا كتابنا الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أصيف إلى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لأمره فهذا متبدأ وكتابنا خيره وقوله تعالى ينطق عليكم أي يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى إنا كنا كنا نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء منها أي إنا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة (١) ".

" ١٥١٨ -

بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم شيئا من أجورها من لات يليت ليتا إذا نقص وقرىء لا يألتكم من الألت وهى لغة غطفان أو شيئا من النقص إن الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة الى أن فيهم ما يوجب نفى الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة هم الصادقون أى الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٨/٧٤

فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند أظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك أن أسلموا أى يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على إسلامكم اى لا تعدوا إسلامكم منة على او لا تمنوا على بإسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للإيمان على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الإهتداء وقريء أن هداكم وإذ هداكم أن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أأى فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف مالا يخفي فإنهم لما سموا ما صدر عنهم إيمانا ومنوا به فنفى كونه إيمانا وسمى إسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم إن الله يعلم غيب السموات والأرض أى ما غاب فيهما والله بصير بما تعلمون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ." (١)

" ٧٤ - سورة المدثر ٣٢ ٣٥ وتصديقهم أنه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل

ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون

تأكيد لما قبله من الاستقيان وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك

وليقول الذين في قلوبهم مرض

شك او نفاق فيكون اخبترا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة

والكافرون

المصرون على التكذيب

ماذا اراد الله بهذا مثلا

اي أي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة

كذلك يضل الله من يشاء

ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٨/١٢٤

ويهدي من يشاء

اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما

وما يلعم جنود ربك

اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون

الا هو

اذ لا سبيل لأحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة

وما هي

اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة بأحوالها

الا ذكرى للبشر

الا تذكرة لهم

كلا

ردع لمن انكرها او انكار ونفي لأن يكون لهم تذكر

والقمر

والليل اذ ادبر

وقرىء اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدار وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه

والصبح اذا أسفر

اي أضاء وانكشف

انها لاحدى الكبر

جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء ." (١)

"النية مهما كانت نحلته و ملته أقوى معاني اليقين بصدقها، و يزيل منها أي معنى من معاني الشك و **الارتياب** في عمق إيمان الرسول عليه السلام بصحتها، و في استغراقه فيها استغراقا تاما لا يمكن أن ينبعث إلا من أقوى الإيمان و اليقين و الصدق الصميم.

- ٣- الدعوة القرآنية:

---

(١) تفسير أبي السعود، المؤلف غير معروف ٩/٦٠

و احتوى دعوة الناس كافة إلى عبادة الله وحده، و عدم الخضوع لأي قوة من قوى الكون غيره و تنزيهه عن كل نقص و شائبة، و إلى جماع مكارم الأخلاق و الفضائل، و أسباب سعادة الدارين و التصديق بنبوة أنبياء الله و الكتب المنزلة عليهم و تقرير اتحاد المتبع و الوجهة بين ما دعا إليه و دعوا إليه من غير تفريق بينهم، و تقرير كون هذه الدعوة التي احتواها هي الدين الحق الذي ارتضاه الله للناس جميعا منذ بعث الله رسوله محمدا عليه السلام بالهدى و دين الحق الذي فيه إظهاره على الدين كله، يقيم البشر في ظله دعائم مجتمعهم، و يسيرون في مختلف شؤونهم وفق تعاليمه و مبادئه و تلقيناته القائمة على أسس الحق و العدل و المساواة و الإحسان و التعاون، و رفع الإصر و الأغلال، و حل الطيبات و تحريم الخبائث و الفواحش و المنكرات، و توطيد السلم العام بين الناس كافة إخوانا متحابين، لا يظلم بعضهم بعضا، و لا يبغي بعضهم على بعض، و لا تنبذ فيه طائفة، و لا تحرم فيه فئة و لا تتعالى فيه طبقة على طبقة، مع إيجاب التناصر على الباغي حتى يفيء إلى حكم الله و الحق، و مع الدعوة إلى التمرد على كل ضارّ و الإقبال على كل صالح بقطع النظر عن قدمه و جدته، و مع تقرير كون الله إنما يريد للناس اليسر و لا يريد بهم العسر و لم يجعل عليهم في الدين حرجا، و بأسلوب قضي له بالخلود من حيث البرهنة على صدق الدعوة و أهدافها بتوجيه الخطاب للعقول و القلوب، و إدارته حسب أفهام الناس و مداركهم في هذا النطاق و دون أن تجعل المعجزة الخارقة دعامة أساسية في ذلك لأن مثل هذه الدعوة في غنى عن المعجزة التفسير الحديث،." (١)

"وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ (٢١) وَ فِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَ ما تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣)

. التفسير الحديث، ج ٥، ص: ٣٨

في الآيات:

١- لفت نظر السامعين إلى ما في الأرض من مشاهد و آيات تقوم براهين قاطعة على وجود الله و عظمته و صحة ما ينذر به نبيه و قدرته عليه كافية لإقناع من حسنت نيته و رغب في معرفة الحق و اليقين.

٢- و لفت كذلك و بسبيل ذلك إلى ما في تكوين الإنسان الجسماني و العقلي و إلى السماء و ما فيها من أسباب رزق الناس و حياتهم.

٣- و سؤال إنكاري و تعجبي في صدد ما في تكوين الإنسان عما إذا كان السامعون لا يدركون ذلك و لا تذهلهم روعته و عجائبه.

٤- و انتهت الآيات بقسم برب السماء و الأرض اللتين احتوتا ما احتوتاه من الآيات و البراهين العظيمة على أن ما يسمعه المخاطبون من نذر و ما يتلى عليهم من قرآن حقّ لا يصح **الارتياب** فيه، و مثله مثل حاسة النطق في الناس التي لا يصح **الارتياب** فيها.

و الآيات و إن كانت مطلقة التوجيه فالمتبادر أنها موجهة إلى الكفار الذين يجادلون في صحة ما يتلى عليهم و ما يوعدون

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٢٩

به. و هي متصلة و الحالة هذه بالآيات السابقة سياقا و موضوعا.
و في مِثْلَ قراءتان بفتح الآخر و برفعه. و في الأولى جعلت وصفا لمحذوف مقدّر و هو (إنه لحق حقا مثل ما أنكم تنطقون).
و أسلوب الآيات قوي نافذ، و بعضهم يقف عند جملة وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ و يتخذها دليلا على الإعجاز القرآني بما ظهر فنيا من تكوين الإنسان و عجائب خلقته المذهلة. و نحن لا نجاريهم، فإن كون ذلك مذهلا ليس شيئا جديدا على الناس فهو مما كان ملموسا مدركا يثير الدهشة و الذهول عند نزول القرآن. و القرآن إذ يخاطب السامعين الأولين و يلفت نظرهم إلى ما في أنفسهم من التفسير الحديث، ج ٥، ص: ٣٩." (١)

"و أسلوب الآيتين من الأساليب المكية، وصلتهما قويّة بالآيات التالية لهما التي تذكر البعث و **ارتياب** الناس و جدلهم فيه، و تبرهن على قدرة الله تعالى عليه حتى ليصحّ أن يقال إنهما مقدمة لما بعدهما. مما يجعلنا نستبعد نزولهما في العهد المدني، و نرجّح نزولهما في العهد المكي، و نفسّر ما جاء في الروايات بأن النبي صلّى الله عليه و سلّم قرأها عليهم في أثناء الغزوة، و في موقف أو ظرف شاءت حكمته أن يذكر أصحابه بهول يوم القيامة و يعظهم و يبشرهم و يطمئنهم في الوقت نفسه فالتبس الأمر على الرواة. و مع واجب الإيمان بما يصحّ عن رسول الله من خبر المشاهد

---

(١) التاج ج ٤ ص ١٥٩.

التفسير الحديث، ج ٦، ص: ١١

الأخروية فإن هذه الحكمة ملموحة في الحديث الذي يرويه الشيخان، و الذي لا يذكر مناسبة النزول التي ترويها الروايات، و الله أعلم.

[سورة الحج (٢٢): الآيات ٣ الى ٤]

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلى عَذابِ السَّعِيرِ (٤)

. (١) مريد: متمرد.

و في هاتين الآيتين: إشارة تنديدية إلى الذين يجادلون في وجود الله و ربوبيته الشاملة و استحقاقه وحده للعبادة بغير علم و لا برهان اتباعا لوسوسة كلّ شيطان متمرّد يضلّ من يتبعه عن طريق الحقّ و يوصله إلى عذاب السعير.

و قد روى المفسرون «١» أن الآيتين نزلتا في النضر بن الحارث أحد أشداء مجادلي كفار قريش مع النبي و مناوئيهم له. و هذا الشخص تكرر اسمه في مناسبة كثير من المواقف الجدلية التي حكتها الآيات المكية.." (٢)

"و مثل هؤلاء لن يتبعوا الحق و لن يتبعوا بالتالي قبلته مهما أتاهم به من حجج و آيات مقنعة. و إنهم لفي خلاف فيما بينهم أيضا، فليس بعضهم بتابع قبلة بعض و ليس يصح و الحالة هذه أن يتبع هو قبلتهم بعد أن جاءه العلم و الحق

---

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٢٨٦٨

(٢) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٣٤٨٨

من الله لأنه يكون حينئذ قد اندمج في أهوائهم و يكون من الظالمين المنحرفين عن الحق.

٥- و احتوت الآيتان الخامسة و السادسة تقريرا من ناحية أخرى لمكابرة أهل الكتاب: فهم يعرفون في قرارة أنفسهم صحة نبوة النبي صلّى الله عليه و سلّم و كون ما فعله حقا كما يعرفون أبناءهم، و إن منهم لفريقا يكتمون الحق و هم يعلمونه حق العلم و إن الحق هو ما أوحى الله به فلا محل للارتياب و التردد في اتباعه.

٦- و احتوت الآية السابعة تقريرا لطبيعة ما يرى من اختلاف الناس في اتجاهاتهم، فلكل وجهته التي يتجه إليها، و على المسلمين أن لا يبالوا كثيرا بهذه التفسير الحديث، ج ٦، ص: ٢٥٣

المشاهد المختلفة و ليس عليهم إلّا أن يتسابقوا في عمل الخير و يسبقوا إليها معتقدين أنهم راجعون إلى الله و هو القادر على الإتيان بهم من أي مكان كانوا فيه ليوفيهم جزاء أعمالهم.

٧- و احتوت الآيتان الثامنة و التاسعة توكيدا مكررا و وجه الخطاب فيهما إلى النبي صلّى الله عليه و سلّم أولا و إلى المؤمنين ثانيا: فعليهم أن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام في أي وقت و في أي مكان. فهو الحق من الله الذي ليس هو غافلا عما يعملون و إن في اتباع هذا الأمر منعا لكل حجة و نقد يمكن أن يوجها إليهم من أناس معتدلين. أما الظالمون الذين يصدرون في نقدهم و اعتراضهم عن الغرض و البغي فعلى المسلمين أن لا يهتموا بهم و أن لا يخشوا نقدهم و اعتراضهم و أن لا يخشوا إلا الله فبذلك يتم الله نعمته عليهم و في هذا هداهم.." (١)

"٤) سفيها: ناقص العقل و التمييز إما بسبب مرض أو بسبب شيخوخة أو بسبب الطفولة.

(٥) ضعيفا: مريضا أو عاجزا جسمانيا أو لعي في لسانه إلخ.

(٦) أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى: بمعنى أن تنسى إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.

(٧) لا يأب الشهداء: لا يمتنعوا عن الاستجابة و الشهادة.

(٨) أدنى ألّا ترتابوا: أكثر ضمانا لعدم الارتياب و الشك.

تعليقات على الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى ... و الآية التالية لها

في الآيتين تعليمات للمسلمين بما يفعلونه في ظروف الدين و البيع:

١- فعليهم إذا تداينوا بدين إلى أجل معين أن يكتبوا بالدين وثيقة.

٢- و على الكاتب أن يكتب الوثيقة بالحقّ و لا يجوز له أن يمتنع عن كتابتها على هذا الوجه لأن الله الذي يأمره بذلك هو الذي علمه. التفسير الحديث، ج ٦، ص: ٥٠٨

٣- و على الذي عليه الدين أن يقرر للكاتب ما عليه ليكتبه و أن يتقي الله فيما يقرره و لا ينقص منه شيئا. و إذا كان ناقص التمييز أو عاجزا عن التقرير أو مريضا فعلى وليّه أن يقرر الحق الذي عليه ليكتبه الكاتب.

٤- و على المسلمين أن يستشهدوا على وثيقة الدين رجلين منهم أو رجلا و امرأتين ممن يرضون و تطمئن إليهم نفوسهم. و جعل امرأتين مع الرجل في حالة عدم وجود رجلين هو لتذكر إحداهما الأخرى إذا نسيت.

---

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٣٧٩٩

٥- و لا يجوز للشهود أن يمتنعوا عن الشهادة إذا دعوا إليها.

٦- و على المسلمين أن لا يتهاونوا في كتابة وثائق الدين سواء أكان قليلا أو كثيرا فإن ذلك هو الأفضل و الأعدل عند الله و الأضمن لعدم الارتياب و الشك فيما بينهم.

٧- و لا مانع من عدم تدوين المعاملة التجارية إذا كانت فورية لا دين فيها، أحدهم يسلم السلعة و الآخر يدفع الثمن.

٨- و على أن يستشهدوا شهودا على ما يقع بينهم من بيوع.

٩- و لا يجوز في أي حال مضارة كاتب أو شهيد أو أذيتهما بالقول و الفعل فذلك إثم و عصيان لأوامر الله.." (١)

"و روى المفسرون في صدد الآية [٤٩] روايات عديدة منها أنها عنت جماعة من أهل مكة تكلموا بالإسلام و خرجوا مع المشركين يوم بدر. فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم، و منها أن بعض رجال من قريش خرجوا مع الجيش على ارتياب فلما رأوا قلة المؤمنين قالوا ذلك. و منها أن جماعة من أهل مكة كانوا مسلمين حبسهم أهلهم عن الهجرة و أخرجوهم معهم قهرا إلى بدر فلما رأوا قلة المسلمين ارتدوا و قالوا ذلك القول. و لسنا نرى هذه الروايات مستقيمة مع الظروف، لأنه لم يكن يوجد في مكة بعد الهجرة من يصح أن يوصف بالنفاق و مرض القلب اللذين كان يوصف بهما الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام من أهل المدينة. و الأوجه أن يكون هذا القول صدر عن هؤلاء حينما رأوا عدد المسلمين الذين خرجوا إلى بدر قليلا و هم يعرفون كثرة قريش و قوتهم. و قد احتوت الآية

---

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٧- ٢٥٨، و تفسير الآية في ابن كثير و البغوي و الطبري و الخازن.

التفسير الحديث، ج ٧، ص: ٧٠

ردا قويا مستمدا من النصر الذي أحرزه المسلمون على قتلهم. فالمخلص المتوكل على الله لا يبالي بكثرة عدد عدوه و قلة عدده لأنه موقن بتأييد الله العزيز الحكيم له.

هذا، و مع خصوصية الآيات الزمنية فإنها احتوت تلقينات عامة جليلة مستمرة المدى بما فيها من علاج نفسي قوي في ذكر الله حين اشتداد الملحمة و ما يثيره هذا من قوة و روحانية و ثقة و أمل، و بما فيها من حثّ على الثبات و الصبر كما في ذلك من ضمان النصر و كسب لرضاء الله و تأييده. و بما فيها من حكمة اجتماعية فيما في التنازع من فشل و إدبار. و فيما في التضامن و الاتحاد من قوة و فلاح، و بما فيها من حثّ على طاعة الله و رسوله. و تتمثل طاعة الله في التزام ما في القرآن من مبادئ و أحكام و خطوط، و طاعة رسوله في التزام ما ثبت عنه من سنن قولية و فعلية تمثلا دائما.." (٢)

"وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (٤) ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَ

---

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٤١١٠

(٢) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٤٢١٤

يُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (٥)

.____

(١) انظر تفسير ابن كثير و الخازن و البغوي.

الجزء الثامن من التفسير الحديث ٢٢ التفسير الحديث، ج ٨، ص: ٣٣٨

تعليق على الآية وَ اللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ ... إلخ و الآية التالية لها و ما فيهما من أحكام و تلقين

في الآية الأولى:

(١) تعيين مدة ثلاثة أشهر عدة للائي انقطع حيضهن إذا كان هناك **ارتياب**.

(٢) و تعيين نفس المدة للائي انقطع حيضهن أو لم يحضن بالمرة بسبب بنيوي.

(٣) و تعيين وضع الحمل عدة للحاملات.

و قد احتوت الفقرة الأخيرة من الآية ثم الآية الثانية توكيدا مكررا بوجوب تقوى الله و بيان ما يعود على المتقي من فوائد كبيرة حيث يجعل الله اليسر في أموره و يكفر سيئاته و يعظم له الأجر. و واضح أن هذا بسبيل تدعيم أوامر الله و التزام حدوده المرسومة في الآيات. و فيه ما هو ظاهر من توكيد العناية الربانية بالمرأة.." [١]

"و اليأس من المحيض في أصله هو وصول المرأة إلى السنّ التي ينقطع عنها الحيض فيها عادة و تنتهي فيها قابليتها للحمل أي تيأس بعدها من الحمل. و لهذا سمّى هذا السنّ بسنّ اليأس. غير أن المتبادر من فحوى العبارة القرآنية أنها بسبيل بيان لكون مدة الأشهر الثلاثة قد عنيت لحالة **الارتياب** فيما إذا كان انقطاع الحيض لغير سبب سنّ اليأس بالنسبة للمتقدمات في السنّ نوعا ما. أو بسبب بنيوي أو لسبب صغر السن بالنسبة لغير المتقدمات في السن نوعا ما. و لقد روى الطبري عن بعض التابعين قولا في مدى **الارتياب** و هو أن يكون فيها إذا كان الدم دم حيض أو دم استحاضة. و الاستحاضة هي نوع من النزيف الدموي يكون في غير أوقات العادة الشهرية و قد يستمر على ما شرحناه في سياق آيات الطلاق في سورة البقرة.

و القول وجيه و لا يتعارض مع الشرح السابق.

و المتبادر أن الكلام عائد للمطلقات اللائي انقطع حيضهن أو كنّ حاملات. التفسير الحديث، ج ٨، ص: ٣٣٩

و يلحظ أن عدة المطلقات اللائي يحضن لم تذكر هنا. و ذلك لأنها ذكرت في آية سورة البقرة [٢٢٧] و هي ثلاثة قروء. و مدة الأشهر الثلاثة المعينة هنا تعدل مدة القروء الثلاثة. و قد روى البغوي أن خلاد بن النعمان قال «يا رسول الله ما عدة من لا تحيض و التي لم تحض و عدة الحبلى فأنزل الله الآية» و روى ابن كثير أن أبيّ بن كعب قال «يا رسول الله إنّ عددا من عدد النساء لم تذكر في الكتاب: الصغار و الكبار و أولات الأحمال فأنزل الله الآية».

و الآيتان معطوفتان على ما قبلهما. و استمرار للسياق السابق في موضوع واحد. و هذا لا يمنع أن يكون قد وقع سؤال

---

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٥٠٩١

عن الأمور التي احتوتها الآية الأولى في جملة ما وقع من ذلك في صدد ما احتوته الآيات السابقة. و هذا مألوف في التنزيل القرآني مما مرّ منه أمثلة كثيرة.." (١)

"أولا: صورة من صور الأعراب و مدى تأثرهم بالإسلام لأول عهدهم به و اتخاذهم التظاهر به وسيلة للغنم و منّهم بما يتظاهرون به على النبي صلى الله عليه و سلم. و قد ردت عليهم الآيات ردّا قويّا لاذعا و آذنتهم أن الله يعلم سرائرهم و أن الإسلام و الإيمان هما لنجاتهم و أن الله الذي هداهم هو الأولى بأن يمنّ عليهم بهما.

و ثانيا: تسامح الله تعالى مع مثل هؤلاء و قبول الظاهر منهم مع ذلك إذا اقترن بطاعة الله و رسوله. و تطمينهم بأن الله عز و جل في مثل هذه الحالة يجزيهم على أعمالهم دون نقص برغم علمه أن الإيمان لم يتمكن في قلوبهم و أن كل ما كان من أمرهم إعلان إسلامهم.

و ثالثا: وصفا قويا رائعا و حاسما للمؤمن المخلص فيه معنى الحثّ على الاتصاف به.

و رابعا: فرقا بين معنى الإيمان و مداه و معنى الإسلام و مداه بكون الأول لا يحتمل ترددا و لا ارتيابا و لا أمل منفعة مادية دنيوية و لا قصدا لها. و يجعل

(١) انظر الطبري و الطبرسي و البغوي و ابن كثير و الخازن.

التفسير الحديث، ج ٨، ص: ٥٢٦

المتحقق به يقدم على الجهاد في سبيل الله بماله و نفسه و تحمل التضحيات و المشقات برضاء نفس و طمأنينة قلب. و بكون الثاني هو إظهار الانقياد للدعوة و واجباتها رغبة أو رهبة دون أن يتمكن الإيمان في قلب من يعلن إسلامه. و هذه صفة الأعراب الذين حكت الآيات قصتهم و تعبير الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا وَ جاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ينطوي في الوقت نفسه على تنويه بالذين تمكن الإيمان في قلوبهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم و وصف لهم.." (٢)

"هذا، و الآيات من جهة ما تؤكد واجب الوصية المأمور بها في الآيات [١٨٠- ١٨٢] من سورة البقرة و المنوّه بها في الآيات [١١، ١٢] من سورة النساء و ضرورتها بصورة عامة. كما تؤكد واجب الإشهاد عليها تفاديا من التلاعب و التبديل فيها و في هذا تعليم للمسلمين و حرص على نفاذ الوصية و حقوق أصحاب الحق فيها. و تلقين مستمر المدى كما هو واضح يضاف إلى التلقين المنطوي في آيات سورة البقرة و الذي نوّهنا به في سياق تفسيرها بما يغني عن التكرار.

و جملة إِنِ ارْتَبْتُمْ في الآية [١٠٦] جديرة بالتنويه حيث يتبادر أنّه ينطوي فيها أن اليمين لا يلزم أولا يحسن أن يطلب من الشاهد إلا في حالة الارتياب. و أنه في غير هذه الحالة يصحّ أن تقبل شهادة الشاهد بغير يمين و قد يسوغ أن يزاد إلى هذا أن الشاهد يجب أن يحلف إذا طلب صاحب الحق أن يحلف أيضا، من حيث إن طلب صاحب الحقّ قد يكون ناشئا

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٥٠٩٢

(٢) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٥٣٢٢

عن **الارتياب**. و لسنا نرى هذا متعارضا مع الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه و سلم قال «البيّنة على المدعي و اليمين على المدعى عليه» «١» أو الحديث الذي رواه أبو داود و النسائي عن ابن عباس و جاء فيه «قال النبي صلى الله عليه و سلم لرجل حلّفه احلف بالله الذي لا إله إلا هو ما له عندك شي ء» «٢». و الشهادة هي البينة. فإذا ارتاب الحاكم أو صاحب الحق وجب على الشاهد أن يؤدي شهادته بعد اليمين. و الله تعالى أعلم.

[سورة المائدة (٥): آية ١٠٩]

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ ما ذا أُجِبْتُمْ قالُوا لا عِلْمَ لَنا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١٠٩)

. عبارة الآية واضحة. و قد قال المفسرون «٣» ما مفاده إنها تحتمل أن تكون

---

(١) التاج ج ٣ ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر تفسير الطبري و الخازن و ابن كثير و غيرهم.

التفسير الحديث، ج ٩، ص: ٢٥٦." [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٩٥٠

الإكمال في رفع **الارتياب** عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب : للحافظ ابن ماكولا. باعتناء : عبد الرحمن بن يحيي المعلمي. نشر : محمد أمين دمج - بيروت - ١٩٦٢ م.

الأم : للإمام الشافعي. ط : دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٣ ه - .

الأمثال : لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق : الدكتور عبد المجيد قطامش. نشر : مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - ١٤٠٠ ه - ١٩٨٠ م.

الأموال : لأبي عبيد القاسم بن سلام. باعتناء الشيخ محمد خليل الهراس. ط : دار الفكر - بيروت - ١٣٩٥ ه - ١٩٧٥ م.

إنباه الرواة على أنباء النحاة : للقفطي. تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم. ط : الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٤٠١ ه - .

الإنباه على قبائل الرواة : لابن عبد البر. تحقيق : إبراهيم الأبياري. ط : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ه - ١٩٨٥ م.

الأنساب : لأبي نصر السمعاني. تحقيق : عبد الرحمن يحيي المعلمي وآخرين. نشر :

محمد أمين دمج - بيروت - ١٤٠١ ه - ١٩٨١ م.

---

(١) التفسير الحديث، المؤلف غير معروف ص/٥٧٦٦

الإنصاف في مسائل الخلاف : لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد. نشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ.

الأنواء : لابن قتيبة الدينوري. اعتنى بنشره : شارل بلا ، ومحمد حميد الله. ط : دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد – الهند – ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٦ م.

أنوار التنزيل تفسير البيضاوي.

الأيام والليالي والشهور : للفراء. تحقيق : إبراهيم الأبياري. ط : دار الكتاب المصري – القاهرة – ١٤٠٠ هـ – .

إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل : لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري.

تحقيق : محي الدين عبد الرحمن رمضان. من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م.

الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه : لمكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق : د. أحمد حسن فرحات. نشر : دار المنارة – جدة – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

البحر المحيط : لأبي حيان الأندلسي. ط : دار الفكر – بيروت – ١٤٠٣ هـ – .

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني. نشر :

دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.." (١)

"﴿ وَلاَّهُمْ ﴾ ﴿ صِرَاطٍ ﴾

(١٤٢) –كَانَ النَّبِيُّ A وَهُوَ فِي مَكَةَ يَسْتَقْبِلُ فِي صَلاَتِهِ الصَّخْرَةَ التِي فِي بَيْتِ المَقْدِسِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبلَهُ ، وَلكِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ استِقْبَالَ الكَعْبَةِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ أَنَّ اللهَ حَوَّلَ القِبْلَ◌ةَ إِلَيها ، وَلِذلِكَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ استِقْبَالِ الكَعْبَةِ وَبيتِ المَقْدِسِ ، فَيَقِفُ جَنُوبِيَّ الكَعبَةِ مَستَقْبِلاً الشِّمَالَ ، فَتَكُونُ الكَعْبَةِ وَالصَّخْرَةُ في جِهةٍ وَاحِدَةٍ ، وَتَابَعَ المُسْلِمُونَ نَبِيَّهمْ فِي ذلِكَ . وَلَمَّا هَاجَرَ الرَّسُولُ إِلى المَدِينَةِ تَعَذَّرَ عَليهِ الجَمْعُ بَينَ القِبلَتَين ، فَصَلَّى مُستَقْبِلاً بَيْتَ المَقْدِسِ ، وَبَقِيَ عَلَى ذلِكَ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً . وَنَبَّه اللهُ رَسُولَهُ – وَقبلَ أَنْ يَقَعَ ذلِكَ – إِلى أَنَّ اليَهُودَ سَيَتَّخِذُونَ مِنْ ذلِكَ التَّحَوُّلِ ذَريعةً للدَّسِّ وَالتَّشْكِيكِ للادِّعَاءِ بِأَنَّ دِينَهُمْ هُوَ الدِّينُ الحَقُّ ، لأَنَّ مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ كَانُوا اتَّجَهُوا إِلى قِبْلَتِهِمْ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ ، فَمَا الذِي صَرَفَهُمْ وَوَلاَّهُمْ عَنْ القِبْلَةِ التِي كَانُوا عَلَيها؟ وَقَدْ تَأَثَّر بِذلِكَ المُنَافِقُونَ وَالمُشْرِكُونَ وَمَنْ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ وَمَرَضٌ – وَهؤُلاءِ جَميعاً هُمُ السُّفَهَاءُ الذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ تَعَالَى – فَقَالُوا : مَا وَلَّى المُسْلِمِينَ عَنْ قِبْلَتِهِمْ؟

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَى هؤلاءِ قَائِلاً : إِنَّ المَشْرِقَ وَالمَغْرِبَ للهِ وَلَهُ الأَمرُ كُلُّهُ ، وَلا فَضْلَ لِجِهَةٍ عَلَى جِهَةٍ ، وَحيثُما تَوَجَّهَ المُؤْمِنُ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ، وَالمُهِمُّ أَنْ يَمْتَثِلَ النَّاسُ لأَمرِ اللهِ مِنْ غَيرِ تَشَكُّكٍ ، وَدُونَ ارتِيَابٍ ، وَهُوَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلى الصَّلاحِ وَالطَّرِيقِ المُستَقِيمِ المُوصِلِ إِلى جَنَّةِ اللهِ تَعَالَى .

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، المؤلف غير معروف ٢/٩٥٠

السَّفَهُ – هُوَ اضْطِرابُ الرَّأيِ وَالخُلُقِ . والسُّفَهَاءُ هُنَا هُمُ اليَهُودُ .

مَا وَلاَّهُمْ – مَا صَرَفَهُمْ .." (١)

"﴿ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ ﴿ إِيمَانَكُمْ ﴾ ﴿ لَرَءُوفٌ ﴾

(١٤٣) – كَانَ النَّاسُ ، قَبْلَ الإِسْلاَمِ ، فِئَتِينِ :

– فِئَةً مَادِّيَّةً لا هَمَّ لَهَا إلاَّ تَحْقيقُ مَا يَتَطَلَّبُهُ الجَسَدُ وَلَذَائِذُهُ كَالمُشْرِكينَ وَاليَهُودِ ، وَقَالُوا إِنْ هيَ إلاَّ حَيَاتُنا الدُّنيا ، وَمَا يُهْلِكُنا إلاَّ الدَّهرُ .

وَفِئَةً طَغَتْ عَلَيها النَّزعَةُ الرُّوحَانِيَّةُ الخَالِصَةُ ، وَسَيْطَرَتْ عَلَيهَا فِكْرَةُ تَرْكِ الدُّنيا وَمَا فِيها مِنَ اللَّذائِذِ الجَسَدِيَّةِ كَالنَّصَارَى وَالصابِئَةِ وَبَعْضِ طَوَائِفِ الهُنُودِ .

فَجَاءَ الإِسلامُ لِيَجْعَلَ المُسْلِمِينَ وَسَطاً بَيْنَ هؤلاءِ وهؤُلاءِ ، فَقَالَ بِتَحقيقِ مَطَالِبِ الجَسَدِ بِلا إِسْرافٍ وَلاَ مُبَالَغَةٍ ، مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَى السُمُوِّ الرُّوحِيّ ، لأَنَّ الإِنسَانَ جَسَدٌ وَرُوحٌ .

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ المُسْلِمِينَ أُمَّةً وَسَطاً لِيَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى المَادِيّينَ الذِينَ فَرَّطُوا في جَنْبِ اللهِ ، وَأخلَدُوا إلى اللَّذاتِ ، وَصَرَفُوا أنفُسَهُمْ عَنْ قَضَايَا الرُّوحِ ، وَشُهَداءَ عَلَى الغُلاةِ فِي الرُّوحَانِيَّةِ الذِينَ قَالُوا بِتَخَلِّي الإِنسَانِ عَن اللَّذاتِ الجَسَدِيَّةِ ، وَبِحِرْمَانِ النَّفْسِ مِنْ جَميعِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِي هذهِ الحَيَاةِ الدُّنيا .

وَلِيَكُونَ الرَّسُولُ A ، وَهُوَ القُدوَةُ والمَثَلُ الأَعلَى لِلمُؤْمِنينَ باللهِ ، شَهِيداً عَلَى المُسلِمِينَ إن كَانُوا اتَّبعُوا سِيرَتَهُ وَشَرْعَهُ ، او انحَرَفُوا وَحَادُوا عَنِ الاعتِدالِ .

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى إِنَّهُ إِنَّما شَرَعَ لِلنَّبِيّ التَّوَجُّهَ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ أَوّلاً ، ثُمَّ صَرَفَهُ إِلَى البَيتِ الحَرَامِ لِيَظْهَرَ مَنْ يَتَّبِعُ النَّبِيَّ وَيُطِيعُهُ وَيَتَّجِهُ حَيثُما اتَّجَهَ ، دُونَ تَشَكُّكٍ وَلا ارتياب ، مِمَّن يَرْتَدُّ عَنْ دِينِهِ (يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) ، وَإِنْ كَانَ فِي هذَا الصَّرفِ عَنْ بيتِ المَقْدِسِ مَشَقَّةٌ عَلَى النُّفوسِ ، غَيرَ النُّفُوسِ التِي هَدَاهَا اللهُ إلى الإِيمَان ، وَلِيَظْهَرَ مَنْ يُصَدِّقُ الرَّسُولَ وَمَا جَاءَ إِليهِ مِنْ رَبِّهِ بِصُورَةٍ مُطْلَقةٍ؛ وَهؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ المُصَدِّقُونَ يَكُونُ الأَمْرُ عَلَيهِمْ سَهْلاً يَسِيراً .

وَرَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُتَسَائِلِينَ عَلَى أَحْوالِ قَومٍ مِنَ المُسلِمِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ إلى بيتِ المَقْدِسِ ، ثُمَّ مَاتُوا قَبلَ أن تُحَوَّلَ القِبْلَةُ إلى الكَعْبَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ اللهُ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُؤْمِنِينَ المُحْسِنينَ فَاللهُ تَعَالَى رَؤُوفٌ بِالنَّاسِ رَحِيمٌ .

أُمَّةً وَسَطاً : خِيَاراً أَوْ مُتَوَسِّطِينَ مُعْتَدِلِينَ .

يَنْقَلبُ عَلَى عَقِبَيْهِ – يَرْتَدُّ عَنْ الإِسْلاَمِ عِنْدَ تَحوِيلِ القِبْلَةِ إِلَى الكَعْبَةِ

لَكَبِيرَةٌ – لَشَاقَّةٌ عَلَى النُّفُوسِ .." (٢)

"﴿ أَمْوَاتاً ﴾

(١٦٩) – يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللهِ .

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد، المؤلف غير معروف ص/١٤٩

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد، المؤلف غير معروف ص/١٥٠

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ A : " مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ ، لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ ، يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إلى الدُّنْيا إلا الشَّهِيدُ ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنيا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرى مِمَّا يَرى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ " .

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ : عَلَيهِمْ أَلاَّ يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ الْمُنَافِقُونَ ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ ، **لارْتِيَابِهِمْ** فِي البَعْثِ وَالحِسَابِ فِي الآخِرَةِ ، فَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقاً حَسَناً يَعْلَمُهُ هُوَ .." (١)

"﴿ المنافقون ﴾ ﴿ استهزءوا ﴾

(٦٤) –كَانَ الْمُنَافِقُونَ يَقُولُونَ القَوْلَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُونَ عَسَى اللهُ أَنْ لاَ يَفْشِي عَلَيْنَا سِرَّنَا هَذَا بِإِنْزَالِ آيَةٍ عَلَى رَسُولِهِ ، تَفْضَحُ مَا قُلْنَاهُ .

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً : إِنَّهُ سَيُخْرِجُ مَا يَحْذَرُونَ لِيَعْلَمَهُ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، فَلْيَسْتَهْزِئُوا مَا شَاؤُوا .

وَخَوْفُ الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَضِيحَةِ ، وَمِنْ كَشْفِ عَوْرَاتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، هُمَا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الشَّكِّ **وَالارْتِيَابِ** ، لأَنَّهُمْ مُذَبْذَبُونَ ، لاَ هُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوقِنِينَ ، وَلاَ هُمْ بِالكَافِرِينَ الجَازِمِينَ بِصِحَّةِ الكُفْرِ .." (٢)

"﴿ تَتْلُواْ ﴾ ﴿ كِتَابٍ ﴾

(٤٨) – لَقَدْ لِبِثْتَ فِي قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ عُمْراً طَوِيلاً قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيكَ القُرآنُ ، وأَنْتَ لاَ تَقْرأُ كِتاباً ، وَلاَ تَعرِفُ كِتَابَةً ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ قَوْمِكَ يعرفُ أَنَّكَ رَجُلٌ أُمِّيٌّ – وَكَذلِكَ كَانَتْ صِفَةُ الرَّسُولِ ، عَلَيهِ السَّلامُ ، فِي الكُتُبِ المَتَقَدِّمَةِ – لَمْ تَعْرِفِ القِراءَةَ وَلا الكِتَابَةَ . ولَوْ أَنَّكَ كُنْتَ تَعْرِفُ القِرَاءَةَ والكِتَابَةَ لارْتَابَ أَهلُ البَاطِلِ مِنْ جَهَلَةِ النَّاسِ ، ولَقَالُوا : إنهُ رُبَّمَا اقْتَبَسَ ما يَقُولُ مِنْ كُتُبِ الأَنبياءِ السَّابِقينَ . وَلكِنْ لَمّا كُنتَ أُمِّياً فإِنَّهُ لَمْ يَعُدْ **لارتِيَابِهِمْ** وَجْهٌ مَقْبُولٌ .." (٣)

"علينا مائدة من السماء؟﴾ ولما كان قولهم هذا دالا على شك في نفوسهم وعدم يقين في قدرة ربهم قال لهم عيسى عليه السلام ﴿اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ فلا تقولوا مثل هذا القول. فاعتذروا عن قيلهم الباطل ﴿قالوا: نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من السماء بسؤالك ربك ذلك وهنا قال عيسى عليه السلام داعيا ربه ضارعا إليه ﴿اللهم﴾ أي يا الله ﴿ربنا أنزل علينا مائدة من السماء، تكون لنا عيدا لأولنا﴾) أي للموجودين الآن منا ﴿وآخرنا﴾ أي ولمن يأتون بعدنا، ﴿وآية منك﴾، أي وتكون آية منك أي علامة على وحدانيتك وعظيم قدرتك، وعلى صدقي في إرسالك لي رسولا إلى بني إسرائيل، ﴿وارزقنا﴾ وأدم علينا رزقك وفضلك ﴿وأنت خير الرازقين﴾، فأجابه تعالى قائلا: ﴿إني منزلها عليكم﴾، وحقا قد أنزلها١، ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ يا بني إسرائيل السائلين المائدة بأن ينكر توحيدي أو رسالة رسولي، أو عظيم قدرتي ﴿فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾ ، ولذا مسخ من كفروا منهم قردة وخنازير.

هداية الآيات

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد، المؤلف غير معروف ص/٤٦٢

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد، المؤلف غير معروف ص/١٣٠٠

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد، المؤلف غير معروف ص/٣٢٧٠

من هداية الآيات:

١- جفاء اليهود وغطرستهم وسوء أدبهم مع أنبيائهم إذ قالوا لموسى ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ وقالوا لعيسى ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾.

٢- في قول عيسى لهم ﴿اتقوا الله﴾ دال على أنهم قالوا الباطل كما أن قولهم : ﴿ونعلم أن قد صدقتنا﴾ دال على شكهم وارتيابهم.

٣- مشروعية الأعياد الدينية لعبادة الله بالصلاة والذكر شكرا لله تعالى وفي الإسلام عيدان: الأضحى والفطر.

٤- من أشد الناس عذابا يوم القيامة آل فرعون والمنافقون ومن كفر من أهل المائدة.

---

١ روى الترمذي عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما".." [(١)]

"أعلمهم أن الذين يجادلون في آيات الله يريدون إبطال الحق وإطفاء نوره بكلامهم بغير حجة لديهم ولا برهان أتاهم جدالهم ذلك أكبر مقتا أي أشد شيء يمقته الله ويبغضه من صاحبه، وكذلك عند الذين آمنوا. وختم كلامه بقوله ﴿كذلك(١) يطبع الله﴾ أي كإضلال من هو مسرف مرتاب يطبع الله ﴿على كل قلب(٢) متكبر﴾ أي قلب كل إنسان متكبر على الإيمان والطاعة متجبر متعاظم يريد إجبار الناس على مراده وما يهواه. وإلى هنا انتهى كلام الرجل المؤمن والكلمة الآن إلى فرعون الطاغية وسنقرأها في الآيات التالية بعد رؤية ما في الآيات من هداية.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذا قال.

٢- التذكير بالأمم الهالكة إذ العاقل من اعتبر بغيره.

٣- التخويف من عذاب الآخرة وأهوال القيامة.

٤- التنديد بالإسراف والارتياب وعدم اليقين.

٥- حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.

٦- عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يهدى أبدا.

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب(٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب(٣٧) وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد(٣٨) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي

١- جائز أن يكون هذا من كلام مؤمن آل فرعون ختم به كلامه معهم. وجائز أن يكون من كلام الله تعالى معترض بين

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، المؤلف غير معروف ٢/٣٠

كلام المؤمن وكلام فرعون.

٢- المتكبر هو ذو الكبر والجبار الذي يكره الناس على ما لا يحبون عمله لظلمه وعتوه وقرأ الجمهور على كل قلب متكبر بإضافة قلب إلى متكبر وقرأ بعضهم بتنوين قلب بدون إضافة فيكون متكبر نعتا لقلب.." (١)

"الحياة للابتلاء. ثم الجزاء في يوم الجزاء : «قُلْ : هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ، وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» ..

والذرء : الإكثار. ويحمل كذلك معنى الانتشار. والحشر : الجمع بعد النشر في الأرجاء. وهما حركتان متقابلتان من الناحية التصورية ، تقابلهما من الناحية المعنوية. ذلك مشهد للإكثار من الخلق ونشرهم أو نثرهم في الأرض. وهذا مشهد لجمعهم منها وحشرهم بعد النشر والنثر! ويجمعهما السياق في آية واحدة ، ليتقابل المشهدان في الحس والتصور على طريقة القرآن. وليتذكر البشر وهم منتشرون في الأرض أن هناك غاية هم صائرون إليها ، هي الجمع والحشر. وأن هناك أمرا وراء هذا ، ووراء الابتلاء بالموت والحياة.

ثم يحكي شكهم في هذا الحشر ، **وارتيابهم** في هذا الوعد : «وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»؟ ..

وهو سؤال الشاك المستريب. كما أنه سؤال المماحك المتعنت. فإن معرفة موعد هذا الوعد وميقاته لا تقدم ولا تؤخر ولا علاقة لها بحقيقته ، وهو أنه يوم الجزاء بعد الابتلاء. ويستوي بالقياس إليهم أن يجيء غدا أو أن يجيء بعد ملايين السنين .. فالمهم أنه آت ، وأنهم محشورون فيه ، وأنهم مجازون بما عملوا في الحياة.

ومن ثم لم يطلع الله أحدا من خلقه على موعده ، لأنه لا مصلحة لهم في معرفته ، ولا علاقة لهذا بطبيعة هذا اليوم وحقيقته ، ولا أثر له في التكاليف التي يطالب الناس بها استعدادا لملاقاته ، بل المصلحة والحكمة في إخفاء ميقاته عن الخلق كافة ، واختصاص الله بعلم ذلك الموعد ، دون الخلق جميعا : «قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ».

وهنا يبرز بجلاء فارق ما بين الخالق والمخاليق. وتتجرد ذات الله ووحدانيته بلا شبيه ولا شريك. ويتمحض العلم له سبحانه. ويقف الخلق - بما فيهم الرسل والملائكة - في مقامهم متأدبين عند مقام الألوهية العظيم : «قُلْ : إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ." (٢)

"اللَّهِ. وَإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» .. وظيفتي الإنذار ، ومهمتي البيان. أما العلم فعند صاحب العلم الواحد بلا شريك.

وبينما هم يسألون في شك ويجابون في جزم ، يخيل السياق القرآني كأن هذا اليوم الذي يسألون عنه قد جاء ، والموعد الذي يشكون فيه قد حان وكأنما هم واجهوه الآن. فكان فيه ما كان : «فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا ، وقيل : هذا الذي كنتم به تدعون»! فقد رأوه قريبا مواجها لهم حاضرا أمامهم دون توقع ودون تمهيد. فسيئت وجوههم ، وبدا فيها الاستياء.

ووجه إليهم التأنيب : «وَقِيلَ : هذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ» .. هذا هو حاضرا قريبا. وهو الذي كنتم تدعون أنه لن يكون! وهذه الطريقة في عرض ما سيكون تتكرر في القرآن ، لمواجهة حالة التكذيب أو الشك بمفاجأة شعورية تصويرية تقف المكذب أو الشاك وجها لوجه مع مشهد حاضر لما يكذب به أو يشك فيه.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، المؤلف غير معروف ٤/٥٣٣

(٢) المهذب في تفسير سورة الملك، المؤلف غير معروف ص/١٢٩

ثم هي في الوقت ذاته تصور حقيقة. فهذا اليوم كائن في علم الله أما خط الزمن بينه وبين البشر فهو قائم بالقياس إلى البشر. وهي مسألة نسبية لا تمثل الحقيقة المجردة كما هي في حساب الله. ولو أذن الله لرأوه اللحظة كما هو في علم الله. فهذا الانتقال المفاجئ لهم من الدنيا إلى الآخرة ، ومن موقف الشك **والارتياب** إلى موقف المواجهة والمفاجأة ، يشير إلى حقيقة قائمة لو أذن الله بها لا نكشفت لهم. في الوقت الذي يصور لهم هذه الحقيقة تصويرا يهز مشاعرهم. " (رحمه الله١)

ما يستفاد من الآيات

يستدل بالآيات على ما يأتي :

١- تقرير حقيقة ثابتة وهي أن الكافر يعيش في غرور كامل ولذا يرفض دعوة الحق.

٢- تقرير حقيقة ثابتة وهي إنحراف الكافر وضلاله وإستقامة المؤمن وهدايته .

رحمه الله______________

(رحمه الله١) - فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٦٣٩)." [١]

"رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده فقال : « يا رب إنك إن تهلك هذه العصابة ، فلن تعبد في الأرض أبدا » فقال جبريل : « خذ قبضة من التراب » فأخذ قبضة من التراب ، فرمى بها وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه.

فولوا مدبرين ، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه كانت يده في يد رجل من المشركين- قيل : كانت يده في يد الحارث بن هشام- ، انتزع إبليس يده ، ثم ولى مدبرا وشيعته فقال له الرجل : يا سراقة ، ألم تزعم أنك لنا جار ؟ قال : إني بريء منكم ، إني أرى ما لا ترون.

وفي موطأ مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما رأى الشيطان نفسه يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر. قيل : وما رأى يوم بدر يا رسول الله ؟ قال : أما إنه رأى جبريل يزع « ١ » الملائكة » .

نزول الآية (٤٩) :

إذ يقول المنافقون : روي عن مجاهد أنه قال : هم فئة من قريش :

قيس بن الوليد بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، ويعلى بن أمية ، والعاص بن منبه ، خرجوا مع قريش من مكة ، وهم على **الارتياب** ، فحبسهم **ارتيابهم** ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : غر هؤلاء دينهم ، حتى أقدموا على ما أقدموا عليه ، مع قلة عددهم ، وكثرة عدد قريش.

المناسبة :

ما تزال الآيات تعرض مواقف وعبرا من مشاهد يوم بدر ، وهنا تذكر

---

(١) المهذب في تفسير سورة الملك، المؤلف غير معروف ص/١٣٠

(١) يزع الملائكة : أي يرتبهم ويسويهم ويصفهم للحرب.

ج ١٠ ، ص : ٣٣." (١)

"ثم أبان الله تعالى ما يجسده إقامة المنافقين مسجد الضرار من معان سيئة ثابتة راسخة على ممر التاريخ ، فقال : لا يزال بنيانهم .. أي لا يزال بناؤهم هذا وهدمه سبب شكهم في الدين ، وتزايد نفاقهم لأنه يجسد آثار النفاق والكفر ، فقد أورثهم نفاقا في قلوبهم ، كما أشرب عابدو العجل حبه ، وأصبح وسمه لا يزول عن قلوبهم ، فلا يزال هذا شأنهم في جميع الأحوال إلا في حال تقطع قلوبهم أجزاء ، بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك ، أي بموتهم ، وهو في غاية المبالغة ، والاستثناء من أعم الأزمنة.

والمراد أن هذا البناء الذي فرحوا به مصدر استلهام الشكوك في الدين ، ومظهر تجسيد الكفر والنفاق الجاثم في نفوسهم ، فحينما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمه ، ثقل ذلك عليهم ، وازداد بغضهم له ، وازداد ارتيابهم في نبوته ، وعظم خوفهم ، وارتابوا في أمرهم : هل سيتركون أو يقتلون ؟ فكان ذلك البنيان نفسه ريبة ، لكونه سببا للريبة ، وظهرت سببيته للريبة بتخريبه وهدمه.

والله عليم بأعمال خلقه ، حكيم في مجازاتهم عنها من خير أو شر ، ومن حكمته تبيان حال المنافقين وإظهار ما خفي من أمرهم ، لمعرفة الحقائق.

فقه الحياة أو الأحكام :

دلت الآيات على ما يأتي :

١- من المنافقين جماعة أقاموا مسجد الضرار بجوار مسجد قباء لمقاصد أربعة : محاولة الضرار ، والكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبما جاء به ، وتفريق جماعة المؤمنين ، واتخاذه معقلا لمن عادى الله ورسوله.

ج ١١ ، ص : ٤٨

و المقصود في الضرار بالمسجد من أهله ، وليس لذات المسجد ضرار.

٢- كانت أيمانهم على حسن النية ، وسلامة القصد كاذبة.." (٢)

"و احتج الآخرون بخلع النبي صلى الله عليه وسلم نعليه في الصلاة لما أعلمه جبريل عليه السلام أن فيهما قذرا وأذى « ١ » . ولما لم يعد ما صلى دل على أن إزالة النجاسة سنة ، وصلاته صحيحة ، ويعيد ما دام في الوقت ، طلبا للكمال.

١٢- دلت آية : أفمن أسس .. على أن كل شيء ابتدئ بنية تقوى الله تعالى والقصد لوجهه الكريم ، هو الذي يبقى ، ويسعد به صاحبه ، ويصعد إلى الله ويرفع إليه : والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا [الكهف ١٨/ ٤٦].

١٣- كان مسجد الضرار سببا لريبة المنافقين ، فإنهم لما بنوه عظم فرحهم به ، ولما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتخريبه

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٢٩/١٠

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٤٤/١١

، ثقل ذلك عليهم ، وازداد بغضهم له ، وزاد ارتيابهم في نبوته. وظل ذلك الريب في قلوبهم حتى الموت.

---

(١) أخرجه أبو داود وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ج ١١ ، ص : ٥١

صفات المؤمنين الصادقين الكمل وهم المجاهدون التائبون العابدون [سورة التوبة (٩) : الآيات ١١١ الى ١١٢]

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (١١(١) التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)

الإعراب : ." (١)

"(١) أبو نملة : هو عمارة ، أو عمار ، أو عمرو بن معاذ بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه.

ج ٢١ ، ص : ٩

و أخرج البخاري عن حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة ، وذكر كعب الأحبار ، فقال : « إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب ، وإن كنا مع ذلك ، لنبلو عليه الكذب » .

٢- وكذلك أنزلنا إليك الكتاب ، فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ، ومن هؤلاء من يؤمن به ، وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون أي كما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أيها الرسول ، أنزلنا إليك هذا الكتاب (القرآن) فالذين آتيناهم الكتاب السابق من اليهود والنصارى ، إذا أخذوا هذا القرآن ، فتلوه حق تلاوته ، كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأشباههما آمنوا وصدقوا بنزوله من عند الله ، وكذلك بعض كفار قريش وغيرهم يؤمنون به لأنه- كما عرفوا من لغة البيان- ليس من كلام البشر ، وإنما هو من كلام الله الموحى به إلى نبيه.

وما يكذب بآياتنا ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل ، ويطمس معالم الهداية والنور ، ويعاند في كفره ويستكبر ، فلا يؤمن بالله وحده ، ولا يشكر نعمة الله عليه. وهذا تنفير عما هم عليه من الشرك والباطل.

٣- وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك ، إذا لارتاب المبطلون أي وما كنت أيها الرسول في تاريخك مع قومك تقرأ من قبل نزول القرآن من كتاب آخر ، ولا تعرف الكتابة ولا تستطيع أن تخط شيئا من الكتاب إذ لو كنت قارئا وكاتبا لشك المشركون الجهلة فيما نزل إليك ، وقالوا :

لعل ذلك مأخوذ من كتب سابقة ، ولما لم يكن كاتبا ولا قارئا فلا وجه لارتيابهم.." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٤٧/١١

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٦/٢١

"٦- ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا أي أذكركم بأن تكذيب الرسل موروث لديكم من الآباء والأجداد ، فلقد بعث الله لكم أي لآبائكم يا أهل مصر رسولا من قبل موسى عليه السلام هو يوسف بن يعقوب ، وجاءكم بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه ، والآيات الواضحات المبينة لدين الله وشرائعه ، فكذبتموه وكذبتم من جاء بعده من الرسل ، وما زلتم في شك من البينات ولم تؤمنوا به ، حتى إذا مات أنكرتم بعثة رسول من بعده ، فكفرتم به في حياته ، وكفرتم بمن بعده من الرسل بعد موته ، مما يدل على توارث التكذيب ، واستمرار العناد في مواجهة الرسل ، والكفر برسالاتهم.

كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي مثل هذا الضلال وسوء الحال ، يكون حال من يضله الله لإسرافه في المعاصي والاستكثار منها ، وارتياب قلبه في دين الله ، وشكه في وحدانية الله ووعده ووعيده.

وصفة هؤلاء المسرفين المرتابين ما حكاه تعالى :

الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ، كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا أي إن أولئك المسرفين المرتابين هم الذين يجادلون في آيات الله ليبطلوها ، بغير حجة واضحة ولا دليل بين ، ويحاربون الحق بالباطل ، كبر ذلك الجدل بغضا عند الله والمؤمنين ، لأنه جدال بالباطل لا أساس له ، أما مقت الله فهو تعذيبه العصاة ، وأما مقت المؤمنين فهو هجر الكفار وترك التعامل معهم.

ج ٢٤ ، ص : ١١٨." (١)

"فرعون ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم في السورة المتقدمة : يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون [٨٨] ، ثم قال الله له : فاصفح عنهم وقل : سلام فسوف يعلمون [٨٩] ، وحكى الله عن موسى في هذه السورة : فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون [٢٢] ، وقال موسى : وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ، وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون [٢٠- ٢١] ، والتشابه واضح في الموقفين.

ما اشتملت عليه السورة :

موضوع سورة الدخان المكية كسائر موضوعات السور المكية وسور آل حاميم السبع ، وهو بيان أصول العقيدة الإسلامية : التوحيد ، والنبوة والرسالة ، والبعث.

بدئت السورة ببيان تاريخ بدء إنزال القرآن في ليلة القدر من رمضان ، رحمة من الله بعباده ، وأن منزله هو مالك الكون كله والمخلوقات جميعها ، وأنه هو الإله الحق الواحد الذي لا شريك له ، غير أن المشركين في شك وارتياب من أمر القرآن.

ثم أعدتهم بالعذاب الشديد ، وبالدخان المخيف الذي ينذرهم بأسوأ العواقب ، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا.

وأردفت ما سبق بعظتهم بقصة فرعون وقومه مع موسى عليه السلام ، حيث نجى الله المؤمنين ، وأغرق الكافرين في البحر.

ثم وصفت مشركي مكة بأنهم قوم منكرون للبعث في قوله تعالى : إن هي إلا موتتنا الأولى ، وما نحن بمنشرين [٣٥] ، وهددتهم بالإهلاك كما أهلك المجرمين الأشداء من قبلهم ، مثل قوم تبع الحميري ، مع إيراد الدليل على قدرة الله عز وجل

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ١١٦/٢٤

على كل شي ء.

ج ٢٥ ، ص : ٢٠٤

ثم وصفت لهم أهوال يوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب وطعام الزقوم في نار جهنم وغير ذلك مما يرهب ويرعب ، ويثير المخاوف الشديدة في النفوس.." (١)

"إن الله يعلم غيب السماوات والأرض ، والله بصير بما تعملون أي إن الله عليم بما ظهر وما غاب في جميع أنحاء السموات والأرض ، ومن جملة ذلك :

ما يسره كل إنسان في نفسه ، والله مطلع على كل شيء من أعمالكم ، فهو مجازيكم بالخير خيرا ، وبالشر شرا. والآية تكرار وتأكيد الإخبار بعلم الله بجميع الكائنات ، وبصره بأعمال المخلوقات ، ليترسخ ذلك في الأذهان ، ويستقر في أعماق القلوب ، ويتمثل دائما في النفوس.

فقه الحياة أو الأحكام :

أرشدت الآيات إلى ما يأتي :

١- موضوع الآيات توبيخ من في إيمانه ضعف بعد الآيات السابقة التي فيها حث عموم الناس على تقوى الله تعالى.

ج ٢٦ ، ص : ٢٧٣

فلا يكفي الإسلام الظاهري ، وإنما لا بد من الإيمان والإذعان القلبي ، ولا يكفي الإسلام اللغوي ، وهو الخضوع والانقياد خوفا من القتل ، ودخولا في زمرة أهل الإيمان والسلم.

٢- إن أخلص الناس الإيمان لله تعالى وفر لهم ثوابا عظيما لأعمالهم ، ولم ينقصهم شيئا من أجورهم.

٣- لا حرج على من تأخر إيمانه ، فالله سبحانه غفار لذنوب عباده كلها بمشيئته ، رحيم بهم فلا يعذبهم بعد التوبة.

٤- إن عناصر الإيمان الجوهرية في الآية : هي الإيمان بالله وحده لا شريك له ، والإيمان بأن محمدا رسول الله وخاتم الأنبياء والرسل ، وعدم **الارتياب** في شيء ، بل لا بد من عقيدة ثابتة ويقين كامل لا يتزعزع أبدا ، والجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس محك الإيمان ودليله ، والمؤمنون هم الذين صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد والأعمال الصالحة ، وهم الذين صدقوا في إيمانهم ، لا من أسلم خوف القتل ورجاء الكسب.

ويجب أن يكون الجهاد من أجل نصرة دين الله والدعوة إلى سبيله ، أو لاسترداد الحقوق المغتصبة والبلاد المحتلة ، لذا." (٢)

"٤- قوله عز وجل : ويزداد الذين آمنوا إيمانا دليل على أن الإيمان يزيد وينقص ، أي يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو رأي الأكثرين. وأما الذين يقولون بأن حقيقة الإيمان لا تقبل الزيادة والنقصان فيحملون الآية على ثمرات الإيمان وعلى آثاره ولوازمه. وأما نفي **الارتياب** عن أهل الكتاب والمؤمنين بعد إثبات الاستيقان وزيادة الإيمان لهم ، فمن باب التوكيد ، كأنه قيل : حصل لهم يقين جازم ، بحيث لا يحصل بعده شك وريب ، فإن الذي حصل له اليقين قد يغفل عن

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٢٥/٢٠٨

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٢٦/٢٩٤

مقدمة من مقدمات الدليل ، فيعود له الشك. وفيه أيضا تعريض

---

(١) الكشاف : ٣/ ٢٨٨

ج ٢٩ ، ص : ٢٣٩

بحال من عداهم ، كأنه قيل : وليخالف حالهم حال المرتابين من أهل الزيغ والكفران.

٥- قوله تعالى : كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لا يراد به خلافا لظاهره أن الإضلال والهداية أمران مبتدآن من الله عز وجل ، ولا أنه تعالى يجبر فريقا على الضلالة ، وفريقا على الهدى ، وإنما المراد به تقرير سنة من سنن الله سبحانه في عباده وهي ربط الأسباب التي خلقها بالمسببات ، فمن ضل فإنما يضل بنفسه واختياره ، ومن اهتدى فإنما يهتدي بنفسه وإرادته واختياره ، ثم يزيد الله الضالين ضلالا ، فيبعدهم عن معالم الهداية ، لسوء اختيارهم واستعدادهم وعنادهم ، ويزيد المؤمنين إيمانا بتوفيقهم إلى سبل الهداية والرشاد ، لحسن اختيارهم. ولا يقع شيء في الكون قهرا عن الله تعالى ، وإنما بإرادته ومشيئته ، وإن كان مخالفا لمأموره ومحبوبه.

٦- قوله تعالى : وما يعلم جنود ربك إلا هو إشارة إلى أن ما عليه عدد الخزنة لا يعلم حكمته ولا حكمة ما عليه كل جند من العدد إلى الأبد إلا الله سبحانه. وهو جواب لأبي جهل حين قال : أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر!." [١]

"و ما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (١٤٧) فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (١٤٨)

ج ٤ ، ص : ١٠٥

الإعراب :

أم حسبتم أم هاهنا المنقطعة ، لأنها ليس قبلها همزة. ولما حرف لنفي ما قرب من الحال. يعلم مجزوم بلما ، وكسرت لالتقاء الساكنين ، ويعلم : هاهنا بمعنى يعرف ، ولهذا تعدت إلى مفعول واحد وهو الذين. ويعلم منصوب بتقدير أن ، أي لم يجتمع العلم بالمجاهدين والصابرين. أن تلقوه في موضع بإضافة قبل إليه ، والهاء تعود على الموت ، وكذا هاء :

رأيتموه أي رأيتم أسبابه ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

أن تموت أن وصلتها في تأويل مصدر في موضع رفع اسم كان. إلا بإذن الله خبر كان. كتابا مؤجلا منصوب على المصدر. نؤته منها قرئ بالإشباع وهو أحسن من الاختلاس والإسكان ، لأنه الأصل ، ثم الاختلاس ثم الإسكان وهو أضعفها. وكأين بمنزلة « كم » في الدلالة على العدد الكثير ، وأصلها « أي » أدخلت عليها كاف التشبيه. ربيون فاعل مرفوع لقاتل ، والجملة في موضع جر صفة لنبي. وخبر كأين مقدر ، وتقديره : في الدنيا ، أو في الوجود وما أشبه ذلك.

البلاغة :

فقد رأيتموه يعني الموت ، شاهدتموه ، فيه ما يسمى بالتخييل : وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس ، كما تتخيل

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ٢٣١/٢٩

الشاة صداقة الكبش ، وعداوة الذئب.

وما محمد إلا رسول قصر موصوف على صفة.

انقلبتم على أعقابكم استعارة ، شبه سبحانه الرجوع عن الدين في **الارتياب** بالرجوع على الأعقاب.

المفردات اللغوية : ." (١)

"و قال الحنفية : يحلف بالله لا غير ، فإن اتهمه القاضي ، غلظ عليه اليمين ، فيحلفه « بالله الذي لا إله إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، الرحمن الرحيم الذي يعلم من السر ما يعلم من العلانية ، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

وزاد الشافعية : التغليظ بالمصحف. وقال أحمد : لا يكره ذلك.

٨- قدر المال الذي يحلف به : قال مالك : لا تكون اليمين في أقل من ثلاثة دراهم ، قياسا على حد القطع في السرقة.

وقال الشافعي : لا تكون اليمين في ذلك في أقل من عشرين دينارا قياسا على الزكاة ، وكذلك عند منبر كل مسجد.

٩- الأصل قبول أخبار الشهود وتصديقهم دون يمين لقول الله تعالى :

ولا يضار كاتب ولا شهيد وشرط في تحليف الشاهدين **الارتياب** في خبرهما ، فإذا لم يكن الشاهدان عدلين وارتاب الحاكم بقولهما حلفهما ، بدليل قوله تعالى :

إن ارتبتم ومتى لم يقع ريب فلا يمين. وأصبح تحليف الشهود السمة العامة في المحاكم الحالية. وسبب الريبة في الآية : هو الاحتياط لقبول شهادة الكافر بدلا عن شهادة المسلم للضرورة. وقد حلف ابن عباس المرأة التي شهدت بالرضاع.

١٠- تجيز الآية شهادة المدعين لأنفسهم واستحقاقهم بمجرد أيمانهم : وهذا مخالف للمقرر في الشريعة : أن البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر. وهو محض العدل ، وقد أجاب الجمهور بأن حكم الآية هذا منسوخ.

وأما جواب القائلين بأن الآية محكمة غير منسوخة : فهو قبول يمين المدعي بسبب العثور على خيانة المدعى عليه واستحقاقه الإثم ، وهذا موافق للأصول حيث يتقوى جانب المدعي بالشاهد ، أو بنكول خصمه عن اليمين ، أو قوة جانبه باللوث (القرينة على القتل) ، أو قوة جانبه بشهادة العرف في تداعي

ج ٧ ، ص : ١٠٦

الزوجين ، ومنها العثور على الخيانة ، فإن اليمين تكون بجانب أقوى المتداعيين شبهة.." (٢)

"الحجة ولاحت المحجة وتبين الرشد من الغي وظهر طريق الحق والصواب وانقشعت ظلمات الشك **والارتياب** ذلك سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي القرشي الهاشمي المختار من لباب اللباب والمصطفى من أطهر الأنساب وأشرف الأحساب الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة والجنود القاهرة والسيوف الباترة الغضاب وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة وجعله قائدا للغر المحجلين والوجوه الناضرة فهو أول من يشفع يوم الحساب وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب فصلى الله عليه وعلى

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ١١٠/٤

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف غير معروف ١٠٨/٧

آله الطيبين وأصحابه الأكرمين خير أهل وأصحاب صلاة زاكية نامية لا يحصر مقدارها العد والحساب ولا يبلغ إلى أدنى وصفها ألسنة البلغاء ولا أقلام الكتاب أما بعد فإن علم القرآن العظيم هو أرفع العلوم قدرا وأجلها خطرا وأعظمها أجرا وأشرفها ذكرا وأن الله أنعم علي بأن شغلني بخدمة القرآن وتعلمه وتعليمه وشغفني بتفهم معانيه وتحصيل علومه فاطلعت ... ٣." (١)

"بقوله: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣] فارتيابهم واقع مشتهر، ولكن نزل ارتيابهم منزلة العدم لأن في دلائل الأحوال ما لو تأملوه لزال ارتيابهم فنزل ذلك الارتياب مع دلائل بطلانه منزلة العدم. قال صاحب المفتاح: ويقلبون القضية١ مع المنكر إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الإسلام: الإسلام حق وقوله عز وجل في حق القرآن: ﴿لا ريب فيه﴾ وكم من شقي مرتاب فيه وارد على هذا فيكون المركب الدال على النفي المؤكد للريب مستعملا في معنى عدم الاعتداد بالريب لمشابهة حال المرتاب في وهن ريبه بحال من ليس بمرتاب أصلا على طريقة التمثيل.

ومن المفسرين من فسر قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ بمعنى أنه ليس فيه ما يوجب ارتيابا في صحته أي ليس فيه اضطراب ولا اختلاف فيكون الريب هنا مجازا في سببه ويكون المجرور ظرفا مستقرا خبر "لا" فينظر إلى قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء:٨٢] أي أن القرآن لا يشتمل على كلام يوجب الريبة في أنه من عند الحق رب العالمين، من كلام يناقض بعضه بعضا أو كلام يجافي الحقيقة والفضيلة أو يأمر بارتكاب الشر والفساد أو يصرف عن الأخلاق الفاضلة، وانتفاء ذلك عنه يقتضي أن ما يشتمل عليه القرآن إذا تدبر فيه المتدبر وجده مفيدا اليقين بأنه من عند الله والآية هنا تحتمل المعنيين فلنجعلهما مقصودين منها على الأصل الذي أصلناه في المقدمة التاسعة.

وهذا النفي ليس فيه ادعاء ولا تنزيل فهذا الوجه يغنى عن تنزيل الموجود منزلة المعدوم فيفيد التعريض بما بين يدي أهل الكتاب يومئذ من الكتب فإنها قد اضطربت أقوالها وتخالفت لما اعتراها من التحريف وذلك لأن التصدي للأخبار بنفي الريب عن القرآن مع عدم وجود قائل بالريب فيما تضمنه أي بريب مستند لموجب ارتياب إذ قصارى ما قالوه فيه أقوال مجملة مثل هذا سحر، هذا أساطير الأولين، يدل ذلك التحدي على أن المراد التعريض لا سيما بعد قوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ كما تقول لمن تكلم بعد قوم تكلموا في مجلس وأنت ساكت: هذا الكلام صواب تعرض بغيره.

وبهذا الوجه أيضا يتسنى اتحاد المعنى عند الوقف لدى من وقف على ﴿فيه﴾ ولدى

-

١ أي قضية التأكيد للخبر الموجه إلى منكر مضمون الخبر.." (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، المؤلف غير معروف ٢/١

(٢) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢١/١

"من وقف على ﴿ريب﴾ ، لأنه إذا اعتبر الظرف غير خبر وكان الخبر محذوفا أمكن الاستغناء عن هذا الظرف من هاته الجملة، وقد ذكر الكشاف أن الظرف وهو قوله ﴿فيه﴾ لم يقدم على المسند إليه وهو ﴿ريب﴾ ، أي على احتمال أن يكون خبرا عن اسم لا كما قدم الظرف في قوله ﴿لا فيها غول﴾ [الصافات: ٤٧] لأنه لو قدم الظرف هنا لقصد أن كتابا آخر فيه الريب اه. يعني لأن التقديم في مثله يفيد الاختصاص فيكون مفيدا أن نفي الريب عنه مقصور عليه وأن غيره من الكتب فيه الريب وهو غير مقصود هنا. وليس الحصر في قوله ﴿لا ريب فيه﴾ بمقصود لأن السياق خطاب للعرب المتحدين بالقرآن وليسوا من أهل كتاب حتى يرد عليهم. وإنما أريد أنهم لا عذر لهم في إنكارهم أنه من عند الله إذ هم قد دعوا إلى معارضته فعجزوا. نعم يستفاد منه تعريض بأهل الكتاب الذين آزروا المشركين وشجعوهم على التكذيب به بأن القرآن لعلو شأنه بين نظرائه من الكتب ليس فيه ما يدعو إلى **الارتياب** في كونه منزلا من الله إثارة للتدبر فيه هل يجدون ما يوجب **الارتياب** فيه وذلك يستطير جاثم إعجابهم بكتابهم المبدل المحرف فإن الشك في الحقائق رائد ظهورها. والفجر بالمستطير بين يدي طلوع الشمس بشير بسفورها. وقد بنى كلامه على أن الجملة المكيفة بالقصر في حالة الإثبات لو دخل عليها نفي وهي بتلك الكيفية أفاد قصر النفي لا نفي القصر، وأمثلة صاحب المفتاح في تقديم المسند للاختصاص سوى فيها بين ما جاء بالإثبات وما جاء بالنفي. وعندي فيه نظر سأذكره عند قوله تعالى، ﴿ليس عليك هداهم﴾ [البقرة: ٢٧٢].وحكم حركة هاء الضمير أو سكونها مقررة في علم القراءات في قسم أصولها.

وقوله ﴿هدى للمتقين﴾ الهدى اسم مصدر الهدى ليس له نظير في لغة العرب إلا سرى وتقى وبكى ولغى مصدر لغى في لغة قليلة. وفعله هدى هديا يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى وربما تعدى إليه بنفسه على طريقة الحذف المتوسع فيما تقدم في قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة:٦]

والهدى على التحقيق هو الدلالة التي من شأنها الإيصال إلى البغية وهذا هو الظاهر في معناه لأن الأصل عدم الترادف فلا يكون هدى مرادفا لدل ولأن المفهوم من الهدى الدلالة الكاملة وهذا موافق للمعنى المنقول إليه الهدى في العرف الشرعي. وهو أسعد بقواعد الأشعري لأن التوفيق الذي هو الإيصال عند الأشعري من خلق الله تعالى في قلب الموفق فيناسب تفسير الهداية بما يصلح له ليكون الذي يهدى يوصل الهداية الشرعية.." (١)

"موجه إلى الخاصة من العقلاء أن يقول لهم هذا كتاب مؤلف من حروف كلامهم، وهو بالغ حد الكمال من بين الكتب، فكان ذلك مما يوفر دواعيكم على اتباعه والافتخار بأن منحتموه فإنكم تعدون أنفسكم أفضل الأمم، فكيف لا تسرعون إلى متابعة كتاب نزل فيكم هو أفضل الكتب فوزان هذا وزان قوله تعالى: ﴿أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ إلى قوله: ﴿ورحمة﴾ ، وموجه إلى أهل الكتاب بإيقاظهم إلى أنه أفضل مما أوتوه.

وجملة ﴿لا ريب﴾ أن كان الوقف على قوله: ﴿لا ريب﴾ تعريض بكل المرتابين فيه من المشركين وأهل الكتاب أي أن **الارتياب** في هذا الكتاب نشأ عن المكابرة، وأن لا ريب فإنه الكتاب الكامل، وإن كان الوقف على قوله: ﴿فيه﴾ كان تعريضا بأهل الكتاب في تعلقهم بمحرف كتابيهم مع ما فيهما من مثار الريب والشك من الاضطراب الواضح الدال على

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢٢/١

أنه من صنع الناس، قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء:٨٢] وقال في الكشاف ثم لم تخل كل واحدة من هذه الأربع بعد أن نظمت هذا التنظيم السري من نكتة ذات جزالة: ففي الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر- وهو الهدى- موضع الوصف وإيراده منكرا والإيجاز في ذكر المتقين ا هـ. فالتقوى إذن بهذا المعنى هي أساس الخير، وهي بالمعنى الشرعي الذي هو غاية المعنى اللغوي جماع الخيرات. قال ابن العربي لم يتكرر لفظ في القرآن مثلما تكرر لفظ التقوى اهتماما بشأنها.

[٣] ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة:٣]

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾

يتعين أن يكون كلاما متصلا بقوله: ﴿للمتقين﴾ [البقرة:٢] على أنه صفة لإرداف صفتهم الإجمالية بتفصيل يعزف به المراد، ويكون مع ذلك مبدأ استطراد لتصنيف أصناف الناس بحسب اختلاف أحوالهم في تلقي الكتاب المنوه به إلى أربعة أصناف بعد أن كانوا قبل الهجرة صنفين، فقد كانوا قبل الهجرة صنفا مؤمنين وصنفا كافرين مصارحين، فزاد بعد الهجرة صنفان: هما المنافقون وأهل الكتاب، فالمشركون الصرحاء هم أعداء الإسلام." (١)

"السلب بعد العطاء.

وإذ اسم للزمن الماضي متصرف، وهي هنا متصرفة تصرفا قليلا؛ لأنها لما أضيفت إليها الظرف كانت في معنى الظرفية، ولما كانت غير منصوبة كانت فيها شائبة تصرف، كما هي في يومئذ وحينئذ، أي بعد زمن هدايتك إيانا.

وقوله ﴿وهب لنا من لدنك رحمة﴾ طلبوا أثر الدوام على الهدى وهو الرحمة، في الدنيا والآخرة، ومنع دواعي الزيغ والشر. وجعلت الرحمة من عند الله لأن تيسير أسبابها، وتكوين مهيئاتها، بتقدير الله؛ إذ لو شاء الله لكان الإنسان معرضا لنزول المصائب والشرور في كل لمحة؛ فإنه محفوف بموجودات كثيرة، حية وغير حية، هو تلقائها في غاية الضعف، لولا لطف الله به إيقاظ عقله لاتقاء الحوادث، وبإرشاده لاجتناب أفعال الشرور المهلكة، وبإلهامه إلى ما فيه نفعه، وبجعل تلك القوى الغالبة له قوى عمياء لا تهتدي سبيلا إلى قصده، ولا تصادفه إلا على سبيل الندور ولهذا قال تعالى ﴿الله لطيف بعباده﴾ [الشورى:١٩] ومن أجلى مظاهر اللطف أحوال الاضطرار والالتجاء وقد كنت قلت كلمة اللطف عند الاضطرار.

والقصر في قوله ﴿إنك أنت الوهاب﴾ للمبالغة، لأجل كمال الصفة فيه تعالى؛ لأن هبات الناس بالنسبة لما أفاض الله من الخيرات شيء لا يعبأ به. وفي هذه الجملة تأكيد بأن، وبالجملة الاسمية، وبطريق القصر.

وقوله ﴿ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه﴾ استحضروا عند طلب الرحمة أحوج ما يكونون إليها، وهو يوم تكون الرحمة سببا للفوز الأبدي، فأعقبوا بذكر هذا اليوم دعاءهم على سبيل الإيجاز، كأنهم قالوا: هب لنا من لدنك رحمة، وخاصة يوم تجمع الناس كقول إبراهيم ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ [إبراهيم:٤١]. على ما في تذكر يوم الجمع من المناسبة بعد ذكر أحوال الغواة والمهتدين، والعلماء والراسخين.

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢٥/١

ومعنى ﴿لا ريب فيه﴾ لا ريب فيه جديرا بالوقوع، فالمراد نفي الريب في وقوعه. ونفوه على طريقة نفي الجنس لعدم الاعتداد **بارتياب** المرتابين، هذا إذا جعلت فيه خبرا، ولك أن تجعله صفة لريب وتجعل الخبر محذوفا على طريقة لا النافية للجنس، فيكون التقدير: عندنا، أو لنا.." (١)

"استئناف ابتدائي، جمع تمجيد الله، وتهديدا، وتحذيرا من مخالفة أمره، وتقريرا للإيمان بيوم البعث، وردا لإشراك بعض المنافقين وإنكارهم البعث.

فاسم الجلالة مبتدأ. وجملة ﴿لا إله إلا هو﴾ معترضة بين المبتدأ وخبره لتمجيد الله.

وجملة ﴿ليجمعنكم﴾ جواب قسم محذوف واقع جميعه موقع الخبر عن اسم الجلالة. وأكد هذا الخبر: بلام القسم، ونون التوكيد، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي، لتقوية تحقيق هذا الخبر، إبطالا إنكار الذين أنكروا البعث.

ومعنى ﴿لا ريب فيه﴾ نفي أن يتطرقه جنس الريب والشك أي في مجيئه، والمقصود لا ريب حقيقيا فيه، أو أن **ارتياب** المرتابين لوهنه نزل منزلة الجنس المعدوم.

والاستفهام عن أن يكون أحد أصدق من الله هو استفهام إنكاري. وحديثا تمييز لنسبة فعل التفضيل.

[٨٨] ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ .

تفريع عن أخبار المنافقين التي تقدمت، لأن ما وصف من أحوالهم لا يترك شكا عند المؤمنين في خبث طويتهم وكفرهم، أو هو تفريع عن قوله ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ [النساء:٨٧]. وإذ قد حدث الله عنهم بما وصف من سابق الآي، فلا يحق التردد في سوء نواياهم وكفرهم، فموقع الفاء هنا نظير موقع الفاء في قوله ﴿فقاتل في سبيل الله﴾ في سورة النساء[٨٤]. والاستفهام للتعجيب واللوم. والتعريف في ﴿المنافقين﴾ للعهد. و ﴿فئتين﴾ حال من الضمير المجرور باللام فهي قيد لعامله، الذي هو التوبيخ، فعلم أن محل التوبيخ هو الانقسام. و ﴿في المنافقين﴾ متعلق بفئتين لتأويله بمعنى منقسمين، ومعناه: في شأن المنافقين، لأن الحكم لا يتعلق بذوات المنافقين.

والفئة: الطائفة. وزنها فلة، مشتقة من الفيء وهو الرجوع، لأنهم يرجع بعضهم إلى بعض في شؤونهم. وأصلها فيء، فحذفوا الياء من وسطه لكثرة الاستعمال وعوضوا عنها الهاء.." (٢)

"يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة:٤٤] وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكدة لولا أن المراد من تقديم تلك الجملة التنويه بفضيلة المؤمنين، فالكلام إطناب لقصد التنويه، والتنويه من مقامات الإطناب.

وحذف متعلق ﴿يستأذنك﴾ هنا لظهوره مما قبله مما يؤذن به فعل الاستئذان في قوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا﴾ [التوبة:٤٤] والتقدير: إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون في أن لا يجاهدوا، ولذلك حذف متعلق يستأذنك هنا.

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٣٠/٣

(٢) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٠٩/٤

والسامع البليغ يقدر لكل كلام ما يناسب إرادة المتكلم البليغ، وكل على منواله ينسج.

وعطف ﴿وارتابت قلوبهم﴾ على الصلة وهي ﴿لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يدل على أن المراد بالارتياب الارتياب في ظهور أمر النبي صلى الله عليه وسلم فلأجل ذلك الارتياب كانوا ذوي وجهين معه فأظهروا الإسلام لئلا يفوتهم ما يحصل للمسلمين من العز والنفع، على تقدير ظهور أمر الإسلام، وأبطنوا الكفر حفاظا على دينهم الفاسد وعلى صلتهم بأهل ملتهم، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين﴾ [النساء:١٤١].

ولعل أعظم ارتيابهم كان في عاقبة غزوة تبوك لأنهم لكفرهم ما كانوا يقدرون أن المسلمين يغلبون الروم، هذا هو الوجه في تفسير قوله: ﴿وارتابت قلوبهم﴾ كما آذن به قوله: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ .

وجيء في قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ بصيغة المضارع للدلالة على تجدد نفي إيمانهم، وفي ﴿وارتابت قلوبهم﴾ بصيغة الماضي للدلالة على قدم ذلك الارتياب ورسوخه فلذلك كان أثره استمرار انتفاء إيمانهم، ولما كان الارتياب ملازما لانتفاء الإيمان كان في الكلام شبه الاحتباك إذ يصير بمنزلة أن يقال: الذين لم يؤمنوا ولا يؤمنون وارتابت وترتاب قلوبهم.

وفرع قوله: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ على ﴿وارتابت قلوبهم﴾ تفريع المسبب على السبب: لأن الارتياب هو الشك في الأمر بسبب التردد في تحصيله، فلترددهم لم يصارحوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعصيان لاستنفاره، ولم يمتثلوا له فسلكوا مسلكا يصلح للأمرين، وهو مسلك الاستئذان في القعود، فالاستئذان مسبب على التردد، والتردد مسبب على." (١)

"الارتياب وقد دل هذا على أن المقصود من صلة الموصول في قوله: ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ . هو قوله: ﴿وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ . لأنه المنتج لانحصار الاستئذان فيهم.

و ﴿في ريبهم﴾ ظرف مستقر، خبر عن ضمير الجماعة، والظرفية مجازية مفيدة إحاطة الريب بهم، أي تمكنه من نفوسهم، وليس قوله: ﴿في ريبهم﴾ متعلقا ب ﴿يترددون﴾ .

والتردد حقيقته ذهاب ورجوع متكرر إلى محل واحد، وهو هنا تمثيل لحال المتحير بين الفعل وعدمه بحال الماشي والراجع. وقريب منه قولهم: يقدم رجلا ويؤخر أخرى.

والمعنى: أنهم لم يعزموا على الخروج إلى الغزو. وفي هذه الآية تصريح للمنافقين بأنهم كافرون، وأن الله أطلع رسوله – عليه الصلاة والسلام – والمؤمنين على كفرهم، لأن أمر استئذانهم في التخلف قد عرفه الناس.

[٤٦] ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ .

عطف على جملة ﴿في ريبهم يترددون﴾ [التوبة:٤٥] لأن معنى المعطوف عليها: أنهم لم يريدوا الخروج إلى الغزو، وهذا استدلال على عدم إرادتهم الخروج إذ لو أرادوه لأعدوا له عدته. وهذا تكذيب لزعمهم أنهم تهيأوا للغزو ثم عرضت لهم الأعذار فاستأذنوا في القعود لأن عدم إعدادهم العدة للجهاد دل على انتفاء إرادتهم الخروج إلى الغزو.

والعدة بضم العين: ما يحتاج إليه من الأشياء، كالسلاح للمحارب، والزاد للمسافر، مشتقة من الإعداد وهو التهيئة.

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ١٠٩/١٠

والخروج تقدم آنفا.

والاستدراك في قوله: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ استدراك على ما دل عليه شرط ﴿ولو﴾ من فرض إرادتهم الخروج تأكيد الانتفاء وقوعه بإثبات ضده، وعبر عن ضد الخروج بتثبيط الله إياهم لأنه في السبب الإلهي ضد الخروج فعبر به عن مسببه، واستعمال الاستدراك كذلك بعد ﴿ولو﴾ استعمال معروف في كلامهم كقول أبي بن سلمى الضبي:

فلو طار ذو حافر قبلها ...

لطارت ولكنه لم يطر

وقول الغطمش الضبي:." (١)

"الانتقالي كشأنها إذا عطفت الجمل الاستفهامية فإنها إذا عطفت الجمل لم تكن لطلب التعيين كما هي في عطف المفردات لأن المتعاطفات بها حينئذ ليست مما يطلب تعيين بعضه دون بعض، وأما معنى الاستفهام فملازم لها لأنه يقدر بعد أم.

والانتقال هنا تدرج في عد أخلاقهم. فالمعنى انه سأل سائل عن اتصافهم بخلق من هذه المذكورات علم المسؤول أنهم متصفون به، فكان الاستفهام المكرر ثلاث مرات مستعملا في التنبيه مجازا مرسلا، ومنه قوله تعالى: ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها﴾ في سورة الأعراف.

والقلوب: العقول. والمرض مستعار للفساد أو للكفر قال تعالى: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ أو للنفاق.

وأتي في جانب هذا الاستفهام بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم.

والارتياب: الشك. والمراد: ارتابوا في حقية الإسلام، أي حدث لهم **ارتياب** بعد أن آمنوا إيمانا غير راسخ.

وأتي في جانبه بالجملة الفعلية المفيدة للحدوث والتجدد، أي حدث لهم **ارتياب** بعد أن اعتقدوا الإيمان اعتقادا مزلزلا. وهذا يشير إلى أنهم فريقان: فريق لم يؤمنوا ولكنهم أظهروا الإيمان وكتموا كفرهم، وفريق آمنوا إيمانا ضعيفا ثم ظهر كفرهم بالإعراض.

والحيف: الظلم والجور في الحكومة. وجيء في جانبه بالفعلين المضارعين للإشارة إلى أنه خوف في الحال من الحيف في المستقبل كما يقتضيه دخول أن، وهي حرف الاستقبال، على فعل ﴿يحيف﴾ . فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة فمن ثمة أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأسند الحيف إلى الله ورسوله بمعنى أن يكون ما شرعه الإسلام حيفا لا يظهر الحقوق. وهذا كناية عن كونهم يعتقدون أنه غير منزل من الله وأن يكون حكم الرسول بغير ما أمر الله، فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم وما ذلك إلا لأنهم لا يؤمنون بأن شريعة الإسلام منزلة من الله ولا يؤمنون بأن محمدا عليه الصلاة والسلام مرسل من عند الله، فالكلام كناية عن إنكارهم أن تكون الشريعة إلهية وأن يكون الآتي بها صادقا فيما أتى به.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ١١٠/١٠

(٢) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢١٧/١٨

"وليس المراد بقول ﴿سمعنا وأطعنا﴾ خصوص هذين اللفظين بل المراد لفظهما أو مرادفهما للتسامح في مفعول فعل القول أن لا يحكى بلفظه كما هو مشهور. وإنما خص هذان اللفظان بالذكر هنا من أجل أنهما كلمة مشهورة تقال في مثل هذه الحالة وهي مما جرى المثل كما يقال أيضا سمع وطاعة بالرفع وسمعا وطاعة بالنصب. وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى: ﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾ في سورة النساء. وفي حديث أبي هريرة قال النبي للأنصار: "تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة" . فقال الأنصار: سمعنا وأطعنا.

و ﴿قول المؤمنين﴾ خبر ﴿كان﴾ و ﴿أن يقولوا﴾ هو اسم كان وقدم خبر كان على اسمها متابعة للاستعمال العربي لأنهم إذا جاءوا بعد كان بأن والفعل لم يجيئوا بالخبر إلا مقدما على الاسم نظرا إلى كون المصدر المنسبك من أن والفعل أعرف من المصدر الصريح، ولم يجيئوا بالخبر إلا مقدما كراهية توالي أداتين وهما: كان وأن. ونظائر هذا الاستعمال كثيرة في القرآن. وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ في سورة آل عمران.

وجيء في وصف المؤمنين بالفلاح بمثل التركيب الذي وصف به المنافقون بالظلم بصيغة القصر المؤكد ليكون الثناء على المؤمنين ضدا لمذمة المنافقين تاما.

واعلم أن القصر المستفاد من إنما هنا قصر إفراد لأحد نوعي القول. فالمقصود منه الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكروه. وفيه تعريض بالمنافقين إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بضدها من كلمات الإعراض **والارتياب**. ونظير هذه الآية في طريق قصر بإلا قوله تعالى: ﴿وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ في سورة آل عمران.

[٥٢] ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون﴾

الواو اعتراضية أو عاطفة على جملة ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ . والتقدير: وهم الفائزون. فجاء نظم الكلام على هذا الإطناب ليحصل تعميم الحكم والمحكوم عليه. وموقع هذه الجملة موقع تذييل لأنها تعم ما ذكر قبلها من قول المؤمنين ﴿سمعنا وأطعنا﴾ وتشمل غيره من الطاعات بالقول أو بالفعل.

ومن شرطية عامة، وجملة ﴿فأولئك﴾ جواب الشرط. والفوز: الظفر بالمطلوب." (١)

"هذا القرآن الذي جاء به هو مما كان يتلوه من قبل.

﴿ولا تخطه﴾ أي لا تكتب كتابا ولو كنت لا تتلوه، فالمقصود نفي حالتي التعلم، وهما التعلم بالقراءة والتعلم بالكتابة استقصاء في تحقيق وصف الأمية فإن الذي يحفظ كتابا ولا يعرف يكتب لا يعد أميا كالعلماء العمي، والذي يستطيع أن يكتب ما يلقى إليه ولا يحفظ علما لا يعد أميا مثل النساخ فبانتفاء التلاوة والخط تحقق وصف الأمية.

و ﴿إذن﴾ جواب وجزاء لشرط مقدر ب ﴿لو﴾ لأنه مفروض دل عليه قوله ﴿وما كنت تتلو﴾ ﴿ولا تخطه﴾ . والتقدير: لو كنت تتلو قبله كتابا أو تخطه لارتاب المبطلون. ومجيء جواب ﴿إذن﴾ مقترنا باللام التي يغلب اقتران جواب ﴿لو﴾ بها دليل على أن المقدر شرط ب ﴿لو﴾ كما في قول قريط العنبري:

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ١٨/ ٢٢٠

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا

إذن لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا

قال المرزوقي في (شرح الحماسة) وفائدة (إذن) هو أنه أخرج البيت الثاني مخرج جواب قائل قال له: ولو استباحوا إبلك ماذا كان يفعل بنو مازن؟ فقال:

إذن لقام بنصري معشر خشن

ويجوز أن يكون أيضا: إذن لقام، جواب (لو) كأنه أجيب بجوابين. وهذا كما تقول: لو كنت حرا لاستقبحت ما يفعله العبيد إذن لاستحسنت ما يفعله الأحرار اهـ. يعني يجوز أن تكون جملة: إذن لقام، بدلا من جملة: لم تستبح. وقد تقدم الكلام على نظيره في قوله تعالى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ في ﴿سورة المؤمنين: ٩١]. **والارتياب**: حصول الريب في النفس وهو الشك.

ووجه التلازم بين التلاوة والكتابة المتقدمين على نزول القرآن، وبين حصول الشك في نفوس المشركين أنه لو كان ذلك واقعا لاحتمل عندهم أن يكون القرآن من جنس ما كان يتلوه من قبل من كتب سالفة وأن يكون مما خطه من قبل من كلام تلقاه فقام اليوم بنشره ويدعو به. وإنما جعل ذلك موجب ريب دون أن يكون موجب جزم بالتكذيب لأن نظم القرآن وبلاغته وما احتوى عليه من المعاني يبطل أن يكون من نوع ما سبق من الكتب والقصص والخطب والشعر، ولكن ذلك لما كان مستدعيا تأملا لم يمنع من خطور خاطر **الارتياب** على الإجمال قبل إتمام النظر والتأمل بحيث يكون دوام **الارتياب** بهتانا ومكابرة.." (١)

"عقب بقوله: ﴿وهو العزيز﴾ إن العزيز المطلق هو الذي يغلب كل مغالب له، وعقبه بـ ﴿الرحيم﴾ للإشارة إلى أن عزته تعالى لا تخلو من رحمة بعباده ولولا رحمته لما أدال للمغلوب دولة على غالبه مع أنه تعالى هو الذي أراد غلبة الغالب الأول، فكان الأمر الأول بعزته والأمر الثاني برحمته للمغلوب المنكوب وترتيب الصفتين العليتين منظور فيه لمقابلة كل صفة منهما بالذي يناسب ذكره من الغلبين، فالمراد رحمته في الدنيا.

[٦، ٧] ﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون [٦] يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [٧]﴾.

انتصب ﴿وعد الله﴾ على المفعولية المطلقة. وهذا من المفعول المطلق المؤكد لمعنى جملة قبله هي بمعناه ويسميه النحويون مصدرا مؤكدا لنفسه تسمية غريبة يريدون بنفسه معناه دون لفظه. ومثله في "الكشاف" ومثلوه بنحو "لك علي ألف عرفا" لأن عرفا بمعنى اعترافا، أكد مضمون جملة: لك علي ألف، وكذلك ﴿وعد الله﴾ أكد مضمون جملة ﴿في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ . [الروم: ٣، ٤].

وإضافة الوعد إلى الله تلويح بأنه وعد محقق الإيفاء لأن وعد الصادق القادر الغني لا موجب لإخلافه.

وجملة ﴿لا يخلف الله وعده﴾ بيان للمقصود من جملة ﴿وعد الله﴾ فإنها دلت على أنه وعد محقق بطريق التلويح، فبين

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ١٨٥/٢٠

ذلك بالصريح بجملة ﴿لا يخلف الله وعده﴾ . ولكونها في موقع البيان فصلت ولم تعطف، وفائدة الإجمال ثم التفصيل تقرير الحكم لتأكيده، ولما في جملة ﴿لا يخلف الله وعده﴾ من إدخال الروع على المشركين بهذا التأكيد. وسماه وعدا نظرا لحال المؤمنين الذي هو أهم هنا. وهو أيضا وعيد للمشركين بخذلان أشياعهم ومن يفتخرون بمماثلة دينهم.

وموقع الاستدراك في قوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ هو ما اقتضاه الإجمال. وتفصيله من كون ذلك أمرا لا **ارتياب** فيه وأنه وعد الله الصادق الوعد القادر على نصر المغلوب فيجعله غالبا، فاستدرك بأن مراهنة المشركين على عدم وقوعه نشأت عن قصور عقولهم فأحالوا أن تكون للروم بعد ضعفهم دولة على الفرس الذين قهروهم في زمن قصير هو بضع سنين ولم يعلموا أن ما قدره الله أعظم.

فالمراد ب ﴿أكثر الناس﴾ ابتداء المشركون لأنهم سمعوا الوعد وراهنوا على عدم." (١)

"بوقوعه. فكان الشك فيه جديرا بالاقتلاع فكأنه معدوم. وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الكهان "ليسوا بشيء" مع أنهم موجودون فأراد أنهم ليسوا بشيء حقيق، وقد تقدم عند قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ في سورة البقرة.[٢]

وعطف ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ على قوله ﴿لا ريب فيه﴾ أي ولكن **ارتياب** كثير من الناس فيه لأنهم لا يعلمون دلائل وقوعه.

[٢٧-٢٩] ﴿ ولله ملك السماوات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾

﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾

اعتراض تذييل لقوله ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم﴾ [الجاثية: ٢٦] أي لله لا لغيره ملك السماوات والارض، أي فهو المتصرف في أحوال ما حوته السماوات والأرض من إحياء وإماتة، وغير ذلك بما أوجد من أصولها وما قدر من أسبابها ووسائلها فليس للدهر تصرف ولا لما سوى الله تعالى. وتقديم المجرور على المسند إليه لإفادة التخصيص لرد معتقدهم من خروج تصرف غيره في بعض ما في السماوات والأرض كقولهم في الدهر.

﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾

لما جرى ذكر يوم القيامة أعقب بإنذار الذين أنكروه من سوء عاقبتهم فيه.

و ﴿المبطلون﴾ : الآتون بالباطل في معتقداتهم وأقوالهم وأعمالهم إذ الباطل ما ضاد الحق. والمقصود منه ابتداء هنا هو الشرك بالله فإنه أعظم الباطل ثم تجيء درجات الباطل متنازلة وما من درجة منها إلا وهي خسارة على فاعلها بقدر فعلته وقد أنذر الله الناس وهو العليم بمقادير تلك الخسارة.

﴿ويوم تقوم الساعة﴾ ظرف متعلق ب ﴿يخسر﴾ ، وقدم عليه للاهتمام به واسترعاء الأسماع لما يرد من وصف أحواله.

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ١٣/٢١

و ﴿يومئذ﴾ توكيد ل ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ وتنوينه عوض عن المضاف إليه المحذوف لدلالة ما أضيف إليه يوم عليه، أي يوم إذ تقوم الساعة يخسر المبطلون فالتأكيد بتحقيق." (١)

"قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا، ليتوافق المستدرك عنه والاستدراك بحسب النظم المتعارف في المجادلات، فعدل عن الظاهر إلى هذا النظم لأن فيه صراحة بنفي الإيمان عنهم فلا يحسبوا أنهم غالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واستغني بقوله ﴿لم تؤمنوا﴾ عن أن يقال لا تقولوا آمنا، لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن الإعلان بالإيمان لأنهم مطالبون بأن يؤمنوا ويقولوا آمنا قولا صادقا لا كاذبا فقيل لهم ﴿لم تؤمنوا﴾ تكذيبا لهم مع عدم التصريح بلفظ التكذيب ولكن وقع التعريض لهم بذلك بعد في قوله ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ إلى قوله ﴿ أولئك هم الصادقون﴾ أي لا أنتم ولذلك جيء بالاستدراك محمولا على المعنى.

وعدل عن أن يقال: ولكن أسلمتم إلى ﴿قولوا أسلمنا﴾ تعريضا بوجوب الصدق في القول ليطابق الواقع، فهم يشعرون بأن كذبهم قد ظهر، وذلك مما يتعير به، أي الشأن أن تقولوا قولا صادقا.

وقوله ﴿ولما يدخل الأيمان في قلوبكم﴾ واقع موقع الحال من ضمير ﴿لم تؤمنوا﴾ وهو مبين لمعنى نفي الإيمان عنهم في قوله ﴿لم تؤمنوا﴾ بأنه ليس انتفاء وجود تصديق باللسان ولكن انتفاء رسوخه وعقد القلب عليه إذ كان فيهم بقية من ارتياب كما أشعر به مقابلته بقوله ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾

واستعير الدخول في قوله ﴿ولما يدخل الأيمان في قلوبكم﴾ للتمكن وعدم التزلزل لأن الداخل إلى المكان يتمكن ويستقر بالخارج عنه يكون سريع المفارقة له مستوفزا للانصراف عنه.

و"لما" هذه أخت "لم" وتدل على أن النفي بها متصل بزمان التكلم وذلك الفارق بينها وبين "لم" أختها. وهذه الدلالة على استمرار النفي إلى زمن المتكلم تؤذن غالبا، بأن المنفي بها متوقع الوقوع. قال في الكشاف وما في "لما" من معنى التوقع دالا على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد.

وهي دلالة من مستتبعات التراكيب. وهذا من دقائق العربية. وخالف فيه أبو حيان، والزمخشري حجة في الذوق لا يدانية أبو حيان، ولهذا لم يكن قوله ﴿ولما يدخل الأيمان في قلوبكم﴾ تكريرا مع قوله ﴿لم تؤمنوا﴾ .." (٢)

"وقوله ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا﴾ إرشاد إلى دواء مرض الحال في قلوبهم من ضعف الإيمان بأنه إن يطيعوا الله ورسوله حصل إيمانهم فإن مما أمر الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بيان عقائد الإيمان بأن يقبلوا على التعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة إقامتهم بالمدينة عوضا عن الاشتغال بالمن والتعريض بطلب الصدقات.

ومعنى ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم، يقال: لاته مثل باعه. وهذا في لغة أهل الحجاز وبني أسد، ويقال: ألته ألتا مثل: أمره، وهي لغة غطفان قال تعالى ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ في سورة الطور [٢١].

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٣٨١/٢٥

(٢) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢١/٢٦

وقرأ بالأولى جمهور القراء وبالثانية أبو عمرو ويعقوب. ولأبي عمرو في تحقيق الهمزة فيها وتخفيفها ألفا روايتان فالدوري روى عنه تحقيق الهمزة والسوسي روى عنه تخفيفهما.

وضمير الرفع في ﴿يلتكم﴾ عائد إلى اسم الله ولم يقل: لا يلتاكم بضمير التثنية لأن الله هو متولي الجزاء دون الرسول صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: إن أخلصتم الإيمان كما أمركم الله ورسوله تقبل الله أعمالكم التي ذكرتم من أنكم جئتم طائعين للإسلام من غير قتال.

وجملة ﴿إن الله غفور رحيم﴾ استئناف تعليم لهم بأن الله يتجاوز عن كذبهم إذا تابوا، وترغيب في إخلاص الإيمان لأن الغفور كثير المغفرة شديدها، ومن فرط مغفرته أنه يجازي على الأعمال الصالحة الواقعة في حالة الكفر غير معتد بها فإذا آمن عاملها جوزي عليها بمجرد إيمانه وذلك من فرط رحمته بعباده.

وترتيب ﴿رحيم﴾ بعد ﴿غفور﴾ لأن الرحمة أصل للمغفرة وشأن العلة أن تورد بعد المعلل بها.

[١٥] ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾

هذا تعليل لقوله ﴿لم تؤمنوا﴾ إلى قوله ﴿في قلوبكم﴾ وهو من جملة ما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقوله للأعراب، أي ليس المؤمنون إلا الذين آمنوا ولم يخالط إيمانهم ارتياب أو تشكك.." [١]

"و"إنما" للحصر، و"إن" التي هي جزء منها أيضا للتعليل وقائمة مقام فاء التفريع، أي إنما لم تكونوا مؤمنين لأن الإيمان ينافيه الارتياب.

والقصر إضافي، أي المؤمنون الذين هذه صفاتهم غير هؤلاء الأعراب.

فأفاد أن هؤلاء الأعراب انتفى عنهم الإيمان لأنهم انتفى عنهم مجموع هذه الصفات.

وإذ قد كان القصر إضافيا لم يكن الغرض منه إلا إثبات الوصف لغير المقصور لإخراج المتحدث عنهم عن أن يكونوا مؤمنين، وليس بمقتض أن حقيقة الإيمان لا تتقوم إلا بمجموع تلك الصفات لأن عد الجهاد في سبيل الله مع صفتي الإيمان وانتفاء الريب فيه يمنع من ذلك لأن الذي يقعد عن الجهاد لا ينتفي عنه وصف الإيمان إذ لا يكفر المسلم بارتكاب الكبائر عند أهل الحق. وما عداه خطأ واضح، وإلا لانتقضت جامعة الإسلام بأسرها إلا فئة قليلة في أوقات غير طويلة.

والمقصود من إدماج ذكر الجهاد التنويه بفضل المؤمنين المجاهدين وتحريض الذين دخلوا في الإيمان على الاستعداد إلى الجهاد كما في قوله تعالى ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح: من الآية١٦] الآية.

و"ثم" من قوله ﴿ثم لم يرتابوا﴾ للتراخي الرتبي كشأنها في عطف الجمل. ففي "ثم" إشارة إلى أن انتفاء الارتياب في إيمانهم أهم رتبة من الإيمان إذ به قوام الإيمان، وهذا إيماء إلى بيان قوله ﴿ولما يدخل الأيمان في قلوبكم﴾ [الحجرات: من الآية١٤] أي من أجل ما يخالجكم ارتياب في بعض ما آمنتم به مما اطلع الله عليه.

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢٢/٢٦

وقوله ﴿أولئك هم الصادقون﴾ قصر، وهو قصر إضافي أيضا، أي هم الصادقون لا أنتم في قولكم ﴿آمنا﴾ .

[١٦] ﴿قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم﴾ أعيد فعل ﴿قل﴾ ليدل على أن المقول لهم هذا هم الأعراب الذين أمر أن يقول لهم ﴿لم تؤمنوا﴾ إلى آخره، فأعيد لما طال الفصل بين القولين بالجمل المتتابعة، فهذا متصل بقوله ﴿ولما يدخل الأيمان في قلوبكم﴾ اتصال البيان بالمبين، ولذلك لم تعطف جملة الاستفهام.." (١)

"أشياء على مقدار معين مناسب لما جعل لأجله كقوله تعالى: ﴿وقدر في السرد﴾ في سورة سبأ[١١].

[٤، ٥] ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا﴾ .

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ .

عطف على قوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق:١] فإن العدة هنالك أريد بها الإقراء فأشعر ذلك أن تلك المعتدة ممن لها أقراء، فبقي بيان اعتداد المرأة التي تجاوزت سن المحيض أو التي لم تبلغ سن من تحيض وهي الصغيرة. وكلتاهما يصدق عليها أنها آيسة من المحيض، أي في ذلك الوقت.

والوقف على قوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ ، أي هن معطوفات على الآيسين.

واليأس: عدم الأمل. والمأيوس منه في الآية يعلم من السياق من قوله: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق:١]، أي يئسن من المحيض سواء كان اليأس منه بعد تعدده أو كان بعدم ظهوره، أي لم يكن انقطاعه لمرض أو إرضاع. وهذا السن يختلف تحديده باختلاف الذوات والأقطار كما يختلف سن ابتداء الحيض كذلك. وقد اختلف في تحديد هذا السن بعدد السنين فقيل: ستون سنة، وقيل: خمس وخمسون، وترك الضبط بالسنين أولى وإنما هذا تقريب لإبان اليأس.

والمقصود من الآية بين وهي مخصصة لعموم قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ من سورة البقرة[٢٢٨]. وقد نزلت سورة الطلاق بعد سورة البقرة.

وقد خفي مفاد الشرط من قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ وما هو متصل به. وجمهور أهل التفسير جعلوا هذا الشرط متصلا بالكلام الذي وقع هو في أثنائه، وإنه ليس متصلا بقوله: ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ [الطلاق:١] في أول هذه السورة خلافا لشذوذ تأويل بعيد وتشتيت لشمل الكلام، ثم خفي المراد من هذا الشرط بقوله ﴿إن ارتبتم﴾ .

وللعلماء فيه طريقتان:

الطريقة الأولى: مشى أصحابها إلى أن مرجع اليأس غير مرجع **الارتياب** باختلاف." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٢٣/٢٦

(٢) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٨٣/٢٨

"المتعلق، فروى أشهب عن مالك أن الله تعالى لما بين عدة ذوات القروء وذوات الحمل، أي في سورة البقرة، وبقيت اليائسة والتي لم تحض ارتاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أمرهما فنزلت هذه الآية. ومثله مروي عن مجاهد، وروى الطبري حبرا عن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اعتداد هاتين اللتين لم تذكرا في سورة البقرة، فنزلت هذه الآية. فجعلوا حرف ﴿إن﴾ بمعنى إذ وأن الاتياب وقع في حكم العدة قبل نزول الآية، أي إذ ارتبتم في حكم ذلك فبيناه بهذه الآية قال ابن العربي: حديث أبي غير صحيح. وأنا أقول: رواه البيهقي في سننه والحاكم في المستدرك وصححه . والطبراني بسنده عن عمرو بن سالم أن أبيا قال: وليس في رواية الطبري ما يدل على إسناد الحديث.

وهو في رواية البيهقي بسنده إلى أبي عثمان عمر بن سالم الأنصاري١ عن أبي بن كعب وهو منقطع، لأن أبا عثمان لم يلق أبي بن كعب وأحسب أنه في مستدرك الحاكم كذلك لأن البيهقي رواه عن الحاكم فلا وجه لقول ابن العربي: هو غير صحيح. فإن رجال سنده ثقات.

وفي أسباب النزول للواحدي عن قتادة أن خلاد٢ بن النعمان وأبيا سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية. وقيل: إن السائل معاذ بن جبل سأل عن عدة الآيسة.

فالريبة على هذه الطريقة تكون مرادا بها ما حصل من التردد في حكم هؤلاء المطلقات فتكون جملة الشرط معترضة بين المبتدإ وهو الموصول وبين خبره وهو جملة ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ .

والفاء في ﴿فعدتهن﴾ داخلة على جملة الخبر لما في الموصول من معنى الشرط مثل قوله تعالى: ﴿والذان يأتيانها منكم فآذوهما﴾ [النساء: ١٦] ومثله كثير في الكلام.

والارتياب على هذا قد وقع فيما مضى فتكون ﴿إن﴾ مستعملة في معنى اليقين بلا نكتة.

والطريقة الثانية: مشى أصحابها إلى أن مرجع اليأس ومرجع الاتياب واحد، وهو حالة المطلقة من المحيض، وهو عن عكرمة وقتادة وابن زيد وبه فسر يحيى بن بكير

ـ

١ هو قاضي مرو، وروى عن القاسم بن محمد.

٢ خلاد بخاء معجمة في أوله ابن النعمان الأنصاري. قال في الإصابة : لم يذكر إلا في تفسير مقاتل.." [(١)]

"وإسماعيل بن هاد من المالكية ونسبه ابن لبابة من المالكية إلى داود الظاهري.

وهذا التفسير يمحض أن يكون المراد من الارتياب حصول الريب في حال المرأة.

وعلى هذا فجملة الشرط وجوابه خبر عن ﴿اللائي يئسن﴾ ، أي إن ارتبن هن وارتبتم أنتم لأجل ارتيابهن، فيكون ضمير جمع الذكور المخاطبين تغليبا ويبقى الشرط على شرطيته. والارتياب مستقبل والفاء رابطة للجواب.

وهذا التفسير يقتضي أن يكون الاعتداد بثلاثة أشهر مشروطا بأن تحصل الريبة في يأسها من المحيض فاصطدم أصحابه بمفهوم الشرط الذي يقتضي أنه إن لم تحصل الريبة في يأسهن أنهن لا يعتددن بذلك أو لا يعتددن أصلا فنسب ابن لبابة

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٨/٢٨٤

من فقهاء المالكية إلى داود الظاهري أنه ذهب إلى سقوط العدة عن المرأة التي يوقن أنها يائسة.
قلت ولا تعرف نسبة هذا إلى داود. فإن ابن حزم: لم يحكه عنه ولا حكاه أحد ممن تعرضوا لاختلاف الفقهاء، قال ابن لبابة: وهو شذوذ، وقال ابن لبابة: وأما ابن بكير وإسماعيل بن جماد، أي من فقهاء المالكية فجعلا المرأة المتيقن يأسها ملحقة بالمرتابة في العدة بطريق القياس يريد أن العدة لها حكمتان براءة الرحم، وانتظار المراجعة، وأما الذين لا يعتبرون مفهوم المخالفة فهم في سعة مما لزم الذين يعتبرونه.
وأصحاب هذا الطريق مختلفون في الوجهة وفي محمل الآية بحسبها: فقال عكرمة وابن زيد وقتادة: ليس على المرأة المرتاب في معودة الحيض إليها عدة أكثر من ثلاثة أشهر تعلقا بظاهر للآية ولعل علة ذلك عندهم أن ثلاثة الأشهر يتبين فيها أمر الحمل فإن لم يظهر حمل بعد انقضائها تمت عدة المرأة، لأن الحمل بعد سن اليأس نادر فإذا اعترتها ريبة الحمل انتقل النظر إلى حكم الشك في الحمل وتلك مسألة غير التي نزلت في شأنها الآية.
وقال الأكثرون من أهل العلم: إن المرتاب في]أسها تمكث تسعة أشهر أي أمد الحمل المعتاد فإن لم يظهر بها حمل ابتدأت الاعتداد بثلاثة أشهر فتكمل لها سنة كاملة. وأصل ذلك ما رواه سعيد بن المسيب من قضاء عمر بن الخطاب ولم يخالف أحد من الصحابة، وأخذ به مالك. وعن مالك في المدونة : تسعة أشهر للريبة والثلاثة الأشهر هي العدة. ولعلهم رأوا أن العدة بعد مضي التسعة الأشهر تعبد لأن ذلك هو الذي في القرآن وأما التسعة الأشهر فأوجبها عمر بن الخطاب لعله بالاجتهاد، وهو تقييد للإطلاق." (١)
"الذي في الآية.
وقال النخعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة الشافعي: تعتد المرتاب في يأسها بالإقراء أي تنتظر الدم إلى أن يبلغ سن من لا يشبه أن تحيض ولو زادت مدة انتظارها على تسعة أشهر. فإذا بلغت سن اليأس دون ريبة اعتدت بثلاثة أشهر من يومئذ. ونحن نتأول له بأن تقدير الكلام: فعدتهن ثلاثة أشهر، أي بعد زوال **الارتياب** كما سنذكره، وهو مع ذلك يقتضي أن هذه الثلاثة الأشهر بعد مضي تسعة أشهر أو بعد مضي مدة تبلغ بها سن من لا يشبه أن تحيض تعبد، لأن انتفاء الحمل قد اتضح وانتظار المراجعة قد امتد. إلا أن نعتذر لهم بأن مدو الانتظار لا يتحفز في خلالها المطلق للرأي في أمر المراجعة لأنه في سعة الانتظار فيزاد في المدة لأجل ذلك، وفي تفسير القرطبي: قال عكرمة وقتادة: من الريبة المرأة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض في أول الشهر مرارا، وفي الأشهر مرة أي بدون انضباط اهـ. ونقل الطبري مثل هذا الكلام عن الزهري وابن زيد، فيجب أن يصار إلى هذا الوجه في تفسير الآية. والمرأة إذا قاربت وقت اليأس لا ينقطع عنها الحيض دفعة واحدة بل تبقى عدة أشهر ينتابها الحيض غبا بدون انتظام ثم ينقطع تماما.
وقوله تعالى: ﴿واللائي لم يحضن﴾ عطف على ﴿واللائي يئسن﴾ والتقدير: عدتهن ثلاثة أشهر. ويحسن الوقف على قوله: ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ .
﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٨/٢٨٥

معطوفة على جملة ﴿واللائي لم يحضن﴾ فهي إتمام العدة المجمل في قوله تعالى: ﴿وأحصوا العدة﴾ وتقدير الكلام: وأولات الأحمال منهن، أي من المطلقات أجلهن أن يضعن حملهن.

فحصل بهذه الآية مع التي قبلها تفصيل لأحوال المطلقات وحصل أيضا منها بيان الإجمال الآية التي في سورة البقرة.

﴿وأولات﴾ اسم جمع لذات بمعنى: صاحبة. وذات: مؤنث ذو، بمعنى: صاحب. ولا مفرد ل ﴿أولات﴾ من الفظه كما لا مفرد للفظ "أولو" و ﴿أولات﴾ مثل ذوات كما أن أولو مثل ذوو. ويكتب ﴿أولات﴾ بواو بعد الهمزة في الرسم تبعا لكتابة لفظ "أولو" بواو بعد الهمزة لقصد التفرقة في الرسم بين أولي في حالة النصب والجر وبين حرف "إلى". وليتهم قصروا كتابته بواو بعد الهمزة على لفظ أولي المذكر المنصوب أو." (١)

"والاعلام **الارتياب**) (٤٢٢) الخواطر والأفهام، ثم اتبع ذلك بتسليته عليه السلام بالقصمالو(قعة بعد تنشيطا له ؤلعريفا وبعلو) (٠٢٣) منصبه، واطلاعا له على عجيب صنعه تعالى فيمن تقدم، وثم) (٤٢٤) ختمت السورة بذكر أهل القيامة وبعض ما بين يديها والإشارة إلى الجزاء ونجاة الآمنين، وتهديد من تنكب عن سبيله عليه السلام.

سورة ا أة ص مر (؟٤٢)

لا تضمن قوله سبحانه: (٩ئما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي

حرمها وله كل شكل عهده إلى آخر السورة (١ فل: ٩١-٩٣) من التخويف والترهيب والإنذار والتهديد ما انجر معه الأشعار بأنه عليه السلام سيملك مكة ويفتحها تعالى عليه، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم، ويعز أتباع رسوله عليه السلام ومن ان، ت ص سعة*٤ قريش من الآمنين، اتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من نظير ما

(٤٢٢) ب: ارتباك.

(٤٢٣) ب: بعدما.

(٤٢٤) ب: ساقطة.

(٤٢٣) هذه السورة مكية في جمتها!ميل عن بعضها نزل في تمت الهجرة والنبط صلى الله عليه وسلم متجه إلى المدينة، يا ط خاتمة الط!صين، وموضوع الطويين التي شقتها هي بشكل عام أقامة الحجة على رسالة الرسول صلى الله

عليه وسلم يصدق نبهه، وفي هذه السورة أمان رئيسيان: أولا

١- تفصيل قصة موسى عليه والسلام التنذكرت مجملة في السورتين السابقتين ممفأيهرت يك له في فترة حاول فرعون يرمز الظلمة من يذبح كل مولي ذكر قصدا منه إطفاء جذبه الحق التي تحرق الباطل وأشيعه، ثم شباب مومي وخروجه س قومه في بلاد الله الواسعة، ثم في به رسولا نبيا مبلغا و!موفه في وجه الباطل بديله ي!يلمانه و(نتصاره في النهاية فباته !كلرق عدا!و.

٢- قصة قاسين ينهون بالاس، يطغيان أصحابه، يميل النفوس إلى زخارفه كيف كانت نتيجة ذلك يمي تفصيل

(١) التحرير والتنوير، المؤلف غير معروف ٢٨/٢٨٦

لقوله تعالى في السورة السابقة: تل سهر(في اكرم فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين،.

يتضمن هذين الهض!ين هنا سبب از(ف العرب عن دعم الرسول صلى الله عليه وسلم فهم أصحاب." [1]

"وأيضا فإنه لما قيل له: "بلهه) طابق هذا ذكره بالرسالة، فإن المبلغ رسول

والرسول مبلغ ولا يلزم النبط أن يبلغ إلا أن يرسل، وأما قوله تعالى: "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر" والمائدة: ٤١) فأمره وأن كان نهيا أوضح من الأول لأنه تسلية له عليه السلام وتأسيس (٥٠٨) "وأمر بالصبر والرفق بنفسه، فقتله (٥٩ ود راجع إلى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب وعلى ما أشير إليه يخرج ما ورد من هذا.

ولما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه من أعلامه عليه السلام من

هذا الأمر بعلى حاله ومزية قدره، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه في واضع:

منها إعلامه تعالى بأن أفواج نبيه أمهات للمؤمنين (١٥ ود فنزههن عن أن

يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن و!ك!ا وإجلالا لنبيه ! هطولا. ومنها قوله تعالى: "ولما رأى المؤمنون الأحزاب.... الآية بآية: ٢٢)

فنزههم لم عن تطرق سوء أو دخول **ارتياب** على مصون معتقداتهم وجليل إيمانهم "قالو(هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما" لآية: ٢٢) والآية بعد كذلك وهو قوله تعالى: "من المؤمنين رجال صد قو(١٠٠٠٠ لآية " وآية.: ٢٣).

ومنها "يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء أن اتقيتن " لآية: ٣٢)

فنزههن تعالى وبين شرفهن على من عداهن.

ومنها تنزيه أهل البيت وتكرمتهم "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ريطهرم (٥١١) ..... الآية" لآية: ٣٣).

(٥٠٨) !: ق!أسيحر.

(٥٠٩) أ: فبابه.

(٥٠٩) ب: المهمين.

(٥١١) ويطهره ساقطة س: !.

- ٢٨١-." [2]

"الخصوص منهم والشر،، ثم أحيل من تمسك بهم ورتبهم مختلفة، وإن جمعهم جامع وهو قوله: "فريق في الجنة،، وأما أهل التنكر عن هذه الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات أيضاً ويضم جميعهم طريق و(حد، فكيف ما تشعبت الطرق فإلى ما ذكر من الطريقين مرجعهما وباختلاف ممثل الجميع عرفت آي الكتاب وفصلت ذكره والقرب من أحوال من تمسك

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٣٣٦

(٢) البرهان في تفسير سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٣٥٧

منهم ورتبهم مختلفة، وأن جمعهم جامع وهو قوله: "فريق في الجنة"، وأما أهل التنكر عن هذه الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات ألما، ويضم جميعهم طريق واحد، فكيف ما تشعبت الطرق فالي ما ذكر من الطريقين مرجعهما وباختلاف سبل الجميع عرفت آمم! الكتاب وفصلت ذكره خطه تفصيلا لا يبقى معه ارتياب لمن وفق، فلمما انتهى ذلك كله بما يتعلق به، وتداولت بيانه الآمط من لدن قوله بعد أم القرآن "هدى للمتقين " والبقرة: ٢) إلى قوله: "أن شانئك هو الأبتر" والكوثر: ٣) أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى: "قل يل أيها الكافرون " لآية: أن فبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر والمصفاة عليه لا سبيل إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه ألايمان أبدا "ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل ش!طء قبلا ما كانوا ليومن!ا إلا أن يشاء الله "كالانعام: ١١١).

= أما سبب تأخهما إلى هذا المرضع فقد أبدى فيه المصنف رحمه الله نظر عجيبا.

يدا ظهر لي من مناسبتا أنه لما تقدم ما أعطاه الله تعالى لنبيه من الخير الكثير، يمن الخالدة للمنافقين والكافرين، في السورة السابقة جاعل هذه السيرة لتعلن للكافرين أنه لا مساومة، ولا مداهنة، فلكم طريقكم ولي طريقي، حمد عقدت بعض معالمه في لا الكوثر، وأبرزها الصلاة، لمذا قال عليه الصلاة والسلام !!بين الرجل والكفر ترك الصلاة له.." (١)

"﴿... هدى للمتقين﴾ قلت : ﴿هدى﴾ خبر عن مبتدأ مضمر ، أو مبتدأ بتقديم الخبر. أي : هو هاد للمتقين ، أو فيه الهدى لهم. والهدى : هو الإرشاد والبيان ، ومعناه : الدلالة الموصلة إلى الحق. والمتقي : من جعل بينه وبين مقت الله وقاية ، وله ثلاث درجات :

* حفظ الجوارح من المخالفات ،

* وحفظ القلوب من المساوئ والهفوات ،

* وحفظ السرائر من الوقوف مع المحسوسات ،

فالأولى لمقام الإسلام ، وإليه توجه الخطاب بقوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن : ١٦] ، والثانية لمقام الإيمان ، وإليه توجه الخطاب بقوله : ﴿فاتقوا الله يأولي الألباب﴾ [المائدة : ١٠٠] ، والثالثة لمقام الإحسان ، وإليه توجه الخطاب بقوله : ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران : ١٠٢].

يقول الحق جل جلاله : ﴿ذلك الكتاب﴾ الذي لا يقرب ساحته شك ولا ارتياب ، هو عين الهداية لأهل التقى من ذوي الألباب ، فلا يزالون يترقون به في المقامات والأحوال حتى يسمعوه من الكبير المتعال ، بلا واسطة تبليغ ولا إرسال ، قد انمحت في حقهم الرسوم والأشكال ، وهذه غاية الهداية ، وتحقيق سابق العناية.

قال جعفر الصادق : (والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يشعرون).

وقال أيضا - وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه ، فلما سري عنه ، قيل له في ذلك فقال : (ما زلت أرددت الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته).

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٢

(١) البرهان في تفسير سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٥٣٢

فدرجات القراءة ثلاث :

أدناها : أن يقرأ العبد كانه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه ، وهو ناظر له ومستمع منه ، فيكون حاله السؤال والتملق والتضرع والابتهال.

والثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يخاطبه بألفاظه ، ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم ، والإصغاء والفهم.." (١)

"يقول الحق جل جلاله : مثل هؤلاء المنافقين من اليهود ﴿كمثل﴾ رجل في ظلمة ، تائه في الطريق ، فاستوقد نارا ليبصر طريق ، فاستوقد نارا ليبصر طريق القصد ﴿فلما﴾ اشتغلت و ﴿أضاءت ما حوله﴾ فأبصر الطريق ، وظهرت له معالم التحقيق ، أطفأ الله تلك النار وأذهب نورها ، ولم يبق إلا جمرها وحرها. كذلك اليهود كانوا في ظلمة الكفر والمعاصي ينتظرون ظهور نور النبي صلى الله عليه وسلم ويطلبونه ، فلما قدم عليهم ، وأشرقت أنواره بين أيديهم كفروا به ، فأذهب الله عنهم نوره ، ﴿وتركهم في ظلمات﴾ الكفر والشك والنفاق ، ﴿لا يبصرون﴾ ولا يهتدون ، ﴿صم﴾ عن سماع الحق ، ﴿بكم﴾ عن النطق به ﴿عمي﴾ عن رؤية نوره ، ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن غيهم ، ولا يقصرون عن ضلالتهم.

الإشارة : مثل من كان في ظلمات الحجاب قد أحاطت به الشكوك **والارتياب** ، وهو يطلب من يأخذ بيده ويهديه إلى طريق رشده ، فلما ظهرت أنوار العارفين ، وأحدقت به أسرار المقربين ، حتى أشرقت من نورهم أقطار البلاد ، وحيي بهم جل العباد ، أنكرهم وبعد منهم ، فتصامم عن سماع وعظهم ، وتباكم عن تصديقهم ، وعمي عن شهود خصوصيتهم ، فلا رجوع له عن حظوظه وهواه ، ولا انزجار له عن العكوف على متابعة دنياه ، مثله كمن كان في ظلمات الليل ضالا عن الطريق ، فاستوقد نارا لتظهر له الطريق ، فلما اشتعلت وأضاءت ما حوله أذهب الله نورها ، وبقي جمرها وحرها ، وهذه سنة ماضية : لا ينتفع بالولي إلا من كان بعيدا منه. وفي الحديث : " أزهد الناس في العالم جيرانه " ، وقد مثلوا الولي بالنهر الجاري كلما بعد جريه عم الانتفاع به ، ومثلوه أيضا بالنخلة لا تظل إلا عن بعد. والله تعالى أعلم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٢

". (٢)

"تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل

إذا رضي المحبوب صح لك الوصل

وقولوا عند دخولكم الحضرة : شأننا حطة ؛ أي : شأننا السفليات دون العلويات ، فالسلوك من باب السفليات واجب ، وإلا فلا وصول ، فكل من سلك من باب السفليات طهر من البقايا ، وتكاملت فيه المزايا ، فيصلح لدخول الحضرة ، وينخرط في سلك أهل الشهود والنظرة ، فيكون من المحسنين المقربين ، فلا جرم أن الله يزيده ترقيا في العلوم والأسرار ، في هذه الدار ، وفي تلك الدار ، بخلاف من خالف ما أمر به من سلوك طريق السفليات ، وتعاطي الأمور العلويات ، قبل

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٢/١

(٢) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٧/١

كمال التربية ؛ فإنه يجرع إلى غم الحجاب ، وسوء الحساب ؛ بسبب خروجه عن طريق الأحباب ، وسلوكه طريق أهل الغفلة والارتياب ، وبالله التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٨٩

قلت : ﴿استسقى﴾ : طلب السقي ، و " ال " في ﴿الحجر﴾ للعهد ، وهو الحجر الذي فر بثوبه ، أو حجر خفيف مربع مثل رأس الرجل ، أمر أن يحمله معه ، فكان يضعه في مخلاته ، فإذا احتاج الماء ضربه ، قيل : كان من رخام ، وقيل : كان كذان ، كان فيه اثنتا عشرة حفرة ، تنبع من كل حفرة عين ماء عذب ، على عدد الأسباط ، فإذا أراد حمله ضربه فجف الماء منه ، وقيل : للجنس ، فكان يضرب أي حجر وجد ، فتنفجر منه عيونا ، ثم تسير كل عين في جدول إلى سبط ، فقالوا : إن أفضينا إلى أرض لا حجارة فيها عطشنا ، فأوحى إليه : أن كلمه يطعك لعلهم يعتبرون.

و ﴿فانفجرت﴾ معطوف على محذوف ؛ أي : فضرب فانفجرت ، والعثو : أشد الفساد ، عثا يعثوا عثوا ، وعثى يعثي عثيا ، وعاث يعيث عيثا ، و ﴿مفسدين﴾ : حال مؤكدة لعاملها ، أو مقيدة ، إن قلنا : إن العثو أعم من الفساد ، لصدقه على القصاص ، فإنه عثر غير فساد. انظر البيضاوي.

٩٠

(١) ".

"﴿وإذا قيل﴾ لهؤلاء اليهود : ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ على محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ من التوراة ، وهم ﴿يكفرون بما وراءه﴾ أي : بما سواه ، وهو القرآن ، حال كونه ﴿مصدقا لما معهم﴾ من التوراة ومهيمنا عليه. ﴿قل﴾ لهم يا محمد : ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾ هذا الزمان ، وهو محرم عليكم في التوراة ، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ به ؟ فهذا يبطل دعواكم الإيمان بالتوراة ؛ إذ الإيمان بالكتاب يقتضي العمل به ، وإلا كان دعوى ، وإن فعله أسلافكم فأنتم راضون به وعازمون عليه.

الإشارة : اعلم أن قاعدة تفسير أهل الإشارة هي أن كل عتاب توجه لمن ترك طريق الإيمان ، وأنكر على أهله يتوجه مثله لمن ترك طريق مقام الإحسان ، وأنكر على أهله. وكل وعيد توعد به أهل الكفران يتوعد به من ترك السلوك لمقام الإحسان ، غير أن عذاب أهل الكفر حسي بدني ، وعذاب أهل الحجاب معنوي قلبي.

فنقول فيمن رضي بعيبه وأقام على مرض قلبه وأنكر الأطباء ووجود أهل التربية ، بئسما اشتروا به أنفسهم ، وهو كفرهم بما أنزل الله من الخصوصية على قلوب أوليائه بغيا وحسدا ، أو جهلا وسوء ظن ، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباؤوا بغضب الحجاب على غضب البعد والارتياب ، أو بغضب سقم القلوب على غضب الإصرار على المساوئ والعيوب. (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر) كما قال الشاذلي رضي الله عنه ، ولا يصح

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٩٧/١

التغلغل فيه إلا بصحبة أهله. وللكافرين بالخصوصية عذاب الطمع وسجن الأكوان ، وهما شجرة الذل والهوان.
١١١." (١)

"يقول الحق جل جلاله : ﴿قل﴾ يا محمد في عتابك لليهود : ﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾ السمعية والعقلية الدالة على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يدعوكم إليه من الإسلام ؟ ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ مطلع على سرها وجهرها ، فيجازيكم عليها ، فلا ينفعكم التحريف ولا الإسرار.
﴿يا أهل الكتاب لما تصدون﴾ عن طريق الله ﴿من آمن﴾ بها ، وتبع من جاء بها ، ﴿تبغونها عوجا﴾ أي : طالبين لها اعوجاجا ، بأن تلبسوا على الناس ، وتوهموا أن فيها عوجا عن الحق ، بزعمكم أن التوراة لا تنسخ ، وبتغيير صفة الرسول – عليه الصلاة والسلام ، أو بأن تحرشوا بين المسلمين ؛ لتختلف كلمتهم ، ويختل أمر دينهم ، وأنتم شهداء على أنها حق ، وأن الصد عنها ضلال ، أو : وأنتم عدول عند أهل ملتكم ، يثقون بأقوالكم ، ويستشهدونكم في القضايا ، ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ ؛ فلا بد ان يجازيكم على أعمالكم ، فإنه يمهل ولا يهمل.
كرر الخطاب والاستفهام مرتين ؛ مبالغة في التقريع ونفي العذر ، وإشعارا بأن كل واحد من الأمرين مستبح في نفسه ، مستقل باستجلاب العذاب. ولما كان المنكر عليهم في الآية الأولى : كفرهم ، وهم يجهرون به ، ختم بقوله : ﴿والله شهيد على ما تعملون﴾ ، ولما كان هذه الآية : صدهم المؤمنين عن الإسلام ، وكانوا يخفونه ويحتالون فيه ، قال : ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾. قاله البيضاوي.
الإشارة : كل من جحد وجود الخصوصية عند أهلها ، وصد القاصدين للدخول فيها ، استحق هذا العتاب بلا شك ولا **ارتياب**. والله تعالى أعلم.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٠
." (٢)

"﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾. وعبر بحرف الرجاء إيذانا بأن ترك الهجرة أمر خطير ، حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن ، ويترصد الفرصة ، ويعلق بها قلبه ، ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ فيعفو ويغفر لمن غلبه العذر. وبالله التوفيق.
الإشارة : كل من لم يتغلغل في علم الباطن ، مات ظالما لنفسه ، أي : باخسا لها ؛ لما فوتها من لذيذ الشهود ، ومعرفة الملك المعبود ، ولا يخلو باطنه من الإصرار على أمراض القلوب ، التي هي من أكبر الذنوب ، فإذا توفته الملائكة على هذه الحالة ، قالت له : فيم كنت حتى لم تهاجر إلى من يطهرك من العيوب ، ويوصلك إلى حضرة علام الغيوب ؟ فيقول : كنت من المستضعفين في علم اليقين ، ولم أقدر على صحبة أهل عين اليقين وحق اليقين ؛ حبسني عنهم حب الأوطان ، ومرافقة النساء والولدان. فيقال له : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجر فيها إلى من يخلصك من الحجاب ، وينفي عنك الشك **والارتياب** ؟ فلا جرم أن مأواه سجن الأكوان ، وحرمان الشهود والعيان ، إلا من أقر بوجود ضعفه ، واضطر إلى

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١/١٢٦
(٢) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١/٤٧٢

مولاه في تخليصه من نفسه ، فعسى ربه أن يعطف عليه ، فيوصله إلى عارف من أوليائه ، حتى يلتحق بأحبابه وأصفيائه ، وما ذلك على الله بعزيز.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٨٨

قلت : المراغم : المهرب والمذهب. قاله في القاموس. وقال البيضاوي : يجد متحولا ، من الرغام وهو التراب. وقيل : طريقا يراغم قومه بسلوكه فيها ، أي : يفارقهم على رغم أنوفهم ، وهو أيضا من الرغام.

". (١)

"ثم إن وقع **ارتياب** في شهادتهما ، ﴿تحبسونهما﴾ بعد صلاة العصر ﴿فيقسمان بالله﴾ ما كتمنا ، ولا خنا ، ولا نشتري بالقسم أو بالله عرضا قليلا من الدنيا ، ولو كان المحلوف له قريبا منا ، ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ ﴿إنا إذا﴾ ، إن كتمنا ، ﴿لمن الآثمين﴾. فإذا حلفا خلي سبيلهما ، ﴿فإن عثر﴾ بعد ذلك ﴿على﴾ كذبهما و ﴿أنهما استحقا إثما﴾ بسبب كذبهما ، ﴿فآخران﴾ من رهط الميت ﴿يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ المال المسروق ، اللذان هم ﴿الأوليان﴾ أي : الأحقان بالشهادة ، ﴿فيقسمان بالله﴾ فيقولان : والله ﴿لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ ، وأصدق ، وأولى بأن تقبل ، ﴿وما اعتدينا﴾ : وما تجاوزنا فيها الحق ، ﴿إنا إذا لمن الظالمين﴾ ، فإن حلفا غرم الشاهدان ما ظهر عليهما ، وتحليف الشهود منسوخ ، وهذا الحكم خاص بهذه القضية.

قال البيضاوي : الحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين ، فإنه لا يحلف الشاهد ، ولا تعارض يمينه يمين الوارث ، وثابت إن كانا وصيين. هـ. وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة أيضا ، واعتبار صلاة العصر للتغليظ ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة. قاله السيوطي.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٢٣

قال تعالى : ﴿ذلك﴾ أي : تحليف الشهود ، ﴿أدنى﴾ أي : أقرب ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها﴾ كما تحملوها من غير تحريف ولا خيانة فيها ، ﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أي : أو أقرب لأن يخافوا أن ترد اليمين على المدعين بعد أيمانهم ، فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة ، وإنما جمع الضمير ، لأنه حكم يعم الشهود كلهم ، ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ ما توصون به ، فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين ، ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي : لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة.

". (٢)

"يقول الحق جل جلاله : قل يا محمد : ﴿أفغير الله﴾ أطلب ﴿حكما﴾ يحكم بيني وبينكم ، ويفصل المحق منا من المبطل ، ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ أي : القرآن المعجز ، ﴿مفصلا﴾ ؛ مبينا قد بين فيه الحق من الباطل ، بحيث انتفى به الالتباس ، فهو الحاكم بيني وبينكم ، فلا أطلب حاكما غيره ، وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه مغن عن سائر

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٢٨/٢

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣١٦/٢

الآيات. ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ كأحبار اليهود ، ﴿يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ ؛ لتصديقه ما عندهم ، وموافقته له في كثير من الأحبار ، ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ في أنهم يعلمون ذلك ، أو في أنه منزل من ربك ، والمراد غيره ـ عليه الصلاة

٢٩٩

والسلام ـ ممن يطرقه ارتياب ، والمعنى : أن الأدلة تعاضدت على صحته ، فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه.

﴿وتمت كلمة ربك﴾ ؛ آيات القرآن ، بلغت الغاية في التمام والكمال ، ﴿صدقا وعدلا﴾ أي : من جهة الصدق والعدل ، صدقا في الأخبار والمواعيد ، وعدلا في الأقضية والأحكام ، فلا أصدق منها فيما أخبرت ، ولا أعدل منها فيما حكمت ، ﴿لا مبدل لكلماته﴾ أي : لا أحد يقدر أن يبدل منها شيئا بما هو أصدق وأعدل ، ولا أن يحرف شيئا منها ، كما فعل بالتوراة ، فهو ضمان من الحق لحفظ القرآن ، كما قال : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر : ٩] أو : لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل أحكامها ، ﴿وهو السميع﴾ لكل ما يقال ، ﴿العليم﴾ بكل ما يضمر ، فمن الحد أو بدل فالله عليم به.

". (١)

"الإشارة : كل من أعرض عن خصوص أهل زمانه واشتغل بمتابعة حظوظه وهواه ، ينال نصيبه من الدنيا الفانية وما قسم له فيها ؛ فإذا جاءت منيته ندم وتحسر ، وقيل له : أين ما تمتعت به وشغلك عن مولاك ؟ فيقول : قد غاب ذلك وفنى وانقضى ، وكأنما كان برقا سرى ، أو طيف كرى ، والدهر كله هكذا ؛ لمن سدد نظرا ، وعند الصباح يحمد القوم السرى ، وستعلم ، إذا انجلى الغبار ، أفرس تحتك أم حمار.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه : " لا تخدعنكم زخارف دنيا دنية ، عن مراتب جنات عالية ؛ فكان قد كشف القناع ، وارتفع الارتياب ، ولاقى كل امرىء مستقره ، وعرف مثواه ومنقلبه " وفي حديث آخر : " من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ، ولم يدرك منها ما يريد ، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة ، وصل إليه نصيبه من الدنيا ، وأدرك من الآخرة ما يريد ".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٥٠

٣٥١

". (٢)

"﴿الذين يتبعون الرسول﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿النبي الأمي﴾ وهو نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكونه أميا شرف له ، إذ الكتابة وسيلة للعلوم ، وقد أعطي منها ما لم يعط أحد من العالمين ، من غير تعب تعلمها ، ولارتفاع الارتياب في نبوته صلى الله عليه وسلم ، فهي من جملة معجزاته ؛ قال تعالى : ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب...﴾

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤١٦/٢

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٨٥/٢

[العنكبوت : ٤٨] الآية. قال بعضهم :

٤٠٠

لما قال الله تعالى : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ طمع فيها كل أحد ، حتى إبليس ، فلما قال : ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ يئس إبليس ، وبقيت اليهود والنصارى ، فلما قال : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ يئس اليهود والنصارى. هـ.

﴾

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٩٨

الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ اسما وصفة ، ونص ما في التوراة على ما في صحيح البخاري ، عن عبد الله بن سلام : " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجازي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ؛ بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ". ومما في التوراة أيضا ، وهو مما أجمع عليه أهل الكتاب ، وهو باق في أيديهم إلى الآن ؛ أن الملك قد نزل على إبراهيم ، فقال له : في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم : يا رب ليت إسماعيل يعيش يخدمك ، فقال الله لإبراهيم : ذلك لك ، قد استجيب لك في إسماعيل ، وأنا أباركه ، وأنميه ، وأكثره ، وأعظمه بما ذماذ ، وتفسيره : محمد صلى الله عليه وسلم.

". (١)

"رسل ربهم ، فلا ما كانوا أملوا أدركوا ، ولا ما فاتهم رجعوا ، قدموا على ما قدموا ، وندموا على ما خلفوا ، ولم ينفع الندم وقد جف القلم ". وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : " لا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية ، فكأن قد كشف القناع ، وارتفع الارتياب ولاقى كل امرئ مستقره ، وعرف مثواه ومنقلبه ". وروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : شهدت مجلسا من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أتاه رجل أبيض ، حسن الشعر واللون ، فقال : السلام عليك يا رسول الله ، قال : " وعليك السلام ". قال : يا رسول الله ، ما الدنيا ؟ فقال : " حلم النائم ، وأهلها مجازون ومعاقبون ". قال : يا رسول الله ، فما الآخرة ؟ . قال : " الأبد ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير " قال : يا رسول الله ، فما الجنة ؟ قال " ترك الدنيا بنعيمها أبدا " ثم قال : فما خير الأمة ؟ قال " الذي يعجل بطاعة الله " قال : فكيف يكون الرجل فيها ؟ . أي في الدنيا . قال " متشمرا كطالب قافلة " قال : وكم القرار بها ؟ قال "كقدر المتخلف عن القافلة " قال : فكم بين الدنيا والآخرة ؟ قال "كغمضة عين ". ثم ذهب الرجل فلم ير ، فقال صلى الله عليه وسلم : " هذا جبريل أتاكم يزهدكم في الدنيا ". وقال الورتجبي عند قوله : ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ : الله تعالى يدعو العباد من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية ، لئلا يفتتنوا بزخرفها وغرورها ، وليصلوا إلى جواره ، ونعيم مشاهدته. هـ.

". (٢)

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٥٥٢

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٢١١

"يقول الحق جل جلاله : ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ أي : صح له أن يفترى من الخلق ، إذ لا قدرة له على ذلك ، ﴿ولكن﴾ كان ﴿تصديق الذي بين يديه﴾ من الكتب ، أو : ولكن أنزله تصديقا لما سلف قبله من الكتب الإلهية ، المشهود على صدقها ؛ لأنه مطابق لها ، فلا يكون كذبا ، كيف وهو لكونه معجزا عيار عليها ، شاهد على صحتها ؟ ﴿وتفصيل الكتاب﴾ أي : وأنزله تفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع ، التي تضمنها الكتاب ، ﴿لا ريب فيه﴾ : لا ينبغي أن يرتاب فيه ؛ لما احتفت به من شواهد الحق ، **وارتياب** الكفار فيه كلا ريب. كائنا ﴿من رب العالمين﴾ ، أول نزل منه.

﴿أم﴾ : بل ﴿يقولون افتراه﴾ محمد من عند نفسه ؟ ﴿قل فأتوا﴾ أنتم ﴿بسورة مثله﴾ في البلاغة وحسن النظم ، وجودة المعنى ، فإنكم مثلي في العربية والفصاحة ، ﴿وادعوا من استطعتم﴾ : من قدرتم عليه من الجن والإنس ، يعينكم على ذلك ، ﴿من دون الله﴾ فإنه وحده قادر على ذلك ، ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنه مفترى.

﴿بل كذبوا﴾ أي : سارعوا إلى التكذيب ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ وهو القرآن ، بحيث لم يستمعوه ، ولم يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه ، حتى يعلموا أحق هو أم لا ، أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما ، من ذكر البعث والجزاء ، وسائر ما يخالف دينهم ، ﴿ولما يأتهم تأويله﴾ أي : ولم يقفوا بعد على تأويله ، ولم تبلغ أذهانهم معانيه ، أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب ، حتى يتبين لهم أنه صدق أو كذب ، والمعنى : أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ، ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ، ويتصفحوا معناه.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٦١

". (١)

"الإشارة : يا أيها الناس قد جاءكم من يعرفكم بالحق من ربكم ، فمن اهتدى بمعرفته واتباعه نفع نفسه ، حيث أخرجها من غم الحجاب ، وشفاها من سقم الشك **والارتياب** ، ومن ضل عن معرفته فوباله عليه ، حيث ترك نفسه في أودية الخواطر تجول ، وحرمها من الله حقيقة الوصول. ويقال : للعارف إذا اعرض الخلق عنه ، ولم ينفع فيهم تذكيره ووعظه : اتبع ما يوحى إليك من وحي الإلهام ، فإنه حق في حق الخصوص ؛ إذ لا يتجلى في قلوبهم إلا ما هو حق ، حيث تطهرت من خواطر الخلق. واصبر حتى يحكم الله بإرسال ريح الهداية ، وهو خير الحاكمين. وبالله التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

١٩٢

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢." (٢)

"﴿أفي قلوبهم مرض﴾ ؛ كفر ونفاق ، ﴿أم ارتابوا﴾ في نبوته صلى الله عليه وسلم ، ﴿أم يخافون أن يحيف﴾ ؛ أن يجور ﴿الله عليهم ورسوله﴾ فيحكم بينهم بغير الحق. قسم الحق تعالى الأمر في صدود المنافقين عن حكومته – عليه الصلاة

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٢٢٢

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٢٦٣

والسلام – إذا كان الحق عليهم ثلاث : بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته ، أو خائفين الحيف في قضائه ، ثم أبطل الكل بقوله : ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ ، أما الأولان ؛ فلأنه لو كان شيء منهما لأعرضوا عنه ، عند كون الحق لهم ؛ لتحقيق نفاقهم وارتيابهم ، وأما الثالث ؛ فلمعرفتهم بأحواله صلى الله عليه وسلم في الأمان والثبات على الحق ، فهم لا يشكون أنه لا يحيف ؛ بل لأنهم هم الظالمون ، يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ، ويتم لهم جحودهم ، فيأبون المحاكمة إليه – عليه الصلاة والسلام – لأنه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق الصريح ، المؤيد بالوحي الصحيح. الإشارة : ترى فريقا من الناس يدعون الإيمان والطاعة والمحبة ، ونفوسهم غالبة عليهم ، فإذا دعوا إلى من يحكم بينهم وبينها ، بأن يأمرهم بمجاهدتها أو قتلها ؛ إذا فريق منهم معرضون ، وإن يكن لهم الحق ، بأن وجدوا من يدلهم على البقاء مع عوائدها وشهواتها ، يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم شك ووهم ، أم ارتابوا في وجود الطبيب ، أم يخافون أن يحيف الله عليهم ؟ بأن يدلهم على من يتبعهم ولا يبرئهم ، حتى حسنوا الظن به والتجأوا إليه ، فلا يدلهم إلا على من يوصلهم إليه ، بل أولئك هم الظالمون لنفوسهم ، حيث حرموها الوصول ، وتركوها في أودية الشكوك والخواطر تجول. قال الورتجبي : ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ أي : دعوا إلى مشاهدة الله بنعت المحبة والمعرفة ، وعبوديته بنعت الإخلاص ، ودعوا إلى رسوله بالمتابعة والموافقة في الشريعة والطريقة. هـ.

٩٠

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٨٩

". (١)

"يقول الحق جل جلاله : ﴿وكذلك﴾ أي : ومثل ذلك الإنزال البديع ﴿أنزلنا إليك الكتاب﴾ مصدقا لسائر الكتب السماوية وشاهدا عليها ، ﴿فالذين آتيناهم الكتاب﴾ ؛ التوراة والإنجيل ، ﴿يؤمنون به﴾ ، وهم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ، وأصحاب النجاشي ، أو : من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، ﴿ومن هؤلاء﴾ ، من أهل مكة ، ﴿من يؤمن به﴾ ، أو : فالذي آتيناهم الكتب قبلك يؤمنون به قبل ظهوره ، ومن هؤلاء الذين أدركوا زمانك من يؤمن به. وإذ قلنا : إن السورة كلها مكية ، يكون إخبارا بغيب تحقق وقوعه ، ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ ، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ، ﴿إلا الكافرون﴾ ؛ إلا المتوغلون في الكفر ، المصممون عليه ، ككعب بن الأشرف وأضرابه ، أو كفار قريش ، إذا قلنا : الآية مكية.

﴿وما كنت تتلوا من قبله﴾ ؛ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ ، بل

٣١٨

كنت أميا ، لم تقرأ ولم تكتب ، فظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة والأخبار السالفة ، على يد أمي ؛ لم يعرف بالقراءة والتعلم ، خرق عادة ، قاطعة لبغيته. وذكر اليمين ، لأن الكتابة ، غالبا ، تكون به ، أي : ما كنت قارئا كتابا من الكتب ، ولا كاتبا ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ أي : لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا : تعلمه ، والتقطه من كتب

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/١٣٩

الأقدمين ، وكتبه بيده. أو : يقول أهل الكتاب : الذي نجده في كتابنا أمي لا يكتب ولا يقرأ ، وليس به. وسماهم مبطلين ، لإنكارهم النبوة ، أو : **لارتيابهم** فيها ، مع تواتر حججها ودلائلها.
". (١)

"قال تعالى : ﴿بل هو﴾ أي : القرآن ﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ اي : في صدور العلماء وحفاظه ، وهما من خصائص القرآن كون آيات بينات الإعجاز ، وكونه محفوظا في الصدور ، بخلاف سائر الكتب ، فإنها لم تكن معجزات ، ولم تكن تقرأ إلا بالمصاحف. قال ابن عباس : ﴿بل هو﴾ أي : محمد ، والعلم بأنه أمي ، ﴿آيات بينات﴾ ؛ في صدور أهل العلم من أهل الكتاب ، يجدونه في كتبهم. هـ. و(بل) : للإضراب عن محذوف ، ينساق إليه الكلام ، أي : ليس الأمر مما يمكن **الارتياب** فيه ، بل هو آيات واضحات. و(في صدور) : متعلق ببينات ، أو : خبر ثان لهو. ﴿وما يجحد بآياتنا﴾ الواضحة ﴿إلا الظالمون﴾ ؛ المتوغلون في الظلم. قال ابن عطية : الظالمون والمبطلون هم كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن عظم الإشارة بهما إلى قريش لأنهم الأهم. قاله مجاهد. هـ.
٣١٩
الإشارة : كم من ولي يكون أميا ، وتجد عنده من العلوم والحكم والتوحيد ما لا يوجد عند نحارير العلماء. ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا علمه ولقد سمعت من شيخنا البوزيدي رضي الله عنه علوما وأسرارا ، ما رأيتها في كتاب ، وكان يتكلم في تفسير آيات من كتاب الله على طريق أهل الإشارة ، قل أن تجدها عند غيره ، وسمعته يقول : والله ما جلست بين يدى عالم قط ، ولا قرأت شيئا من العلم الظاهر. قال القشيري : قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب ، فيها أودع براهين حقه ، وبينات سره ، ودلائل توحيده ، وشواهد ربوبيته ، فقانون الحقائق في قلوبهم ، وكل شيء يطلب من موطنه ومحله ، فالدر يطلب من الصدف ؛ لأنه مسكنه ، كذلك المعرفة ، ووصف الحق يطلب من قلوب خواصه ؛ لأن ذلك قانون معرفته ، ومنها ترفع نسخة توحيده. هـ.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣١٨
". (٢)

"كائن لا محالة ، فاستعدوا للقائه ، ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ لا تخدعنكم زخارف الدنيا الغرارة ، ولا يذهلنكم التمتع بها ، والتلذذ بملاذها ، والاشتغال بجمعها واحتكارها ، عن التأهب للقاء الله ، وطلب ما عنده. وفي الحديث : " فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية ، عن مراتب جنات علية ، فكأن قد كشف القناع ، وارتفع **الارتياب** ، ولاقى كل امرىء مستقره ، وعرف مثواه ومنقلبه " ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ أي : الشيطان ، فإنه يمنيكم الأماني الكاذبة ، ويقول : إن الله غني عن عبادتك وعن تكذيبك. أو : إن الله غفور لمن عصاه.
﴿إن الشيطان لكم عدو﴾ ظاهر العداوة ، فعل بأبيكم ما فعل ، وأنتم تعاملونه معاملة الحبيب الناصح ، ﴿فاتخذوه عدوا﴾

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٤٨٣
(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٤٨٥

فلا تقبلوا غروره في عقائدكم وأفعالكم ، وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم ؛ إذ لا يوجد منه إلا ما يدل على عداوته في سركم وجهركم.

قال الورتجبي : إنه عدو ؛ لأنه من عالم القهر خلق ، ونحن من عالم اللطف خلقنا. والطبعان متخالفان أبدا ، لأن القهر واللطف تسابقا في الأزل ، فسبق اللطف القهر ، فعداوته من جهة الطبع الأول ، والجهل بالعصمة ، وأنوار التأييد والنصرة ، ومن لا يعرفه بما وصفنا ، كيف يتخذه عدوا ؟ وهو لا يعرف مكائده ، ولا يعرف مكائده إلا ولي أو صديق. هـ.

ثم خطأ من اتبعه ؛ بأن غرضه أن يورد شيعته موارد الهلاك ، بقوله : ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ فهو تقرير لعداوته ، وبيان لغرضه في دعوى شيعته إلى اتباع الهوى ، والركون إلى الدنيا ، أي : إنما يدعوهم إلى الهوى ، ليكونوا من أهل النار.

ثم بين مآل من اتبعه ومن عاداه ، فقال : ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد﴾ أي : فمن أجابه إلى ما دعي فله عذاب شديد ؛ لأنه صار من حزبه وأتباعه ، ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ولم يجيبوه ، ولم يصيروا من حزبه ، بل عادوه ، ﴿لهم مغفرة وأجر كبير﴾ لكبر جهاده ودوامه.

". (١)

"ثم فسره فقال : ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ بالرد والإبطال ﴿بغير سلطان﴾ ؛ بغير حجة واضحة ، تصلح للتمسك بها في الجملة ، ﴿أتاهم﴾ : صفة لسلطان ، أي : بغير برهان جاءهم بصحة ذلك ، ﴿كبر مقتا﴾ أي : عظم بغضا ﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾ ، وفيه ضرب من التعجب والاستعظام. وفي "كبر " ضمير يعود على " من " وتذكيره باعتبار اللفظ. ﴿كذلك﴾ أي : مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فيصدر منه أمثال ما ذكر من الإسراف ، **والارتياب** ، والمجادلة بالباطل. ومن قرأ بالتنوين فوصف لقلب ، وإنما وصف بالتكبر والتجبر ؛ لأنه منبعهما ، كما تقول : سمعت الأذن ، كقوله : ﴿فإنه ءاثم قلبه﴾ [البقرة : ٢٨٣] وإن كان الإثم للجملة. والله تعالى أعلم.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٠٦

الإشارة : يقال لأهل كل عصر : ولقد جاءكم فلان. لولي تقدم قبلهم. بالآيات الدالة على صحة ولايته ، فما زلتم ، أي : ما زال أسلافكم من أهل عصره. في شك منه ، حتى إذا مات ظهرت ولايته ، وأقررتم بها ، وقلتم : لن يبعث الله من بعده وليا ، وهذه عادة العامة ، يقرون الأموات من الأولياء ، وينكرون الأحياء. وهي نزعة أهل الكفر والضلال كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ، كالذين يخاصمون في ثبوت الخصوصية عند أربابها ، من غير برهان ، وهو شأن المنكرين ، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٠٦

٣٠٧

يقول الحق جل جلاله : ﴿وقال فرعون﴾ تمويها على قومه ، وجهلا منه : ﴿يا هامان﴾ وزيره ﴿ابن لي صرحا﴾ أي : قصرا

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٥٩/٦

عاليا ، وقيل : الصرح : البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد منه. يقال : صرح الشيء : إذا ظهر. ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ أي : الطرق. ثم أبدل منها تفخيما لشأنها ، وإظهارا أنه يقصد أمرا عظيما :
" (١).

"على مكاشفة الغيوب ، وصيانة العقائد عن **الارتياب** ، وسلامة القلوب عن الاضطراب. ومن لطفه سبحانه : إيهام العاقبة ؛ لئلا يتكلموا أو ييأسوا. ومن لطفه سبحانه بالعبد : إخفاء أجله عليه ؛ لئلا يستوحش إن كان قد دنا أجله. ومن لطفه سبحانه بخواصه : ستر عيوبهم ، ومحو ذنوبهم ، حتى وصلهم بما منه إليهم ، لا بما منهم إليه ، فكشف لهم عن أسرار ذاته ، وأنوار صفاته ، فشاهدوه جهرا ، وعبدوه شكرا.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٦٨
يقول الحق جل جلاله : ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ ، سمي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة المستقبلة حرثا ، مجازا ؛ لأن الحرث : إلقاء البذر في الأرض لننظر نتاجه ، فأطلقه على العمل ، لجامع حصول النتاج ، أي : من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة ﴿نزد له في حرثه﴾ ؛ نضاعف له ثوابه ، الواحدة بعشر إلى سبعمائة فما فوقها ، أو : نزد له في توفيقه وإعانته ، وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه. ﴿ومن كان يريد﴾ بأعماله ﴿حرث الدنيا﴾ وهو متاعها وطيباتها ﴿نؤته منها﴾ أي : شيئا منها ، حسبما قسمناه له ، لا ما يريده ويبتغيه ، ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾ إذا كانت همته مقصورة على الدنيا. ولم يذكر في عامل الآخرة أن رزقه المقسوم يصل إليه ، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده ، من زكاء أعماله ، وفوزه في المآب ؛ لأن ما يعطى في الآخرة يستحقر أن يذكر معه غيره من الدنيا.
" (٢).

"يقول الحق جل جلاله : ﴿قل الله يحييكم﴾ في الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء أعماركم ، لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ، ﴿ثم يجمعكم﴾ بعد الموت ﴿إلى يوم القيامة﴾ للجزاء ، ﴿لا ريب فيه﴾ أي : في جمعكم ؛ فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة ، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة ، وتأخيره ليوم معلوم ، والرد لآبائهم كما اقترحوا ، حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية ، امتنع إيقاعه لرفع الإيمان بالغيب حينئذ ، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ قدرة الله على البعث ، وحكمة إمهاله ، لإعراضهم عن التفكر بالانهماك في الغفلة ، وهو استدراك من قوله : ﴿لا ريب﴾ إما من تمام الكلام المأمور به ، أو مستأنف من جهته تعالى ، تحقيقا للحق ، وتنبيها على أن
٧٦
ارتيابهم إنما هو لجهلهم وتقصيرهم في التفكر والنظر ، لا لأن فيه شائبة ريب ما.
﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ أي : له التصرف فيما وفيما بينهما ، وهو بيان لاختصاص الملك المطلق بالله ، إثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالإحياء والإماتة ، والبعث والجمع والجزاء ، وكأنه دليل لما قبله ، ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٦٤/٦

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٥٣/٦

المبطلون﴾ الداخلون في الباطل ، وهو الكفر ، ﴿وترى كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ﴿جاثية﴾ باركة على الركب ، مستوفزة من هول ذلك اليوم ، يقال : جثا فلان يجثو : إذا جلس على ركبتيه ، قال سلمان رضي الله عنه : في القيامة ساعة هي عشر سنين ، يخر الناس فيها جثاة على ركبهم ، حتى إن إبراهيم ينادي : نفسي نفسي. هـ. وروي : أن جهنم حين يؤمر بها أن تساق إلى الموقف ، تنفلت من أيدي الزبانية ، حتى تهم أن تأتي على أهل الموقف جميعا ، وتزفر زفرة تذهب بحاسة الآذان ، فيجثو الكل على الركب ، حتى المرسلين ، وكل واحد يقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم غيرها ، ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول : " أمتي أمتي " نقله الغزالي ، وعن ابن عباس : جاثية ، مجتمعة ، وقيل : جماعات ، من : الجثوة ، وهي الجماعة.

﴾

". (١)

"الإشارة : توبة العامة من الذنوب ، وتوبة الخاصة من العيوب ، وتوبة خاصة الخاصة من الغيبة عن حضرة علام الغيوب ، فهؤلاء أشد الناس افتقارا إلى التوبة ؛ إذ لا بد للعبد من سهو وسنة حتى يجول بقلبه في الأكوان ، أو يميل عن الاعتدال ، فيجب في حقهم الاستغفار منها ، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يستغفر في المجلس الواحد سبعين أو مائة مرة. وقد تكلم السلف عن التوبة النصوح دون ما تقدم ، فقال ابن جبير : هي التوبة المقبولة ، ولا تقبل إلا بثلاثة شروط : خوف ألا تقبل منه ، ورجاء أن تقبل ، وإدمان الطاعة. وقال ابن المسيب : توبة تنصحون بها أنفسكم ، وقال القرظي : يجمعها أربعة : الاستغفار باللسان ، والإقلاع بالأبدان ، وترك العود بالجنان ، ومهاجرة سيء الخلان. وقال الثوري : علامتها أربعة : القلة ، والعلة ، والذلة ، والغربة. وقال الفضيل : هو أن يكون الذنب نصب عينيه. وقال الواسطي : تكون لا لعرض دنيوي ولا أخروي. وقال أبو بكر الوراق : هي أن تضيق عليك الدنيا بما رحبت ، كحالة الذين خلفوا. وقال رويم : أن تكون لله وجها بلا قفا ، كما كنت عند المعصية قفا بلا وجه ، وقالت رابعة : توبة لا ارتياب فيها ، وقال السري : لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين ؛ لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله ، وقال الجنيد : هي أن تنسى الذنب فلا تذكره أبدا ؛ لأن من أحب الله نسي ما دونه. هـ.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٨٦

يقول الحق جل جلاله : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة ، أو : بالقول الغليظ والوعظ البليغ ، أو : بإقامة الحدود ، ولم يؤمر بقتالهم لتستر ظاهرهم بالإسلام ، " أمرت أن أحكم بالظواهر ، والله يتولى السرائر " ، ﴿واغلظ

٨٧

". (٢)

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧/١٠٩

(٢) البحر المديد. موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٨/١٢٧

"ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين ، فإذا سمعوا مثلها في القرآن تيقنوا أنه منزل من عند الله ، وهو متعلق بالجعل المذكور ، أي : جعلناهم كذلك ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم ، وصدق القرآن ، لموافقته لما في كتبهم ، ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إيمانا﴾ لتصديقهم بذلك ، كما صدقوا بسائر ما أنزل ، فيزيدون إيمانا مع إيمانهم الحاصل ، أو : يزداد إيمانهم تيقنا ؛ لما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم ، ﴿ولا يرتاب الذي أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ ، تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما ، وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في **الارتياب** ، حيث لم يقل : ولا يرتابوا ؛ للتنبيه على تباين النفيين حالا ، فإن انتفاء **الارتياب** عن أهل الكتاب مما ينافيه لما فيه من الجحود ، وعن المؤمنين لما يقتضيه من الإيمان ، وكم بينهما ؟ والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدث ؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك. قاله أبو السعود.

". (١)

"ثالثا: بيان أن أكرمهم عند الله هو أتقاهم بالإقبال على صالح الأعمال، واجتناب الآثام.

رابعا: دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة؛ لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ، وقال: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ ، قال: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها ﴾ ، وقال: ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ .

١١٤٧، ١١٤٨- من هدي القرآن للتي هي أقوم: التنبيه على أن الإيمان أخص من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

ثانيا: بيان حقيقة الإيمان الذي لا يحتمل ترددا ولا **ارتيابا**، ولا أمل منفعة مادية دنيوية، ولا قصدا لها، فالمتحقق به يقدم على الجهاد في سبيل الله بماله ونفسه، ويتحمل التضحيات والمشقات برضا نفس وطمأنينة قلب.." (٢)

"أولا: تنديد وتوبيخ موجه إلى السامعين بما هم فيه من المباريات في الاستكثار في الأموال والأولاد والتفاخر بذلك، واستغراقهم بسبب ذلك استغراقا يمنعهم من التفكير في الموت وما بعده، بحيث لا ينتهون مما هم فيه إلا حين يموتون، قال تعالى: ﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر ﴾ .

ثانيا: الدليل على إثبات البعث والجنة والنار، وذلك أن المقابر محل زيارة، ولابد للزائر أن يرجع إلى منزله إما إلى الجنة، وإما إلى النار.

ثالثا: زجر ووعيد عن مثل هذا العمل، قال تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون ﴾ .

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٨/٢٧١

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، المؤلف غير معروف ٣/٢٦٢

رابعا: وعيد بعد وعيد في مقام الزجر والتوبيخ، قال تعالى: ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ .

خامسا: التنبيه والتبصير لهم، فإنهم سوف يعلمون علما يقينا بأنهم مخطئون.

سادسا: الإخبار بأنهم لو علموا علما يقينا، لا شك فيه ولا **ارتياب** لشغلهم ذلك عن التكاثر والتفاخر، ولبادروا إلى ما ينفعهم من صالح الأعمال، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون *كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ .

سابعا: الحث على جعل الآخرة وأهوالها وعذابها حاضرة في الذهن؛ لينتبه الإنسان ويجد ويجتهد فيما ينجيه من الجحيم، قال تعالى: ﴿ لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين ﴾ .

ثامنا: الإخبار بأن الإنسان سيسأل عن النعيم الذي حصل له في الدنيا.

تاسعا: التنبيه على اكتساب الحلال.

عاشرا: التحذير من الحرام، قال تعالى: ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ .

٢٥٧٩- ٢٦٧٩- من هدي القرآن للتي هي أقوم، ما يلي:." (١)

"﴿ ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠٨) ﴾

ذلك الحكم عند **الارتياب** في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفا من عذاب الآخرة، أو خشية من أن ترد اليمين الكاذبة من قبل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي ردت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانته. وخافوا الله -أيها الناس- وراقبوه أن تحلفوا كذبا، وأن تقتطعوا بأيمانكم مالا حراما، واسمعوا ما توعظون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.." (٢)

"٢١- يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى أنشأكم وخلقكم ونماكم كما خلق الذين سبقوكم ، فهو خالق كل شئ ، لعلكم بذلك تعدون أنفسكم وتهيئونها لتعظيم الله ومراقبته ، فتتطهر بذلك نفوسكم وتذعن للحق ، وتخاف سوء العاقبة .

٢٢- إنه وحده هو الذى مهد لكم الأرض بقدرته ، وبسط رقعتها ليسهل عليكم الإقامة فيها والانتفاع بها ، وجعل ما فوقكم من السماء وأجرامها وكواكبها كالبنيان المشيد ، وأمدكم بسبب الحياة والنعمة - وهو الماء - أنزله عليكم من السماء فجعله سببا لإخراج النباتات والأشجار المثمرة التى رزقكم بفوائدها ، فلا يصح مع هذا أن تتصوروا أن لله نظراء تعبدونهم كعبادته لأنه ليس له مثيل ولا شريك ، وأنتم بفطرتكم الأصلية تعلمون أنه لا مثيل له ولا شريك ، فلا تحرفوا هذه الطبيعة .

٢٣- وإن كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع إنزالنا له على عبدنا محمد ، فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هدايتها ، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة مماثلة له

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، المؤلف غير معروف ٤٧٣/٣

(٢) التفسير الميسر، المؤلف غير معروف ٢٨٢/٢

فاستعينوا بهم ولن تجدوهم ، وهؤلاء الشهداء هم غير الله ، لأن الله يؤيد عبده بكتابه ، ويشهد له بأفعاله ، هذا إن كنتم صادقين فى ارتيابكم فى هذا القرآن .

٢٤- فإن لم تستطيعوا الإتيان بسورة مماثلة لسور القرآن - ولن تستطيعوا ذلك بحال من الأحوال - لأنه فوق طاقة البشر ، إذ القرآن كلام الخالق فالواجب عليكم أن تتجنبوا الأسباب التى تؤدى بكم إلى عذاب النار فى الآخرة ، التى سيكون وقودها وحطبها من الكافرين ومن الأصنام ، ولقد هيئت هذه النار لتعذيب الجاحدين المعاندين .." (١)

"٢٥- وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين ، فالجنة مثوى المؤمنين ، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه ، وأذعنوا للحق دون شك أو ارتياب ، وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة - أخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم ، وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها ، كلما رزقهم الله وهم فى هذه الجنات - رزقا من بعض ثمارها قالوا : إن هذا يشبه ما رزقنا من قبل ، لأن هذه الثمرات التى ينالونها تشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تتمايز فى الطعم واللذة ، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب . وسيبقون فى هذه الجنة فى حياة أبدية لا يخرجون منها .

٢٦- يضرب الله الأمثال للناس لبيان الحقائق العالية ، ويضرب بصغائر الأحياء ، وكبار الأشياء ، وقد عاب من لا يؤمنون ضرب المثل بصغائر الأحياء كالذباب والعنكبوت ، فبين الله سبحانه أنه لا يعتريه ما يعترى الناس من الاستحياء ، فلا يمنع أن يصور لعباده ما يشاء من أمور بأى مثل مهما كان صغيرا ، فيصح أن يجعل المثل بعوضة أو ما فوقها ، والذين آمنوا يعلمون وجه التمثيل وأن هذا حق من الله ، والذين كفروا يتلقونه بالاستنكار ويقولون : ما الذى أراده الله بهذا المثل؟ وأن هذا المثل يكون سببا لإضلال الذين لا يطلبون الحق ولا يريدونه ، ويكون سببا لهداية المؤمنين بالحق الذى يطلبونه ، فلا يضل به إلا المنحرفين المتمردين .

٢٧- الذين ينقضون عهد الله - وهم الذين لم يلتزموا عهد الله القوى الذى أنشأه فى نفوسهم بمقتضى الفطرة موثقا بالعقل المدرك ومؤيدا بالرسالة - ويقطعون ما أمر الله به أن يكون موصولا كوصل ذوى الأرحام ، والتواد والتعارف والتراحم بين بنى الإنسان ، ويفسدون فى الأرض بسوء المعاملات و بإثارة الفتن وإيقاد الحروب وإفساد العمران ، أولئك هم الذين يخسرون بإفسادهم فطرتهم وقطعهم ما بينهم وبين الناس ما يجب أن يكون من تواد وتعاطف وتراحم ، ويكون مع ذلك لهم الخزى فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .." (٢)

"٤٦- ولا تجادلوا مخالفيكم من اليهود والنصارى إلا بالطريقة التى هى أهدأ وألين وأدعى إلى القبول . إلا الذين جاوزوا حد الاعتدال فى الجدال فلا حرج فى مقابلتهم بالشدة ، وقولوا لمن تجادلونهم : صدقنا بما أنزل الله إلينا من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل ، ومعبودنا ومعبودكم واحد ، ونحن له - وحده - منقادون .

٤٧- وكما أنزلنا الكتب على - من قبلك من الرسل - أنزلنا إليك القرآن ، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن فتدبروه

---

(١) المنتخب، المؤلف غير معروف ٦/١

(٢) المنتخب، المؤلف غير معروف ٧/١

واهتدوا به يؤمنون بهذا القرآن . ومن هؤلاء العرب من يؤمن به ، وما ينكر آياتنا – بعد ظهورها وزوال الشبهة عنها – إلا المصرون على الكفر .

٤٨– وما كنت تقرأ كتابا من الكتب قبل القرآن ، ولا كنت تكتب بيمينك ، ولو كنت ممن يقرأ ويكتب لشك أهل الباطل فى أنه من عند الله .

٤٩– ليس هذا الكتاب موضع **ارتياب** ، بل هو آيات واضحات محفوظة فى صدور الذين آتاهم الله العلم ، وما ينكر آياتنا – بعد العلم بها – إلا الظالمون للحق ولأنفسهم .

٥٠– وقال الكفار فى جدالهم ولجاجهم : هلا أنزل عليه معجزات حسية كالتى نزلت على الرسل من قبل؟ . قل لهم : إنما المعجزات كلها من عند الله ، ينزلها حين يشاء ، وإنما أنا مكلف بالإنذار الواضح ، لا الإتيان بما تقترحون .." [١]

"٣٤– لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات ، فما زلتم فى شك مما أتاكم به ، حتى إذا مات قلتم : لن يرسل الله من بعد يوسف رسولا ، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو مجاوز الحد ، كثير الشك **والارتياب** .

٣٥– الذين يجادلون فى آيات الله بغير برهان جاءهم ، كبر كرها وسخطا عند الله وعند المؤمنين ما انطبعوا عليه من الجدال ، مثل هذا الختم يختم الله على كل قلب متعال على الخلق ، متسلط على الناس .

٣٦ ، ٣٧– وقال فرعون : يا هامان ابن لى بناء عاليا رجاء أن أبلغ المسالك ، مسالك السموات فأرى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذبا فى دعوى الرسالة ، ومثل هذا التزين الباطل زين لفرعون سوء عمله حتى رآه حسنا ، ومنع عن سبيل الحق لاختياره سبيل الضلالة ، وليس مكر فرعون إلا فى خسار عظيم .

٣٨– وقال الذى آمن من قوم فرعون : يا قوم اقتدوا بى أرشدكم طريق الصلاح .

٣٩– يا قوم : ما هذه الحياة الدنيا إلا كمتاع الراكب يفنى بسرعة ، وإن الدار الآخرة هى – وحدها – دار الاستقرار .

٤٠– من عمل سيئة فى الدنيا فلا يجازى عليها فى الآخرة إلا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها رزقا غير مقدر بحساب الحاسبين .." [٢]

"فتجشمت تصفح ذاك الشرح من أوله ولم يكلفني ذلك كبير تعب لأنني وجدت العبارة في ص٢٦٧ من المجلد الأول طبع القسطنطينية سنة ١٢٦٧هـ وسيأتي نصها فرابني قوله : "الثابت في كتب المؤرخين" فإني قد تتبعت ما وجدته من كتبهم فلم كيف خفي ذلك على صاحب كشف الظنون مع سعة إطلاعه وكثرة تتعب؟. وكيف خفي على الزبيدي حتى احتاج إلى تعليقه عن كتاب الخفاجي، ثم خفي على من بعده حتى لم يجدوا إلا النقل عن خط الزبيدي عن كتاب الخفاجي، إذا لابد من النظر في التفسير نفسه في تفسير سورة الأنبياء وما قبلها وما بعدها، فزادني **ارتياباً** بقول الخفاجي أنني وجدت الروح واحدة الأسلوب واحد حتى أنتي كدت أجزم أو جزمتبأن تفسير سورة الأنبياء وسور بعدها من هذا التفسير هو تصنيف مفسر سورة الكهف وسورة مريم وسورة طه منه، وراجعت مواضع من تفسير البقرة وآل عمران ونظرت نظرة في

---

(١) المنتخب، المؤلف غير معروف ٢/٢٠٠

(٢) المنتخب، المؤلف غير معروف ٢/٣٢٣

أواخر التفسير فوجدته أيضاً موافقاً لذلك، عثرت على إحالة في تفسير سورة الإخلاص لفظها "وقد استقصينا في تقرير دلائل الوحدانية في تفسير قوله : ﴿ لو كان فيهما ءالهة إلا الله لفسدتا ﴾ وهذه الآية في سورة الأنبياء فخطرلي احتمال أن يكون قائل : (إن الرازي وصل إلى سورة الأنبياء) إنما أخذ ذلك من هذه العبارة مضمومة إلى نصوص المؤرخين أن الرازي لم يكمل التفسير، وإنما أكمله غيره؛ فإن العادة في تصنيف التفاسير أن يبدأ المفسر من أول القرآن ثم يجري على الترتيب. والظاهر أن الرازي هكذا صنع، وقد نصوا على أنه لم يكمل التفسير، إذن فلابد أن يكون هناك موضع أنتهى إليه الأصل وشرعت منه التكملة، وعباراتهم تعطي أنه بقي على الرازي مقدار له شأن، فتفسير سورة الإخلاص لن يكون إلا من التكملة، فكلمة (وقد استقصينا) من كلام المكمل، فتفسير الآية المحال عليها من كلامه...

دع هذا ودع مناقشته، فالمقصود أن الريبة في قول الخفاجي استحكمت بل اتضح بطلانه كما سيأتي ..." [١]

"وله ابن أسمه شهاب الدين قاضي القضاة محمد بن أحمد بن خليل الخويي، كان محدثاً فاضلاً، توفى سنة ٦٩٣هـ. ذكر في مواضع من سلوك المقريزي وتاريخ ابن الفرات، وله ترجمة حسنة في البداية والنهاية لابن كثير (٣٣٧/١٣)، فوات الوفيات (١٨٢/٢)، والوافي بالوفيات (١٣٧/٢)، والشذرات (٤٢٣/٥) على تخليط في الشذرات.

ولما كان الغالب أن يُلقب من أسمه محمد : شمس الدين، ومن أسمه أحمد : شهاب الدين ، اشتبه الأمر على صاحب كشف الظنون فجعل لقب الأب : شهاب الدين.

وأما الثاني فهو نجم الدين أحمد بن محمد القمولي، توفي سنة ٧٢٧هـ، كما في طبقات ابن السبكي (١٧٩/٥)، والدرر الكامنة (٣٠٤/١)، والشذرات (٧٥/٦)، وكشف الظنون (مفاتيح الغيب) ، ووقع في فهرس الأزهر، وفهرس الخزانة التيمورية ذكر وفاته سنة ٧٧٧ تبعاً لنسخة كشف الظنون الطبعة الأولى ، وذلك خطأ.

وزعم بعضهم أن للسيوطي تكملة على تفسير الفخر، كتب منها من سورة سبح إلى آخر القرآن في مجلد، وإنما ذكر صاحب كشف الظنون أن للسيوطي تفسيراً أسمه مفاتيح الغيب كتب منه ذاك المقدار ، وهذا هو الظاهر أنه تفسير مستقل، وسيأتي ما يؤكد ذلك إن شاء الله.

السؤال الثالث :

... إذا لم يكمل الفخر تفسيره فهذا التفسير المتداول الكامل مشتمل على الأصل والتكملة، فهل يعرف أحدهما من الآخر ؟

... الجواب : هذا يحتاج إلى إطالة . فقد قال الشهاب الفخاجي المتوفي عام ١٠٦٩هـ في شرحه لشفاء القاضي عياض (٢٦٧/١) معترضاً على من نقل عن التفسير الكبير للفخر الرازي : "الثابت في كتب التأريخ أن التفسير الكبير وصل إلى سورة الأنبياء وكمله تلميذه الخويي".

---

(١) بحث حول تفسير الرازي للشيخ عبدالرحمن المعلمي، المؤلف غير معروف ص/٢

... وقد ذكرت **ارتيابي** في هذا القول ثم نظري في التفسير نفسه، وسألخص ذلك محيلا على النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٧٨هـ، وهي في ستة مجلدات، وله نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة الحرم المكي.." [١]

" ﴿ ذلك الكتاب ﴾ أي : هذا الكتاب يعني : القرآن ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي : لاشك فيه أي : إنه صدق وحق وقيل لفظه لفظ خبر ويراد به النهي عن **الارتياب** قال : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ ولا ريب فيه أنه ﴿ هدى ﴾ : بيان ودلالة ﴿ للمتقين ﴾ : للمؤمنين الذين يتقون الشرك في تخصيصه كتابه بالهدى للمتقين دلالة على أنه ليس بهدى لغيرهم وقد قال : ﴿ والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر ﴾ ." [٢]

" صفحة رقم ٧٧

أحدهما : أنهما الوصيان إن ارتبتم بهما في الخيانة أحلفهما الورثة .

والثاني : أنهما الشاهدان إن ارتبتم بهما ، ولم تعرف عدالتهما ، ولا جرحهما ، أحلفهما الحاكم ليزول عنه **الارتياب** بهما ، وهذا إنما جوزه قائل هذا القول في السفر دون الحضر .

وفي قوله تعالى :) لا نشتري به ثمنا (تأويلان :

أحدهما : لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد .

والثاني : لا نعتاض عليه بحق .

) ولو كان ذا قربى (أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور ، والشهادة بغير حق .

) ولا نكتم شهادة الله (يعني عندنا فيما أوجبه علينا .

قوله تعالى :) فإن عثر على أنهما استحقا إثما (يعني فإن ظهر على أنهما كذبا وخانا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما .

وفي الذين :) عثر على أنهما استحقا إثما (قولان :

أحدهما : أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير .

) فئاخران (يعني من الورثة .

) يقومان مقامهما (في اليمين ، حين ظهرت الخيانة .

) من الذين استحق عليهم الأوليان (فيه تأويلان : أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس وشريح .

وكان سبب نزول هذه الآية ما روى عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاما من فضة مخوصا

---

(١) بحث حول تفسير الرازي للشيخ عبدالرحمن المعلمي، المؤلف غير معروف ص/٥

(٢) الوجيز للواحدي، المؤلف غير معروف ص/٩٠

بالذهب فأحلفهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ثم وجد الجام بمكة ، وقالوا اشتريناه من تميم الداري ، وعدي بن بداء ، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا :) لشهادتنا أحق من شهادتهما (وأن الجام لصاحبهم قال : وفيهم نزل :) يا أيها الذين ءامنوا شهادة بينكم (إلى قوله :) واتقوا الله واسمعوا لا يهدي القوم الفاسقين (.

ثم اختلفوا في حكم هاتي الآيتين هل هو منسوخ أو ثابت .

فقال ابن عباس حكمهما منسوخ . قال ابن زيد : لم يكن الإسلام إلا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب وهو اليوم طبق الأرض .

وقال الحسن : حكمهما ثابت غير منسوخ .

(المائدة : (١٠٩) يوم يجمع الله . . . . .

" يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب " (."[١]

" صفحة رقم ٤٨

رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم " (قوله عز وجل :) وما أبرىء نفسي (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه قول العزيز أي وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف .

) إن النفس لأمارة بالسوء (يحتمل وجهين :

أحدهما : الأمارة بسوء الظن .

الثاني : بالاتهام عند الارتياب .

) إلا ما رحم ربي (يحتمل وجهين :

أحدهما : إلا ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن .

الثاني : أن يثنيه حتى لا يعمل . فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز .

الوجه الثاني : أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها .

) إلا ما رحم ربي (يحتمل وجهين :

أحدهما : إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه .

الثاني : إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه ، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز .

الوجه الثاني : أنه من قول يوسف ، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل :

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٧٧

أحدها : أن يوسف لما قال) ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب (قالت امرأة العزيز : ولا حين حللت السراويل ؟ فقال : وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء ، قاله السدي .." (١)

" صفحة رقم ٣٩٩

) وما تلك بيمينك يا موسى (ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلا يدخل عليه ارتياب بعد انقلابها حية تسعى .

) قال هي عصاي (فتضمن جوابه أمرين :

أحدهما : الإخبار بأنها عصا وهذا جواب كاف .

الثاني : إضافتها إلى ملكه ، وهذه زيادة ذكرها ليكفي الجواب بما سئل عنه .

ثم أخبر عن حالها بما لم يسأل عنه ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها لئلا يكون عابثا بحملها ، فقال :) أتوكؤا عليها وأهش به على غنمي (أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي . قال الراجز :

أهش بالعصا على أغنامي

من ناعم الأراك والبشام .

وقرأ عكرمة (وأهس) بسين غير معجمة . وفي الهش والهس وجهان :

أحدهما : أنهما لغتان معناهما واحد .

والثاني : أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة : خبط الشجر ، والهس بغير إعجام زجر الغنم .

) ولي فيها مئارب أخرى (أي حاجات أخرى ، فنص على اللازم وكنى عن العارض ، وفيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه كان يطرد بها السباع ، قاله مقاتل :

الثاني : أنه كان يقدح بها النار ، ويستخرج الماء بها .." (٢)

"وقيل إن الله قد كان وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد كتابا فالإشارة إلى ذلك الوعد

وقيل إن الإشارة إلى حروف المعجم في قول من قال " آلم " حروف المعجم التي تحديتكم بالنظم منها

ولفظ " الكتاب " مأخوذ من كتبت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة

ورفع " الكتاب " يتوجه

على البدل أو على خبر الابتداء أو على عطف البيان

و " لا ريب فيه " معناه لا شك فيه ولا ارتياب به والمعنى أنه في ذاته لا ريب فيه وإن وقع ريب للكفار

وقال قوم لفظ قوله " لا ريب " فيه لفظ الخبر ومعناه النهي

---

(١) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٤٨

(٢) النكت والعيون ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٣٩٩

وقال قوم هو عموم يراد به الخصوص أي عند المؤمنين
قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف
٨٤
وقرأ الزهري وابن محيصن ومسلم بن جندب وعبيد بن عمير فيه بضم الهاء وكذلك إليه وعليه وبه ونصله ونوله وما أشبه ذلك حيث وقع على الأصل
وقرأ ابن إسحاق فيهو ضم الهاء ووصلها بواو
و " هدى " معناه رشاد وبيان وموضعه من الإعراب رفع على أنه خبر " ذلك " أو خبر ابتداء مضمر أو ابتداء وخبره في المجرور قبله ويصح أن يكون موضعه نصبا على الحال من ذلك أو من الكتاب ويكون العامل فيه معنى الإرشارة أو من الضمير في " فيه " والعامل معنى الاستقرار وفي هذا القول ضعف
وقوله " للمتقين " اللفظ مأخوذ من وقى وفعله اتقى على وزن افتعل وأصله للموتقيين استثقلت الكسرة على الياء فسكنت وحذفت للالتقاء وأبدلت الواو تاء على أصلهم في اجتماع الواو والتاء وأدغمت التاء في التاء فصار " للمتقين "
والمعنى الذين يتقون الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب معاصيه كان ذلك وقاية بينهم عذاب الله
سورة البقرة ٣
" يؤمنون " معناه يصدقون ويتعدى بالباء وقد يتعدى باللام كما قال تعالى " ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم " آل عمران ٧٣ وكما قال " فما آمن لموسى " يونس ٨٣ وبين التعديتين فرق وذلك أن التعدية باللام في ضمنها تعد بالباء يفهم من المعنى
واختلف القراء في همز " يؤمنون " فكان ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي يهمزون يؤمنون وما أشبهه مثل يأكلون ويأمرون ويؤتون وكذلك مع تحرك الهمزة مثل يؤخركم ويؤوده إلا أن حمزة كان يستحب ترك الهمز إذا وقف والباقون يقفون بالهمز
وروى ورش عن نافع ترك الهمز في جميع ذلك
وقد روي عن عاصم أنه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة
وكان أبو عمرو إذا أدرج القراءة أو قرأ في الصلاة لم يهمز كل همزة ساكنة إلا أنه كان يهمز حروفا من السواكن بأعيانها ستذكر في مواضعها إن شاء الله
وإذا كان سكون الهمزة علامة للجزم لم يترك همزها مثل " ننسأها " البقرة ١٠٥ " وهيىء لنا " الكهف ٨ وما أشبهه
وقوله "
." (١)

"وقال الزجاج هو تضعيف في زل فيجيء التضعيف على هذا في الفاء وقرأ الأعمش وزلزلوا ويقول الرسول بالواو بدل حتى وفي مصحف ابن مسعود وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول وقرأ نافع يقول بالرفع وقرأ الباقون يقول بالنصب ف "

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧٤/١

حتى " غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير إلى أن وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب و " الرسول " اسم الجنس وذكره الله تعظيما للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول " ألا إن نصر الله قريب " فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان

قال القاضي أبو محمد وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل أن يكون " ألا إن نصر الله قريب " إخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول

سورة البقرة ٢١٥ - ٢١٦

السائلون هم المؤمنون والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها وأين يضعون ما لزم إنفاقه وما يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداء وذا خبرها فهي بمعنى الذي و " ينفقون " صلة وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح أن تكون " ماذا " اسما واحدا مركبا في موضع نصب ب " ينفقون " فيعرى من الضمير ومتى كانت اسما مركبا فهي في موضع نصب لا ما جاء من قول الشاعر

(وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا

سوى أن يقولوا إنني لك عاشق) " الطويل "

فإن عسى لا تعمل فماذا في موضع رفع وهو مركب إذ لا صلة لذا

قال قوم هذه الآية في الزكاة المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان ومن جرى مجراهما من الأقربين

وقال السدي نزلت هذه الآية قبل فرض الزكاة ثم نسختها الزكاة المفروضة ووهم المهدوي على السدي في هذا فنسب إليه أنه قال إن

الآية في الزكاة المفروضة ثم نسخ منها الوالدان وقال ابن

٢٨٩

جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الإنفاق فعلى هذا لا نسخ فيها واليتم فقد الأب قبل البلوغ وتقدم القول في المسكين و " ابن السبيل " و " ما تفعلوا " جزم بالشرط والجواب في الفاء وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه يفعلوا بالياء على ذكر الغائب وظاهر الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازاة و "كتب " معناه فرض وقد تقدم مثله وهذا هو فرض الجهاد وقرأ قوم كتب عليكم القتل

وقال عطاء بن أبي رباح فرض القتال على أعيان أصحاب محمد فلما استقر الشرع وقيم به صار على الكفاية وقال جمهور الأمة أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢٧٤/١

"ذلك مستثنى من قوله " لاتبعتم الشيطان إلا قليلا " على سرد الكلام دون تقدير تقديم ثم اختلفت هذه الفرقة فقال الضحاك إن الله هدى الكل منهم إلى الإيمان فكان منهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك ولا عنت له شبهة **ارتياب** فذلك هو القليل وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر فلولا فضل الله بتجديد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان إلا قبضة من شعير وقبضة من قرظ وإذا أفيقان معلقان فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يابن الخطاب فقلت يا رسول الله أنت صفوة الله من خلقه ورسوله وليس لك من الدنيا إلا هذا وكسرى وقيصر في الأشجار والأنهار فقال أهاهنا أنت يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فقلت بلى ثم جعلت أحدثه حتى تهلل وابتسم فقلت يا رسول الله إنهم ادعوا أنك طلقت نساءك فقال لا فقلت أتأذن لي أن أعرف الناس قال افعل إن شئت قال فقمت على باب المسجد فقلت ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه فأنزل الله في هذه القصة " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به " الآية وأنا الذي استنبطته

وقوله تعالى " ولو ردوه إلى الرسول " الآية المعنى لو أمسكوا عن الخوض واستقصوا الأمور من قبل الرسول

أو " أولي الأمر " وهم الأمراء قاله السدي وابن زيد وقيل أهل العلم قاله الحسن وقتادة وغيرهما والمعنى يقتضيهما معا " لعلمه " طلابه من " أولي الأمر " والبحثة عنه وهم مستنبطوه كما يستنبط الماء وهو النبط أي الماء المستخرج من الأرض ومنه قول الشاعر

(قريب ثراه ما ينال عدوه

له نبطا آبي الهوان قطوب) يعني بالنبط الماء المستنبط

وقوله تعالى " ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا "

هذا خطاب للمؤمنين باتفاق من المتأولين

والمعنى لولا هداية الله لكم وإرشاده لبقيتم على كفركم وهو اتباع الشيطان

وقال الضحاك هدى الكل منهم للإيمان فمنهم من تمكن فيه حتى لم

يخطر له قط خاطر شك ولا عنت له شبهة **ارتياب** وذلك هو القليل وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان

(١) ".

"وأما معنى الآية من أولها إلى آخرها فهو أن الله تعالى أخبر المؤمنين أن حكمه في الشهادة على الموصي إذا حضره الموت أن تكون شهادة عدلين فإن كان في سفر وهو الضرب في الأرض ولم يكن معه من المؤمنين أحد فليشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر فإذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدلا وأن ما شهدا به حق ما كتما فيه شهادة الله وحكم بشهادتهما فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا ونحو هذا مما هو إثم حلف رجلان من أولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما هذا معنى الآية على مذهب أبي موسى الأشعري وسعيد بن

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/١٠١

المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وأبي مجلز وإبراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وابن عباس وغيرهم يقولون معنى قوله " منكم " من المؤمنين ومعنى " من غيركم " من الكفار قال بعضهم وذلك أن الآية نزلت ولا مؤمن إلا بالمدينة وكانوا يسافرون في التجارة صحبة أهل الكتاب وعبدة الأوثان وأنواع الكفرة واختلفت هذه الجماعة المذكورة فمذهب أبي موسى الأشعري وشريح وغيرهما أن الآية محكمة وأسند الطبري إل الشعبي أن رجلا حضرته المنية بدقوقا ولم يجد أحدا من المؤمنين يشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته فقال أبو موسى الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أحلفهما بعد صلاة

العصر وأمضى شهادتهما وأسند الطبري عن شريح أنه كان لا يجيز شهادة النصراني واليهودي على مسلم إلا في الوصية ولا تجوز أيضا في الوصية إلا إذا كانوا في سفر ومذهب جماعة ممن ذكر أنها منسوخة بقوله تعالى " وأشهدوا ذوي عدل منكم " وبما استند إليه إجماع جمهور الناس على أن شهادة الكافر لا تجوز

وتأول الآية جماعة من أهل العلم على غير هذا كله قال الحسن بن أبي الحسن وقوله تعالى " منكم " يريد من عشيرتكم وقرابتكم وقوله " أو آخران من غيركم " يريد من غير القرابة والعشيرة وقال بهذا عكرمة مولى ابن عباس وابن شهاب قالوا أمر الله بإشهاد عدلين من القرابة إذ هم ألحن بحال الوصية وأدرى بصورة العدل فيها فإن كان الأمر في سفر ولم تحضر قرابة أشهد أجنبيان فإذا شهدا فإن لم يقر **ارتياب** مضت الشهادة وإن ارتيب أنهما مالا بالوصية إلى أحد أو زادا أو نقصا حلفا بعد صلاة العصر ومضت شهادتهما فإن عثر بعد ذلك على تبديل منهما واستحقاق إثم حلف وليان من القرابة وبطلت شهادة الأولين وقال بعض الناس الآية منسوخة ولا يحلف شاهد ويذكر هذا عن مالك بن أنس والشافعي وكافة

٢٥٢

(١) ".

"الفقهاء وذكر الطبري رحمه الله أن هذا التحالف الذي في الآية إنما هو بحسب التداعي وذلك أن الشاهدين الأولين إنما يحلفان إن ارتيب وإذا ارتيب فقد ترتبت عليهما دعوى فلتزمهما اليمين لكن هذا **الارتياب** إنما يكون في خيانة منهما فإن عثر بعد ذلك على أنهما استحقا إثما نظر فإن كان الأمر بينا غرما دون يمين وليين وإن كان بشاهد واحد أو بدلا بل تقتضي خيانتهما أو ما أشبه ذلك مما هو كالشاهد حمل على الظالم وحلف المدعيان مع ما قام لهما من شاهد أو دليل

قال القاضي أبو محمد فهذا هو الاختلاف في معنى الآية وصورة حكمهما ولنرجع الآن إلى الإعراب والكلام على لفظة من الآية ولنقصد القول المفيد لأن الناس خلطوا في تفسير هذه الآية تخليطا شديدا وذكر ذلك والرد عليه يطول وفي تبيين الحق الذي تتلقاه الأذهان بالقبول مقنع والله المستعان قوله " شهادة بينكم " قال قوم الشهادة هنا بمعنى الحضور وقال الطبري الشهادة بمعنى اليمين وليست بالتي تؤدى

قال القاضي أبو محمد وهذا كله ضعيف والصواب أنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى ورفعهما بالابتداء والخبر في قوله " اثنان " قال أبو علي التقدير شهادة بينكم في وصاياكم شهادة اثنين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقدره غيره أولا

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٢٩٥

كأنه قال مقيم شهادة بينكم اثنان وأضيفت الشهادة إلى بين اتساعا في الظرف بأن يعامل معاملة الأسماء كما قال تعالى " لقد تقطع بينكم " وقرأ الأعرج والشعبي والحسن شهادة بالتنوين بينكم بالنصب وإعراب هذه القراءة على نحو إعراب قراءة السبعة وروي عن الأعرج وأبي حيوة شهادة بالنصب والتنوين بينكم نصب قال أبو الفتح التقدير ليقم شهادة بينكم اثنان وقوله تعالى " إذا حضر أحدكم الموت " معناه إذا قرب الحضور وإلا فإذا حضر الموت لم يشهد ميت وهذا كقوله تعالى " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله " وكقوله " إذا طلقتم النساء فطلقوهن " وهذا كثير والعامل في " إذا " المصدر الذي هو " شهادة

". (١)

"تقديره عندهم إذا حسر بدا فكذلك إذا حبستموهما أقسما وقوله " إن ارتبتم " شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين إلا به ومتى لم يقع ارتياب ولا اختلاف فلا يمين أما أنه يظهر من حكم أبي موسى تحليف الذميين أنه باليمين تكمل شهادتهما وتنفذ الوصية لأهلها وإن لم يرتب وهذه الريبة عند من لا يرى الآية منسوخة ترتب في الخيانة وفي الاتهام بالميل إلى بعض الموصى لهما دون بعض وتقع مع ذلك اليمين عنده وأما من يرى الآية منسوخة فلا يقع تحليف إلا بأن يكون الارتياب في خيانة أو تعد بوجه من وجوه التعدي فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى على منكر لا على أنه تكميل للشهادة والضمير في قول الحالفين " لا نشتري به ثمنا " عائد على القسم ويحتمل أن يعود على اسم الله تعالى قال أبو علي يعود على تحريف الشهادة وقوله " لا نشتري " جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان بالله لأن القسم ونحوه يتلقى بما تتلقى به الأيمان وتقديره به ثمنا أي ذا ثمن لأن الثمن لا يشترى
وكذلك قوله تعال " اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا " معناه ذا ثمن ولا يجوز أن يكون " نشتري " في هذه الآية بمعنى نبيع لأن المعنى يبطله وإن كان ذلك موجودا في اللغة في غير هذا الموضع وخص ذو القربى بالذكر لأن العرف ميل النفس إلى قرابتهم واستسهالهم في جنب نفعهم ما لا يستسهل وقوله تعالى " ولا نكتم شهادة الله " أضاف " شهادة " إليه تعالى من حيث هو الآمر

". (٢)

"أخبر عنهم عز وجل بأنهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية تبع ذلك إخبار فيه مبالغة مضمنه أنه لو جاءهم أشنع مما جاء لكذبوا أيضا والمعنى " لو نزلنا " بمرأى منهم عليك " كتابا " أي كلاما مكتوبا " في قرطاس " أي في صحيفة ويقال قرطاس بضم القاف " فلمسوه بأيديهم " يريد أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين ويشبه أن سبب هذه الآية اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعنته إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أؤمن لك حتى تصعد إلى السماء ثم تنزل بكتاب فيه من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية يأمرني بتصديقك وما أراني مع هذا كنت أصدقك ثم أسلم بعد ذلك عبد الله وقتل شهيدا في الطائف وقوله تعالى " وقالوا لولا

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٢٩٦

(٢) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٢٩٨

أنزل عليه ملك) الآية حكاية عمن تشطط من العرب بأن طلب أن ينزل ملك يصدق محمدا في نبوءته ويعلم عن الله عز وجل أنه حق فرد الله تعالى عليهم بقوله " ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر " وقال مجاهد معناه لقامت القيامة

قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه وهذا ضعيف وقال قتادة والسدي وابن عباس رضي الله عنه في الكلام حذف تقديره ولو أنزلنا ملكا فكذبوا به لقضي الأمر بعذابهم ولم ينظروا حسبما سلف في كل أمة اقترحت بآية وكذبت بعد أن ظهرت إليها وهذا قول حسن وقالت فرقة " لقضي الأمر " أي لماتوا من هول رؤية الملك في صورته ويؤيد هذا التأويل ما بعده من قوله " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا " فإن أهل التأويل مجمعون أن ذلك لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فالأولى في قوله " لقضي الأمر " أي لماتوا من هول رؤيته " ينظرون " معناه يؤخرون والنظرة التأخير وقوله عز وجل " ولو جعلناه " الآية المعنى أنا لو جعلناه ملكا لجعلناه ولا بد في خلق رجل لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد

". (١)

"هذه الآية عامة في جميع الكفرة قديمهم وحديثهم وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر لا تفتح بضم التاء الأولى وتشديد الثانية وقرأ أبو عمرو تفتح بضم التاء وسكون الفاء وتخفيف الثانية وقرأ حمزة والكسائي يفتح بالياء من أسفل وتخفيف التاء وقرأ أبو حيوة وأبو إبراهيم يفتح بالياء وفتح الفاء وشد التاء ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله تعالى قاله ابن عباس وغيره وذكر الطبري في كيفية قبض روح المؤمن والكافر آثارا اختصرتها إذ ليست بلازمة في الآية وللين أسانيدها أيضا ثم نفى الله عز وجل عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون محال لا يكون وهو أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة حيث يدخل الخيط و " الجمل "كما عهد وال " سم "كما عهد وقرأ جمهور المسلمين الجمل واحد الجمال وقال الحسن هو الجمل الذي يقوم بالمديد ومرة لما أكثروا عليه قال هو الأشتر وهو الجمل بالفارسية ومرة قال هو الجمل ولد الناقة وقاله ابن مسعود

قال القاضي أبو محمد وهذه عبارة تدل على حرج السائل لارتياب السائلين لا شك باللفظة من أجل القراءات المختلفة وذكر الطبري عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل الأصفر وقرأ أبو السمال الجمل بسكون الميم وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن جبير والشعبي ومالك بن الشخير وأبو رجاء الجمل بضم الجيم وتشديد الميم وهو حبل السفينة وقرأ سالم الأفطس وابن خير وابن عامر أيضا الجمل بتخفيف الميم من الجمل وقالوا هو حبل السفن وروى الكسائي أن الذي روى تثقيل الميم ابن عباس كان أعجميا فشدد الميم لعجمته

قال القاضي أبو محمد وهذا ضعيف لكثرة أصحاب ابن عباس على القراءة المذكورة وقرأ

سعيد بن جبير فيما روي عنه الجمل بضم الجيم وسكون الميم وقرأ ابن عباس أيضا الجمل بضم الجيم والميم والسم الثقب من الإبرة وغيرها يقال سم وسم بفتح السين وكسرها وضمها وقرأ الجمهور بفتح السين وقرأ ابن سيرين بضمها وقرأ أبو حيوة

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣١٧/٢

بضمها وبكسرها وروي عنه الوجهان و " الخياط " والمخيط الإبرة وقرأ ابن مسعود في سم المخيط بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء وقرأ طلحة في سم المخيط بفتح الميم وكذلك أبي على هذه الصفة وبمثل هذا الحتم وغيره يجزى الكفرة وأهل الجرائم على الله تعالى

٤٠١

". (١)

"قال القاضي أبو محمد والمشهور جمع يد النعمة أياد ولا يجمع على أيد إلا أن جمعه على أيد لا يكسر بابا ولا ينقض أصلا وبحسبنا أن الزجاج قدره وتأول عليه .

قال القاضي أبو محمد ويحتمل اللفظ على هذا معنى ثانيا أن يكون المقصد ردوا أنعام الرسل في أفواه الرسل أي لم يقبلوه كما تقول لمن لا يعجبك قوله امسك يا فلان كلامك في فمك .

ومن حيث كانت أيدي الرسل أقوالا ساغ هذا فيها كما تقول كسرت كلام فلان في فمه أي رددته عليه وقطعته بقلة القبول والرد وحكى المهدوي عن مجاهد أنه قال معناه ردوا نعم الرسل في أفواه أنفسهم بالتكذيب والنجه .

وقوله " لفي شك مما تدعوننا إليه مريب " يقتضي أنهم شكوا في صدق نبوتهم وأقوالهم أو كذبها وتوقفوا في إمضاء أحد المعتقدين ثم ارتابوا بالمعتقد الواحد في صدق نبوتهم فجاءهم شك مؤكد بارتياب .

وقرأ طلحة بن مصرف مما تدعونا بنون واحدة مشددة .

قوله عز وجل

سورة إبراهيم ١٠

قوله " أفي الله " مقدر فيه ضمير تقديره عند كثير من النحويين أفي ألوهية الله شك وقال أبو علي الفارسي تقديره أفي وحدانية الله شك .

قال القاضي أبو محمد وزعم بعض الناس أن أبا علي إنما فزع إلى هذه العبارة حفظا للاعتزال وزوالا عما تحتمله لفظة الألوهية من الصفات بحسب عمومها ولفظة الوحدانية مخلصة من هذا الإحتمال . والفاطر المخترع المبتدي وسوق هذه الصفة احتجاج على الشاكين يبين التوبيخ أي أيشك فيمن هذه صفته فساق الصفة التي هي منصوبة لرفع الشك .

وقوله " من ذنوبكم " ذهب بعض النحاة إلى أنها زائدة وسيبويه يأبى أن تكون زائدة ويراها للتبعيض .

٣٢٨

قال القاضي أبو محمد وهو معنى صحيح وذلك أن الوعد وقع بغفران الشرك وما معه من المعاصي وبقي ما يستأنفه أحدهم بعد إيمانه من المعاصي مسكوتا عنه ليبقى معه في مشيئة الله تعالى فالغفران إنما نفذ به الوعد في البعض فصح معنى (من) .

وقوله " ويؤخركم إلى أجل مسمى " قد تقدم القول فيه في سورة الأعراف في قوله " ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٤٦٦

يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " وجلبت هذه هناك بسبب ما يظهر بين الآيتين من التعارض .
ويليق هنا أن نذكر مسألة المقتول هل قطع أجله أم ذلك هو أجله المحتوم عليه .
فالأول هو قول المعتزلة والثاني قول أهل السنة .
فتقول المعتزلة لو لم يقتله لعاش وهذا سبب القود .
وقالت فرقة من أهل السنة لو لم يقتله لمات حتف أنفه .
". (١)

"الكتاب وأوتوه حينئذ " يؤمنون به " أي كانوا مصدقين بهذا الكتاب الذي أنزلناه إليك فالضمير في " به " عائد على القرآن ثم أخبر عن معاصري محمد صلى الله عليه وسلم أن منهم أيضا " من يؤمن به " ولم يكونوا آمنوا بعد ففي هذا إخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك ثم أنحى على الجاحدين من أمة قد آمن سلفها في القديم وبعضها في الحديث وحصل الجاحدون في أخس رتبة من الضلال ويشبه أن يراد أيضا في هذا الإنحاء كفار قريش مع كفار بني إسرائيل ثم بين تعالى الحجة على المبطلين المرتابين ما وضح أن مما يقوي نزول هذا القرآن من عند الله أن محمدا صلى الله عليه وسلم جاء به في غاية الإعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حرفا ولا سبيل له
٣٢٢
إلى العلم فإنه لو كان ممن يقرأ " لارتاب المبطلون " وكان لهم في ارتيابهم متعلق واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده وقال مجاهد كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية وذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أنه قال ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وأسند أيضا حديثا إلى أبي كبشة السلولي مضمنه أنه عليه السلام قرأ صحيفة لعيينة بن حصن وأخبر بمعناها
قال الفقيه الإمام القاضي وهذا كله ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه وقوله تعالى " بل هو آيات بينات " إضراب عن مقدر من الكلام يقتضيه ما تقدم كأنه قال ليس الأمر كما حسبوا " بل هو " وهذا الضمير يحتمل أن يعود على القرآن ويؤيده أن في قراءة ابن مسعود بل هي آيات ويحتمل أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده أن قتادة قرأ بل هو آية بينة على الإفراد وقال المراد النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يعود على أمر محمد صلى الله عليه وسلم في أنه لم يتل ولا خط وبكل احتمال قالت فرقة وكون هذا كله " آيات " أي علامات " في صدور " العلماء من المؤمنين بمحمد يراد به مع النظر والاعتبار و " الظالمون " و " المبطلون " قيل يعم لفظهما كل مكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن عظم الإشارة بهما إلى قريش لأنهم الأهم قاله مجاهد وقال قتادة " المبطلون " اليهود
قوله عز وجل في سورة العنكبوت آية ٥٠ - ٥٢
". (٢)

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٣٢٩

(٢) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/٣٧٥

٣٥٧"

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون " : السجدة : ١٨ إلى تمام ثلاث آيات ويأتي تفسيرها وقال جابر بن عبد الله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ " ألم " السجدة و " تبارك " : الملك : ١

قوله عز وجل من سورة السجدة آية ١ – ٤

(تنزيل) يصح أن يرتفع بالابتداء والخبر " لا ريب " ويصح أن يرتفع على أنه خبر ابتداء وهو إما الحروف المشار إليها على بعض الأقوال في أوائل السور وإما ذلك تنزيل أو نحو هذا من التقدير بحسب القول في الحروف وقوله تعالى " لا ريب فيه " أي هو كذا في نفسه ولا يراعى ارتياب الكفرة وقوله " من رب العالمين " متعلق ب " تنزيل " ففي الكلام تقديم وتأخير ويجوز أن يتعلق بقوله " لا ريب " أي لا شك فيه من جهة الله تعالى وإن وقع شك للفكرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذلك هو في كل القرآن إلا قوله " ريب المنون " : الطور : ٣٠ وقوله " أم يقولون " إضراب كأنه قال بل أيقولون و " افتراه " اختلقه ثم رد تعالى على مقالتهم هذه وأخبر أنه " الحق " من عند الله واللام في قوله " لتنذر " يجوز أن تتعلق بما قبلها ولا يجوز الوقف على قوله " من ربك " ويجوز أن تتعلق بفعل مضمر تقديره أنزله لتنذر فيوقف حينئذ على قوله " من ربك " وقوله " ما أتاهم من نذير " أي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا آباؤهم العرب وقوله تعالى " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " : فاطر : ٢٤ يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه لأنها علمت بإبراهيم وبنيه ودعوتهم وهم ممن لم يأتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى " في ستة أيام " يقضي بأن يوما من أيام الجمعة بقي لم يخلق فيه

شيء وتظاهرت الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتدئ يوم الأحد وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء فهذا مستقيم مع هذه الآية

٣٥٨

ووقع في كتاب مسلم أن الخلق ابتدئ يوم السبت فهذا يخالف الآية اللهم إلا أن يكون أراد في الآية جميع الأشياء غير آدم ثم يكون يوم الجمعة هو الذي لم يخلق فيه شيء مما بين السماء والأرض لأن آدم لم يكن حينئذ مما بينهما وقد تقدم القول في قوله " استوى على العرش " بما فيه كفاية و " ثم " في هذا الموضع لترتيب الجمل لأن الاستواء كان بعد أن لم يكن وهذا على المختار في معنى " استوى " ونفي الشفاعة محمول على أحد وجهين إما عن الكفرة وإما نفي الشفعاء من ذاتهم على

حد شفاعة الدنيا لأن شفاعة الآخرة إنما هي بعد إذن من الله تعالى

قوله عز وجل من سورة السجدة آية ٥." [١]

"وقوله " خصمان " تقديره نحن خصمان وهذا كقول الشاعر

(وقولا إذا جاوزتما أرض عامر

وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما)

(نزيعان من جرم ابن زبان إنهم

أبوا أن يميروا في الهزاهز محجما) " الطويل "

ونحوه قال العرب في مثل محسنة فهيلي التقدير أنت محسنة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم آيبون تائبون و " بغى " معناه اعتدى واستطال ومنه قول الشاعر

(ولكن الفتى حمل بن بدر

بغى والبغي مرتعه وخيم) " الوافر "

وقوله " فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط " إغلاظ على الحاكم واستدعاء بعدله وليس هذا **بارتياب** منه ومنه قول الرجل للنبي عليه السلام فاحكم بيننا بكتاب الله

وقرأ جمهور الناس ولا تشطط بضم التاء وكسر الطاء الأولى معناه ولا تتعد في حكمك وقرأ أبو رجاء وقتادة تشطط بفتح التاء وضم الطاء وهي قراءة الحسن والجحدري ومعناه ولا تبعد يقال شط إذا بعد وأشط إذا أبعد غيره وقرأ زر بن حبيش تشاطط بضم التاء وبالألف و " سواء الصراط " معناه وسط الطريق ولا حبه

وقوله " إن هذا أخي " إعراب أخي عطف بيان وذلك أن ما جرى من هذه الأشياء صفة كالخلق والخلق وسائر الأوصاف فإنه نعت محض والعامل فيه هو العامل في الموصوف وما كان منها مما ليس ليوصف به بتة فهو بدل والعامل فيه مكرر وتقول جاءني أخوك زيد فالتقدير جاءني أخوك جاءني زيد فاقتصر على حذف العامل في البدل والمبدل منه في قوله " ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون " [يس : ٣١] وما كان منها مما لا يوصف به واحتيج إلى أن يبين به ويجري مجرى الصفة فهو عطف بيان وهو بين في قول الشاعر

(يا نصر نصرا نصرا

) " الرجز "

فإن الرواية في الثاني بالتنوين فدل ذلك على أن النداء ليس بمكرر عليه فليس ببدل وصح فيه عطف البيان وهذه الأخوة مستعارة إذ هما ملكان لكن من حيث تصورا آدميين تكلما بالأخوة التي بينهما في الدين والإيمان والله أعلم والنعجة في هذه الآية عبر بها عن المرأة والنعجة في كلام العرب تقع

٥٠٠

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤١٢/٤

على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضأن وتعبر العرب بها عن المرأة وكذلك بالشاة قال الأعشى

(فرميت غفلة عينه عن شاته

فأصبت حبة قلبها وطحالها) " الكامل "

أراد عن امرأته وفي قراءة ابن مسعود وتسعون نعجة أنثى وقرأ حفص عن عاصم ولي بفتح الياء وقرأ الباقون بسكونها وهما حسنان وقرأ الحسن والأعرج نعجة بكسر النون والجمهور على فتحها وقرأ الحسن تسع وتسعون بفتح التاء فيهما وهي لغة ". (١)

"قد قدمنا ذكر الخلاف في هذه الأقوال كلها هل هي من قول مؤمني آل فرعون أو من قول موسى عليه السلام وقالت فرقة من المتأولين منهم الطبري " يوسف " المذكور هو يوسف بن يعقوب صلى الله عليه وقالت فرقة بل هو حفيده يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب والبينات التي جاء بها يوسف لم تعين لنا حتى نقف على معجزاته وروي عن وهب بن منبه أن فرعون موسى لقي يوسف وأن هذا التقريع له كان وروى أشهب عن مالك أنه بلغه أن فرعون عمر أربعمائة سنة وأربعين سنة وقالت فرقة بل هو فرعون آخر

وقوله " قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا " حكاية لرتبة قولهم لأنهم إنما أرادوا أن يجيء بعد هذا من يدعي مثل ما ادعى ولم يقرأ أولئك قط برسالة الأول ولا الآخر ولا بأن الله يبعث الرسل فحكى رتبة قولهم وجاءت عبارتهم مشنعة عليهم ولذلك قال بإثر هذا "كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب " أي كما صيركم من الكفر والضلالة في هذا الحد فنحو ذلك هو إضلاله لصنعكم أهل السرف في الأمور وتعدي الطور **والارتياب** بالحقائق وفي مصحف أبي بن كعب وابن مسعود قلتم لن يبعث الله ثم أنحى لهم على قوم صفتهم موجودة في قوم فرعون فكأنه أرادهم فزال عن مخاطبتهم حسن أدب واستجلابا فقال " الذين يجادلون في آيات الله " أي بالإبطال لها والرد بغير برهان ولا حجة أتتهم من عند الله كبر مقت جدالهم عند الله فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه ورد الفاعل ب "كبر " نصيبا على التمييز كقولك تفقأت شحما وتصببت عرقا و " يطبع " معناه يختم بالضلال ويحجب عن الهدى

وقرأ أبو عمرو وحده والأعرج بخلاف عنه على كل قلب بالتنوين متكبرا على الصفة وقرأ الباقون على كل قلب بغير تنوين و بإضافته إلى متكبر قال أبو علي المعنى يطبع الله على القلوب إذ كانت قلبا قلبا من كل متكبر ويؤكد ذلك أن في مصحف عبد الله بن مسعود على قلب كل متكبر جبار

قال القاضي أبو محمد

ويتجه أن يكون المراد عموم قلب المتكبر الجبار بالطبع أي لا ذرة فيه من إيمان ولا مقاربة فهي عبارة عن شدة إظلامه

قوله عز وجل في سورة غافر من ٣٦ - ٤٠

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٦٩/٤

٥٦٠
". (١)

"وقوله تعالى " ويستغفرون لمن في الارض " قالت فرقة هذا منسوخ بقوله تعالى في آية أخرى " ويستغفرون للذين آمنوا " غافر٧ وهذا قول ضعيف لأن النسخ في الإخبار لا يتصور

وقال السدي ما معناه إن ظاهر الآية العموم ومعناها الخصوص في المؤمن فكأنه قال "

ويستغفرون لمن في الأرض " من المؤمنين إذ الكفار عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

وقالت فرقة بل هي على عمومها لكن استغفار الملائكة ليس بطلب غفران الله تعالى للكفرة على ان يبقوا كفرة وإنما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التي تؤدي إلى الغفران لهم وكان الملائكة تقول اللهم أهد أهل الأرض واغفر لهم

ويؤيد هذا التأويل تأكيده صفة الغفران والرحمة لنفسه بالاستفتاح وذلك قوله " ألا إن الله هو الغفور الرحيم " أي لما كان الاستغفار لجميع من في الارض يبعد ان يجاب رجا عز وجل بأن استفتح الكلام تهيئة السامع فقال " ألا إن الله " هو الذي يطلب هذا منه إذ هذه اوصافه وهو أهل المغفرة

٢٧

قوله عز وجل

سورة الشورى٦ - ٩

هذه آية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار وإزالة عن النبي صلى الله عليه وسلم جميع الكلف سوى التبليغ فقط لئلا يهتم بعدم إيمان قريش وغيرهم فقال تعالى لنبيه إن الذين اتخذوا الأصنام والأوثان أولياء من دون الله هو الحفيظ عليهم كفرهم المحصي لأعمالهم المجازي لهم عليها بعذاب الآخرة وانت فلست بوكيل عليهم ولا ملازم لأمرهم حتى يؤمنوا

والوكيل المقيم على الأمر وما في هذا اللفظ من موادعة فهو منسوخ بآية السيف ثم قال تعالى " وكذلك اوحينا إليك " أي وكما قضينا امرك هكذا وامضيناه في هذه الصورة كذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا مبينا لهم لا يحتاجون معه الى آخر سواه ولا محتج غيره إذ فهمه متأت لهم ولم يكلفك الا انذارا من ذكر

و " ام القرى " مكة والمراد اهل مكة ولذلك عطف " من " وهي في الأغلب لمن يعقل

و " يوم الجمع " هو يوم القيامة واقتصر في " تنذر " على المفعول الأول لأن المعنى وتنذر اهل أم القرى العذاب وتنذر الناس يوم الجمع أي تخوفهم إياه لما فيه من عذاب من كفر وسمي " يوم الجمع " لاجتماع أهل الأرض فيه بأهل السماء او لاجتماع بني آدم للعرض

وقوله " لا ريب فيه " أي في نفسه وذاته وارتياب الكفار به لا يعتد به

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦٢٦/٤

وقوله " فريق " مرتفع على خبر الابتداء المضمر كانه قال هم فريق في الجنة وفريق في السعير ". (١)

"وقوله تعالى " باطنه فيه الرحمة " أي جهة المؤمنين " وظاهره " جهة المنافقين والظاهر هنا البادي ومنه قول من ظاهر مدينة كذا وقوله تعالى " ينادونهم " معناه ينادي المنافقون المؤمنين " ألم نكن معكم " في الدنيا فيرد المؤمنون عليهم " بلى "كنتم معنا ولكنكم عرضتم انفسكم للفتنة وهو حب العاجل والقتال عليه قال مجاهد " فتنتم أنفسكم " بالنفاق " وتربصتم " معناه هنا بأمانكم " فأبطأتم " به حتى متم

وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد عليه السلام الدوائر وشككتم في امر الله

والارتياب التشكك و " الأماني " التي غرتهم هي قولهم سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش ستأخذه الأحزاب الى غير ذلك من أمانيهم وطول الأمل غرار لكل أحد و " أمر الله " الذي " جاء " هو الفتح وظهور الاسلام وقيل هو موت المنافقين وموافاتهم على هذه الحال الموجبة للعذاب و " الغرور " الشيطان بإجماع من المتأولين

وقرأ سماك بن حرب بضم الغين وأبو حيوة وينبغي لكل مؤمن ان يعتبر هذه الآية في نفسه وتسويفه في توبته

قوله عز وجل

سورة الحديد ١٥ - ١٧

قوله تعالى " فاليوم لا يؤخذ " استمرار في مخاطبة المنافقين

قاله قتادة وغيره وروي في معنى قوله " ولا من الذين كفروا " حديث وهو ان الله تعالى يقرر الكافرين فيقول له أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا أكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار فيقول نعم يا رب فيقول الله تعالى قد سألتك ما هو أيسر من هذا وانت في صلب أبيك آدم ان لا تشرك بي فأبيت الا الشرك

وقرا جمهور القراء والناس (يؤخذ) بالياء من تحت

وقرا أبو جعفر القارىء (تؤخذ) بالتاء من فوق وهي

قراءة ابن عامر في رواية هشام عنه وهي قراءة الحسن وابن أبي اسحاق والأعرج

وقوله " هي مولاكم " قال المفسرون معناه هي اولى بكم وهذا تفسير بالمعنى وإنما هي

٢٦٤

استعارة لأنها من حيث تضمنهم وتباشرهم هي تواليهم وتكون لهم مكان المولى وهذا نحو قول الشاعر عمرو بن معد يكرب

(تحية بينهم ضرب وجميع

) " الوافر "

وقوله تعالى " ألم يأن " الآية ابتداء معنى مستانف وروي انه كثر المزاح والضحك في بعض تلك المدة في قوم من شبان المسلمين فنزلت هذه الاية

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٢٤

وقال ابن مسعود مل الصحابة ملة فنزلت الآية
ومعنى " ألم يأن " ألم يحن ويقال أني الشيء يأني إذا حان ومنه قول الشاعر
(تمخضت المنون له بيوم
أنى ولكل حاملة تمام) " الوافر "
وقرأ الحسن بن أبي الحسن ألما يأن وروي عنه أنه قرأ ألم يين
وهذه الآية على معنى الحض والتقريع قال ابن عباس عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن وسمع الفضل بن موسى قارئا يقرأ هذه الآية والفضل يحاول معصية فكانت الآية سبب توبته
". (١)

"ثم قرا هذه الآيات من هذه السورة وقوله تعالى " إن الله بالغ أمره " بيان وحض على التوكل أي لا بد من نفوذ امر الله توكلت أيها المرء او لم تتوكل قاله مسروق
فإن توكلت كفاك وتعجلت الراحة والبركة وإن لم تتوكل وكلك الى عجزك وتسخطك وامره في الوجهين نافذ وقرا داود بن هند ورويت عن ابي عمرو (بالغ امره) برفع الأمر وحذف مفعول تقدير بالغ امره ما شاء وقرا جمهور السبعة (بالغ امره) بنصب الأمر وقرا حفص والمفضل عن عاصم (بالغ امره) على الإضافة وترك التنوين في (بالغ) ورويت عن أبي عمرو والأعمش وهي قراءة طلحة بن مصرف وقرا جمهور الناس (قدرا) بسكون الدال وقرا بعض القراء (قدرا) بفتح الدال وهذا كله حض على التوكل
٣٢٥
قوله عز وجل
سورة الطلاق ٤ - ٧
" اللائي " هو جمع ذات في ما حكى أبو عبيدة وهو ضعيف والذي عليه الناس أنه جمع التي وقد يجيء جمعا للذي واليائسات من المحيض على مراتب فيائسة هو اول يأسها فهذه ترفع الى السنة ويبقيها الاحتياط على حكم من ليست بيائسة لأنا لا ندري لعل الدم يعود ويائسة قد انقطع عنها الدم لأنها طعنت في السن ثم طلقت وقد مرت عادتها بانقطاع الدم الا انها مما يخاف ان تحمل نادرا فهذه التي في الآية على احد التاولين في قوله " إن ارتبتم " وهو قول من يجعل **الارتياب** بامر الحمل وهو الأظهر ويائسة قد هرمت حتى تتيقن أنها لا تحمل فهذه ليست في الآية لأنها لا يرتاب بحملها لكنها في حكم الأشهر الثلاثة اجماعا فيما علمت وهي في الآية على تأويل من يرى قوله " إن ارتبتم " معناه في حكم اليائسات وذلك انه روى اسماعيل بن أبي خالد ان قوما منهم أبي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قول الله عز وجل " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء " البقرة ٢٢٨ قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر او كبر فنزلت الآية فقال قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت " وأولات الأحمال اجلهن ان يضعن حملهن " وقد تقدم ذكر الخلاف في تاويل " إن

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢٣٨/٥

ارتبتم " " واولات " جمع ذات واكثر اهل العلم على ان هذه الآية تعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة والحجة حديث سبيعة الأسلمية قالت كنت تحت سعد بن خولة فتوفي في حجة الوداع ووضعت حملها قبل أربعة أشهر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (قد حللت) وامرها ان تتزوج وقال ابن مسعود نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى يعني ان قوله تعالى " واولات الأحمال اجلهن ان يضعن حملهن " نزلت بعد قوله تعالى " والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا " البقرة ٢٣٤ وقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب إنما هذه في المطلقات واما في الوفاة فعدة الحامل آخر الأجلين إن وضعت قبل

". (١)

"ومع الرحمة والجلال : ﴿ لا يملكون منه خطاباً ﴾ . . في ذلك اليوم المهيب الرهيب : يوم يقف جبريل عليه السلام والملائكة الآخرون ﴿ صفاً لا يتكلمون ﴾ . . إلا بإذن من الرحمن حيث يكون القول صواباً . فما يأذن الرحمن به إلا وقد علم أنه صواب .

وموقف هؤلاء المقربين إلى الله ، الأبرياء من الذنب والمعصية . موقفهم هكذا صامتين لا يتكلمون إلا بإذن وبحساب . . يغمر الجو بالروعة والرهبة والجلال والوقار . وفي ظل هذا المشهد تنطلق صيحة من صيحات الإنذار ، وهزة للنائمين السادرين في الخمار : ﴿ ذلك اليوم الحق . فمن شآء اتخذ إلى ربه مآباً . إنآ أنذرناكم عذاباً قريباً : يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً ﴾ . .

إنها الهزة العنيفة لأولئك الذين يتساءلون في **ارتياب** : ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ . . فلا مجال للتساؤل والاختلاف . . والفرصة ما تزال سانحة! ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً ﴾ . . قبل أن تكون جهنم مرصاداً ومآباً!

وهو الإنذار الذي يوقظ من الخمار : ﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ﴾ . . ليس بالبعيد ، فجهنم تنتظركم وتترصد لكم . على النحو الذي رأيتم . والدنيا كلها رحلة قصيرة ، وعمر قريب!

وهو عذاب من الهول بحيث يدع الكافر يؤثر العدم على الوجود : ﴿ يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . ويقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً ﴾ . . وما يقولها إلا وهو ضائق مكروب!

وهو تعبير يلقي ظلال الرهبة والندم ، حتى ليتمنى الكائن الإنساني أن ينعدم . ويصير إلى عنصر مهمل زهيد . ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف الرعيب الشديد . . وهو الموقف الذي يقابل تساؤل المتسائلين وشك المتشككين . في ذلك النبأ العظيم!!! (رحمه الله ١)

ما ترشد إليه الآياتُ

١– لله تعالى في الدنيا والآخرة صفتان عظيمتان : هما العظمة والجلال فهو ربّ السموات والأرض والكون ، والرحمة الشاملة لكل شيء ، فهو الرحمن الرحيم.

٢– اقتضت عظمة الله ألا يقدر أحد على مخاطبته يوم القيامة إلا لمن أذن له بالشفاعة.

---

(١) المحرر الوجيز ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٢٩٩

٣- لا يتكلم جبريل والملائكة في موقف القيامة إجلالا لربّهم وخوفا منه وخضوعا له ، فكيف يكون حال غيرهم ؟
٤- إن يوم القيامة كائن واقع حتما لا شك فيه ، فالسعيد من اتّخذ فيه إلى ربّه مرجعا بالإيمان والعمل الصالح.
٥- إن يوم القيامة وما فيه من العذاب قريب الوقوع لأن كل آت قريب ، وفيه يجد كل إنسان ما قدم من خير أو شر.

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ ١) - فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٨٠٨)." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٢٤

المتجلى عليهم بالقهر دائما لذهب بسمعهم وأبصارهم وبعموم تعيناتهم التي ظنوا أنفسهم بسببها انهم موجودات حقيقية وصيرهم فانين معدومين بحيث لا وجود لهم أصلا كما هم عليه حقيقة دائما عند العارف المحقق المتحقق بوحدة الوجود المسقطة لعموم الكثرات قل لهم يا أكمل الرسل بلسان الجمع إن الله المتجلى بالتجلى اللطفى على إبقاء كل شي ء قدير وعلى افنائه أيضا بالتجلى القهرى إذ لا يجرى في ملكه الا ما يشاء

ثم نبه سبحانه على كيفية رجوعهم اليه سبحانه وتنبههم على تجلياته فناداهم إشفاقا لهم وامتنانا عليهم ليقبلوا منه ويتوجهوا نحوه فقال يا أيها الناس الذين نسوا حقوق الله بمتابعة آبائهم اعبدوا على وجه التذلل والتضرع وانقادوا ربكم الذي خلقكم أخرجكم وأظهركم من كتم العدم باشراق تجلياته اللطفية إلى فضاء الوجود وايضا اخرج آباءكم واسلافكم الذين مضوا من قبلكم لعلكم تتقون وتحذرون من تجلياته القهرية هذا في بدء الوجود

و في المعاش اعبدوا ربكم الذي جعل لكم الأرض فراشا مبسوطا لتستقروا عليها وتسترزقوا فيها والسماء بناء وسقفا مرفوعا لترتقى الابخرة والادخنة المتصاعدة إليها وتتراكم السحب الماطرة منها فيها بمقتضى الحكمة المتقنة البالغة وبعد إيجاد هذه الأسباب أنزل بمحض فيضه وفضله من جانب السماء ماء منبتا لكم الزروع والأثمار المقومة لا مزجتكم فأخرج به سبحانه بعد ما انزل أنواعا من الثمرات لتكون رزقا لكم مقوما لأمزجتكم كي تعيشوا بها وتتمكنوا بسببها إلى الطاعة والعبادة والتوجه نحو توحيده وتفريده سبحانه الذي هو غاية ايجادكم والحكمة في وجودكم وخلقكم ومعظم ما يترتب على بدئكم وظهوركم وإذا كان الأمر كذلك فلا تجعلوا أيها المنعمون بأنواع النعم لله الواحد الأحد القهار لعموم الأغيار أندادا اشباها وأمثالا في استحقاق العبادة والأقدار على الإيجاد والتكوين والترزيق والإنبات والأحياء وغير ذلك مما يتعلق بالالوهية وأنتم وصلتم إلى مرتبة التوحيد الذاتي الذي هو المقصد الأقصى من ايجادكم ووجودكم تعلمون يقينا ان سلسلة الأسباب منتهية اليه سبحانه ولا موجد لها سواه بل لا موجود الا هو وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو والتحقق بهذا المقام والوصول إلى هذا المرام لا يتيسر الا بعد التخلق بأخلاق الله والتخلق بأخلاقه سبحانه لا يحصل الا بمتابعة المتخلق الكامل وأكمل المتخلقين نبينا عليه السلام وتخلقه صلى الله عليه وسلم انما يكون بالكتاب الجامع لجميع اخلاق الله المنزل على مرتبته الجامعة لجميع مراتب المظاهر

و إن كنتم أيها المحجوبون بالأديان الباطلة في ريب شك **وارتياب** مما نزلنا بمقتضى تربيتنا وإرشادنا على عبدنا الذي هو

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم، المؤلف غير معروف ص/١١١

خليفتنا ومرآتنا ومظهر جميع اوصافنا وحامل وحينا من الكتاب المنزل عليه من لدنا المشتمل على جميع أخلاقنا فأتوا بسورة او جملة قصيرة من مثله في الاشتمال على الأخلاق الإلهية إذ من خواص هذا الكتاب ان مجموعه مشتمل على عموم الأخلاق الإلهية وكذا كل سورة منه أيضا مشتمل على ما اشتمل عليه المجموع اجمالا وتفصيلا تأمل تفز وان عجزتم أنتم عن آياتنا ادعوا شهداءكم أى حضراءكم وظهراء كم التي أنتم تشهدون بالوهيتهم وترجعون في الخطوب والملمات نحوهم من دون الله المحيط بكم وبهم فأمروهم بإتيانها كذلك إن كنتم صادقين انهم آلهة غير الله سبحانه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

فإن لم تفعلوا ولم تأتوا بها أنتم أيها الجاهلون المعاندون في حين التحدي والمعارضة ولن تفعلوا أيصا أبدا مع تلك التماثيل الباطلة العاطلة بعد ما رجعتم إليهم فلا تكابروا بعد ذلك ولا تنازعوا بل." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ١٥٨

اشفاق مرتبة النبوة والرسالة وقل لهم في أنفسهم حين كانوا منفردين عن المؤمنين قولا بليغا ليؤثر فيهم ويحرك فطرتهم الاصلية التي هم فطروا عليها رجاء ان يتفطنوا بالتوحيد ويتنبهوا بحقيته بتوفيق الله وجذب من جانبه

و لا تستبعد يا أكمل الرسل أمثال هذا التوفيق منا إياهم إذ ما أرسلنا من رسول إلى امة من الأمم الماضية إلا ليطاع ويؤمن به ويمتثل بامره بإذن الله وعند تعلق ارادته بإطاعتهم له وايمانهم به ولو أنهم عن غاية جهلهم ونفاقهم إذ ظلموا أنفسهم بالخروج عن اطاعتك وانقيادك عنادا جاؤك تائبين معتذرين عما صدر عنهم فاستغفروا الله مخلصين نادمين واستغفر لهم الرسول أيصا بالاستشفاع والاستدعاء من الله بالقبول بعد ما جاءوا معتذرين لوجدوا الله العفو الرءوف عطوفا البتة وصادفوه مفضلا كريما توابا رحيما يقبل توبتهم ويوفقهم عليها.

فلا وربك يعنى فوحق ربك وعظم شانه وسطوع برهانه لا يؤمنون بالله وبكتبه ورسله حتى يحكموك أيها المبعوث للكل فيما شجر وحدث بينهم أى في عموم وقائعهم وخطوبهم التي اختلفوا فيها ثم أى بعد ما حكموك لا يجدوا حين راجعوا وجدانهم في أنفسهم حرجا ضيقا واضطرابا وشكا وارتيابا مما قضيت وحكمت به أنت وبالجملة يسلموا حكمك وقضائك تسليما ناشئا عن محض الإطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا إذ اطاعتك وانقيادك يا أكمل الرسل عين اطاعتنا وانقيادنا وهكذا نفاقك وشقاقك

و لو أنا كتبنا أى لو فرضنا وأمرنا عليهم حتما أن اقتلوا أنفسكم في سبيلنا أو اخرجوا من دياركم المألوفة التي هي بقعة الإمكان طلبا لمرضاتنا ما فعلوه أى المأمور به إلا قليل منهم الا وهم الموفقون المخلصون المبادرون إلى الفناء في الله ليفوزوا بشرف بقائه ولقائه ولو أنهم من شدة تشوقهم وتعطشهم بمرتبة الفناء فيه سبحانه قد فعلوا عموم ما يوعظون ويؤمرون به لكان خيرا لهم في أولاهم وأخراهم وأشد تثبيتا لقدمهم في طريق التوحيد وصراط العرفان

و إذا أى حين ثبتوا على طريق التوحيد أشد تثبيتا لآتيناهم من لدنا تفضلا منا إياهم بلا صنع منهم أجرا عظيما الا وهو الفوز بمرتبة الكشف والشهود

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٢٥/١

و لهديناهم صراطا مستقيما يوصلهم إلى وحدة ذاتنا بلا اعوجاج ولا انحراف اهدنا بلطفك صراطا مستقيما يوصلنا إلى ذروة توحيدك يا هادي المضلين

و اعلموا أيها المؤمنون من يطع الله حق أطاعته سبحانه ويطع الرسول المستخلف عنه سبحانه فأولئك المطيعون لله ولرسوله مصاحبون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الذين يجمعون بين مرتبتي الكمال والتكميل الفائزين بمقام الكشف والشهود بحيث لا يرون غير الله في الوجود لذلك يدبرون الأمور الجارية في العالم الظاهر والباطن والصديقين وهم الذين يصلون إلى مقام المشاهدة ويتحيرون في مطالعة وجه الله الكريم إلى حيث لا يلتفتون إلى الكمال والتكميل بل يهيمون ويستغرقون من كمال شوقهم وحضورهم والشهداء وهم الذين يرفعون حجب انانيتهم ومزاحمة هويتهم عن البين مطلقا والصالحين وهم الذين يستعدون نفوسهم لفيضان المراتب السابقة لهم في علم الله ولوح قضائه ويترصدون لها ايمانا واحتسابا وبالجملة قد حسن أولئك المقربون المجتهدون المجاهدون في طريق التوحيد حسب مقدورهم رفيقا شفيقا للسالكين المتوجهين نحوه

ذلك الفضل والهداية والرفاقة مع هؤلاء الأمناء العظام والكبراء الكرام والتفضل والانعام كرامة من الله المفضل الكريم وامتنانا من لدنه بلا تصنع." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ١٧٧

و الاختبارات وتحريم المباحات عليهم وانواع البليات والأذيات وكفرهم بآيات الله الدالة على توحيده المنزلة على خلص عبيده وقتلهم الأنبياء المعصومين عن الجرائم مطلقا بغير حق أى بلا رخصة شرعية وقولهم للأنبياء والرسل حين دعوتهم إلى الايمان عتوا واستكبارا قلوبنا غلف يعنى اوعية مملوة بالحقائق والمعارف مختومة عليها لا يسع فيها ما جئتم به والحال انه ليس في قلوبهم ما يتعلق بأمور الدين مقدار خردلة بل قد طبع الله المضل المذل باسمه المنتقم وختم عليها بكفرهم بشؤم شركهم وكفرهم فلا يؤمنون ولا يوفقون على الايمان منهم إلا قليلا

و بكفرهم أى بسبب سترهم الحق عنادا ومكابرة واظهارهم الباطل عتوا واستكبارا وقولهم رميا وافتراء على مريم المنزهة عن مطلق الكدورات البشرية بهتانا عظيما حيث يبهتونها ويرمونها بالزنا مع كمال عصمتها وعفتها وطهارة ذيلها عن مطلق الجرائم والآثام

و قولهم أيضا ارجافا واسماعا تبجحا إنا قد قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الذي زعمتموه رسول الله وكلمته وروحا منه والحال انه ما قتلوه وما صلبوه إذ هو في حماية الله وفوق سمائه ولكن قد شبه لهم رجل منهم أى القى الله شبهه على حارس منهم يحرسه ليظفروا عليه فرفع المشبهة به يعنى عيسى عليه السلام نحو السماء وبقي المشبه يعنى الحارس فقتل وصلب. ثم اختلفوا فقالوا ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وان كان صاحبنا فأين عيسى وبالجملة إن الذين اختلفوا فيه وفي قتله وصلبه ورفعه إلى السماء لفي شك منه أى في تردد وارتياب في حقه ما لهم به وبشأنه من علم تصديق ويقين إلا اتباع الظن والظن لا يغنى من الحق شيأ والحق انه ما قتلوه يقينا كما زعموه

بل الحق انه قد رفعه الله الرقيب عليه المتولى لحفظه وامره إليه أى إلى كنف حفظه وجواره انجازا لوعده في قوله انى متوفيك

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١/١٥٨

ورافعك إلى الآية وكان الله القادر المقتدر على كل ما أراد وشاء عزيزا غالبا قادرا على رفعه حكيما في قتل من شبه له ليرجفوا بها

ثم قال سبحانه وإن من أهل الكتاب أى ما من جميع من انزل اليه الكتاب من المسلمين والنصارى واليهود وسائر من انزل إليهم احد مكلف إلا ويجب له ويلزم عليه بايجابنا والزامنا إياه ليؤمنن به أى بعيسى صلوات الله عليه وسلامه حين نزوله إلى الأرض لتقوية دين محمد صلى الله عليه وسلم وترويجه إذ هو جامع لجميع الأديان الحقة لابتنائها على التوحيد الذاتي المشتمل على توحيد الصفات والأفعال وعند ظهوره صلى الله عليه وسلم قد اتحدت الأديان كلها الا ان المحجوبين لا يفهمون اتحادها لان عيسى عليه السلام في نفسه من عجائب صنع الله وبدائع مخترعاته ومن اعزة أنبيائه واجلة رسله فلا بد ان يكون الايمان به قبل موته إذ حكى في الحديث النبوي صلوات الله على قائله انه ينزل من السماء ويعيش في الأرض زمانا ويؤمن له جميع من في الأرض ثم يموت قبيل الساعة ويوم القيامة يكون عليهم أى على جميع من آمن به واتبع هداه شهيدا يشهد لهم بالإيمان عند الله

فبظلم أى بسبب ظلم وخروج عن حدود الله ونقض لعهوده قد صدر وظهر من الذين هادوا حرمنا عليهم في كتابهم طيبات أحلت لهم فيما مضى وكذا بصدهم أيصا بسبب اعراضهم وذبهم المؤمنين عن سبيل الله وطريق توحيده سبحانه اعراضا كثيرا و أخذهم الربوا من المضطرين أضعافا مضاعفة والحال انه قد نهوا عنه في دينهم وكتابهم وأكلهم أموال الناس بالباطل بلا رخصة شرعية مثل السرقة والغصب والربوا." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٣٤٢

و بعد ما تمرنوا بالصبر واستقاموا على ما أمروا مخبتين فازوا بما ناجوا وطلبوا مؤملين

و اذكر يا أكمل الرسل وقت إذ جاوزنا ببني إسرائيل البحر أى عبرناهم من البحر سالمين وذلك حين هم فرعون وملاؤه ان يكبوا على بنى إسرائيل ويستأصلوهم بالمرة فأوحينا إلى موسى ان أسر بعبادي ليلا فاسرى بهم فأخبروا فخرجوا على أثرهم على الفور فادركوهم على شاطئ البحر فأوحينا إلى موسى بضرب البحر بالعصا فضرب فانفلق البحر وافترق فرقا فعبروا سالمين فلما ابصر فرعون وملاؤه انفلاق البحر وعبورهم منه سالمين فأتبعهم فرعون وجنوده واقتحموا في البحر مغرورين بلا مبالاة وتأمل بغيا وعدوا ظلما وزورا عتوا واستكبارا فاجتمع البحر بعد اقتحامهم وعاد على ما كان عليه فغرقوا حتى إذا أدركه الغرق أى فرعون وايس عن حياته وجزم ان لا نجاة له أصلا قال في حالة الاضطرار مصرخا صائحا باكيا راجيا الخلاص بمجرد الإقرار آمنت واعترفت أنه أى بانه لا إله يعبد بالحق إلا الا له الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين المنقادين لما جاء به رسوله موسى وحين تفوه بها فرعون قد هتف هاتف من وراء سرادقات العز والجلال قائلا

آلآن أيها الطاغي الباغي الغاوي آمنت حين انقرض وقت الايمان وانقضى زمانه وقد أخذت على ما قد عصيت قبل في مدة حياتك وقد كنت في زمان طغيانك وعصيانك الذي هو زمان الايمان والعرفان من المفسدين بأنواع الفسادات لا من المؤمنين

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١٧٧/١

فاليوم والآن لا ينفعك إيمانك بل ننجيك ونخرجك من البحر ببدنك بلا روح ونسقطك على الساحل عريانا لتكون أنت لمن خلفك من المتجبرين المتكبرين آية زاجرة وعبرة رادعة لهم عن العتو والعناد صارفة لهم عن الجور والفساد وإن كثيرا من الناس الناسين عهودنا ومواثيقنا التي قد عهدنا مع استعداداتهم في حضرة علمنا ولوح قضائنا عن آياتنا الدالة على شدة أخذنا وانتقامنا لغافلون مثلك أيها الطاغي

و بعد ما أهلكنا فرعون وملائه بالغرق لقد بوأنا مكنا واسكنا حسب ما وعدنا بني إسرائيل مبوأ صدق أى مقعد صدق وموضع ثبوت واستقرار وتمكين على ما تقتضيه نفوسهم وترتضيه عقولهم وبعد تمكينهم وتوطينهم قد رزقناهم من الطيبات أى من أطايب الاغذية والأشربة والفواكه ولذائذها فما اختلفوا في امر دينهم قبل نزول الكتاب عليهم بل هم متفقون مجتمعون على ما بلغهم رسولهم وهداهم اليه حتى جاءهم العلم وانزل عليهم الكتاب فما اختلفوا فيه وتفرقوا فرقا وتحزبوا أحزابا وانحرفوا عن طريق الحق وحرفوا كتابه سيما نعتك وحليتك واوصافك يا أكمل الرسل إن ربك يقضي بينهم ويحكم عليهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أى يفصل بينهم ويميز محقهم عن مبطلهم بالاثابة والعقاب

فإن كنت يا أكمل الرسل في شك وريب مما أنزلنا إليك في كتابك من قصصهم واخبارهم فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وارجع إليهم لازالة شكك وحل شبهتك وتفحص عنهم حتى تنكشف لك وتحقق عندك وبالجملة لقد جاءك الحق الصريح الصحيح الثابت المطابق للواقع بلا شوب ريب عليك من عند ربك يا أكمل الرسل فلا تكونن أنت فيه من الممترين إذ ليس هذا محلا للشك **والارتياب** إذ لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد عليم

و بعد ما سمعت ما سمعت يا أكمل الرسل لا تكونن." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٣٥٠

اى لم يبق لهم مما يترتب على أعمالهم فيها إلا النار إذ حسناتهم قد وفيت في النشأة الأولى ولم يبق لهم سوى توفية السيئات وليس توفية السيئات الا بالنار وما يترتب عليها من انواع العذاب والآلام وبالجملة قد حبط أى ضاع واضمحل عموم ما صنعوا فيها أى في النشأة الأولى من الخيرات والمبرات بإرادتهم مزخرفات الدنيا الدنية لأجلها وبعدم إخلاصهم وانعكاس مرادهم باطل فاسد ضائع جميع ما كانوا يعملون من الصالحات فيها بل قد صارت أعمالهم الصالحة طالحة من خساسة نيتهم وخباثة طويتهم

أ فمن كان على بينة من ربه يعنى أتظنون وتحسبون ان من انكشف له برهان واضح وكشف صريح وشهود محقق من قبل ربه وتحقق بمقام التوحيد واطلع على سرسريان الوحدة الذاتية في جميع الكوائن والفواسد ومع ذلك يتلوه ويطرء عليه ويجرى على لسانه شاهد ناطق بتصديقه نازل منه أى من عند ربه امتنانا له وتفضلا عليه يريد ويقصد من أفعاله واعماله الصادرة عنه ظاهرا مثل ما أراد أولئك المحجوبون المستورون عن الحق واحاطته وشموله واستقلاله في الآثار الظاهرة في الآفاق كلا وحاشا هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وبالجملة ما يتذكر منه الا أولوا الألباب وكيف ينكرون شهادة القرآن على تصديق خير الأنام إذ قد جاء من قبله من قبل القرآن كتاب موسى من قبل ربه مصدقا له في دعواه وقد صار كتابه

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٣٤٢/١

بكمال اشتماله على الحكم والاحكام إماما وقدوة لقاطبة الأنام ورحمة شاملة للخواص والعوام ليهديهم إلى دار السلام وبالجملة أولئك أى عموم اهل التورية وهم الذين يؤمنون بها ويمتثلون بما فيها يؤمنون به أى بحقية القرآن لكونه مذكورا في كتابهم المنزل عليهم وبالجملة من يكفر به أى بالقرآن وينكر بحقيته من الأحزاب المتحزبين مع المحرفين للتورية المنحرفين عن جادة العدالة والايمان فالنار موعده لا بد وان يرد عليها بمقتضى العدل الإلهي فلا تك أنت يا أكمل الرسل في مرية شك **وارتياب** منه أى من ورودهم عليها انجازا لوعده سبحانه إنه الحق الثابت النازل من ربك لا بد ان يتحقق وقوعه حتما ولكن أكثر الناس لانهماكهم في الغفلة وغلظ حجبهم عن الله لا يؤمنون بحقيته سبحانه وحقية وعده وإنجازه الموعود لذلك حرفوا ما جاء من عند الله في كتابه وزادوا عليه ما لم يجي ء من لدنه سبحانه ظلما وعدوانا

و من أظلم على الله ممن افترى وقد نسب على الله كذبا عمدا وحرف كتابه بتنقيص شي ء منه او زيادة عليه قصدا أولئك الأشقياء المحرفون المجترؤون على الله بتبديل آياته يعرضون في يوم العرض الأكبر على ربهم ويسألون عما فعلوا بكتاب الله فينكرون ويستنزهون أنفسهم عنه ويومئذ يقول الأشهاد ويشهد عليهم الشهود العدول من أعضائهم وجوارحهم إلزاما لهم بانه هؤلاء المسرفون المعاندون الذين قد كذبوا على ربهم وحرفوا كتابه افتراء ومراء ظلما وزورا وبعد إشهاد هؤلاء الاشهاد نودي من وراء سرادقات العز والجلال تفضيحا لهم وتخذيلا على رؤس الملأ ألا لعنة الله وطرده وابعاده عن سعة رحمته نازلة على الظالمين المتجاوزين عن مقتضى حكمه وحكمته عنادا ومكابرة

و هم الذين يصدون ويصرفون عباد الله عن سبيل الله الذي هو الشرع المتين المبين المنزل من عنده على أنبيائه ورسله بالعدالة والتقويم ويبغونها عوجا أى يريدون ان يحدثوا فيها عوجا وانحرافا ليصرفوا عنها ويرتدوا منها أهلها سيما بعد ايمانهم بها وانقيادهم لها." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٣٨٩

انما لا يرون الكل وما يعتقدونه الا من لوائح تجلياته واشعة شئونه الذاتية وتطوراته لذلك نبه سبحانه في كتابه على عباده مخاطبا لحبيبه منبها عليه بان التدابير الكائنة انما تستند اليه تعالى وتصدر عنه بالاستقلال بلا مظاهر ومعين فقال متيمنا بسم الله المتجلى على ظواهر الكائنات بأنواع التدبيرات الرحمن لعموم عباده في النشأة الأولى بوفور العطيات الرحيم لهم في النشأة الاخرى بأعظم المثوبات وارفع الدرجات

[الآيات]

المر أيها الإنسان الكامل اللبيب اللائق لملاحظة رموز آثار الوحدة الذاتية الإلهية اللائح من غرته الغراء مقتضيات لوامع الرشد والرضاء بعموم ما جرى عليه من القضاء تلك السورة المنزلة إليك يا أكمل الرسل آيات الكتاب الجامع لفوائد الكتب المنزلة وأحكامها أى من جملة آياته وبعض منها وايضا الذي أنزل إليك قبل نزول هذه السورة من ربك من الآيات الدالة على تهذيب الظاهر والباطن كلها هو الحق المطابق للواقع النازل من عند الحكيم العليم وبالجملة عموم ما انزل إليك في كتابك هذا منجما حق مطابق للواقع بلا شك **وارتياب** في نزوله من لدنه ولكن أكثر الناس لانهماكهم في الغفلة والنسيان

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٣٥٠/١

لا يؤمنون به ولا يصدقون بما فيه ولا يعتقدون بحقيته وحقية منزله وكيف لا يعتقدون حقيته أولئك الحمقى المعاندون إذ هو الله الواحد الأحد المبدئ الرفيع البديع الذي رفع السماوات أى العلويات معلقا بغير عمد وأساطين يعتمدن عليها ظاهرة كما ترونها في بادى النظر لتكون أسبابا ووسائل للسفليات ثم لما رفعها وصورها على ابلغ النظام وابدعه استوى واستولى باسمه الرحمن على العرش أى على عروش ذرائر الكائنات بالإظهار والإبراز وانواع التدبيرات المتعلقة لحفظها وإبقاء نظامها وانتظامها وكذلك سخر من بينها الشمس والقمر لتتميم التدبير كل منهما يجري لأجل مسمى أى يدور دورة مقدرة شتاء وصيفا ربيعا وخريفا تكميلا لإصلاح ما يتعلق لمعاشهم وحفظهم وبالجملة يدبر الأمر أى امر معاشكم على ما ينبغي ويليق بلا فتور وقصور يفصل لكم الآيات ويوضح لكم الدلائل والشواهد الدالة على توحيده هكذا لعلكم بلقاء ربكم توقنون رجاء ان تتفطنوا وتتيقنوا بوحدة موجدكم ومربيكم من الدلائل الواضحة والشواهد اللائحة

و كيف لا تتفطنون أيها المجبولون على فطرة الفطنة والذكاء بموجدكم ومربيكم مع انهو الذي مد الأرض

و فرشها مبسوطة وجعل فيها رواسي جبالا شامخات لتكون أوتادا لها واجرى عنها وفي خلالها ووهادها أنهارا منتشئة منها جارية على وجه الأرض لا نبات ما تقتاتون وتتفكهون به عليها ومن كل الثمرات قد جعل فيها زوجين اثنين ٤ ليكون سببا لدوامها وبقائها ولانضاجها وإصلاحها يغشي الليل النهار أى يلبس الليل بالنهار لتسكين البرودة والنهار بالليل لتسكين الحرارة ليحصل الاعتدال في طبيعة الهوا المنضج وبالجملة إن في ذلك الحكم والتدابير العجيبة لآيات دلائل واضحات وشواهد لائحات لقوم يتفكرون ويتأملون في حكم الصانع الحكيم المدبر العليم

و أيصا من بدائع قدرته وغرائب حكمته انه قد حصل وظهر في الأرض حسب تدبيره البديع قطع متجاورات متماثلات في الطبيعة والمزاج وحدثت أيصا فيها جنات وبساتين مملوة من أعناب في بعض أطرافها وفي بعض زرع وفي البعض الآخر نخيل مختلفة أنواعها بعضها صنوان أى نخلات متكثرة وأصلها." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٣٩٣

ماء الا وهو ماء الايمان والعرفان المحيي لأموات العكوس والاظلال فسالت أودية بقدرها أى قد امتلأت النفوس القدسية القابلة للمعارف والحقائق بقدر ما يسع في استعداداتها منها فسالت بعد ما امتلأت فاحتمل السيل زبدا رابيا أى دفع وأماط مياه المعارف والحقائق المترشحة من بحر الوحدة الذاتية السائلة من قلوب الكمل زبد التقليدات الحاصلة من رسوب القوى البشرية وغش الطبيعة لتسقطها على أطراف بحر الوجود وتصفيه عن الكدورات مطلقا ومثل ذلك الزبد الباطل يحصل مما يوقدون عليه في النار أى من الأشياء التي يطرح في النار ويوقد عليها لتصفيها من الكدر من الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها حين أرادوا ان يصفوها من الغش والكدر ابتغاء حلية أى طلب اتخاذها منها أو متاع آخر من الأواني وآلات الحرب زبد فاسد باطل في نفسه مثله أى مثل الزبد الاول وبالجملة كذلك يضرب الله المصلح لأحوال عباده الحق والباطل لهم كي يتنبهوا ويتفطنوا فيتبعوا الحق ويجتنبوا عن الباطل ثم بين لهم سبحانه مآلهما توضيحا وتقريرا بقوله فأما الزبد المرتفع على الماء فيذهب جفاء ويضمحل ويتلاشى بالجفاف كما ان زبد التقليدات يسقط ويضمحل باشراق نور اليقين

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٣٨٩/١

وأما ما ينفع الناس من مياه المعارف والحقائق فيمكث ويستقر في الأرض أى الطبيعة القابلة لانعكاس اشعة الأسماء والصفات الإلهية لينبت فيها منها شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء

كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم فطلبوا منه الحسنى أى المثوبة الحسنى العظمى والمرتبة العليا معتقدين افاضتها واعطاءها إياهم والذين لم يستجيبوا له مثل ما استجاب اهل الحق ولم يعتقدوا مثل ما اعتقد أولئك المحقون لذلك لم ينالوا نصيبهم وحظهم منها مثل ما نالوا بحيث لو فرض أن لهم وثبت في تصرفهم ملك ما في الأرض من الزخارف والأموال جميعا ومثله معه بل أمثاله وأضعافه معه لافتدوا به جميعا لينالوا بما نال أولئك السعداء المقبولون لكن لم ينالوا البتة بل أولئك الأشقياء المردودون عن ساحة عز القبول لهم سوء الحساب يحاسبون على عموم ما صدر عنهم من النقير والقطمير ويؤاخذون عليه وفي الآخرة مأواهم ومثواهم جهنم الخذلان وسعير الطرد والحرمان وبالجملة بئس المهاد مهد أولئك الضالين عن منهج الرشد والسداد

أ يعتقد المشرك المتمرد عن متابعك وقبول دينك فمن يعلم ويصدق أنما أنزل إليك من ربك لتأييدك من الكتاب الجامع لما في الكتب السالفة من الأوامر والنواهي والعبر والأمثال والرموز والإشارات هو الحق المطابق للواقع بلا شك وارتياب فيه كمن هو أعمى يعنى ا يعتقدون ان هذا المؤمن المصدق مثل من هو أعمى عن ابصار ما يرى في الآفاق من المبصرات بل هو أشد عمى لأنه فاقد البصيرة إذ لا يمكن ادراك الأمور الدينية والمعارف اليقينية إلا بها وبالجملة إنما يتذكر ويتفطن بسرائر كتاب الله أولوا الألباب المستكشفون عن لب الأمور المعرضون عن قشورها ولا يحصل ذلك الا بالبصيرة الا وهم المؤمنون الموقنون

الذين يوفون بعهد الله الذي عهدوا معه حين رش ورشح سبحانه من رشحات نور الوجود على أراضي استعداداتهم ولا ينقضون الميثاق الوثيق بل يحفظونه ويواظبون على حفظه دائما حسب ما وفقهم الحق

و كذا هم الذين يصلون ويتصفون بعموم ما أمر الله به أن يوصل من المأمورات والمرضيات الإلهية والمعارف والحقائق والخصال الجميلة والأخلاق الحميدة و." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٤٠١

و الغرور نبؤا الذين مضوا من قبلكم مثل قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم الهالكة لا يعلمهم إلا الله المطلع لعموم ما كان ويكون بحيث لا يعزب عن حيطة حضرة علمه مثقال ذرة لا في الأرض ولا في السماء حين جاءتهم رسلهم المبعوثون إليهم بالبينات الواضحات والمعجزات الباهرات المثبتة لرسالاتهم فدعوهم إلى الايمان والتوحيد فامروهم بالمعروفات ونهوهم عن المنكرات فردوا أيديهم في أفواههم مشيرين إليها من غاية انكارهم واستهزائهم وقالوا إنا كفرنا وقد اعترفنا بالكفر بأفواهنا هذه. قد أخبروا عن كفرهم وكفرانهم بالجملة الماضويه تحقيقا وتقريرا لما هم عليه من الكفر والطغيان بما أرسلتم به وبعموم ما قد جئتم به من عند ربكم وكيف نؤمن لكم إنا لفي شك عظيم وارتياب تام مما تدعوننا إليه من الإله الواحد الأحد الفرد الصمد المتصف بجميع صفات الكمال الموجد المظهر للكائنات مريب موقع للريب القوى المؤدى إلى الإنكار

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٣٩٣/١

العظيم إذ المتصف بهذه الصفات لا بد ان يكون اظهر من الشمس مع انه أخفى من كل شي ء بل لا وجود له أصلا قالت لهم رسلهم على سبيل التوبيخ والتقريع أفي الله الظاهر المتجلى في الأنفس والآفاق بكمال الاستقلال والاستحقاق شك وتردد مع كونه فاطر السماوات والأرض وموجدهما ومظهرهما من كتم العدم بلا سبق مادة ومدة انما يدعوكم سبحانه إلى توحيده بإرسال الرسل وإنزال الكتب ليغفر لكم بعضا من ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه سبحانه إذ حق الغير لم يسقط ما لم يعف صاحب الحق عنه وبعد دعوتكم يؤخركم ويمهلكم إلى أجل مسمى مقدر من عنده وهو يوم الجزاء ليهيئ كل منكم زاد يومه هذا على الوجه المأمور المبين في الكتب المنزلة على الرسل وبعد ما سمعوا من الرسل ما سمعوا قالوا مستكبرين عليهم مستهزئين لهم إن أنتم ولستم في انفسكم إلا بشر مثلنا تأكلون وتشربون وتفعلون أنتم جميع ما نفعل نحن تريدون أنتم بأمثال هذه الحيل والتزويرات الباطلة أن تصدونا وتنصرفونا عما كان يعبد آباؤنا وأسلافنا من الآلهة والأصنام وان صدقتم في دعواكم هذه فأتونا بسلطان مبين وبحجة واضحة لائحة نقترحها نحن منكم

قالت لهم رسلهم مسلمين منهم المشاركة في الجنس إن نحن إلا بشر مثلكم نشارك لكم في عموم احوال البشر وأوصافه ولوازمه على الوجه الذي قررتم أنتم ولكن الله المنعم المفضل يمن على من يشاء من عباده بمقتضى جوده وإحسانه بفضائل مخصوصة وكرائم غير شاملة حسب تفاوت مراتبهم واستعداداتهم المثبتة في علم الله ولوح قضائه واما امر مقترحاتكم فانه ما كان وما صح وما جاز لنا أن نأتيكم بسلطان وبرهان أنتم تقترحون به إلا بإذن الله وبتوفيقه ووحيه واقداره وتمكينه ان تعلق ارادته بصدوره منا وعلى الله لا على غيره من الأسباب والوسائل العادية فليتوكل المؤمنون الموحدون المفوضون أمورهم كلها إلى الله أولا وبالذات بحيث لا يعتقدون الحول والقوة الا بالله المستقل في ذاته وأوصافه وأفعاله

و بعد ما ايسوا عنهم وعن صلاحهم اشتغلوا إلى تزكية نفوسهم وتصفية قلوبهم حيث قالوا من كمال شوقهم ووداتهم ما لنا واى عذر قد عرض لنا ألا نتوكل على الله المصلح لأحوالنا ولم لم نتخذه وكيلنا وكفيلنا والحال انه سبحانه بمقتضى لطفه وجماله قد هدانا وأوضح لنا سبلنا لنسلك بها نحو توحيده وعرفانه مع ان عموم ما جرى علينا من المنافع والمضار انما." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٥٥٨

بعد ما أزال سبحانه ونسخ ما خلطه الشيطان وادخله في خلال الوحى من تلبيساته يحكم الله آياته المنزلة من عنده ويميزها ويفصلها احكاما تاما واتقانا محكما وتمييزا تماما وفضلا كاملا وبالجملة الله المدبر المصلح لأحوال عباده المطلع على استعداداتهم عليم بما انزل عليهم مما يناسب استعداداتهم حكيم في انزاله وتدبيره حسب مصالحهم وان توهم ان الله قادر على محافظة أنبيائه ورسله سيما نبينا صلى الله عليه وسلم عن إلقاء الشيطان وتغريره وتخليطه إياهم أول مرة فلم لم يحفظهم من القائه حتى لا يصدر عنهم أمثال ما صدر حتى أصبح إلى نسخه وإزالته بالآخرة

قيل انما لم يحفظهم سبحانه أول مرة ليجعل سبحانه ما يلقي الشيطان في أثناء الوحى فتنة ابتلاء واختبارا للذين في قلوبهم مرض الحاد وميل عن الحق وانحراف عن طريقه هل يعرفون ويميزون كلام الحق من تسويلات الشياطين أم لا ولا سيما المرضى القاسية قلوبهم عن ان يسع فيها كلام الله وآياته ألا وهم المشركون الذين قد ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٤٠١/١

أبصارهم غشاوة عظيمة وغطاء غليظ تمنعهم عن استماع آيات الله وادراك مقاصده وبالجملة إن الظالمين الخارجين المتجاوزين عن مقتضى العقل والشرع باتخاذهم الجمادات التي قد نحتوها بأيديهم شركاء شفعاء عنده لفي شقاق خلاف وجدال بعيد عن الحق بمراحل فمن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

و أيصا ليعلم الذين أوتوا العلم اللدني من عند الله ووفقوا من لدنه لقبول أحكامه أنه أى القرآن وآياته المشتملة على الأوامر والنواهي والحكم والاحكام والمعارف والحقائق او اقداره سبحانه الشيطان بالإلقاء والتخليط المذكور افتتانا منه سبحانه وابتلاء لعباده الحق الثابت المحقق النازل الصادر من ربك يا أكمل الرسل فيؤمنوا به أى بالله بانزاله القرآن او باقداره الشيطان ان يلقى اختبارا لعباده فكيف بالسنة آحاد عباده وعلى قلوبهم فتخبت وتطمئن له قلوبهم ويزداد وثوقهم وصاروا على خطر عظيم واحتياط بليغ عن غوائل الشيطان وتغريراته ومن افتتان الله إياهم وبالجملة إن الله المطلع لضمائر عباده لهاد الذين آمنوا وأخلصوا لله في عموم ما جاءوا به من الأعمال والأحوال والمواجيد والأفعال بلا شوب شك وتردد إلى صراط مستقيم موصل إلى توحيده بلا عوج وانحراف

و لا يزال الذين كفروا بالله وانصرفوا عن مقتضيات آياته الكبرى لمرض صدورهم وقسوة قلوبهم في مرية شك **وارتياب** منه أى من القرآن او من ابتلاء الله إياهم بإلقاء الشيطان حتى تأتيهم الساعة أى أشراطها واماراتها بغتة فجاءة وهم حينئذ في ريبهم وغفلتهم يترددون أو يأتيهم عذاب يوم عقيم هو عذاب يوم القيمة وصفه بالعقم إذ لا يقبل فيه توبة ولا ايمان ولا شفاعة كأنه عقيم لا يد لهم خيرا ولا يثمر فيه أعمالهم ثوابا وتوبتهم قبولا وكيف يقبل فيه توبة واستغفار وينفعهم فيه الايمان إذ الملك المطلق والتصرف التام والاستيلاء الكامل يومئذ بعد انقضاء نشأة الابتلاء والاختبار لله المستقل بالالوهية والربوبية وعموم التصرف مطلقا وان كان في النشأة الأولى أيصا كذلك إذ لا يجرى في ملكه الا ما يشاء ازلا وابدا دنيا وعقبى الا انه سبحانه قد أقدرهم على الإطاعة والانقياد في النشأة الأولى صورة كما أقدرهم على الإنكار والعناد فيها لحكم ومصالح قد استأثر بها سبحانه في غيبه بلا اطلا ع احد عليه إذ هي هذه نشأة الافتتان والاختبار وبعد انقضائها لا يقبل منهم جبر ما فوتوا على نفوسهم في تلك النشأة الآتية التي هي نشأة الجزاء." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٥٦٠

المضي ء ويولج النهار المضي ء أيصا في الليل المظلم على التدريج ليعتدلا ويعتدل من ظهر من كرهما وتجددهما وأن الله المدبر لمصالح مظاهره بالحكمة المتقنة سميع يسمع ما هو من قبيل المسموعات من الوقائع التي أدركها السمع بصير يبصر ما هو من قبيل المبصرات من الحوادث المدركة بالبصر

ذلك أى سمعه سبحانه للمسموعات مطلقا وابصاره للمبصرات رأسا بأن الله المتجلى في الآفاق والأنفس هو الحق المقصور على التحقق والثبوت بالاستحقاق لا غيره من الاظلال الهالكة والعكوس المستهلكة الواجب وجوده بلا **ارتياب** الممتنع نظيره على الإطلاق وأن ما يدعون أيها المشركون من دونه من الآلهة الباطلة هو الباطل المقصور على العدم والبطلان كسائر المظاهر والمجالى التي لا وجود لها فكيف الألوهية والإله لا بد وان يكون واجب الوجود دائم التحقق والثبوت ازلا وابدا حيا

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٥٥٨/١

قيوما سرمدا ثم جامعا ما يترتب على الوجود من الأوصاف والأسماء الإلهية الفائتة للحصر والإحصاء وهم في أنفسهم معزولون عن الوجود فكيف عن لوازمها ولواحقها واعلموا أن الله المتردي برداء العظمة والكبرياء المتعزز المتأزر بإزار المجد والبهاء المتوحد المتفرد بالقيومية والبقاء الأزلي الأبدي هو العلي بذاته المتعالي عن ان تصفه السنة العقلاء وتعرب عنه افهام العرفاء الكبير المستكبر في شأنه جل جلاله عن ان يحيط به وبأوصافه وأسمائه مشاعر شي ء من مظاهره ومصنوعاته

أ لم تر أيها المعتبر الرائي أن الله المتخصص بالآثار البديعة والمتجلى بالصنائع العجيبة الغريبة قد أنزل بعد تصعيد الابخرة والادخنة وتركيبها وتركيمها من السماء أى من جانبها ماء مصفى على الأرض اليابسة الميتة فتصبح الأرض وتصير مخضرة بعد ما كانت هامدة يابسة أن الله المدبر بالتدابير الباهرة لطيف دقيق رقيق علمه متعلق برقائق المعلومات ودقائقها خبير ذو خبرة كاملة بحيث لا يعزب عن خبرته شي ء ممارق وغلظ وكيف يعزب عن حيطة علمه شي ء من المعلومات

إذ له ملكا وتصرفا إظهارا وخلقا مظاهر ما في السماوات أى عموم ما في العلويات من الكوائن والفواسد وكذا مظاهر ما في الأرض من السفليات مثلها وإن الله المتجلى على عموم ما ظهر وما بطن غيبا وشهادة لهو الغني بذاته عن جميع مظاهره واظلاله الحميد بآثار أوصافه وأسمائه الكاملة

أ لم تر أيها الرائي ولم تعلم أن الله المتكفل لأمور عباده سخر لكم ولتربيتكم وترتيب معاشكم ما في الأرض من الحيوانات التي تأكلون منها وتزرعون بها وتركبون عليها وتحملون هذا في البر وسخر لكم الفلك تجري في البحر بأمره وعلى مقتضى مشيئته وارادته حيثما سعيتموها واجريتموها أنتم حسب مقاصدكم ومرماكم تتميما لأمور معاشكم من كمال علمه وحكمته وبقوة قدرته وارادته ويمسك السماء معلقة بلا عمد وأساطين كراهة أن تقع على الأرض فيختل امور معاشكم بوقوعها وان كان لا يضركم إذ هي اجرام في غاية الخفة واللطافة بل انسد وبطل من وقوعها على الأرض إنزال المطر على الوجه المعهود المقوى لا نبات الأقوات وبالجملة من شأنها الوقوع لولا إمساكه سبحانه إياها إلا ان تقع عليها بإذنه سبحانه وعند تعلق ارادته ومشيئته بوقوعها وذلك في يوم القيمة وعند الطامة الكبرى أن الله المدبر لمصالح العباد بالناس المجبولين على الكفران والنسيان لرؤف مشفق عطوف رحيم بهم يعفو زلتهم ويرزقهم من حيث لا يحتسبون

و كيف لا يرحمكم ولا يرأف عليكم مع انه سبحانه هو الذي أحياكم في النشأة الاولى." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٩٧

لسانهم ويظهره بيانهم قد ظنوا انهم لا يفتنون ولا يمتحنون ولا يجربون بل والله لنبلونهم ولنختبرنهم بشي ء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات حتى ظهر إخلاصهم ولاح اعتقادهم في جميع ما آمنوا فيترتب خلاصهم حينئذ على إخلاصهم

و ليس افتتاننا واختبارنا إياهم ببدع منا بل لقد فتنا وامتحنا القوم الذين مضوا من قبلهم من الأمم السالفة مع انهم قد يدعون الايمان ويتفوهون به أمثالهم ومع ذلك لم نتركهم عبثا سدى بلا ابتلاء منا إياهم واختبار لهم وليس اختبارهم وامتحانهم الا لإظهار محبتنا البالغة عليهم والا فليعلمن الله المطلع على ضمائر عباده وسرائرهم وليميزن حسب علمه الحضوري المؤمنين

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٥٦٠/١

الموقنين الذين صدقوا منهم وأخلصوا في ايمانهم وايضا ليعلمن الكاذبين منهم وهم الذين لا يخلصون مع الله في حال من الأحوال وعمل من الأعمال ولا يسمعون أوامر الله ونواهيه من السنة رسله سمع قبول ورضا وانما أرادوا بايمانهم الظاهر الذي قد أتوا به على سبيل الكراهة والمراء إسقاط لوازم الكفر من حقن الدماء وسبي الذراري ونهب الأموال والافهم ليسوا ممن يذعنون بدلائل التوحيد وبراهين الايمان عن صميم قلوبهم ظنا منهم انا غافلون عن بواطنهم ونياتهم

أم حسب بل ظن المسرفون المفرطون الذين يعملون السيئات مصرين عليها مبالغين في إتيانها أن يسبقونا ويفوتوا عنا جزاء ما عملوا ويسقطوا عن حسابنا ما أتوا به من المعاصي والآثام عنهم بالفعل وبالجملة قد ساء ما يحكمون علينا وينسبون إلينا حكمهم هذا ونسبتهم هذه أعاذنا الله وعموم عباده عن أمثال هذه الظنون الفاسدة بالنسبة اليه سبحانه وما كل ذلك الا عن جهلهم بالله وبمقتضى علو شأنه وعزة سلطانه وانكارهم بلقائه والوقوف عند يديه والا

من كان يرجوا ويأمل لقاء الله المتجلى على الأكوان حسب أسمائه العلية وصفاته السنية ويترصد مترقبا ان ينكشف له ما هو الموعود من لدنه سبحانه من الدرجات العلية والمقامات السنية حال كونه متأدبا بالآداب المنزلة من عنده بوساطة أنبيائه ورسله متحملا على متاعب التكاليف ومشاق الطاعات المفروضة المشروعة له مترقبا للانكشاف والشهود راجيا لقياه سبحانه بلا يأس وقنوط فاز بمبتغاه على الوجه الذي وعد بعد ما وفقه الحق وجذبه إلى نفسه فإن أجل الله الذي قد وعده لعباده الخلص من ان يشرفهم بشرف لقائه لآت جاء حال نازل بلا شك **وارتياب** وكيف لا يشرفهم سبحانه بمطالعة وجهه الكريم سيما بعد ما وعدهم إذ هو السميع بمناجاتهم العليم بحاجاتهم التي هي الفوز بشرف اللقاء والوقوف عند سدرة المنتهى والتدلي إلى مقام دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى

و من جاهد واجتهد في الوصول إلى ما ذكر من المقام المحمود وسعى في حصول الموعود المعهود الذي هو مرتبة الكشف والشهود فإنما يجاهد لنفسه إذ نفع جهاده وجهده انما يعود اليه وهو واصل إلى منتهى مطلوبه بعد ما كان مستكملا طالبا إن الله المنزه عن مطلق الطلب والاستكمال المبرأ عن عموم الترقب والانتظار لغني في ذاته عن العالمين وعن مطلق طاعاتهم وعباداتهم ورجوعهم اليه وتوجههم نحوه. ثم قال سبحانه حثا لعموم عباده على التوجه نحو بابه ليفوزوا بما وعدوا وينالوا بما قد أعد لهم من الحسنات والدرجات

و الذين آمنوا بالله وأخلصوا في ايمانهم وعملوا الصالحات المشعرة المؤيدة لإخلاصهم بلا شوب الهوى والرياء وعموم الرعونات أصلا لنكفرن عنهم ولنمحون عن صحف أعمالهم عموم سيئاتهم التي قد جاءوا وقت جهلهم وضلالهم ولنجزينهم ولنعاملن معهم." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٠٦

كمثل العنكبوت التي قد اتخذت بيتا من لعابها ثم تركته واتخذت آخر مثلها ثم تركته وهكذا حالها دائما مع ان هذه الابنية والبيوتات المتخذة لا تدفع حرا ولا بردا ولا تصير مانعا له من العدو ولا حجابا حاجزا من المكاره إياه كهؤلاء المقلدين الضالين الذين اتخذوا بتقليد بعض الضلال المتقدمين منهم دينا ومذهبا ثم تركوه بتقليد آخر منهم بلا تمكن ولا تمرن وهكذا

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٩٧/٢

حالهم دائما مع ان الأديان المتخذة لا تكشف لهم طريق الحق ولا توصلهم إلى معرفته وتوحيده ولا تنقذهم من ظلمات الأوهام والخيالات الباطلة العائقة عن مشرب التوحيد ولا تخلصهم من سجن الطبيعة وقيود الإمكان وأغلال الأنانيات وسلاسل الهويات والتعينات مطلقا قال سبحانه على سبيل التأكيد والمبالغة على وجه التنصيص والتصريح بالضعف والتوهين بعد ما قد كنى ورمز لينزجروا ويرتدوا عن ما هم عليه من الأديان الباطلة وإن أوهن البيوت وأضعف الابنية لبيت العنكبوت إذ لا بيت أضعف منه واشرف إلى التخريب والانهدام واقل وقاية من الحر والبرد ودفع الضر والشر لو كانوا يعلمون وهنه وضعفه وعدم نفعه لما اتخذوها لكنهم لم يعلموا فاتخذوا جهلا وعنادا فسيعلمون عاقبة ما اتخذوا ووبال ما عبدوا. ثم قال سبحانه على وجه الوعيد إياهم آمرا لحبيبه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا أكمل الرسل

إن الله المطلع على ضمائر عباده وسرائرهم يعلم بعلمه الحضوري ما يدعون وما تعبدون من دونه من شي ء

من الأوثان والأصنام على التفصيل إذ لا يعزب عن حيطة حضرة علمه المحيط شي ء مما ظهر وبطن وخفى وعلن ولكن يمهلكم ويؤخر اخذكم بها زمانا لحكم ومصالح قد استأثر الله بها ولم يطلع أحدا عليها وكيف لا يأخذكم سبحانه بما صدر عنكم مع انه هو العزيز الغالب القادر المقتدر على الانتقام بالقوة الكاملة والبطش الشديد الحكيم المتقن في أفعاله بما لا مزيد عليه

و ان استهزؤا معك يا أكمل الرسل متهكمين بما في كتابك من التمثيلات بأحقر الأشياء وأضعفها مثل الذباب والعنكبوت والنمل وغيرها لا تبال بهم وبتهكمهم واستهزائهم إذ تلك الأمثال التي نضربها للناس المتمكنين في الغفلة والنسيان لنوضح لهم طريق التوحيد والعرفان وسبيل السلامة والايمان انما هي للموفقين منهم المجبولين على استعداد القبول وفطرة الإسلام لا لكل احد من اهل الغفلة والضلال التائهين المترددين في اودية الجهل واغوار الخيال لطلب المحال وفي هاوية الوهم بأنواع المراء والجدال ولذلك ما يعقلها وما يفهم معناها وما يصل إلى قعرها ومرماها إلا العالمون العارفون الواصلون بما أفاض الله عليهم سبحانه من رشحات حضرة العلم المحيط الإلهي إلى ينبوع بحر الوحدة الذاتية التي هي منبع عموم الكمالات اللائحة على صحائف الأنفس والآفاق وصفحات الأعيان والأكوان بكمال الاستقلال والاستحقاق وكيف لا قد

خلق الله المتجلى بجميع صور الكمالات واظهر بمقتضى الأسماء والصفات السماوات أى العلويات المتفاوتة المتخالفة باختلافات الأسماء والصفات المنتشئة المنعكسة من الذات الاحدية حسب الشئون والتطورات المترتبة على الكمالات المندمجة فيها والأرض أى طبيعة العدم القابلة لجميع الانعكاسات المنعكسة من اشعة التجليات الذاتية غيبا وشهادة ظهورا وبطونا بروزا وكمونا جمالا وجلالا وبالجملة ما خلق واظهر سبحانه عموم ما ظهر وبطن الا ملتبسا بالحق المطابق للواقع بلا شائبة شك فيه وارتياب إن في ذلك الإيجاد والإظهار على الوجه الابدع الأبلغ والنظام الأتم الأكمل لآية عظيمة وحجة قاطعة للمؤمنين الموحدين الموقنين بوحدة ذاته وكثرة أسمائه وصفاته حسب شئونه." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٠٨

لجميع الكتب السالفة والرسل السابقة وان كان مشتملا على النسخ والتبديل لبعض احكام الكتب السابقة المنزلة على

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١٠٦/٢

الأمم السالفة ومن هؤلاء الاعراب من يؤمن به أى بهذا الكتاب وان لم يسبق لهم وعد لأنهم ليسوا من اهل الكتاب في وقت من الأوقات بل انما آمنوا به لكونهم من ارباب اللسن والفصاحة قد تأملوا في نظم ألفاظه العجيبة واتساق معانيه البديعة الغريبة قد انكشف لهم انه ما هو من جنس كلام البشر فجزموا بإعجازه وآمنوا له وصدقوه انه نازل من عند الله على سبيل الوحى بلا تردد وبالجملة ما يجحد وينكر بآياتنا الظاهرة الاعجاز العجيبة الشأن الباهرة البيان والتبيان إلا الكافرون الساترون نور الهداية والايمان بظلمة الكفر والطغيان عنادا ومكابرة

و كيف لا يكون القرآن وحيا معجزا نازلا من عند الله حسب ارادته واختياره إذ ما كنت أنت يا أكمل الرسل تتلوا وتتعلم من قبله أى من قبل القرآن ونزوله من كتاب من الكتب المنزلة ولا تخطه ولا تنسخه أنت نفسك بيمينك على سبيل النقل يعنى ما كنت أنت بحال من الأحوال من اهل النسخ والإملاء والكتابة والإنشاء إذ هي مسبوقة بالتعلم وأنت أمي عار عن الدراسة والكتابة والتعلم مطلقا ولم يعهد منك أمثال هذه الأمور الدالة على الأخذ والاستبصار ولو كنت أنت متصفا بها وأهلا لها إذا لارتاب شك وتردد المبطلون المجاهرون بالقول الزور الباطل في شأنك وشأن كتابك وكونه معجزا مع انه ما هو أى القرآن حينئذ أيضا محل **ارتياب** لأنه في نفسه وفي حد ذاته وباعتبار نظمه البديع ومعناه الغريب العجيب وأسلوبه المحكم معجز خارق للعادة عند من له ادنى دربية بأساليب الكلام وبالجملة لا ينبغي ولا يليق لاحد من ذوى العقول السليمة والطباع المستقيمة سيما من ذوى الأذواق الصحيحة وارباب الوجدان ان يشك في اعجازه الا من هو متناه في البلادة وسخافة العقل وركاكة الفهم

بل هو أى القرآن في نفسه وعند اولى العزائم الخالصة الصحيحة عن مطلق المكدرات المنافية لصفاء مشرب التوحيد آيات شواهد ودلائل دالة على الحق بينات واضحة الدلالات في أنفسها ثابتة في صدور العارفين المحققين الموحدين الذين أوتوا العلم اللدني المترشح من حضرة العلم المحيط الإلهي المفاض لهم منها حسب استعداداتهم الفطرية وقابلياتهم الجبلية تفضلا عليهم وامتنانا لهم وبالجملة ما يجحد وينكر بآياتنا سيما قواطع برهانها وسواطع تبيانها إلا القوم الظالمون الخارجون عن مقتضى العلم والعين والكشف والشهود

و من غاية بغضهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة شكيمتهم وضغينتهم معه قالوا مقترحين منه على سبيل التعجيز والإنكار لو لا وهلا أنزل عليه آيات عجيبة غريبة من ربه ان كان صادقا في دعوى الرسالة كالآيات التي أنزلت على الأنبياء الماضين مثل عصا موسى وناقة صالح ومائدة عيسى وسائر معجزاته وغير ذلك قل لهم يا أكمل الرسل كلاما ناشئا عن محض الحكمة خاليا عن وصمة الشبهة إنما الآيات كلها عند الله وفي قبضة قدرته وعلى مقتضى ارادته ومشيته متى تعلق ارادته بانزال آية منها أنزلها على من أرسله ارادة واختيارا وليس في وسعى وطاقتي ولا في وسع كل من مضى قبلي من الأنبياء والرسل إنزال ما طولبوا وإتيان جميع ما اقترحوا من الآيات وهكذا حالي بكم ومقترحاتكم بل إنما أنا نذير من قبل ربي إياكم مبين ظاهر الإنذار والتخويف وكل من الأنبياء والرسل الماضين قد كانوا أيضا كذلك بالنسبة إلى أممهم إذ نحن معاشر الأنبياء والرسل." (١)

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١٠٨/٢

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٤٣

و أما الذين فسقوا وتركوا الايمان بالله وخرجوا عن مقتضيات الأوامر والنواهي الموردة في كتبه سبحانه وعلى ألسنة رسله فمأواهم مرجعهم ومثواهم في النشأة الاخرى النار المعدة لأهل الشقاوة الازلية هم فيها خالدون مخلدون مؤبدون لا نجاة لهم منها أصلا بل كلما أرادوا وأملوا أن يخرجوا منها حيث امهلهم الخزنة الموكلون عليهم إلى ان يصلوا إلى شفيرها ثم بعد ذلك أعيدوا فيها زجرا وقهرا تاما مهانين صاغرين وقيل لهم أى قال لهم الزبانية الموكلون بالهام الله إياهم ذوقوا أيها المنكرون المصرون عذاب النار الذي كنتم به تكذبون حين أخبركم به الرسل والكتب وأنذركم به النبيون المنذرون. ثم أشار سبحانه إلى رداءة فطنة أصحاب الضلال وخباثة طينتهم فقال على سبيل المبالغة والتأكيد مقسما

و الله لنذيقنهم ولنصبن عليهم في دار الابتلاء من العذاب الأدنى الأنزل الأسهل مثل القحط والطاعون والوباء والقتل والسبي والزلزلة وانواع المحن والبليات التي هي أسهل وأيسر بمراحل دون العذاب الأكبر عند عذاب الآخرة الذي هو في غاية الشدة ونهاية الألم والفظاعة وانما أخذناهم بما أخذناهم في النشأة الأولى لعلهم يرجعون مما هم عليه من الكفر والشقاق ويتفطنون عنها إلى كمال قدرتنا واقتدارنا على اضعافها وآلافها ومع ذلك لم يتفطنوا ولم يرجعوا عن غيهم وضلالهم بل قد أصروا واستكبروا عدوانا وظلما

و من أظلم على الله وأسوأ أدبا معه سبحانه ممن قد ذكر ووعظ بآيات ربه ليهتدى بها إلى الايمان والتوحيد ويمتثل بمقتضاها ليتخلص عن الكفر والشرك ثم بعد ما قد سمعها أعرض عنها فجاءة بلا تفكر وتأمل في معناها وأنكر على مقتضاها واستكبر على ما انزل الله اليه فكذبه ونسبه بما لا يليق بشأنه وأصر على ما هو عليه عنادا ومكابرة وبالجملة إنا من مقام قهرنا وجلالنا من المجرمين المصرين على جرائمهم وآثامهم منتقمون يعنى قل لهم يا أكمل الرسل نيابة عنا بعد ما قد بالغوا في الإنكار والإصرار نحن منتقمون منهم على ابلغ وجه وأشده من عموم المجرمين الظالمين فكيف هو أجرم واظلم منهم وأصر على البغي والعناد فانا ننتقم عنهم ونخلدهم في عذاب النار مهانين إذ لا عذاب أسوأ منه وأشد أعاذنا الله وعموم عباده منها

و لا تظنن أنت يا أكمل الرسل انا لا ننجز وعدنا الذي قد وعدنا معك في كتابك من انا ننتقم من اهل الشرك والكفر واصحاب الإنكار والإصرار على ابلغ وجه وآكده بل لك ان تتيقن وتذعن انجاز وعدنا إياك مثل ما قد أنجزنا مواعيدنا مع أخيك موسى الكليم إذ لقد آتينا من مقام جودنا أخاك موسى الكليم الكتاب أى التوراة مثل ما قد آتيناك الفرقان وواعدنا فيه معه مثل ما قد وعدنا معك في كتابك هذا من انتقام اهل الفساد والعناد بل قد وعدنا هذا الوعد مع كل نبي ورسول آتيناه الكتاب والصحف وبالجملة ما ارتاب وتردد موسى عليه السلام ولا احد من الرسل في انجاز وعدنا فلا تكن أنت أيضا يا أكمل الرسل بل أنت أحق منهم بعدم الارتياب في مرية أى شك وارتياب من لقائه أى من انجاز هذا الموعود وإتيانه على الوجه الذي قد وعدناك به ومن ملاقاتك إياه وكيف يرتاب كليمنا وحبيبنا أنت يا أكمل الرسل في وعدنا هذا مع انا قد جعلناه أى التوراة هدى لبني إسرائيل هاديا لهم في المعالم الدينية والمعارف اليقينية والحقائق العلية والمكاشفات السنية كما قد جعلنا كتابك هذا لأمتك هكذا بل هذا أكمل من ذاك

و كيف لا وهم أى بنو إسرائيل من خواص عبادنا وخلصهم إذ قد جعلنا منهم أئمة أمناء هادون مهديون مهتدون مقتدون." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٧٤

على الفقراء فيتنحوا عنا ولا يزدحموا علينا وبالجملة قد ظلموا أنفسهم بطلب هذا التعب فأجاب الله دعاءهم وخرب القرى التي بينهم وبين الشأم وانصرف الفقراء عنهم وانقطع دعاؤهم لهم فاشتد الأمر عليهم وتشتتوا في البلاد ولم يبق عليهم شي ء من الخصب والتوسعة بل قد صاروا متشتتين متفرقين فجعلناهم أى قصة امنهم ورفاهيتهم وجمعيتهم بعد ما قد عكسنا الأمر عليهم أحاديث لمن بعدهم يتحدثون بينهم متعجبين قائلين على سبيل التحسر في أمثالهم قد تفرق أيدي سبأ وبالجملة قد مزقناهم كل ممزق يعنى فرقناهم في البلاد تفريقا كليا إلى حيث قد لحق غسان منهم بالشأم وانمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان إن في ذلك التبديل والتشديد والتشتيت وانواع المحن والنقم بعد النعم لآيات دلائل واضحات على قدرة العليم الحكيم القادر المقتدر على انواع الانعام والانتقام لكل صبار على المتاعب والمشاق الواردة عليه حسب ما ثبت له في لوح القضاء الإلهي ومضى على الرضا بمقتضيات تقدير العليم الحكيم شكور لنعم الله الفائضة عليه مواظبا على أداء حقوقها.

ثم قال سبحانه مقسما

و الله لقد صدق بالتشديد والتخفيف عليهم أى على هؤلاء الهالكين في تيه الخسران والكفران إبليس العدو لهم المصر المستمر على عداوتهم من بدء فطرتهم ظنه الذي قد ظن بهم حين قال لأبيهم آدم لأحتنكن ذريته الا قليلا وقال ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال أيصا ولأضلنهم ولأمنينهم إلى غير ذلك وبعد ما أضلهم عن طريق الشكر والايمان فاتبعوه وكفروا النعم والمنعم جميعا إلا فريقا من المؤمنين الموقنين بتوحيد الله المصدقين لرسله المتذكرين لعداوة إبليس وخصومته المستمرة فانصرفوا عنه وعن إضلاله فبقوا سالمين عن غوائله

و العجب كل العجب انهم قد اتبعوا له وقبلوا اغراءه واغراءه وتغريره مع انه ما كان له عليهم من سلطان حجة قاطعة قاهرة ملجئة لهم إلى متابعته وقبول وسوسته من قبله بل من قبلنا أيصا وبالجملة ما ابتلينا وأغرينا هؤلاء الغواة البغاة الطغاة بمتابعته لعنه الله إلا لنعلم نميز ونظهر تفرقة من يؤمن بالآخرة وبجميع المعتقدات الاخروية التي قد اخبر الله بها وفصلها ممن هو منها أى من النشأة الآخرة والأمور الكائنة فيها في شك تردد وارتياب ولهذه التفرقة والتميز اتبعناهم اليه لعنه الله ولا تستبعد يا أكمل الرسل أمثال هذه الابتلاءات والاختبارات من الله إذ ربك الذي قد رباك على الهداية العامة والرشد التام على كل شي ء من مقدوراته ومراداته الكائنة والتي ستكون والجارية على سرائر عباده وضمائرهم والتي ستجرى حفيظ شهيد لا يغيب عنه ايمان مؤمن وكفر كافر وشك شاك واخلاص مخلص. وبعد ما قد اثبت المشركون المصرون على كفران نعم الله أمثال هؤلاء الغواة المذكورين آلهة سوى الله سبحانه وسموهم شفعاء وعبدوا لهم مثل عبادته سبحانه

قل لهم يا أكمل الرسل إلزاما وتبكيتا ادعوا أيها الضالون المشركون آلهتكم الذين زعمتم أنتم وأثبتم من دون الله ليستجيبوا لكم في مهماتكم ويستجلبوا لكم المنافع ويدفعوا عنكم المضار كما هو شأن الألوهية والربوبية وكيف تدعونهم لأمثال هذه

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١٤٣/٢

المهام مع انهم في أنفسهم لا يملكون مثقال ذرة من الخير والشر والنفع والضر لا في السماوات ولا في الأرض لا استقلالا إذ هم ليسوا في أنفسهم قابلين للالوهية ولا مشاركة إذ ما لهم فيهما وفي خلقهما وايجادهما من شرك ومشاركة مع الله الواحد الأحد الفرد الصمد في ألوهيته وربوبيته بل هم من جملة مخلوقاته سبحانه." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٢٤٦

الدالة على وحدة ذاته ووجوب وجوده وبالجملة أولئك الأشقياء المردودون المطرودون عن ساحة عز القبول والحضور في ضلال مبين وجهل عظيم وغفلة شديدة وغشاوة غليظة لا نجاة لهم منها وبالجملة لا ترتفع عن عيون بصائرهم حجبهم الكثيفة أصلا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فكيف يتيسر لاحد ان يعرض عن ذكر الله وينصرف عن استماع كلامه مع انه

الله الذي دبر امور عباده وارشدهم إلى طريق معاده حيث نزل تتميما لتربيتهم وإرشادهم أحسن الحديث وأبلغه في الإفادة والبيان وجعله كتابا جامعا لما في الكتب السالفة متشابها بعض آياته ببعض في حسن النظم واتساق المعنى مثاني إذ قد ثنى وكرر سبحانه الاحكام فيه تأكيدا ومبالغة امرا ونهيا وعدا ووعيدا ثوابا وعقابا عبرا وأمثالا قصصا وتذكيرا وجعله في كمال الإيجاز ونهاية الاعجاز والتأثير بحيث تقشعر أى تنقبض وتضطرب على وجه الاشمئزاز منه أى من سماعه على وجه التأمل والتدبر جلود الذين يخشون ربهم في جميع حالاتهم خوفا من سطوة سلطنته وجلاله ثم تلين جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله رجاء من سعة رحمته بمقتضى لطفه وجماله وبالجملة ذلك الكتاب الرفيع الشأن الواضح البرهان هدى الله الهادي لعباده يهدي به ويوفق على الهداية والرشد بمقتضى ما فيه من يشاء من عباده ويضل به عن الاستفادة بما فيه من يشاء ارادة واختيارا وبالجملة من يضلل الله بمقتضى قهره وجلاله فما له من هاد إذ لا يبدل القول لديه ولا ينازع حكمه بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

أ فمن يتقي أى يصلى ويدخل بوجهه سوء العذاب يوم القيامة أى أشده وأسوئه إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أيديهم يسحبون نحو النار بحيث لا يصلى منهم إليها أولا الا وجوههم مثل من أمن منها وسلم عن مطلق المكاره كلا وحاشا بل وقيل حينئذ للظالمين الخارجين عن مقتضى الحدود الإلهية ظلما وعدوانا على سبيل التوبيخ والتقريع ذوقوا أيها المنهمكون في بحر الغفلة والشهوات جزاء ما كنتم تكسبون في دار الاختبار بمقتضى اهويتكم الفاسدة وآرائكم الباطلة وليس هذا التكذيب والجزاء المترتب عليه مخصوصا بهؤلاء الكفرة المكذبين لك يا أكمل الرسل بل كل ممن

كذب الذين مضوا من قبلهم من المشركين رسلهم المبعوثين إليهم فأتاهم العذاب الموعود عليهم فجاءة في النشأة الأولى من حيث لا يشعرون اماراته أصلا فسيأتيهم مثله بل أمثاله وآلافه في النشأة الاخرى وبالجملة

فأذاقهم الله المنتقم عنهم الخزي أى الذل والهوان والخيبة والخسران في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة المعد لهم فيها أكبر أى أشد وأفزع لو كانوا يعلمون شدته وفظاعته لما ارتكبوا ما يئول اليه ويوقعهم فيه

و الله لقد ضربنا للناس الناسين عهودنا ومواثيقنا في هذا القرآن المتكفل لهداية عموم الضالين من كل مثل ينبههم على معالم

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ١٧٤/٢

الدين ومراسم التوحيد واليقين لعلهم يتذكرون رجاء ان يتعظوا بما فيه ويتفطنوا بسرائره ومرموزاته مع انا انما جعلناه قرآنا عربيا أوضح بيانا وأعظم شأنا وأجل تبيانا وبرهانا غير ذي عوج أى بلا اختلال واختلاف في معناه موجب للتردد والالتباس فيه مستلزم للشك **والارتياب** لعلهم يتقون عن محارمنا ويحذرون عما نهيناهم عنه ومع ذلك لم يتقوا بل لم يتنبهوا ولم يتفطنوا أصلا ولهذا قد

ضرب الله المطلع على جميع ما في استعدادات عباده وقابلياتهم مثلا واضحا موضحا لحال الموحد منهم والمشرك." [١]

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٢٨٣

سبحانه للحسنى أى الحالة التي هي احسن الحالات وأكرم الكرامات لاستحقاقى بها واقتضاء ذاتى إياها وبالجملة انما يقول على سبيل الاستهزاء والتهكم فلننبئن ولنخبرن حين الجزاء الكافرين الذين كفروا بوفور قدرتنا وقوتنا على وجوه الأخذ والانتقام بما عملوا من الجرائم العظام وكبائر الآثام ولنذيقنهم من عذاب غليظ مؤلم فظيع فجيع لا يمكنهم الخلاص عنه و من شدة طغيان الإنسان ونهاية كفرانه وعدوانه إذا أنعمنا وأكرمنا من مقام جودنا على الإنسان المجبول على الكفران والنسيان أعرض ونأى بجانبه أى تباعد عنا ولم يشكر على نعمنا ولم يلتفت إلى موائد كرمنا وإذا مسه الشر ولحقه الضر فذو دعاء عريض كثير ممتد عرضا وطولا وهو كناية عن الحاحهم ولجاجهم في طلب الكشف والتفريج من الله عند نزول البلاء وإلمام المصيبة

قل يا أكمل الرسل لمنكري القرآن والقادحين فيه على سبيل الظلم والعدوان أرأيتم أخبروني إن كان القرآن منزلا من عند الله بحسب الواقع مع انه لا شك في نزوله من عنده ثم كفرتم به بلا تأمل وتدبر في دلائل صدقه وبراهين اعجازه لفظا ومعنى من أضل سبيلا ورأيا وطريقا ممن هو في شقاق بعيد وخلاف شديد عن الحق وقبوله وبالجملة من أضل منكم حينئذ أيها القادحون الطاعنون المنكرون له مع وضوح محجته وسطوع برهانه. ثم أشار سبحانه إلى وحدة ذاته وكمال ظهوره حسب أسمائه وصفاته في عموم مظاهره ومصنوعاته وحيطته عليها وشموله إياها ليكون دليلا على حقية كتابه وصدوره منه فقال سنريهم أى المجبولين على فطرة التوحيد المخلوقين على نشأة الايمان والعرفان الموفقين على كمال الكشف والعيان آياتنا أى دلائل توحيدنا الدالة على وحدة ذاتنا الظاهرة في الآفاق أى ذرات الأكوان الخارجة عن نفوسهم المدركة بآلاتهم وحواسهم سميت بها لطلوع شمس الحقيقة منها وظهورها عليها وفي أنفسهم أى ذواتهم التي هي أدل دليل على معرفة الحق ووحدته لذلك قال اصدق القائلين وأكمل الكاملين من عرف نفسه فقد عرف ربه وانما نريهم ما نريهم حتى يتبين لهم ويظهر دونهم وينكشف عليهم أنه أى الأمر الظاهر والشأن المحقق المتحقق في الأنفس والآفاق هو الحق الحقيق بالتحقق والثبوت بالاستقلال والاستحقاق بمقتضى صرافة وحدته الذاتية والقرآن المعجز أيصا من جملة مظاهره وآثار صفاته الذاتية. ثم لما أشار سبحانه إلى وحدة ذاته بالنسبة إلى عموم عباده أراد ان ينبه على المستكشفين من ارباب المحبة والولاء الواهين بمطالعة وجهه الكريم فخاطب لحبيبه صلى الله عليه وسلم إذ هو الحرى بأمثال هذه الخطابات العلية فقال مستفهما على سبيل التعجب والاستبعاد إذ هو ادخل في التنبيه والتنوير أولم يكف بربك أى أيشكون أولئك المكلفون الشاكون في وجود مربيك

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٢/٢٤٦

الذي هو مربيهم أيضا يا أكمل الرسل ويترددون في تحققه وظهوره ولم يكف لهم دليلا أنه بذاته وبعموم أسمائه وصفاته على كل شي ء مما لاح عليه برق وجوده ورشاشة نوره شهيد حاضر غير مغيب عنه وبالجملة او لم يكف لهم دليلا على تحقق الحق حضوره مع كل شي ء من مظاهره ثم نور سبحانه ما نبه عليه على سبيل التعجب والتلويح تأكيدا ومبالغة وزيادة إيضاح وتوضيح فقال

ألا إنهم بعد ما أضاء لهم شمس الذات من مرايا الكائنات في مرية شك **وارتياب** من لقاء ربهم فيها ومن مطالعة وجهه الكريم ألا إنه بذاته حسب شئونه وتطوراته المتفرعة على أسمائه وصفاته بكل شي ء من مظاهره ومصنوعاته محيط بالاستقلال والانفراد احاطة ذاتية بلا شوب شركة وشين كثرة إذ لا وجود سواه ولا موجود غيره ولا إله الا هو." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٣٥١

الكاملة والأسماء الشاملة المحيط كل منها بعموم ما ظهر وبطن وغاب وشهد من ذرائر المظاهر والمجالى ان كل مظهر من مظاهر الحق باعتبار ظهور الحق فيه بذاته قابل لان يقسم به ويتيمن منه كما اقسم سبحانه في هذه السورة بما اقسم تنبيها وتعليما لعباده بظهوره في عموم مظاهره فقال بعد ما تيمن باسمه الأعظم الأعلى الذي هو بسم الله المتجلى في الرياح المروحة لنفوس ارباب الطلب والارادة شوقا إلى لقائه الرحمن لهم يوقظهم عن سنة الغفلة الرحيم لهم يوصلهم إلى فضاء الوحدة

[الآيات]

و الذاريات أى وحق النسمات الروحانية المهبة من النفسات الرحمانية على وفق العناية الازلية بحيث تذرى وتبعث النفوس الخيرة الموفقة المجبولة على نشأة التوحيد ذروا نوعا من الذرو والبعث المنبعث من محض المودة والمحبة على سبيل الشوق والتحنن نحو المبدأ الحقيقي والمنشأ الأصلي

فالحاملات من القوى والآلات الحامل كل منها وقرا حملا ثقيلا خطيرا من أعباء الوحى والإلهامات الإلهية المنتشئة من العلوم اللدنية والإدراكات الكشفية المنشعبة من حضرة العلم الحضوري الإلهي ولوح القضاء المحفوظ المتعلق بالمعارف والحقائق الإلهية الفائضة لبعض النفوس الزكية من ارباب العناية

فالجاريات أى سفن النفوس الزكية القدسية المشتملة على انواع المدارك والمشاعر الجارية في بحر الوجود يسرا سهلا بلا تثاقل وتكاسل أصلا

فالمقسمات من الأسماء والصفات الإلهية الموسومات بالملائكة المقسمة لقوابل المظاهر أمرا أى عموم امور أرزاقهم ومطلق أجناس حظوظهم وانصبائهم من الفتوحات الصورية والمعنوية الفائضة الموهوبة لهم من قبل الحق حسب استعداداتهم الفطرية وقابلياتهم الجبلية

إنما توعدون أنتم أيها المكلفون المجبولون على فطرة التوحيد والعرفان من البعث والحشر والحساب والجزاء وغير ذلك من المعتقدات الاخروية المترتبة على حضرة العلم المحيط الإلهي وحضرة قدرته الغالبة وارادته الكاملة لصادق ثابت محقق وقوعه بلا شك وشبهة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٢٨٣/٢

و إن الدين والجزاء المعبر بهما عن الطامة الكبرى الموعود لكم في النشأة الاخرى المتفرع على أعمالكم وأفعالكم التي قد صدرت عنكم في النشأة الأولى لواقع محقق وقوعه كائن قيامه وإتيانه بلا تردد **وارتياب**. ثم لما اقسم سبحانه بما يتعلق بعالم الأمر أراد ان يقسم بما يتعلق بعالم الخلق تتميما للتأكيد والمبالغة بالقسم باعتبار كلا العالمين فقال

و السماء أى وحق السماء الرفيعة البديعة النظم العجيبة التركيب ذات الحبك أى الحسن والزينة وكمال الصفاء والبهجة والبهاء مع اشتمالها على الكواكب المضيئة المشيرة إلى الطرق الموصلة إلى كمال قدرة الصانع القديم ومتانة حكمة الحكيم العليم ان اليوم الموعود لبعثكم وجزائكم لآت البتة

إنكم أيها الشاكون المترددون في شأنه وشأن من اخبر به بمقتضى الوحى والإلهام الإلهي وفي شأن ما نزل لتبيينه من الكتاب المبين لاعداد الزاد له وطريق النجاة عن أهواله وافزاعه لفي قول مختلف تنكرون له وتكذبون المخبر الصادق وتنسبونه وكتابه إلى ما لا يليق بشأنهما من المفتريات الباطلة حيث تقولون انه سحر او من أساطير الأولين او كهانة اختلقها هذا الساحر الشاعر او كلام المجانين يتكلم به هذا المجنون

يؤفك ويصرف عنه صلى الله عليه وسلم وعن دينه وكتابه من أفك صرف عن الحق وقبوله ومال إلى الباطل وسعى نحوه وبسبب إفكهم وذبهم عن طريق الحق والامتثال به قد

قتل أى طرد ولعن على ألسنة عموم اهل الحق الخراصون المنكرون الكذابون المكذبون المسرفون من أصحاب القول المختلف ألا وهم

الذين هم من شدة." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٤٨٧

خاتمة سورة عبس

عليك أيها المستنشط القاصد لتبشير الحق وتيسيره ان تسمع نداء البشرية والتوفيق من ألسنة عموم رسل الله وكتبه فلك ان تقتفى اثر هؤلاء الكرام وتمتثل بما في كتاب الله العليم العلام من الأوامر والنواهي ومطلق الاحكام والعبر والتذكيرات الموردة فيه المتعلقة لتهذيب الظاهر والباطن عن الميل والإلحاد إلى الأمور المؤدية إلى إفساد العقائد والعناد فلك الفرار عن أصحاب الزيغ والضلال والانصراف عن مخالطتهم ومصاحبتهم في كل حال حتى تكون أنت من زمرة أصحاب اليمين المتنعمين في جنات النعيم لا من الضالين المكذبين في دركات الجحيم المعذبين بالعذاب الأليم. نسأل منك يا ذا القوة المتين الفوز بدرجات النعيم والعوذ عن دركات الجحيم يا من فضله عظيم وكرمه عميم ولطفه جسيم

[سورة التكوير]

فاتحة سورة التكوير

لا يخفى على المنكشفين بسطوة سلطنة جلال الله وقهره الغالب ان قيام الساعة ووقوع الطامة الكبرى التي انقهرت دونها نقوش السوى مطلقا في جنب القدرة الكاملة الإلهية انما هي في غاية اليسر والسهولة والمنكر المستبعد لها وللأمور الموعودة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٣٥١/٢

فيها مكابر لمقتضى عقله سيما بعد ورود الوحى الإلهي وبالجملة ليس انكار المنكر سيما بعد وضوح الآيات وسطوع البينات الا من اعتياده بمزخرفات الوهم والخيال اللذين هما من أقوى أسباب الكفر والضلال ومن خلص عن رقية تينك القوتين ونجا عن غوائلها وتغريراتهما فقد جزم بعموم ما اخبر الحق به في هذه السورة بلا تردد وارتياب على الوجه الذي نص عليه سبحانه وفصله بعد التيمن بسم الله المتجلى بعموم كمالاته في النشأتين الرحمن في النشأة الأولى ببسط اظلاله على عموم الأشياء الرحيم في النشأة الاخرى بقبضه الكل إلى ما منه البداء

[الآيات]

إذا الشمس كورت يعنى إذا قامت القيامة ولاحت شمس الذات الاحدية عن مكمن العماء وغلبت نشأة اللاهوت على نشأة الناسوت قد كور الوجود الإضافي المنعكس من الوجود المطلق الإلهي المنبسط على صفائح مطلق العكوس والاظلال ولف وطوى بحيث لم يبق له اثر عن ظهور شمس الحقيقة الحقية

و إذا النجوم انكدرت يعنى قد انقضت واضمحلت حينئذ نجوم الهويات وهياكل الماهيات الحاصلة من الأوضاع والنسب والإضافات العدمية الاعتبارية المحضة لم يبق لها رسم واثر عند ظهور الهوية الذاتية الإلهية الحقية

و إذا الجبال سيرت يعنى قد سارت وانقلعت وطارت عن أماكنها جبال الأنواع والأجناس الواقعة في عالم التعينات

و إذا العشار يعنى السحب الماطرة لمياه المعارف والحقائق الفائضة على أراضي الاستعدادات القابلة لها اللائقة لفيضانها قد عطلت وتركت لاضمحلال محالها وتلاشى قوابلها بانقضاء نشأة الاختبار

و إذا الوحوش أى النفوس المستوحشة الآبية الوحشية التائهة في بوادي الطبيعة وقفر الهيولى حشرت وجمعت إلى ما فيه انتشت وبدت

و إذا البحار أى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشئونه الكلية ظاهرا وباطنا غيبا وشهادة دنيا وعقبى قد سجرت جمعت وملئت واتحدت فصار بحر الوجود بحرا واحدا زخارا قهارا لا ساحل له أصلا ولا قعر له حقيقة

و إذا النفوس يعنى الأرواح." (١)

"يقول محمد علي الصابوني في كتابه صفوة التفاسير: أي يصدقون بما غاب عنهم و لم تدركه حواسهم من البعث و الجنة و النار و الصراط والحساب و غير ذلك من كل ما اخبر عنه القرآن الكريم أو النبي (عليه الصلاة والسلام) . و يقيمون الصلاة : أي يؤدونها على الوجه الأكمل بشروطها و اركانها و خشوعها و آدابها .قال ابن عباس: أقامتها أتمام الركوع والسجود و التلاوة و الخشوع. ومما رزقناهم ينفقون : أي ومن الذي اعطيناهم من الأموال ينفقون و يتصدقون في وجوه البر و الأحسان ، و الأية عامة تشمل الزكاة و الصدقة و سائر النفقات. و روي عن ابن عباس ان المراد بها زكاة الأموال . قال ابن كثير : كثيرا ما يقرن تعالى بين الصلاة و الأنفاق من الأموال لأن الصلاة حق الله و هي مشتملة على توحيده و تمجيده و الثناء عليه ، والأنفاق هو الأحسان الى المخلوقين و هو حق العبد . فكل من النفقات الواجبة و الزكاة المفروضة داخل في الأية الكريمة.

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، المؤلف غير معروف ٤٨٧/٢

و الذين يؤمنون بما انزل إليك: أي يصدقون بكل ما جئت به عن الله تعالى و ما أنزل من قبلك أي بما جاءت به الرسل من قبلك لا يفرقون بين كتب الله ولا بين رسله.((وبالآخرة هم يوقنون)) أي و يعتقدون اعتقادا جازما لا يلابسه شك أو **ارتياب** بالدار الآخرة التي تتلو الدنيا بما فيها من بعث وجزاء و جنة ونار وحساب وميزان وإنما سميت الدار الآخرة لأنها بعد الدنيا. ((أولئك على هدى من ربهم)) أن أولئك المتصفون بما تقدم من الصفات الجليلة على نور وبيان وبصيرة من الله. ((وأولئك هم المفلحون)) أي و أولئك هم الفائزون بالدرجات العالية في جنات النعيم.." [(١)]

"والموضع الثاني في قوله: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾١، فما بين السموات والأرض من مخلوقات دقيقة، وما يعرج بينهما من ملائكة مطهرين وأرواح علوية، خلق من خلقه، وعبيد من عباده، يعترفون له بالألوهية والوحدانية والقدرة.

والموضع الثالث: في رجم الشياطين الذين يحاولون استراق السمع، مع أنهم -بزعم العرب- هم "الجنة" الذين جعلوا بينهم وبين الله نسبا، فما بالهم يطاردون في السماء، ويقذفون بالشهب، رغم قرابتهم المزعومة مع الله الكبير المتعال؟

والموضع الرابع الأخير قبيل خاتمة السورة في تلك الحملة العنيفة الساخرة على هذه الفرية السخيفة المتهافتة، وفي استفتاء القرآن أولئك الحمقى عن منشأ أسطورتهم، وعن أسرار تأنيثهم الملائكة، وعن أسباب نسبتهم ما يكرهون إلى الله. وهكذا كانت وحدانية الله في ذاته أبلغ رد على أسطورة العرب في الملائكة والشياطين!.

على أن الحديث عن رجم الشياطين بالشهب إنما جاء عقب الحديث عن تزيين السماء الدنيا بالكواكب، فقد أودع الله الكواكب خصيصتين تكمل إحداهما الأخرى، أولاهما خصيصة التزيين والتجميل حتى لا تقع العين في السماء إلا على البهاء والجمال، والثانية خصيصة الحفظ والرصد حتى لا يستمع شيطان متمرد ما يدور في الملأ الأعلى: فهذه الكواكب حفظة للسماء تطرد العتاة عن بابها برجوم من نار، وتدحرهم دحرا فيولون الأدبار.

وإن قيام الكواكب بوظيفتيها كلتيهما على الوجه الأدق الأكمل لبرهان صادق على تناسق هذا الكون، وجريان كل شيء فيه بقدر، وتحرك كل ما فيه بقدرة الله الخالق البارئ المصور.

ومشركو مكة -بدلا من أن يتدبروا صنعة الخالق الذي أتقن كل شيء- يلجون في عتوهم ونفورهم، ويتمادون في غيهم وغرورهم، كأنهم يحسبون أنفسهم أشد خلقا من الملائكة الصافات، أو أقوى تمردا من الشياطين العتاة١، وإذا هم ينكرون البعث بعد أن يصيروا ترابا وعظاما، ويرمون القرآن بالسحر شكا **وارتيابا**، فيأمر الله نبيه -في موقفهم العجب- بتذكيرهم بنشأتهم الأولى من طين رخو لزج، وإنذارهم بصيحة البعث تزجرهم زجرة واحدة وتسوقهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون إلى أرض المحشر، فيجدون أنفسهم فجاءة في الجحيم أذلة مستسلمين، ثم يتبرأ بعضهم من بعض ويعترفون باستحقاقهم العذاب الأليم.

وسنة القرآن في مقابلة مصير الأشقياء بمصير السعداء لا تتبدل، فهنا تصوير وارف الظلال لمظاهر التكريم التي أعدها الله

---

(١) آيات التقوى في القرآن الكريم، المؤلف غير معروف ص/٥٣

للمخلصين من عباده: بدأ باستثنائهم من العذاب الأليم، ثم آتاهم ما تشتهيه أنفسهم في جنات النعيم، فهم يتكئون على السرر في راحة واطمئنان، ويتناولون الفواكه من قطوف ذللت تذليلا." (١)

"وجه مناسبتها لما قبلها اشتمال كل على دلائل الألوهية ، وفي البحر لما ذكر سبحانه فيما قبل دلائل التوحيد وهو الأصل الأول ثم ذكر جلّ وعلا المعاد وهو الأصل الثاني وختم جل شأنه به السورة ذكر تعالى في بدء هذه السورة الأصل الثالث وهو النبوة وقال الجلال السيوطي في وجه الاتصال بما قبلها : إنها شرح لمفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة ما قبل ، فقوله تعالى : ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [السجدة : ٥] شرح قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ [لقمان : ٣٤] ولذلك عقب بقوله سبحانه : عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ [السجدة : ٦] وقوله تعالى : أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْماءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ [السجدة : ٧] شرح قوله سبحانه : وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ [لقمان : ٣٤] وقوله تبارك وتعالى : الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ [السجدة : ٧] الآيات شرح قوله جل جلاله : وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ [لقمان : ٣٤] وقوله عزّ وجلّ : يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ [السجدة : ٥] وَلَوْ شِئْنا لَآتَيْنا كُلَّ نَفْسٍ هُداها [السجدة : ١٣] شرح قوله تعالى : وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وقوله جلّ وعلا : أَإِذا ضَلَلْنا فِي الْأَرْضِ [السجدة : ١٠] إلى قوله تعالى : قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ [السجدة : ١١] شرح قوله سبحانه : وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان : ٣٤] اه ، ولا يخلو عن نظر ، وجاء في فضلها أخبار كثيرة ... (رحمه الله ١)

سورة السجدة مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والكتب والرسل ، والبعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السور الكريمة ، هو موضوع (البعث بعد الفناء) الذي طالما جادل المشركون حوله ، واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام .

* تبتدىء السورة الكريمة بدفع الشك **والارتياب** عن القرآن العظيم ، المعجزة الكبرى لرسول الله (- صلى الله عليه وسلم -) الذي لا تحوم حول ساحته الشبهات والأباطيل ، ومع وضوح إعجازه ، وسطوع آياته ، وإشراقة بيانه ، وسمو أحكامه ، اتهم المشركون الرسول بأنه افترى هذا القرآن ، واختلقه من تلقاء نفسه ، فجاءت السورة الكريمة ترد هذا البهتان ، بروائع الحجة والبرهان [الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه . .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، ببيان آثار قدرة الله قي الكائنات العلوية والسفلية ، على طريقة القرآن في لفت الأنظار إلى إبداع الواحد القهار [الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . .] الآيات .

رحمه الله ______________

(رحمه الله ١) - روح المعاني . نسخة محققة - (١١ / ١١٣)." (٢)

"بكل طريق ، ودخل على مشاعرهم وتصوراتهم من كل باب ، فلم يدع خاطرة تدور فى رءوسهم من خواطر الشكّ **والارتياب** إلّا كشف لهم عنها ، وأراهم باطلها وضلالها .. ثم نصب لهم معالم الهدى ، ودعاهم إلى أخذ الطريق القاصد

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٣٣

(٢) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٨٦٩

إليه .. وإلا فالنار موعدهم ..وهذه السورة . سورة الشورى . تتصل بسورة فصلت التي سبقتها اتصالا وثيقا ، فتعيد على أسماع المشركين عرض تلك القضايا التي عرضتها السورة السابقة من شركهم بالله ، وتكذيبهم لرسول الله ، **وارتيابهم** فى البعث ، والحساب والجزاء .. وفى هذا العرض المتجدّد ، يرى المشركون تلك القضايا ، وقد طلعت عليهم بمعاول جديدة ، تهدم تلك الجدر المتداعية من بناء معتقداتهم الفاسدة ، حتى لتكاد تسقط عليهم ، وتدفنهم تحت أنقاضها .. (رحمه الله١)

مقدّمة

١ – سورة « الشورى » هي السورة الثانية والأربعون في ترتيب المصحف ، وكان نزولها بعد نزول سورة « فصلت ». وعدد آياتها ثلاث وخمسون آية.

وتسمى – أيضا – سورة حم عسق ، لافتتاحها بذلك.والرأى الصحيح أن سورة الشورى من السور المكية الخالصة. وقيل هي مكية إلا أربع آيات منها تبدأ من قوله – تعالى – : قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى .

ولكن هذا القيل لا يعتمد على دليل صحيح ، بل الصحيح أن السورة كلها مكية.

٢ – وتبدأ سورة الشورى ببيان أن الله – تعالى – قد أوحى إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – كما أوحى إلى غيره من الأنبياء ، وببيان مظاهر قدرته – عز وجل – ، وأنه – تعالى – قادر على أن يجعل الناس أمة واحدة.

قال – تعالى – : وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً ، وَلكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ.

٣ – وبعد أن أنكر – سبحانه – على المشركين إشراكهم ، وساق الأدلة على بطلان هذا الشرك ، وأمر بالرجوع إلى حكم الله – تعالى – فيما اختلفوا فيه.

بعد كل ذلك بين – سبحانه – أن الشريعة التي جاء بها الأنبياء واحدة في جوهرها ، وأن تفرق الناس في عقائدهم ، مرجعه إلى بغيهم وأهوائهم.قال – تعالى – : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً ، وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ، وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ.

رحمه الله______________

(رحمه الله١) – التفسير القرآني للقرآن . موافقا للمطبوع – (١٣ / ١٤)." [١]

"وتستطرد هذه الإشارة إلى تقرير أن التفرق قد وقع ، مخالفا لهذه التوصية ، ولم يقع عن جهل من أتباع أولئك الرسل الكرام ولكن عن علم. وقع بغيا وظلما وحسدا : «وَما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ» ..

ثم تستطرد كذلك إلى بيان حال الذين جاءوا من بعد أولئك الذين اختلفوا : «وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» ..

وعند هذا الحد يتبين أن البشرية قد آلت إلى فوضى **وارتياب** ، ولم تعد لها قيادة راشدة تقوم على نهج ثابت قويم .. فرسالة السماء التي تقود البشرية قد آلت إلى اختلاف بين أتباعها. والذين جاءوا من بعدهم تلقوها في ريبة وفي شك لا تستقيم

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/٩٩٩

معهما قيادة راشدة.

ومن ثم يعلن انتداب الرسالة الأخيرة وحاملها – صلى الله عليه وسلم – لهذه القيادة : «فَلِذلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ. وَقُلْ : آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ. اللَّهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ ..إلخ» .. ومن ثم تجيء صفة الجماعة المؤمنة المميزة لها طبيعية في سياق هذه السورة – في الدرس الثاني – بوصفها الجماعة التي ستقوم على قيادة هذه البشرية على ذلك النهج الثابت القويم.

وعلى ضوء هذه الحقيقة يصبح سياق السورة وموضوعها الرئيسي والموضوعات الأخرى فيه واضحة القصد والاتجاه. وتتبع هذا السياق بالتفصيل يزيد هذا الأمر وضوحا .. (رحمه الله ١)

خلاصة ما تضمنته السورة الكريمة من الموضوعات

(١) إنزال الوحى على رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

(٢) اختلاف الأديان ضرورى للبشر.

(٣) أصول الشرائع واحدة لدى جميع الرسل.

(٤) اختلاف المختلفين فى الأديان بغى وعدوان منهم.

(٥) إنكار نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – بعد أن قامت الأدلة على صدقه.

(٦) استعجال المشركين لمجىء الساعة وإشفاق المؤمنين منها.

(٧) من يعمل للدنيا يؤت منها وماله حظ فى الآخرة ، ومن يعمل للآخرة يوفقه الله للخير.

(٨) ينزل الله الرزق بقدر بحسب ما يرى من المصلحة.

(٩) من الأدلة على وجود الخالق خلق السموات والأرض وجرى السفن فى البحار.

(١٠) متاع الآخرة خير وأبقى من متاع الدنيا.

رحمه الله_______________

(رحمه الله ١) – فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع – (٥ / ٣١٣٦)." (١)

"بدئت السورة ببيان تاريخ بدء إنزال القرآن في ليلة القدر من رمضان ، رحمة من اللّه بعباده ، وأن منزله هو مالك الكون كله والمخلوقات جميعها ، وأنه هو الإله الحقّ الواحد الذي لا شريك له ، غير أن المشركين في شكّ **وارتياب** من أمر القرآن.

ثم أعدتهم بالعذاب الشديد ، وبالدّخان المخيف الذي ينذرهم بأسوأ العواقب ، ولكنهم مع ذلك لم يؤمنوا.

وأردفت ما سبق بعظتهم بقصة فرعون وقومه مع موسى عليه السّلام ، حيث نجّى اللّه المؤمنين ، وأغرق الكافرين في البحر.

ثم وصفت مشركي مكة بأنهم قوم منكرون للبعث في قوله تعالى : إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولى ، وَما نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ [٣٥] ، وهدّدتهم بالإهلاك كما أهلك المجرمين الأشدّاء من قبلهم ، مثل قوم تبّع الحميري ، مع إيراد الدّليل على قدرة اللّه عزّ وجلّ

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/١٠٠٨

على كلّ شيء.

ثمّ وصفت لهم أهوال يوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب وطعام الزّقوم في نار جهنم وغير ذلك مما يرهب ويرعب ، ويثير المخاوف الشّديدة في النّفوس.

وختمت السّورة بنعت وبيان مصير الأبرار ومصير الفجّار ، لترغيب الفريق الأول وتبشيره بالعاقبة الحميدة ، وترهيب الفريق الثاني وإنذاره بالنّكال والعذاب الشّديد. (رحمه الله١)

سورة الدخان مكية باتفاق ، وهي سبع وخمسون آية. وتشمل على بيان عظمة القرآن ، وتهديد المشركين. وضرب الأمثال لهم بفرعون وقومه ونهايته ، ثم إثبات البعث ومناقشتهم فيه ، وبيان بعض أحواله الخاصة بالكفار والمؤمنين. ثم ختمت كما بدئت بالكلام على القرآن. (رحمه الله٢)

مكية كما روي عن ابن عباس وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم واستثنى بعض قوله تعالى : إِنَّا كاشِفُوا الْعَذابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عائِدُونَ [الدخان : ١٥] وآيها كما قال الداني تسع وخمسون في الكوفي وسبع في البصري وست في عدد الباقين. واختلافها على ما في مجمع البيان أربع آيات حم [الدخان : ١] وإِنَّ هؤُلاءِ لَيَقُولُونَ [الدخان :

٣٤] كوفي شَجَرَةَ الزَّقُّومِ [الدخان : ٤٣] عراقي شامي والمدني الأول فِي الْبُطُونِ [الدخان : ٤٥] عراقي مكي والمدني الأخير. ووجه مناسبتها لما قبلها أنه عزّ وجلّ ختم ما قبل بالوعيد والتهديد وافتتح هذه بشيء من الإنذار الشديد وذكر سبحانه هناك قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – : يا رَبِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ

رحمه الله______

(رحمه الله١) – التفسير المنير ـ موافقا للمطبوع – (٢٥ / ٢٠٢) و تفسير الشيخ المراغى ـ موافقا للمطبوع – (٢٥ / ١١٨)

(رحمه الله٢) – التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع – (٣ / ٤١٠)." (١)

"[الزخرف : ٨٨] وهنا نظيره فيما حكي عن أخيه موسى عليهما الصلاة والسلام بقوله تعالى فَدَعا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ [الدخان : ٢٢] وأيضا ذكر فيما تقدم فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ [الزخرف : ٨٩] وحكى سبحانه عن موسى عليه السلام إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ [الدخان : ٢٠ ، ٢١] وهو قريب من قريب إلى غير ذلك ، وهي إحدى النظائر التي كان يصلي بهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما أخرج الطبراني عن ابن مسعود الذاريات والطور والنجم واقتربت والرحمن والواقعة ونون والحاقة والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة وهل أتى على الإنسان والمرسلات وعم يتساءلون والنازعات وعبس وويل للمطففين وإذا الشمس كورت والدخان (رحمه الله١)

* سورة الدخان مكية وهي تتناول أهداف السور المكية (التوحيد ، الرسالة ، البعث) لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم – المعجزة الخالدة – الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، وقد تحدثت عن إنزال الله تعالى له في ليلة مباركة ، من أفضل ليالي العمر هي " ليلة القدر " وبينت شرف تلك

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/١٠٢٦

الليلة العظيمة التي تفضل وتدبر فيها أمور الخلق ، والتي اختارها الله لإنزال خاتمة الكتب السماوية ، على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (- صلى الله عليه وسلم -) [حم

* والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن موقف المشركين من هذا القرآن العظيم ، وأنهم في شك وارتياب من أمره ، مع وضوح آياته ، وسطوع براهينه ؟ وأنذرتهم بالعذاب الشديد [بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ٠٠] الآيات .

* ثم تحدثت عن قوم فرعون ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، نتيجة الطغيان والإجرام ، وعن الآثار التي تركوها بعد هلاكهم ، من قصور ودور ، وحدائق وبساتين ، وأنهار وعيون ، وعن ميراث بني إسرائيل لهم ، لم ما حدث لهم من تشرد وضياع ، بسبب عصيانهم لأوامر الله [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . .] الآيات .

* وتناولت السورة الكريمة مشركي قريش ، وإنكارهم للبعث والنشور ، واستبعادهم للحياة مرة أخرى ، ولذلك كذبوا الرسول ، وبينت أن هؤلاء المكذبين ليسوا بإلرم على الله ، ممن سبقهم من الأمم الطاغية ، وأن سنة الله لا تتخلف في إهلإلى الطغاة المجرمين [أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين .] الآيات .

رحمه الله________________

(رحمه الله١) - روح المعاني . نسخة محققة - (١٣ / ١٠٩)." (١)

"ويقال لها سورة لا أقسم وهي مكية من غير حكاية خلاف ولا استثناء واختلف في عدد آيها ففي الكوفي أربعون وفي غيره تسع وثلاثون والخلاف في لِتَعْجَلَ بِهِ [القيامة : ١٦] ولما قال سبحانه وتعالى في آخر ال مدثر كَلَّا بَلْ لا يَخافُونَ الْآخِرَةَ [المدثر : ٥٣] بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر جلا وعلا في هذه السورة الدليل عليه بأتم وجه ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن ثم ما قبل من مبدأ الخلق على عكس الترتيب الواقعي (رحمه الله١)

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار (- صلى الله عليه وسلم -) لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان بعد الرسوم بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه الله من وضوح المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظم ورونق السبك وعلو المقاصد ، فهو لذلك معشوق لكل طبع ، معلوم ما خفي من أسراره وإشاراته بصدق النية وقوة العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر كأنه كان منسيا بعد حفظه فذكر) فمن شاء ذكره) [عبس : ١٢] فحفظه وعلم معانيه وتخلق بها ، وإنما المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى ، فمن شاء حجبه عنه أصلا رأسا ، ومن شاء شك ولا ارتياب ، وجلى عليه أوانسه وعرائسه وحباه جواهره ونفائسه ، وحلاه به ، فكان ملكه وسائسه ، كما كان المدثر (- صلى الله عليه وسلم -) حين كان خلقه القرآن ، واسمها القيامة واضح في ذلك جدا ، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه " لا " النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها في الوضوح في حد

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/١٠٢٧

لا يحتاج إلى الإقسام عليه لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض ، ويتصرفون فيما خولهم فيه منه غير حساب ، فكيف بأحكم الحاكمين الذي وكل عبيده أضعافهم من الملائكة فهم يديرون كل لحظة فيهم كؤوس المنايا ، ويأخذون من أمرهم به سبحانه إلى دار البرزخ للتهيئة للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمر إلى العود في الأرض حتى ينتهي الجمع في القبور ، ويقيمهم بالنقر في الناقور ، والنفخ في الصور ، إلى ساحة الحساب للثواب والعقاب ، ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة في الشر شديدة اللوم عن الإقصار عن شيء منه كما أن ما جلاه لنبيه محمد (– صلى الله عليه وسلم –) حتى كان خلقه ، ولمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه بتغليب المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا ونورا خالصا بحتا (رحمه الله٢)

هذه السورة الصغيرة تحشد على القلب البشري من الحقائق والمؤثرات والصور والمشاهد ، والإيقاعات واللمسات ، ما لا قبل له بمواجهته ولا التفلت منه .. تحشدها بقوة ، في أسلوب خاص ، يجعل لها طابعا

رحمه الله________________

(رحمه الله١) – روح المعاني . نسخة محققة – (١٥ / ١٥٠)

(رحمه الله٢) – نظم الدرر . موافق للمطبوع – (٨ / ٢٤١)." (١)

"" " صفحة رقم ٥٠١ " "

والمفضل عليه محذوف لفهم المعنى ، أي : أقسط وأقوم ، وأدنى لكذا من عدم الكتب ، وحسن الحذف كون أفعل خبرا للمبتدأ بخلاف كونه صفة ، أو حالا . وقرأ السلمي : " ألا يرتابوا " بياء الغيبة كقراءة : " ولا يسأموا أن يكتبوه " وتقدم توجيهه .

فصل في فوائد الإشهاد والكتابة

اعلم أن الكتابة ، والاستشهاد تشتمل على ثلاث فوائد :

الأولى : قوله : (أقسط عند الله (، أي : أعدل عند الله وأقرب إلى الحق .

والثانية : قوله : (أقوم للشهادة (، أي : أبلغ في استقامته التي هي ذد الاعوجاج ؛ لأن المنتصب القائم ضد المنحني المعوج ، وإنما كانت أقوم للشهادة ؛ لأنها سبب للحفظ والذكر ، فكانت أقرب إلى الاستقامة .

والفرق بين الفائدة الأولى والثانية أن الأولى تتعلق بتحصيل مرضاة الله ، والثانية تتعلق بتحصيل مصلحة الدنيا ، ولهذا قدمت الأولى عليها ؛ لأن تقديم مصلحة الدين على مصلحة الدنيا واجب .

الفائدة الثالثة : قوله : (وأدنى ألا ترتابو ا (يعني أقرب إلى زوال الشك **والارتياب** عن قلوب المتداينين ، فالفائدة الأولى إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين .

والثانية : إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا .

والثالثة : إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير ، أما عن النفس فلأنه يبقى في الفكران ، أن هذا الأمر كيف كان ،

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، المؤلف غير معروف ص/١٣٨٣

وهذا الذي قلت : هل كان صدقا ، أو كذبا ، أما عن الغير ، فلأن ذلك الغير ربما نسبه إلى الكذب ، فيقع في عقاب الغيبة .

قوله : (إلا أن تكون تجارة (في هذا الاستثناء قولان :

أحدهما : أنه متصل قال أبو البقاء : " والجملة المستثناة في موضع نصب ؛ لأنه استثناء [من الجنس] لأنه أمر بالاستشهاد في كل معاملة ، فالمستثنى منها التجارة الحاضرة ، والتقدير : إلا في حال حضور التجارة " .

والثاني : أنه منقطع ، قال مكي بن أبي طالب : و " أن " في موضع نصب على الاستثناء المنقطع " وهذا هو الظاهر ، كأنه قيل : لكن التجارة الحاضرة ، فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها .." (١)

"" صفحة رقم ٢١٤ " "

٤٩ - متى يبلغ البنيان يوما تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

فصل

في كونه سببا للريبة وجوه : الأول : أن المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار ، فلما أمر الرسول بتخريبة ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته . وثانيها : أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما أمر بتخريبه ، ظنوا أنه إنما أمر بتخريبه حسداص ، فارتفع أمانهم عنه ، وعظم خوفهم منه ، وصاروا مرتابين في أنه هل يتركهم على ما هم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم ؟

وثالثها : أنهم اعتقدوا كونهم محسنين في بناء ذلك المسجد ، كما حبب العجل إلى قوم موسى ، فلما أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بتخريبه بقوا شاكين مرتابين في أنه لأي سبب أمر بتخريبه ؟ قاله ابن عباس . وقال الكلبي : " ريبة " أي : حسرة وندامة ، لأنهم ندموا على بنائه . وقال السدي : لا يزال هدم بنيانهم ريبة ، أي : حزازة وغيظا في قلوبهم .

قوله : " إلا أن تقطع " المستثنى منه محذوف ، والتقدير : لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال إلا حال تقطيعها .

وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، وحفص " تقطع " بفتح التاء ، والأصل تتقطع بتاءين ، فحذفت إحداهما .

وعن ابن كثير " تقطع " بفتح الياء وتسكين القاف " قلوبهم " بالنصب ، أي : تفعل أنت بقلوبهم هذا الفعل . وقرأ الباقون " تقطع " بضمها ، وهو مبني للمفعول ، مضارع " قطع " بالتشديد . وقرأ أبي " تقطع " مخففا من " قطع " . وقرأ الحسن ، ومجاهد وقتادة ، ويعقوب " إلى أن " ب " إلى " الجارة . وأبو حيوة كذلك ، وهي قراءة واضحة في المعنى ، إلا أنا أبا حيوة قرأ " تقطع " بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة والفاعل ضمير الرسول ، " قلوبهم " نصبا على المفعول به ، والمعنى بذلك أنه يقتلهم ويتمكن منهم." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ٥٠١/٤

(٢) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ٢١٤/١٠

"" " صفحة رقم ٤٢٩ " "

أي هم كذلك ،) أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله (أي : يظلم) بل أؤلئك هم الظالمون (، لأنفسهم بإعراضهم عن الحق .

قال الحسن بن أبي الحسن : من دعا خصمه إلى حكم من أحكام المسلمين فلم يجب ، فهو ظالم فإن قيل : إذا خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين ، وإذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض ، فالكل واحد ، فأي فائدة في التعديد ؟

فالجواب : قوله : (أفي قلوبهم مرض (إشارة إلى النفاق ، وقوله : " أم ارتابوا " إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه . فإن قيل : هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة ، فكيف أدخل عليها كلمة " أم " ؟

فالجواب الأقرب أنه تعالى أنبههم على كل واحدة من هذه الأوصاف ، فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق ، وكان فيها شك وارتياب ، وكانوا يخافون الحيف من الرسول ، وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ، ثم بين تعالى بقوله : (بل أؤلئك هم الظالمون (بطلان ما هم عليه ، لأن الظلم يتناول كل معصية ، كما قال تعالى : (إن الشرك لظلم عظيم ([لقمان : ١٣] .

(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفآئزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة إن الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين (

قوله تعالى : (إنما كان قول المؤمنين) . العامة على نصب " قول " خبرا ل "كان " ، والاسم " أن " المصدرية وما بعدها . وقرأ أمير المؤمنين والحسن وابن أبي إسحاق برفعه على أنه الاسم ، و " أن " وما في حيزها الخبر ، وهي عندهم مرجوحة ، لأنه متى اجتمع معرفتان فالأولى جعل الأعرف الاسم ، وإن كان سيبويه خير في ذلك بين كل." [1]

"" " صفحة رقم ١٦١ " "

هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاه أجاب له .

وتصديق ذلك في كتاب الله : (ومن يؤمن ب الله يهد قلبه ([التغابن : ١١] ،) ومن يتوكل على لله فهو حسبه (،) إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ([التغابن : ١٧]) ومن يعتصم ب الله فقد هدي إلى صراط مستقيم ([آل عمران : ١٠١] ،) وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ([البقرة : ١٨٦] .

(/ واللائي يئسن من المحيض من نسآئكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (

قوله : (واللائي يئسن) .

تقدم الخلاف فيه .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ٤٢٩/١٤

وأبو عمرو يقرأ هنا : " واللائي يئسن " بالإظهار .
وقاعدته في [مثله] الإدغام ، إلا أن الياء لما كانت عنده عارضة لكونها بدلا من همزة ، فكأنه لم يجتمع مثلان ، وأيضا لإن سكونها عارض ، فكأن ياء " اللائي " متحركة ، والحرف ما دام متحركا لا يدغم في غيره ، وقرىء : " يئسن " فعلا ماضيا .
وقرىء : " ييئسن " مضارع .
و) المحيض من نسآئكم) .
" من " الأولى لابتداء الغاية ، وهي متعلقة بالفعل قبلها ، والثانية للبيان متعلقة بمحذوف .
و " اللائي " مبتدأ ، و " فعدتهن " مبتدأ ثان ، و " ثلاثة أشهر " خبره ، والجملة خبر الأول ، والشرط معترض ، وجوابه محذوف .
ويجوز أن يكون " إن ارتبتم " جوابه) فعدتهن ثلاثة أشهر (، والجملة الشرطية خبر المبتدأ ، ومتعلق الارتياب محذوف ، تقدير : إن ارتبتم في أنها يئست أم لا لإمكان ظهور حمل وإن كان انقطع دمها .." (١)
"" صفحة رقم ١٦٤ " "
قال القرطبي : " وهو أصح ما قيل فيه " .
فصل في المرتابة في عدتها
المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرىء نفسها من ريبتها ، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة ، وقد قيل في المرتابة التي ارتفع حيضها ، لا تدري ما رفعه إنها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها ، منها تسعة أشهر استبراء ، وثلاثة عدة ، فإن طلقها فحاضت حيضة ، أو حيضتين ، ثم ارتفع حيضها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت [للأزواج] . وهذا قول الشافعي بالعراق .
فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد التسعة أشهر [أربعة أشهر وعشرا ، والأمة شهرين وخمس ليال بعد التسعة أشهر] .
وروي عن الشافعي أيضا : أن أقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن اليائسات .
وهو قول النخعي والثوري وغيرهما ، وحكاه أبو عبيدة عن أهل العراق .
فصل في ارتياب المرأة الشابة
إذا ارتابت المرأة الشابة هل هي حامل أم لا ؟
فإن اسبان حملها فأجلها وضعه ، وإن لم يستبن ، فقال مالك : عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة ، وبه قال أحمد وإسحاق وروي عن عمر بن الخطاب وغيره .
وأهل " العراق " يرون أن عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وإن مكثت عشرين سنة ، إلا

---
(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ١٦١/١٩

أن تبلغ من الكبر سنا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر .
قال الثعلبي : وهذا الأصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء ، وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه .
قال إلكيا : وهو الحق ، لأن الله تعالى جعل عدة الآيسة ثلاثة أشهر . والمرتابة ليس آيسة .
فصل فيمن تأخر حيضها لمرض
فأما من تأخر حيضها لمرض ، فقال مالك وبعض أصحابه : تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة كما تقدم .." (١)
"" " صفحة رقم ٥٢٤ " "
فالجواب : نحمله على ثمرات الإيمان ، وعلى آثاره ولوازمه .
قوله تعالى : (ولا يرتاب (، أي : ولا يشك) الذين أوتوا (أي : أعطوا) الكتاب والمؤمنون (أي : المصدقون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أن خزنة جهنم تسعة عشر .
فإن قيل : لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب ، وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين ، فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك : (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون (؟ .
فالجواب : أن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه ، فحصل له اليقين ، فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق ، فيعود الشرك ، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان **الارتياب** بعد ذلك ، ففائدة هذه الإعادة نفي ذلك الشك ، وأنه حصل له يقين جازم ، لا يحصل عقيبه شك ألبتة .
قوله تعالى : (وليقول الذين في قلوبهم مرض (، أي : في صدورهم شك ونفاق من منافقي أهل " المدينة " الذين يجيئون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ، وهذا إخبار عما سيكون ففيه معجزة) والكافرون (أي : اليهود والنصارى) ماذآ أراد الله به اذا مثلا (يعني : بعدد خزنة جهنم ، وهذا قول أكثر المفسرين .
وقال الحسن بن الفضل : السورة مكية ، ولم يكن ب " مكة " نفاق ، فالمرض في هذه الآية الخلاف ، والمراد بالكافرين : مشركو العرب ، ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتبياب لأن أهل " مكة "كان أكثرهم مشركين ، وبعضهم قاطعين بالكذب ، وقوله تعالى إخبارا عنهم : (ماذآ أراد الله به اذا مثلا (؟ أي : هذا العدد الذي ذكره حديثا ، أي ما هذا من الحديث .

قال الليث رحمه الله : المثل الحديث ، ومنه : (مثل الجنة التي وعد المتقون ([محمد : ١٥] ، أي حديثها والخبر عنها .
وقال ابن الخطيب : إنما سموه مثلا ؛ لأنه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم أنه ربما لم يكن مرادا لله منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر تنبيها على مقصود آخر - لا جرم سموه مثلا - لأنهم لما اسغربوه ظنوا أنه ضرب مثلا لغيره ، و " مثلأا " تمييز أو حال ، وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته .
فصل في لام : " وليقول "
" اللام " في قوله تعالى : (وليقول الذين في قلوبهم مرض (جار على أصول أهل السنة ؛ لأن ذلك مراد ، وعند المعتزلة

(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ١٦٤/١٩

: هي لا العاقبة ، ونسبوه إلى الله – عز وجل – مع أنهم ينكرون ذلك ، إما على سبيل التهكم ، وإما على ما يقولونه .." (١)

"ولو ترى إذ فزعوا ﴾ أي ولو ترى يا محمد حال المشركين عند فزعهم إذا خرجوا من قبورهم ﴿ فلا فوت ﴾ أي فلا مخلص لهم ولا مهرب ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ أي أخذوا من الموقف . أرض المحشر . إلى النار، وجواب ﴿ لو ﴾ محذوف تقديره: لرأيت أمرا عيظما وخطبا جسيما ترتعد له الفرائص ﴿ وقالو؟! آمنا به ﴾ أي وقالوا– عندما عاينوا العذاب– آمنا بالقرآن وبالرسول ﴿ وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ﴾ أي ومن أين لهم تناول الإيمان وهم الآن في الآخرة ومحل الإيمان في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد؟ قال أبو حيان: مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعد كما يتناوله الآخر من قرب ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أي والحال أنهم قد كفروا بالقرآن وبالرسول من قبل ذلك في الدنيا، فكيف يحصل لهم الإيمان بهما في الآخرة ﴿ ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث ولا حساب، ولا جنة ولا نار، قال القرطبي: والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرف هو يقذف ويرجم بالغيب، وعلى جهة التمثيل لمن يرمي ولا يصيب.

﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ﴾ أي وحيل بينهم وبين الإيمان ودخول الجنان ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل ﴾ أي كما فعل بأشباههم في الكفر من الأمم السابقة ﴿ إنهم كانوا في شك مريب ﴾ أي كانوا في الدنيا في شك **وارتياب** من أمر الحساب والعذاب وقوله: ﴿ مريب ﴾ من باب التأكيد كقولهم: عجب عجيب.أهـ(رحمه الله ١)

والفزع في قوله تعالى: ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت ﴾ للعلماء فيه أقوال(رحمه الله ٢):

رحمه الله______________

(رحمه الله ١) – الصابوني/ صفوة التفاسير(٢/٥٦٠-٥٦١)

(رحمه الله ٢) – أنظر تفسير الطبري (٢٠/٤٢١-٤٢٨) والقرطبي (١٤/ ٢٥٢) وغيرهما.." (٢)

"" صفحة رقم ١٢ "

بتأويل البيان والبرهان ، والمراد بالشاهد القرآن ومنه أي من الله أو من القرآن المتقدم ذكره في قوله : (أم يقولون افتراه (،) ومن قبله كتاب موسى (أي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة حال كونها) إماما (أو أعني إماما كتابا مؤتما به في الدين قدرة فيه) ورحمة (ونعمة عظيمة على المنزل إليهم. والحاصل أن المعارف اليقينية وإذا اجتمع على بعض المطالب هذان الأمران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب أوثق. ثم إذا توافقت كلمة الأنبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ، ثم إنه حصل على تقرير صحة هذا الدين هذه الأمور الثلاثة جميعا : البينة. وهي الدلائل العقلية اليقينية ، والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي ، وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به ، وعند اجتماع هذه الأمور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك **وارتياب**.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، المؤلف غير معروف ١٩/٥٢٤

(٢) بحث في التفسير بين السنة والشيعة الإمامية الاثنى عشرية، المؤلف غير معروف ٢/٨٢

وقيل : أفمن كان محمد (صلى الله عليه وسلم) ، والبينة القرآن ، ويتلوه يقرؤه شاهد هو جبرائيل نزل بأمر الله وقرأ القرآن على محمد أو شاهد من محمد هو لسانه ، أو شاهد من النبي (صلى الله عليه وسلم) هو صورته ومخايله ، فإن من نظر إليه بعقله تفرس أنه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن. وقيل : الكائن على البينة هم المؤمنون ، والبينة القرآن ، ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد (صلى الله عليه وسلم) أو الإنجيل لأنه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وإن كان موجدا قبله ، أو ذلك الشاهد كونه القرآن واقعا على وجه يعرف المتأمل فيه عجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة إلى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها إلا الذوق السليم : ثم مدح الكائن على البينة بقوله : (أولئك يؤمنون به (أي بالقرآن. ثم أوعد غيرهم بقوله : (ومن يكفر به من الأحزاب (يعني أهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس) فالنار موعده فلا تك في مرية (في شك) منه (من القرآن أو من الموعد ، ولما أبطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله : (من كان يريد الحياة الدنيا (ومن إنكارهم نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) وذلك قوله : (أفمن كان على بينة (أراد أن يبطل ما كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها شفعاء تشفع لهم فقال ،) ومن أظلم (. ثم قال : (أولئك يعرضون (لم يحمل عليهم العرض لأنهم مخصوصون بالعرض فإن العرض عام ، ولكن فائدة الحمل ترجع إلى المعطوف. أراد أنهم يعرضون فيفضحون بقول الأشهاد. ومعنى عرضهم على ربهم أنهم يعرضو على الأماكن المعد للحساب. والسؤال أو المراد عرضهم على من." [1]

"" صفحة رقم ٢٠٩ "

من نفاقهم وشقاقهم وإضمارهم الغدر والخديعة وإلافمن حلف على فعل البر لا يجوز أن ينهى عنه. وقوله (طاعة معروفة (مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة ، أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا ارتياب فيها كطاعة الخلص من المؤمنين ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل. ثم صرف الكلام من الغيبة غلى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب. ومعنى) فإن تولوا (فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين. وما حمل الرسول هو أداء الرسالة ، وما حمل على الأمة هو الطاعة والانقياد ، والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة. وههنا شبه إضمار والتقدير : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. وفي الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه) ليستخلفنهم (أو القسم محذوف أي أقسم ليجعلنكم خلفاء في الأرض كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد إهلاك الجبابرة.) وليمكنن (لأجلهم الدين المرتضى وهو دين الإسلام. وتمكين الدين تثبيته وغشادة قواعده ، كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة ، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الأكاسرة خزائنهم ، وهذا إخبار بالغيب فيكون معجزا. ومحل) يعبدونني (نصب على الحال أي وعدهم ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال : ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال : (

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف غير معروف ١٢/٤

يعبدونني (وعلى الوجهين فقوله) لا يشركون (بدل من) يعبدونني (أو بيان لها. وفيه دليل علىأن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والإخلاص له.) ومن كفر (بهذه النعم الجسام وهي الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعدما ذكر) فأولئك هم (الكاملون في الفسق. قال أهل السنة : في الآية دلالة على إمامة الخلفاء الراشدين لأن قوله) منكم (للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين في وقت الخطاب ، ومعلوم أن الأئمة الأربعة كانوا من أهل الإيمان والعمل الصالح ، وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح ، فوجب أن يكونوا مرادين من الآية. واعترض بأن قوله) منكم (لم لا يجوز أن يكون للبيان ، ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف في الأرض هو إمكان التصرف والتوطن فيها كما في حق بني إسرائيل ؟ سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة علي عليه السلام ؟ والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الأحد عشر بعده ؟ وقيل : إن في قوله) ومن كفر بعد ذلك (إشارة إلى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله (صلى الله عليه وسلم) (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم." [1]

"" صفحة رقم ٣٩٣ "

الزبانية كذلك .

يروى أنه لما نزلت الآية قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال المسلمون : ويحكم أتقاس الملائكة بالحدادين أي السجانين ؟ وجرى هذا مثلا في كل شيئين لا يسوى بينهما وأنزل الله تعالى) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة (أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ويرحمون فإن الجنسية مظنة الرأفة ولذلك جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) من جنس الأمة ليكون بهم رؤفا رحيما .

ولا استبعاد في كونه الملائكة في النار غير معذبين بناء على القول بالفاعل المختار ، ولعلهم غلبت عليهم النارية فصارت لهم طبعا كالحيوانات المائية .

وقوله (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة (الآية .

هو على مذهب أهل السنة ظاهر ، وأما على أصوب المعتزلة فقال الجبائي : المراد بالفتنة تشديد التعبد ، استدلوا به على كمال قدرة الله تعالى وقال الكبعي : هي الإمتحان فيؤمن المؤمن بالمتشابه ويفوض حكمة التخصيص بهذا العدد إلى الخالق ، والكافر يعترض عليه .

وقال : بعضهم : أراد ما وقعووا فيه من الكفر بسبب أنكارهم والتقدير إلا فتنة على الذين كفروا ، وحاصله يرجع إلى ترك الألطاف .

وأجيب عن هذه التأويلات بأنتنزيل المتشابهات لا بد أن يكون له أثر في تقوية داعية الكفر وإلا كان إنزالها كلا إنزال .

ومع هذا الترجيح لا يحصل الإيمان ألبة وهو المعنى بالإضلال .

واعلم أن في الآية دلالة على أنه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانية سببا لأمور أربعة : أولها) يستيقن (ثانيها) ويزداد (ثالثا) ولا يرتاب (رابعها) وليقول (وفيه إشكال .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف غير معروف ٥/٢٠٩

قال جار الله : ما جعل افتتانهم بالعدد سببا ولكنه وضع) تسعة عشر (تعبيرا عن المؤثر باللفظ الدال على الأثر تنبيها على أن هذا الأثر من لوازم ذلك المأثر .

وقال آخرون : تقديرهوما جعلنا عدتهم إلا فتنة للكافرين وإلا ليستيقن كما يقال : فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك .

قالوا : والعاطف يذكر في هذا الموضع تارة ويحذف أخرى .

وأما سبب إستيقان أهل الكتاب فهو أنهم قرؤا هذا العدد في كتابهم ولكنهم ما كانوا واثقين لتطرق التحريف إلى كتابهم .

فلما سمعوا ذلك في القرآن تيقنوا بصحة نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) لأنه أخبرهم بما في كتابهم من غير سابقة دراسة وتعلم .

ولأنه أخبر كفار قريش بهذا الأمر الغريب من غير مبالاة باستهزائهم وتكذيبهم فعرفوا أنه نم قبيل الوحي وإلا لم يجترىء على التكلم به خوفا من السخرية .

وأما زيادة إيمان المؤمنين فحملعلى آثاره ولوازمه ونتائجه .

وأما نفي الارتياب عن أهل الكتاب والمؤمنين بعد إثبات الاستيقان وزيادة الإيمان لهم فمن باب التوكيد كأنه قيل : حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب .

فإن الذي حصل له اليقين قد يغفل عن مقدمة من مقدمات الدليل فيعود له الشك .

وفيه أيضا تعريض." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ [٥٨]

.

﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وهو مبتدأ و خبره : ﴿ نتلوه عليك ﴾ أي : من غير أن يكون لك اطلاع سابق عليه . وقوله تعالى : ﴿ من الآيات ﴾ حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر : ﴿ والذكر الحكيم ﴾ أي : المشتمل على الحكم ، أو المحكم المعصوم من تطرق الخلل إليه ، والمراد به : القرآن .

تنبيه :

في قوله : ﴿ إني متوفيك ﴾ . وجوه في التأويل كثيرة ، إلا أن الذي فتح المولى به مما أسلفناه هو أرجح التأويلات والله أعلم ، وبه يسقط زعم النصارى أن هذه الآية حجة علينا ، لإفادتها وفاته عليه السلام ، أي : بالصلب ، ثم رفعه إلى السماء ، أعني : قيامه حيا بعد وفاته على زعمهم من أنه مات بجسده ، وأقام على الصليب إلى وقت الغروب من يوم الجمعة ، ثم أنزل ودفن في أول ساعة من ليلة السبت ، وأقام في القبر إلى صبيحة الأحد ، ثم انبعث حيا ، وتراءى للنسوة اللائي جئن إلى قبره زائرات ، وقد استندوا في هذا الزعم إلى شهادة أناجيلهم الأربع ، وشهادة تلاميذه الشفاهية في العالم ، ثم أتباعهم ، وكذا شهادة اليهود بوقوع الصلب على المسيح ذاتيا . ووجه سقوط زعمهم الفاسد المذكور ما بيناه في معنى الآية مما لا

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف غير معروف ٣٩٣/٦

يبقى معه أدنى ارتياب . وقد بين علماؤنا بطلان معتقدهم هذا في تآليف وتحارير فانظره في " حواشي تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب " تأليف الشيخ : عبد الله بك .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [٢٣]

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا ﴾ – أي : من القرآن الذي نزلناه – : ﴿ على عبدنا ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله تعالى ، والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب – مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر – كما يعرب عن قوله تعالى : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم – وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد – هو الارتياب في شأنه ، وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال ، كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوك الوقوع ، وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ، ونهاية قوتها ، وإنما لم يقل : وإن ارتبتم فيما نزلنا . . . الخ ، لما أشير إليه – فيما سلف – من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه – حسبما نطق به قوله تعالى : ﴿ لا ريب فيه ﴾ – والإشعار بأن ذلك – إن وقع – فمن جهتهم لا من جهته العالية . واعتبار استقرارهم فيه ، وإحاطته بهم ، لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته : لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به ، لا قلته ولا كثرته .

وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية ، مع الإضافة إلى ضمير الجلالة – من التشريف ، والتنويه ، والتنبيه على اختصاصه به عز وجل ، وانقياده لأوامره تعالى – ما لا يخفى ، والأمر في قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر ، كما في قوله تعالى : ﴿ فأت بها من المغرب ﴾ [البقرة : ٢٥٨] ، أو من باب المجاراة معهم – بحسب حسبانهم – حيث كانوا يقولون : لو نشاء لقلنا مثل هذا .

والسورة : الطائفة من القرآن العظيم المترجمة ، وأقلها ثلاث آيات ، وواوها أصلية ، منقولة من سور البلد – لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة ، محوزة ، أو محتوية على فنون رائقة من العلوم ، احتواء سور المدينة على ما فيها ، أو من السورة التي هي الرتبة .

فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا– من حيث الفضل والشرف ، أو من حيث الطول والقصر – فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف : مراتب يرتقي إليها القارئ شيئا فشيئا . ومن في قوله تعالى : ﴿ من مثله ﴾ بيانية متعلقة بمحذوف صفة لسورة ، والضمير : ﴿ مما نزلنا ﴾ أي : بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة ، وسمو الطبقة ، والنظم الرائق ، والبيان البديع ، وحيازة سائر نعوت الإعجاز . وقيل : من زائدة – على ما هو رأي الأخفش – بدليل قوله تعالى : ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ [يونس : ٣٨] : ﴿ بعشر سور مثله ﴾ [هود : ١٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وادعوا شهداءكم من دون الله ﴾ إرشاد لهم إلى إنهاض أمة جمة ليحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم ، ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما أتى بجملته واحد من أبناء جنسهم ، وهذا كقوله تعالى في

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

سورة هود : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ [هود : ١٣]

. والشهداء " جمع شهيد ، بمعنى : الحاضر ، أو القائم بالشهادة ، أو الناصر . ومن : لابتداء الغاية متعلقة بـ " ادعوا " ، والظرف مستقر . والمعنى : ادعوا ، متجاوزين الله تعالى للاستظهار ، من حضركم – كائنا من كان – أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وإشرافكم – الذين تفزعون إليهم في الملمات ، وتعولون عليهم في المهمات – أو القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم – من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق ، بتنفيذ القول عند الولاة – أو القائمين بنصرتكم – حقيقة أو زعما – من الإنس والجن ليعينوكم . وإخراجه ، سبحانه وتعالى ، من حكم الدعاء في الأول – مع اندراجه في الحضور – لتأكيد تناوله لجميع ما عداه ، لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه ، فإن ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه . وأما في سائر الوجوه : فللتصريح من أول الأمر ببرائتهم منه تعالى ، وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له ، قاصرين استظهارهم على ما سواه ، والالتفات لإدخال الروعة ، وتربية المهابة : ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي : في زعمكم أنه من كلامه صلى الله عليه وسلم ، واستلزام المقدم للتالي من حيث إن صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله ، بقضية مشاركتهم له صلى الله عليه وسلم في البشرية والعربية ، مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والإشعار ، وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر ، والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام ، لاسيما عند المظاهرة والتعاون – ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ، ودواعي الأمر به – .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ [١٥] .

﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ أي : لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به من وحدانية الله ، ونبوة نبيه ، وألزموا نفوسهم طاعة الله ، وطاعة رسوله ، والعمل بما وجب عليهم من فرائض الله بغير شك في وجوب ذلك عليهم ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ أي : جاهدوا المشركين بإنفاق أموالهم ، وبذل مهجهم في جهادهم ، على ما أمرهم الله به من جهادهم ، وذلك سبيله ، لتكون كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى – قال ابن جرير : وقدمنا مرارا أن قصر سبيل الله على غزو الكفار المعتدين ، من باب قصر العام على أهم أفراده وأعلاها ، وإلا فسبيل الله يعم العبادات والطاعات كلها ، لأنها في سبيل وجهته .

قال الشهاب : وقدم الأموال ، لحرص الإنسان عليها ، فإن ماله شقيق روحه . و : ﴿ جاهدوا ﴾ بمعنى : بذلوا الجهد . أو مفعوله مقدر ، أي : العدو ، أو النفس والهوى .

﴿ أولئك هم الصادقون ﴾ أي : الذين صدقوا في ادعاء الإيمان ، لظهور أثر الصدق على جوارحهم ، وتصديق أفعالهم وأقوالهم . وفيه تعريض يكذب أولئك الأعراب في ادعائهم الإيمان وإفادة للحضر . أي : هم الصادقون ، لا هؤلاء ، أو

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

إيمانهم إيمان صدق ، وجد .

تنبيهات :

الأول – قال في " الإكليل " : في الآية دليل على أن الأعمال من الإيمان . وقدمنا أن هذا ما لا خلاف فيه بين السلف ، وليرجع في ذلك ما بسطه ابن حازم رحمه الله في " الفصل " .

الثاني – قال القاشاني : في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون ﴾ الآية إشارة إلى الإيمان المعتبر الحقيقي ، وهو اليقين الثابت في القلب المستقر الذي لا ارتياب معه ، لا الذي يكون على سبيل الخطرات ، فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت ملكة اليقين قلوبهم على نفوسهم ، ونورتها بأنوارها ، فتأصلت فيها ملكة القلوب حتى تأثرت بها الجوارح ، فلم يمكنها إلا الجري بحكمها ، والتسخر لهيأتها ، وذلك معنى قوله : ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾ بعد نفي الارتياب عنهم ، لأن بذل المال والنفس في طريق الحق هو مقتضى اليقين الراسخ ، وأثره في الظاهر . انتهى .

الثالث – قال في " الكشاف " : فإن قلت : ما معنى ثم ههنا ، وهي للترخي . وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان ، لأنه وصف فيه ، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة ، والطمأنينة التي حقيقتها التيقن ، وانتقاء الريب ؟ قلت : الجواب على طريقتين :

أحدهما – أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان ، أو بعض المضلين ، بعد ثلج الصدر ، فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه . أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ، ثم يستمر على ذلك ، راكبا رأسه ، لا يطلب له مخرجا . فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات . ونظيره قوله : ﴿ ثم استقاموا ﴾ .

والثاني – أن الإيقان وزوال الريب ، لما كان ملاك الإيمان ، أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه . وعطف على الإيمان بكلمة التراخي ، إشعارا باستقراره في الأزمة المتراخية المتطاولة غضا جديدا . انتهى .

يعني : أنه إما لنفي الشك عنهم فيما بعد ، فدل على أنهم كما لم يرتابوا أولا لم تحدث لهم ريبة ، فالتراخي زماني لا رتبي على ما مر في قوله : ﴿ ثم استقاموا ﴾ . أو عطفه عليه عطف جبريل على الملائكة ، تنبيها على أصالته في الإيمان ، حتى كأنه شيء آخر . فثم دلالة على استمراره قديما وحديثا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴾ [١٦] .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ [٣٥] .

﴿ الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ﴾ أي : برهان : ﴿ أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

على كل قلب متكبر جبار ﴾ أي : بطر للحق ، لا يقبل الحجة ، جبار في المجادلة ، ألد فيصدر عنه أمثال ما ذكر ، من الإسراف ، **والارتياب** ، والمجادلة في الباطل لطمس بصيرته ، فلا يكاد يظهر له الحق .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [٣١]

﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ أي : خزنتها ﴿ إلا ملائكة ﴾ أي : وهم أقوى الخلق بأسا ، وأشدهم غضبا لله ، ليباينوا جنس المعذبين ، فلا يستروحون لهم .

﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ أي : من مشركي قريش . أي : إلا عدة من شأنها أن يفتتن بها الكافرون ، فيجعلوها موضع البحث والهزء .

قال الجبائي : المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا أنه تعالى قادر على أن يقوي هؤلاء التسعة عشر على مالا يقوى عليه مائة ألف ملك أقوياء .

وقال الكعبي : المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين إلى علم الخالق سبحانه . قال : وهذا من المتشابه الذي أمروا بالإيمان به .

﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ أي : رسالة النبي صلوات الله عليه لإنبائه من وعيد الجاحدين المفسدين ما لديهم مصداقه . واللام متعلقة بـ ﴿ جعلنا ﴾ الثانية .

فإن قيل : كيف يصح جعلهم في نفس الأمر على هذا العدد ، معللا باستيقان أهل الكتاب ، وازدياد المؤمنين ، واستبعاد أهل الشك والنفاق ، وليس إيجادهم تسعة عشر سببا لشيء من ذلك ، وإنما السبب لما ذكر ، هو الإخبار عن عددهم بأنه تسعة عشر ؟

والجواب : أن الجعل يطلق على معنيين :

أحدهما : جعل الشيء متصفا بصفة في نفس الأمر .

وثانيهما : الإخبار باتصافه بها ، ويقال له : الجعل بالقول . أي : وما جعلنا عدتهم بالإخبار عنها إلا عددا يقتضي فتنتهم ، لاستيقان أهل الكتاب . . . . إلخ ، أي : وقلنا ذلك وأخبرنا به لاستيقان . . . إلخ . وعبر عن الإخبار بالجعل ، لمشاكلة قوله : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار ﴾ إلخ ، هذا ما قرره شراح القاضي .

﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ أي : تصديقا إلى تصديقهم بالله ورسوله ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي : حتى يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر .

قال الزمخشري : فإن قلت : كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض ، وهم المنافقون ، والسورة مكية ، ولم يكن بمكة نفاق ، وإنما

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

نجم بالمدينة ؟

قلت : معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة ، والكافرون بمكة : ماذا أراد الله بهذا مثلا . وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون ، كسائر الإخبارات بالغيوب . وذلك لا يخالف كون السورة مكية . ويجوز أن يراد بالمرض الشك **والارتياب** ، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين ، وبعضهم قاطعين بالكذب . انتهى .

وقال الرازي : إن قيل : لم سموه مثلا ؟ فالجواب : أنه لما كان هذا عددا عجيبا ، ظن القوم أنه ربما لم يكن مرادا لله منه ما أشعر به ظاهره ، بل جعله مثلا لشيء آخر ، وتنبيها على مقصود آخر ، لا جرم سموه مثلا .

﴿ كذلك يضل الله من يشاء ﴾ أي : إضلاله لصرفه اختياره إلى جانب الضلال : عند مشاهدته آيات الله الناطقة بالحق .

﴿ ويهدي من يشاء ﴾ أي : هدايته لصرف اختياره عند مشاهدته لتلك الآيات إلى جانب الهدى ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ قال الزمخشري : أي : وما يعلم ما عليه كل جند من العدد الخاص ، من كون بعضها على عقد كامل ، وبعضها على عدد ناقص ، وما في اختصاص كل جند بعدده ، من الحكمة إلا هو . ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك ، كما لا يعرف الحكمة في أعداد السماوات والأرضين وأمثالها . أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو ، فلا يعز عليه الزيادة على عدد الخزنة المذكور ، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها . انتهى .

ويجوز أن تكون الجملة تأييدا لكون ما تقدم مثلا ، أي : أن المؤمنين يستيقنون بأن عدتهم ضربت مثلا للكثرة غير المعتاد سماعها للكافرين . ومن سنته تعالى ضرب الأمثال في تنزيله ، وإلا فلا يعلم جنوده التي يسلطها على تعذيب من يشاء إلا هو . وهذا معنى آخر لم أقف الآن على من نبه عليه ، ويؤيده قوله :

﴿ وما هي ﴾ أي : عدتهم المذكورة ﴿ إلا ذكرى للبشر ﴾ أي : عظة يرهبون منها عذاب النار ، وهول أصحابها .

وقيل الضمير لـ ﴿ سقر ﴾ وقيل : للآيات . والأقرب عندي هو الأول لسلامته من دعوى كون ما قبله معترضا ، إذا أعيد الضمير لغيره ، ولتأييده لما قبله بالمعنى الذي ذكرناه .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم* إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ [٨٦ - ٩٦]

﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴾ أي : غير مجزيين يوم القيامة . أو مملوكين مقهورين . من دانه أذله واستعبده ﴿ ترجعونها ﴾ أي : تردون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي : في أنكم غير مسوسين ، مربوبين مقهورين .

يعني : أنكم مجبرون عاجزون تحت قهر الربوبية ، وإلا لأمكنكم دفع ما تكرهون أشد الكراهية ، وهو الموت ﴿ فأما إن كان

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

﴾ أي : الميت ﴿ من المقربين ﴾ أي : السابقين من الأصناف الثلاثة المذكورة في أول السورة .

﴿ فروح ﴾ أي : فله راحة ﴿ وريحان ﴾ أي : رزق طيب ، أو شجر ناضر يتفيأ ظلاله ﴿ وجنة نعيم ﴾ أي : يتنعم فيها مما تشتهيه الأنفس ، وتلذ الأعين .

﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ قال ابن كثير : أي : تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم : سلام لك ، أي : لا بأس عليك أنت في سلامة ، أنت من أصحاب اليمين .

وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله ، وسلمت عليه ملائكة الله ، كما قال عكرمة : تسلم عليه الملائكة ، وتخبره أنه من أصحاب اليمين . وهذا معنى حسن . ويكون ذلك كقول الله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ الآيات [فصلت : ٣٠] . انتهى .

وقال الرازي : في السلام وجوه :

أولها : يسلم به صاحب اليمين على صاحب اليمين كما قال تعالى من قبل :

﴿ لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما * إلا قيلا سلاما سلاما ﴾ [الواقعة : ٢٥] .

ثانيها : ﴿ فسلام لك ﴾ أي : سلامة لك من أمر خاف قلبك منه ، فإنه في أعلى المراتب ، وهذا كما يقال لمن تعلق قلبه بولده الغائب عنه ، إذا كان يخدم عند كريم : كن فارغا من جانب ولدك ، فإنه في راحة . ثالثها : أن هذه الجملة تفيد عظمة حالهم ، كما يقال : فلان ناهيك به ، وحسبك أنه فلان . إشارة إلى أنه ممدوح فوق حد الفضل . انتهى .

ثم قال الرازي :

والخطاب بقوله :

﴿ لك ﴾ يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ فيه وجه ، وهو ما ذكرنا أن ذلك تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنهم غير محتاجين إلى شيء من الشفاعة وغيرها ؛ فسلام لك يا محمد منهم ، فإنهم في سلامة وعافية ، لا يهمك أمرهم ، أو فسلام لك يا محمد منهم ، وكونهم ممن يسلم على محمد صلى الله عليه وسلم دليل العظمة ، فإن العظيم لا يسلم عليه إلا عظيم . انتهى .

﴿ وأما إن كان من المكذبين ﴾ أي : بآيات الله ﴿ الضالين ﴾ أي : الجائرين عن سبيله .

﴿ فنزل من حميم ﴾ أي : ماء انتهى حره ، فهو شرابه .

﴿ وتصلية جحيم ﴾ أي : إحراق بالنار .

﴿ إن هذا ﴾ أي : المذكور من أحوال الفرق الثلاثة وعواقبهم ﴿ لهو حق اليقين ﴾ أي : حقيقة الأمر ، وجلية الحال ، لا لبس فيه ولا ارتياب . والإضافة إما من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أي : الحق اليقين : كما يقال : دار الآخرة ، أو بالعكس ، أي : اليقين الحق . أو من إضافة العام للخاص ، أي : كعلم الأمر اليقين . فالإضافة حينئذ لامية ، أو بمعنى من .

تنبيه :

في " الإكليل " : استدل بالآيات هذه على أن الروح بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وعلى أن مقر أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكافرين في النار .

﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ أي : نزهه عما يصفونه به من الأباطيل ، وما يتفوهون به من الأضاليل ، قولا وعملا .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ [٨]

﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ أي : لمكان غرورهم وجهلهم وشدة ارتيابهم .

تنبيهان :

الأول : قال ابن جرير : عني بهذه الآيات كلها - فيما ذكر - عبد الله بن أبي ابن سلول ؛ وذلك أنه قال لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا . وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فسمع ذلك زيد بن أرقم فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (٢) ، فحلف أنه ما قال ! وقيل له : لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يستغفر لك ، فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاء ، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها .

ثم أورد ابن جرير الروايات في ذلك . وتقدمه الإمام البخاري ، فأسندها من طرق . ويجمعها كلها ما رواه ابن إسحاق في غزوة بني المصطلق : أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع وأظفره الله بهم . قال : فبينا الناس على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار ، يقال له : جهجاه ، يقود فرسه . فازدحم جهجاه وسنان الجهني حليف بني عوف بن الخزرج ، على الماء فاقتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أبي سلول ، وعنده رهط من قومه ، فيهم زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ؟ ! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ! والله ! ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضر من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب . فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال رسول الله صلىالله عليه وسلم : (٣)، في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها . فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

(٢) فسأله عما أخبر به عنه

(٣) فكيف يا عمر ، إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ! ولكن أذن بالرحيل

بن أبي ابن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ما قلت ما قال ولا تكلمت به . وكان في قومه شريفا عظيما . فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ! عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قاله الرجل - حدبا على ابن سلول ودفعا عنه -

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة ، وسلم عليه ، ثم قال : يا نبي الله ! والله لقد رحت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : [(١)]؟ قال : وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال : [(٢)]! قال : وما قال ؟ قال : [(٣)]! قال : فأنت يا رسول الله ، والله ، تخرجه منها إن شئت ؛ هو- والله - الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ! ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه به ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا ، ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ذلك ، حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض ، فوقعوا نياما . . . وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي . ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وقدم المدينة ، ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين ، في ابن أبي ، ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى لله بأذنه .

وكانت غزاة بني المصطلق هذه ، في شعبان سنة خمس ، كما في " زاد المعاد " .

وزعم قوم أن هذه المقالة كانت في غزوة تبوك . قال الحافظ ابن حجر : وقع في رواية محمد بن كعب عن زيد بن أرقم عند - النسائي - أنها غزوة تبوك ويؤيده قوله في رواية زهير : في سفر أصاب الناس فيه شدة . وأخرج عبد بن حميد بإسناده صحيح عن سعيد بن جبير مرسلا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلا لم يرتحل منه حتى يصلي فيه : فلما كانت غزوة تبوك ، نزل منزلا ، فقال عبد الله بن أبي : فذكر القصة .

والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة المصطلق . ويؤيده قول جابر ، بعد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر : [(٤)].

وكان الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ، ثم إن المهاجرين كثروا بعد . فهذا مما يوضح وهم من قال : إنها كانت بتبوك ، لأن المهاجرين حينئذ كانوا كثيرا جدا . وقد انضافت إليهم مسلمة الفتح في غزوة تبوك ، فكانوا حينئذ أكثر من الأنصار انتهى .

وسبقه ابن كثير حيث قال : وقوله - أي : ابن جبير - إن ذلك كان في غزوة تبوك ، فيه نظر ، بل ليس بجيد ، فإن عبد الله بن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش . وإنما المشهور عند أصحاب المغازي

---

(١) أوما بلغك ما قال صاحبكم

(٢) عبد الله بن أبي

(٣) زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل

(٤) دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه

والسير ، أن ذلك كان في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق . انتهى .
التنبيه الثاني : قال الزمخشري : معنى قوله تعالى :
﴿ ولله العزة ﴾ إلخ أي : الغلبة والقوة ولمن أعزه وأيده من رسوله ومن المؤمنين ، وهم الأخصاء بذلك . كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين .
وعن بعض الصالحات – وكانت في هيئة رثة – ألست على الإسلام ، وهو العز الذي لا ذل معه ، والغنى الذي لا فقر معه ؟
وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما ، أن رجلا قال له : إن الناس يزعمون أن فيك تيها ؟ قال : ليس بتيه ، ولكنه عزة وتلا هذه الآية . انتهى .
قال الرازي : قال بعض العارفين في تحقيق هذا المعنى : العزة غير الكبر ، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه ، فالعزة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه ، وإكرامها عن أن يضعها لأقسام عاجلة دنيوية ، كما أن الكبر جهل الإنسان بنفسه ، وإنزالها فوق منزلها ؛ فالعزة تشبه الكبر من حيث الصورة ، وتختلف من حيث الحقيقة ، كاشتباه التواضع بالضعة ، والتواضع محمود ، والضعة مذمومة ، والكبر مذموم ، والعزة محمودة . ولما كانت غير مذمومة ، وفيها مشاكلة للكبر قال تعالى : ﴿ بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ﴾ [الأحقاف : ٢٠] . وفيه إشارة خفية لإثبات العزة بالحق ، والوقوف على حد التواضع ، من غير انحراف إلى الضعة ، وقوف على صراط العزة المنصوب على نار الكبر .." (١)
"القول في تأويل قوله تعالى :
﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون * وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ [٣ – ٤]
﴿ ذلك ﴾ أي : ما نعي عليهم من مساوئهم ﴿ بأنهم آمنوا ﴾ أي : ظاهرا ﴿ ثم كفروا ﴾ أي : سرا ﴿ فطبع على قلوبهم ﴾ أي : ختم عليها بما مرنوا عليه من التلون والتذبذب ورسوخ الهيئات المنكرة ، فحجبوا عن الحق ﴿ فهم لا يفقهون ﴾ أي : حقيقة الإيمان ، وحكمة الرسالة والدين ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴾ أي : لتناسب أشكالهم ، وحسن مناظرهم وروائهم ﴿ وإن يقولوا تسمع لقولهم ﴾ أي : للين كلامهم بما يدهنون فيه ﴿كأنهم خشب مسندة ﴾ أي : في الخلو عن الفائدة ، لأن الخشب إنما تكون مسندة إذا لم تكن في بناء ، أو دعامة لشيء آخر .
قال القاشاني : روي عن بعض الحكماء أنه رأى غلاما حسنا وجهه ، فاستنطقه لظنه ذكاءه وفطنته ، فما وجد عنده معنى ، فقال : ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن ! وهذا معنى قوله : ﴿كأنهم خشب مسندة ﴾ أي : أجرام خالية عن الأرواح ، لا نفع فيه ولا ثمر ، كالأخشاب المسندة إلى الجدران عند الجفاف ، وزوال الروح النامية عنها ، فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقة ، والروح الإنساني ، بمثابتها .
﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ قال ابن جرير : أي : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم ، وسوء ظنهم ، وقلة يقينهم ،

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

كل صيحة عليهم ؛ لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم ، وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل فيهم من الله وحي على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم .

وقال القاشاني : لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة ، وصفاء القلب ، وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس ، محتجبون باللذات والشهوات ، أهل الشك **والارتياب** ، فلذلك غلبهم الجبن والخور .

﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ قال القاشاني : فقد بطل استعدادهم ، فلا يهتدون بنورك ولا تؤثر فيهم صحبتك ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ أي : كيف يصرفون عن الحق ، مع وضوح مناره . و قاتل بمعنى لعن وطرد ، وهو دعاء أو خبر .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ [٥٣] .

﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ أي : شك **وارتياب** : ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ وهم العتاة المتمردون : ﴿ وإن الظالمين لفي شقاق ﴾ أي : خلاف للحق : ﴿ بعيد ﴾ عن موافقته جدا ، بسبب ظلمهم وشركهم .." (٢)

"وأما تفضيل بعض كلام الله على بعض، بل تفضيل بعض صفاته على بعض، فدلالة الكتاب والسنة والأحكام الشرعية والآثار السلفية كثيرة على ذلك، فلو قدر أن الحق في نفس الأمر أنها لا تتفاضل، لم يكن نفي تفاضلها معلوما إلا بالعقل لا بدليل شرعي، وإذا قدر أنها تتفاضل، فالدال على ذلك هو الأدلة الشرعية مع العقلية، فإذا قدر أن الحق في نفس الأمر هو التفضيل، لكان كفر جاحد ذلك أولى من كفر من يثبت التفضيل إذا لم يكن حقا في نفس الأمر؛ لأن ذلك جحد موجب الأدلة الشرعية بغير دليل شرعي، بل لما رآه بعقله وأخطأ فيه، إذ نحن نتكلم في هذا التقدير . ومعلوم أن من خالف ما جاءت به الرسل عن الله بمجرد عقله، فهو أولى بالكفر ممن لم يخالف ما جاءت به الرسل عن الله، وإنما خالف ما علم بالعقل إن كان ذلك حقا .

ونظير هذا قول بعض نفاة الصفات لما تأمل حال أصحابه وحال مثبتيها قال : لا ريب أن حال هؤلاء عند الله خير من حالنا، فإن هؤلاء إن كانوا مصيبين، فقد نالوا الدرجات العلى والرضوان الأكبر، وإن كانوا مخطئين، فإنهم يقولون : نحن يا رب صدقنا ما دل عليه كتابك /وسنة رسولك، إذ لم تبين لنا بالكتاب والسنة نفي الصفات، كما دل كلامك على إثباتها، فنحن أثبتنا ما دل عليه كلامك وكلام رسولك، فإن كان الحق في خلاف ذلك فلم يبين الرسول ما يخالف ذلك، ولم يكن خلاف ذلك مما يعلم ببداهة العقول، بل إن قدر أنه حق، فلا يعلمه إلا الأفراد، فكيف وعامة المنتهين في خلاف ذلك إلى الغاية يقرون بالحيرة **والارتياب** ؟ ! قال النافي : وإن كنا نحن مصيبين، فإنه يقال لنا : أنتم قلتم شيئا لم آمركم بقوله، وطلبتم علما لم آمركم بطلبه، فالثواب إنما يكون لأهل الطاعة، وأنتم لم تمتثلوا أمري . قال : وإن كنا مخطئين، فقد خسرنا

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، المؤلف غير معروف /

خسرانا مبينا .

(١) ".

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٣٣٩

طاغوت كل أحد نفسه وهواه وجبته و(.....) «١» مقصوده من الأغيار ، فمن لاحظ شخصا أو طالع سببا أو عرج على علة أو أطاع هوى ، فذلك جبته وطاغوته. وأصحاب الجبت والطاغوت يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية ، والحجاب عن شهود الربوبية.

قوله جل ذكره :

[سورة النساء (٤) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما (٥٤)

من جبل على الشح لا يزداد بسعة يده إلا تأسفا على راحة ينالها الخلق ، كأن من شرب قطرة ماء قد تحسى بل رشف من ماء حياته! قوله : أم يحسدون الناس ... : بل ينكرون تخصيص الحق سبحانه لأوليائه بما يشاء حسدا من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال ، وسنة الله سبحانه مع أوليائه مضت بالتعزيز والتوقير لهم. ودأب الكافرين جرى **بالارتياب** فى القدرة فمنهم من آمن بهم ، ومنهم من رد ذلك وجحد ، وكفى بعقوبة الله منتقما عنهم.

قوله : «وآتيناهم ملكا عظيما» : الملك العظيم معرفة الملك ، ويقال هو الملك على النفس.

---

(١) مشتبهة.." (٢)

"لطائف الإشارات ، ج ١ ، ص : ٤٤٣

ما للنصارى من الترهب أثر فيهم (بالمقاربة) «١» من أهل الحق فإنهم وإن لم ينتفعوا بهم من حيث الخلاص فقد ذكرهم الله سبحانه - بمقاربة أهل الاختصاص.

قوله جل ذكره :

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٣]

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣)

هذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول ، فإذا قرعت سمعهم دعوة الحق ابتسمت البصيرة فى قلوبهم ، فسكنوا إلى المسموع لما وجدوا من التحقيق.

قوله جل ذكره :

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، المؤلف غير معروف ٥/٩٥

(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، المؤلف غير معروف ١/٣٣٩

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٤]

وما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق و نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤)

و أي عذر لنا فى التعريج فى أوطان **الارتياب** ، وقد تجلت لقلوبنا الحجج؟ ثم ما نؤمله من حسن العاقبة. متى بدونه يمكن أن نطلبه؟

قوله جل ذكره :

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٥]

فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك جزاء المحسنين (٨٥)

لما صدقت آمالهم قابلها بالتحقيق ، سنة منه - سبحانه - ألا يخيب راجيه ، ولا يرد مؤمليه «٢» ، وإنما علق الثواب على قول القلب الذي هو شهادة عن شهوده ، فأما النظر المنفرد عن البصيرة فلا ثواب عليه ولا إيجاب «٣».

---

(١) وردت (بالمقارنة) والصواب أن تكون (المقاربة) فقد وردت كذلك فيما بعد إشارة إلى ما فى الآية (أقربهم مودة ...). وربما قبلنا (المقارنة) على أساس مقارنة النصارى باليهود.

(٢) وردت (مؤمليه) وهى خطأ فى النسخ.

(٣) لاحظ هنا قيمة الإيمان النظري بالقياس إلى الإيمان القلبي ومغزى ذلك فى التسامح الديني.." [1]

"لطائف الإشارات ، ج ٢ ، ص : ٥٨٥

قوله جل ذكره :

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٨١ الى ٨٣]

بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا أ إذا متنا و كنا ترابا و عظاما أ إنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٣)

سلكوا فى التكذيب مسلك سلفهم ، وأسرفوا فى العناد مثل سرفهم ، فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم.

قوله : «لقد وعدنا ...» لما طال عليهم وقت الحشر ، وما توعدهم به من العذاب بعد البعث والنشر زاد ذلك فى **ارتيابهم** ، وجعلوا ذلك حجة فى لبسهم واضطرابهم ، فقالوا : لقد وعدنا مثل هذا نحن وآباؤنا ، ثم لم يكن لذلك تحقيق ، فما نحن إلا أمثالهم.

فاحتج الله عليهم فى جواز الحشر بما أقروا به من ابتداء الخلق :

فقال جل ذكره :

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٨٤ الى ٨٩]

قل لمن الأرض و من فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أ فلا تذكرون (٨٥) قل من رب السماوات السبع و

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٤٣/١

رب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أ فلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء و هو يجير و لا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨)

سيقولون لله قل فأنى تسحرون (٨٩)

أمره - عليه السلام - أن يلون عليهم الأسئلة ، وعقب كل واحد من ذلك - مخبرا عنهم - أنهم سيقولون : لله ، ثم لم يكتف منهم بقالتهم تلك ، بل عاتبهم على." [1]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ١٥٤

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٩]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها و كان الله بما تعملون بصيرا (٩)

ذكر نعمة الله مقابلتها بالشكر ، ولو تذكرت ما دفع عنك فيما سلف لهانت عليك مقاساة البلاء في الحال ، ولو تذكرت ما أولاك في الماضي لقربت من قلبك الثقة في إيصال ما تؤمله في المستقبل.

ومن جملة ما ذكرهم به : «١» «إذ جاءتكم جنود ...» كم بلاء صرفه عن العبد وهو لم يشعر! وكم شغل كان يقصده فصده عنه ولم يعلم! وكم أمر عوقه والعبد يضج وهو - - (سبحانه) - يعلم أن في تيسيره له هلاك العبد فمنعه منه رحمة به ، والعبد يتهم ويضيق صدره بذلك! قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١٠ الى ١١]

إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا (١١)

أحاط بهم سرادق البلاء ، وأحدق بهم عسكر العدو ، واستسلموا للاجتياح ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتقسمت الظنون ، وداخلتهم كوامن **الارتياب** ، وبدا في سويدائهم جولان الشك.

«هنالك ابتلي المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا» ثم أزال عنهم جملتها ، وقشع عنهم شدتها ، فانجاب عنهم سحابها ، وتفرقت عن قلوبهم همومها ، وتفجرت ينابيع سكينتهم.

---

(١) يوضح القشيري هنا ما يسمى عنده (نعم المنع) وهي صنف آخر يختلف عن (نعم المنح) ، والعبد - لقصر نظره - يشكر على هذه ، وتخفى عليه تلك.." [2]

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٨٥/٢

(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٥٤/٣

" للأولين أيضا على اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الأمر باشهادهما إذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وان أمكن اتمام التقريب باعتبار قيد **الأرتياب** بهما كما يفيده الاعتراض الآتي ولا يخفى ما فيه

والخطاب للموصى لهم وقيل للورثة وقيل : للحكام والقضاة

وقوله عز و جل فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما ان ارتبتم أي شككتم في صدقهما وعدم استبدادهما بشيء من التركة والجملة شرطية حذف جوابها لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه والشرط مع جوابه المحذوف معترض بين القسم وجوابه أعني قوله تعالى لانشتري به ثمنا وقد سيق من جهته تعالى للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال **الارتياب** وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا لأن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك : والله إن أتيتني لأكرمنك ولا ريب في استحالته ههنا لأن القسم وجوابه كلام الشاهدين والشرطية كما علمت من جهته سبحانه وتعالى ولا يتوهم أن إن هنا وصيلة لأنها مع أن الواو لازمة لها ليس المعنى عليها كما لا يخفى ." (١)

" وصيغة التفضيل إنما هي لامكان قبول يمينهما في الجملة باعتبار صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما وقيل : إن الشهادة على معناها المتبادر عند الاطلاق وسيأتي إنشاء الله تعالى عن بعض المحققين غير ذلك

وقوله عز شأنه وما اعتدينا عطف على الجواب أي ما تجاوزنا في شهادتنا الحق وما اعتدينا عليهما بابطال حقهما وقوله تعالى إنا إذا لمن الظألمين

٧٠١

– استئناف مقرر لما قبله أي انا إذا اعتدينا فيما ذكر لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى الآيتين عند غير واحد من المفسرين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي دينه أو نسبه فان لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم أن وقع **ارتياب** في صدقهما أقسما على صدقهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على كذبهما بامارة حلف آخران من أهل الميت وادعى أن الحكم منسوخ إذا كان الاثنان شاهدين فانه لايحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وقيل : إن التحليف لم ينسخ لكنه مشروط بالريبة

وقد روي عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه كان يحلف الشاهد والراوي إذا اتهمهما وفي بعض كتب الحنفية أن الشاهد إن لم يجد من يزكيه يجوز تحليفه احتياطا وهذا خلاف المفتى به كما بسط في محله وكذا ادعى البعض النسخ أيضا على تقدير أن يكون المراد بالشاهدين في السفر غير مسلمين لأن شهادة الكافر على المسلم لا تقبل مطلقا وروى حديث النسخ ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقال بعضهم : لا نسخ وأجاز شهادة الذمي على المسلم في هذه الصورة

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٤٩/٧

وروي ن ابي موسى الأشعري أنه حكم لما كان واليا على الكوفة بمحضر من الصحابة بشهادة ذميين بعد تحليفهما في وصية مسلم في السفر وإلى ذلك ذهب الامام أحمد بن حنبل وقال آخرون : الاثنان وصيان وحكم تحليفهما إذا ارتاب الورثة غير منسوخ وما أفادته الآية من رد اليمين على الورثة ليس من حيث أنهم مدعون وقد ظهرت خيانة الوصيين فردت اليمين عليهما خلافا للشافعي بل من حيث أنهم صاروا مدعى عليهم لانقلاب الدعوى فان الوصي المدعى عليه أولا صار مدعيا للملك والورثة ينكرون ذلك ويدل عليه ما أخرجه البخاري في التأريخ والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وخلق آخرون عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء وقيل نداء بالنون فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالله تعالى ما كتمتما ولا اطلعتما ثم وجد الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله سبحانه لشهادتهما أحق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم وأخذ الجام وفيهم نزلت يا أيها الذين آمنوا الخ هذا وادعى بعض المحققين أن الشهادة ههنا لا يمكن أن تكون بمعناها المتبادر بوجه ولا تتصور لأن شهادتهما إما على الميت ولا وجه لها بعد موته وانتقال الحق إلى الورثة وحضورهم أو على الوارث المخاصم وكيف يشهد الخصم على خصمه فلابد من التأويل وذكر أن الظاهر أن تحمل في قوله سبحانه شهادة بينكم على الحضور أو الاحضار أي إذا حضر الموت المسافر فليحضر من يوصي إليه بايصال ماله لوارثه مسلما فان لم يجد فكافرا والاحتياط ان يكونا إثنين فاذا جاءا بما عندهما وحصل ريبة في كتم بعضه فليحلفا لأنهما مودعان مصدقان بيمينهما فان وجد ما خانا فيه وادعيا أنهما تملكاه منه ". (١)

" بحال من بنى بناء محكما يستوطنه ويتحصن به وأن يكون البنيان إستعارة أصلية والتأسيس ترشيحا أو تبعية وكذا جوز التمثيل في الجملة الثانية وإجراء ذلك فيها ظاهر بعد إعتبار إجرائه في مقابله وفاعل إنهار إما ضمير البنيان وضمير به للمؤسس وإما للشفا وضمير به للبنيان وإليه يميل ظاهر التفسير المار آنفا

وظاهر الأخبار أن ذلك المسجد إذا وقع وقع في النار فقد أخرج ابنالمنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة أنه قال في الآية : والله ماتناهى أن وقع في النار وذكر لنا أنه حفرت فيه بقعة فرئي منه الدخان

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج مثله وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنه قال فيها : مضى حين خسف به إلى النار وعن سفيان بن عيينة يقال : إنه بقعة من نار جهنم وأنت تعلم أني والحمد لله تعالى مؤمن بقدرته سبحانه على أتم وجه وأنه جل جلاله فعال لما يريد لكني لا أومن بمثل هذه الظواهر ما لم يرد فيا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ نافع وابن عمر أسس بالبناء للمفعول في الموضعين وقرىء أساس بنيانه وأس بنيانه على الإضافة ونسب ذلك إلى علي بن نصر وأسس بفتحات ونسبت إلى عاصم وإساس بالكسر قيل : وثلاثتها جمع أس وفيهنظر ففي الصحاح الأس أصل البناء وكذلك الأساس والأسس مقصور منه وجمع الأس أساس مثل عس وعساس وجمع الأساس أسس مثل قذال وقذل وجمع الأسس آساس مثل سبب وأسباب إنتهى وجوز في في أسس أن يكون مصدرا وقرأ عيسى بن عمرو

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٥٢/٧

وتقوى بالتنوين وخرج ذلك ابن جني على أن الألف للإلحاق كما في أرطى ألحق بجعفر لا للتأنيث كألف تترى في رأى والألم يجز تنوينه وقرأ ابن مسعود فإنهار به قواعده في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين ١٠٨ أي لأنفسهم أو الواضعين للأشياء في غير مواضعها أي لايرشدهم إلى ما فيه صلاحهم إرشادا موجبا لا محالة

لا يزال بنيانهم الذي بنوا أي بناؤهم الذي بنوه فالبنيان مصدرأريد به المفعول كما مر ووصفه بالمفرد مما يرد على مدعي الجمعية وكذا الإخبار عنه بقوله سبحانه : ريبة في قلوبهم وإحتمال تقديرمضاف وجعل الصفة وكذا الخبر له خلاف الظاهر نعم قيل : الإخبار بريبة لا دليل فيه على عدم الجمعية لأنه يقال : الحيطان منهدمة والجبال راسية وجوز بعضهم كون البنيان باقيا على المصدرية و الذي مفعوله والريبة أيم من الريب بمعنى الشك وبذلك فسرها ابن عباس رضي اللهتعالى عنهما والمراد به شكهم في نبوته صلى الله عليه و سلم المضمر في قلوبهم وهو عين النفاق وجعل بنيانهم نفس الريبة للمبالغة في كونه سببا لها قال الإمام : وفي ذلك وجوه

أحدها أن المنافقين عظم فرحهم ببنيانه فلما أمر بتخريبه ثقل عليهم وإزداد غيظهم وارتيابهم في نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وثانيها أنه لما أمر بتخريبه ظنوا أن ذلك للحسد فإرتفع أمانهم عنه صلى الله عليه و سلم وعظم خوفهم فارتابوا هل يتركون على حالهم أو يؤمر بقتلهم ونهب أموالهم وثالثها أنهم إعتقدوا أنهم كانوا محسنين في البناء فلما أمر بتخريبه بقوا شاكينمرتابين في أنه لأي سبب أمر بذلك والصحيح هو الأول

ويمكن كما قال العلامة الطيبي أن يرجح الثاني بأن تحمل الريبة على أصل موضوعها ويراد منها قلق النفس وإضطرابها

وحاصل المعنى لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا سببا للقلق والإضطراب والوجل في القلوب ووصف بنيانهم بما وصف للإيذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على ما عليه تأسيسه مما علمت وللإشعار بعلة الحكم وقيل : وصف بذلك للدلالة على أن المراد بالبنيان ماهو المبني حقيقة لاما دبروه من الأمور فإن البناء قد يطلق على تدبير الأمر وتقديره ." (١)

" في التركيب معنى الدعاء فليس المعنى على ذلك والحق مع العلامة كما لايخفى وزعم صاحب الفرائد أن التقدير ادخلوا مصر إن شاء الله دخلتم آمنين فآمنين متعلق بالجزاء المحذوف وحينئذ لايفتقر إلى التقديم والتأخير وإلى أن يجعل الجزائية معترضة وتعقب بأنه لاارتياب أن هذا الاستثناء في أثناء الكلام كالتسمية في الشروع فيه للتيمن والتبرك واستعماله مع الجزاء كالشريعة المنسوخة فحسن موقعه في الكلام أن يكون معترضا فافهم ورفع أبويه عند نزولهم بمصر على العرش على السير كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما تكرما لهما فوق ما فعله بالاخوة وخروا له أي أبواه واخوته وقيل : الضمير للاخوة فقط وليس بذاك فان الرؤيا تقتضي أن يكون الابوان والاخوة خروا له سجدا أي على الجباه كما هو الظاهر وهو كما قال أبو البقاء حال مقدرة لأن السجود يكون بعد الخرور وكان ذلك جائزا عندهم وهو جار مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير قال قتادة : كان السجود تحية الملوك عندهم وأعطى الله تعالى هذه الامة السلام تحية أهل الجنة كرامة منه تعالى عجلها لهم وقيل : ما كان ذلك الا ايماء بالرأس وقيل : كان كالركوع البالغ دون وضع الجبهة على الأرض وقيل : المراد به التواضع ويراد بالخرور المرور كما في قوله تعالى : والذين إذا

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٢٣/١١

ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فقد قيل : المراد لم يمروا عليها كذلك وأنت تعلم أن اللفظ ظاهر في السقوط وقيل : ونسب لابن عباس أن المعنى خروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا على ماأوزعهم من النعمة وتعقب بأنه يرده قوله تعالى : وقال ياأبت هذا تأويل رءياي إذ فيها رأيتهم لي ساجدين ودفع بان القائل به يجعل اللام للتعليل فيهما وقيل : اللام فيهما بمعنى إلى كما في صلى للكعبة قال حسان : ماكنت أعرف أن الدهر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن أليس أول من صلى لقبلتكم وأعرف الناس بالأشياء والسنن وذكر الامام أن القول بأن السجود كان لله تعالى لا ليوسف عليه السلام حسن والدليل عليه أن قوله تعالى : ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا مشعر بأنهم صعدوا ثم سجدوا ولو كان السجود ليوسف عليه السلام كان قبل الصعود والجلوس لأنه أدخل في التواضع بخلاف سجود الشكر لله تعالى ومخالفة ظاهر الترتيب ظاهر المخالفة للظاهر ودفع مايرد عليه مما علمت بما علمت ثم قال : وهو متعين عندي لأنه يبعد من عقل يوسف عليه السلام ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة وأجيب بأن تأخير الخرور عن الرفع ليس بنص في المقصود لأن الترتيب الذكري لايجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا لرؤياه وما يتصل به وبأنه يحتمل أن يكون الله تعالى قد أمر يعقوب بذلك لحكمة لايعلمها الا هو وكان يوسف عليه السلام عالما بالأمر فلم يسعه الا السكوت والتسليم وكأن في قوله : ياأبت الخ اشارة الى ذلك كأنه يقول : ياأبت لايليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن تسجد لولدك الا أن هذا أمر أمرت به وتكليف كلفت به فان رؤيا الانبياء حق كما أن رؤيا ابراهيم ذبح ولده صار سببا لوجوب الذبح في اليقظة ولذا جاء عن ." (١)

" ولن تفلحوا إذا أبدا ٢٠ أي إن دخلتم فيها حقيقة ولو بالكره والالجاء لن تفوزوا بخير لا في الدنيا ولا في الآخرة ووجه الارتباط على هذا أن الإكراه على الكفر قد يكون سببا لاستدراج الشيطان إلى استحسانه والاستمرار عليه ومما ذكر سقط ما قيل إن إظهار الكفر بالاكراه مع إبطان الإيمان معفو في جميع الأزمان فكيف رتب عليه عدم الفلاح أبدا ولا حاجة إلى القول بأن إظهار الكفر مطلقا كان غير جائز عندهم ولا إلى حمل يعيدوكم في ملتهم على يميلوكم إليها بالاكراه وغيره فتدبر ثم إن الفتية بعثوا أحدهم وكان على ما قال غير واحد يمليخا فكان ما أشار الله تعالى إليه بقوله سبحانه وكذلك أعثرنا عليهم أي كما أنمناهم وبعثناهم فالإشارة إلى الإنامة والبعث والافراد باعتبار ما ذكر ونحوه

وقال العز بن عبد السلام في أماليه : الإشارة إلى البعث المخصوص وهو البعث بعد تلك الإنامة الطويلة وأصل العثور كما قال الراغب السقوط للوجه يقال عثر عثورا وعثارا إذا سقط لوجهه وعلى ذلك قولهم في المثل الجواد لا يكاد يعثر وقولهم من سلك الجدد أمن العثار ثم تجوز في الاطلاع على أمر من غير طلبه

وقال الإمام المطرزي : لما كان كل عاثر ينظر إلى موضع عثرته ورد العثور بمعنى الاطلاع والعرفان فهو في ذلك مجاز مشهور بعلاقة السببية وإن أوهم ذكر اللغويين له أنه حقيقة في ذلك وجعله الغوري حقيقة في الطلاع على أمر كان خفيا وأمر التجوز على حاله ومفعول أعثرنا الأول محذوف لقصد العموم أي وكذلك أطلعنا الناس عليهم

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٥٨/١٣

وقال أبو حيان : أهل مدينتهم ليعلموا أي الذين أطلعناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة أن وعد الله حق أي وعده سبحانه وتعالى بالبعث على أن الوعد بمعناه المصدري ومتعلقه مقدر أو موعوده تعالى شأنه الذي هو البعث على أن المصدر مؤول باسم المفعول المراد موعوده المعهود ويجوز أن يراد كل وعده تعالى أو كل موعوده سبحانه ويدخل في ذلك ما ذكر دخولا أوليا حق صادق لا خلف فيه أو ثابت متحقق سيقع ولابد قيل لأن نومهم الطويل المخالف للمعتاد وانتباههم كالموت والبعث

م وأن الساعة أي القيامة التي هي في لسان الشرع عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها أي ينبغي أن لا يرتاب الآن في إمكان وقوعها لأنه لا يبقى بيد المرتابين في ذلك بعد النظر والبحث سوى الاستناد إلى الاستبعاد وعلمهم بوقوع ذلك الأمر الغريب والحال العجيب الذي لو سمعوه ولم يتحققوا وقوعه لاستبعدوه وارتابوا فيه ارتيابهم في ذلك يكسر شوكة ذلك الاستبعاد ويهدم ذلك الاستناد فينبغي حينئذ أن لا يرتابوا

وقال بعض المحققين في توجيه ترتب العلم بما ذكر على الإطلاع : إن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنة وأكثر حافظا أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبقى معه شائبة شك في أن وعده تعالى حق وأنه تعالى يبعث من في القبور فيرد عليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب أعمالهم ا هـ

وأنت تعلم أن في استفادة العلم بالمحاسبة والمجازاة من الاطلاع على حال القوم نظرا واعترض بأن المطلوب في البعث إعادة الأبدان بعد تفرق أجزائها وما في القصة طول حفظ الأبدان وأين هذا من ذاك والقول بأنه ." (١)

" متى صح طول حفظ الأبدان المحتاجة إلى الطعام والشراب صح قدرته سبحانه على إعادتهما بعد تفرق أجزائها بطريق الأولى غير مسلم وأجيب بأن طول الحفظ المذكور يدل على قدرته تعالى على ما ذكر بطريق الحدس فليتدبر

ولعل الأظهر توجيه الترتب بما ذكره أولا وتوضيحه أن حال الفتية حيث ناموا في تلك المدة المديدة والسنين العديدة وحبست عن التصرف نفوسهم وتعطلت مشاعرهم وحواسهم من غير تصاعد أبخرة شراب وطعام أو نزول علل وأسقام وحفظت أبدانهم عن التحلل والتفتت وأبقيت على ما كانت عليه من الطراوة والشباب في سالف الأعوام حتى رجعت الحواس والمشاعر إلى حالها وأطلقت النفوس من عقالها وأرسلت إلى تدبير أبدانها والتصرف في خدامها وأعوانها فرأت الأمر كما كان والأعوان هم الأعوان ولم تنكر شيئا عهدته في مدينتها ولم تتذكر طول حبسها عن التصرف في سرير سلطنتها وحال الذين يقومون من قبورهم بعد ما تعطلت مشاعرهم وحبست نفوسهم ثم لما أطلقت وجدت ربوعا عامرة ومنازل كأنها لم تكن داثرة قائلين قبل أن يكشر عن أنيابه العنا من بعثنا من مرقدنا في الغرابة من صقع واحد ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند ووقوع الأول يزيل الارتياب في إمكان وقوع الثاني حيث كان مستندا إلى الاستبعاد في الحقيقة كما سمعت فيما قبل لبطلان أدلة النافين للحشر الجسماني نعم في ترتب العلم بأن البعث سيقع لا محالة على نفس الإطلاع على حال الفتية خفاء فإن الظاهر أن العلم المذكور إنما يترتب على إخبار الصادق بوقوعه وعلى إمكانه في نفسه لكن لما كان الإطلاع المذكور سببا للعلم بالإمكان وكان كالجزء الأخير من العلة بالنسبة للكفار الذين بلغهم خبر الصادق قيل بترتب العلم بذلك

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٢٣٢/١٥

عليه وكذا في ترتب العلم بأن كل ما وعده الله تعالى حق على نفس الإطلاع خفاء ولم أر من تعرض لتوجيهه من الفضلاء فتأمل ثم لا يخفى أن ذكر قوله تعالى : وأن الساعة لا ريب فيها بعد قوله سبحانه أن وعد الله حق على التفسير الذي سمعت مما لا غبار عليه وليس ذلك من ذكر الإمكان بعد الوقوع ليغلو كما زعمه من زعمه

وقال بعضهم : إن الظاهر أن يفسر قوله تعالى أن وعد الله حق بأن كل ما وعده سبحانه متحقق ويجعل قوله تعالى وأن الساعة لا ريب فيها تخصيصا بعد تعميم على معنى لا ريب في تحققها وهو وجه في الآية إلا أن في دعوى الظهور مقالا فلا تغفل إذ يتنازعون ظرف لأعثرنا عليهم قدم عليه الغاية إظهارا لكمال العناية بذكرها وجوز أبو حيان وأبو البقاء وغيرهما كونه ظرفا ليعلموا وتعقب بأنه يدل على أن التنازع يحدث بعد الإعثار مع أنه ليس كذلك وبأن التنازع كان قبل العلم وارتفع به فكيف يكون وقته وقته وللمناقشة في ذلك مجال

وجوز أن يكون ظرفا لحق أو لوعد وهو كما ترى وأصل التنازع التجاذب ويعبر به عن التخاصم وهو باعتبار أصل معناه يتعدى بنفسه وباعتبار التخاصم يتعدى بفي كقوله تعالى فإن تنازعتم في شيء وضمير يتنازعون لما عاد عليه ضمير ليعلموا أي وكذلك أعثرنا على أصحاب الكهف الناس أو أهل مدينتهم حين يتنازعون بينهم أمرهم ويتخاصمون فيه ليرتفع الخلاف ويتبين الحق وضمير أمرهم قيل عائد ." (١)

" مذعنين

٤٩

- منقادين لعلمهم بأنه عليه الصلاة و السلام يحكم لهم والظاهر تعلق إلى بيأتوا وجوز تعلقها بمذعنين على أنها بمعنى اللام أو على تضمين الإذعان معنى الإسراع وفسره الزجاج بالإسراع مع الطاعة وتقديم المعمول للإختصاص أو للفاصلة أولهما وعبر بإذا فيما مر إشارة إلى تحقق الشرط وبأن هنا إشارة إلى عدم تحققه وفي ذلك أيضا ذم لهم

وقوله تعالى : أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ترديد لسبب الإعراض المذكور فمدار الإستفهام ما يفهم من الكلام كأنه قيل : أسبب أعراضهم عن المحاكمة إليه صلى الله عليه و سلم أنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام أنهم ارتابوا وشكوا في أمر نبوته عليه الصلاة و السلام مع ظهور حقيقتها أم سببه أنهم يخافون أن يحيف ويجور الله تعالى شأنه عليهم ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

وهذا نظير قولك أفيه مرض أم غاب عن البلد أم يخاف من الواشي بعد قول : هجر الحبيب مثلا فإن كون المعنى أسبب هجره أن فيه مرضا أم سببه أنه غاب عن البلد أم سببه أنه يخاف من الواشي ظاهر جدا وهو كثير في المحاورات إلا أن الإستفهام في الآية إنكاري وهو لإنكار السببية وقوله تعالى : بل أولئك هم الظالمون

٥٠

- تعيين للسبب بعد إبطال سببية جميع ما تقدم ففيه تأكيد لما يفيده الإستفهام كأنه قيل : ليس شيء مما ذكر سببا لذلك الإعراض أما الأولان فلأنه لو كان شيء منهما سببا له لأعرضوا عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٢٣٣/١٥

عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه عليه الصلاة و السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة و السلام في الأمانة والثبات على الحق بل سبب ذلك أنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من الحق له عليهم ولا يتأتى مرامهم مع الإنقياد إلى المحاكمة إليه عليه الصلاة و السلام فيعرضون عنها لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي بالحق عليهم فمناط النفي المستفاد من الإستفهام الإنكاري والإضراب الإبطالي في الأولين هو وصف سببيتهما للإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا وإذا خص الإرتياب بما له جهة مصححة لعروضه لهم في الجملة كما فعل البعض حيث جعل المعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه الصلاة و السلام كان مناط النفي في الثاني كما في الثالث كذا قرره بعض الأجلة و أم عليه متصلة وقد ذهب إلى أنها كذلك الزمخشري والبيضاوي حيث جعلا ما تقدم تقسيما لسبب الإعراض إلا أن الأول جعل الإضراب عن الأخيرين من الأمور الثلاثة ووجه بأنه أدل على ما كانوا عليه وأدخل في الإنكار من حيث أنه يناقض تسرعهم إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إذا كان الحق لهم على الغير والثاني جعله إضرابا عن الأخيرين منهما لتحقيق القسم الأول وقال : وجه التقسيم أن امتناعهم عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم إما أن يكون لخلل فيهم أو في الحاكم والثاني إما أن يكون محققا أو متوقعا وفسر الإرتياب برؤية مثل تهمة تزيل يقينهم ثم قال : وكلاهما باطلان فتعين الأول أما الأول فظاهر وأما الثاني فلأن منصب النبوة وفرط أمانته عليه الصلاة و السلام يمنعه وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف

وقال العلامة الطيبي : الحق أن بل إضراب عن نفس التقسيم وهو إضراب انتقالي كأنه قيل : دع التقسيم ." (١)

" فإنهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك الأوصاف فلذلك صدوا عن حكومتك يدل عليه الإتيان باسم الإشارة والخطاب وتعريف الخبر بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل ونقل عن الإمام ما يدل على أن أم منقطعة قال : أثبتهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق فكان فيها ارتياب فكانوا يخافون الحيف ووجه الإضراب أن كلا مسبب عن الآخر علم على وجوده وزيادة واعترض بأنه لا يجب التسبب إلا أن يدعى في هذه المادة خصوصا وصرح أبو حيان بأنها منقطعة وبأن الإستفهام للتوقيف والتوبيخ ليقروا بأحد هذه الأوجه التي عليهم في الإقرار بها ما عليهم ويستعمل في الذم والمدح كما في قوله : ألست من القوم الذين تعاهدوا على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر وقوله : ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ولا يخفى أن الأظهر أنها متصلة والتلازم بين الأمور الثلاثة ممنوع على أنه لا يضر وأن معنى الآية ما ذكرناه أولا وتقديم عليهم على الرسول لتأكيد أن حكمه عليه الصلاة و السلام هو حكم الله تعالى ووجه اختلاف أساليب الجمل يظهر بأدنى تأمل

وقوله سبحانه : إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا جار على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي ونصب قول على أنه خبر كان وأن مع ما في

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٩٦/١٨

حيزها في تأويل مصدر اسمها ونص سيبويه في مثل ذلك على جواز العكس فيرفع قول على الإسمية وينصب المصدر الحاصل من السبك على الخبرية

وقد قرأ علي كرم الله تعالى وجهه وابن أبي إسحاق : والحسن برفع قول على ذلك قال الزمخشري : والنصب أقوى لأن الأولى للإسمية ما هو أوغل في التعريف وذلك هو المصدر الذي أولى به أن يقولوا لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فإنه يحتمله كما إذا اختزلت عنه الإضافة وقيل في وجه أعرفيته أنه لا يوصف كالضمير ولا يخفى أنه لا دخل له في الأعرفية ثم أنت تعلم أن المصدر الحاصل من سبك أن والفعل لا يجب كونه مضافا في كل موضع ألا ترى أنهم قالوا في قوله تعالى ما كان هذا القرآن أن يفتري إنه بمعنى ما كان هذا القرآن افتراه

وذكر أن جواز تنكيره مذهب الفارسي وهو متعين في نحو أن يقوم رجل إذ هو مؤول قطعا بقيام رجل وهو نكرة بلا ريب وفي إرشاد العقل السليم أن النصب أقوى صناعة لكن الرفع أقعد معنى وأو في لمقتضى المقام أن مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالأحق بالخبرية ما هو أكثر إفادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخرج وفي ذهن السامع ولا ريب في أن ذلك ههنا في أن مع ما في حيزها أتم وأكمل فإذن هو أحق بالخبرية وأما ما تفيده الإضافة من النسبة المطلقة الإجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى إنما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين إذا دعوا إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سمعنا الخ أي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر أصلا وأما النصب فالمعنى عليه إنما كان قولا للمؤمنين خصوصية قولهم سمعنا الخ ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما ." (١)

" حتى ترك بعضهم الإستئذان فيكون في الحقيقة فزعا من فساد السيرة لا من الداخلين وقال أبو الأحوص : فزع منهم لأنهما دخلا عليه وكل منهما آخذ برأس صاحبه وقيل : فزع منهم لما رأى من تسورهم موضعا مرتفعا جدا لا يمكن أن يرقى إليه بعد أشهر من أعوان وكثرة عدد والظاهر أن فزعه ليس إلا لتوقع الأذى لمخالفة المعتاد فلما رأه قد فزع قالوا لا تخف وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كأنه قيل : فماذا قالوا عند مشاهدتهم فزعه فقيل : قالوا له إزالة لفزعه لا تخف خصمان خبر مبتدأ محذوف أي نحن خصمان والمراد هنا فوجان لا شخصان متخاصمان وقد تقدم أن الخصم يشمل الكثير فيطابق ما مر من جميع الضمائر ويؤيده على ما قيل قوله سبحانه بغى بعضنا على بعض فإن نحو هذا أكثر استعمالا في قول الجماعة وقراءة بعضهم بغى بعضهم على بعض أظهر في التأييد ولا يمنع ذلك كون التحاكم إنما وقع بين اثنين لجواز أن يصحب كلا منهما من يعاضده والعرف يطلق الخصم على المخاصم ومعاضده وإن لم يخاصم بالفعل وجوز أن يكون المراد اثنين والضمائر المجموعة مراد التثنية فيتوافقان وأيد بقوله سبحانه إن هذا أخي وقيل : يجوز أن يقدر خصمان مبتدا خبره محذوف أي فينا خصمان وهو كما ترى والظاهر أن جملة بغى الخ في موضع الصفة لخصمان وأن جملة نحن الخ استئناف في موضع التعليل للنهي فهي موصولة بلا تخف وجوز أن يكونوا قد قالوا لا تخف

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٩٧/١٨

وسكتوا حتى سئلوا ما أمركم فقالوا : خصمان بغى الخ أي جار بعضنا على بعض واستشكل قولهم هذا على القول بأنهم كانوا ملائكة بأنه إخبار عن أنفسهم بما لم يقع منهم وهو كذب والملائكة منزهون عنه وأجيب بأنه يكون كذبا لو كانوا قصدوا به الإخبار حقيقة أما لو كان فرضا لأمر صوروه في أنفسهم لما أتوا على صورة البشر كما يذكر العالم إذا صور مسئلة لأحد أو كان كناية وتعريضا بما وقع من داود عليه السلام فلا وقرأ أبو يزيد الجرار عن الكسائي خصمان بكسر الخاء

فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي ولا تتجاوزه وقرأ أبو رجاء وابن أبي عبلة وقتادة والحسن وأبو حيوة ولا تشطط من شط ثلاثيا أي ولا تبعد عن الحق وقرأ قتادة أيضا تشطط مدغما من أشط رباعيا وقرأ زر تشاطط بضم التاء وبألف على وزن تفاعل مفكوكا وعنه أيضا تشطط من شطط والمراد في الجميع لا تجر في الحكومة وأرادوا بهذا الأمر والنهي إظهار الحرص على ظهور الحق والرضا به من غير **ارتياب** بأنه عليه السلام يحكم بالحق ولا يجوز في الحكم وأحد الخصمين قد يقول نحو ذلك للإيماء إلى أنه المحق وقد يقوله اتهاما للحاكم وفيه حينئذ من الفظاظة ما فيه وعلى ما ذكرنا أولا فيه بعض فظاظة وفي تحمل داود عليه السلام لذلك منهم دلالة على أنه يليق بالحاكم تحمل نحو ذلك من المتخاصمين لا سيما إذا كان ممن معه الحق فحال المرء وقت التخاصم لا يخفى

والعجب من حاكم أو محكم أو من للخصوم ونوع رجوع إليه كالمفتي كيف لا يقتدي بهذا النبي الأواب عليه الصلاة و السلام في ذلك بل يغضب كل الغضب لأدنى كلمة تصدر ولو فلتة من أحد الخصمين يتوهم منها الحط لقدره ولو فكر في نفسه لعلم أنه بالنسبة إلى هذا النبي الأواب لا يعدل والله العظيم متك ذباب اللهم وفقنا لأحسن الأخلاق وأعصمنا من الأغلاط واهدنا إلى سواء الصراط

٢٢

– أي وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل إن هذا أخي الخ استئناف لبيان ما فيه الخصومة والمراد ." (١)

" ان المراد بالذين يعلمون العاملون من علماء الديانة وصرح بإرادة ذلك بعض الأجلة على تقديري الإتصال والإنقطاع وأن الكلام تصريح بنفي المساواة بين القانت وغيره المضمنة من حرفي الإستفهام أعني الهمزة وأم على الإتصال أو من التشبيه على الإنقطاع وعلى قراءة التخفيف أيضا قال : وإنما عدل إلى هذه العبارة دلالة على أن ذلك مقتضى العلم وأن الذي لا يترتب عليه العمل ليس بعلم عند الله تعالى سواء جعل من باب إقامة الظاهر مقام المضمر للإشعار المذكور أو استئناف سؤال تبكيتي توضيحا للأول من حيث التصريح ومن حيث أنهم وصفوا بوصف آخر يقتضي اتصافهم بتلك الأوصاف ومباينتهم لطبقة من لا يتصف وهذا أبلغ لفظا لقوله تعالى : قل وجوز أن يكون الكلام واردا على سبيل التشبيه فيكون مقررا لنفي المساواة لا تصريحا بمقتضى الأول أي كما لا استواء بين العالم وغيره عندكم من غير ريبة فكذلك ينبغي أن لا يكون لكم **ارتياب** في نفي المساواة بين القانت المذكور وغيره وكونه للتصريح بنفي المساواة وحمل الذين يعملون على العاملين من علماء الديانة على ما سمعت مما لا ينبغي أن يختاره غيره لتكثير الفائدة وأما من ارتاب في ذلك الواضح فلا

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٧٩/٢٣

يبعد منه **الإرتياب** في هذا الواضح أيضا فجوابه أن الإستنكاف عن الجهل مركوز في الطباع بخلاف الأول ويشعر كلام كثير أن قوله تعالى : أم من هو الخ غير داخل في حيز القول والمعنى عليه كما في الأول بتغيير يسير لا يخفى وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه تلا أم من هو قانت الآية فقال : نزلت في عثمان بن عفان وأخرج ابن سعد في طبقاته وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس أنها نزلت في عمار بن ياسر وأخرج جويبر عنه أنها نزلت في عمار وابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وعن عكرمة الإقتصار على عمار وعن مقاتل المراد بمن هو قانت عمار وصهيب وابن مسعود وأبو ذر وفي رواية الضحاك عن ابن عباس أبو بكر وعمر وقال يحيى بن سلام : رسول الله صلى الله عليه و سلم والظاهر أن المراد المتصف بذلك من غير تعيين ولا يمنع من ذلك نزولها فيمن علمت وفيها دلالة على فضل الخوف والرجاء وقد أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس قال : دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على رجل وهو في الموت فقال : كيف تجدك قال : أرجو وأخاف فقال عليه الصلاة و السلام : لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الذي يرجو وآمنه الذي يخاف وفيها رد على من ذم العبادة خوفا من النار ورجاء الجنة وهو الإمام الرازي كما قال الجلال السيوطي نعم العبادة لذلك ليس إلا مذمومة بل قال بعضهم بكفر من قال : لو لا الجنة والنار ما عبدت الله تعالى على معنى نفي الإستحقاق الذاتي وفيها دلالة أيضا على فضل صلاة الليل وأنها أفضل من صلاة النهار ودل قوله تعالى : هل يستوي الخ على فضل العلم ورفعه قدره وكون الجهل بالعكس واستدل به بعضهم على أن الجاهل لا يكافيء العالمة كما أنه لا يكافيء بنت العالم وقوله تعالى : إنما يتذكروا أولوا الألباب

٩

– كلام مستقل غير داخل عند الكافة في الكلام المأمور وارد من جهته تعالى بعد الأمر بما تضمن القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قوله : عوجوا فحيوا لنعمى دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار وهو أيضا كالتوطئة لأفراد المؤمنين بعد بالخطاب والإعراض عن غيرهم أي إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وأما هؤلاء فبمعزل عن ذلك وقريء يذكر بالإدغام ." (١)

" منفيا بما لم تدخل الفاء بخلاف أدوات الشرط فلا بد معها من الفاء نحو إن تزرنا فما جفوتنا فلا حاجة إلى تقدير جواب لها كعمدوا إلى الحجج الباطلة خلافا لابن هشام واستدل بوقوع ما ذكر جوابا على أن العمل في إذا ليس للجواب لصدارة ما المانعة منه ولا قائل بالفرق ولعل من قالأ بالعمل يقول يتوسع في الظرف ما لم يتوسع في غيره ثم إن المعنى على الأستقبال لمكان إذا أي ما تكون حجتهم إلا أن يقولوا ذلك

قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم على ما دل عليه الحججلا ادلهر كما تزعمون ثم يجمعكم إلى يوم القيامة أي فيه وجوز كون الفعل مضمنا معنى مبعوثين أو منتهين ونحوه ومعنى أظهر أي يجمعكم في يوم القيامة لا ريب فيه أي في جمعكم فإن قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة في ذلك اليوم والوعد

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٢٤٧/٢٣

الصدق بالآيات دل على قرعها وحاصله أن البعث أمر ممكن أخبر الصادق وتقتضيه الحكمة وكل ما هو كذلك لا محالة واقع والأتيان بالآباء حيث كان منافيا للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه ولكن أكثر الناس لا يعلمون

٢٦

– استدراك من قوله تعالى : لا ريب فيه وهو من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها علىأ ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما ولله ملك السماوات والأرض بيان للأختصاص المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما عز و جل أثر بيان تصرفه تعالى بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة فهو تعميم للقدرة بعد تخصيص

ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون

٢٧

– قال الزمخشري : العامل في يوم تقوم يخسر ويومئذ بدلمن يوم تقوم وحكاه ابن عطية عن جماعة وتقديم الظرف على الفعل للحصر لأن كل خسران عند الخسران في ذلك اليوم كلا خسران وفيه أيضا رعاية الفواصل على ما قيل وتعقب حديث الإبدال بأن التنوين في يومئذ عوض عن الجملة المضاف إليها والظاهر أنها تقدر بقرينة ما قبل تقوم الساعة فيقال : ويوم تقوم الساعة يوم إذ تقوم الساعة يخسر المبطلون فيكون تأكيدا لا بدلا إذ لا وجه له ولذا قيل : إنه بالتأكيد أشبه وقول أبي حيان : إن كان بدلا وهو قليل جاز وإلا فلا لا يسمن ولا يغني وتكلف بعضهم فزعم أن اليوم الثاني بمعنالوقت الذي هو جزء من يوم قيامة الساعة فهو بدل بعض معه عائد مقدر ولما كان فيه ظهور خسرانهم كان هو المقصود بالنسبة وقالت فرقة : العامل في يوم تقوم ما يدل عليه الملك قالوا : وذلك أن يوم القيامة أمر ثالث ليس بالسماء ولا بالأرض لتبد لهما فكأنه قيل ولله ملك السماوات والأرض يوم تقوم الساعة و يومئذ منصوب بيخسر والجملة استئناف وإن كان لها تعلق بما قبلها من جهة تنوين العرض وقيل : يجوز أن يكو عطفا على ظرف معمول لملك المذكور كأنه قيل : لله ملك السماوات والأرض اليوم ويوم تقوم الساعة وهو كما ترى و المبطلون الداخلون في الباطل ولعل المراد به أعظم أنواعه وهو الكفر وترى كل أمة من الأمم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف المنتظر لما يكره وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وعنقتادة جماعات من الجثوة مثلثة الجيم وهي الجماعة تجتمع على جثي أي تراب مجتمع وعن مؤرج السدوسي جاثية خاضعة بلغة قريش والخطاب في ترى لمن يصح منه الرؤية أو لسيد المخاطبين عليه الصلاة و السلام وهي ." (١)

" للدعوة إلى الإيمان وعلى أن إفادة لم تؤمنوا لمعنى كذبتم أظهر من إفادة لا تقولوا آمنا كما لا يخفى ثم قوبل بقوله سبحانه : ولكن قولوا أسلمنا كأنه قيل : قل لم تؤمنوا فلا تكذبوا ولكن قولوا أسلمنا لتفوزوا بالصدق إن فاتكم الإيمان والتصديق ولو قيل : ولكن أسلمتم لم يؤد هذا المعنى وفيه تلويح بأن إسلامهم هو خلو عن التصديق غير معتد به ولو قيل أسلمتم لكان ذلك موهما أن ذلك معتد به والمطلوب كماله بالإيمان ولا يحتاج هذا إلى أن يقال : القول في المنزل مستعمل في معنى الزعم وقيل : الآية احتباك والأصل لم تؤمنوا فلا تقولوا آمنا ولكن أسلمتم فقولوا أسلمنا فحذف من كل من

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٥٥/٢٥

الجملتين ما أثبت في الأخرى والأول أبلغ وألطف ولما يدخل الإيمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا كأنه قيل : قولوا أسلمنا مادمتم على هذه الصفة وفيه إشارة إل توقع دخول الإيمان في قلوبهم بعد فليس هذا النفي مكررا مع قوله تعالى : لم تؤمنوا وقيل : الجملة مستأنفة ولا تكرار أيضا لأن لما تفيد النفي الماضي المستمر إلى زمن الحال بالأجماع وتفيد أن منفيها متوقع خلافا لأبي حيان و لم لا تفيد شيئا من ذلك بلا خلاف فلا حاجة في دفع التكرار إلى القول بالحالية وجعل الجملة توقيتا للقول المأمور به وإن تطيعوا الله ورسوله بالأخلاص وترك النفاق لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم شيئا من أجورها أو شيئا من النقص يقال لاته يليته ليتا إذا نقصه ومنه ما حكى الأصمعي عن أم هشام السلولية الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرأ الحسن والأعرج وأبو عمرو لا يألتكم من ألت يألت بضم اللام وكسرها ألتا وهي لغة أسد وغطفان قال الحطيئة : أبلغ سراة بني سعد مغلغلة

جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا والأولى لغة الحجاز والفعل عليها أجوف وعلى الثانية مهموز الفاء وحكى أبو عبيدة ألات يليت إن الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم

١٤

– بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وجعل عدم **الأرتياب** متراخيا عن الإيمان مع أنه لا ينفك عنه لأفادة نفي الشك فيما بعد عند اعتراء شبهة كأنه قيل : آمنوا ثم لم يعترهم ما يعتري الضعفاء بعد حين وهذا لا يدل على أنهم كانوا مرتابين أولا بل يدل على أنهم كما لم يرتابوا أولا لم يحدث لهم **ارتياب** ثانيا والحاصل آمنوا ثم لم يحدث لهم ريبة فالتراخي زماني وقال بعض الأجلة : عطف عدم **الأرتياب** على الإيمان من باب ملائكته وجبريل تنبيها على أنه الأصل في الإيمان فكأنه شيء آخر أعلى منه كائن فيه وأوثر ثم على الواو للدلالة على أنهذا الأصل حديثه وقديمه سواء في القوة والثبات فهو أبدا عل طراوته لا أنه شيء واحد مستمر فيكون كالشيء الخلق بل هو متجدد طري حينا بعد حين ولا بأس بأن يجعل ترشيحا لما دل عليه معنى العطف لما جعل مغايرا نبه عل أنه ليس تغاير ما بين الأستمرار والحدوث بل تغايرشيئين مختلفين ليدل على المعنى المذكور وأنهم في زيادة اليقين آنافآنا أما عند من يقول فيه بالقوة والضعف فظاهر وأما من لم يقل به فلانضمام العيان إلى البيان والفرق بين الأستمرارين أن الأستمرار على الأول استمرار المجموع نحو قوله تعالى : قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي استمر بذلك إيمانهم مع **الأرتياب** وعلى الثاني الأستمرار معتبر في الجزء الأخير وهذا الوجه أوجه وأيا ما كان ففي الكلام تعريض بأولئك الأعراب ". (١)

" كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا ولعل هذا مراد من قال أنه عطف على توهم أن وجمهور النحاة على أن لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك

ولا تطع كل حلاف كثيرا الحلف في الحق والباطل وكفى بهذا مزجرة لمن اعتاد الحلف لأنه جعل فاتحة المثاب وأساس الباقي وهو يدل على عدم استشعار عظمة الله عز و جل وهو أم كل شر عقدا وعملا وذكر بعضهم أن كثرة الحلف مذمومة

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٦٨/٢٦

ولو في الحق لما فيها من الجرأة على اسمه جل شأنه وهذا النهي للتهييج والإلهاب أيضا أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعة كل حلاف

مهين حقير الرأي والتدبير وقال الرماني المهين الوضيع لإكثاره من القبيح من المهانة وهي القلة وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن قتادة أنه قال هو المكثار في الشر وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه الكذاب

هماز عياب طعان قال أبو حيان هو من الهمز وأصله في اللغة الضرب طعنا باليد أو بالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه وإشارته

مشاء بنميم نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم فإن النميم والنميمة مصدران بمعنى السعاية والإفساد وقيل النميم جمع نميمة يريدون به الجنس وأصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة ومنه أسكت الله تعالى نامته أي ما ينم عليه من حركته

مناع للخير أي بخيل ممسك من منع معروفه عنه إذا أمسكه فاللام للتقوية والخير على ما قيل المال أو مناع الناس الخير وهو الإسلام من منعت زيدا من الكفر إذا حملته على الكف فذكر الممنوع منه كأنه قيل مناع من الخير دون الممنوع وهو الناس عكس وجه الأول والتعميم هنالك وعدم ذكر الممنوع منه أوقع

معتد مجاوز في الظلم حده

أثيم كثير الآثام وهي الأفعال البطيئة عن الثواب والمراد بها المعاصي والذنوب

عتل قال ابن عباس الشديد الفاتك وقال الكلبي الشديد الخصومة بالباطل وقال معمر وقتادة الفاحش اللئيم وقيل هو الذي يعتل الناس أي يجرهم إلى حبس أو عذاب بعنف وغلظة ويقال عتنه بالنون كما يقال عتله باللام كما قال ابن السكيت وقرأ الحسن عتل بالرفع على الذم

بعد ذلك أي المذكور من مثالبه وقبائحه وبعد هنا كثم الدالة على التفاوت الرتبي فتدل على أن ما بعد أعظم في القباحة وفي الكشف أشعر كلام الزمخشري أنه متعلق بعتل فلزم تباينه من الصفات السابقة وتباين ما بعده أيضا لأنه في سلكه

زنيم دعي ملحق بقوم ليس منهم كما قال ابن عباس والمراد به ولد الزنا كما جاء بهذا اللفظ عنه رضي الله تعالى عنه وأنشد لحسان

زنيم تداعته الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وكذا جاء عن عكرمة وأنشد

زنيم يعرف من أبوه ... بغي الأم ذو حسب لئيم

من الزنمة بفتحات وهي ما يتدلى من الجلد في حلق المعز والفلقة من أذنه تشق فتترك معلقة وإنما كان هذا أشد المعايب لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشيء منها ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم فرخ الزنا أي ولده لا يدخل الجنة فهو محمول على الغالب فإنه في الغالب لخباثة نطفته يكون خبيثا لا خير فيه أصلا فلا يعمل عملا يدخل به الجنة وقال بعض الأجلة هذا خارج مخرج التهديد والتعريض بالزاني وحمل على أنه لا يدخل الجنة مع السابقين لحديث

الدارمي عن عبد الله بن عمر مرفوعا لا يدخل الجنة عاق ولا ولد زنية ولا منان ولا مدمن خمر فإنه سلك في قرن العاق والمنان ومدمن الخمر ولا ارتياب أنهم عند أهل السنة ليسوا من زمرة من لا يدخل الجنة أبدا وقيل المراد أنه لا يدخل الجنة بعمل أبويه إذا مات صغيرا بل يدخلها بمحض فضل الله تعالى ." (١)

" أعني تسعة عشر فقيل أن اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الأثنتي عشرة يعني الحواس الخمسة الباطنة والحواس الخمسة الظاهرة والقوة الباعثة كالغضبية والشهوية والقوة المحركة فهذه اثنتا عشرة والطبيعة السبع التي ثلاث منها مخدومة وهي القوة النامية والغادية والمولدة وأربع منها خادمة وهي الهاضمة والجاذبة والماسكة وهذا مع ابتنائه على الفلسفة لا يكاد يتم كما لا يخفى على من وقف على كتبها وقيل أن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الإعتقاد والأقرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها فيضرب الست في الثلاثة يحصل ثمانية عشر وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف وبذلك تتم التسعة عشر بأصناف الكفار وواحدة بأصناف الأمة ولم يجعل تعذيب الكفار في خمس منها فيبق للمؤمنين اثنتان أحدهما لأهل الكبائر والأخرى لأهل الصغائر أو أحدهما للعصاة منهم والأخرى للعاصيات لأنه حيث أعدت النار للكافرين أولا وبالذات ناسب أن يستغرقوها كلية ويوزعوا على جميع أماكنها بقدر ما يمكن لكن لما تعلقت إرادته سبحانه بتعذيب الأمة بها أفرزت واحدة منها لهم وقيل أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلاة فلم يخلق في مقابلتها زبانية لبركة الصلاة الشاملة لمن لم يصل فيبقي تسعة عشر وقيل أن لجهنم سبع دركات ست منها لأصناف الكفار وللأعتناء بأمر عذابهم واستمراره ناسب أن يقوم عليه ثلاثة واحد في الوسط واثنان في الطرفين فهذه ثمانية عشر وواحدة منها لعصاة المؤمنين ناسب أمر عذابهم أن يقوم عليه واحد وبه تتم التسعة عشر وقيل أن العدد على وجهين قليل وهو من الواحد إلى التسعة وكثير وهو من العشرةإلا ما لا نهاية له فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير وقيل غير ذلك والذي مال إليه أكثر العلماء أن ذلك مما لا يعلم حكمته على التحقيق إلا الله عز و جل وهو كالمتشابه يؤمن به ويفوض علمه إلى الله تعالى وكل ما ذكر مما لا يعول عليه كما لا يخفى على منوجه أدنى نظره إليه والله تعالى الهادي لصواب الصواب والمتفضل على من شاء يعلم لا شك معه ولا ارتياب وقرأ أبو جعفر وطلحة ابن سليمان تسعة عشر بإسكان العين وهو لغة فيه كراهة توالي الحركات فيما هو كاسم واحد وقرأ أنس بن مالك وابن عباس وابن قطب وابراهيم بن قتة تسعة بضم التاء وهي حركة بناء عدل إليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولا يتوهم أنها حركة إعراب ولا أعرب عشرو قرأ أنس أيضا تسعة بالضم أعشر بالفتح قال صاحب اللوامح فيجوز أنه جمع العشرة على أعشر ثم أجراه مجرى تسعة عشر وعنه أيضا تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة ضمة بناء لما سمعت آنفا وعن سليمان بن قتة وهو أخو ابراهيم أنه قرأ تسعة أعشر بضم التاء ضمة إعراب والأضافة إلى أعشر وجره منونا وهو على ما قال صاحب اللوامح جمع عشرة وقد صرح بأن الملائكة على القراءة بهذا الجمع معربا أو مبنيا تسعون ملكا وقال الزمخشري جمع عشير مثل يمين وأيمن وروي عنه أنه قال تسعة من الملائكة كل واحد منهم عشير فهم مع أشياعهم تسعون والعشير بمعنى العشر فدل على أن النقباء

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ٢٧/٢٩

تسعة وتعقب بأن دلالته على هذا المعنى غير واضحة ولهذا قال ابن جني لا وجه لتلك القراءة إلا أن يعني تسعة عشر جمع العشير وهم الأصدقاء فليراجع وما هي أي سقر كما يقتضيه كلام مجاهد إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم والعطف قيل على قوله تعالى سأصليه سقر وما جعلنا أصحاب النار إلى هنا اعتراض ووجهه أنه قيل عليها تسعة عشر وزيادة في تهويل أمر جهنم عقب بما يؤكد قوتهم وتسلطهم وتباينهم بالشدة عن سائر المخلوقات ثم بما يؤكد الكمية وما أكد المؤكد فهو مؤكد أيضا وقيل ." (١)

" الإشارة بقوله ذلك إلى الكتاب المذكور بعده قال ابن جرير : قال ابن عباس : ٢ - ﴿ ذلك الكتاب ﴾ هذا الكتاب وبه قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي ومقاتل وزيد بن أسلم وابن جريج وحكاه البخاري عن أبي عبيدة والعرب قد تستعمل الإشارة إلى البعيد الغائب مكان الإشارة إلى القريب الحاضر كما قال خفاف :

(أقول له والرمح يأطر متنه ... تأمل خفافا أنني أنا ذلكا)

أي أنا هذا ومنه قوله تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴾ و ﴿ تلك حجتنا آتيناها إبراهيم ﴾ ﴿ تلك آيات الله نتلوها عليك ﴾ ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم ﴾ وقيل إن الإشارة إلى غائب واختلف في ذلك الغائب فقيل : هو الكتاب الذي كتب على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق ﴿ لا ريب فيه ﴾ أي لا مبدل له وقيل : ذلك الكتاب الذي كتبه الله على نفسه في الأزل أن رحمته سبقت غضبه كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده : إن رحمتي تغلب غضبي] وفي رواية [سبقت] وقيل : الإشارة إلى ما قد نزل بمكة وقيل : إلى ما في التوراة والإنجيل وقيل : إشارة إلى قوله قبله ﴿ الم ﴾ ورجحه الزمخشري وقد وقع الاختلاف في ذلك إلى تمام عشرة أقوال حسبما حكاه القرطبي وأرجحها ما صدرناه واسم الإشارة مبتدأ و ﴿ الكتاب ﴾ صفته والخبر ﴿ لا ريب فيه ﴾ ومن جوز الابتداء بـ ﴿ الم ﴾ جعل ذلك مبتدأ ثانيا وخبره ﴿ الكتاب ﴾ أو هو صفته والخبر ﴿ لا ريب فيه ﴾ والجملة خبر المبتدأ ويجوز أنت يكون المبتدأ مقدرا وخبره آلم وما بعده والريب مصدر وهو قلق النفس واضطرابها وقيل إن الريب : الشك قال ابن أبي حاتم : لا أعلم في هذا خلافا وقد يستعمل الريب في التهمة والحاجة حكى ذلك القرطبي ومعنى هذا النفي العام أن الكتاب ليس بمظنة للريب لوضوح دلالته وضوحا يقوم مقام البرهان المقتضى لكونه لا ينبغي **الارتياب** فيه بوجه من الوجوه والوقف على فيه هو المشهور وقد روي عن نافع وعاصم الوقف على ﴿ لا ريب ﴾ قال في الكشاف : ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى : ﴿ قالوا لا ضير ﴾ وقول العرب : لا بأس وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز والتقدير : لا ريب فيه هدى والهدى مصدر قال الزمخشري : وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته انتهى ومحله الرفع على الابتداء وخبره الظرف المذكور قبله على ما سبق قال القرطبي : الهدى هديان : هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل وأتباعهم قال الله تعالى : ﴿ ولكل قوم هاد ﴾ وقال : ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه وتفرد سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق فقال لنبيه صلى الله عليه و سلم : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾

---

(١) روح المعاني، المؤلف غير معروف ١٢٩/٢٩

فالهدي على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب ومنه قوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم ﴾ وقوله : ﴿ ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ انتهى والمتقين من ثبتت لهم التقوى قال ابن فارس : وأصلها في اللغة قلة الكلام وقال في الكشاف : المتقي في اللغة : إسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية : الصيانة ومنه : فرس واق وهذه الدابة تقي من وجارها : إذا أصابها صلع من غلظ الأرض ورقة الحافر فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة : الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك انتهى وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود أن الكتاب : القرآن لا ريب فيه : لا شك فيه وأخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ لا ريب فيه ﴾ قال : لا شك فيه وأخرج أحمد في الزهد واب أبي حاتم عن أبي الدرداء قال : الريب الشك وأخرج عبد بن حميد عن قتادة مثله وكذا ابن جرير عن مجاهد وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود في قوله : ﴿ هدى للمتقين ﴾ قال : نور للمتقين وهم المؤمنون وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ هدى للمتقين ﴾ أي الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق مما جاء منه وأخرج ابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل أنه قيل له : من المتقون ؟ فقال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله العبادة وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة أن رجلا قال له : ما التقوى ؟ قال : هل وجدت طريقا ذا شوك ؟ قال : نعم قال : فكيف صنعت ؟ قال : إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال : ذاك التقوى وأخرج أحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة حين يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حجابا بينه وبين الحرام وقد روي نحوما قاله أبو الدرداء عن جماعة من التابعين وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن عطية السعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس] فالمصير إلى ما أفاده هذا الحديث واجب ويكون هذا معنى شرعيا للمتقي أخص من المعنى الذي قدمناه عن صاحب الكشاف زاعما أنه المعنى الشرعي ." (١)

" وقوله : ١٤٣ - ﴿ وكذلك جعلناكم ﴾ أي مثل ذلك الجعل جعلناكم قيل معناه : وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا والوسط الخيار أو العدل والآية محتملة للأمرين ومما يحتملهما قول زهير :

(هم وسط ترضى الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم)

ومثله قول الآخر :

(أنتم أوسط حي علموا ... بصغير الأمر أو إحدى الكبر)

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم تفسير الوسط هنا بالعدل كما سيأتي فوجب الرجوع إلى ذلك ومنه قول الراجز :

(لا تذهبن في الأمور مفرطا)

(لا تسألن إن سألت شططا)

---

(١) فتح القدير، المؤلف غير معروف ٥٢/١

(وكن من الناس جميعا وسطا)

ولما كان الوسط مجانيا للغلو والتقصير كان محمودا : أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في عيسى ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم ويقال فلان أوسط قومه وواسطتهم : أي خيارهم وقوله : ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ أي يوم القيامة تشهدون للأنبياء على أممهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم ويكون الرسول شهيدا على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمر بتبليغه إليهم ومثله قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قيل : إن قوله : ﴿ عليكم ﴾ يعني لكم : أي يشهد لهم بالإيمان وقيل معناه : يشهد عليكم بالتبليغ لكم قال في الكشاف : لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى : ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ ﴿ كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ انتهى وقالت طائفة : معنى الآية يشهد بعضكم على بعض بعد الموت وقيل : المراد لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول وسيأتي من المرفوع ما يبين معنى الآية إن شاء الله وإنما أخر لفظ على في شهادة الأمة على الناس وقدمها في شهادة الرسول عليهم لأن الغرض كما قال صاحب الكشاف في الأول : إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وقوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ قيل : المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس : أي ما جعلناها إلا لنعلم المتبع والمنقلب ويؤيد هذا قوله : ﴿ كنت عليها ﴾ إذا كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة الكعبة وقيل : المراد الكعبة : أي ما جعلنا القبلة التي أنت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس إلا لذلك الغرض ويكون ﴿ كنت ﴾ بمعنى الحال وقيل : المراد بذلك القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تألفا لليهود ثم صرف إلى الكعبة وقوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ قيل : المراد بالعلم هنا الرؤية وقيل : المراد إلا لتعلموا أنا نعلم بأن المنافقين كانوا في شك وقيل : ليعلم النبي وقيل : المراد لنعلم ذلك موجودا حاصلا وهكذا ما ورد معللا بعلم الله سبحانه لا بد أن يؤول بمثل هذا كقوله : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ﴾ وقوله : ﴿ وإن كانت لكبيرة ﴾ أي ما كانت إلا كبيرة كما قاله الفراء في أن وإن أنهما بمعنى ما وإلا وقال البصريون : هي الثقيلة خففت والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ من التحويلة أو التولية أو الجعلة أو الردة ذكر معنى ذلك الأخفش ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة : أي وإن كانت القبلة المتصفة بأنك كنت عليها لكبيرة إلا على الذين هداهم الله للإيمان فانشرحت صدورهم لتصديقك وقبلت ما جئت به عقولهم وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي : أي لأنها لا تخف ولا تسهل إلا على الذين هدى الله وقوله : ﴿ ما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ قال القرطبي : اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس ثم قال : فسمى الصلاة إيمانا لاجتماعها على نية وقول وعمل وقيل : المراد ثبات المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة وعدم ارتيابهم كما ارتاب غيرهم والأول يتعين القول به والمصير إليه لما سيأتي من تفسيره صلى الله عليه و سلم للآية بذلك والرؤوف كثير الرأفة وهي أشد من الرحمة قال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكبر من الرحمة والمعنى متقارب وقرأ أبو جعفر بن يزيد بن القعقاع لروف بغير همز وهي لغة بني أسد ومنه قول الوليد بن عتبة :

(وشر الغالبين فلا تكنه ... يقاتل عمه الروف الرحيم)

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء [أن النبي صلى الله عليه و سلم كان أول ما نزل المدينة نزل على أخواله من الأنصار وأنه صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأن أول صلاة صلاها العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه و سلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال وقتلوا فلم ندر ما يقول فيهم فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾] وله طرق أخر وألفاظ متقاربة وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن ابن عباس قال : إن أول ما نسخ في القرآن القبلة وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود في ناسخه والبيهقي في سننه عن ابن عباس [أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه وبعد ما تحول إلى المدينة ستة عشر شهرا ثم صرفه الله إلى الكعبة] وفي الباب أحاديث كثيرة بمضمون ما تقدم وكذلك وردت أحاديث في الوقت الذي نزل فيه استقبال القبلة وفي كيفية استدارة المصلين لما بلغهم ذلك وقد كانوا في الصلاة فلا نطول بذكرها وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي والترمذي وصححه والحاكم وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والإسماعيلي في صحيحه والحاكم وصححه عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ قال : عدلا وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم مثله وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مثله وأخرج أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [يدعى نوح يوم القيامة فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم فيدعى قومه فيقال لهم : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته] فذلك قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ قال : والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ وأشهد عليكم وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد نحوه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه] وأخرج ابن جرير عن أبي سعيد في قوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ بأن الرسل قد بلغوا ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ بما عملتم وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال : [مروا بجنازة فأثني عليها خيرا فقال النبي صلى الله عليه و سلم : وجبت وجبت وجبت ومروا بجنازة فأثني عليها شرا فقال النبي صلى الله عليه و سلم : وجبت وجبت وجبت فسأله عمر فقال : من أثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شرا وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض] زاد الحكيم الترمذي [ثم تلا رسول الله صلى الله عليه و سلم : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ الآية] وفي الباب أحاديث منها عن جابر مرفوعا عند ابن المنذر والحاكم وصححه ومنها عن عمر مرفوعا عند ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري والترمذي والنسائي ومنها عن أبي زهير الثقفي مرفوعا عند أحمد وابن ماجه والطبراني والدارقطني في الإفراد والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن ومنها عن أبي هريرة مرفوعا عند ابن جرير وابن أبي حاتم

ومنها عن سلمة بن الأكوع مرفوعا عند ابن أبي شيبة وابن جرير والطبراني وأخرج ابن جرير عن عطاء في قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ﴾ قال : يعني بيت المقدس ﴿ إلا لنعلم ﴾ قال : نبتليهم لنعلم من يسلم لأمره وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله : ﴿ إلا لنعلم ﴾ قال : لنميز أهل اليقين من أهل الشك ﴿ وإن كانت لكبيرة ﴾ يعني تحويلها على أهل الشرك والريب وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : بلغني أن ناسا ممن أسلم رجعوا فقالوا : مرة ها هنا ومرة ها هنا وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان والطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : [لما وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى القبلة قالوا : يا رسول الله فكيف بالذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾] وقد تقدم حديث البراء وفي الباب أحاديث كثيرة وآثار عن السلف ." (١)

" ٢١٤ - ﴿ أم ﴾ هنا منقطعة بمعنى بل وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيء بمثابة همزة الاستفهام يبتدأ بها الكلام فعلى هذا معنى الاستفهام هنا التقرير والإنكار : أي أحبستم دخولكم الجنة واقعا ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم فتصبروا كما صبروا ذكر الله سبحانه هذه التسلية بعد أن ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم تثبيتا للمؤمنين وتقوية لقلوبهم ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ وقوله : ﴿ مستهم ﴾ بيان لقوله : ﴿ مثل الذين خلوا ﴾ و ﴿ البأساء والضراء ﴾ قد تقدم تفسيرهما والزلزلة : شدة التحريك يكون في الأشخاص وفي الأحوال يقال : زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالا بالكسر فتزلزلت : إذا تحركت واضطربت فمعنى زلزلوا : خوفوا وأزعجوا إزعاجا شديدا وقال الزجاج : أصل الزلزلة : نقل الشيء من مكانه فإذا قلت : زلزلته فمعناه كررت زلله من مكانه وقوله : ﴿ حتى يقول ﴾ أي استمر ذلك إلى غاية هي قول الرسول ومن معه ﴿ متى نصر الله ﴾ والرسول هنا قيل : هو محمد صلى الله عليه و سلم وقيل : هو شعياء وقيل : هو كل رسول بعث إلى أمته وقرأ مجاهد والأعرج ونافع وابن محيصن بالرفع في قوله : ﴿ حتى يقول ﴾ وقرأ غيرهم بالنصب بالرفع على أنه حكاية لحال ماضية والنصب بإضمار أن على أنه غاية لما قبله وقرأ الأعمش : ﴿ وزلزلوا حتى يقول الرسول ﴾ بالواو بدل حتى ومعنى ذلك أن الرسول ومن معه بلغ بهم الضجر إلى أن قالوا هذه المقالة المقتضية لطلب النصر واستبطاء حصوله واستطالة تأخره فبشرهم الله سبحانه بقوله : ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾ وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير : حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ويقول الرسول صلى الله عليه و سلم ألا إن نصر الله قريب ولا ملجئ لهذا التكلف لأن قول الرسول ومن معه : ﴿ متى نصر الله ﴾ ليس فيه إلا استعجال النصر من الله سبحانه وليس فيه ما زعموه من الشك **والارتياب** حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف

وقد أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أن هذه الآية نزلت في يوم الأحزاب أصاب النبي صلى الله عليه و سلم يومئذ وأصحابه بلاء وحصر وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأخبرهم أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال : ﴿ مستهم البأساء والضراء ﴾

---

(١) فتح القدير، المؤلف غير معروف ٢٣٤/١

فالبأساء : الفتن والضراء : السقم وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله : ﴿ ولما يأتكم مثل الذين خلوا ﴾ قال : أصابهم هذا يوم الأحزاب حتى قال قائلهم : ﴿ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ ولعله يعني بقوله حتى قال قائلهم : يعني قائل المنافقين كما يفيد ذلك قوله تعالى : ﴿ إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا * وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ ." (١)

" ٨٢ - ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ﴾ قرأ الجمهور ﴿ ننزل ﴾ بالنون وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وقرأ مجاهد بالياء التحتية والتخفيف ورواها المروزي عن حفص ومن لابتداء الغاية ويصح أن تكون لبيان الجنس وقيل للتبعيض وأنكره بعض المفسرين لاستلزامه أن بعضه لا شفاء فيه ورده ابن عطية بأن المبعض هو إنزاله

واختلف أهل العلم في معنى كونه شفاء على القولين : الأول أنه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وذهاب الريب وكشف الغطاء عن الأمور الدالة على الله سبحانه القول الثاني أنه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب عموم المجاز أو من باب حمل المشترك على معنييه ثم ذكر سبحانه أنه رحمة للمؤمنين لما فيه من العلوم النافعة المشتملة على ما فيه صلاح الدين والدنيا ولما في تلاوته وتدبره من الأجر العظيم الذي يكون سببا لرحمة الله سبحانه ومغفرته ورضوانه ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ ثم لما ذكر سبحانه ما في القرآن من المنفعة لعباده المؤمنين ذكر ما فيه لمن عداهم من المضرة عليهم فقال : ﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ أي ولا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الظالمين الذي وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك **والارتياب** موضع اليقين والاطمئنان ﴿ إلا خسارا ﴾ أي هلاكا لأن سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردا وعنادا فعند ذلك يهلكون وقيل الخسار النقص كقوله : ﴿ فزادتهم رجسا إلى رجسهم ﴾ ." (٢)

" ٤٨ - ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ﴾ الضمير في قبله راجع إلى القرآن لأنه المراد بقوله أنزلنا إليك الكتاب : أي ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا ولا تقدر على ذلك لأنك أمي لا تقرأ ولا تكتب ﴿ ولا تخطه بيمينك ﴾ أي ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة قال مجاهد كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه و سلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية قال النحاس : وذلك دليل على نبوته لأنه لا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل كتاب فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم ﴿ إذا لارتاب المبطلون ﴾ أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم فلما كنت أميا لا تقرأ ولا تكتب لم يكن

---

(١) فتح القدير، المؤلف غير معروف ١/٣٢٨

(٢) فتح القدير، المؤلف غير معروف ٣/٣٦٢

هناك موضع للريبة ولا محل للشك أبدا بل إنكار من أنكر وكفر مجرد عناد وجحود بلا شبهة وسماهم مبطلين لأن ارتيابهم على تقدير أنه صلى الله عليه و سلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته ووضوح معجزاته ." (١)

" لما نزل قوله سبحانه : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ قال أبو جهل : أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار ؟ فقال أبو الأشد وهو رجل من بني جمح : يا معشر قريش إذا كان يومالقيامة فأنا أمشي بين أيديكم فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر ونمضي ندخل الجنة فأنزل الله ٣١ - ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ يعني ما جعلنا المدبرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها إلا ملائكة فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم وقيل جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجالس من الرقة والرأفة وقيل لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له وأشدهم بأسا وأقواهم بطشا ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ﴾ أي ضلالة ﴿ للذين ﴾ استقلوا عددهم ومحنة لهم والمعنى : ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن إلا ضلالة ومحنة لهم حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم وقيل معنى إلا فتنة إلا عذابا كما في قوله : ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أي يعذبون واللام في قوله : ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ متعلق بجعلنا والمراد بأهل الكتاب لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ وقيل المراد الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وقيل أراد الذين آمنوا المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه و سلم والمعنى : ليزدادوا يقينا إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم وجملة ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ مقررة لما تقدم من الاستيقان وازدياد الإيمان والمعنى نفي الارتياب عنهم في الدين أو في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ المراد بالذين في قلوبهم مرض هم المنافقون والسورة وإن كانت مكية ولم يكن إذ ذاك نفاق فهو إخبار بما سيكون في المدينة أو المراد بالمرض مجرد حصول الثلث والريب وهو كائن في الكفار قال الحسين بن الفضل : السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الآية لخلاف والمراد بقوله : ﴿ والكافرون ﴾ كفار العرب من أهل مكة وغيرهم ومعنى ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل قال الليث : المثل الحديث ومنه قوله : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي حديثها الخبر عنها ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ﴾ أي مثل ذلك الإضلال المتقدم ذكره وه قوله : ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ ﴿ يضل الله من يشاء ﴾ من عباده والكاف نعت مصدر محذوف ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ من عباده والمعنى : مثل ذلك الإضلال للكافرين والهداية للمؤمنين يضل الله من يشاء إضلاله ويهدي من يشاء هدايته وقيل المعنى : كذلك يضل الله عن الجنة من يشاء ويهدي إليها من يشاء ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ أي يعلم عدد خلقه ومقدار جموعه من الملائكة وغيرهم إلا هو وحده لا يقدر على علم ذلك أحد وقال عطاء : يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم إلا الله والمعنى : أن خزنة النار وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا

(١) فتح القدير، المؤلف غير معروف ٢٩٥/٤

يعلمه إلا الله سبحانه ثم رجع سبحانه إلى ذكر سقر فقال : ﴿ وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ أي وما سقر وما ذكر من عدد خزنتها إلا تذكرة وموعظة للعالم وقيل : ﴿ وما هي ﴾ أي الدلائل والحجج والقرآن إلا تذكرة للبشر وقال الزجاج : نار الدنيا تذكرة لنار الآخرة وهو بعيد وقيل ما هي أي عدة خزنة جهنم إلا تذكرة للبش ليعلموا كمال قدرة الله وأنه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار وقيل الضمير في ﴿ وما هي ﴾ يرجع إلى الجنود ." (١)

"ابتدأت السورة الكريمة بذكر أوصاف المتقين ، وابتداء السورة بالحروف المقطعة [ألم] وتصديرها بهذه الحروف الهجائية ، يجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن ، إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ، ألفاظ غير مألوفة فى تخاطبهم ، فينتبهوا إلى ما يلقى إليهم من آيات بينات ، وفى هذه الحروف وأمثالها تنبيه على " إعجاز القرآن " فإن هذا الكتاب منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فإذا عجزوا عن الاتيان بمثله ، فذلك أعظم برهان على (إعجاز القرآن)!! يقول العلامة ابن كثير رحمه الله : إنما ذكرت هذه الحروف فى أوائل السور بيانا لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التى يتخاطبون بها ، وهو قول جمع من المحققين ، وقد قرره الزمخشري فى تفسيره الكشاف ، ونصره أتم نصر ، وإليه ذهب الإمام " ابن تيمية " ثم قال : ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف ، فلابد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن ، وبيان إعجازه وعظمته ، مثل [الم ، ذلك الكتاب] [المص ، كتاب أنزل إليك] ، [الم ، تلك آيات الكتاب الحكيم] ، [حم ، والكتاب المبين ، إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين] وغير ذلك من الآيات الدالة على إعجاز القرآن. ثم قال تعالى :

[ذلك الكتاب لا ريب فيه] أي هذا القرآن المنزل عليك يا محمد ، هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب [لا ريب فيه] أي لا شك في أنه من عند الله ، لمن تفكر وتدبر ، أو ألقى السمع وهو شهيد

[هدى للمتقين] أي هاد للمؤمنين المتقين ، الذين يتقون سخط الله ، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ويدفعون عذابه بطاعته ، قال ابن عباس : المتقون هم الذين يتقون الشرك ، ويعملون بطاعة الله ، وقال الحسن البصري : اتقوا ما حرم عليهم ، وأدوا ما افترض عليهم.. ثم بين تعالى صفات هؤلاء المتقين فقال :

[الذين يؤمنون بالغيب] أي يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم ، من البعث ، والجنة ، والنار ، والصراط ، والحساب ، وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن أو النبى عليه الصلاة والسلام

[ويقيمون الصلاة] أي يؤدونها على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها ، وخشوعها وآدابها قال ابن عباس : إقامتها : إتمام الركوع والسجود ، والتلاوة والخشوع

[ومما رزقناهم ينفقون] أي ومن الذي أعطيناهم من الأموال ينفقون ويتصدقون ، في وجوه البر والإحسان ، والآية عامة تشمل الزكاة ، والصدقة ، وسائر النفقات ، وهذا اختيار ابن جرير ، وروي عن ابن عباس أن المراد بها زكاة الأموال ، قال ابن كثير : كثيرا ما يقرن تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال ، لأن الصلاة حق الله ، وهى مشتملة على توحيده وتمجيده والثناء عليه ، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين وهو حق العبد ، فكل من النفقات الواجبة ، والزكاة المفروضة داخل

---

(١) فتح القدير، المؤلف غير معروف ٤٦٢/٥

الآية الكريمة

[والذين يؤمنون بما أنزل إليك] أى يصدقون بكل ما جئت به عن الله تعالى

[وما أنزل من قبلك] أى وبما جاءت به الرسل من قبلك ، لا يفرقون بين كتب الله ، ولا بين رسله

[وبالآخرة هم يوقنون] أي ويعتقدون اعتقادا جازما لا يلابسه شك أو **ارتياب** بالدار الآخرة التى تتلو الدنيا ، بما فيها من بعث ، وجزاء وجنة ، ونار ، وحساب ، وميزان ، وإنما سميت الدار الآخرة لأنها بعد الدنيا

[أولئك على هدى من ربهم] أى أولئك المتصفون بما تقدم من الصفات الجليلة ، على نور وبيان وبصيرة من الله

[وأولئك هم المفلحون] أي وأولئك هم الفائزون بالدرجات العالية الرفيعة فى جنات النعيم.

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١- المجاز العقلي [هدى للمتقين] أسند الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب ، والهادي فى الحقيقة هو (الله رب العالمين) ففيه مجاز عقلي.." (١)

"الثانية : وصف تعالى المنافقين فى هذه الآيات بعشرة أوصاف ، كلها شنيعة وقبيحة ، تدل على رسوخهم فى الضلال وهى (الكذب ، الخداع ، المكر ، السفه ، الاستهزاء ، الإفساد فى الأرض ، الجهل ، الضلال ، التذبذب ، السخرية بالمؤمنين) أعاذنا الله من صفات المنافقين.

الثالثة : حكمة كفه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين ، مع أنهم كفار وعلمه (ص) بأعيان بعضهم ، ما أخرجه البخاري أن النبي (ص) قال لعمر : " أكره أن يحدث العرب أن محمدا يقتل أصحابه " .

لطيفة :

قال العلامة ابن القيم : تأمل قوله تعالى [ذهب الله بنورهم] ولم يقل : " ذهب الله بنارهم " مع أنه مقتضى السياق ليطابق أول الآية [استوقد نارا] فإن النار فيها إشراق وإحراق ، فذهب الله بما فيها من الإشراق وهو " النور " وأبقى ما فيها من الإحراق وهو " النارية " !! وتأمل كيف قال : [بنورهم] ولم يقل بضوئهم ، لأن الضوء زيادة فى النور ، فلو قيل : (ذهب الله بضوئهم) لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل!! وتأمل كيف قال : [ذهب الله بنورهم] فوحد النور ثم قال : [وتركهم فى ظلمات] فجمعها ، فإن الحق واحد ، هو (صراط الله المستقيم) ، الذى لا صراط يوصل سواه ، بخلاف طرق الباطل ، فإنها متعددة ومتشعبة ، ولهذا أفرد سبحانه " الحق " وجمع " الباطل " فى آيات عديدة مثل قوله تعالى : [يخرجونهم من الظلمات إلى النور] وقوله : [وجعل الظلمات والنور] وقوله : [وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] فجمع سبل الباطل ، ووحد سبيل الحق.

قال الله تعالى :

[يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم.. إلى .. وهم فيها خالدون] من آية (٢١) إلى نهاية آية (٢٥).

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ١/١٤

المناسبة :

لما ذكر تعالى الأصناف الثلاثة (المؤمنين ، والكافرين ، والمنافقين) وذكر ما تميزوا به من سعادة أو شقاوة ، أو إيمان أو نفاق ، وضرب الأمثال ، ووضح طرق الضلال ، أعقبه هنا بذكر الأدلة والبراهين ، على وحدانية رب العالمين ، وعرف الناس بنعمه ليشكروه عليها ، وأقبل عليهم بالخطاب فقال : [يا أيها الناس] وهو خطاب لجميع الفئات ممتنا عليهم بما خلق ورزق ، وأبرز لهم (معجزة القرآن) بأنصع بيان وأوضح برهان ، ليقتلع من القلوب جذور الشك **والارتياب**.

اللغة :

[خلقكم] الخلق : الإيجاد والاختراع بلا مثال ، وأصله فى اللغة التقدير ، يقال : خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس ، وخلق الأديم للسقاء إذا قدره ، قال الحجاج : " ما خلقت إلا فريت ، ولا وعدت إلا وفيت " أى ما قدرت شيئا إلا أمضيته ، ولا وعدت بشيء إلا وفيت به.

[فراشا] الفراش : الوطاء والمهاد الذى يقعد عليه الإنسان وينام

[بناء] البناء : ما يبنى من قبة أو خباء أو بيت

[أندادا] جمع ند وهو الكفء والمثيل والنظير ، ومنه قول علماء التوحيد " ليس لله ند ولا ضد " قال حسان : أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء . وقال الزمخشري : " الند : المثل ، ولا يقال إلا للمخالف المناوئ " ، قال جرير : أتيما تجعلون إلي ندا ؟

[وقودها] الوقود : الحطب الذى توقد به النار ، قال القرطبي : الوقود بالفتح الحطب ، وبالضم مصدر بمعنى التوقد

[أعدت] هيئت ، وأعددنا : هيأنا ، قال البيضاوي : [أعدت] هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم

[وبشر] البشارة : الخبر السار الذى يتغير به بشرة الوجه من السرور ، وإذا استعمل فى الشر فهو تهكم ، مثل [فبشرهم بعذاب أليم]

[أزواج] جمع زوج ، ويطلق على الذكر والأنثى

[اسكن أنت وزوجك الجنة] فالمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة ، قال الأصمعي : لا تكاد العرب تقول زوجة ، وإنما يقولون زوج ، لكل من الذكر والأنثى

[خالدون] باقون دائمون ، لا يخرجون منها.

التفسير :

". (١)

"يقول تعالى منبها العباد إلى دلائل القدرة والوحدانية [يا أيها الناس اعبدوا ربكم] أي يا معشر بني أدم اذكروا نعم الله الجليلة عليكم ، واعبدوا الله ربكم ، الذى رباكم وأنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا ، اعبدوه بتوحيده ، وشكره ، وطاعته [الذى خلقكم والذين من قبلكم] أي الذي أوجدكم بقدرته من العدم ، وخلق من قبلكم من الأمم

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ٢٠/١

[لعلكم تتقون] أي لتكونوا فى زمرة المتقين ، الفائزين بالهدى والفلاح ، قال البيضاوي : لما عدد تعالى فرق المكلفين ، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات ، هزا للسامع ، وتنشيطا له ، واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها ، وإنما كثر النداء فى القرآن بـ [يا أيها] لاستقلاله بأوجه من التأكيد ، وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام ، من حقها أن يتفطنوا لها ، ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون ، حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ ، ثم عدد تعالى نعمه عليهم فقال

[الذى جعل لكم الأرض فراشا] أي جعلها مهادا وقرارا ، تستقرون عليها وتفترشونها كالبساط المفروش مع كرويتها ، وإلا ما أمكنكم العيش والاستقرار عليها ، قال البيضاوي : جعلها مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط ، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة ، لأن (كروية) شكلها مع عظم حجمها ، لا يأبى الافتراش عليها

[والسماء بناء] أي سقفا للأرض مرفوعا فوقها ، كهيئة القبة والبناء

[وأنزل من السماء ماء] أي مطرا عذبا فراتا ، أنزله بقدرته من السحاب

[فأخرج به من الثمرات رزقا لكم] أي فأخرج بذلك المطر ، أنواع الثمار والفواكه والخضار غذاء لكم

[فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون] أي فلا تتخذوا معه شركاء من الأصنام والبشر ، تشركونهم مع الله فى العبادة ، وأنتم تعلمون أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق ، وأن الله هو الخالق الرازق وحده ، ذو القوة المتين ، قال ابن كثير : شرع تعالى فى بيان وحدانية ألوهيته بأنه هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم ، وإسباغه عليهم النعم ، والمراد بالسماء هنا (السحاب) فهو تعالى الذى أنزل المطر من السحاب فى وقته عند احتياجهم إليه ، فأخرج لهم به أنواع الزروع والثمار ، رزقا لهم ولأنعامهم ، ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره . ثم ذكر تعالى الحجة على النبوة ، بعد ذكر أدلة التوحيد ، وأقام البرهان على إعجاز القرآن فقال :

[وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا] أي وإذا كنتم أيها الناس فى شك وارتياب من صدق هذا القرآن ، المعجز فى بيانه ، وتشريعه ، ونظمه ، الذي أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد (ص)

[فأتوا بسورة من مثله] أي فأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن ، في البلاغة والفصاحة والبيان

[وادعوا شهداءكم من دون الله] أي وادعوا أعوانكم وأنصاركم الذين يساعدونكم على معارضة القرآن ، غير الله سبحانه ، والمراد استعينوا بمن شئتم غيره تعالى. قال البيضاوي : المعنى : ادعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى ، فإنه لا يقدر أن يأتى بمثله إلا الله

[إن كنتم صادقين] أي أنه مختلق ، وأنه من كلام البشر ، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله

[فإن لم تفعلوا] أي فإن لم تقدروا على الاتيان بمثل سورة من سوره ، وعجزتم فى الماضي عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ، مع استعانتكم بالفصحاء والعباقرة والبلغاء

". (١)

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ٢١/١

"[فسوف نؤتيه أجرا عظيما] أى فسوف نعطيه ثوابا جزيلا هو الجنة ، قال الصاوي : والتعبير بسوف اشارة الى ان جزاء الاعمال الصالحة ، في الاخرة لا في الدنيا ، لأنها ليست دار جزاء

[ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى] أى يخالف أمر الرسول فيما جاء به عن الله ، من بعد ما ظهر له الحق بالمعجزات

[ويتبع غير سبيل المؤمنين] أى يسلك طريقا غير طريق المؤمنين ، ويتبع منهاجا غير منهاجهم

[نوله ما تولى ونصله جهنم] أى نتركه مع اختياره الفاسد ، وندخله جهنم ، عقوبة له

[وساءت مصيرا] أى وساءت جهنم مرجعا لهم

[ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] أى لا يغفر ذنب الشرك ، ويغفر ما دونه من الذنوب لمن يريد

[ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا] أى فقد بعد عن طريق الحق والسعادة بعدا كبيرا

[ان يدعون من دونه إلا إناثا] أى ما يعبد هؤلاء المشركون من دون الله ، إلا أواثانا سموها بأسماء الأناث (اللات والعزى ، ومناة) قال في التسهيل : كانت العرب تسمي الاصنام بأسماء مؤنثة ((وهذا اختيار الطبري وهو الأصح ، وقيل : إن المراد بالاناث الملائكة كقوله تعالى : ﴿ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ فقد زعم المشركون أن الملائكة بنات الله)).

[وان يدعون الا شيطانا مريدا] أى وما يعبدون إلا شيطانا متمردا ، بلغ الغاية في العتو والفجور ، وهو " ابليس " الذي فسق عن أمر ربه

[لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا] أى أبعده الله عن رحمته ، فاقسم الشيطان قائلا : لأتخذن من عبادك ، الذين ابعدتني من اجلهم (نصيبا) ، أى حظا مقدرا معلوما ادعوهم الى طاعتي ، من الكفرة والعصاة ، وفي صحيح مسلم يقول الله تعالى لآدم يوم القيامة " ابعث بعث النار فيقول : وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون "

[ولأضلنهم ولأمنينهم] أى لأصرفنهم عن طريق الهدى ، واعدهم الاماني الكاذبة ، وألقي فى قلوبهم طول الحياة ، وان لا بعث ولا حساب

[ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام] أى ولآمرنهم بتقطيع أذان الانعام ، قال قتادة : يعني تشقيقها وجعلها علامة للبحيرة والسائبة ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية

[ولآمرنهم فليغيرن خلق الله] أى ولآمرنهم بتغيير خلق الله كخصاء العبيد ، والحيوان ، والوشم وغيره ، وقيل : المراد به تغيير (دين الله) بالكفر والمعاصي واحلال ما حرم الله ، وتحريم ما أحل

[ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله] أى ومن يتول الشيطان ويطعه ويترك أمر الله

[فقد خسر خسرانا مبينا] أى خسر دنياه وأخرته ، لمصيره الى النار المؤبدة ، وأى خسران أعظم من هذا ؟ ثم قال تعالى عن ابليس

[يعدهم ويمنيهم] أى يعدهم بالفوز والسعادة ، ويمنيهم بالاكاذيب والاباطيل ، قال ابن كثير : هذا اخبار عن الواقع فإن

الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم ، بإنهم هم الفائزون في الدنيا والاخرة ، وقد كذب وافترى في ذلك

[وما يعدهم الشيطان إلا غرورا] أي وما يعدهم الا باطلا وضلالا ، قال ابن عرفة : الغرور ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه ، فهو مزين الظاهر ، فاسد الباطن

[اولئك مأواهم جهنم] أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة نار جهنم

[ولا يجدون عنها محيصا] أى ليس لهم منها مفر ولا مهرب . . ثم ذكر تعالى حال السعداء الأبرار ، وما لهم من الكرامة فى دار القرار فقال سبحانه :

[والذين أمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا] أى مخلدين في دار النعيم ، بلا زوال ولا انتقال

[وعد الله حقا] أى وعدا لا شك فيه ولا ارتياب

(١) ".

"[إلا كانوا عنها معرضين] أى إلا تركوا النظر فيها ولم يلتفتوا إليها . قال القرطبي : والمراد تركهم النظر في الآيات التي يجب أن يستدلوا بها على توحيد الله عز وجل ، والمعجزات التي أقامها لنبيه (ص) التى يستدل بها على صدقه ، في جميع ما أتى به عن ربه

[فقد كذبوا بالحق لما جاءهم] أى كذبوا بالقرآن الذي جاءهم من عند الله

[فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون] أي سوف يحل بهم العقاب إن عاجلا أو آجلا ، ويظهر لهم خبر ما كانوا به يستهزءون ، وهذا وعيد لهم بالعذاب ، والعذاب على استهزائهم . . ثم حضهم تعالى على الاعتبار بمن سبقهم من الأمم فقال سبحانه :

[ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن] أى ألا يعتبرون بمن أهلكنا من الأمم قبلهم لتكذيبهم الأنبياء ؟ ألم يعرفوا ذلك ؟

[مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم] أى منحناهم من أسباب السعة والعيش ، والتمكين في الأرض ، ما لم نعطكم يا أهل مكة

[وأرسلنا السماء عليهم مدرارا] أى أنزلنا المطر غزيرا متتابعا يدر عليهم درا

[وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم] أى من تحت أشجارهم ومنازلهم ، حتى عاشوا في الخصب والريف ، بين الأنهار والبحار

[فأهلكناهم بذنوبهم] أى فكفروا وعصوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم في الأرض

[وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين] أى أحدثنا من بعد إهلاك المكذبين ، قوما آخرين غيرهم ، قال ابو حيان : وفيه تعريض للمخاطبين بإهلاكهم إذا عصوا كما أهلك من قبلهم

[ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس] أى لو نزلنا عليك يا محمد كتابا مكتوبا على ورق كما اقترحوا

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ١/١٩٨

[فلمسوه بأيديهم] أى فعاينوا ذلك ومسوه باليد ، ليرتفع عنهم كل إشكال ، ويزول كل ارتياب

[لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين] أى لقال الكافرون عند رؤية تلك الآية الباهرة تعنتا وعنادا : ما هذا إلا سحر واضح ! ! والغرض أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات وأظهر الدلائل

[وقالوا لولا أنزل عليك ملك] أى هلا أنزل على محمد ملك يشهد بنبوته وصدقه ، و[لولا] بمعنى " هلا " للتحضيض ، قال أبو السعود : أى هلا أنزل عليه ملك ، بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي ؟ وهذا من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة ، التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل ، وعييت بهم العلل

[ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر] أى لو أنزلنا الملك كما اقترحوا وعاينوه ، ثم كفروا لحق إهلاكهم ((وقيل : المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته إذ لا يطيقون رؤيته وهو منقول عن ابن عباس كذا في القرطبي)) ، كما جرت عادة الله ، بأن من طلب آية ثم لم يؤمن بها ، أهلكه الله حالا

[ثم لا ينظرون] أى ثم لا يمهلون ولا يؤخرون ، والآية كالتعليل لعدم اجابة طلبهم ، فإنهم – في ذلك الإقتراح – كالباحث عن حتفه بظلفه

[ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا] أى لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاقة لهم برؤية الملك في صورته الملكية

[وللبسنا عليهم ما يلبسون] أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان ، لقالوا هذا إنسان وليس بملك ، قال ابن عباس : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل ، لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور ، ثم قال تعالى تسلية للنبي (ص) :

[ولقد استهزىء برسل من قبلك] أى والله لقد استهزأ الكافرون من كل الأمم ، بأنبيائهم الذين بعثوا إليهم

[فحاق بالذين سخروا منهم ماكانوا به يستهزءون] أى أحاط ونزل بهؤلاء المستهزئين بالرسل عاقبة استهزائهم ، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار

". (١)

"[وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل] أى ترقبا وانتظارا لقدوم " أبى عامر الفاسق " الذي قال لرسول الله : لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم ، وهو الذي امرهم ببناء المسجد ، ليكون معقلا له ، قال الطبري في رواية الضحاك : هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء ، يضارون به نبي الله والمسلمين ، وكانوا يقولون : اذا رجع ابو عامر صلى فيه ، واذا قدم ظهر على " محمد " وتغلب عليه

[وليحلفن إن أردنا الا الحسنى] اي وليقسمن ما اردنا ببنائه الا الخير والاحسان ، من الرفق بالمسكين ، والتوسعة على المصلين

[والله يشهد أنهم لكاذبون] أى والله يعلم كذبهم في ذلك الحلف ، وأتى بإن واللام لزيادة التأكيد . . ثم نهى تعالى رسوله

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ١/ ٢٥٠

عن الصلاة في مسجد الضرار فقال

[لا تقم فيه أبدا] أى لا تصل فيه يا محمد أبدا ، لأنه لم يبن الا ليكون معقلا لأهل النفاق

[لمسجد أسس على التقوى] اللام لام القسم أى لمسجد قباء الذي بني على تقوى الله وطاعته

[من أول يوم] أى من اول يوم ابتدىء في بنائه

[أحق أن تقوم فيه] أى أولى وأجدر بأن تصلي فيه من مسجد الضرار

[فيه رجال يحبون أن يتطهروا] أى في هذا المسجد رجال اتقياء – وهم الانصار – يحبون ان يتطهروا من الذنوب والمعاصي

[والله يحب المطهرين] أى المبالغين في الطهارة ، الظاهرة والباطنة ، ثم اشار تعالى الى الفارق بين مسجد التقوى ، ومسجد الضرار بتمثيل فقال :

[أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان] الاستفهام للانكار ، والمعنى : هل من اسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة

[خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار] أى هل ذلك خير ؟ ام هذا الذي اسس بنيانه على طرف واد متصدع مشرف على السقوط ؟

[فانهار به في نار جهنم] أى فسقط به البناء في نار جهنم

[والله لا يهدي القوم الظالمين] أى لا يوفق الظالمين الى السداد ، ولا يهديهم سبيل الرشاد ، والآية الكريمة على سبيل " التشبيه والتمثيل " لعمل اهل الاخلاص ، والايمان ، وعمل اهل النفاق والضلال ، والمعنى هل من اسس بنيان دينه على التقوى والاخلاص ، كمن اسسه على الباطل والنفاق ، الذي يشبه طرف الوادي او الجبل الذي شارف على السقوط ؟

[لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم] أى لا يزال في قلوب اهل مسجد الضرار شك ونفاق ، وغيظ وارتياب بسبب هدمه ، يحسبون انهم كانوا في بنائه محسنين ، روي ان النبي (ص) بعث الى ذلك المسجد ، من هدمه وحرقه ، وامر بالقاء الجيف والنتن والقمامة فيه ، اهانة لاهله ، فلذلك اشتد غيظ المنافقين وحقدهم

[إلا أن تقطع قلوبهم] أى لا يزالون في ارتياب وغيظ إلا ان تتصدع قلوبهم فيموتوا

[والله عليم حكيم] أى والله سبحانه عليم باحوال المنافقين ، حكيم في تدبيره اياهم ومجازاتهم بسوء نياتهم .

البلاغة :

١ – [الغيب والشهادة] بين الكلمتين طباق ، وهو من المحسنات البديعية .

٢ – [لا يرضى عن القوم الفاسقين] الاظهار في موضع الاضمار لزيادة التشنيع والتقبيح ، واصله لا يرضى عنهم .

٣ – [سيدخلهم في رحمته] فيه مجاز مرسل أى يدخلهم في جنته التي هي محل الرحمة ، وهو من اطلاق الوصف وارادة المحل .

٤ – [عملا صالحا وآخر سيئا] بين [صالحا وسيئا] طباق .

٥ – [إن صلاتك سكن لهم] فيه تشبيه بليغ حيث جعل الصلاة نفس السكن والاطمئنان مبالغة ، واصله كالسكن

حذفت اداة التشبيه ووجه الشبه فاصبح بليغا .
٦ - [هار فانهار] بينهما جناس ناقص ، وهو من المحسنات البديعية .
٧ - [أفمن أسس بنيانه على تقوى] في الكلام (استعارة مكنية) حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليها البنيان ، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو التأسيس.
تنبيه :
." (١)

"سورة هود
مكية وآياتها ثلاث وعشرون ومائة
بين يدي السورة
* سورة هود مكية وهي تعنى بأصول العقيدة الإسلامية (التوحيد ، الرسالة ، البعث والجزاء) وقد عرضت لقصص الأنبياء بالتفصيل تسلية للنبي (ص) على ما يلقاه من أذى المشركين ، لاسيما بعد تلك الفترة العصيبة التي مرت عليه بعد وفاة عمه (أبي طالب وزوجه " خديجة " فكانت الآيات تتنزل عليه ، وهي تقص عليه ما حدث لإخوانه الرسل أنواع الابتلاء ، ليتأسى بهم في الصبر والثبات .
* ابتدأت السورة الكريمة بتمجيد القرآن العظيم ، الذي أحكمت آياته ، فلا يتطرق إليه خلل ولا تناقض ، لأنه تنزيل الحكيم العليم ، الذي لا تخفى عليه خافية من مصالح العباد
* ثم عرضت لعناصر الدعوة الإسلامية ، عن طريق الحجج العقليه ، مع الموازنة بين المؤمنين : ، فريق الهدى) و(فريق الضلال) وضربت مثلا للفريقين ، وضحت به الفارق الهائل بين المؤمنين والكافرين ، وفرقت بينهما كما تفرق الشمس بين الظلمات والنور مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، هل يستون مثلا ؟ أفلا تذكرون ؟.
* ثم تحدثت عن الرسل الكرام مبتدئة بقصة " نوح " عليه السلام أب البشر الثاني ، لأنه لم ينج من الطوفان إلا نوح والمؤمنون الذين ركبوا معه في السفينة ، وغرق كل من على وجه الأرض ، وهو أطول الأنبياء عمرا ، وأكثرهم بلاء وصبرا .
* ثم ذكرت قصة (هود) عليه السلام الذي سميت السورة الكريمة باسمه ، تخليدا لجهوده الكريمة في الدعوة إلى الله ، فقد أرسل الله تعالى إلى قوم (عاد) العتاة المتجبرين ، الذين اغتروا بقوة أجسامهم وقالوا : من أشد منا قوة ؟ فأهلكهم الله بالريح الصرصر العاتية ، وقد أسهبت الآيات في الحديث عنهم ، بقصد العظة والعبرة للمتكبرين المتجبرين " وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله ، واتبعوا أمر كل جبار عنيد " إلى قوله . . ألآ إن عادا كفروا ربهم ، ألا بعدا لعاد قوم هود " . "
ثم تلتها قصة نبي الله " صالح " ثم قصة " شعيب " ثم قصة " موسى وهارون " ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم جاء التعقيب المباشر بما في هذه القصص من العبر والعظات ، في إهلاك الله تعالى للظالمين " ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد . " إلى قوله تعالى : " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد "

---
(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٣٧٦/١

* وختمت السورة الكريمة ببيان الحكمة من ذكر قصص المرسلين ، وذلك للاعتبار بما حدث للمكذبين في العصور السالفة ، ولتثبيت قلب النبي (ص) أمام تلك الشدائد والأهوال " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين . . " إلى قوله : فأعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون ، وهكذا تختم السورة بالتوحيد كما بدأت به ، ليتناسق البدء مع الختام ! ! . تفسيرسورة هود

قال الله تعالى : [آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت . . آلى . . هل يستويان مثلا أفلا تذكرون] من آية(١) الى نهاية آية (٢٤) .

اللغه :

[أحكمت] الإحكام : المنع من الفساد ، يقال : أحكم الأمر إذا أتى به على وجه لا يتطرأ إليه خلل أو فساد

[مستقرها] المكان الذي تأوي إليه في الدنيا

[مستودعها] المكان الذى تصير إليه بعد الموت

[أمة معدودة] الأمة هنا بمعنى المدة من الزمن أي مدة محدودة من السنين ، والأمة اسم مشترك يطلق على ثمانية أوجه : الجماعة ، الملة ، الرجل الجامع للخير ، الحين والزمن ، أتباع الأنبياء ((كقوله تعالى : ﴿وجد عليه أمة من الناس ﴾ اي جماعة ، وقوله : ﴿وادكر بعد أمة﴾ أي حين من الزمن ، وقوله : ﴿إنا وجدنا أباءنا على أمة﴾ اي ملة ودين إلخ)) إلخ

[مرية] شك وارتياب

[ضل] ضاع وتلاشى

[لا جرم] كلمة واحدة بمعنى حقا وهو قول الخليل وسيبويه." (١)

"[ويؤتون الزكاة] أى يدفعونها إلى مستحقيها ، طيبة بها نفوسهم ، ابتغاء مرضاة الله

[وهم بالآخرة هم يوقنون] أى يصدقون بالدار الآخرة ويعتقدون بها اعتقادا جازما ، لا يخالطه شك ولا ارتياب ، وكرر الضمير " هم " للتأكيد لإفادة الحصر

[أولئك على هدى من ربهم] أى أولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة ، على نور وبصيرة ، ومنهج واضح سديد ، من الله العزيز الحميد

[وأولئك هم المفلحون] أى هم الفائزون السعداء في الدنيا والآخرة ، قال أبو حيان : وكرر الإشارة [وأولئك] تنبيها على عظم قدرهم وفضلهم . . ولما ذكر تعالى حال السعداء ، الذين اهتدوا بكتاب الله ، وانتفعوا بسماعه ، عطف عليهم بذكر حال الأشقياء ، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله ، وأقبلوا على استماع الغناء والمزامير فقال سبحانه :

[ومن الناس من يشتري لهو الحديث] أي ومن الناس من يشتري ما يلهي عن طاعة الله ، ويصد عن سبيله ، مما لا خير ولا فائدة فيه ، قال الزمخشري : واللهو كل باطل ألهى عن الخير ، نحو السمر بالأساطير ، والتحدث بالخرافات المضحكة ، وفضول الكلام ، وما لا ينبغي ، وروى ابن جرير عن (عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه أنه سئل عن الآية فقال : والله

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ٢/٢٣

الذى لا إله إلا هو– يكررها ثلاثا – إنما هو الغناء ، وقال الحسن البصرى : نزلت هذه الآية في الغناء والمزامير

[ليضل عن سبيل الله بغيرعلم] أى ليضل الناس عن طريق الهدى ، ويبعدهم عن دينه القويم ، بغير حجة ولا برهان

[ويتخدها هزوا] أى ويتخذ آيات الكتاب المجيد ، سخرية واستهزاء ، وهذا أدخل فى القبح ، وأعرق في الضلال

[أولئك لهم عذاب مهين] أى لهم عذاب شديد مع الذلة والهوان

[وإذا تتلى عليه آياتنا] أى وإذا قرأت عليه آيات القرآن

[ولى مستكبرا كأن لم يسمعها] أى أعرض وأدبر متكبرا عنها ،كأنه لم يسمعها ، شأن المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ، ويجعل نفسه كأنها غافلة

[كأن فى أذنيه وقرا] أى كأن في أذنيه ثقلا وصمما ، يمنعانه عن استماع آيات الله

[فبشره بعذاب أليم] أى أنذره يا محمد بعذاب مؤلم ، مفرط في الشدة والإيلام ! ! ووضع البشارة مكان الإنذار للتهكهم والسخرية ، قال في البحر : تضمنت هذه الآية ذم المشتري من وجوه : الإعراض عن الحكمة ، ثم الإستكبار عن الحق ، ثم عدم الالتفات إلى سماع الآيات ، ثم الإيغال في الإعراض مشبها حال من لم يسمعها ، لكونه لا يلقي لها بالا ولا يلتفت إليها ، ثم التهكم به بالبشارة بأشد العذاب . . ولما ذكر ما وعد به الكفار من العذاب الأليم ، ذكر ما وعد به المؤمنين من جنات النعيم ، فقال سبحانه

[إن الذين أمنوا وعملوا الصالحات] أى جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، وبين حسن النية وإخلاص العمل

[لهم جنات النعيم] أى لهم على إيمانهم واستقامتهم على شريعة الله ، جنات الخلد يتنعمون فيها بأنواع الملاذ ، من المآكل ، والمشارب ، والملابس ، والحور العين ، وسائر ما أكرمهم الله به من الفضل والإنعام ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

[خالدين فيها] أى دائمين في تلك الجنات ، لا يخرجون منها أبدا ، ولا يبغون عنها حولا

[وعد الله حقا] أى وعدا من الله قاطعا ،كائنا لا محالة ، لا خوف فيه ، لأن الله لا يخلف الميعاد

[وهو العزيز الحكيم] أى هو تعالى العزيز الذي لا يغلبه شيء ، ليمنعه عن إنجاز وعده ، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة . . ثم نبه تعالى إلى دلائل قدرته ، وآثار عظمته وجلاله ، لإقامة البراهين على وحدانيته ، فقال سبحانه

". (١)

"سورة السجدة

مكية وآياتها ثلاثون آية

بين يدي السورة

سورة السجدة مكية ، وهي كسائر السور المكية تعالج أصول العقيدة الإسلامية (الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، والكتب

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ١٥/٣

والرسل ، والبعث والجزاء) والمحور الذي تدور عليه السور الكريمة ، هو موضوع (البعث بعد الفناء) الذي طالما جادل المشركون حوله ، واتخذوه ذريعة لتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام .

* تبتدىء السورة الكريمة بدفع الشك **والارتياب** عن القرآن العظيم ، المعجزة الكبرى لرسول الله (ص) الذي لا تحوم حول ساحته الشبهات والأباطيل ، ومع وضوح إعجازه ، وسطوع آياته ، وإشراقة بيانه ، وسمو أحكامه ، اتهم المشركون الرسول بأنه افترى هذا القرآن ، واختلقه من تلقاء نفسه ، فجأءت السورة الكريمة ترد هذا البهتان ، بروائع الحجة والبرهان [الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه . .] الآيات .

* ثم تحدثت السورة عن دلائل القدرة والوحدانية ، ببيان آثار قدرة الله قي الكائنات العلوية والسفلية ، على طريقة القرآن في لفت الأنظار إلى إبداع الواحد القهار [الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام . .] الآيات .

* ثم ذكر القرآن شبهة المشركين السخيفة ، في إنكارهم للبعث والنشور ، ورد عليها بالحجج القاطعة ، والأدلة الساطعة ، التي تنتزع الحجة من الخصم الجاحد العنيد ، فلا يلبث أن يقر على نفسه بالهزيمة ، أمام قوارع القرآن ، وروائع الحجة والبيان [وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد] الآيات .

* وختمت السورة بالحديث عن يوم الحساب ، وما أعد الله فيه للمؤمنين المتقين ، من النعيم الدائم في جنات الخلد ، وما أعده للمجرمين من العذاب والنكال في دار الجحيم [أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟ لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون] الآيات .

التسمية :

سميت " سورة السجدة " لما فيها من أوصاف المؤمنين الأبرار ، الذين إذا سمعوا آيات القرآن العظيم [خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون] . (تفسير سورة السجدة)

قال الله تعالى : [الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين . .] إلى قوله [جزاء بما كانوا يعملون] . من آية (١) إلى آية (١٧) .

اللغة :

[افتراه] اختلق القرآن من تلقاء نفسه

[يعرج] يصعد ويرتفع إليه

[يدبر] التدبير : رعاية شئون الغير

[سلالة] خلاصة

[مهين] ضعيف حقير

[سؤاه] قومه بتصوير أعضائه وتكميلها

[ضللنا] ضعنا وهلكنا ، وأصله من قول العرب : ضل اللبن في الماء إذا ذهب وضاع

[ناكسوا] مطرقوا يقال : نكس رأسه إذا اطرقه

[الجنة] بكسر الجيم بمعنى الجن قال تعالى : [ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون] .

التفسير :

[الم] الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن

[تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين] أي هذا الكتاب الموحى به إليك يا أيها الرسول ، هو القرآن الذي لا شك أنه من عند الله عز وجل ، تنزيل من رب العالمين

[أم يقولون افتراه] الضمير يعود لكفار قريش و[أم] بمعنى بل والهمزة أي بل أيقول المشركون اختلق محمد القرآن ، وافتراه من تلقاء نفسه ؟ لا ليس الأمر كما يدعون

[بل هو الحق من ربك] أى بل هو القول الحق ، والكلام الصدق ، المنزل من ربك ، قال البيضاوى : أشار أولا إلى إعجازه ، ثم رتب عليه أنه تنزيل من رب العالمين ، وقرر ذلك بنفي الريب عنه ، ثم اضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك ، إنكارا له وتعجبا منه ، ثم بين المقصود من إنزاله بقوله." (١)

"[قل إن ربي يقذف بالحق] أي يبين الحجة ويظهرها ، قال ابن عباس : يقذف الباطل بالحق كقوله : [بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق]

[علام الغيوب] أي هو تعالى الذي أحاط علما بجميع الغيوب التي غابت وخفيت عن الخلق

[قل جاء الحق] أي جاء نور الحق وسطع ضياؤه وهو الإسلام

[وما يبدىء الباطل وما يعيد] أي ذهب الباطل بالمرة ، فليس له بدء ولا عود ، قال الزمخشري : إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداء ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : لا يبدىء ولا يعيد مثلا في الهلاك ، والمعنى : جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى [وقل جاء الحق وزهق الباطل

[قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن حصل لي ضلال - كما زعمتم - فإن إثم ضلالي على نفسي ، لا يضر غيري

[وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي] أي وإن اهتديت إلى الحق فبهداية الله بى توفيقه

[إنه سميع قريب] أي سميع لمن دعاه ، قريب الإجابة لمن رجاه ، قال ابو السعود : يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله ، وإن بالغ في إخفائهما

[ولو ترى إذ فزعوا] أي ولو ترى يا محمد حال المشركين عند فزعهم ، إذا خرجوا من قبورهم

[فلا فوت] أي فلا مخلص لهم ولا مهرب

[وأخذوا من مكان قريب] أي أخذوا من الموقف - أرض المحشر - إلى النار ، وجواب [لو] محذوف تقديره : لرأيت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، ترتعد له الفرائص

[وقالوا آمنا به] أي وقالوا عندما عاينوا العذاب آمنا بالقرآن وبالرسول

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٢٤/٣

[وأنى لهم التناوش من مكان بعيد] أي ومن أين لهم تناول الإيمان ؟ وهم الآن في الآخرة ؟ ومحل الإيمان في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد ؟ قال ابو حيان : مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعد ، كما يتناوله الآخر من قرب

[وقد كفروا به من قبل] أي والحال أنهم قد كفروا بالقرآن وبالرسول ، من قبل ذلك في الدنيا ، فكيف يحصل لهم الإيمان بهما في الآخرة ؟

[ويقذفون بالغيب من مكان بعيد] أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون : لا بعث ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، قال القرطبي : والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرف ، هو يقذف ويرجم بالغيب ، على جهة التمثيل لمن يرمي ولا يصيب

[وحيل بينهم وبين ما يشتهون] أي وحيل بينهم وبين الإيمان ودخول الجنان

[كما فعل بأشياعهم من قبل] أي كما فعل بأشباههم في الكفر من الأمم السابقة

[إنهم كانوا في شك مريب] أي كانوا في الدنيا في شك وارتياب ، من أمر الحساب والعذاب ، وقوله : [مريب] من باب التأكيد كقولهم عجب عجيب .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - الطباق بين [يبسط . . ويقدر] وبين [نفعا . . وضرا] وبين [معنى . . وفرادى] .

٢ - المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار [إلا من آمن وعمل صالحا . .] وقوله [والذين يسعون في آياتنا معاجزين] .

٣ - الالتفات من الغائب إلى المخاطب [وما أموالكم ولا أولادكم] والغرض المبالغة في تحقيق الحق ، وتنبيه الغافلين إلى سبيل النجاة .

٤ - اسلوب التقريع والتوبيخ [أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون] الخطاب للملائكة تقريعا للمشركين .

٥ - وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم [وقال الذين كفروا للحق] والأصل وقالوا .

٦ - الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه [وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى] حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، أي ما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا .

٧ - الاستعارة اللطيفة [بين يدى عذاب شديد] استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان .

٨ - الكناية اللطيفة [وما يبدىء الباطل وما يعيد] كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره .

". (١)

"[ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين] أي دعا إلى توحيد الله وطاعته ، بقوله وفعله وحاله وفعل الصالحات ، وجعل الإسلام دينه ومذهبه ، قال ابن كثير : وهذه الآية عامة في كل من دعا إلى خير

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٦٦/٣

وهو في نفسه مهتد وقال الزمخشري : والآية عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث : أن يكون مؤمنا ، معتقدا لدين الإسلام ، عاملا بالخير ، داعيا إليه وما هم إلا طبقة العلماء العاملين

[ولا تستوي الحسنة ولا السيئة] أى لا يتساوى فعل الحسنة مع فعل السيئة ، بل بينهما فرق عظيم ، في الجزاء وحسن العاقبة

[ادفع بالتي هي أحسن] أي ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن ، مثل أن تدفع الغضب بالصبر ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو ، قال ابن عباس : ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك

[فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم] أي فإذا فعلت ذلك صار عدوك كالصديق القريب ، الخالص الصداقة في مودته ومحبته لك

[وما يلقاها إلا الذين صبروا] أي وما ينال هذه المنزلة الرفيعة والخصلة الحميدة إلا من جاهد نفسه ، بكظم الغيظ وإحتمال الأذى

[وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم] أى وما يصل إليها وينالها ، إلا ذو نصيب وافر من السعادة والخير

[وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله] أى وإن وسوس إليك الشيطان بترك ما أمرت به ، من الدفع بالتي هي أحسن ، وأراد أن يحملك على البطش والإنتقام ، فاستعذ بالله من كيده وشره

[إنه هو السميع العليم] أي هو السميع لأقوال العباد ، العليم بأفعالهم وأحوالهم . . ثم ذكر تعالى بعض دلائل قدرته الباهرة وحكمته البالغة ، فقال سبحانه

[ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر] أي ومن علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته ، تعاقب الليل والنهار وتذليل الشمس والقمر ، مسخرين لمصالح البشر

[لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن] أي لا تسجدوا للمخلوق واسجدوا للخالق ، الذي خلق هذه الأشياء وأبدعها

[إن كنتم إياه تعبدون] أي إن كنتم تفردونه بالعبادة فلا تسجدوا لأحد سواه

[فإن استكبروا] أي فإن استكبر الكفار عن السجود لله

[فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار] أي فالملائكة الأبرار بعبدونه بالليل والنهار

[وهم لا يسأمون] أي لا يملون عبادته ، بل يتلذذون بها على الدوام .

قال الله تعالى : [ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة . .] إلى قوله [ألا إنه بكل شىء محيط] . من آية (٣٩) إلى نهاية السورة الكريمة .

المناسبة :

لما ذكر تعالى صفات المؤمنين الأبرار ، وأردفها بذكر الدلائل الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته ، وكمال علمه وحكمته ، ذكر هنا ما يدل على البعث والنشور ، من صفحات هذا الكون المنظور ، ثم أعقبه بذكر الملحدين في آياته المكذبين برسله وأنبيائه ، وختم السورة الكريمة ببيان حال الأشقياء المجرمين ، المنكرين للقرآن العظيم ، يوم الحساب والجزاء .

اللغة :

[يلحدون] يميلون عن الحق والإستقامة ، والإلحاد : الميل والعدول يقال : ألحد في دين الله أى حاد عنه وعدل

[أعجميا] بلغة العجم

[وقر] صمم مانع من سماعه

[أكمامها] جمع كم وهو وعاء الثمرة بضم الكاف وكسرها

[محيص] فرار ومهرب من حاص يحيص حيصا إذا هرب

[نأى] تباعد وأعرض

[الآفاق] أقطار السموات والأرض

[مرية] شك وارتياب عظيم .

التفسير :

[ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة] أى ومن البراهين والعلامات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته ، أنك ترى الأرض يابسة جرداء لا نبات فيها ، تشبه الرجل الخاضع الذليل

[فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت] أي فإذا أنزلنا عليها المطر ، تحركت حركة شديدة ، وانتفخت وعلت بالنبات ، وأخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار

". (١)

"سورة الدخان

مكية وآياتها تسع وخمسون آية

بين يدي السورة

* سورة الدخان مكية وهي تتناول أهداف السور المكية (التوحيد ، الرسالة ، البعث) لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان .

* ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن العظيم - المعجزة الخالدة - الباقي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون ، وقد تحدثت عن إنزال الله تعالى له في ليلة مباركة ، من أفضل ليالي العمر هي " ليلة القدر " وبينت شرف تلك الليلة العظيمة التي تفضل وتدبر فيها أمور الخلق ، والتي اختارها الله لإنزال خاتمة الكتب السماوية ، على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد (ص) [حم

* والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين . .] الآيات .

* ثم تحدثت عن موقف المشركين من هذا القرآن العظيم ، وأنهم في شك وارتياب من أمره ، مع وضوح آياته ، وسطوع براهينه ؟ وأنذرتهم بالعذاب الشديد [بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين . .] الآيات .

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٣/١٦٦

* ثم تحدثت عن قوم فرعون ، وما حل بهم من العذاب والنكال ، نتيجة الطغيان والإجرام ، وعن الآثار التي تركوها بعد هلاكهم ، من قصور ودور ، وحدائق وبساتين ، وأنهار وعيون ، وعن ميراث بني إسرائيل لهم ، لم ما حدث لهم من تشرد وضياع ، بسبب عصيانهم لأوامر الله [كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين . .] الآيات .

* وتناولت السورة الكريمة مشركي قريش ، وإنكارهم للبعث والنشور ، واستبعادهم للحياة مرة أخرى ، ولذلك كذبوا الرسول ، وبينت أن هؤلاء المكذبين ليسوا بإلرم على الله ، ممن سبقهم من الأمم الطاغية ، وأن سنة الله لا تتخلف في إهلإلى الطغاة المجرمين [أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين .] الآيات .

* وختمت السورة الكريمة ببيان مصير الأبرار ومصير إلىجار ، بطريق الجمع بين الترغيب والترهيب ، والتبشير والإنذار [إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم . .] الآيات إلى نهاية السورة الكريمة .

التسمية :

سميت " سورة الدخان " لأن الله تعالى جعله آية لتخويف الكفار ، حيث أصيبوا بالقحط والمجاعة ، بسبب تكذيبهم للرسول (ص) وبعث الله عليهم الدخان حتى كادوا يهلكون ، ثم نجاهم الله بعد ذلك ببركة دعاء النبي (ص) .

قال الله تعالى : [حم والكتاب المبين إنا انزلناه في ليلة مباركة . .] إلى قوله [وما كانوا منظرين] . من آية (١) إلى نهاية آية (٢٩) .

اللغة :

[يفرق] يبين ويفصل

[ارتقب] انتظر

[يغشى] يغطي ويحيط

[نبطش] نأخذ بشدة وعنف

[فتنا] ابتلينا وامتحنا

[تعلوا] تتكبروآ وتتطاولوا

[عذت] استجرت والتجأت إلى الله

[أسر] سر ليلا

[رهوا] ساكنا ، والرهو عند العرب الساكن ، قال الشاعر : والخيل تمرح رهوا في أعنتها كالطير تنجو من الشئبوب ذي البرد قال الجوهري : رها البحر أي سكن ، وجاءت الخيل رهوا أي برفق وسكينة

[منظرين] مؤخرين

[نعمة] النعمة بفتح النون من التنعيم وهو سعة العيش والراحة ، وبالكسر من المنة وهي العطية والإفضال .

سبب النزول :

عن ابن مسعود قال : إن قريشا لما استعصت على النبي (ص) دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم قحط وجهد

حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين] فأتي رسول الله (ص) فقيل يا رسول الله : استسق لمضر فإنها قد هلكت ، فاستسق فسقوا فنزلت [إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله [يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون] . تفسير سورة الدخان

التفسير : ." (١)

"[وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا] أي وقال المشركون : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، ولا آخرة ، ولا بعث ، ولا نشور قال ابن كثير : هذا قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد ، ومرادهم ما ثم إلا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وليس هناك معاد ولا قيامة ، وهذا قول الفلاسفة الدهريين ، المنكرين للصانع ، المعتقدين أن كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه

[وما يهلكنا إلا الدهر] أي وما يهلكنا إلا مرور الزمان ، وتعاقب الأيام قال الرازي : يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك ، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار ، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله ، وبين إنكار البعث والقيامة ، قال تعالى ردا عليهم

[وما لهم بذلك من علم] أي وليس لهم مستند من عقل او نقل ، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بينة

[إن هم إلا يظنون] أي ما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون ، يتكلمون بالظن من غير يقين

[وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات] أي وإذا قرئت آيات القرآن على المشركين ، واضحات الدلالة على البعث والنشور

[ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] أي ما كان متمسكهم في دفع الحق الصريح ، إلا أن يقولوا : أحيوا لنا آباءنا الأولين ، إن كان ما تقولونه حقا ، سمي قولهم الباطل (حجة) على سبيل التهكم

[قل الله يحييكم ثم يميتكم] آي قل لهم يا محمد : الله الذي خلقكم ابتداء حين كنتم نطفا هو الذي يميتكم عند انقضاء آجالكم ، لا كما زعمتم إنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر

[ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه] أي ثم بعد الموت يبعثكم للحساب والجزاء ، كما أحياكم في الدنيا ، فإن من قدر على البدء يقدر على الإعادة ، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء في يوم القيامة ، الذي لا شك فيه ولا **ارتياب**

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن اكثر الناس لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر ، لا يعلمون قدرة الله فينكرون البعث والجزاء . . ثم بيم إمكان الحشر والنشر ، وذكر تفاصيل آحوال يوم القيامة فقال سبحانه

[ولله ملك السموات والأرض] أي هو جل وعلا المالك لجميع الكائنات العلوية والسفلية

[ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون] أي ويوم القيامة يخسر الكافرون الجاحدون بآيات الله

[وترى كل أمة جاثية] أي وترى أيها المخاطب كل أمة من الأمم ، جالسة على الركب من شدة الهول والفزع ، كما يجثو الخصوم بين يدي الحاكم ، بهيئة الخائف الذليل قال ابن كثير : وهذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ١٩٧/٣

على ركبتيه

[كل أمة تدعى إلى كتابها] اي كل أمة من تلك الأمم ، تدعى إلى صحاف أعمالها

" (١).

"[أضل أعمالهم] أي أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا ثواب لها ، لأنها لم تكن لله فبطلت ، والمراد أعمالهم الصالحة ، كإطعام الطعام ، وصلة الأرحام ، وقرئ الضيف قال الزمخشري : وحقيقة إضلال الأعمال : جعلها ضالة ضائعة ، ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها ، كالضالة من الإبل ، التي لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها ، والمراد أعمالهم التي عملوها في كفرهم ، بما كانوا يسمونه " مكارم الأخلاق " ، من صلة ا لأرحام ، وفك الأسارى ، وقرئ الأضياف ، وحفظ الجوار

[والذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي جمعوا بين الإيمان الصادق ، والعمل الصالح

[وآمنوا بما نزل على محمد] أي صدقوا بما أنزل الله على رسوله محمد (ص) تصديقا جازما لا يخالجه شك ولا **ارتياب** ، وهو عطف خاص على عام ، وإلنكتة فيه تعظيم أمره والاعتناء بشأنه ، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه ، ولذا أكده بقوله

[وهو الحق من ربهم] أي وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحيه المنزل من عند الله ، والجملة اعتراضية لتأكيد السابق

[كفر عنها سيئاتهم] أي أزال ومحا عنهم ما مضئ من الذنوب والأوزار

[وأصلح بالهم] أي أصلح شأنهم وحالهم ، في دينهم ودنياهم . . ثم بين تعالى سبب ضلال الكفار ، واهتداء المؤمنين ، فقال سبحانه

[ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل] أي ذلك الإضلال لأعمال الكفار ، أنهم سلكوا طريق الضلال ، واختاروا الباطل على الحق

[وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم] أي وأن المؤمنين سلكوا طريق الهدى ، وتمسكوا بالحق والإيمان ، المنزل من عند الرحمن

[كذلك يضرب الله للناس أمثالهم] أي مثل ذلك البيان الواضح ، بين الله أمر كل من الفريقين – المؤمنين والكافرين – بأوضح بيان ، وأجلى برهان ، ليعتبر إلناس ويتعظوا ، وبعد إعلان هذه الحرب السافرة على الكافرين ، أمرتعالى المؤمنين بجهادهم فقال

[فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب] أي فإذا ادركتم الكفار في الحرب ، فاحصدوهم حصدا بالسيوف قال في التسهيل : وأصله فاضربوا الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل

[حتى إذا أثخنتموه فشدوا الوثاق] أي حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات ، ولم تبق لهم قوة للمقاومة فأسروهم وكفوا عن قتلهم قال الزمخشري : وفي هذه العبارة [فضرب الرقاب] من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل ،

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٣/ ٢١٠

لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حز العنق ، وإطارة رأس البدن ، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى [فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان] ومعنى [أثخنتموهم] أكثرتم قتلهم وأغلظتموه [فشدوا الوثاق] أي فأسروهم ، والوثاق اسم لما يربط به من حبل وغيره

[فإما منا بعد وإما فداء] أي ثم أنتم مخيرون بعد أسرهم ، إما أن تمنوا عليهم وتطلقوا سراحهم ، بلا مقابل من مال ، أو تأخذوا منهم مالا فداء لأنفسهم ، ولكن بعد أن تكونوا قد كسرتم شوكتهم ، واعجزتموهم بكثرة القتل والجراح

[حتى تضع الحرب أوزارها] أي حتى تنقضى الحرب ، وتنتهي بوضع الآتها وأثقالها ، وتنتهى الحرب بين المسلمين والمناوئين لهم ، وذلك بعزة الإسلام واندحار المشركين

[ذلك ولو يشاء الله لأنتصر منهم] أي الأمر فيهم ما ذكر ، ولو أراد الله لأنتقم منهم وأهلكهم بقدرته ، دون ان يكلفكم – أيها المؤمنون – إلى قتالهم قال ابن كثير : أي لو شاء الله لأنتقم من الكافرين ، بعقوبة ونكال من عنده

[ولكن ليبلوا بعضكم ببعض] أي ولكنه أمركم بجهادهم ، ليختبر إيمانكم وثباتكم ، فيظهر حال الصادق في الإيمان من غيره ، كما قال تعالى [ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين] وليبتلي المؤمنين بالكافرين والكافرين بالمؤمنين ، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الجنة ، ومن قتل من الكافرين إلى النار ، ولهذا قال

. " (١)

"[وكان ذلك عند الله فوزا عظيما] أي وكان ذلك الإدخال في الجنات ، والتكفير عن السيئات ، فوزا كبيرا وسعادة لا مزيد عليها ، إذ ليس بعد نعيم الجنة نعيم

[ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات] أي ويعذب الله أهل النفاق الإشراك ، وقدمهم على المشركبن ، لأنهم أعظم خطرا ، وأشد ضررا من الكفار المجاهرين بالكفر

[الظانين بالله ظن السوء] أي الظانين بربهم أسوأ الظنون ، ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسوله والمؤمنين ، وأن المشركين يستأصلونهم جميعا ، كما قال تعالى [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا] قال القرطبي : ظنوا أن النبي (ص) لا يرجع إلى المدينة ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية

[عليهم دائرة السوء] دعاء عليهم أي عليهم ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين من الهلاك والدمار

[وغضب الله عليهم ولعنهم] أي سخط تعالى عليهم بكفرهم ونفاقهم ، وأبعدهم عن رحمته

[وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا] أي وهيأ لهم في الآخرة نارا مستعرة هي (نار جهنم) وساءت مرجعا ومنقلب لأهل النفاق والضلال

[ولله جنود السموات والأرض] تأكيد للإنتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين . قال الرازي : كرر اللفظ لأن جنود الله قد يكون إنزالهم للرحمة ، وقد يكون للعذاب ، فذكرهم أولا لبيان الرحمة بالمؤمنين ، وثانيا لبيان إنزال العذاب على الكافرين

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٢٢٣/٣

[وكان الله عزيزا حكيما] أي عزيزا في ملكه وسلطانه ، حكيما في صنعه وتدبيره قال الصاوي : ذكر هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله [عليما حكيما] وذكرها ثانيا في معرض الإنتقام فذيلها بقوله [عزيزا حكيما] وهو في منتهى الترتيب الحسن ، لأنه تعالى ينزل جنود الرحمة لنصرة المؤمنين ، وجنود العذاب لإهلاك الكافرين . . ثم امتن تعالى على رسوله الكريم بتشريفه بالرسالة ، وبعثه إلى كافة الخلق ، فقال سبحانه

[إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا] أي إنا أرسلناك يا محمد ، شاهدا على الخلق يوم القيامة ، ومبشرا للمؤمنين بالجنة ، ومنذرا للكافرين من عذاب النار

[لتؤمنوا بالله ورسوله] أي أرسلنا الرسول لتؤمنوا أيها الناس ، بربكم ورسولكم حق الإيمان ، إيمانا عن اعتقاد ويقين ، لا يخالطه شك ولا ارتياب

[وتعزروه] أي تفخموه وتعظموه

[وتوقروه] أي تحترموا وتجلوا أمره ، مع التعظيم والتكريم ، والضمير فيهما للنبي (ص)

[وتسبحوه بكرة وأصيلا] أي تسبحوا ربكم في الصباح والمساء ، ليكون القلب متصلا بالله في كل حين وآن . . ثم ذكر تعالى بيعة الرضوان ، ورضى الله عن أصحابها فقال سبحانه

[إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله] أي إن الذين يبايعونك يا محمد في الحديبية (بيعة الرضوان) إنما يبايعون في الحقيقة الله ، وهذا تشريف للنبي (ص) حيث جعل مبايعته (ص) بمنزلة مبايعة الله ، لأن الرسول في في سفير ومعبر عن الله ، قال المفسرون : المراد بالبيعة هنا " بيعة الرضوان " بالحديبية ، حين بايع الصحابة رسول الله (ص) على الموت ، كما روى الشيخان عن سلمة بن الأكوع أنه قال : (بايعنا رسول الله (ص)على الموت) وسميت " بيعة الرضوان " لقول الله فيها [لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة]

[يد الله فوق أيديهم] قال ابن كثير : أي هو تعالى حاضر معهم ، يسمع أقوالهم ، ويرى مكانهم ، ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالى المبايع بواسطة رسوله (ص) وقال الزمخشري : يريد أن يد رسول الله (ص) التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله ، والمعنى : أن من بايع الرسول فقد بايع الله ، كقوله تعالى [من يطع الرسول فقد أطاع الله] ". (١)

"[إن أكرمكم عند الله أتقاكم] أي إنما يتفاضل الناس بالتقوى لا بالأحساب والأنساب ، فمن أراد شرفا في الدنيا ومنزلة في الاخرة ، فليتق الله تعالى كما قال (ص) : (من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله) وفي الحديث : " الناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى

[إن الله عليم خبير] أي عليم بالعباد ، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم ، يعلم التقي والشقي ، والصالح والطالح [فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى] .

[قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا] أي زعم الأعراب أنهم آمنوا قل لهم يا محمد : إنكم لم تؤمنوا بعد ،

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٢٣٢/٣

لأن الإيمان تصديق مع ثقة واطمئنان قلب ، ولم يحصل لكم ، وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام ، وترك المقاتلة ، ولكن قولوا : استسلمنا خوف القتل والسبي ، قال المفسرون : نزلت في نفر من بني أسد ، قدموا المدينة في سنة مجدبة ، وأظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله (ص) أتيناك بالأثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان ، يريدون الصدقة ، ويمتون على الرسول ، وقد دلت الآية على أن الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام ، الذي هو الاستسلام والانقياد بالظاهر ، ولهذا قال تعالى :

[ولما يدخل الإيمان في قلوبكم] أي ولم يدخل الإيمان إلى قلوبكم ، ولم تصلوا إلى حقيقته بعد ، ولفظة " لما " تفيد التوقع ، كأنه يقول : وسيحصل لكم الإيمان عند اطلاعكم على محاسن الإسلام ، وتذوقكم لحلاوة الإيمان ، قال ابن كثير : وهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا منافقين ، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم ، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه ، فأدبوا في ذلك ، ولو كانوا منافقين - كما ذهب إليه البخاري - لعنفوا وفضحوا

[وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا] أي وإن أطعتم الله ورسوله بالإخلاص الصادق ، والإيمان الكامل ، وعدم المن على الرسول (ص) ، لا ينقصكم من أجوركم شيئا

[إن الله غفور رحيم] أي عظيم المغفرة ، واسع الرحمة ، لأن صيغة " فعول " و " فعيل " تفيد المبالغة . . ثم ذكر تعالى صفات المؤمنين الكمل ، الصادقين في إيمانهم ، فقال سبحانه :

[إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله] أي إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان ، الذين صدقوا الله ورسوله ، فأقروا لله بالوحدانية ، ولرسوله بالرسالة ، عن يقين راسخ ، وإيمان كامل

[ثم لم يرتابوا] أي ثم لم يشتهوآ ويتزلزلوا في إيمانهم ، بل ثبتوا على التصديق واليقين

[وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله] أي وبذلوا أموالهم ومهجهم في سبيل الله ، وابتغاء رضوانه

[أولئك هم الصادقون] أي أولئك الذين صدقوا في ادعاء الإيمان . . وصف تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف : الأول : التصديق الجازم بالله ورسوله الثاني : عدم الشك والارتياب الثالث : الجهاد بالمال والنفس ، فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق

[قل أتعلمون الله بدينكم] الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي قل لهم يا محمد : أتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم ؟

[والله يعلم ما في السموات وما في الأرض] أي وهو جل وعلا ، العليم بأحوال جميع العباد ، لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض

[والله بكل شيء عليم] أي واسع العلم رقيب على كل إنسان ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الكون

[يمنون عليك أن أسلموا] أي يعدون إسلامهم عليك يا محمد منة ، يستوجبون عليها الحمد والثناء

[قل لا تمنوا على إسلامكم] أي قل لهم : لا تمتنو على باسلامكم ، فإن نفع ذلك عائد عليكم

". (١)

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ٣/٢٤٦

"[لعلكم تعقلون] أي لكي تعقلوا وتتدبروا ما أنزل الله في القرآن

[إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا] أي الذين تصدقوا بأموالهم على الفقراء ابتغاء وجه الله ، والذين أنفقوا في سبيل الله ، وفى وجوه البر والإحسان ، طيبة بها نفوسهم

[يضاعف لهم ولهم أجر كريم] أي يضاعف لهم ثوابهم ، بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها ، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة ، قال المفسرون : أصل [المصدقين] المتصدقين أدغمت التاء في الصاد فصارت المصدقين ، ومعنى القرض الحسن : هو التصدق عن طيب النفس ، وخلوص النية للفقير ، فكان الإنسان بإحسانه إلى الفقير ، قد أقرض الله قرضا يستحق عليه الوفاء في دار الجزاء

[والذين آمنوا بالله ورسله] أي صدقوا بوحدانية الله ووجوده ، وآمنوا برسله إيمانا راسخا كاملا ، لا يخالجه شك ولا **ارتياب**

[أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم] أي أولئك الموصوفون بالإيمان بالله ورسله ، هم الذين جمعوا أعلى المراتب ، فحازوا درجة الصديقية والشهادة في سبيل الله ، قال مجاهد : كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد

[لهم أجرهم ونورهم] أي لهم في الآخرة الثواب الجزيل ، والنور الذي يسعى بين أيديهم وبأيمانهم

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم] أي والذين جحدوا بوحدانية الله وكذبوا بآياته ، أولئك هم المخلدون في دار الجحيم ، قال البيضاوي : فيه دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار ، من حيث إن الصيغة تشعر بالاختصاص [أولئك أصحاب الجحيم] والصحبة تدل على الملازمة .. ولما ذكر أحوال المؤمنين والكافرين ، ذكر بعده ما يدل على حقارة الدنيا ، وكمال حال الآخرة ، فقال سبحانه :

[اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب] أي اعلموا يا معشر السامعين ، أن هذه الحياة الدنيا ما هي إلا لعب ، يتعب الناس فيها أنفسهم ، كإتعاب الصبيان أنفسهم باللعب

[ولهو] أي وشغل للإنسان يشغله عن الآخرة وطاعة الله

[وزينة] أي وزينة يتزين بها الجهلاء ، كالملابس السنة ، والمراكب البهية ، والمنازل الرفيعة

[وتفاخر بينكم] أي ومباهاة وافتخار بالأحساب والأنساب ، والمال والولد ، كما قال القائل : أرى أهل القصور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور أبوا إلا مباهاة وفخرا على الفقراء حتى في القبور

[وتكاثر في الأموال والأولاد] أي مباهاة بكثرة الأموال والأولاد ، قال ابن عباس : يجمع المال من سخط الله ، ويتباهى به على أولياء الله ، ويصرفه في مساخط الله ، فهو ظلمات بعضها فوق بعض

[كمثل غيث أعجب الكفار نباته] أي كمثل مطر غزير أصاب أرضا ، فأعجب الزراع نباته الناشيء عنه

[ثم يهيج فتراه مصفرا] أي ثم ييبس بعد خضرته ونضرته ، فتراه مصفر اللون بعد أن كان زاهيا ناضرا

[ثم يكون حطاما] أي ثم يتحطم ويتكسر بعد يبسه وجفافه ، فيصبح هشيما تذروه الرياح ، كذلك حال الدنيا ، قال القرطبي : والمراد بالكفار هنا الزراع ، لأنهم يغطون البذر ، ومعنى الآية أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه ، لخضرته بكثرة الأمطار ، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو في غاية الحسن

[وفي الأخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان] أي والجزاء في الآخرة ، إما عذاب شديد للفجار ، وإما مغفرة من الله ورضوان للأبرار

". (١)

"[والذين يصدقون بيوم الدين] أي يؤمنون بيوم الحساب والجزاء ، يصدقون بمجيئه تصديقا جازما ، لا يشوبه شك ولا ارتياب ، فيستعدون له بالأعمال الصالحة

[والذين هم من عذاب ربهم مشفقون] أي خائفون على أنفسهم من عذاب الله ، يرجون الثواب ويخافون العقاب

[إن عذاب ربهم غير مأمون] أي لأن عذاب الله لا ينبغى أن يأمنه إنسان ، إلا من أمنه الرحمن ، والأمور بخواتيمها . . إن هؤلاء المصدقين المشفقين ، قلما تغويهم الدنيا ، أو يبطرهم نعيمها ، أو يجزعون على ما فاتهم من حطامها ، فسواء عليهم أخسروا حظوظ الدنيا أم غنموا ، إذ إن لديهم من الفكر فى جلال ربهم ، وذكر معادهم ، ما يشغلهم عن الجزع إذا مسهم الشر ، ويربأ بهم عن المنع إذا مسهم الخير! ! ثم ذكر تعالى الفريق الخامس من الموفقين للخيرات وفعل الطاعات ، فقال سبحانه :

[والذين هم لفروجهم حافظون] أي هم أعفاء لا يرتكبون المحارم ، ولا يتلوثون بالمآثم ، قد صانوا أنفسهم عن الزنى والفواحش

[إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم] أي يقتصرون على ما أحل الله لهم من الزوجات المنكوحات ، والرقيقات المملوكات

[فإنهم غير ملومين] أي فإنهم غير مؤاخذين ، لأن وضع الشهوة فيما أباح الله من الزوجات والمملوكات ، حلال يؤجر عليه الإنسان ، لما فيه من تكثير النسل والذرية

[فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون] أي فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات ، فقد تعدى حدود الله ، وعرض نفسه لعذاب الله ، قال الطبري : من التمس لفرجه منكحا سوى زوجته أو ملك يمينه ، ففاعلوا ذلك هم العادون ، الذين تعدوا حدود ما أحد الله لهم ، إلى ما حرمه عليهم ، فهم الملومون ((ومن هذه الآية استدل جمهور الفقهاء على حرمة (زواج المتعة) لأن المنكوحة لمتعة ليست بزوجة ، ولا بملك يمين ، فيكون الزواج بها محرما)).

[والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون] أي يؤدون الأمانات ، ويحفظون العهود ، فإذا ائتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا

[والذين هم بشهاداتهم قائمون] أي يشهدون بالحق على القريب والبعيد ، ولا يكتمون الشهادة ولا يغيرونها ، بل يؤدونها على وجهها الكامل ، بحيث تصان بها حقوق الناس ومصالحهم ، وخصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات ، تنبيها على فضلها ، لأن في إقامتها إحياء للحقوق ، وفي تركها تضييعا للحقوق

[والذين هم على صلاتهم يحافظون] هذا هو الوصف الثامن من أوصاف المؤمنين ، الذين وفقهم الله إلى تطهير نفوسهم

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، المؤلف غير معروف ٣/٣١٣

، من خلق الهلع المذموم ، أي يراعون شرائط الصلاة ويلتزمون آدابها ، ولا سيما الخشوع والتدبر ، ومراقبة الله فيها ، وإلا كانت حركات صورية ، لا يجنى العبد ثمرتها ، فإن فائدة الصلاة أن تكف عن المحارم كما قال سبحانه : [إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر] ولما كانت الصلاة عمود الإسلام ، بولغ في التوكيد فيها ، فذكرت في أولى الخصال الحميدة وفي آخرها ، ليعلم مرتبتها في الأركان ، التي بنى عليها الإسلام ، قال القرطبي : ذكر تعالى من أوصافهم في البدء [الذين هم على صلاتهم دائمون] ثم قال في الختم [والذين هم على صلاتهم يحافظون] والدوام غير المحافظة ، فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها ، لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ، ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ، ويقيموا أركانها ، ويكملوها بسننها وآدابها ، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم ، فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات ، والمحافظة يرجع إلى أحوالها ((قال ابن كثير : افتتح تعالى الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها ، فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها بدءا ونهاية)) وبعد أن ذكر تعالى أوصاف المؤمنين المتقين ، ذكر مآلهم وعاقبتهم ، فقال سبحانه ".(١)

"[لواحة للبشر] أي تلوح وتظهر لأنظار الناس من مسافات بعيدة ، لعظمها وهولها ، كقوله تعالى : [وبرزت الجحيم لمن يرى] قال الحسن : تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام حتى يروها عيانا فهى بارزة إلى أنظارهم ، يرونها من غير استشراف ولا مد أعناق ((اختار بعض المفسرين أن معنى ﴿لواحة للبشر﴾ أي محرقة للجلود مسودة لها ، تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل وإن ﴿البشر﴾ جمع بشرة وهي جلدة الإنسان الظاهرة ، والظاهر ما ذكرناه لأن الله تعالى ذكر من وصفها ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ فأي فائدة في وصفها بتسويد البشرة بعد ذلك ، وما اخترناه هو ما رجحه القرطبي ونسبه إلى ابن عباس وكذلك ما رجحه الإمام الفخر الرازي والله اعلم)).

[عليها تسعة عشر] أي خزنتها الموكلون عليها تسعة عشر " ملكا " من الزبانية الأشداء كقوله تعالى : [عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] قال ابن عباس : " ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع ، فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم " قال الألوسي : روي عن ابن عباس أنها لما نزلت [عليها تسعة عشر] قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ، أسمع ابن أبي كبشة – يعني محمدا – يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر ، وأنتم الدهم – أي العدد – الشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال أبو الأشد الجمحي : – وكان شديد البطش – أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين ، فأنزل الله :

[وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة] أي وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ الشداد ، ولم نجعلهم من البشر حتى يصارعوهم ويغالبوهم

[وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا] أي لم نجعل ذلك العدد ، إلا سببا لفتنة وضلال المشركين ، حيث استقلوا بعددها ، واستهزءوا ، حتى قال أبو جهل : أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد! منهم ، ثم تخرجون من النار ؟ قال الطبري : وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين ، لتكذيبهم بذلك ، وقول بعضهم لأصحابه – على سبيل

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، المؤلف غير معروف ٤٠١/٣

الإستهزاء – أنا أكفيكموهم

[ليستيقن الذين أوتوا الكتاب] أي ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد ، وأن هذا القرآن من عند الله ، إذ يجدون هذا العدد في كتبهم المنزلة

[ويزداد الذين آمنوا إيمانا] أي ويزداد المؤمنون تصديقا لله ورسوله ، بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم (ص) ، وتسليم أهل الكتاب لما جاء في القرآن ، موافقا للتوراة والإنجيل

[ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون] أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم ، وهذا تأكيد لما قبله ، لأنه لما ذكر اليقين نفى عنهم الشك ، فكأن قوله : [ولا يرتاب] مبالغة وتأكيدا ، وهو ما يسميه علماء البلاغة : الإطناب

[وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا] أي وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق ، والكافرون من أهل مكة : في شيء أراد الله بهذا القول العجيب ؟ الذي هو مثل في الغرابة والنكارة ؟ ولماذا يخوفنا بواسطته من سقر وخزنتها التسعة عشر ؟ قال الرازي : إثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافى حصول الارتياب بعد ذلك ، فالمقصود من إعادة هذا الكلام ، هو إنه حصل لهم يقين جازم ، بحيث لا يحصل عقبه البتة شك ولا ريب ، وقد كان (ص) يعلم من حال قريش إنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب ، فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه ، ولذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا الخبر أوضح بيان

". (١)

"...إن العقوبات وبخاصة الحدود في الدنيا، والعذاب في الآخرة، جاءت الأدلة القطعية في ثبوتها وفي دلالتها مما لا يجعلها تدخل في دائرة الظن الذي يحتمل الاجتهاد، وهي متواترة عند المسلمين، ومن الثوابت التي لا تتزعزع، فهي عقيدة راسخة ومعلومة من الدين بالضرورة يعلمها المؤمنون والكافرون على سواء مع فارق الإيمان بها، والكفر بها عند أعداء الدين. والعذاب في الآخرة حسي وليس معنويا كما جاءت به النصوص على سبيل الحقيقة والواقع وليس على سبيل التمثيل والاستعارة. هذا ما يؤمن به المسلمون إيمانا جازما لا يتطرق إليه أي ارتياب. وما أدركناه من عبارات تفسير المنار يغاير هذا المفهوم فيعد من الشوائب. وخطورته تكمن في أنه يعد المؤسس لهذه الشوائب لمن التحقوا في مدرسته العقلية الحديثة كما يسمونهم. ولا يقل سوءا في الشوائب أن يعتقد أن الأمة الإسلامية على باطل وهم أهل فساد على عكس الأوروبيين المستعمرين فهم على الحق وهم أهل الصلاح.

الشيخ طنطاوي جوهري ومفهومه للعقوبة:

...قال: "والمقصد من هذا أن تعذيب الأجسام سواء أكان في الدنيا أم في الآخرة يقصد منه تهذيب النفوس"(١). وقال: فحكومات الآخرة والدنيا على طراز واحد. فالحكومة الفاضلة العادلة هكذا تفعل، وحكومات الله المستقبلية هكذا فعلها، ولا يقصد منها كلها إلا تهذيب النفوس. فإذا قام المسلمون وهذبوا النفوس بالعلم والعرفان قام التهذيب مقام التعذيب،

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، المؤلف غير معروف ٤٢٨/٣

والتعلم مقام الإيلام، والحكمة مقام المحكمة. والعلم مقام الألم"(٢).

...ويرى طنطاوي جوهري أن الأخلاق تلازم الروح بعد فراق الجسد وتتمنى لو تخلص من الأخلاق التي لازمتها، والأحوال التي لصقت بها(٣). وقد أشار إلى أن الحد يسقط بالتوبة عند بعض العلماء(٤).

---

(١) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، م٢، ١٨٢/٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) جوهري، طنطاوي، الجواهر في تفسير القرآن، م٢، ١٣٠/٤.." [١]

" نزلت في قصة الاحزاب حين حصروا المدينة وقالت فرقة نزلت تسلية للمهاجرين حين اصيبت اموالهم بعدهم وفيما نالهم من اذاية الكافرين لهم وخلوا معناه انقرضوا أي صاروا في خلاء من الأرض والبأساء في المال والضراء في البدن ومثل معناه شبه والزلزلة شدة التحريك تكون في الأشخاص والأحوال وقرأ نافع يقول بالرفع وقرأ الباقون بالنصب وحتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير إلى أن وعلى قراءة نافع كأنها أقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا **ارتياب** والرسول اسم الجنس وقالت طائفة في الكلام تقديم وتأخير والتقدير حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول ألا أن نصر الله قريب فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان قال ع وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر ويحتمل أن يكون ألا إن نصر الله قريب إخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول قوله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير الآية السائلون هم المؤمنون والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها وما يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداء وذا خبرها بمعنى الذي وينفقون صلة وفيه عائد على ذا تقديره ينفقونه ويصح أن تكون ماذا اسما واحدا مركبا في موضع نصب قال قوم هذه الآية في الزكاة المفروضة وعلى هذا نسخ منها الوالدان وقال السدي نزلت قبل فرض الزكاة ثم نسختها آية الزكاة المفروضة وقال ابن جريج وغيره هي ندب والزكاة غير هذا الإنفاق وعلى هذا لا نسخ فيها وما تفعلوا جزم بالشرط والجواب في الفاء وظاهر الآية الخبر وهي تتضمن الوعد بالمجازات وكتب معناه فرض واستمر الإجماع على ." [٢]

" عليك كتابا في قرطاس الآية لما أخبر عنهم سبحانه بأنهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية اتبع ذلك بإخبار فيه مبالغة والمعنى ولو نزلنا بمرأى منهم عليك كتابا أي كلاما مكتوبا في قرطاس أي في صحيفة فلمسوه بأيديهم يريد أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل **ارتياب** لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين وقوله سبحانه وقالوا لولا أنزل عليه ملك أي يصدق محمدا في نبوءته ثم رد الله عليهم بقوله ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر قال ابن عباس وغيره في الكلام حذف تقديره

---

(١) شوائب التفسير في القرن الرابع عشر الهجري، المؤلف غير معروف ٦٣/٢

(٢) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ١٦٥/١

ولو انزلنا ملكا فكذبوه لقضي الأمر بعذابهم ولم ينظروا حسبما سلف في كل أمة اقترحت بآية وكذبت بعد أن أظهرت إليها وقالت فرقة لقضي الأمر أي لماتوا من هول رؤية الملك في صورته ويؤيد هذا التأويل ما بعده من قوله ولو جعلنا ه ملكا لجعلناه رجلا فإن أهل التأويل مجمعون أن ذلك لإنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته فإذ قد تقعد أنهم لا يطيقون رؤية الملك في صورته فالأولى في قوله لقضي الأمر أي لماتوا لهول رؤيته ثم لا ينظرون أي لا يؤخرون ومما يؤيد هذا المعنى الحديث الوارد عن الرجلين اللذين صعدا على الجبل يوم بدر ليريا ما يكون في حرب النبي صلى الله عليه و سلم للمشركين فسمعا حس الملائكة وقائلا يقول في السحاب اقدم حيزوم فانكشف قناع قلب أحدهما فمات لهول ذلك فكيف برؤية ملك في خلقته وللبسنا أي لفعلنا لهم في ذلك فعلا ملبسا يطرق لهم إلى أن يلبسوا به وذلك لا يحسن قلت وفي البخاري وللبسنا عليهم ما يلبسون لشبهنا وقوله سبحانه ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم بالأسوة في الرسل وتقوية لنفسه على محاجة المشركين وإخبار يتضمن وعيد مكذبيه والمستهزءين به وحاق معناه نزل وأحاط وهي مخصوصة في الشر يقال ." (١)

" وأن ذلك المسجد بعينه انهار في نار جهنم قاله قتادة وابن جريج وروي عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال رأيت الدخان يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وروي في بعض الكتب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم رآه حين انهار بلغ الأرض السابعة ففزع لذلك صلى الله عليه و سلم وروي أنهم لم يصلوا فيه أكثر من ثلاثة أيام وهذا كله بإسناد لين والله أعلم واسند الطبري عن خلف بن ياسين أنه قال رأيت مسجد المنافقين الذي ذكره الله في القرآن فرأيت فيه مكانا يخرج منه الدخال وذلك في زمن أبي جعفر المنصور وروي شبيه بهذا أو نحوه عن ابن جريج اسنده الطبري قال ابن العربي في أحكامه وفي قوله تعالى فانهار به في نار جهنم مع قوله فأمه هاويه إشارة إلى أن النار تحت كما أن الجنة فوق انتهى والريبة الشك وقد يسمى ريبة فساد المعتقد ومعنى الريبة في هذه الآية أمر يعم الغيظ والحنق ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الارتياب في الإسلام فمقصد الكلام لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يبقى في قلوبهم حزازة وأثر سوء وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا وبالجملة أن الريبة هنا تعم معان كثيرة يأخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق

وقوله إلا أن تقطع قلوبهم بضم التاء يعني بالموت قاله ابن عباس وغيره وفي مصحف أبي حتى الممات وفيه حتى تقطع

وقوله عز و جل إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة وهي بيعة العقبة الكبرى وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين وذلك أنهم اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه و سلم عند العقبة فقالوا اشترط لك ولربك والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة فاشترط نبي الله حمايته مما يحمون منه أنفسهم واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الأحمر والأسود في الدفع ." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ٥٠٧/١

(٢) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ١٥٦/٢

" اما ان تكذبوا بحق اما ان تصدقوا بباطل

وقوله تعالى فالذين ءاتيناهم الكتاب يريد التوراة والانجيل كانوا فى وقت نزول الكتاب عليهم يؤمنون بالقرءان ثم اخبر عن معاصرى نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ان منهم ايضا من يومن به ولم يكونوا ءامنوا بعد ففى هذا اخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك

وما يجحد بأياتنا الا الكافرون يشبه ان يراد بهذا الا غناء كفار قريش ثم بين تعالى الحجة واوضح البرهان مما يقوى ان نزول هذا القرءان من عند الله ان محمد عليه السلام جاء به فى غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو امى لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم ولو كان ممن يقرأ او يخط لارتاب المبطلون وكان لهم فى ارتيابهم معلق واما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده بل هو ءايات بينات يعنى القرءان ويحتمل ان يعود على امر محمد صلى الله عليه و سلم والظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب للنبى صلى الله عليه و سلم ولكن عظم الاشارة بهما الى قريش لأنهم الأهم قاله مجاهد

وقالوا لولا انزل عليه ءايات من ربه الضمير فى قالوا لقريش ولبعض اليهود لأنهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة على ما مر فى غير ما موضع ثم احتج عليهم فى اقتراحهم ءاية بامر القرءان الذى هو اعظم الآيات ومعجز للجن والانس فقال سبحانه او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الاية

وقوله ءامنوا بالباطل يريد الاصنام وما فى معناها

وقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب يريد كفار قريش وباقى الاية بين مما تقدم مكررا والله الموفق بفضله وبغتة فجأة وهذا هو عذاب الدنيا كيوم بدر ونحوه ثم توعدهم سبحانه بعذاب الاخرة فى قوله يستعجلونك بالعذاب وان جهنم الاية

وقوله تعالى يا عبادى الذين ءامنوا ان ارضى واسعة فاياي فاعبدون الايات هذه ." (١)

" وقوله تعالى قيل ارجعوا وراءكم يحتمل أن يكون من قول المؤمنين لهم ويحتمل أن يكون من قول الملائكة والقول لهم فالتمسوا نورا هو على معنى التوبيخ لهم أي أنكم لا تجدونه ثم أعلم تعالى أنه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز فيبقى المنافقون في ظلمة وعذاب

وقوله تعالى باطنه فيه الرحمة أي جهة المؤمنين وظاهره جهة المنافقين والظاهر هنا البادي ومنه قول الكتاب من ظاهر مدينة كذا وعبارة الثعلبي فضرب بينهم بسور وهو حاجز بين الجنة والنار قال أبو أمامة الباهلي فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور قال قتادة حائط بين الجنة والنار له باب باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني النار انتهى قال ص قال أبو البقاء الباء في بسور زائدة وقيل ليست بزائدة قال أبو حيان والضمير في باطنه عائد على الباب وهو الأظهر لأنه الأقرب وقيل على سور أبو البقاء والجملة صفة لباب أو لسور انتهى

---

(١) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ١٩٤/٣

وقوله تعالى ينادونهم معناه ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم في الدنيا فيرد المؤمنون عليهم بلى كنتم معنا ولكن عرضتم أنفسكم للفتنة وهي حب العاجل والقتال عليه قال مجاهد فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربصتم معناه هنا بأيمانكم فأبطأتم به حتى متم وقال قتادة معناه تربصتم بنا وبمحمد ص – الدوائر وشككتم **والارتياب** التشكك والأماني التي غرتهم وهي قولهم سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش ستأخذه الأحزاب إلى غير ذلك من أمانيهم وطول الأمل غرار لكل أحد وأمر الله الذي جاء هو الفتح وظهور الإسلام وقيل هو موتهم على النفاق الموجب للعذاب والغرور الشيطان بإجماع المتأولين وينبغي لكل مؤمن أن يعتبر هه الآية في نفسه وتسويفه في توبته واعلم أيها الأخ أن الدنيا غرارة للمقبلين عليها فإن أردت الخلاص والفوز بالنجاة فازهد فيها وأقبل على ما يعنيك من إصلاح دينك ." (١)

" المحيض من نسائكم الآية اللائي جميع التي واليائسات من المحيض على مراتب محل بسطها كتب الفقه وروى إسماعيل بن خالد أن قوما منهم أبي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يا رسول الله فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية فقال قائل منهم فما عدة الحامل فنزلت وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وهو لفظ يعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة **والارتياب** المذكور قيل هو بأمر الحمل

وقوله سبحانه أسكنوهن من حيث سكنتم الآية أمر بإسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت وأما المبتوتة فمالك يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب ولا يرى لها نفقة لأن النفقة بإزاء الاستمتاع وقال الثعلبي من حيث سكنتم أي في مساكنكم التي طلقتموهن فيها انتهى والوجد السعة في المال وأما الحامل فلا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت أو لم تبت لأنها مبينة في الآية وإنا اختلفوا في نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها هل ينفق عليها من التركة أم لا وكذلك النفقة على المرضع المطلقة واجبة وبسط ذلك في كتب الفقه

وقوله سبحانه واتمروا بينكم بمعروف أي ليأمر كل واحد صاحبه بخير وليقبل كل أحد ما أمر به من المعروف

وقوله سبحانه وإن تعاسرتم أي تشططت المرأة في الحد الذي يكون أجره على الرضاع فللزوج أن يسترضع بما فيه رفقة إلا أن لا يقبل المولود غير أمه فتجبر هي حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج في حالهما وغناهما ت وهذا كله في المطلقة البائن قال ابن عبد السلام من أصحابنا الضمير في قوله تعالى فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن وأما ذات الزوج أو الرجعية فيجب عليها أن ترضع من غير أجر إلا أن تكون شريفة فلا يلزمها ذلك انتهى

وقوله سبحانه لينفق ذو سعة من سعته الآية ." (٢)

" ربى حسن به ظنى حتى اقول لحسان مدحه ليتك حسان

يا واقفا لدي الباب

---

(١) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ٤/٢٦٥

(٢) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ٤/٣١٢

ادخل بسلام الى جنات هذا الكتاب

تراها ذات بهجة ما كان لك ان تجني ثمرتها الا باكتساب

هذا الكتاب

وما ادراك ما الكتاب

كتاب يهون على النفس المصاب

ويخلصها من الشك **والارتياب**

وكيف لا وهو تفسير جليل

عار عن شبهات الضلال والتضليل

الا ترى اليه في كل حال

يصرح بمثل هذا المقال

رب انى اعوذ بك من همزات الشياطين

ومن نزعات فلسفة الزاعمين انهم لسماء الحكمة اساطين

فسلك فيه مسلك الصواب

فجاء ولله الحمد تبصرة وذكرى لاولى الالباب

رمى صاحبه بسهم فاصاب

واتى بالحق المبين وفصل الخطاب

الا تسمع بتفسير مرونق بحسان الجواهر

مطبوع بحرف شرقي على ورق جيد بالمطبعة الثعالبيه في الجزائر

مطبعة الشقيقين ابني مراد

بلغهما الله في الدارين حسن المراد

ولا تنس شكر المصحح

فعمله الجميل لفضله مرجح

لانه تقدم طبعا على الطبع قطعا

فكمال الطبع موقوف على الكمال وضعا

الا ترى الى الصلاة بدون الامام

تنقص درجاتها او تبطل على مذهب كل امام

نسأل الله تعالى للفاضل الامين والاستاذ ابن مصطفى

ان يجزيهما على حسن صنعهما الجزاء الاوفي

بجاه عين الرحمة سيدنا ومولانا محمد وءاله

واصحابه الاخيار وكل ناسج على منواله

الفقير الى ربه ابن زكرى محمد سعيد بن احمد الزواوي مفتى السادة المالكية بعاصمة الجزائر وفقه الله ءامين ." (١)

"والثالث : الوقوف عند كلمة (فيه @ ، ويكون المعنى كالمعنى السابق ، ثم يكون

قوله (هدى للمتقين @ جملة مستقلة ، وهذه القراءات تتجه كلها إلى سمو القرآن وعلوه ، وأنه فوف طاقة البشر ، وفوق علم الناس ، إنه كتاب الله العلى الحكيم. ومعنى (لا ريب فيه @ أنه لا يعتريه الريب لكمال حقائقه ووضوح مقاصده ، والبراهين القاطعة المثبتة أنه من عند الله تعالى ، فلا مساغ لمرتاب أن يرتاب. هذا كان قد وقع فيه إنكار ، فلأنهم جحدوا آيات الله تعالى ، واستيقنتها أنفسهم ، والنفى لوقوع الريب منه فى ذاته ، ويضل ناس فيجحدون ولا يؤمنون ، ولا ينفى ذلك أنه لا مكان للريب ، ولا موضع له ، إذ هو ارتياب حيث اليقين ، وإنكار حيث يجب الإيمان ، وهو الحق الذى لايأتيه الباطل من أى ناحية من نواحيه.

(هدى للمتقين @ الهدى مصدر على وزن فعل ، كالسرى ، والبكى ، ومعناه الدلالة على الطريق الموصل للغاية الذى لا اعوجاج فيه ، ولا تستعمل غالبا إلا للتوصيل إلى الخير ، بدليل مقابلتها بالضلالة فى قوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين @ز@ أ البقرة ، ، وبدليل نسبة الهدى إلى الله تعالى ، فقد قال تعالت كلماته : (قل إن الفدى هدى الله... @لبرت @ أ ال عمران ، والمهتدى من انتفع بما وجد من هداية (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها... بمنم@تر@ أيونس ، .

وإذا قيل : فإن الهداية إنما تكون للضالين ليسترشدوا ، ويسيروا فى طريق

الحق ، ويبتعدوا عن الغواية ، وما يدفع إليه من ضلالة كما قال تعالى : (ووجدك ضالا فهدى@مأ – @ أ الفححى ، .." (٢)

"أكد الله تعالى هذا المعنى شارحا حالتهم النفسية ، وانطباعها على الشر ،

وعدم تقبل الهداية ، فقال تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلىء أبضارهم غشاوة.

الختم مصدر ختصت ختما فهو مختوم ومعناه تغطية الشيء ، والاستيثاق من الغطاء حتى لا يدخله شيء من خارجه ، والختم يكون محسوسا ، وإطلاقه على الأمور العنوية يكون مجازا أو استعارة ، ويكون المعنى أن الله تعالى شبه ابتعادهم عن الهداية ، والحيلولة بين قلوبهم ووصول الحق إليها ، بسبب ما تواردت عليه من أسباب الشك والارتياب وإظلام القلوب ، وعدم قبولها لنور الهداية – شبهه بحال ما ختم عليه بختم استيثاقا من ألا يفتح ويدخل عليه شيء من الإيمان ، وكان على القلوب ، فلا يكون معها مكان لهداية ، وعلى السمع ، فلا ينفتح لسماع كلمة حق هادية ، وذلك من كثرة ما توارد عليها من أسباب العصيان والجحود ، حتى طبع الله تعالى عليها بكفرهم ، فقد قال @جيه : " تعرض الفق على القلوب

---

(١) تفسير الثعالبي، المؤلف غير معروف ٤/٤٥٨

(٢) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/١٠٠

كالحصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين ، أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا (أى مقلوبا) لا يعرف معروفا ، ولا ينكر منكرا " (١) رواه الصحيحان ، ولقد قال ابن جرير فى تفسيره : " إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حيمئذ الختم الذى ذكره الله سبحانه وتعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلىٰ سمعهم . والمعنى أن الذين أركست قلوبهم بتضافر ذنوبهم ، وتوالى جحودهم ، واستغراق المادة تغلق عليهم مسالك الهداية ، وتسد عليهم مسام النور ، فلا تصل إليهم هداية.

(١) رواه مسلم : كتاب الإيمان : باب : بدأ الإسلام غريبا (٢٠٧).." [١]

١١١"

عارية الدرا هموالد نانير قرض اويقولاالقا نونيونفمثل " هذاإنه " عارية " ااستهلاك،أى عارية لا ينتفع بالعين فيها إلا باستهلاكها والتصرف فيها.

وقال المالكية وأكثر الحنابلة : إنه يصح الأجل فى القرض وتجب تسميته وتعريفه ، لنص هذه الآية ، إذ هو دين داخل فى عموم الدين فى الآية الكريمة ، ولأن القرض لا فائدة فيه للمدين إلا إذا كان مؤجلا ، فكانت المصلحة فى أن يعين الأجل ويتفق عليه بينهما دفعا للمشاحة ، ومنعا للنزاع وإن ذلك الرأى هو الأظهر وهو الذى يشمله عموم النص ، وهو الأقرب إلى عرف الناس ، والمصلحة فيه. والأمر بالكتابة هنا أهو للطلب الملزم الذى لا محيص للمكلف عنه ، أم للإرشاد أو الندب ؟ قال جمهور العلماء : إنه للندب ؟ وذلك لأن النبى (صلى الله عليه وسلم) أ ما ألزم الدائنين بكتابة ديونهم ، ولا المدينين بأن يكتبوها ، لأن النبى ع@ قال : " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " (١) ولأن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك : (فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن أماتة... كأ@ث @ أ البقرة ، وإن ذلك بلا ريب تسويئ لعدم الكتابة ، والاعتماد على مجرد الأمانة ، فإنه مع الكتابة لا ائتمان ، أو لا اعتماد عللاءمانة.

وقال الظاهرية : إن الأمر هنا للوجوب ، ومن لم يفعل كان آثما ، ذلك لأن الأصل فى الأمر أنه للوجوب ، ولا يخرج عن الوجوب إلى غيره إلا بدليل من النصوص ، ولم يوجد الدليل ؟ ولا " ن طلب الكتابة تأكد بطرق عدة " منها النص على الكتابة فى الصغير والكبير من الديون بقوله تعالى : (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلئ أجله @و ومنها النص على أنه الأقسط والأقوم للشهادة ، والأدنى للمنع من الارتياب ؟ ومنها التعميم واستثناء صورة واحدة ، وهى حال التجارة الدائرة بين التجار ، وقصر نفى الإثم عليها دون غيرها ، فإنه إذا كان نفى الإثم مقصورا على هذه الحالى فمعنى ذلك أن الإثم ثابت فى غيرها ، وإن الائتمان لا يتنافى مع الكتابة ،

(١) رواه البخارى : الصوم – قول النبى (صلى الله عليه وسلم) م : " لا نكتب دا (١٧٨٠) ، وملم : الصيام – وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال (١٨٠٦).." [٢]

---

(١) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/١١٨

(٢) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/١٠٦٦

"هذا ، ويلاحظ أن الأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأبا حنيفة وأصحابه لا
يقبلون شهادة غير المسلم على المسلم مطلقا فى سفر أو حضر ، فى وصية أو غير وصية ، ويظهر أنهم يسيرون على التخريج الاول.

وقد بين سبحانه طريق أداء الشهادة ، فقال : @تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم @ الضمير فى قوله تعالى : (تحبسونهما من بعد الصلاة@ يعود على الشاهدين ذوى العدل من المسلمين أو من غيرهما ، والحبس الإمساك لأداء الشهادة اللازمة حتى تؤدى ، والصلاة كما يفسر التابعون الذين تلقوا تفسير أصحاب رسول الله ع(صلى الله عليه وسلم) يراد بها صلاة العصر ؟ إذ يكون وقت استجمام النفس ، واستحضار عظمة الله تعالى ، وطيب الجو ، والفقهاء يعتبرون من السنة سماع الشهادة بعد صلاة العصر ، حيث تكون النفوس قارة مطمئنة ، وإذا كانا غير مسلمين ، فإنهما يسمعان بعد صلاتهم.

وهذا حكم عام ، ويلاحظ أن شهود الوصية لهم صفتان : إحداهما – صفة
الشاهد العدل المخبر عن الواقع الناطق بالصدق فيه الذى يشهد على مثل الشمس عيانا ، الصفة الثانية – أنهما وصيان للميت أمينان على ماله ، يحافظان عليه ، حتى يصل إلى أهله ، ويسلم إليهم موفورا غير منقوص ، ولذلك كان حقا عليهما أمانة الله تعالى ، ولذلك كان أى ريب فيهما يؤدى إلى ضياع المال وحق المتوفى ، وحق ذويه ، ولذلك شرع القسم إن كانت ريبة أى ريبة كانت ، ولو كانت نفسية ليس لها مظاهر مادية ، ولذا قال : (فيقسمان بالله إن ارتبتم @ وهذا النص الكريم يفيد أن الحبس بعد الصلاة والقسم على صد@تى القول لا يكون إلا حال **الارتياب** ، وبهذا يرد قول الذين يقولون : إن الشهود لا يستقسمون ، أولا – لأن هؤلاء ليسوا شهودا من كل الوجوه ، لأن لهم صفة أنهم أوصياء ، والأوصياء يحلفون إن كان ثمة ريبة فى تصرفهم ، وثانيا – لأن الحال حال استثنائية فيجب ما أمكن الاحتياط ، والحلف عند **الارتياب** ، فلا بد من توثيق القول بالوثائق ، لكى يكون الاطمئنان بدل الشك **والارتياب** ، وبين سبحانه تتميما للاستيثاق صيغة اليمين ، فقال : ." (١)

"ا " إ االتفلملير أ سو رةا الما ئدة ١@ الذين استحق الإثم عليهم أى حقت آثاره ومغبته عليهم وهم الورثة ، وهذا على قراءة الفعل بالبناء للمعلوم ، ومعناها – كما رأيت – الذين حقت عليهم مغبة الإثم ونتائجه ، وهم المستحقون للمال بعد وفاة المتوفى بوصية المورث أو بوصية الله تعالى بالميراث ، وهناك قراءة بالبناء للمجهول (١) ، ومعناها الذى استحق عليهم أى أخذ منهم بمقتضى الشهادة الباطلة ، والمؤدى فى القراءتين واحد.

ذكر النص أنهما الأوليان بالنطق بالحق لأجل الورثة ، إما لأنهم أقرب الورثة
أو لأنهما أرشدهم ، أو الحق بمحبتهم.

ومعنى النص الكريم على هذا أن اللذين شهدا المتوفى عند وفاته هما أولى
الناس بذكر الحقيقة ، وإن كان **ارتياب** يحبسان بعد الصلاة ويستقسمان قسما موثقا ، فإن ظهر ما يدعو إلى تكذيب

---

(١) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/٢٣٨٤

شهادتهما فى كلها أو فى بعضها ، كان للمستحقين للتركة حق الشهادة ويختار أولاهما بالتحدث عن المتوفى ، وهذا معنى (أوليان) ، وهى خبر لمبتدأ محذوف ، وتدل على طريقة الاختيار ، وإن هؤلاء لأن المال يئول إلمهم لا يقبل قولهم إلا بيمين لأنهم بمنزلة المدعى عليه بكلام الأوصياء الذين يكذبونهم ، ولذا قال سبحانه :

(فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين @و

الفاء هنا للإفصاح عن شرط مقدر ، وتقديره إذا كانا يتقدمان لإحقاق الحق فلابد أن يقسما بالله ، وهنا إيجاز معجز ، ذ يقسمان بالله تعالى على الختل (٢) فى الامانة وعلى ما يريان أنه الحق ، ثم يقسمان مع ذلك على أمرين أولهما – أن شهادتهما أحق بالقبول من شهادة الآخرين لصدقها ، ولظهور الخيانة فى قولهم ، ولأنه فقدت قوتها لعدم الأمانة ، وثانيهما – أن يقسما على أنهما ما اعتديا ، بأخذ

(١) قرأها بالفتح (١ ستحق @ حفص ، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم (غير النقار ، وجبلة) ، وقرأ الباقون بالضم ، أي : (استحق . أفدته من غاية الاختصار – برقم ٨١٧١).

(٢) فيقسمان على (عدم) الختل. والختل : الخديعة. من : ختله يختله ويختله ختلا وختلانا : خدعه. كما في القاموس : ختل.." (١)

"جاءت كتب أهل الكتاب بالشهادة له فهو معجزة أزلية ثابتة ، وقد قال تعالى فى بيان ذكره فى الكتب السابقة هو ورسوله الأمين : (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن الفكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ١١ الأعراف ، فهو كتاب الخليقة الذى يشتمل على كل الحقائق الشرعية.

ولقد قال تعالى رادا على أى شكوك وارتياب : (فإن كنت فى شك مما أنزلنا

إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من رئك فلا تكونن من الممتر ين أيو نس ، .

وإن الشك ليس من النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ولكنه شك من المشركين أداهم إليه جحود

الحق وقد عرفوه ولقد قال بعد ذلك فى هذه الآية.

(فلا تكونن من الممترين @

الامتراء : الشك ، والنهى مؤكد بنون التوكيد الثقيلة ، والفاء للإفصاح عن

شرط مقدر فإن تقدير القول إذا علمت أنه حكم الله تعالى ، وأن الكتب السابقة شاهدة على الصدق ، فلا تكونن من المترين والنهى للنبى (صلى الله عليه وسلم) ، بظاهر القول ، وهو لأمته التى يدعوها إلى الإسلام ، وإلى أولئك الذين تهجموا بطلب ايات أخرى ، وليس النهى للنبى (صلى الله عليه وسلم) فى الحقيقة ؟ لأن النهى عن فعل يكون حيث يتوقع وقوعه ، ولا يمكن أن يكون ذلك من النبى (صلى الله عليه وسلم) ، لأنه الذى نزل عليه القرآن ، فلا يمكن أن يكون منه امتراء إنما يكون من غيره ، وإنما ذكر موجها إليه (صلى الله عليه وسلم) ، لإعلاء شأن القرآن ، ولبيان مكانته

(١) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/٢٣٨٧

، وأنه فوق ارتياب المرتابين ، ولأنه إذا كان النبي (صلى الله عليه وسلم)منهيا عن الامتراء ، وهو من نزل عليه القرآن فغيره أولى بالنهى.

وإن نزول القرآن والتحدى به ، وعجزهم عن أن يأتوا بمثله ، وتقدير الله

تعالى بأنه لا يؤتى بمثله قط إذ قال تعالت كلماته : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن." (١)

"@ا " اتفسيرسورة النورا العدالة المجردة ، بل " قامتط " على أساسأعر افطالحكام ، ١ ومايشتهى " الناس "ا ولذا عطلت الحدود ، وأضاعت حقوق الناس.

ولقد قال الله تعالى مستنكرا حالهم هذه :

(أفي قفوبهم مرض أم ارتائوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسئوله بل أولئك فئم

الظا لفون .

هذا استفهام توبيخى ، وهو إنكار للواقع من أمرهم ، والمرض الذى يصيب

القلب إما النفاق ، وإما ضعف الإيمان ، فهو تشبيه للمرض النفسى من ضعف الإيمان بالحقائق وعدم الإذعان للأحكام الشرعية ، بالمرض الجسمى الذى يضعف فيه الجسم ، وقد تدرج سبحانه فى توبيخ من هذا حاله فابتدأ بضعف الإيمان والنفاق ، ثم ثنى فى التوبيخ بانهم واقعون فى الارتياب في حقائق أصل الدين والإيمان ، ثم قال سبحانه ما هو أعظم من ذلك فقال : (أم يخافون أن يحيف الله عليهم @ ، يحيف معناها يجور فى الحكم ، ولا يجدون العدل عند الله ورسوله ، وهذا انتقال من دركة إلى دركة فى التوبيخ ، فوبخوا أولا بضعف الإيمان ومرض القلوب ، ثم كان التوبيخ ؟ لأنهم يرتابون فى الحقائق الإسلامية ثم كان التوبيخ الأشد ؟ لأنهم يحسبون أن الله ورسوله يجوران ، فكان ذلك ترقيا فى التوبيخ ، حتى وصل أعلاه وهو الكفر البواح برمى الله تعالى بالظلم ، وهم الظالمون ، ولذا قال تحالى : (بل أول@ك هغ الظالمون @ " بل " للإضراب ورد ما يومئ إليه حالهم ، فهم الظالمون لأنفسهم بالضلال الذى اختاروه ، وهم الظالمون لأنهم اختاروا الحكم الظالم ، وتجانفوا عن الحق للإثم ، وقد اكد الله تعالى ظلمهم بالجملة الاسمية ، وبقصرهم على الظلم ، وقصر الظلم عليهم ، وبكلمة (هم) ضمير الفصل المؤكدة لظلمهم.

هذا مقال المنافقين وضعفاء الإيمان ، أما مقال المؤمنين ، فقد ذكره بقوله تعالت كلماته :

(إنما كان قول المؤمنين اذا دعوا إلى الله ورسئوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا

وأطعنا وأول@ ك فئم الففلحون .." (٢)

"١١ إ! اا تفدمير ا!ا إ! إا إيفظ ن ١١ اا: " اا" "ا "اا@

هذا ما يكون من امر الظالمين فى الاخرة ، وقد ذكر من بعد ذلك جهاد الرسول ، وقد ضلوا ب@غوائهم بعضهم بعضا ، فقال :

---

(١) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/٢٦٣٨

(٢) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/٥٢١٢

(وقال الرسول يا ربئ إن قوم@ اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

هذه حال الرسول ورسالته وإعراضهم عنها فى الدنيا مما يوقعهم فى حالهم

التى صورها سبحانه وتعالى فى الآخرة ، وعبر سبحانه بالرسول للإشارة إلى حق الرسالة عليه من الاتباع والدعوة ، وحقه عليهم من الاستجابة والطاعة له.

وقد نادى ربه ضارعا له أن بنصره ويؤيده فقال : يارب ؟ ليشكو بثه وحزنه إليه ، إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا. وعبر بقومى لإبداء الغرابة من إنكارهم ، لأنهم عرفوه صادقا امينا ، وعاشروه وعرفوا انه الأمين ، ليس بالكذاب ومعه الحجة المثبتة لرسالته التى لا تدع **ارتيابا** لمرتاب.

وقوله تعالى : (اتخذوا هذا القرآن @ الإشارة إلى القرآن الذى عرف بصفاته العالية من أنه هدى ورحمة وشفاء لما فى الصدور ، وهو نور يهدى إلى صراط مستقيم وبلاغته تبعد عن كل قول وفيه الشريعة ، اتخذوا القرآن صاحب الصفات العليا مهجورا ، أى شيئا مهجورا ، هجرته القلوب ، وهجروه بذواتهم فكانوا يقو لون : (... لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعئكم تغلبون أفصلت ، ، وقالوا الهجر والفحش ما يدل على فحشهم وهجر أفعالهم ، وقد استغرب النبى (صلى الله عليه وسلم)من حالهم المناقضة لرشدهم.

هذه شكوى الرسول (صلى الله عليه وسلم) من قومه ، وقد عزى الله نبيه بان الباعث على هذا

هو العداوة ، والعداوة من شأنها أن تؤدى إلى المهاترة ، وهجر الأقوال والأفعال ، وهؤلاء أعداء كما كان للرسل من قبلك أعداء.

(وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرا.

إنه منذ هبط آدم وإبليس إلى الأرض ، والخير والشر فى نزاع مستمر ؟ تحقيقا." (١)

"والثاني : أنه إسرارهم الكفر ، والشك في أمر الله .

والثالث : الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد .

قال أبو سليمان الدمشقي : والذي قال : ﴿ هل لنا من الأمر من شيء ﴾ عبد الله بن أبي . والذي قال : ﴿ لو كان لنا من الأمر من شيء ﴾ معتب بن قشير .

قوله تعالى ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم ﴾ أي : لو تخلفتم ، لخرج منكم من كتب عليه القتل ، ولم ينجه القعود . والمضاجع : المصارع بالقتل . قال الزجاج : ومعنى ﴿ برزوا ﴾ : صاروا إلى براز ، وهو المكان المنكشف . ومعنى ﴿ وليبتلي الله ما في صدوركم ﴾ أي : ليختبره بأعمالكم ، لأنه قد علمه غيبا ، فيعلمه شهادة .

قوله تعالى : ﴿ وليمحص الله ما في قلوبكم ﴾ قال قتادة : أراد ليظهرها من الشك **والارتياب** ، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة ، وإظهار سرائر المنافقين . وهذا التمحيص خاص للمؤمنين . وقال غيره : أراد بالتمحيص : إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ، فهو خطاب للمنافقين .

---

(١) زهرة التفاسير، المؤلف غير معروف ص/٥٢٧٣

قوله تعالى ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾ أي : بما فيها . وقال ابن الأنباري : معناه : عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات ، فتأنيث ذات بمعنى الحقيقة ، كما تقول العرب : لقيته ذات يوم . فيؤنثون لأن مقصدهم : لقيته مرة في يوم .." (١)

"قوله تعالى : ﴿ واللائي يئسن من المحيض ﴾ في سبب نزولها قولان .

أحدهما : أنها لما نزلت عدة المطلقة ، والمتوفى عنها زوجها في [البقرة ٢٢٧ : ٢٣٢] قال أبي بن كعب : يا رسول الله إن نساء من أهل المدينة يقلن : قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء . قال : «وما هو؟» قال : الصغار والكبار ، وذوات الحمل ، فنزلت هذه الآية ، قاله عمرو بن سالم .

والثاني : أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن . . . ﴾ [الآية البقرة : ٢٢٨] قال خلاد بن النعمان الأنصاري : يا رسول الله ، فما عدة التي لا تحيض ، وعدة التي لم تحض ، وعدة الحبلى؟ فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل .

ومعنى الآية : ﴿ إن ارتبتم ﴾ ، أي : شككتم فلم تدروا ما عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴾ كذلك .

فصل

قال القاضي أبو يعلى : والمراد بالارتياب هاهنا : ارتياب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كما هو؟ وليس المراد به ارتياب المعتدات في اليأس من المحيض ، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية . ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجه الخطاب إليهن ، فقيل : إن ارتبتن ، أو ارتبن ، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن .

وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل ، وهو تسعة أشهر ، ثم ثلاثة . والعدة : هي الثلاثة التي بعد التسعة . فإن حاضت قبل السنة بيوم ، استأنفت ثلاث حيض ، وإن تمت السنة من غير حيض ، حلت ، وبه قال مالك . وقال أبو حنيفة ، والشافعي في الجديد : تمكث أبدا حتى يعلم براءة رحمها قطعا ، وهي أن تصير في حد لا يحيض مثلها ، فتعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر .

قوله تعالى : ﴿ واللائي لم يحضن ﴾ يعني : عدتهن ثلاثة أشهر أيضا ، لأنه كلام لا يستقل بنفسه ، فلا بد له من ضمير ، وضميره تقدم ذكره مظهرا ، وهو العدة بالشهور . وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض : أنها تعتد ثلاثة أشهر . فأما من أتى عليها زمان الحيض ، ولم تحض ، فإنها تعتد سنة .

قوله تعالى : ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ عام في المطلقات ، والمتوفى عنهن أزواجهن ، وهذا قول عمر ، وابن عمر ، وابن مسعود ، وأبي مسعود البدري ، وأبي هريرة ، وفقهاء الأمصار . وقد روي عن ابن عباس أنه قال : تعتد آخر الأجلين . ويدل على قولنا عموم الآية . وقول ابن مسعود : من شاء لاعنته ، ما نزلت «وأولات الأحمال» إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ، وقول أم سلمة : إن سبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام ، فأمرها رسول الله A أن تتزوج .

قوله تعالى : ﴿ ومن يتق الله ﴾ أي : فيما أمر به ﴿ يجعل له من أمره يسرا ﴾ يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة ، وهذا قول

(١) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف غير معروف ٤٣٦/١

الأكثرين . وقال الضحاك : ومن يتق الله في طلاق السنة ، يجعل الله له من أمره يسرا في الرجعة ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله ﴾ بطاعته ﴿ يكفر عنه سيآته ﴾ أي : يمح عنه خطاياه ﴿ ويعظم له أجرا ﴾ في الآخرة .." (١)

" أجمع لم يكن إلا النصب وكله بمنزلة أجمعين ومن رفع فلآنه قد ابتدأ به كما ابتدأ بقوله تعالى وكلهم آتية

قوله تعالى يخفون في أنفسهم في الذي أخفوه ثلاثة أقوال

أحدها أنه قولهم لو كنا في بيوتنا ما قتلنا هاهنا

والثاني أنه إسرارهم الكفر والشك في أمر الله

و الثالث الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد

قال أبو سليمان الدمشقي والذي قال هل لنا من الأمر من شيء عبد الله ابن أبي والذي قال لو كان لنا من الأمر من شيء معتب بن قشير

قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم أي لو تخلفتم لخرج منكم من كتب عليه القتل ولم ينجه القعود والمضاجع المصارع بالقتل قال الزجاج ومعنى برزوا صاروا إلى براز وهو المكان المنكشف ومعنى وليبتلي الله ما في صدوركم أي ليختبره بأعمالكم لأنه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة

قوله تعالى وليمحص الله ما في قلوبكم قال قتادة أراد ليظهرها من الشك **والارتياب** بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة وإظهار سرائر المنافقين وهذا التمحيص خاص للمؤمنين وقال غيره أراد بالتمحيص إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين فهو خطاب للمنافقين

قوله تعالى والله عليم بذات الصدور أي بما فيها وقال ابن الأنباري معناه عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات فتأنيث ذات بمعنى الحقيقة كما تقول العرب لقيته ذات يوم فيؤنثون لأن مقصدهم لقيته مرة في يوم ." (٢)

" أحدهما أنها لما نزلت عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها في البقرة ٢٢٧ ٢٣٢ قال أبي بن كعب يا رسول الله إن نساء من أهل المدينة يقلن قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء قال وما هو قال الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت هذه الآية قاله عمرو بن سالم

والثاني أنه لما نزل قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن الآية البقرة ٢٢٨ قال خلاد بن النعمان الأنصاري يا رسول الله فما عدة التي لا تحيض وعدة التي لم تحض وعدة الحبلى فنزلت هذه الآية قاله مقاتل ومعنى الآية إن ارتبتم أي شككتم فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن كذلك

فصل

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، المؤلف غير معروف ٤١/٦

(٢) زاد المسير، المؤلف غير معروف ٤٨٢/١

قال القاضي أبو يعلى والمراد بالارتياب ها هنا ارتياب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كما هو وليس المراد به ارتياب المعتدات في اليأس من المحيض أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية ولأنه لو أريد ." [1]

"والظاهر أنهم كانوا جماعة ، فلذلك أتى بضمير الجمع. فإن كان المتحاكمان اثنين ، فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاضدة أو المؤانسة ، ولا خلاف أنهم كانوا ملائكة ، كذا قال بعضهم. وقيل : كانا أخوين من بني إسرائيل لأب وأم ، والأول أشهر. وقيل : الخصم هنا اثنان ، وتجوز في العبارة فأخبر عنهما أخبار ما زاد على اثنين ، لأن معنى الجمع في التثنية. وقيل : معنى خصمان : فريقان ، فيكون تسوروا ودخلوا عائدا على الخصم الذي هو جمع الفريقين ، ويدل على أن خصمان بمعنى فريقان قراءة من قرأ : بغى بعضهم على بعض. وقال تعالى : ﴿هاذان خصمان اختصموا فى ربهم﴾ ، بمعنى : فأما إن هذا أخي. وما روي أنه بعث إليه ملكان ، فالمعنى : أن التحاكم كان بين اثنين ، ولا يمتنع أن يصحبهما غيرهما. وأطلق على الجميع خصم ، وعلى الفريقين خصمان ، لأن من جاء مع متخاصم لمعاضدة فهو في سورة خصم ، ولا يبعد أن تطلق عليه التسمية ، والعامل في الظرف ، وهو إذ أتاك ، قاله الحوفي ورد بأن إتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع إلا في عهده ، لا في عهد داود. وقال ابن عطية ، وأبو البقاء : العامل فيه نبأ ورد بما رد به ما قبله أن النبأ الواقع في عهد داود عليه السلام لا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا أردت بالنبأ القصة في نفسها ، لم يكن ناصبا. وقيل : العامل فيه محذوف تقديره : وهل أتاك تخاصم الخصم ؟ قاله الزمخشري. ويجوز أن ينتصب بالخصم ، لما فيه من معنى الفعل. وإذ دخلوا بدل من إذ الأولى ؛ وقيل : ينتصب بتسوروا. وروي أن الله تعالى بعث إليه ملكين في صورة إنسانين ، فطلبا أن يدخلا عليه ، فوجداه في يوم عبادته ، فمنعهما ، فتسورا عليه المحراب ، فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان.

قال ابن عباس : جزأ زمانه أربعة أجزاء : يوما للعبادة ، ويوما للقضاء ، ويوما للاشتغال بخواص أموره ، ويوما لجميع بني إسرائيل ، فيعظهم ويبكيهم. فجاءوه في غير القضاء ، ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق ، وفي يوم الاحتجاب ، والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه ، فخاف أن يؤذوه. وقيل : كان ذلك ليلا ، ويحتمل أن يكون فزعه من أجل أن أهل ملكته قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان ، فينكون فزعه على فساد السيرة ، لا من الداخلين. وقال أبو الأحوص : فزع منهم لأنهما دخلا عليه ، وكل منهما آخذ برأس صاحبه. وقيل : فزع منهم لما رأى من تسورهم على موضع مرتفع جدا لا يمكن أن يرتقي إليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد. وقيل : إنهما قالا : لم نتوصل إليك إلا بالتسور لمنع الحجاب ، وخفنا تفاقم الأمر بيننا ، فقبل داود عذرهم. ولما أدركوا منه الفزع قالوا : ﴿لا تخف﴾ ، أي لسنا ممن جاء إلا لأجل التحاكم. ﴿خصمان﴾ : يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهما : ﴿لا تخف﴾ ، بادر بإخبار ما جاءا إليه. ويحتمل أن يكون سألهم : ما أمركم ؟ فقالوا : خصمان ، أي نحن خصمان. ﴿بغى ﴾ : أي جار ، ﴿بعضهم على بعض﴾ ، كما قال الشاعر :

٣٩١

(١) زاد المسير، المؤلف غير معروف ٢٩٣/٨

ولكن الفتى حمل بن بدربغى والبغي مرتعه وخيم

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٨٧

وقرأ أبو يزيد الجراد ، عن الكسائي : خصمان ، بكسر الخاء ؛ وفي أمرهم له ونهيهم ببعض فظاظة على الحكام ، حمل على ذلك ما هم فيه من التخاصم والتشاجر ، واستدعوا عدله من غير **ارتياب** في أنه يحكم بالعدل. وقرأ الجمهور : ﴿ولا تشطط﴾ ، مفكوكا من أشط رباعيا ؛ وأبو رجاء ، وابن أبي عبلة ، وقتادة ، والحسن ، وأبو حيوة : تشطط ، من شط ثلاثيا. وقرأ قتادة أيضا : تشط ، مدغما من أشط. وقرأ زر : تشاطط ، بضم التاء وبالألف على وزن تفاعل ، مفكوكا. وعن قتادة أيضا : تشطط من شطط ، ﴿سوآء الصراط﴾ : وسط طريق الحق ، لا ميل فيه من هنا ولا هنا.

." (١)

"و﴿أهل الكتاب﴾ : اليهود والنصارى. ﴿إلا بالتى هى أحسن﴾ : من الملاطفة في الدعاء إلى الله والتنبيه على آياته. ﴿إلا الذين ظلموا ﴾ : ممن لم يؤد جزية ونصب الحرب ، وصرح بأن لله ولدا أو شريكا ، أو يده مغلولة ؛ فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب ، قاله مجاهد ومؤمنو أهل الكتاب. ﴿إلا بالتى هى أحسن﴾ : أي بالموافقة فيما حدثوكم به من أحبار أوائلهم. ﴿إلا الذين ظلموا ﴾ : من بقي منهم على كفره ، وعد لقريظة والنضير ، قاله ابن زيد ، والآية على هذا محكمة. وقيل : إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال قتادة : الآية منسوخة بقوله : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون﴾ الآية. وقرأ الجمهور : إلا ، حرف استثناء ؛ وابن عباس : ألا ، حرف تنبيه واستفتاح ، وتقديره : ألا جادلوهم بالتي هي أحسن. ﴿وقولوا ءامنا﴾ : هذا من المجادلة بالأحسن. ﴿بالذى أنزل إلينا﴾ ، وهو القرآن ، ﴿وأنزل إليكم﴾ ، وهو التوراة والزبور والإنجيل.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

وفي صحيح البخاري ، عن أبي هريرة : كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم".

﴿وكذالك﴾ : أي مثل ذلك الإنزال الذي للكتب السابقة ، ﴿أنزلنآ إليك الكتاب﴾ : أي القرآن. ﴿فالذين ءاتيناهم الكتاب﴾ هم : عبد الله بن سلام ومن آمن معه. ﴿ومن ها ؤلاء﴾ : أي من أهل مكة. وقيل : ﴿فالذين ءاتيناهم الكتاب﴾ : أي الذين تقدموا عهد الرسول ، يؤمنون به : أي بالقرآن ، إذ هو مذكور في كتبهم أنه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ﴿ومن ها ؤلاء﴾ : أي ممن في عهده منهم. ﴿وما يجحد باايااتنآ﴾ ، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ، ﴿إلا الكافرون﴾ : أي من بني إسرائيل وغيرهم.

قال مجاهد : كان أهل الكتاب يقرأون في كتبهم أن محمدا عليه السلام ، لا يخط ولا يقرأ كتابا ، فنزلت : ﴿وما كنت تتلوا من قبله﴾ : أي من قبل نزوله عليك ، ﴿من كتاب﴾ : أي كتابا ، ومن زائدة لأنها في متعلق النفي ، ﴿ولا تخطه﴾ : أي لا تقرأ ولا تكتب ، ﴿بيمينك﴾ : وهي الجارحة التي يكتب بها ، وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة ، لما ذكر

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف /

إنزال الكتاب عليه ، متضمنا من البلاغة والفصاحة والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله. أخذ يحقق ، كونه نازلا من عند الله ، بأنه ظهر عن رجل أمي ، لا يقرأ ولا يكتب ، ولا يخالط أهل العلم. وظهور هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه ، وأكثر المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب قط ، ولم يقرأ بالنظر في كتاب.

وروي عن الشعبي أنه قال : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كتب وأسند النقاش. حديث أبي كبشة السلولي : أنه صلى الله عليه وسلم ، قرأ صحيفة لعيينة ابن حصن وأخبر بمعناها. وفي صحيح مسلم ما ظاهره : أنه كتب مباشرة ، وقد ذهب إلى ذلك جماعة ، منهم أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي ، والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهما. واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجي ، حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر. وتأول أكثر العلماء ما ورد من أنه كتب على أن معناه : أمر بالكتابة ، كما تقول : كتب السلطان لفلان بكذا ، أي أمر بالكتب. ﴿إذا ارتاب المبطلون﴾ : أي لو كان يقرأ كتبا قبل نزول القرآن عليه ، أو يكتب ، لحصلت الريبة للمبطلين ، إذا كانوا يقولون : حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه ، قيل : وخطه واستحفظه ؛ فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة ، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده. والمبطلون : أهل الكتاب ، قاله قتادة ؛ أو كفار قريش ، قاله مجاهد. وسموا مبطلين ، لأنهم كفروا به ، وهو أمي بعيد من الريب. ولما لم يكن قارئا ولا كاتبا ، كان ارتيابهم لا وجه له.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨

﴿بل هو﴾ : أي القرآن : ﴿بيناتا فسال﴾ : واضحات الإعجاز ، ﴿فى صدور الذين أوتوا العلم﴾ : أي مستقرة ، مؤمن من بها ، محفوظة في صدورهم ، يتلوها أكثر الأمة ظاهرا ، بخلاف غيره

١٥٥

(١) ".

"وسمعت الأستاذ أبا جعفر بن إبراهيم بن الزبير شيخنا يقول : ذلك إشارة إلى الصراط في قوله : ﴿اهدنا الصراط﴾ ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب. وبهذا الذي ذكره الأستاذ تبين وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد ، وهذا القول أولى لأنه إشارة إلى شيء سبق ذكره ، لا إلى شيء لم يجر له ذكر ، وقد ركبوا وجوها من الإعراب في قوله : ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ . والذي نختاره منها أن قوله : ﴿ذلك الكتاب﴾ جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ، لأنه متى أمكن حمل الكلام على غير إضمار ولا افتقار ، كان أولى أن يسلك به الإضمار والافتقار ، وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن ، لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه ، وأبعدها من التكلف ، وأسوغها في لسان العرب. ولسنا كمن جعل كلام الله تعالى كشعر امرىء القيس ، وشعر الأعشى ، يحمله جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الاحتمالات. فكما أن كلام الله من أفصح كلام ، فكذلك ينبغي إعرابه أن يحمل على أفصح الوجوه ، هذا على أنا إنما نذكر كثيرا مما ذكروه لينظر فيه ، فربما يظهر لبعض المتأملين ترجيح شيء منه ، فقالوا : يجوز أن

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف /

يكون ذلك خبر المبتدأ محذوف تقديره هو ذلك الكتاب ، والكتاب صفة أو بدل أو عطف بيان ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وما بعده خبرا. وفي موضع خبر ﴿الم﴾ ﴿لا ريب﴾ جملة تحتمل الاستئناف ، فلا يكون لها موضع من الإعراب ، وأن تكون في موضع خبر لذلك ، والكتاب صفة أو بدل أو عطف أو خبر بعد خبر ، إذا كان الكتاب خبرا ، وقلت بتعدد الأخبار التي ليست في معنى خبر واحد ، وهذا أولى بالبعد لتباين أحد الخبرين ، لأن الأول مفرد والثاني جملة ، وأن يكون في موضع نصب أي مبرأ من الريب ، وبناء ريب مع لا يدل على أنها العاملة عمل إن ، فهو في موضع نصب ولا وهو في موضع رفع بالابتداء ، فالمرفوع بعده على طريق الإسناد خبر لذلك المبتدأ فلم تعمل حالة البناء إلا النصب في الاسم فقط ، هذا مذهب سيبويه. وأما الأخفش فذلك المرفوع خبر للا ، فعملت عنده النصب والرفع ، وتقرير هذا في كتب النحو. وإذا عملت عمل إن أفادت الاستغراق فنفت هنا كل ريب ، والفتح هو قراءة الجمهور.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢

وقرأ أبو الشعثاء : ﴿لا ريب فيه﴾ بالرفع ، وكذا قراءة زيد بن علي حيث رفع ، والمراد أيضا هنا الاستغراق ، لا من اللفظ بل من دلالة المعنى ، لأنه لا يريد نفي ريب واحد عنه ، وصار نظير من قرأ : ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ بالبناء والرفع ، لكن البناء يدل بلفظه على قضية العموم ، والرفع لا يدل لأنه يحتمل العموم ، ويحتمل نفي الوحدة ، لكن سياق الكلام يبين أن المراد العموم ، ورفعه على أن يكون ريب مبتدأ وفيه الخبر ، وهذا ضعيف لعدم تكرار لا ، أو يكون عملها إعمال ليس ، فيكون فيه في موضع نصب على قول الجمهور من أن لا إذا عملت عمل ليس رفعت الإسم ونصبت الخبر ، أو على مذهب من ينسب العمل لها في رفع الإسم خاصة ، وأما الخبر فمرفوع لأنها وما عملت فيه في موضع رفع بالابتداء كحالها إذا نصبت وبني الإسم معها ، وذلك في مذهب سيبويه ، وسيأتي الكلام مشبعا في ذلك عند قوله تعالى : ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ ، وحمل لا في قراءة لا ريب على أنها تعمل عمل ليس ضعيف لقلة إعمال لا عمل ليس ، فلهذا كانت هذه القراءة

٣٦

ضعيفة. وقرأ الزهري ، وابن محيصن ، ومسلم بن جندب ، وعبيد بن عمير ، فيه : بضم الهاء ، وكذلك إليه وعليه وبه ونصله ونوله وما أشبه ذلك حيث وقع على الأصل. وقرأ ابن أبي إسحاق : فهو بضم الهاء ووصلها بواو ، وجوزوا في قوله : أن يكون خبرا للا على مذهب الأخفش ، وخبرا لها مع اسمها على مذهب سيبويه ، أن يكون صفة والخبر محذوف ، وأن يكون من صلة ريب بمعنى أنه يضمر عامل من لفظ ريب فيتعلق به ، إلا أنه يكون متعلقا بنفس لا ريب ، إذ يلزم إذ ذاك إعرابه ، لأنه يصير اسم لا مطولا بمعموله نحو لا ضاربا زيدا عندنا ، والذي نختاره أن الخبر محذوف لأن الخبر في باب لا العاملة عمل إن إذا علم لم تلفظ به بنو تميم ، وكثر حذفه عند أهل الحجاز ، وهو هنا معلوم ، فاحمله على أحسن الوجوه في الإعراب ، وإدغام الباء من لا ريب في فاء فيه مروي عن أبي عمرو ، والمشهور عنه الإظهار ، وهي رواية اليزيدي عنه. وقد قرأته بالوجهين على الأستاذ أبي جعفر بن الطباع بالأندلس ، ونفي الريب يدل على نفي الماهية ، أي ليس مما يحله الريب ولا يكون فيه ، ولا يدل ذلك على نفي الارتياب لأنه قد وقع ارتياب من ناس كثيرين. فعلى ما قلناه لا يحتاج

إلى حمله على نفي التعليق والمظنة ، كما حمله الزمخشري ، ولا يرد علينا قوله تعالى : ﴿وإن كنتم فى ريب﴾ لاختلاف الحال والمحل ، فالحال هناك المخاطبون ، والريب هو المحل ، والحال هنا منفي ، والمحل الكتاب ، فلا تنافي بين كونهم في ريب من القرآن وكون الريب منفيا عن القرآن.." (١)

"وبالآخرة : تقدم أن المعنى بها الدار الآخرة للتصريح بالموصوف في بعض الآي ، وحمله بعضهم على النشأة الآخرة ، إذ قد جاء أيضا مصرحا بهذا الموصوف ، وكلاهما يدل على البعث. وأكد أمر الآخرة بتعلق الإيقان بها الذي هو أجلى وآكد مراتب العلم والتصديق ، وإن كان في الحقيقة لا تفاوت في العلم والتصديق دفعا لمجاز إطلاق العلم ، ويراد به الظن ، فذكر أن الإيمان والعلم بالآخرة لا يكون إلا إيقانا لا يخالطه شيء من الشك **والارتياب**. وغاير بين الإيمان بالمنزل والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة لتكرار ، وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة ، وما أعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين ، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب ، ونشأة أصحابها على خلاف النشأة الدنيوية ورؤية الله تعالى. فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل ، فلذلك خص بلفظ الإيقان ، ولأن المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهد أو كالمشاهد ، والآخرة غيب صرف ، فناسب تعليق اليقين بما كان غيبا صرفا. قالوا : والإيقان هو العلم الحادث سواء كان ضروريا أو استدلاليا ، فلذلك لا يوصف به الباري تعالى ، ليس من صفاته الموقن وقدم المجرور اعتناء به ولتطابق الأواخر. وإيراد هذه الجملة إسمية وإن كانت الجملة معطوفة على جملة فعلية آكد في الإخبار عن هؤلاء بالإيقان ، لأن قولك : ريد فعل آكد من فعل زيد لتكرار الإسم في الكلام بكونه مضمرا ، وتصديره مبتدأ بشعر بالاهتمام بالمحكوم عليه ، كما أن التقديم للفعل مشعر بالاهتمام بالمحكوم به. وذكر لفظة هم في قوله : ﴿هم يوقنون﴾ ، ولم يذكر لفظة هم في قوله : ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ لأن وصف إيقانهم بالآخرة أعلى من وصفهم بالإنفاق ، فاحتاج هذا إلى التوكيد ولم يحتج ذلك إلى تأكيد ، ولأنه لو ذكرهم هناك لكان فيه قلق لفظي ، إذ كان يكون ومما رزقناهم هم ينفقون.

أولئك : اسم إشارة

٤٢

للجمع يشترك فيه المذكر والمؤنث. والمشهور عند أصحابنا أنه للرتبة القصوى كأولالك ، وقال بعضهم هو للرتبة الوسطى ، قاسه على ذا حين لم يزيدوا في الوسطى عليه غيرحرف الخطاب ، بخلاف أولالك. ويضعف قوله كون هاء التنبيه لا تدخل عليه. وكتبوه بالواو فرقا بينه وبين إليك ، وبنى لافتقاره إلى حاضر يشار إليه به ، وحرك لالتقاء الساكنين ، وبالكسر على أصل التقائهما. الفلاح : الفوز والظفر بإدراك البغية ، أو البقاء ، قيل : وأصله الشق والقطع :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢

إن الحديد بالحديد يفلح

وفي تشاركه في معنى الشق مشاركة في الفاء والعين نحو : فلي وفلق وفلذ ، تقدم في إعراب الذين يؤمنون بالغيب ، إن من وجهي رفعه كونه مبتدأ ، فعلى هذا يكون أولئك مع ما بعده مبتدأ وخبر في موضع خبر الذين ، ويجوز أن يكون بدلا

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٢١/١

وعطف بيان ، ويمتنع الوصف لكونه أعرف. ويكون خبر الذين إذ ذاك قوله : ﴿على هدى﴾ ، وإن كان رفع الذين على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أو كان مجرورا أو منصوبا ، كان أولئك مبتدأ خبره ﴿على هدى﴾ ، وقد تقدم أنا لا نختار الوجه الأول لانفلاته مما قبله والذهاب به مذهب الاستئناف مع وضوح اتصاله بما قبله وتعلقه به ، وأي فائدة للتكلف والتعسف في الاستئناف فيما هو ظاهر التعلق بما قبله والارتباط به. وقد وجه الزمخشري وجه الاستئناف بأنه لما ذكر أن الكتاب اختص المتقون بكونه هدى لهم ، اتجه لسائل أن يقول : ما بال المتقين مخصوصين بذلك ؟ فأجيب بأن الذين جمعوا هذه الأوصاف الجليلة من الإيمان بالغيب ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق ، والإيمان بالمنزل ، والإيقان بالآخرة على هدى في العاجل ، وذوو فلاح في الآجل. ثم مثل هذا الذي قرره من الاستئناف بقوله : أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين قارعوا دونه ، فكشفوا الكرب عن وجهه ، أولئك أهل للمحبة ، يعني أنه استأنف فابتدأ بصفة المتقين ، كما استأنف بصفة الأنصار.

وعلى ما اخترناه من الاتصال يكون قد وصف المتقين بصفات مدح فضلت جهات التقوى ، ثم أشار إليهم وأعلم بأن من حاز هذه الأوصاف الشريفة هو على هدى ، وهو المفلح والاستعلاء الذي أفادته في قوله : ﴿على هدى﴾ ، هو مجاز نزل المعنى منزلة العين ، وأنهم لأجل ما تمكن رسوخهم في الهداية جعلوا كأنهم استعلوه كما تقول : فلان على الحق ، وإنما حصل لهم هذا الاستقرار على الهدى بما اشتملوا عليه من الأوصاف المذكورة في وصف الهدى بأنه من ربهم ، أي كائن من ربهم ، تعظيم للهدى الذي هم عليه. ومناسبة ذكر الرب هنا واضحة ، أي أنه لكونه ربهم بأي تفاسيره فسرت ناسب أن يهيىء لهم أسباب السعادتين : الدنيوية والأخروية ، فجعلهم في الدنيا على هدى ، ﴿هم المفلحون﴾ . وقد تكون ثم صفة محذوفة أي على هدى ، وحذف الصفة لفهم المعنى جائز ، وقد لا يحتاج إلى تقدير الصفة لأنه لا يكفي مطلق الهدى المنسوب إلى الله تعالى. ومن لابتداء الغاية أو للتبعيض على حذف مضاف ، أي من هدى ربهم.

". (١)

"وأما القانون الطبي ، فإن الحكماء وصفوا القلب على ما اقتضاه علم التشريح ، ثم قالوا : إذا حصلت فيه مادة غليظة ، فإن تملكت منه ومن غلافه أو من أحدهما فلا يبقى مع ذلك حياة وعاجلت المنية صاحبه ، وربما تأخرت تأخيرا يسيرا ، وإن لم تتمكن منه المادة المنصبة إليه ولا من غلافه ، أخرت الحياة مدة يسيرة ؟ وقالوا : لا سبيل إلى بقاء الحياة مع مرض القلب ، وعلى هذا الذي تقرر لا تكون قلوبهم مريضة حقيقة. وقد تلخص في القرآن من المعاني السببية التي تحصل في القلب سبعة وعشرون مرضا ، وهي : الرين ، والزيغ ، والطبع ، والصرف ، والضيق ، والحرج ، والختم ، والإقفال ، والإشراب ، والرعب ، والقساوة ، والإصرار ، وعدم التطهير ، والنفور ، والاشمئزاز ، والإنكار ، والشكوك ، والعمى ، والإبعاد بصيغة اللعن ، والتأبي ، والحمية ، والبغضاء ، والغفلة ، والغمزة ، واللهو ، **والارتياب** ، والنفاق. وظاهر آيات القرآن تدل على أن هذه الأمراض معان تحصل في القلب فتغلب عليه ، وللقلب أمراض غير هذه من الغل والحقد

٥٨

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٢٧/١

والحسد ، ذكرها الله تعالى مضافة إلى جملة الكفار. والزيادة تجاوز المقدار المعلوم ، وعلم الله محيط بما أضمروه ومن سوء الاعتقاد والبغض والمخادعة ، فهو معلوم عنده ، كما قال تعالى : ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ ، وفي كل وقت يقذف في قلوبهم من ذلك القدر المعلوم شيئا معلوم المقدار عنده ، ثم يقذف بعد ذلك شيئا آخر ، فيصير الثاني زيادة على الأول ، إذا لو لم يكن الأول معلوم المقدار لما تحققت الزيادة ، وعلى هذا المعنى يحمل : ﴿فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ . وزيادة المرض إما من حيث أن ظلمات كفرهم تحل في قلوبهم شيئا فشيئا ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى : ﴿ظلماتا بعضها فوق بعض﴾ ، أو من حيث أن المرض حصل في قلوبهم بطريق الحسد أو الهم ، بما يجدد الله سبحانه لدينه من علو الكلمة ولرسوله وللمؤمنين من النصر ونفاذ الأمر ، أو لما يحصل في قلوبهم من الرعب ، وإسناد الزيادة إلى الله تعالى إسناد حقيقي بخلاف الإسناد في قوله تعالى : ﴿فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ ﴿أيكم زادته هاذها إيمانا ﴾ وقالت المعتزلة : لا يجوز أن تكون زيادة المرض من جنس المزيد عليه ، إذ المزيد عليه هو الكفر ، فتأولوا ذلك على أن يحمل المرض على الغم لأنهم كانوا يغتمون بعلو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو على منع زيادة الألطاف ، أو على ألم القلب ، أو على فتور النية في المحاربة لأنهم كانت أولا قلوبهم قوية على ذلك ، أو على أن كفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكليف من الله تعالى. وهذه التأويلات كلها إنما تكون إذا كان قوله :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥١

﴿فزادهم الله مرضا ﴾ خبرا ، وإما إذا كان دعاء فلا ، بل يحتمل أن يكون الدعاء حقيقة فيكون دعاء بوقوع زيادة المرض ، أو مجازا فلا تقصد به الإجابة لكون المدعو به واقعا ، بل المراد به السب واللعن والنقص ، كقوله تعالى : ﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ ، ﴿ثم انصرفوا ا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ، وكقوله : لعن الله إبليس وأخزاه ومعلوم أن ذلك قد وقع ، وأنه قد باء بخزي ولعن لا مزيد عليه لأنه لا انتهاء له ، وتنكير مرض من قوله : ﴿فى قلوبهم مرض﴾ لا يدل على أن جميع أجناس المرض في قلوبهم ، كما زعم بعض المفسرين ، لأن دلالة النكرة على ما وضعت له إنما هي دلالة على طريقة البدل ، لأنها دلالة تنتظم كل فرد فرد على جهة العموم ، ولم يحتج إلى جمع مرض لأن تعداد المحال يدل على تعداد الحال عقلا ، فاكتفى بالمفرد عن الجمع ، وتعدية الزيادة إليهم لا إلى القلوب ، إذ قال تعالى : ﴿فزادهم﴾ ، ولم يقل : فزادها ، يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون على حذف مضاف ، أي فزاد الله قلوبهم مرضا ، والثاني : أنه زاد ذواتهم مرضا لأن مرض القلب مرض لسائر الجسد ، فصح نسبه الزيادة إلى الذوات ، ويكون ذلك تنبيها على أن في ذواتهم مرضا ، وإنما أضاف ذلك إلى قلوبهم لأنها محل الإدراك والعقل. وأمال حمزة فزادهم في عشرة أفعال ألفها منقلبة عن ياء إلا فعلا واحدا ألفه منقلبة عن واو ووزنه فعل بفتح العين ، إلا ذلك الفعل فإن وزنه فعل بكسر العين ، وقد جمعتها في بيتين في قصيدتي المسماة ، بعقد اللآلي في القراءآت السبع العوالي ، وهما :

وعشرة أفعال تمال لحمزةفجاء وشاء ضاق ران وكملا

." (١)

(١) تفسير البحر المحيط. موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٤١/١

"وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري في تضعيف عين الكلمة هنا ، هو الذي يعبر عنه بالتكثير ، أي يفعل ذلك مرة بعد مرة ، فيدل على هذا المعنى بالتضعيف ويعبر عنه بالكثرة. وذهل الزمخشري عن إن ذلك إنما يكون غالبا في الأفعال التي تكون قبل التضعيف متعدية ، نحو : جرحت زيدا ، وفتحت الباب ، وقطعت ، وذبحت ، لا يقال : جلس زيد ، ولا قعد عمر ، ولا صوم جعفر ، ونزلنا لم يكن متعديا قبل التضعيف إنما كان لازما ، وتعديه إنما يفيده التضعيف أو الهمزة ، فإن جاء في لازم فهو قليل. قالوا : مات المال ، وموت المال ، إذا كثر ذلك فيه ، وأيضا ، فالتضعيف الذي يراد به التكثير إنما يدل على كثرة وقوع الفعل ، أما أن يجعل اللازم متعديا فلا ، ونزلنا قبل التضعيف كان لازما ولم يكن متعديا ، فيكون التعدي المستفاد من التضعيف دليلا على أنه للنقل لا للتكثير ، إذ لو كان للتكثير ، وقد دخل على اللازم ، بقي لازما نحو : مات المال ، وموت المال. وأيضا فلو كان التضعيف في نزل مفيدا للتنجمي لاحتاج قوله تعالى : ﴿لولا نزل عليه القرءان جملة واحدة﴾ إلى تأويل ، لأن التضعيف دال على التنجمي والتكثير ، وقوله : ﴿جملة واحدة﴾ ينافي ذلك. وأيضا فالقراءات بالوجهين في كثير مما جاء يدل على أنهما بمعنى واحد. وأيضا مجيء نزل حيث لا يمكن فيه التكثير والتنجيم إلا على تأويل بعيد جدا يدل على ذلك.

قال تعالى : ﴿وقالوا لولا نزل عليه ءاية﴾ ، وقال تعالى : ﴿قل لو كان فى الارض ملئاكة يمشون مطمانين لنزلنا عليهم من السمآء ملكا رسولا﴾ ، ليس المعنى على أنهم اقترحوا تكرير نزول الآية ، ولا أنه علق تكرير نزول ملك رسول على تقدير كون ملائكة في الأرض ، وإنما المعنى ، والله أعلم ، مطلق الإنزال. وفي نزلنا التفات لأنه انتقال من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، لأن قبله ﴿اعبدوا ربكم﴾ و﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ . فلو جرى الكلام على هذا السياق لكان مما نزل على عبده ، لكن في هذا الالتفات من التفخيم للمنزل والمنزل عليه ما لا يؤديه ضمير غائب ، لا سيما كونه أتى بنا المشعرة بالتعظيم التام وتفخيم الأمر ونظيره ، ﴿وهو الذى أنزل من السمآء مآء فأخرجنا﴾ ، وتعدي نزل بعلى إشارة إلى استعلاء المنزل على المنزل عليه وتمكنه منه ، وأنه قد صار كالملابس له ، بخلاف إلى فإنها تدل على الانتهاء والوصول.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٠١

ولهذا المعنى الذي أفادته على تكرار ذلك في القرآن في آيات ، قال تعالى : ﴿نزل عليك الكتاب بالحق﴾ ، طه ﴿مآ أنزلنا عليك القرءان لتشقى ﴾ ، ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب﴾

١٠٣

. وفي إضافة العبد إليه تعالى تنبيه على عظيم قدره ، واختصاصه بخالص العبودية ، ورفع محله وإضافته إلى نفسه تعالى ، واسم العبد عام وخاص ، وهذا من الخاص :

لا تدعني إلا بيا عبدهالأنه أشرف أسمائي

ومن قرأ : على عبادنا بالجمع ، فقيل : يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته ، قاله الزمخشري ، وصار نظير قوله تعالى : ﴿إنمآ أنزل الكتاب على طآئفتين من قبلنا﴾ ، لأن جدوى المنزل والهداية الحاصلة به من امتثال التكاليف ، والموعود على ذلك لا يختص بل يشترك فيه المتبوعون والتباع ، فجعل كأنه نزل عليهم. وذلك نوع من المجاز يجعل فيه من لم يباشر الشيء إذا كان مكلفا به منزلة من باشر ، ويحتمل أن يريد به النبيين الذين أنزل عليهم الوحي ، والكتب والرسول أول مقصود

بذلك ، وأسبق داخل في العموم ، لأنه هو الذي طلب معاندوه بالتحدي في كتابه ، ويكون ذلك خطابا لمنكري النبوات ، كما قال تعالى ، حكايةعن بعضهم : ﴿وما قدروا الله حق قدرها إذ قالوا مآ أنزل الله على بشر من شيء ﴾ . ويحتمل أن يراد بالمفرد الجمع. وتبينه هذه القراءة كقوله تعالى : ﴿واذكر عبادنآ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الايدى والابصار﴾ ، في قراءة من أفرد ، فيكون إذ ذاك للجنس.

فأتوا بسورة : طلب منهم الإتيان بمطلق سورة ، وهي القطعة من القرآن التي أقلها ثلاث آيات ، فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فتعنتوا في ذلك ، بل سهل عليهم وأراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ما ، وهذا هو غاية التبكيت والتخجيل لهم. فإذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدوكم بالإتيان بسورة من مثله ، فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم ؟ وكيف يلحقكم في ذلك ارتياب أنه من عند الله ؟." (١)

"وقد تعرض الزمخشري هنا لذكر فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا ، وليس ذلك من علم التفسير ، وإنما هو من فوائد التفصيل والتسوير. من مثله : الهاء عائدة على ما ، أو على عبدنا ، والراجح الأول وهو قول أكثر المفسرين ورجحانه من وجوه : أحدها : أن الارتياب أولا إنما جيء به منصبا على المنزل لا على المنزل عليه ، وإن كان الريب في المنزل ريبا في المنزل عليه بالالتزام ، فكان عود الضمير عليه أولى. الثاني : أنه قد جاء في نظير هذه الآية وهذا السياق قوله : ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ ﴿على أن يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله﴾ . الثالث : اقتضاء ذلك كونهم عاجزين عن الإتيان ، سواء اجتمعوا أو انفردوا ، وسواء كانوا أميين أم كانوا غير أميين ، وعوده على المنزل يقتضي كون آحاد الأدميين عاجزا عنه ، لأنه لا يكون مثله إلا الشخص الواحد الأمي. فأما لو اجتمعوا أو كانوا قارئين فلا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى ، فإذا جعلنا الضمير عائدا على المنزل ، فمن : للتبعيض وهي في موضع الصفة لسورة أي بسورة كائنة من مثله.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٠١

ويظهر من كلام الزمخشري تناقض في من هذه قال : من مثله متعلق بسورة صفة لها ، أي بسورة كائنة من مثله فقوله متعلق بسورة يقتضي أن يكون معمولا لها ، وقوله صفة لها ، أي بسورة كائنة من مثله يقتضي أن لا يكون معمولا لها فتناقض كلامه ودافع آخره أوله ، ولكن يحمل على أنه لا يريد التعلق الصناعي كتعلق الباء في نحو : مروري بزيد حسن ، لكنه يريد التعلق المعنوي ، أي تعلق الصفة بالموصوف ، واحترز من القول الآخر أنها تتعلق بقوله : فأتوا ، فلا يكون من مثله عائدا على المنزل ، على ما سيأتي تبيينه إن شاء الله. وأجاز المهدوي وأبو محمد بن عطية أن تكون لبيان الجنس على تقدير أن يكون الضمير عائدا على المنزل ، وتفسر المثلية بنظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي تعرفونها ، ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص به القرآن ، أو في غيوبه وصدقه ، وأجازا على هذا الوجه أيضا أن تكون زائدة ، وستأتي الأقوال في تفسير المثلية على عود الضمير إلى المنزل ، إن شاء الله.

١٠٤

وقد اختلف النحويون في إثبات هذا المعنى لمن ، والذي عليه أصحابنا أن من لا تكون لبيان الجنس ، والفرق بين كونها

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٨٣/١

للتبعيض ولبيان الجنس مذكور في كتب النحو. وأما كونها زائدة في هذا الموضع فلا يجوز ، على مذهب الكوفيين وجمهور البصريين. وفي المثلية على كون الضمير عائدا على المنزل أقوال : الأول : من مثله في حسن النظم ، وبديع الرصف ، وعجيب السرد ، وغرابة الأسلوب وإيجازه وإتقان معانيه. الثاني : من مثله في غيوبه من إخباره بما كان وبما يكون. الثالث : في احتوائه على الأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد ، والقصص ، والحكم ، والمواعظ ، والأمثال. الرابع : من مثله في صدقه وسلامته من التبديل والتحريف. الخامس : من مثله ، أي كلام العرب الذي هو من جنسه. السادس : في أنه لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تمله الأسماع ، ولا يمحوه الماء ، ولا تغنى عجائبه ، ولا تنتهي غرائبه ، ولا تزول طلاوته على تواليه ، ولا تذهب حلاوته من لهوات تاليه. السابع : من مثله في دوام آياته وكثرة معجزاته. الثامن : من مثله ، أي مثله في كونه من كتب الله المنزلة على من قبله ، تشهد لكم بأن ما جاءكم به ليس هو من عند الله ، كما قال تعالى : ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ وإن جعلنا الضمير عائدا على المنزل عليه ، فمن متعلقة بقوله : فأتوا من مثل الرسول بسورة. ومعنى من على هذا الوجه ابتداء الغاية ، ويجوز أن تكون في موضع الصفة فتتعلق بمحذوف. وهي أيضا لابتداء الغاية ، أي بسورة كائنة من رجل مثل الرسول ، أي ابتداء كينونتها من مثله.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٠١

وفي المثلية على كون الضمير عائدا على المنزل على أقوال : الأول : من مثله من أمي لا يحسن الكتابة على الفطرة الأصلية. الثاني : من مثله لم يدارس العلماء ، ولم يجالس الحكماء ، ولم يؤثر عنه قبل ذلك تعاطي الأخبار ، ولم يرحل من بلده إلى غيره من الأمصار. الثالث : من مثله على زعمكم أنه ساحر شاعر مجنون. الرابع : من مثله من أبناء جنسه وأهل مدرته ، وذكر المثل في قوله : من مثله هو على سبيل الفرض على أكثر الأقوال التي فسرت بها المماثلة ، إذا كان الضمير عائدا على المنزل ، وعلى بعضها لا يكون على سبيل الفرض ، وهو على قول من فسر أنه أراد بالمثل : كلام العرب الذي هو من جنسه ، وأما إذا كان عائدا على المنزل عليه فليس على سبيل الفرض ، لوجود أمي لا يحسن الكتابة ، ولوجود من لم يدارس العلماء ، ولوجود من هو ساحر على زعمهم ذلك في المنزل عليه.

". (١)

"وتسمية جبريل بذلك ، لأن الغالب على جسمه الروحانية ، وكذلك سائر الملائكة ، أو لأنه يحيا به الدين ، كما يحيا البدن بالروح ، فإنه هو المتولي لإنزال الوحي ، أو لتكوينه روحا من غير ولادة. وتأييد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته وأمر دينه ، أو لدفع اليهود عنه ، إذ أرادوا قتله ، أو في جميع أحواله. واختار الزمخشري أن معناه : بالروح المقدسة ، قال : كما يقال حاتم الجود ، ورجل صدق. ووصفها بالقدس كما قال : وروح منه ، فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة. انتهى كلامه. وقد تقدم معنى القدس أنه الطهارة أو البركة. وقال مجاهد والربيع : القدس من أسماء الله تعالى ، كالقدوس. قالوا : وإطلاق الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى اسم الله الأعظم مجاز ، لأن الروح هو الريح

٢٩٩

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ١/٨٤

المتردد في مخارق الإنسان في منافذه. ومعلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك ، إلا أن كلا منها أطلق الروح عليه على سبيل التشبيه ، من حيث إن الروح سبب للحياة ، فجبريل هو سبب لحياة القلوب بالعلوم ، والإنجيل سبب لظهور الشرائع وحياتها ، والاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض. والمشابهة بين جبريل والروح أتم ، ولأن هذه التسمية فيه أظهر ، ولأن المراد من أيدناه : قويناه وأعناه ، وإسنادها إلى جبريل حقيقة ، وإلى الإنجيل والاسم الأعظم مجاز. ولأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص ، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك ، لأنه هو الذي بشر مريم بولادته ، وتولد عيسى بنفخه ، ورباه في جميع الأحوال ، وكان يسير معه حيث سار ، وكان معه حيث صعد إلى السماء.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿أفكلما جآءكم رسولا بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم﴾ : الهمزة أصلها للاستفهام ، وهي هنا للتوبيخ والتقريع. والفاء لعطف الجملة على ما قبلها ، واعتنى بحرف الاستفهام فقدم ، والأصل فأكلما. ويحتمل أن لا يقدر قبلها محذوف ، بل يكون العطف على الجمل التي قبلها ، كأنه قال : ولقد آتينا يا بني إسرائيل ، آتيناكم ما آتيناكم. فكلما جاءكم رسول. ويحتمل أن يقدر قبلها محذوف ، أي فعلتم ما فعلتم من تكذيب فريق وقتل فريق. وقد تقدم الكلام على كلما في قوله تعالى : ﴿كلما رزقوا منها﴾ ، فأغنى عن إعادته. والنصاب لها قولها : ﴿استكبرتم﴾ . والخطاب في جاءكم يجوز أن يكون عاما لجميع بني إسرائيل ، إذ كانوا على طبع واحد من سوء الأخلاق ، وتكذيب الرسل ، وكثرة سؤالهم لأنبيائهم ، والشك والارتياب فيما أتوهم به ، أو يكون عائدا إلى أسلافهم الذين فعلوا ذلك. وسياق الآيات يدل عليه أو إلى من بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبنائهم ، لأنهم راضون بفعلهم ، والراضي كالفاعل. وقد كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، وسقوه السم ليقتلوه ، وسحروه. وبما : متعلق بقوله : جاءكم ، وما موصولة ، والعائد محذوف ، أي لا تهواه. وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق ، ومنه هذه الآية. وأسند الهوى إلى النفس ، ولم يسند إلى ضمير المخاطب ، فكان يكون بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة ، ﴿إن النفس لامارة بالسواء﴾ ، ﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ ، ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم﴾ . استكبرتم : استفعل هنا : بمعنى تفعل ، وهو أحد معاني استفعل. وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بأنه سفه الحق وغمط الناس. والمعنى قيل : استكبرتم عن إجابته احتقارا للرسول. أو استبعادا للرسالة ، وفي ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذي هو محل النقصائص ونتيجة الإعجاب. وهو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق ، وإن ذلك كان يتكرر منهم بتكرر مجيء الرسل إليهم ، وهو كما ذكرنا استبكار بمعنى التكبر ، وهو مشعر بالتكلف والتفعل ، لذلك لا أنهم يصيرون بذلك كبراء عظماء ، بل يتفعلون ذلك ولا يبلغون حقيقته ، لأن الكبرياء إنما هي لله تعالى ، فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٩٦

﴿ففريقا كذبتم﴾ : ظاهره أنه معطوف على قوله : استكبرتم ، فنشأ عن الاستكبار مبادرة فريق من الرسل بالتكذيب فقط ، حيث لا يقدرون على قتله ، وفريق بالقتل إذا قدروا على قتله. وتهيأ لهم ذلك ، ويضمن أن من قتلوه فقد كذبوه. واستغنى عن التصريح بتكذيبه للعلم بذلك ، فذكر أقبح أفعالهم معه ، وهو قتله. وأجاز أبو القاسم الراغب أن ﴿ففريقا كذبتم﴾

معطوفا على قوله : ﴿وأيدناه﴾ ، ويكون قوله : أفكلما مع ما بعده فصلا بينهما على سبيل الإنكار. والأظهر في ترتيب الكلام الأول ، وهذا أيضا محتمل ، وأخر العامل وقدم المفعول ليتواخى رؤوس الآي ، وثم محذوف تقديره : ففريقا منهم كذبتم ، وبدأ بالتكذيب لأنه أول ما يفعلونه من الشر ، ولأنه المشترك بين الفريقين : المكذب والمقتول.
﴿وفريقا تقتلون﴾ : وأتى بفعل القتل مضارعا ، إما لكونه حكيت
(١) ".

"﴿كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم﴾ : تقدم الكلام في إعراب كذلك ، وفي تبيين وقوع من قبلهم صلة للذين في قوله : ﴿والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ والذين من قبلهم. إن فسر الموصول في الذين لا يعلمون بكفار العرب ، أو مشركي مكة ، فالذين من قبلهم هم الأمم المكذبة من أسلافهم وغيرهم. وإن فسر باليهود أو النصارى ، فالذين من قبلهم
٣٦٦
أسلافهم ، وانتصاب مثل قولهم على البدل من موضع الكاف. ولا تدل المثلية على التماثل في نفس المقول ، بل يحتمل أن من قبلهم اقترحوا غير ذلك ، وأن المثلية وقعت في اقتراح ما لا يليق سؤاله ، وإن لم تكن نفس تلك المقالة ، إذ المثلية تصدق بهذا المعنى. ﴿تشابهت قلوبهم﴾ : الضمير عائد على ﴿الذين لا يعلمون﴾ ، ﴿والذين من قبلهم﴾ . لما ذكر تماثل المقالات ، وهي صادرة عن الأهواء والقلوب ، ذكر تماثل قلوبهم في العمى والجهل ، كقوله تعالى : ﴿أتواصوا بها﴾ . قيل : تشابهت قلوبهم في الكفر. وقيل : في القسوة. وقيل : في التعنت والاقتراح. وقيل : في المحال. وقرأ ابن أبي إسحاق ، وأبو حيوة : تشابهت ، بتشديد الشين. وقال أبو عمرو الداني : وذلك غير جائز ، لأنه فعل ماض ، يعني أن اجتماع التاءين المزيدتين لا يكون في الماضي ، إنما يكون في المضارع نحو : تتشابه ، وحينئذ يجوز فيه الإدغام. أما الماضي فليس أصله تتشابه. وقد مر نظير هذه القراءة في قوله : ﴿إن البقر تشابه علينا﴾ ، وخرجنا ذلك على تأويل لا يمكن هنا ، فيتطلب هنا تأويل لهذه القراءة.
﴿قد بينا الايات لقوم يوقنون﴾ : أي أوضحنا الآيات ، فاقتراح آية مع تقدم مجيء آيات وإيضاحها ، إنما هو على سبيل التعنت. هذا ، وهي آيات مبينات ، لا لبس فيها ، ولا شبهة ، لشدة إيضاحها. لكن لا يظهر كونها آيات إلا لمن كان موقنا ، أما من كان في ارتياب ، أو شك ، أو تغافل ، أو جهل ، فلا ينفع فيه الآيات ، ولو كانت في غاية الوضوح. ألا ترى إلى قولهم : ﴿إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ ؟ وقول أبي جهل ، وقد سأل أهل البوادي الوافدين إلى مكة عن انشقاق القمر ، فأخبروه به ، فقال بعد ذلك : هذا سحر مستمر. ولما ذكر أن اقتراح ما تقدم إنما هو من أهواء الذين لا يعلمون ، قال في آخرها : ﴿لقوم يوقنون﴾ . والإيقان : وصف في العلم يبلغ به نهاية الوثاقة في العلم ، أي من كان موقنا ، فقد أوضحنا له الآيات ، فآمن بها ، ووضحت عنده ، وقامت به الحجة على غيره. وفي جميع الآيات رد على من اقتراح آية ، إذ الآيات قد بينت ، فلم يكن آية واحدة ، فيمكن أن يدعي الالتباس فيها ، بل ذلك جمع آيات بينات ، لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم والتبصر واليقين.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ١/٢٥٧

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

﴿إنآ أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ﴾ : بشيرا لمن آمن ، ونذيرا لمن كفر. وهذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه لما ذكر أنه بين الآيات ، ذكر من بينت على يديه ، فأقبل عليه وخاطبه صلى الله عليه وسلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال : ﴿إنآ أرسلناك بالحق﴾ ، أي بالآيات الواضحة ، وفسر الحق هنا بالصدق وبالقرآن وبالإسلام. وبالحق في موضع الحال ، أي أرسلناك ومعك الحق لا يزايلك. وانتصاب بشيرا ونذيرا على الحال من الكاف ، ويحتمل أن يكون حالا من الحق ، لأن ما جاء به من الحق يتصف أيضا بالبشارة والنذارة. والأظهر الأول. وعدل إلى فعيل للمبالغة ، لأن فعيلا من صفات السجايا ، والعدل في بشير للمبالغة ، مقيس عند سيبويه ، إذا جعلناه من بشر لأنهم قالوا بشر مخففا ، وليس مقيسا في نذير لأنه من أنذر ، ولعل محسن العدل فيه كونه معطوفا على ما يجوز ذلك فيه ، لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت ، كما قالوا : أخذه ما قدم وما حدث وشبهة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٤

﴿ولا تسال عن أصحاب الجحيم﴾ : قراءة الجمهور : بضم التاء واللام. وقرأ أبي : وما تسأل. وقرأ ابن مسعود : ولن تسأل ، وهذا كله خبر. فالقراءة الأولى ، وقراءة أبي يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة ، وهو الأظهر ، ويحتمل أن تكون في موضع الحال. وأما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف ، والمعنى على الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا ، لأن ذلك ليس إليك ، ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ ، ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾ ، ﴿إنمآ أنت منذر﴾ . وفي ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم ، وتخفيف ما كان يجده من عنادهم ،

٣٦٧

" (١).

"﴿متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ متى : سؤال عن الوقت ، فقيل : ذلك على سبيل الدعاء لله تعالى ، والاستعلام لوقت النصر ، فأجابهم الله تعالى فقال : ألا إن نصر الله قريب ، وقيل : ذلك على سبيل الاستبطاء ، إذ ما حصل لهم من الشدة والابتلاء والزلزال هو الغاية القصوى ، وتناهى ذلك وتمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام ، فقيل : ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النصر ، والذي يقتضيه النظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول ، وأن الجملة الأولى من قول المؤمنين ، قالوا ذلك استبطاء للنصر وضجرا مما نالهم من الشدة ، والجملة الثانية من قول رسولهم إجابة لهم وإعلاما بقرب النصر ، فتعود كل جملة لمن يناسبها ، وصح نسبة المجموع للمجموع لا نسبة المجموع لكل نوع من القائلين.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٣٣

وتقدم نظير هذا في بعض التخاريج لقوله تعالى : ﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبح بحمدك

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٣١٧/١

ونقدس لك﴾ وإن قوله : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء من قول إبليس ، وإن قوله : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك من قول الملائكة عن إبليس ، وكان الجواب ذلك لما انتظم إبليس في الخطاب مع الملائكة في قوله : ﴿وإذ قال ربك للملئاكة إني جاعل فى الارض خليفة﴾ .

وقالت طائفة : في الكلام تقديم وتأخير ، التقدير : حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله ؟ فيقول الرسول : ألا إن نصر الله قريب ، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ، وقدم قول المؤمنين لتقدمه في الزمان.

قال ابن عطية وهذا تحكم وحمل الكلام على وجهه غير متعذر. انتهى. وقوله حسن ، إذ التقديم والتأخير مما يختصان بالضرورة.

وفي قوله : والذين آمنوا ، تفخيم لشأنهم حيث صرح بهم ظاهرا بهذا الوصف الشريف الذي هو الإيمان ، ولم يأت ، حتى يقول الرسول وهم ، وهذا يدل على حذف ذلك الموصوف الذي قدرناه قبل مثل محنة المؤمنين الذين خلوا.

قال ابن عطية : وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول ، والمؤمنين ، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر ، لا على شك ولا **ارتياب** ، والرسول اسم الجنس ، وذكره الله تعظيما للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول. انتهى كلامه.

واللائق بأحوال الرسل هو القول الذي ذكرنا أنه يقتضيه النظر ، والرسول كما ذكر ابن عطية اسم الجنس لا واحد بعينه ، وقيل : هو اليسع ، وقيل : هو شعيب ، وعلى هذا يكون الذين خلوا قوما بأعيانهم ، وهم أتباع هؤلاء الرسل.

وحكى بعض المفسرين أن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزلة ، هنا مضافة لأمته ، ولا يدل على ما ذكر سياق الكلام ، وعلى هذا القول قال بعضهم ، وفي هذا الكلام إجمال ، وتفصيله أن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا : متى نصر الله ؟ فقال الرسول : ألا إن نصر الله قريب.

فتلخص من هذه النقول أن مجموع الجملتين من كلام الرسول والمؤمنين على سبيل التفصيل ، أو على سبيل أن الرسول والمؤمنين قال كل منهما الجملتين ، فكأنهم قالوا : قد صبرنا ثقة بوعدك ، أو : على أن الجملة الأولى من كلام الرسول والمؤمنين ، والثانية من كلام الله تعالى.

ولما كان السؤال بمتى يشير إلى استعلام القرب ، تضمن الجواب القرب ، وظاهر هذا الإخبار أن قرب النصر هو : ينصرون في الدنيا على أعدائهم ويظفرون بهم ، كقوله تعالى : ﴿جآءهم نصرنا﴾ و﴿إذا جآء نصر الله والفتح﴾ .

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٣٣

وقال ابن عباس : النصر في الآخرة لأن المؤمن لا ينفك عن الابتلاء ، ومتى انقضى حرب جاءه آخر ، فلا يزال في جهاد العدو ، والأمر بالمعروف ، وجهاد النفس إلى الموت.

وفي وصف أحوال هؤلاء الذين خلوا ما يدل على أنا يجري لنا ما جرى لهم ، فنتأسى بهم ، وننتظر الفرج من الله والنصر ، فإنهم أجيبوا لذلك قريبا.

﴿يسالونك ماذا ينفقون﴾ نزلت في عمرو بن الجموح ، كان شيخا كبيرا ذا مال كثير ، سأل بماذا أتصدق ؟ وعلى من

أنفق ؟ قاله أبو صالح عن ابن عباس. وفي رواية عطاء نزلت في رجل قال ؛ إن لي دينارا. قال النبي صلى الله عليه وسلم : "أنفقه على نفسك ، فقال إن لي دينارين : فقال : "أنفقهما على أهلك" فقال : إن لي ثلاثة. فقال : "أنفقهما على خادمك" فقال : إن لي أربعة. فقال : "أنفقهما على والديك". فقال إن لي خمسة. فقال : "انفقهما على قرابتك". فقال : إن لي ستة. فقال : "انفقهما في سبيل الله ، وهو أحسنها".

وينبغي أن يفهم من هذا الترقي على معنى أن ما أخبر به فاضل عما قبله ، وقال الحسن : هي في التطوع ، وقال السدي : هي منسوخة بفرض الزكاة.

" (١).

"﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته اتبعتم الشيطان إلا قليلا﴾ هذا خطاب للمؤمنين باتفاق من المتأولين قاله : ابن عطية. قال : والمعنى لولا هداية الله لكم وإرشاده لبقيتم على كفركم وهو اتباع الشيطان. وقيل : الفضل الرسول. وقيل : الإسلام. وقيل : القرآن. وقيل : في الرحمة أنها الوحي. وقيل : اللطف. وقيل : النعمة. وقيل : التوفيق. والظاهر أن الاستثناء هو من فاعل اتبعتم. قال الضحاك : هدى الكل منهم للإيمان ، فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك ، ولا عنت له شبهة ارتياب ، وذلك هو القليل ، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر ، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان ، ويكون الفضل معينا أي : رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، لأن الكل إنما هدي بفضل الله على الإطلاق.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٠٣

وقال قوم : إلا قليلا إشارة إلى من كان قبل الإسلام غير متبع للشيطان على ملة إبراهيم ، أدركوا بعقولهم معرفة الله ووحدوه قبل أن يبعث الرسول ، كزيد بن عمرو بن نفيل أدرك فساد ما عليه اليهود والنصارى والعرب ، فوحد الله وآمن به ، فعلى هذا يكون استثناء منقطعا إذ ليس مندرجا في المخاطبين بقوله : لاتبعتم.

وقال قوم : الاستثناء إنما هو من الاتباع ، فقدره الزمخشري : إلا اتباعا قليلا ، فجعله مستثنى من المصدر الدال عليه الفعل وهو لاتبعتم. وقال ابن عطية : في تقدير أن يكون استثناء من الاتباع قال : أي لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها ، ففسره في الاستثناء بالمتبع فيه ، فيكون استثناء من المتبع فيه المحذوف لا من الاتباع ، ويكون استثناء مفرعا ، والتقدير : لاتبعتم الشيطان في كل شيء إلا قليلا من الأشياء فلا تتبعونه فيه. فإن كان ابن عطية شرح من حيث المعنى فهو صحيح ، لأنه يلزم من الاستثناء

٣٠٧

الاتباع القليل أن يكون المتبع فيه قليلا ، وإن كان شرح من حيث الصناعة النحوية فليس بجيد ، لأن قوله : إلا اتباعا قليلا ، لا يرادف إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها. وقال قوم : قوله إلا قليلا عبارة عن العدم ، يريد : لاتبعتم الشيطان كلكم. قال ابن عطية : وهذا قول قلق ، وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم : أرض قلما تنبت كذا ، بمعنى لا تنبته.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٢/٩٥

لأن اقتران القلة بالاستثناء يقتضي حصولها ، ولكن ذكره الطبري انتهى. وهذا الذي ذكره ابن عطية صحيح ، ولكن قد جوزه هو في قوله : ﴿ولـاكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ ولم يقلق عنده هناك ولا رده ، وقد رددناه عليه هناك فيطالع ثمة.

وقيل : إلا قليلا مستثنى من قوله : أذاعوا به ، والتقدير : أذاعوا به إلا قليلا ، قاله : ابن عباس وابن زيد ، واختاره : الكسائي ، والفراء ، وأبو عبيد ، وابن حرب ، وجماعة من النحويين ، ورجحه الطبري. وقيل : مستثنى من قوله : لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، قاله : الحسن ، وقتادة ، واختاره ابن عيينة. وقال مكي : ولولا فضل الله عليكم أي : رحمته ونعمته إذ عافاكم مما ابتلى به هؤلاء المنافقين الذين وصفهم بالتبييت ، والخلاف لاتبعتم الشيطان هو خطاب للذين قال لهم : ﴿خذوا حذركم فانفروا ثبات﴾ وقيل : الخطاب عام ، والقليل المستثنى هم أمة الرسول ، لأنهم قليل بالنسبة إلى الكفار. وفي الحديث الصحيح : "ما أنتم إلا كالرقمة البيضاء في الثور الأسود".

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٠٣

﴿فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسكا وحرض المؤمنين﴾ قيل : نزلت في بدر الصغرى. دعا الناس إلى الخروج ، وكان أبو سفيان وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها ، فكره بعض الناس أن يخرجوا فنزلت. فخرج وما معه إلا سبعون لم يلو على أحد ، ولو لم يتبعه أحد لخرج وحده.

ومناسبة هذه الآية هي : أنه لما ذكر في الآيات قبلها تثبيطهم عن القتال ، واستطرد من ذلك إلى أن الموت يدرك كل أحد ولو اعتصم بأعظم معتصم ، فلا فائدة في الهرب من القتال ، وأتبع ذلك بما أتبع من سوء خطاب المنافقين للرسول عليه السلام ، وفعلهم معه من إظهار الطاعة بالقول وخلافها بالفعل ، وبكتهم في عدم تأملهم ما جاء به الرسول من القرآن الذي فيه كتب عليهم القتال ، عاد إلى أمر القتال. وهكذا عادة كلام العرب تكون في شيء ثم تستطرد من ذلك إلى شيء آخر له به مناسبة وتعلق ، ثم تعود إلى ذلك الأول.

". (١)

"﴿وعد الله حقا ﴾ لما ذكر أن وعد الشيطان هو غرور باطل ، ذكر أن هذا الوعد منه تعالى هو الحق الذي لا ارتياب فيه ، ولا شك في إنجازه. والذين مبتدأ ، وسيدخلهم الخبر. ويجوز أن يكون من باب الاشتغال أي : وسندخل الذين آمنوا سندخلهم. وانتصب وعد الله حقا على أنه مصدر مؤكد لغيره ، فوعد الله مؤكدا لقوله : سيدخلهم ، وحقا مؤكد لوعد الله.

﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ القيل والقول واحدا ، أي : لا أحد أصدق قولا من الله. وهي جملة مؤكدة أيضا لما قبلها. وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين ، بخلاف مواعيد الشيطان وأمانته الكاذبة المخلفة لأمانيه.

﴿ليس بأمـانيكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ قال ابن عباس ، والضحاك ، وأبو صالح ، ومسروق ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم : الخطاب للأمة. قال بعضهم : اختلفوا مع قوم من أهل الكتاب فقالوا : ديننا أقدم من دينكم. وأفضل ، فنبينا

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٣/٢٥٠

قبل نبيكم. وقال المؤمنون : كتابنا يقضي على الكتب ، ونبينا خاتم الأنبياء ، ونحو هذا من المحاورة فنزلت. وقال مجاهد وابن زيد : الخطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم قالوا : لن نبعث ولن نعذب ، وإنما هي حياتنا لنا فيها النعيم ، ثم لا عذاب. وقالت اليهود : نحن أبناء الله وأحباؤه. إلى نحو هذا من الأقوال كقولهم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧

﴿لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ﴾ فرد الله تعالى على الفريقين.

وقال الزمخشري في ليس : ضمير وعد الله ، أي : ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب. والخطاب للمسلمين ، لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به ، ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان. وعن الحسن : ليس الإيمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل. إن قوما ألهتم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل. ويحتمل أن يكون الخطاب للمشركين لقولهم : إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا ، لأوتين مالا وولدا إن لي عنده للحسنى. وكان أهل الكتاب يقولون : نحن أبناء الله وأحباؤه لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ، ويعضده تقدم ذكر أهل الشرك انتهى. وعلى هذه الأقوال وقع الاختلاف في اسم ليس ، وأقر بها أن الذي يعود الضمير عليه هو الوعد من أنه تعالى يدخلهم الجنة ، ويليه أن يعود على الإيمان المفهوم من قوله : ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ كما ذهب إليه الحسن ، ثم إنه يعود على ما وقعت فيه محاورة المؤمنين وأهل الكتاب ، أو ما قالته قريش وأهل الكتاب على ما مر ذكره. وقال الحوفي : اسم ليس مضمر فيها على معنى : ليس الثواب عن الحسنات ولا العقاب على السيئات بأمانيكم ، لأن الاستحقاق إنما يكون بالعمل ، لا بالأماني. وقال أبو البقاء : ليس مضمر فيها ولم يتقدم له ذكر ، وإنما دل عليه سبب الآية ، وذلك أن اليهود والنصارى قالوا : نحن أصحاب الجنة. وقال المشركون : لا نبعث. فقال : ليس بأمانيكم أي : ليس ما ادعيتموه بأمانيكم. وقرأ الحسن ، وأبو جعفر ، وشيبة بن نصاح ، والحكم ، والأعرج : بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ساكنة الياء ، جمع على فعالل ، كما يقال : قراقير وقراقر ، جمع قرقور.

﴿من يعمل﴾ قال الجمهور : اللفظ عام ، والكافر والمؤمن مجازيان بالسوء يعملانه. فمجازاة الكافر النار ، والمؤمن بنكبات الدنيا. فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : لما نزلت قلت : يا رسول الله ما أشد هذه الآية

٣٥٥

جاءت قاصمة الظهر ، فقال صلى الله عليه وسلم : "إنما هي المصيبات في الدنيا" وقالت بمثل هذا التأويل عائشة رضي الله عنها. وقال به : أبي بن كعب ، وسأله الربيع بن زياد عن معنى الآية وكأنه خافها فقال له : أي ما كنت أظنك إلا أفقه مما أرى ، ما يصيب الرجل خدش أو غيره إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر. وخصص الحسن ، وابن زيد بالكفار يجازون على الصغائر والكبائر. وقال الضحاك : يعني اليهود والنصارى والمجوس وكفار العرب ، ورأى هؤلاء أن الله تعالى وعد المؤمنين بتكفير السيئات. وخصص السوء ابن عباس ، وابن جبير بالشرك. وقيل : السوء عام في الكبائر.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٧

﴿عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ روى ابن بكار عن ابن عامر ولا يجد بالرفع على القطع. ." (١)

"الوصف لطول الفصل بالشرط والمعطوف عليه بين الموصوف وصفته. وإنما قال الزمخشري بعد اشتراط العدالة فيهما لأنه اختار أن يكون قوله أو آخران من غيركم معناه أو عدلان آخران من غير القرابة وتقدم من كلام أبي على أن العدول إلى آخرين من غير الملة أو القرابة إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه إلى آخر كلامه ، فظهر منه أن تقدير جواب الشرط هو ﴿إن أنتم ضربتم فى الارض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فاستشهدوا آخرين من غيركم أو فالشاهدان آخران من غيركم ، والظاهر أن الشرط قيد في شهادة اثنين ذوي عدل من المؤمنين أو آخرين من غير المؤمنين فيكون مشروعية الوصية للضارب في الأرض المشارف على الموت أن يشهد اثنين ، ويكون تقدير الجواب : إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فاستشهدوا اثنين إما منكم وإما من غيركم ، ولا يكون الشرط إذ ذاك قيدا في آخرين من غيرنا فقط ، بل هو قيد فيمن ضرب في الأرض وشارف الموت فيشهد اثنان منا أو من غيرنا. وقال ابن عباس في الكلام محذوف تقديره فأصابتكم مصيبة الموت وقد استشهدتموهما على الإيصاء ، وقال ابن جبير تقديره وقد أوصيتم. قيل وهذا أولى لأن الشاهد لا يحلف والموصي يحلف. ومعنى ﴿تحبسونهما﴾ تستوثقونهما لليمين والخطاب لمن يلي ذلك من ولاة الإسلام ، وضمير المفعول عائد في قول على آخرين من غير المؤمنين وظاهر عوده على اثنين منا أو من غيرنا سواء كانا وصيين أو شاهدين ، وظاهر قوله من بعد الصلاة أن الألف واللام للجنس أو من بعد أي صلاة ، وقد قيل بهذا الظاهر وخص ذلك ابن عباس بصلاة دينهما وذلك تغليظ في اليمين ، وقال الحسن بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما ، وقال الجمهور هي صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا وتميما بعد العصر عند المنبر ورجح هذا القول بفعله صلى الله عليه وسلم وبقوله في الصحيح : "من حلف على يمين كاذبة بعد العصر لقي الله وهو عليه غضبان". وبأن التحليف كان معروفا بعدهما فالتقييد بالمعروف يغني عن التقييد باللفظ وبأن جميع الأديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله فيه فتكون الألف واللام في هذا القول للعهد وكذا في قول الحسن.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨

﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشترى بها ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنآ إذا لمن﴾ ظاهره تقييد حلفهما بوجود **الارتياب** فمتى لم توجد الريبة فلا تحليف. وينبغي أن يحمل تحليف أبي موسى لليهوديين اللذين استشهدهما مسلم توفي على وصيته على أنه وقعت ريبة وإن لم يذكر ذلك في قصة ذلك المسلم ، والفاء في قوله ﴿فيقسمان﴾ عاطفة هذه الجملة على قوله ﴿تحبسونهما﴾ هذا هو الظاهر. وقال أبو علي وإن شئت لم تقدر الفاء لعطف جملة ولكن تجعله جزاء كقول ذي الرمة :

وإنسان عيني يحسر الماء تارةفيبدو وتارات يجم فيغرق

تقديره عندهم إذا حسر بدا فكذلك إذا حبستموهما اقسما انتهى. ولا ضرورة تدعو إلى تقدير شرط محذوف وإبقاء جوابه

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٢٨٩/٣

فتكون الفاء إذ ذاك فاء الجزاء وإلى تقدير مضمر بعد الفاء أي فهما يقسمان وفهو يبدو ، وخرج أصحابنا بيت ذي الرمة على توجيه آخر وهو أن قوله : يحسر الماء تارة. جملة في موضع الخبر وقد عريت عن الرابط فكان القياس أن لا تقع خبرا للمبتدأ لكنه عطف عليهما بالفاء جملة فيها ضمير المبتدأ فحصل الربط بذلك و﴿لا نشترى﴾ هو جواب قوله فيقسمان بالله وفصل بين القسم وجوابه بالشرط. والمعنى إن ارتبتم في شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما ، وقيل إن أريد بهما

٤٣

". (١)

"﴿لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ : يحتمل أن يكون البنيان هنا مصدرا أي : لا يزال ذلك الفعل وهو البنيان ، ويحتمل أن يراد به المبني ، فيكون على حذف مضاف أي : لا يزال بناء المبنى. قال ابن عباس : لا يزالون شاكين. وقال حبيب بن أبي ثابت : غيظا في قلوبهم ، أي سبب غيظ. وقيل : كفرا في قلوبهم. وقال عطاء : نفاقا في قلوبهم. وقال ابن جبير : أسفا وندامة. وقال ابن السائب ومقاتل : حسرة وندامة ، لأنهم ندموا على بنيانه. وقال قتادة : في الكلام حذف تقديره : لا يزال هدم بنيانهم الذي بنوا ريبة أي : حزازة وغيظا في قلوبهم. وقال ابن عطية : الذي بنوا تأكيد وتصريح بأمر المسجد ورفع الإشكال ، والريبة الشك ، وقد يسمى ريبة فساد المعتقد واضطرابه ، والإعراض في الشيء والتخبيط فيه. والحزازة من أجله ، وإن لم يكن شكا فقد يرتاب من لا يشك ، ولكنها في معتاد اللغة تجري مع الشك. ومعنى الريبة في هذه الآية تعم الحيق ، واعتقاد صواب فعلهم ، ونحو هذا مما يؤدي كله إلى الريبة في الإسلام. فمقصد الكلام : لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم يبقي في قلوبهم حزازة وأثر سوء. وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا ، وفسرها السدي بالكفر. وقيل له : أفكفر مجمع بن جارية ؟ قال : لا ، ولكنها حزازة. قال ابن عطية : ومجمع رحمه الله ، قد أقسم لعمر أنه ما علم باطن القوم ، ولا قصد سوء. والآية إنما عنت من أبطن سوأ. وليس مجمع منهم. ويحتمل أن يكون المعنى لا يزالون مريبين بسبب بنيانهم الذي اتضح فيه نفاقهم. وجملة هذا أن الريبة في الآية تعم معاني كثيرة يأخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق. وقال أبو عبد الله الرازي : جعل نفس البنيان ريبة لكونه سببا لها ، وكونه سببا لها أنه لما أمر بتخريب ما فرحوا ببنائه ثقل ذلك عليهم ، وازداد بعضهم له ، وارتيابهم في نبوته ، أو اعتقدوا هدمه من أجل الحسد ، فارتفع إيمانهم وخافوا الإيقاع بهم قتلا ونهبا ، أو بقوا شاكين : أيغفر الله لهم تلك المعصية ؟ انتهى ، وفيه تلخيص.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٨٦

وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص : إلا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء أي : يتقطع ، وباقي السبعة بالضم ، مضارع قطع مبنيا للمفعول. وقرىء يقطع بالتخفيف. وقرأ الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ويعقوب : إلى أن نقطع ، وأبو حيوة إلى أن تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة ، ونصب قلوبهم خطابا للرسول أي : تقتلهم ، أو فيه ضمير الريبة. وفي مصحف عبد الله : ولو قطعت قلوبهم ، وكذلك قرأها أصحابه. وحكى أبو عمرو هذه القراءة : إن قطعت بتخفيف الطاء.

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٤/ ٣٤

وقرأ طلحة : ولو قطعت قلوبهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ، أو كل مخاطب. وفي مصحف أبي : حتى الممات ، وفيه حتى تقطع. فمن قرأ بضم التاء وكسر الطاء ونصب القلوب فالمعنى : بالقتل. وأما على من قرأه مبنيا للمفعول ، فقال ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم : بالموت أي : إلى أن يموتوا. وقال عكرمة : إلى أن يبعث من في القبور. وقال سفيان : إلى أن يتوبوا عما فعلوا ، فيكونون بمنزلة من قطع قلبه. قال ابن عطية : وليس هذا بظاهر ، إلا أن يتأول أن يتوبوا توبة نصوحا يكون معها من الندم والحسرة ما يقطع القلوب هما. وقال الزمخشري : لا يزال بيديه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم ، لا يزال وسمه في قلوبهم ولا يضمحل أمره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء ، فحينئذ يسألون عنه ، وأما ما دامت سليمة مجتمعة قائمة فيها متمكنة. ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه

١٠١

بقتلهم ، أو في القبور ، أو في النار. وقيل : معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم. والله عليم بأحوالهم ، حكيم فيما يجري عليهم من الأحكام ، أو عليم بنياتهم ، حكيم في عقوباتهم.

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنةا يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلونا وعدا عليه حقا﴾ : نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى ، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين ، وكان أصغرهم سنا عقبة بن عمرو. وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا : اشترط لك ولربك ، والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة ، فاشترط صلى الله عليه وسلم حمايته مما يحمون منه أنفسهم ، واشترط لربه التزام الشريعة وقتال الأحمر والأسود في الدفع عن الحوزة فقالوا : ما لنا على ذلك ؟ قال : الجنة ، فقالوا : نعم ربح البيع ، لا تقيل ولا نقال. وفي بعض الروايات : ولا نستقيل ، فنزلت.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٨٦

". (١)

"وقال الزمخشري : الضمير في ﴿إنهم﴾ راجع إلى الأهل المقدر في ﴿أيهآ﴾ والظهور هنا الإطلاع عليهم والعلم بمكانهم. وقيل : العلو والغلبة. وقرأ زيد بن علي ﴿يظهروا ﴾ بضم الياء مبنيا للمفعول ، والظاهر الرجم بالحجارة وكان الملك عازما على قتلهم لو ظفر بهم ، والرجم كان عادة فيما سلف لمن خالف من الناس إذ هي أشفى ولهم فيها مشاركة. وقال حجاج : معناه بالقول يريد السب وقاله ابن جبير ﴿أو يعيدوكم﴾ يدخلوكم فيها مكرهين ، ولا يلزم من العود إلى الشيء التلبس به قبل إذ يطلق ويراد به الصيرورة ﴿ولن تفلحوا ﴾ إن دخلتم في دينهم و﴿إذا﴾ حرف جزاء وجواب ، وقد تقدم الكلام عليها وكثيرا ما يتضح تقدير شرط وجزاء.

﴿وكذالك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيهآ إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا ﴾ .

١١١

قبل هذا الكلام جمل محذوفة التقدير فبعثوا أحدهم ونظر أيها أزكى طعاما وتلطف ، ولم يشعر بهم أحدا فأطلع الله أهل

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٨٣/٥

المدينة على حالهم وقصة ذهابه إلى المدينة وما جرى له مع أهلها ، وحمله إلى الملك وادعائهم عليه أنه أصاب كثيرا من كنوز الأقدمين ، وحمل الملك ومن ذهب معه إليهم مذكور في التفاسير ذلك بأطول مما جرى والله أعلم بتفاصيل ذلك ، ويقال عثرت على الأمر إذا أطلعت عليه وأعثرني غيري إذا أطلعني عليه ، وتقدم الكلام على هذه المادة في قوله ﴿فإن عثر على أنهما استحقآ إثما﴾ ومفعول ﴿أعثرنا﴾ محذوف تقديره ﴿أعثرنا عليهم﴾ أهل مدينتهم ، والكاف في ﴿وكذالك﴾ للتشبيه والتقدير وكما أنمناهم بعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ، والضمير في ﴿ليعلموا ﴾ عائد على مفعول ﴿أعثرنا﴾ وإليه ذهب الطبري.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

و﴿وعد الله﴾ هو البعث لأن حالتهم في نومهم وانتباهتهم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث و﴿لا ريب﴾ فيها أي لا شك ولا ارتياب في قيامها والمجازاة فيها ، وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور ، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه. وقالوا : تحشر الأرواح فشق على ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد ، وتضرع إلى الله في حجة وبيان ، فأعثر الله على أهل الكهف ، فلما بعثهم الله تعالى وتبين الناس أمرهم سر الملك ورجع من كان شك في أمر بعث الأجساد إلى اليقين ، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ و﴿إذ﴾ معمولة لأعثرنا

١١٢

أو ﴿ليعلموا ﴾ . وقيل : يحتمل أن يعود الضمير في و﴿ليعلموا ﴾ على أصحاب الكهف ، أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور. وقوله ﴿إذ يتنازعون﴾ على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم ، والتنازع إذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة.

وقيل : التنازع إنما هو في أن أطلعوا عليهم. فقال بعض : هم أموات. وقال بعض : هم أحياء. وروي أن الملك وأهل المدينة انطلقوا مع تمليخا إلى الكهف وأبصروهم ثم قالت الفتية للملك : نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم ، وتوفى الله أنفسهم وألقى الملك عليهم ثيابه ، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب ، فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج ، وبني على باب الكهف. والظاهر أن قوله ﴿ربهم أعلم بهم﴾ من كلام المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا بالبناء وأخبروا بمضمون هذه الجملة كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ، ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ﴿ربهم أعلم بهم﴾ . وقيل : يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب ، والذين غلبوا. قال قتادة : هم الولاة. روي أن طائفة ذهبت إلى أن يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين ، وقالت الطائفة الغالبة : ﴿لنتخذن عليهم مسجدا﴾ فاتخذوه.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٩١

وروي أن التي دعت إلى البنيان كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم فمانعهم المؤمنون وبنوا عليهم مسجدا. وقرأ

الحسن وعيسى الثقفي : ﴿غلبوا ﴾ بضم الغين وكسر اللام ، والمعنى أن الطائفة التي أرادت المسجد كانت تريد أن لا يبني عليهم شيء ولا يعرض لموضعهم. وروي أن طائفة أخرى مؤمنة أرادت أن لا يطمس الكهف ، فلما غلبت الأولى على أن يكون بنيان ولا بد قالت يكون ﴿مسجدا﴾ فكان. وعن ابن عمر أن الله عمى على الناس أمرهم وحجبهم عنه فذلك دعاء إلى بناء البنيان ليكون معلما لهم.

". (١)

"وقال الزمخشري : فإن قلت : قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين ، فما وجه صحة ذلك ؟ قلت : ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك ، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا ، وذلك أن المراد بقوله : ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ﴾ : وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر ؛ فوضع ﴿فتنة للذين كفروا ﴾ موضع تسعة عشر ، لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ، أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزىء ولا يذعن إذعان المؤمن ، وإن خفي عليه وجه الحكمة ، كأنه قيل : ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين. انتهى ، وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله تعالى ، إذ زعم أن معنى ﴿إلا فتنة للذين كفروا ﴾ : إلا تسعة عشر ، وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء ؛ وكفى ردا عليه تحريف كتاب الله ووضع ألفاظ مخالفة لألفاظ ومعنى مخالف لمعنى. وقيل : ﴿ليستيقن﴾ متعلق بفعل مضمر ، أي فعلنا ذلك ليستيقن. ﴿ولا يرتاب﴾ : توكيد لقوله ﴿ليستيقن﴾ ، إذ إثبات اليقين ونفي **الارتياب** أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام.

و﴿الذين فى قلوبهم مرض﴾ ، قال الحسين بن الفضل : السورة مكية ، ولم يكن بمكة نفاق ، وإنما المرض في الآية : الاضطراب وضعف الإيمان. وقيل : هو إخبار بالغيب ، أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة : ﴿ماذآ أراد الله بهاذا مثلا ﴾ . لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا ، فاستفهم بعضهم بعضا عن ذلك

٣٧٦

استبعادا أن يكون هذا من عند الله ، وسموه مثلا استعارة من المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد ، والمعنى : أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب ؟ ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله ، وتقدم إعراب مثل هذه الجملة في أوائل البقرة.

﴿كذلك يضل الله من يشآء ويهدى من يشآءا وما يعلم جنود ربك إلا هوا وما هى إلا ذكرى للبشر﴾ .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٦٨

الكاف في محل نصب ، وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى ، أي مثل ذلك

٣٧٧

المذكور من الإضلال والهدى ، يضل الكافرين فيشكون فيزيدهم كفرا وضلالا ، ويهدي المؤمنين فيزيدهم إيمانا. ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ : إعلام بأن الأمر فوق ما يتوهم ، وأن الجزاء إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها ، والسماء عامرة

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٦/٨٣

بأنواع من الملائكة. وفي الحديث : "أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا".
﴿وما هى﴾ : أي النار ، قاله مجاهد ، أو المخاطبة والنذارة ، أو نار الدنيا ، أو الآيات التي ذكرت ، أو العدة التسعة عشر ، أو الجنود ، أقوال راجحها الأول وهي سقر ، ذكر بها البشر ليخافوا ويطيعوا. وقد جرى ذكر النار أيضا في قوله : ﴿وما جعلنآ أصحاب النار إلا﴾ . ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ : أي الذين أهلوا للتذكر والاعتبار.
﴿كلا﴾ ، قال الزمخشري : كلا إنكار بعد أن جعلها ذكرى ، أن يكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون. انتهى. ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى ، وإنما قوله : ﴿للبشر﴾ عام مخصوص. وقال الزمخشري : أو ردع لمن ينكر أن يكون إحدى الكبر نذير. وقيل : ردع لقول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم. وقيل : ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة. وقال الفراء : هي صلة للقسم ، وقدرها بعضهم بحقا ، وبعضهم بألا الاستفتاحية ، وقد تقدم الكلام عليها في آخر سورة مريم عليها السلام.
". (١)

"ولما كان من المعلوم أنه لا يدفعه حجة كان التقدير : فامتثلوا ما أمرتم به واجتنبوا ما نهيتم عنه ، فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه والمجازاة بين يديه فقال - وقال الحرالي : لما أنهي الخطاب بأمر الدين وعلنه وأمر الآخرة على وجوهها وإظهار حكمتها المرتبطة بأمر الدنيا وبين أمر الإنفاق والربا الذي هو غاية أمر الدين والدنيا في صلاحهما وأنهى ذلك إلى الموعظة بموعود جزائه في الدنيا والآخرة أجمل الموعظة بتقوى يوم الرجعة إلى إحاطة أمره ليقع الختم بأجمل موعظة وأشملها ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب الأنفس لتجتمع عزائمها على ما هو ملاك أمرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها من خطاب الله سبحانه وتعالى لها فختم ذلك بكمال معناه بهذه الآية كما أنها هي الآية التي ختم بها التنزيل أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هو في الشكاية وهي آخر آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق : ١] الذي هو أول منزل النبوة و﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر : ١] الذي هو أول منزل الرسالة فكان أول الأمر نذارة وآخره موعظة تبعث النفس على الخوف وتبعث القلب على الشوق من معنى ما اختم به أمر خطاب الله سبحانه وتعالى في آية ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة : ٤] انتهى - فقال تعالى : ﴿واتقوا يوما﴾ أي في غاية العظم ﴿ترجعون فيه﴾ حسا بذواتكم كما أنتم في الدنيا ومعنى بجميع أموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شيء من الأسباب ولا يحول دونه عارض **ارتياب** ﴿إلى الله﴾ الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد ، فيكون حالكم بعد النقلة من الدنيا كحالكم قبل البروز إليها من البطن لا تصرف لكم أصلا ولا متصرف فيكم إلا الله ويكون حالكم في ذلك اليوم الإعسار ، لأنه لا يمكن أحد أن يكافئ ما لله سبحانه وتعالى عليه من نعمه ، فمن نوقش الحساب عذب ؛ فإن كنتم تحبون المجاوزة عنكم هنالك فتجاوزوا أنتم عن إخوانكم اليوم ، وتصدقوا ما دمتم

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر)، المؤلف غير معروف ٨/٢٨٤

٥٤٣

(١) ".

"ولما وضح بالحجاج معهم الحق ، واستبان بمحو شبههم كلها من وجوه كثيرة الرشد ، وأوضح فساد طرقهم ، وأبلغ في وعيدهم ؛ أنتج ذلك صدق الرسول وحقيقة ما يقول : فأذعنت النفوس ، فكان أنسب الشياء أن عمم سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل ونهوض الدليل ، فقال مرغبا مرهبا ﴿يأيها الناس﴾ أي كافة ﴿قد جاءكم الرسول﴾ أي الكامل في في الرسلية الذي كان ينتظره أهل

٣٧٤

الكتاب لرفع **الارتياب** ملتبسا ﴿بالحق﴾ أي الذي يطابقه الواقع ، وستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق من الأخبار ، كائنا ذلك الحق ﴿من ربكم﴾ أي المحسن إليكم ، فإن اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه ، فتمت نعمته عليكم ، ولهذا سبب عن ذلك قوله : ﴿فآمنوا﴾ ولما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم : إن تؤمنوا يكن الإيمان ﴿خيرا لكم﴾ ، عطف عليه قوله : ﴿وإن تكفروا﴾ أي تستمروا على كفرانكم ، أو تجددوا كفرا ، يكن الكفران شرا لكم ، أي خاصا ذلك الشر بكم ، ولا يضره في ذلك شيء ، ولا ينقصه من ملكه شيئا ، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا ولا زاد في ملكه شيئان لأن له الغنى المطلق ، وهذا معنى قوله : ﴿فإن الله﴾ أي الكامل العظمة ﴿ما في السموات والأرض﴾ فإنه نم إقامة العلة مقام المعلول ، ولم يؤكد بتكرير " ما " وإن كان الخطاب مع المضطرين ، لأن قيام الأدلة أوصل إلى حد من الوضوح بشهادة الله ما لا مزيد عليه ، فصار المدلول به كالمحسوس.

(٢) ".

"علوم الأنبياء مثل النجوم والخط وغير ذلك ، ولولا الأنبياء الذين أدركوا علم النجوم وعرفوا مجاري الكواكب في البروج وما لها من السير في استقامتها ورجوعها ، وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك بما لا **ارتياب** فيه ، لما قدر الناس على إدراكه ، وذلك كله بوحي من الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، وقد روي أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم ، وروي في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء ، ولولا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف ولا عرفوها.

ولما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا علا عن طوق الإنسان والملائكة والجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت فخرا يتوقع فيه التنبيه عليه فقال : ﴿قد فصلنا﴾ أي بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿الآيات﴾ واحدة في إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع والمثال الرفيع ؛ ولما كانت من الوضوح في حد لا يحتاج إلى كثير تأمل قال : ﴿لقوم يعلمون *﴾ أي لهم قيام فيما إليهم ، ولهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب.

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١/٧٨٠

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٥٨٠

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٨٠

ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضي والسماوي ، أتبعه - كما مضى في أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، وهو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمفاوتة أول الإبداع وآخر الآجال ما اعتقدوا في النور والظلمة والشمس والقمر وغيرهما ، لأن واحدا منها لا اختيار له في شيء يصدر عنه ، بل هو مسخر ومقهور كما هو محسوس ومشهور ، فقال : ﴿وهو﴾ أي لا غيره ﴿الذي أنشأكم﴾ أي وأنتم في غاية التفاوت في الطول والقد واللون والشكل وغير ذلك من الأعراض التي دبرها سبحانه على ما اقتضته حكمته ﴿من نفس واحدة﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم منهما.

(١) ".

"ولما كان أكثر من يجزم بالأمور مبا دعاه إليه ظنه كذبا ، وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن الحازر ، قال : ﴿وإن هم﴾ أي بصميم ضمائرهم ﴿إلا يخرصون *﴾ أي يجزمون بالأمور بحسب ما يقدرون ، فيكشف الأمر عن أنها كذب ، فيعرف الفرق بينك وبينهم في تمام الكلام ونفوذه نفوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه بالسيف الكهام ، فلا يبقى شبهة في أمر المحق والمبطل.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٩٨

٧٠٠

ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع وما يجتنب ، قال معللا لهذا الإخبار : ﴿إن ربك﴾ أي المحسن إليك بإنزال هذا الكتاب الكاشف **للارتياب** الهادي إلى الصواب ﴿هو﴾ أي وحده ﴿أعلم﴾ ولكون الحال شديد الاقتضاء للعلم ، قطعه عما بعده ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال : ﴿من﴾ أي يعلم من ﴿يضل﴾ أي يقع منه ضلال يوما ما ﴿عن سبيله﴾ أي الذي بينه بعلمه ﴿وهو﴾ أي وحده ﴿أعلم بالمهتدين *﴾ كما أنه أعلم بالضالين ، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه ، ومن نهاكم عنه فاجتنبوه ، فمن ضل أرداه ، ومن اهتدى أنجاه ، فاستمسكوا بأسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه.

(٢) ".

"وضده : التسليط ، وأما العجز فضده القدرة ﴿فأرسل﴾ أي بسبب إزالة هذا المنع ﴿معنا أخانا﴾ إنك إن ترسله معنا ﴿نكتل﴾ أي لنفسه كما يكتال كل واحد منا لنفسه - هذا على قراءة حمزة والكسائي بالتحتانية ، ولنؤوله على قراءة الجماعة بالنون - من الميرة ما وظفه العزيز ، وهو لكل واحد حمل ، وأكدوا لما تقدم من فعلهم بيوسف عليه الصلاة والسلام

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/١٠٦٨

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/١٠٩٤

مما يوجب الارتياب بهم ، فقالوا : ﴿وإنا له﴾ أي خاصة ﴿لحافظون*﴾ أي عن أن يناله مكروه حتى نرده إليك ،
٦٨
عريقون في هذا الوصف ، فكأنه قيل : ما فعل في هذا بعد ما فعلوا إذ أرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام ؟ قيل : عزم على إرساله معهم ، ولكنه أظهر اللجاء إلى الله تعالى في أمره غير قانع بوعدهم المؤكد في حفظه ، لما سبق منهم من مثله في يوسف عليه الصلاة والسلام بأن ﴿قال هل آمنكم﴾ أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه مما يسوءني تأمينا مستعليا ﴿عليه﴾ أي بنيامين ﴿إلا كما آمنتكم﴾ أي في الماضي ﴿على أخيه﴾ أي يوسف عليه الصلاة والسلام.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٦٥
ولما كان لم يطلع يوسف عليه الصلاة والسلام على خيانة قبل ما فعلوا به ، وكان ائتمانه لهم عليه إنما هو زمان يسير ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبل﴾ فإنكم أكدتم غاية التأكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه إلي - والأمن : اطمئنان القلب إلى سلامة النفس - فأنا في هذا لا آمن عليه إلا الله ﴿فالله﴾ أي المحيط علما وقدرة ﴿خير حافظا﴾ منكم ومن كل أحد ﴿وهو﴾ أي باطنا وظاهرا ﴿أرحم الراحيمن*﴾ فهو أرحم بي من أن يفجعني به بعد مصيبتي بأخيه ؛ فأرادوا تفريغ ما قدموا به من الميرة ﴿ولما فتحوا﴾ أي أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿متاعهم﴾ أي أوعيتهم التي حملوها من مصر ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ أي ما كان معهم من كنعان بشراء القوت.

ولما كان المفرح مطلق الرد.

". (١)

"ولما بين تعالى تصديقا لقوله ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [يوسف : ١٠٥] ما له من الآيات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال وأنه شديد المحال ، شرع يبين ضلالهم في اشتراكهم المشار إليه في قوله : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ بما هو علة لختم ما قبلها من أنه لا كفؤ له ، فقال : ﴿له﴾ أي الله سبحانه ﴿دعوة الحق﴾ إن دعاه أحد سمعه فأجابه - إن شاء - بما يشاء ، وإن دعا هو أحدا دعوة أمر ، بين الصواب بما يكشف الارتياب ، أو دعوة حكم لبى صاغرا وأجاب ﴿والذين يدعون﴾ أي يدعو الكافرون ، وبين سفول
١٣٤
رتبتهم بقوله : ﴿من دونه﴾ أي الله ﴿لا يستجيبون﴾ أي لا يوجدون الإجابة ﴿لهم﴾ أي الكافرين ﴿بشيء﴾ والاستجابة : متابعة الداعي فيما دعا إليه بموافقة إرادته ﴿إلا كباسط﴾ أي إلا إجابة الماء لباسط ﴿كفيه﴾ تثنية كف ، وهو موضع

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/١٠٩

القبض باليد ، وأصله من كفه – إذا جمع أطرافه ﴿إلى الماء ليبلغ﴾ أي الماء ﴿فاه﴾ دون أن يصل كفاه إلى الماء – بما يدل عليه التعدية بـ " إلى " ، فما الماء بمجيب دعاءه في بلوغ فيه ﴿وما هو﴾ أي الماء ﴿ببالغه﴾ أي فيه ، فللكافرين بذلك دعوة الباطل كما أن الماء جماد لا يحس بدعوة هذا فلا يجيبه ، فأصنامهم كذلك.

ولما كان دعاؤهم منحصرا في الباطل ، قال في موضع " وما دعاؤهم " مظهرا تعميما وتعليقا للحكم بالوصف : ﴿وما دعاء الكافرين﴾ أي الساترين لما دلت عليه أنوار عقولهم بمعبوداتهم أو غيرها ﴿إلا في ضلال*﴾ لأنه لا يجد لهم نفعا ، أما معبوداتهم فلا تضر ولا تنفع ، وأما الله فلا يجيبهم لتضييعهم الأساس.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١٣٠

". (١)

"ولما بين أولا أن الآيات تمون سببا للهلاك ، فلا فائدة في الإجابة إلى ما اقترحوه منها بعد بطلان ما قدحوا به في القرآن ، بين ثانيا بطلان ما قدحوا به في الرسول بكونه بشرا ، بأن الرسل الذين كانوا من قبله كانوا بإقرارهم من جنسه ، فما لهم أن

٦٨

ينكروا رسالته هو مثلهم ، بل عليهم أن يعترفوا له عندما أظهر من المعجز كما اعترفوا لأولئك ، كل ذلك فطما عن أنن يتمنى أحد إجابتهم إلى الأييد بملك ظاهر ، فقال عاطفا على ما " آمنت " : ﴿وما أرسلنا﴾.

ولما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشرا ، وكان الدهر كله ما خلا قط جزء منه من رسالة ، إما برسول قائم ، وإما بتناقل أخباره ، كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف جر : ﴿قبلك﴾ أي في دجميع الأزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف البشر ﴿إلا رجلا نوحي إليهم﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع على ذلك الملك غيرهم كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار والإسرار عن الأغيار ، وذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر أمكن للتلقي منهم والأخذ عنهم.

ولما لم يكن لهم طريق في علم هذا إن يقبلوا خبره عن القرآن إلا سؤال من كانوا يفوعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعوهم على ما هم عليه من الشك **والارتياب** ، قال : ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ ثم نبه على أنهم غير محتاجين فيه إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من أحوال موسى وعيسى وإبراهيم وإساعيل وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بقوله ، معبرا بأداة الشكك محركا لهم إلى المعالي : ﴿إن كنتم﴾ أي بجبلاتكم ﴿لا تعلمون*﴾ أي لا أهلية لك في انتقاص علم ، بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢١٤/٤

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٦٧

ولما بين أنه على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا ، بين أنه على سنتهم فب جميع الأوصاف التي حكم بها على البشر من العيش والموت فقال : ﴿﴿وما جعلناهم﴾﴾ أي الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى الناس ليأمروهم بأومرنا.

". (١)

"ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت ، وحالة الفوت ، فإنه وقت كشف الغطاء ، عما كتب من القضاء ، وآن اللقاء ، وتحتم السفول أوالارتقاء ، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى : ﴿بل لا يشعرون﴾ أو بمبلسون ، منبها بحرف الغاية على انه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجا لهم : ﴿حتى﴾ أو يكون التقدير كما يرشد إليه السياق : فلا أكون من ا لكافرين المطيعين للشياطين حتى ﴿إذا جاء﴾ وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال : ﴿أحدهم الموت﴾ فكشف له الغطاء ، وظهر له الحق ، ولاحت له بوارق العذاب ، ولم يبق في شيء من ذلك **ارتياب** ﴿قال﴾ مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهاه ووقوفه مع المحسوس دأب البهائم : ﴿رب ارجعون*﴾ أي إلى الدنيا دار العلم ؛ ويجوزأن يكون الجمع لله تعالى وللملائكة ، أو للتعظيم على عادة في مخاطبات الأكابر لا سيما الملوك ، أو لقصد تكرير الفعل للتأكيد.

ولما كان في تلك الحالة على القطع من اليأس من النجاة لليأس من العمل لفوات داره مع وصوله إلى حد الغرغرة قال : ﴿لعلي أعمل﴾ أي لأكون على رجاء من أن

٢٢١

أعمل ﴿صالحا فيما تركت﴾ من الإيمان وتوابعه ؛ قال البغوي : قال قتادة : ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع ليعمل بكاعة الله ، فرحم الله امرأ عمل قيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

وقال ابن كثير : كان العلاء بن زياد يقول : اينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره المر=وت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل.

ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ، ولو رجع لم يعمل قال ردعا له وردا لكلامه : ﴿كلا﴾ أي لا يكون شيء من ذلك ، فكأنه قيل : فما حكم ما قال ؟ فقال معرضا عنه إيذانا بالغضب : ﴿إنها كلمة﴾ أي مقالته ﴿رب ارجعون﴾ - إلى آخره ، كلمة ﴿هو قائلها﴾ وقد عرف من الخداع والكذب فهي كما عهد منه لا حقيقة لها.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/١٧١

(١) ".

"تشوف السامع إلى أنه هل يسألهم عن تنعيمه لهم في الدنيا الذي كان جديرا منهم بالشكر فقابلوه بالكفر والاستهزاء بأوليائه ؟ فأجاب تشوفه ذلك مجهلا لهم ومندما ومنبها على الجواب أن فوزهم في الدنيا – لقلته التي هي أحقر من قطرة في جنب بحر – عدم ، بقوله : ﴿قال﴾ تاسيفا على ما أضاعوا من عبادة يسيرة تؤرثهم سعادة لا انقضاء لها وارتكبوا من لذة قليلة أعقبتهم بؤسا لا آخر له – هذا على قراءة الجماعة ، وبين سبحانه بقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي أن القول بواسطة بعض عبادة الذين أقامهم لتعذيبهم إعارضا عنهم أردنا أي لهؤلاء الذين ﴿ولا تكلمون﴾ فقال : ﴿قل﴾ أى يا من أقمناه للانتقام ممن أردنا أي لهؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها ولعبها بأهلها فكفروا بنا واستهزؤوا بعبادنا : ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ على تلك الحال التي كنتم تعدونها فوزا ﴿عدد سنين*﴾ أنتم فيها ظافرون ولأعدائكم قاهرون ، ولعله عبر بما منه الإسنات الذي معناه القحط إشارة إلى أن أيام الدنيا ضيقة حرجة وإن كان فيها سعة ، ولا سيما للكفرة بكفرهم وخبثهم ومكرهم الذي جرهم إلى أضيق الضيق وأسوأ العيش ﴿قالوا﴾ استقصارا له في حنب ما رأوا من العذاب واستنقاذا لأنفسهم ظنا أ ، مدة لبثهم في النار تكون بمقدار مكثهم في الدنيا : ﴿لبثنا يوما﴾ ولعلهم ذكروا العامل تلذذا بطول الخطاب ،

٢٢٥

أو تصريحا بالمراد دفعا للبس والارتياب ، ثم زادوا في التقليل فقالوا : ﴿أبو بعض يوم﴾.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٢٥

(٢) ".

"ولما كان كل من الكتاب والمنزل عليه بالغا في معناه ، عبر بما يصح أن يراد به المنذر والإنذار على وجه المبالغة فقال : ﴿نذيرا*﴾ أي وبيرا ، وإنما اقتصر على النذارة للإشارة إلى البشارة بلفظ ﴿تبارك﴾ ولأن المقام لها ، لما ختم به تلك من إعراض المتولين عن الأحكام ، ونفى الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام ، وفيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة ، ولا التفات إلى من قال : إن الرازي والبرهان النسفي نقلا الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الملائكة ، فإن عبارة الرازي في بعض نسخ تفسيره : لكنا أجمعنا على أنه لم يرسل إلى الملائكة ، وفي أكثر النسخ : بينا – بدل : أجمعنا ، على أنه لو اتفقت جميع النسخ عليها لم تضر ، لأنها غير صريحة في إرادة الإجماع ، ولأن الإجماع لا يثبت بنقل واحد لا سيما في مثل هذا الذي تظافرت الظواهر على خلافه ، ولم يرد مانع منه ، وأما البرهان النسفي فمن الرازي أخذ ، وعبر بعبارته ، فصارا واحدا ، وقد بينت ذلك عند قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ [الأنعام : ١٩] بينا شافيا لا ارتياب معه ، بل ولو قيل : إن الآية على ظاهرها ، لا خصوص فيها بالعقلاء ، وتكليف كل شيء بحسبه ، لكان وجها ، وبذلك

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٣٩٩

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٤٠٤

صرح الإمام تاج الدين السبكي في أول الترشيح في قوله : " وأصلي على نبيه محمد المصطفى المبعوث إلى كل
٢٩٢
". (١)

"ولما تشوفت النفس إلى جوابهم ، أعلم سبحانه بأنهم بهتوا فقال : ﴿قالت يا أيها الملؤا﴾ ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها : ﴿أفتوني﴾ أي تكرموا علي بالإبانة عما أفعله ﴿في أمري﴾ هذا الذي أجيب به عن هذا الكتاب ، جعلت المشورة فتوى توسعا ، لأن الفتوى الجواب في الحادثة ، والحكم بما هو صواب مستعار من الفتاء في السن الذي صفرة العمر ؛ ثم عللت أمرها لهم بذلك بأنها شأنها دائما مشاورتهم في كل جليل وحقير ، فكيف بهذا الأمر الخطير ، وفي ذلك استعطافهم
٤٢٣
بتظيمهم وإجلالهم وتكريمهم ، فقال : ﴿ما كنت﴾ أي كونا ما ﴿قاطعة أمرا﴾ أي فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه ﴿حتى تشهدون*﴾ وقد دل على غزارة عقلها وحسن أدبها ، ولذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها في المنشط والمكره ، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله : ﴿قالوا﴾ أي الملأ مائلين إلى الحرب : ﴿نحن أولو قوة﴾ أي بالمال والرجال ﴿وأولو باس﴾ أي عزم في الحرب ﴿شديد * والأمر﴾ راجع وموكول ﴿إليك﴾ أى كل من المسالمة والمصادمة ﴿فانظري﴾ بسبب أنه لا نزاع معك ﴿ماذا تأمرين*﴾ أي به فإنه مسموع.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٢٠
ولما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده ، ولا أحد بكيده ، مالت إلى المسالمة ، فاستأنف سبحانه وتعالى الإخبار عنها بقوله : ﴿قالت﴾ جوبا لم أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن الصواب من غير ارتياب أن نحتال في عدم قصد هذا الملك المطاع ؛ ثم علل هذا أفهمه سياق كلامها بقولها ﴿إن الملوك﴾ أي مطلقا ، فكيف بهذا النافذ الأمر ، العظيم القدر ﴿إذا دخلوا قرية﴾ أي عنوة بالقهر والغلبة ﴿أفسدوها﴾ أي بالنهب والتخريب ﴿وجعلوا اعزة قومها اذلة﴾ أي بما يرونهم من الباس ، ويحلون بهم السطوة.

". (٢)

"ولما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته! قال معرضا عنهم للإيذان بالغضب : ﴿بل هم﴾ أي في جعائهم معه سبحانه شريكا ﴿قوم يعدلون*﴾ أي عن الحق الذي لا مرية فبه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره.

ولما فرغ من آية اشترك فيها الخافقان ، ذكر ما تتفرد به الأرض ، لأنها اقرب إليهم وهم بحقيقتها وما لا بسوه من أحوالها

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٥٠٥

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٦٩٥

أعلمم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفرده بالفعل الدال على تفرده بالإلهية ، فقال مبدلا من ﴿أمن خلق﴾ : ﴿أمن﴾ أي أم فعل ذلك الذي ﴿جعل الأرض قرارا﴾ أي مستقرة في نفسها ليقر عليها غيرها ، وكان القياس يقتضي أن تكون هاوية أو مضطربة كما يضطرب ما هو معلق في الهواء.

ولما ذكر قرارها ، أتبعه دليله في معرض الامتنان فقال : ﴿وجعل خلالها﴾ أى في الأماكن المنفرجة بين جبالها ﴿أنهارا﴾ أي جارية هلى حالة واحدة ، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب ، لتغيرت مجاري المياه بلا **ارتياب**.

ولما ذكر الدليل ، ذكر سبب القرار فقال : ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي كمارسي السفن ، كانت أسبابا في ثباتها على ميزان دبره سبحانه في مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب.

ولما أثبت القرار وسببه ، وكان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تتصرف فيها ولو حبسها عن الجري شيء لأوشك أن تستبحر ، فيصير أكثر الأرض لا ينتفع به في سير ولا

٤٣٨

". (١)

"ولما كان المراد نفي التلاوة عن كثير الزمن الماضي وقليله ، أدخل الجار فقال ﴿من قبله﴾ أى هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك ؛ وأكد استغراق الكتب فقال : ﴿من كتاب﴾ أصلا ﴿ولا تخطه﴾ أي تجدد وتلازم خطه ؛ وصور الخط وأكده بقوله : ﴿بيمينك﴾ أي التي هي أقوى الجارحتين ، وعبر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الريبة ئفي أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة قوية ينشأ عنها ملكة ، فكيف إذا لم يحصل أصل الفعل ، ولذلك قال : ﴿إذا﴾ أي إذ لو كان شيء من هذه المواظبة في التلاةو أو الخط التي يحصل بها الدربة الموروثة للملكة ﴿لارتاب﴾ أي لساغ أن تلكف أنفسهم لدخول في الريب أي الشك ﴿المبطلون*﴾ أي هؤلاء الذين ينكرون الوحي إليك من أهل الكتاب ومن العرب ، ويقولون : هو سجع وكهانة وشعر وأساطير الأولين ، العريقون في وصف الإبطال ، أي الدخول في الباطل ، فكانوا يجدون مطعنا ، فتقول العرب : لعله اخذه من كتب الأقدمين ، ويقول الكتابيون : المبشر به عندنا أمي.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٦٥

ولكنه لم يكن شيء من قراءة ولا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن الماظبة لشيء منهما ، فلا ريبة في صداقك في نسبته إلى الله تعالى ، وإذا انتفت الريبة من أصلها صح نفي ما عندهم منها ، لأنه لما لم يكن لهم في الواقع شبهة ، عدت ريبتهم عدما ، وسموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة ، لقيام المعجزات القاطعة بالرسالة ، القاضية

٥٦٦

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥/٧١٥

بالصدق ، كما قضت بصدق أنبيائهم مع أنهم يكتبون ويقرؤون ، وكتبهم لم تنزل للإعجاز ، فصح أنهم يلزمهم الاتصاف بالإبطال **بالارتياب** على كل تقدير من تقديري الكتابة والقرءة وعدمهما ، لأن العمدة على المعجزات.

". (١)

"ولما كانت وحدة الأله الملك توجب الخوف منه ، لأنه لا مكافئ له ، وكان أن عهد منه أنه لا يستعرض عبادة لمجازاتهم على أعمالهم لا يخشى كما يخشى إذا علم منه أن يستعرضهم قال : ﴿واخشوا يوما﴾ لا يشبه الأيام ، ولا يعد هول البحر ولا غيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه.

ولما كان المجرم إذا علم أن له عند الملك من يدفع عنه فتر ذلك من خوفه ، وكان ما بين الوالد والولد من الحنو والشفقة والعطف والرحمة الداعية إلى المحاماة

٣٦

والنصرة والفداء بالنفس والمال أعظم مما بين غيرهما ، فإذا انتفى إغناء أحدهما عن الآخر انتفى غيرهما بطريق الأولى قال : ﴿لا يجزي﴾ أي يغني فيه ، ولعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام في هذه الدار أسابا ستر قدرته بها ، فصار الجاهل يحيل الأمر ويسنده إليها ، وأما هناك فتزول الأسباب ، وينجلي غمام **الارتياب** ، ويظهر اختصاص العظمة برب الأرباب.

ولما كانت شفقة الوالد – مع شمولها لجميع أيام حياته – أعظم فهو يؤثر حياة ولده على حياته ويؤثر أن يحمل بنفسه الآلام والأموال بدأ به فقال : ﴿والد﴾ كائنا من كان ﴿عن ولده﴾ أي لا يوجد منه ولا يتجدد في وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء وإن تحقق أن الولد منه ، والتعبير بالمضارع إشارة إلى أن الوالد لا يزال تدعوه الوالدية إلى الشفقة على الولد ، وتجدد عنده العطف والرقة ، والمفعول إما محذوف لأنه أشد في النفي وآكد ، وإما مدلول عليه بما في الشق بعده.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٦

". (٢)

"ولما كانت نتيجة سماعهم لهذه الأدلة استهزاءهم حتى بسؤالهم عن يوم الفتح ، وأجابهم سبحانه عن تعيينه بذكر حاله ، وكان صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على نفعهم ربما أحب إعلامهم بما طلبوا وإن كان يعلم أن ذلك منهم استهزاء رجاء أن ينفعهم نفعا ما ، سبب سبحانه عن إعراضه عن إجابتهم ، أمره لهذا الداعي الرفيق والهادي الشفيق بالإعراض عنهم أيضا ، فقال مسليا له مهددا لهم : ﴿فأعرض عنهم﴾ أي غير مبال بهم وإن اشتد أذاهم ﴿وانتظر﴾ أي

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٩١٢/٥

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٥٥/٦

ما نفعل بهم مما فيه إظهار أمرك وإعلاء دينك ، ولما كان الحال مقتضيا لتردد السامع في حالهم هل هو الانتظار ، أجيب على سبيل التأكيد بقوله : ﴿إنهم منتظرون*﴾

٦٥

أي ما يفعل بك وما يكون من عاقبة أمرك فيما تتوعدهم به وفي غيره ، وقد انطبق آخرها على أولها بالإنذار بهذا الكتاب ، وأعلم بجلالته وجزالته وشدته وشجاعته أنه ليس فيه نوع **ارتياب** ، وأيضا فأولها في التذكيب بتنزيله ، وآخرها في الاستهزاء بتأويله ، ﴿يوم يأتي تأويله الذي نسوه من قبل﴾ [الأعراف : ٥٣] - الآية ، وأيضا فالأول في التكذيب بإنزال الروح المعنوي ، والآخر في التكذيب بإعادة الروح العيني الحسي الذي ابتدأه أول مرة والله الهادي إلى الصواب.

٦٦

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٦٥." (١)

"حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن وتخصيصا وإجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله تعالى : ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ - الآية ، فنزههم عن تطرق سوء أو دخول **ارتياب** على مصون معتقداتهم وجليل إيمانهم ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ والآية بعد ذلك ، وهي قوله تعالى : ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾ - الآية ، ومنها ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ فتزههن سبحانه وبين شرفهن على مد عداهن ، ومنها تنزيه أهل البيت وتكرمتهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية ، ومنها الأمر بالحجاب ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج وعدم الحجاب ، وصانهن عن التبذل والامتهان ، ومنها قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ فوصاهم جل وتعالى ونزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن والغضب في سوء أدبهم وعظيم مرتكبهم ، إلى ما تضمنت السورة من هذا القبيل ، ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة واللطف الشامل كقوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ ثم قال تعالى : ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا كثيرا﴾ - إلى قوله تعالى : ﴿أجرا كريما﴾ وقوله تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وقوله تعالى : ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ - إلى قوله : ﴿وأجرا عظيما﴾ وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ - إلى قوله : ﴿عظيما﴾ وقوله تعالى : ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله : ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ وقوله تعالى مثنيا على المؤمنين بوفائهم وصدقهم ﴿ولما رأي المؤمنون الأحزاب." (٢)

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦/٩٦

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦/١٠١

"ولما كان كل من المظاهرة والتبني ناوعا إلى جهتين متنافيتين ، وكان أهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقا مؤبدا لا رجعة فيه – كما نقله ابن الملقن في عمدة المنهاج عن صاحب الحاوي ، وكان المخاطبون قد أعلاهم الوعظ السابق إلى التأهل للخطاب ، لفت سبحانه القول إليه على قراءة الغيب في " يعلمون " لأبي عمرو فقال : ﴿وما جعل أزواجكم﴾ أي بما أباح لكم من الاستمتاع بهن من جهة الزوجية ؛ ثم أشار إلى الجهة الأخرى بقوله : ﴿اللائي تظاهرون منهن﴾ أي كما يقول الإنسان للواحدة منهن : أنت علي كظهر أمي ﴿أمهاتكم﴾ بما حرم عليكم من الاستماع بهن حتى تجعلوا ذلك على التأييد وترتبوا على ذلك أحكام الأمهات كلها ، لأنه لا يكون لرجل أمان ، ولو جعل ذلك

٧٢

لضاق الأمر ، واتسع الخرق ، وامتنع الرتق ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ بما جعل لهم من النسبة والانتساب إلى غيركم ﴿أبناءكم﴾ بما جعلتم لهم من الانتساب إليكم ليحل لهم إرثكم ، وتحرم عليكم حلائلهم وغير ذلك من أحكام الأبناء ، ولا يكون لابن أبوان ، ولو جعل ذلك لضاعت الأنساب ، وعم **الارتياب** ، وانقلب كثير من الحقائق أي انقلاب ، فانفتح بذلك من الفساد أبواب أي أبواب ، فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الذي تبينته ابنا لك أيها النبي بتبينك له جزاء له باختياره لك على أبيه وأهله ، وهذا توطئة لما يأتي من قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوي وغيره : تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، وبين أن التبني إنما هو مجاز ، وأن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيقي وما ألحق به من الرضاع ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان تبنى زيدا بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ادعوهم لآبائهم﴾.

". (١)

"ولما ذكر وصف النبوة لأنه مدار الأكرم من الخالق والمحبة من الخلائق تشريفا له به وتعليقا للحكم بالوصف ، لأنه لو قال " لك " كان ربما وقع في بعض الأوهام – كما قال الزجاج – أنه غير خاص به صلى الله عليه وسلم ، كرره بيانا لمزيد شرفه في سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول فقال : ﴿إن أراد النبي﴾ أي الذي أعلينا قدره بما اختصصناه به من الإنباء بالأمور العظمية من عالم الغيب والشهادة ﴿أن يستنكحها﴾ أي

١٢٠

يوجد نكاحه لها يجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين ، فتصير له مجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١١٦

ولما كان ربما فهم أن غيره يشاركه في هذا المعنى ، قال مبينا لخصوصيته واصفا لمصدر ﴿أحللنا﴾ مفخما للأمر بهاء المبالغة

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٠٥/٦

ملتفتا إلى الخطاب لأنه معين للمراد رافع **للارتياب** : ﴿خالصة لك﴾ وزاد المعنى بيانا بقوله : ﴿من دون المؤمنين﴾ أي من الأنبياء وغيرهم ، وأطلق الوصف للرسوخ فشمل من قيد بالإحسان والإيقان ، وغير ذلك من الألوان ، دخل من نزل عن رتبهم من الذين يؤمنون والذين آمنوا وسائر الناس من باب الأولى مفهوم موافقة ، وقدكان الواهبات عدة ولم يكن عنده منهن شيء.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله وأقوال : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها ، فلما نزلت ﴿ترجى من تشاء منهن﴾ قلت : يا رسول الله ، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص تام القدرة ، ليمنع غيره من ذلك ، علله بقوله : ﴿قد﴾ أي أخبرناك بأن هذا أمر يخصك دونهم لأنا قد ﴿علمنا ما فرضنا﴾ أي قدرنا بعظمتنا.

(١) ".

"مقول هو ، والسلام يجمع جميع النعم ، ثم بين هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله : ﴿قولا من رب﴾ أي دائم الإحسان ﴿رحيم*﴾ أي عظيم الإكرام بما ترضاه الألهية ، كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا ، فيرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش والصعق لعظيم الأمر وبالتأهيل لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه ، وقد أوضح هذا السياق أنه من اللع تعالى بلا واسطة ، فإنه أكده بالقول وحرف الابتداء ، وذكر صفات الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : ولا **ارتياب** في أنه لا شيء يعدل هذا في النعيم وقرة العين والشرف وعلو القدر ، ولا شك أن هذا هو المقصود بالحقيقة ، فهو قلب النعيم في ذلك اليوم الذي هو قلب الوجود حقا خفاء وصلاحا وفسادا ، فصح أن هذه الآية قلب قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن ، وقد ورد حديث في تفسير البغوي وكتاب المائتين للأستاذ أبي عثمان الصابوني أنه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الحنة ، وذلك قوله تعالى ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته في ديارهم ".

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٧١

قال الاستاذ أبو عثمان : هذا حديث غريب الإسناد والمتن لا أعلم إني كتبته إلا من هذا الوجه.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٧٨/٦

." (١)

"ولما كان في معرض المعارضة لتألبهم وشقاقهم ، وتجمعهم على المناواة باطلا واتفاقهم ، ولما كانوا لما عندهم من العناد وحمية الجاهلية ربما أنكروا أن يكون هلاك هؤلاء الأحزاب لأجل التكذيب ، وقالوا : هو عادة الدهر في الإهلاك والتخالف في

٣٦٦

أسباب الهلاك ، قال مؤكدا بأنواع التأكيد : ﴿إن﴾ أي ما ﴿كل﴾ من هذه الفرق كان لهلاكه سب من الأسباب ﴿إلا﴾ أنه ﴿كذب الرسل﴾ أي كلهم بتذكيب رسوله ، فإن من كذب رسولا واحدا مع ثبوت رسالته فقد استهان بمن أرسله ، وذلك ملزوم لتكذيب جميع من يرسله لتساوي أقدام المعجزات التي ثبتت رسالتهم بها في إيجاب التصديق ﴿فحق﴾ أي فتسبب عن ذلك التكذيب أنه حق ﴿عقاب*﴾ أي ثبت عليه فلم يقدر على التخلص منه بوجه من الوجوه والعدول إلى إفراد الضمير مع أسلوب التكلم لأن المقام للتوحيد كما مضى وهو أنص على المراد ، وتقدم السر في حذف الياء رسما في جميع المصاحف ، وقراءة عند أكثر القراء وفي إثباتها في الحالين ليعقوب وحده.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٦٦

ولما كان السياق للشقاق والإذعان للذكر الذي هو الموعظة ذات الشرف :

ولا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

كان الحال مقتضيا للعقوبة بخلاف ما في " ق " فإن السياق لإنكارهم البعث وصحة النذارة وإثبات المجد ، فكان الوعيد في ذلك كافيا.

ولما كان التقدير : فلقد أعقبنا كلا من أولئك الأحزاب لما حق عليهم العقاب بنوع من الأنواع لا شك فيه عند أحد ولا ارتياب ، عطف عليه قوله : ﴿وما﴾ ولما كانت قريش في شدة العناد والتصميم على الكفر والاستكبار عن الإذعان للحق وتعاطي الجميع أسباب العذاب كأنهم ينتظرونه ويستعجلونه ، عبر بما يدل على الانتظار.

." (٢)

"ولما كان كأنه قيل : هذا ضلال عظيم هل ضر أحد مثله ؟ أجيب بقوله : ﴿كذلك﴾ أي مثل هذا الضلال العظيم الشأن ﴿يضل﴾ وأبرز الاسم ولم يضمره لئلا يخص الإضلال بالحيثية الماضية ، وجعله الجلالة تعظيما للأمر لصلاحية الحال لذلك وكذا ما يأتي بعده ﴿الله﴾ أي بما له من صفات القهر ﴿من هو مسرف﴾ أي متعال في الأمور خارج عن الحدود

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦/٣٩٢

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦/٥٣٧

طالب للارتفاع عن طور البشر.

ولما كان السياق للشك في الرسالة والقول بالظن الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة قال : ﴿مرتاب*﴾ أي يشك فيما لا يقبل الشك ويتهم غيره بما لا حظ للتهمة فيه ، أي بدينه التذبذب في الأمور الدينية ، فلا يكاد يحقق أمرا من الأمور ، ولا إسراف ولا **ارتياب** أعظم من حال المشرك فإنه منع الحق أهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه ، وهذه الآية دليل على أن القبط طول الدهر على ما نشاهده من أنه لا ثقة بدخولهم في الدين الحق ، ولا ثبات لهم في الأعمال الصالحة.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٥١٠

ولما ظهر ظهورا لا يحتمل شكا بما أتى به موسى عليه السلام من البينات أن شكهم في رسالة وجزمهم في الحكم بنفي رسالة الآتي أعظم ضلال وأنه من الجدال الذي لا معنى له إلا فتل المحق عما هو عليه من الحق إلى ما عليه المجادل من الضلال ، وصل بذلك قوله على سبيل الاستنتاج ذما لهم بعبارة تعم غيرهم : ﴿الذين﴾ أي جدال من ﴿يجادلون﴾ أي يقاتلون ويخاصمون خصاما شديدا ﴿في آيات الله﴾ أي المحيطة بأوصاف الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد ، فإنها أظهر الآيات على وجوده سبحانه وعلى ما هو عليه من الصفات والأفعال وما يجوز عليه أو يستحيل.

٥١٣

".(١)

"لما ثبت اختصاصه بالملك وكان الملك لا يكون إلا عالما بملكه وكان ربما ادعى مدع وتكذب معاند في الملك أو العلم ، قطع الأطماع بقوله : ﴿وعنده﴾ أي وحده ﴿علم الساعة﴾ سائقا له مساق ما هو معلوم الكون ، لا مجال للخلاف فيه إشارة إلى ما عليها من الأدلة القطعية المركوزة في الفطرة الأولى فكيف بما يؤدي إليه الفكر من الذكر المنبه عليه السمع ، ولأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته ، وخوفا من سطواته ، ورجاء في بركاته ﴿وإليه﴾ أي وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿ترجعون﴾ بأيسر أمر تحقيقا لملكه وقطعا للنزاع في وحدانيته ، وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير وحمزة والكسائي وورش عن يعقوب بالخطاب أشد تهديدا من قراءة الباقين بالغيب ، وأدل على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه **ارتياب**.

ولما أرشد السياق قطعا إلى التقدير : فلا شريك له في شيء من ذلك ولا ولده ولا يقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لا يقدر أحد على مدافعة قضائه وقدره ، عطف عليه قوله : ﴿ولا يملك﴾ أي بوجه م الوجوه في وقت ما ﴿الذين يدعون﴾ أي يجعلونهم في موضع الدعاء بعبادتهم لهم ، وبين سفول رتبتهم بقوله تعالى : ﴿من دونه﴾ من أدنى

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧٦٣/٦

رتبة من رتبته من الأصنام والملائكة والبشر وغيرهم ﴿الشفاعة﴾ أي فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم ﴿إلا من شهد﴾ أي منهم ﴿بالحق﴾.

أي التوحيد الذي يطابقه الواقع إذا انكشف أتم انكشاف وكذا ما يتبعه فإنه يكون أهلا لأن يشفع كالملائكة والمسيح عليهم الصلاة والسلام ، والمعنى أن أصنامهم التي ادعوا أنها تشفع لهم لا تشفع غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى.

ولما كان ذلك مركوزا حتى في فطر الكفار فلا يفزعون في وقت الشدائد إلا إلى

٥٨

". (١)

"سورة المنافقون

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٠٤

لما نهى سبحانه في الممتحنة عن اتخاذ عدوه وليا ، وذم في الصف على المخالفة بين القول والفعل ، وحذر آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم على حال من الأحوال ولما مع الوفاق ، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق ، قبح في أول هذه حال من أقبل عليه على حال النفاق ، لأنه يكون كاليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، واستمرت السورة كلها في ذمهم بأقبح الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق ، فقال تعالى : ﴿إذا جاءك﴾ أي يا أيها الرسول المبشر به في التوراة والإنجيل

٦٠٥

﴿المنافقون﴾ أي العريقون في وصف النفاق وهو إسلام الظاهر وكفر الباطن ، وأغلبهم من اليهود ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم لما عندهم من **الارتياب** : ﴿نشهد﴾ قال الحسن : هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا : نقسم ﴿إنك﴾ – التأكيد لذلك وإيهاما لأن قوة تأكيدهم لشدة رغبتهم في مضمون ما يقولونه ﴿لرسول الله﴾ أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة ، فوافقوا الحق بظاهر أحوالهم ، وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم.

ولما كانت الشهادة الإخبار عن علم اليقين لأنها من الشهود وهو كما الحضور وتمام الاطلاع ومواطأة القلوب للألسنة ، صدق سبحانه المشهود به وكذبهم في الإقسام بالشهادة ومواطأة ألسنتهم لقلوبهم فقال : ﴿والله﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال ﴿يشهد﴾ شهادة هي الشهادة لأنها محيطة بدقائق الظاهر والباطن ﴿أن المنافقين﴾ أي الراسخين في وصف النفاق ﴿لكاذبون *﴾ أي في إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ، ومن شرط قول الحق أن يتصل ظاهره باطنه وسره بعلانيته ، ومتى تخالف ذلك فهو كذب ، لا المراد أنهم كاذبون في صحة ما تضمنته

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٨٩/٧

شهادتهم من أنك رسول الله والحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر والإذعان له ، فصدقهم في الأول وكذبهم في الثاني فصاروا بنفاقهم أسفل حالا وشر مآلا من اليهود.
". (١)

"ولما كان الخشب ربما أطلق على المغروس ، نفى ذلك بقوله منبها بالتشديد على الكثرة : ﴿مسندة﴾ أي قد قطعت من مغارسها وقشرت وأسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب ، فهي بيض تلوح تعجب ناظرها ولا ثبات لها ولا باطن بثمرة ولا سقي فلا مدد سماوي لها أصلا يزكيها نوع زكاء فقد فقدت روح الإثبات الذي به كمالها كما فقد المنافق روح الذي به كمال الناطق وبقاؤه ، فهم في تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام.

ولما كان من يقول ما لا يفعل يصير متهما لكل من يكلمه ، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن ، وذلك هو السبب الأعظم في تحسين قوله ، قال : ﴿يحسبون﴾ أي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ﴿كل صيحة﴾ أي من نداء مناد في انفلات دابة أو إنشاد ضالة ، ونحو ذلك ﴿عليهم﴾ أي واقعة.

ولما كان من يظن عداوة الناس له يكون هو عدوا لهم ، قال نتيجة ما مضى : ﴿هم﴾ أي خاصة ﴿العدو﴾ أي كامل العداوة بما دل عليه الإخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع دون الجمع إشارة إلى أنهم - في شدة عداوتهم للاسلام وأهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه - على قلب واحد وإن أظهروا التودد في الكلام والتقرب به إلى أهل الإسلام ، فإن ألسنتهم معكم إذا لقوكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهو عيون لهم عليكم.

ولما بين ذلك من سوء أحوالهم سبب عنه قوله : ﴿فاحذرهم﴾ لأن أعدى الأعداء العدو المداحي الذي يكاشرك وتحت ظلوعه الداء الدوي ، فإن من استشعر أنك عدو له بغى لك الغوائل ، وأغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون ، ولكنه يكون بلطف

٦٠٩

الله دائم الخذلان منكوسا في أكثر تقلباته بيد القهر والحرمان لسر قوله تعالى : ﴿قاتلهم الله﴾ أي أحلهم الملك المحيط علما وقدرة محل من يقاتله عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٦٠٨
". (٢)

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧/٩٣٥

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧/٩٤٠

"ولما أبان هذا طريق الصواب ، وجلى كل ارتياب ، وكان لا بد من الرجوع إليه والإنقلاب ، لإتمام ، الرحمة بالثواب والعقاب ، سبب عنه قوله : ﴿فستعلمون﴾ أي عند التجلي عليكم بصفة القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه ﴿من هو﴾ أي منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا ﴿في ضلال﴾ أي أخذ في غير مسلك موصل إلى مقصد محيط به الضلال بحيث إنه لا قدرة له على الانفكاك منه إلا إن أطاع من يجره بيده فيخرجه منه ، ولما كان الشيء إذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال : ﴿مبين *﴾ أي بين في نفسه موضع لكل أحد أنه لا خفاء به.

ولما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته وتفرده في مملكته ، ودل على ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء ، ختم بمثل ذلك بالماء الذي وجوده هو سبب للحياة وعدمه سبب للموت ، فقال قارعا بالتنبيه مشيرا بتكرير الأمر إلى مزيد التوبيخ والزجر والتبكيت دالا على تعيين ما أبهم من أهل الضلال ، ومصرحا بما لوح إليه من ذلك الإجمال.

﴿قل﴾ أي يا أعظم خلقنا وأعلمهم بنا : ﴿أرءيتم﴾ أي أخبروني إخبارا لا لبس فيه ولا خفاء ، ولما كان شديد العناية بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، سكن قلبه في وعيدهم بالإشارة إلى الرفق بهم لأجله ، فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال : ﴿إن﴾ ولما كانت النعمة أشد ما يكون إذا كانت في الصباح الذي هو موضع ارتقاب الفلاح قال : ﴿أصبح مآؤكم﴾ أي الذي تعدونه في أيديكم - بما نبهت عليه الإضافة.

ولما كان المقصود المبالغة ، جعله نفس المصدر فقال : ﴿غورا﴾ أي نازلا في الأرض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة - بما دل على ذلك الوصف بالمصدر ﴿فمن يأتيكم﴾ على ضعفكم حينئذ وافتقاركم وانخلاع قلوبكم واضطراب أفكاركم ﴿بماء معين *﴾ أي جار دائما لا ينقطع أو ظاهرا للأعين سهل المأخذ إلا الله رب العالمين فإنه هو القادر على ذلك ، فقد رجع ذلك الآخر كما ترى على ذلك الأول ، وعانقه على أحسن وجه وأكمل - والله أعلم.

٨٨

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٨٦." (١)

"وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال كل فريق وشتى درجاتهم ، وأعني بالفريقين من أشير إليه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فهذا طريق أحد الفريقين ، وفي قوله : ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ إشارة إلى طريق من كان في الطرف الآخر من حال أولئك الفريق إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى : ٧] ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [التغابن : ٢] والسالكون طريف السلامة فأعلى درجاتهم مقامات

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٢٩/٨

الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم يليهم أتباعهم من صالحي العباد وعلمائهم العاملين وعبادهم وأهل الخصوص منهم والقرب من أحوال من تنسك منهم ، ورتبتهم مختلفة وإن جمعهم جامع وهو قوله : ﴿فريق في الجنة﴾ وأما أهل التنكب عن هذا الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات أيضا ، ويضم جميعهم طريق واحد فكيفما تشعبت الطرف فإلى ما ذكر من الطريقين مرجعهما ، وباختلاف سبل الجميع عرفت آي الكتاب وفصلت ، ذكر كله تفصيلا لا يبقى معه **ارتياب** لمن وفق ، فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به ، وتداولت بيانه الآي من لدن قوله بعد أم القرآن ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] إلى قوله : ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى :

٥٥٤

(١) ".

"في فتنة ابن الفارض ، وكلهم معاند معارض ، وألبوا علي رعاع الناس ، فاشتد شعاع البأس ،

٦٢٠

فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس ، وصوبوا طريق الإلحاد ، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد ، ولجوا بالخصام في العناد ، وأفتوا بمحض الباطل ، وبثوا السم القاتل ، إلا ناسا قليلا كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا ، فسألتهم سؤالا ، جعلهم ضلالا جهالا ، فتداولوه فيما بينهم وتناقلوه وعجزوا عن جوابه بعد أن راموه أشد الروم ، وحاولوه فظهر لاكثر الناس حالهم ، واشتهر بينهم ضلالهم ، وغيهم الواضح ومحالهم ، وصنفت في ذلك عدة مصنفات ، بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت ، منها " صواب الجواب للسائل المرتاب " ومنها " القارض لتكفير ابن الفارض " ومنها " تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض " ومنها " تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي " ومنها " تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد " أنفقت فيها عمرا مديدا ، وبددوا فيها أوقاتي – بددهم الله تبديدا ، وهدد أركانهم وأعضادهم تهديدا ، وقرعتهم بالعجز عن الجواب ، الكاشف **للارتياب** ، صباحا ومساء ، وإعادة وإبداء ، فحملهم التقريع ، والتوبيخ والتبخيع ، على كتابه جواب ، لم يخل من ارتجاج واضطراب ، وشك **وارتياب** ، بينت أن جامعه أخطأ في جميعه الصواب ، وكفر في أربعة مواضع كفرا صريحا ، وكذب في ثمانية فصار بذلك جريحا ، بل هالكا طريحا ، فأطلت بذلك التقريع ، والتوبيخ والتبشيع ، فذلت أعناقهم ، وضعف شقاقهم ، وخفي نفاقهم ، غير أنه حصل في كل واحدة من هذه الوقائع ، من الشرور وعجائب المقدور ، ما غطى ظلامه الشموس الطوالع.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٦١١

وطال الأمر في ذلك سنين ، وعم الكرب حتى كثر الأنين ، والتضرع في الدعاء والحنين ، وثبت الله ورزق الصبر والأناة حتى أكمل هذا الكتاب ، على ماتراه من الحسن والصواب.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٨/٨٢١

". (١)

" صفحة رقم ٣٣

يعلمون حقيته بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخمس التي بني عليها الإسلام

البقرة : (١ - ١٦) الم

) الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين كفروا سوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وإذا قيل لهم آمنوا كمآ آمن الناس قالوا أنؤمن كمآ آمن السفهآء ألا إنهم هم السفهآء ولكن لا يعلمون وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (( ) ولما كان المعنى) آلم (هذا كتاب من جنس حروفكم التي قدو فقتم في التكلم بها سلئر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلانه كلام الله انتج ذلك كماله ، فأشير إليه بأداة البعد ولام الكمال في قوله) ذلك الكتب (لعلو مقدار بجلالة آثاره وبعد رتبته عن نيل المطرودين .

ولما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه ويسلتزمه ذلك التعظيم فقال) لاريب فيه) أي في شيء من معناه ولانظمه في نفس الأمر عند من تحقق بالنظر فالمنفي كونه متعاقالريب ومظنة له ، ولم يقد الظرف لأنه كان يفيد الاختصاص فيهم أن غيره من الكتب محل الريب قال الحرالي : (ذا) اسم مدلوله المشار إليه والام مدلوله معها بعدما) الكتاب (من الكتب وهو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من أصله كالخرز في الجلد بقد منه والخياطة في الثوب بشيء من جنسه ليكون أقرب لصورة اتصاله الول ، فسمي به ما أزمه الناس من الأحكام وما أثبت بالقوم من الكلام) لا (لنفي ما هو ممتع مطلقا." (٢)

" صفحة رقم ٥٤٣

القرآن

٧٧ ( ) واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ( ) ٧

[البقرة : ٢٨١] قال : زعموا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مكث بعدها تسع ليال وبدئ به يوم السبت ومات

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٩٢٨/٨

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٣٣/١

يوم الاثنين – انتهى .

ولا مخالفة لأنها من آية الربا والدين .

وروى الحديث أبو عمرو الداني في كتاب (البيان في عدد آي القرآن) وقال فيه : (قال الملك : اجعلها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة) .

ولما كان من المعلوم أنه لا يدفعه حجة كان التقدير : فامتثلوا ما أمرتم به واجتنبوا ما نهيتم عنه ، فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه والمجازاة بين يديه فقال – وقال الحرالي : لما أنهي الخطاب بأمر الدين وعلنه وأمر الآخرة على وجوهها وإظهار حكمتها المرتبطة بأمر الدنيا وبين أمر الإنفاق والربا الذي هو غاية أمر الدين والدنيا في صلاحهما وأنهى ذلك إلى الموعظة بموعود جزائه في الدنيا والآخرة أجمل الموعظة بتقوى يوم الرجعة إلى إحاطة أمره ليقع الختم بأجمل موعظة وأشملها ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب الأنفس لتجتمع عزائمها على ما هو ملاك أمرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها من خطاب الله سبحانه وتعالى لها فختم ذلك بكمال معناه بهذه الآية كما أنها هي الآية التي ختم بها التنزيل أنزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) هو في الشكاية وهي آخر آية أنزلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) في مقابلة

٧٧ ( ) اقرأ باسم ربك ( ) ٧

[العلق : ١] الذي هو أول منزل النبوة و

٧٧ ( ) يا أيها المدثر ( ) ٧

[المدثر : ١] الذي هو أول منزل الرسالة فكان أول الأمر نذارة وآخره موعظة تبعث النفس على الخوف وتبعث القلب على الشوق من معنى ما اختتم به أمر خطاب الله سبحانه وتعالى في آية

٧٧ ( ) مالك يوم الدين ( ) ٧

[الفاتحة : ٤] انتهى – فقال تعالى : (واتقوا يوما) أي في غاية العظم) ترجعون فيه (حسا بذواتكم كما أنتم في الدنيا ومعنى بجميع أموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شيء من الأسباب ولا يحول دونه عارض ارتياب) إلى الله (الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد ، فيكون حالكم بعد النقلة من الدنيا كحالكم قبل البروز إليها من البطن لا تصرف لكم أصلا ولا متصرف فيكم إلا الله ويكون حالكم في ذلك اليوم الإعسار ، لأنه لا يمكن أحد أن يكافئ ما لله سبحانه وتعالى عليه من نعمه ، فمن نوقش الحساب عذب ؛ فإن كنتم تحبون المجاوزة عنكم هنالك فتجاوزوا أنتم عن إخوانكم اليوم ، وتصدقوا ما دمتم." (١)

" صفحة رقم ٣٧٥

الكتاب لرفع الارتياب ملتبسا) بالحق) أي الذي يطابقه الواقع ، وستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق من الأخبار ، كائنا ذلك الحق) من ربكم) أي المحسن إليكم ، فإن اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه ، فتمت نعمته عليكم ، ولهذا سبب عن ذلك قوله : (فآمنوا (ولما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم : إن تؤمنوا يكن الإيمان) خيرا لكم (، عطف

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٥٤٣/١

عليه قوله : (وإن تكفروا) أي تستمروا على كفرانكم ، أو تجددوا كفرا ، يكن الكفران شرا لكم ، أي خاصا ذلك الشر بكم ، ولا يضره في ذلك شيء ، ولا ينقصه من ملكه شيئا ، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا ولا زاد في ملكه شيئان لأن له الغنى المطلق ، وهذا معنى قوله : (فإن الله) أي الكامل العظمة) ما في السموات والأرض (فإنه نم إقامة العلة مقام المعلول ، ولم يؤكد بتكرير (ما) وإن كان الخطاب مع المضطرين ، لأن قيام الأدلة أوصل إلى حد من الوضوح بشهادة الله ما لا مزيد عليه ، فصار المدلول به كالمحسوس .

ولما كان التقدير : فهو غني عنكم ، وله عبيد غيركم لا يعصونه ، وهو قادر على تعذيبكم بإسقاط ما أراد من السماء ، وخسف ما أراد من الأرض وغير ذلك ، وكان تنعيم المؤالف وتعذيب المخالف تلقي النضيحة بالقبول دائرا على العلم وعلى الحكمة التي هي نتيجة العلم والقدرة قال : (وكان الله) أي الذي له الاختصاص التام بجميع صفات الكمال أزلا وأبدا مع أن له جميع الملك) عليما) أي فلا يسع ذا لب أن يعدل عما أخبر به من أن أمر هذا الرسول حق إذ هو لم يخبر به إلا عن تمام العلم ، ولا يخفى عليه عاص ولا مطيع) حكيما (فلا ينبغي لعاقل أن يضيع شيئا من أوامره لأنه لم يضعها إلا على كمال الأحكام ، فهو جدير بأن يحل بمخالفة أي انتقام ، ويثيب من أطاعه بكل إنعام .

ولما اقتضى السياق الأكمل فيما سبق إتمام أمر عيسى عليه الصلاة والسلام إذ كان الكلام في بيان عظيم جرأتهم وجفاءهم ، وكان ما فعلوا معه أدل دليل على ذلك ، وكان كل من أعدائه وأحبابه قد ضل في أمره ، وغلا في شأنه اليهود بخفضه ، والنصارى برفعه ؛ اقتضى قانون العلم والحكمة المشار إليهما بختام الآية السالفة بيان ما هو الحق من شأنه ودعاء الفريقين إليه فقال : (ياأهل الكتاب) أي عامة) لا تغلوا في دينكم) أي لا تفرطوا في أمره ، فتجاوزوا بسببه حدود الشرع وقوانين العقل) ولا تقولوا على الله) أي الملك الأعلى الذي لا كفوء له شيئا من القول) إلا الحق) أي الذي يطابقه الواقع ، فمن قال عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه لغير رشدة ، فقد أغرق في الباطل ، فإنه لو." (١)

" صفحة رقم ٦٨٣

علوم الأنبياء مثل النجوم والخط وغير ذلك ، ولولا الأنبياء الذين أدركوا علم النجوم وعرفوا مجاري الكواكب في البروج وما لها من السير في استقامتها ورجوعها ، وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك بما لا ارتياب فيه ، لما قدر الناس على إدراكه ، وذلك كله بوحي من الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، وقد روي أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم ، وروي في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء ، ولولا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف ولا عرفوها .

ولما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا علا عن طوق الإنسان والملائكة والجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت فخرا يتوقع فيه التنبيه عليه فقال : (قد فصلنا) أي بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة) الآيات (واحدة في إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع والمثال الرفيع ؛ ولما كانت من الوضوح في حد لا يحتاج إلى كثير تأمل قال : (لقوم يعلمون) أي لهم قيام فيما إليهم ، ولهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضي والسماوي ، أتبعه – كما مضى في أول السورة – الخلق المفرد الجامع لجميع

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢/٣٧٥

الملكوت ، وهو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمفاوتة أول الإبداع وآخر الآجال ما اعتقدوا في النور والظلمة والشمس والقمر وغيرهما ، لأن واحدا منها لا اختيار له في شيء يصدر عنه ، بل هو مسخر ومقهور كما هو محسوس ومشهور ، فقال : (وهو) أي لا غيره) الذي أنشأكم) أي وأنتم في غاية التفاوت في الطول والقد واللون والشكل وغير ذلك من الأعراض التي دبرها سبحانه على ما اقتضته حكمته) من نفس واحدة (ثم اقتطع منها زوجها ثم فرعكم منهما .

ولما كان أغلب الناس في الحياة الدنيا يعمل عمل من لا يحول ولا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت فيه بقية من حياة ، قال : (فمستقر) أي فسبب عن ذلك أنه منكم مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير وابن عمر وبكسر القاف اسم فاعل ، والمعنى في قراءة الباقين بفتحه اسم مكان

٧٧ ( ) ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ( ) ٧

[البقرة : ٢٦] .." (١)

" صفحة رقم ٧٠١

ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع وما يجتنب ، قال معللا لهذا الإخبار : (إن ربك) أي المحسن إليك بإنزال هذا الكتاب الكاشف للارتياب الهادي إلى الصواب) هو) أي وحده) أعلم (ولكون الحال شديد الاقتضاء للعلم ، قطعه عما بعده ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال : (من) أي يعلم من) يضل) أي يقع منه ضلال يوما ما) عن سبيله) أي الذي بينه بعلمه) وهو) أي وحده) أعلم بالمهتدين (كما أنه أعلم بالضالين ، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه ، ومن نهاكم عنه فاجتنبوه ، فمن ضل أرداه ، ومن اهتدى أنجاه ، فاستمسكوا بأسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه .

ولما قدم سبحانه ما مضى من السوائب وما معها وفي المائدة مما يدين به أهل الجاهلية في أكل الحيوان الذي جر إليه الشرك ، وأتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا اهتدوا ، وأتبع ذلك ما لاءمه ، وانتظم في سلكه ولاحمه ، حتى ظهر أي ظهور أن الكل ملكه وملكه ، وأنه لا شريك له ، فوجب شكره وحده ، وكانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تتعالى فاتخذوا معه شركاء ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ، فكانوا بذلك المانعين الحق عن أهله ، ومانحين ما خولهم فيه من له الملك لما لا يملك ضرا ولا نفعا ، وتاركين بعض ما أنعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة ، وكانت سنة الله تعالى قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية .

ويستدل على ذلك بخلق السماوات والأرض وما أودع فيهما لنا من المنافع وما أبدع من المرافق والمصانع ، ثم يعجب ممن أشرك به ، ثم يأمر بالأكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ، ليكون ذلك داعية لكل ذي لب إلى شكره ، كما قال تعالى في البقرة عقب) وإلهكم إله واحد (

٧٧ ( ) إن في خلق السماوات والأرض ( ) ٧

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٨٣/٢

[البقرة : ١٦٤] ثم قال

٧٧ ( ) ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ( ) ٧

[البقرة : ١٦٥] ثم قال

٧٧ ( ) يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ( ) ٧

[البقرة : ١٦٨] ؛ أجرى هذه السنة الجليلة في هذه السورة أيضا ، فقال :

٧٧ ( ) إن الله فالق الحب والنوى ( ) ٧

[الأنعام : ٩٥] بعد

٧٧ ( ) إني وجهت وجهي للذي فطر ( ) ٧

[الأنعام : ٧٩] ثم

٧٧ ( ) وجعلوا لله شركاء الجن ( ) ٧

[الأنعام : ١٠٠] ودل على أنه لا شريك له في ملكه ولا ملكه ، وختم بأنه لا حكم سواه ينازعه في حكمه أو يباريه في شيء من أمره ، وبين أن من آيها الهداية التي جعلها شرطا لعدم ضرر يلحق من دين أهل الشرك ؛ فسبب عن جميع ما ذكرت قوله : (فكلوا مما ذكر) أي وقت الذبح) اسم الله) أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة فله كل شيء) عليه) أي كأن قائلا لذلك سواء ذكر بالفعل أولا ، وعدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه ، ولا يكونوا ممن بنى دينه على اتباع الأهوية والظنون الكاذبة ، فكأنه قيل : اتبعوا من يعرف الحق لأهله فإنه مهتد غير معرجين على غيره فإنه ضال ، ." (١)

" صفحة رقم ٦٨

الجارية الناعمة إنما سميت رؤدا من هذا ، وترأد : اهتز نعمة ، وزيد : قام فأخذته رعدة ، والغصن : تفيأ ، والعنق : التوى – كله من الدوران وما يلزمه من الاضطراب ، ورئد الإنسان : صديقه ، لأنه يراوده ويداوره ، والرأدة : أصل اللحى ، وهو أصول منبت الأسنان ، وهو العظم الذي يدور فيه طرفا اللحيين مما يلي الصدغين ؛ ومن الرفق والمهلة : الرؤدة – بالضم ، وهي التؤدة .

ولما أعلمنا سبحانه أنه رغبهم في شأن أخيه ، ورهبهم بالقول ، أعلمنا بأنه رغبهم فيه بالفعل ، فقال عاطفا على قوله الماضي لهم : (وقال) أي يوسف عليه الصلاة والسلام شفقة على إخوته وإرادة لنصحهم فيما سألهم فيه : (لفتيانه) أي غلمانه ، وأصل الفتى : الشاب القوي ، وسيأتي شرحه عند قوله تعالى : (تفتؤا تذكر يوسف ( ) اجعلوا بضاعتهم) أي ما بضعوه أي قطعوه من مالهم للتجارة وأخذناه منهم ثمنا لطعامهم الذي دفعناه لهم) في رحالهم) أي عدولهم ؛ والرحل : ما أعد للرحيل من وعاء أو مركب) لعلهم يعرفونها) أي بضاعتهم ؛ وعبر بأداة التحقق تفاؤلا لهم بالسلامة ، أو ظنا ، أو علما بالوحي ، فقال : (إذا انقلبوا (راجعين) إلى أهلهم) أي يعرفون أنها هي بعينها ، رددتها عليهم إحسانا إليهم ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢/٧٠١

ويجزمون بذلك ، ولا يظنون أن الله أخلف عليهم مثلها نظرا إلى حالهم وكرامة لأبيهم ، ويعرفون هذه النعمة لي) ولعلهم يرجعون) أي ليكون حالهم وحال من يرجع إلينا إذا عرفوها ، لردها تورعا ، أو للميرة بها إن لم يكن عندهم غيرها ، أو طمعا في مثل هذا ، وإنما لم يبادر إلى تعريفهم بنفسه والتعجيل بإدخال السرور على أبيه ، لأن ذلك غير ممكن عادة – لما يأتي من الحكم البالغة والتدبير المتين ، ودل على إسراعهم في الرجوع بالفاء فقال : (فلما رجعوا) أي إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام) إلى أبيهم (حملهم ما رأوا – من إحسان الصديق وحاجتهم إليه وتبرئتهم لأنفسهم عن أن يكونوا جواسيس – على أن) قالوا ياأبانا (.

ولما كان المضار لهم مطلق المنع ، بنوا للمفعول قولهم : (منع منا الكيل (لأخينا بنيامين على بعيره لغيبته ، ولنا كلنا بعد هذه المرة إن لم نذهب به معنا ليظهر صدقنا ؛ والمنع : إيجاد ما يتعذر به على القادر الفعل .

وضده : التسليط ، وأما العجز فضده القدرة) فأرسل) أي بسبب إزالة هذا المنع) معنا أخانا (إنك إن ترسله معنا) نكتل) أي لنفسه كما يكتال كل واحد منا لنفسه – هذا على قراءة حمزة والكسائي بالتحانية ، ولنؤوله على قراءة الجماعة بالنون – من الميرة ما وظفه العزيز ، وهو لكل واحد حمل ، وأكدوا لما تقدم من فعلهم بيوسف عليه الصلاة والسلام مما يوجب الارتياب بهم ، فقالوا : (وإنا له) أي خاصة) لحافظون) أي عن أن يناله مكروه حتى ندره إليك ، ." (١)

" صفحة رقم ١٣٤

للجة البحر ، وملحان : الكانون الثاني لصرفه بقوة برده الزمان عما كان عليه والناس عما كانوا عليه ، والملحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز ، لمنعه من رؤية عظام الصلب ورؤوس الأضلاع ؛ والمحل صرف ما في الزمان عن عادته بعدم المطر والإنبات ورفاهة العيش ، وكذا المحل للكيد والمكر والغبار والشدة والمحال ، لما تقدم من تفسيره ، ومنه ما حله : قاواه ، والمتحامل : الطويل المضطرب الخلق ، لخروجه عن العادة ، وتمحل له : احتال ، والممحل – كمعظم – من اللبن : الآخذ طعم حموضة ، والمحالة : البكرة العظيمة – لصرفها بفتلها الشيء عن وجهه ، والفقرة من فقر البعير – لمشابهتها والخشبة التي يستقر عليها الطيانون – لحملها إياهم ومنعها لهم من السقوط ، والمحل – ككتف : من طرد حتى أعيا ، لأنه صرف عما كان من عادته ، ورأيته متماحلا : متغير اللون ؛ واللمح : صرف البصر عما كان عليه ، ولمح البرق : لمع بعد كمونه ؛ واللحم من لحمة الثوب – بالضم ، كأنه سد ما حصل بالهزال من فرج ، ومنه : لحم كل شيء : لبه ؛ ولحم الأمر – كمنع : أحكمه ، والصائغ الفضة : لأمها ، وكذا كل صدع ، ولحم – كعلم : نشب في المكان ، كأنه وقع فيما يشبه اللحم فالتصق به فأدخله وشغله ، وهذا لحيم هذا ، أي وفقه وشكله – وهو يرجع إلى لحمة الثوب ، واستلحم الطريق : تبعه أو تبع أوسعه – كأنه جعل نفسه مثل لحمة السدى ، واستلحم الطريق : اتسع ، كأنه طلب ما يلحمه أي يسده ، وحبل ملاحم – بفتح الحاء : شديد الفتل ، لأنه سدت فرجه كما تسد اللحمة فرج الثوب ، ونبي الملحمة – من القتال ، لأنه ضرب اللحم بالسيف ، ومن التأليف كما يكون عن لحمة الثوب ، لأن غاية قتاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم خير وألفة ، والتحم الجرح للبرء : التأم – من ذلك ومن اللحم أيضا لأنه به التأم – والله أعلم .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٨/٤

ولما بين تعالى تصديقا لقوله

٧٧ ( ) وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ( ) ٧

[يوسف : ١٠٥] ما له من الآيات التابعة لصفات الكمال التي منها التنزه عما لا يليق بالجلال وأنه شديد المحال ، شرع يبين ضلالهم في اشتراكهم المشار إليه في قوله : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (بما هو علة لختم ما قبلها من أنه لا كفؤ له ، فقال : (له) أي الله سبحانه) دعوة الحق (إن دعاه أحد سمعه فأجابه – إن شاء – بما يشاء ، وإن دعا هو أحدا دعوة أمر ، بين الصواب بما يكشف **الارتياب** ، أو دعوة حكم لبى صاغرا وأجاب) والذين يدعون) أي يدعو الكافرون ، وبين سفول." [1]

" صفحة رقم ٦٩

ينكروا رسالته هو مثلهم ، بل عليهم أن يعترفوا له عندما أظهر من المعجز كما اعترفوا لأولئك ، كل ذلك فطما عن أنن يتمنى أحد إجابتهم إلى الأبيد بملك ظاهر ، فقال عاطفا على ما (آمنت) : (وما أرسلنا (.

ولما كان السياق لإنكار أن يكون النبي بشرا ، وكان الدهر كله ما خلا قط جزء منه من رسالة ، إما برسول قائم ، وإما بتناقل أخباره ، كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف جر : (قبلك) أي في دجميع الأزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف البشر) إلا رجلا نوحي إليهم (بالملائكة سرا من غير أن يطلع على ذلك الملك غيرهم كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار والإسرار عن الأغيار ، وذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر أمكن للتلقي منهم والأخذ عنهم .

ولما لم يكن لهم طريق في علم هذا إن يقبلوا خبره عن القرآن إلا سؤال من كانوا يفوعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعوهم على ما هم عليه من الشك **والارتياب** ، قال : (فاسألوا أهل الذكر (ثم نبه على أنهم غير محتاجين فيه إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من أحوال موسى وعيسى وإبراهيم وإساعيل وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بقوله ، معبرا بأداة الشكك محركا لهم إلى المعالي : (إن كنتم) أي بجبلاتكم) لا تعلمون) أي لا أهلية لك في انتقاص علم ، بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف .

ولما بين أنه على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا ، بين أنه على سنتهم فب جميع الأوصاف التي حكم بها على البشر من العيش والموت فقال : ( ) وما جعلناهم ( ) أي الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى الناس ليأمروهم بأومرنا .

ولما كان السبب في الأكل ترتيب هذا الهيكل الحيواني على ما هو عليه لا كونه متكثرا ، وحد فقال) جسدا) أي ذوي جسد لحم ودم متصفين بأنهم) لا يأكلون الطعام (بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون ، وليس ذلك بمانع من إرسالهم ؛ قا لابن فارس في المجمل : وفي كتاب الخليل : إن امظهر

لجسد لا يقال لغير الإنسان من خلق الأرض .

ثم عطف على الأول قوله : (وما كانوا خالدين) أي بأجسادهم ، بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم ، أي لم يكن

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٤/١٣٤

ذلك في جبلتهم وإنمكا تميزوا عن الناس بمات يأتيهم عن الل سبحانه ، ورسولكم (صلى الله عليه وسلم) ليس بخالد ، فتربصوا كما أشار إليه ختم طه فإنه متربص بكم وأنتم عاصون للملك الذي اقترب حسابه لخلقه وهو مطيع له ، فأيكم أحق بالأمن ؟ ولما بين أن الرسل كالمرسل إليهم بشرل غير خالدين ، بين سنته فيهم وفي أممهم ترغيبا لمن اتبع ، وترهيبا لمن امتنع ، فقال عاطفا بأداة التراخي في مظهر العظمة على ما." (١)

" صفحة رقم ٢٢١

وهم المقصودون بالتهديد : (وإنا) أي بما لنا من العظمة) على أن نريك) أي قبل موتك) ما نعدهم (من العذاب) لقادرون (ولما لاح من هذا أن أخذهم وتأخيرهم في الإمكان على حد سواء ، وكانوا يقولون ويفعلون ما لا صبر عليه إلا بمعونة من الله ، كان كأنه قال فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم ؟ فقال آمرا له بمداواته : (ادفع (وفخم الأمر بالموصول لما فيه من الإيهام المشوق للبيان ثم بأفعل التفضيل فقال : (بالتي هي أحسن) أي من الأقوال والأفعال بالصفح والمداراة) السيئة (ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله : (نحن أعلم) أي من كل عالم) بما يصفون (في حقك وحقنا ، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد بأغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

ولما كان الصبر عليه لا يطاق إلا به سبحانه ، أمره بالدعاء بذلك فقال : (وقل رب (أيها المحسن إلي) أعوذ بك) أي ألتجيء إليك) من همزات الشياطين) أي أن يصلوا إلي بوساوسهم التي هي كالنخس بالمهماز في الإقحام في السيئات البعد عن مطلق الحسنات ، فكيف بالأحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم إلى القبائح أزا) وأعوذ بك رب (اي أيها المربي لي) أن يحضرون) أي ولو لم تصل إلي وساوسهم فإن حضورهم هلكة ، وبعدهم بركة ، لأنهم مطبوعون على الفساد لا ينفكون عنه .

ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت ، وحالة الفوت ، فإنه وقت كشف الغطاء ، عما كتب من القضاء ، وآن اللقاء ، وتحتم السفول أوالارتقاء ، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى : (بل لا يشعرون (أو بمبلسون ، منبها بحرف الغاية على انه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجا لهم : (حتى (أو يكون التقدير كما يرشد إليه السياق : فلا أكون من ا لكافرين المطيعين للشياطين حتى) إذا جاء (وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال : (أحدهم الموت (فكشف له الغطاء ، وظهر له الحق ، ولاحت له بوارق العذاب ، ولم يبق في شيء من ذلك ارتياب) قال (مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهاه ووقوفه مع المحسوس دأب البهائم : (رب ارجعون) أي إلى الدنيا دار العلم ؛ ويجوزأن يكون الجمع لله تعالى وللملائكة ، أو للتعظيم على عادة في مخاطبات الأكابر لا سيما الملوك ، أو لقصد تكرير الفعل للتأكيد .

ولما كان في تلك الحالة على القطع من اليأس من النجاة لليأس من العمل لفوات داره مع وصوله غلى حد الغرغرة قال : (لعلي أعمل) أي لأكون على رجاء من أن." (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٩/٥

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢٢١/٥

" صفحة رقم ٢٢٦

أو تصريحا بالمراد دفعا للبس والارتياب ، ثم زادوا في التقليل فقالوا : (أبو بعض يوم (.

ولما كان المكرة في الدنيا إذا أرادوا تمشية كذبهم قالوا لمن أخبروه فتوقف في خبرهم : سل فلانا ، إيثاقا بإخبارهم ، وسترا لعوارهم ، جروا على ذلك تماديا منهم في الجهل بالعليم القدير في قولهم : (فاسأل) أي لتعلم صدق خبرنا أو بسبب ترددنا في العلم بحقيقة الحال لتحرير حقيقة المدة) العادين (ويحتمل أيضا قصد الترقيق عليهم بالإشارة إلى أن ما هم فيه من العذاب شاغل لهم عن أن يتصوروا شيئا حاضرا محسوسا ، فضلا عن أن يكون ماضيا ، فضلا عن أن يكون فكريا ، فكيف إن كان حسابا .

المؤمنون : (١١٤ - ١١٨) قال إن لبثتم. .. . .

) قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين (( )

ولما كان ذلك على تقدير تسليمه لا ينفعهم لأن الجزاء بالعذاب على عزمهم على التمادي في العناد على مر الآباد ، المصدق منهم بالانهماك في الفساد ، أجابهم إلى قصدهم في عدهم بعبارة صالحة صادقة على مدة لبثهم طال أو قصر ، بقوله على طريق الاستئناف لمن تشوف غلى معرفة جوابهم : (قال) أي الله على قراءة الجماعة ، وبينت قراءة حمزة والكسائي أن إسناد القول إليه سبحانه مجاز عن قول بعض عباده العظماء فقال على طريق الأول : (قل) أي لهؤلاء الذين وقع الإعراض عنهم) إن) أي ما) لبثتم (اي في الدنيا) إلا قليلا) أي هو من القلة بحيث بحيث لا يسمى بل هو عدم) لو أنكم كنتم (اي كونا هو كالجبلة) تعلمون) أي في عداد من يعلم في ذلك الوقت ، لما آثرتم الفاني على الباقي ، ولأقبلتم على ما ينفعكم ، وتركتم الخلاعة التي لا يرضاها عاقل ، ولا يكون على تقدير الرضا بفعلها إلا بعد الفراغ من المهم ، ولكنكم كنتم في عداد البهائم ، وفي ذلك تنبيه للمؤمنين الذين هم الوارثون على الشكر على ما منحهم من السرور بإهلاك أعدائهم وإيراثهم ارضهم وديارهم ، مع إعزازهم والبركة في أعمارهم ، بعد إراحتهم منهم في الدنيا ، ثم بإدامة سعادتهم في الآخرة وشقاوة أعدائهم .

ولما كان حالهم في ظنهم أن لا بعث ، حتى اشتغلوا بالفرح ، والبطر و المرح ، والاستهزاء بأهل الله ، حال من يظن العبث على الله الملك الحق المبين ، سبب عن ذلك عطفا على قوله) فاتخذتموه سخريا (إنكاره عليهم في قوله : (أفحسبتم (ويجوز أن." (١)

" صفحة رقم ٢٩٢

مترسلة أصدع للقلوب وأردع ، وكان إيضاح المشكلات ، في الفرق بين الملتبسات ، أعون بما يكون علة ، عبر بما يدل على الفرق وقدمه فقال : (نزل الفرقان (اي الكتاب الذي نزل إلى سماء الدنيا فكان كتابا ، ثم نزل مفرقا بحسب المصالح

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٥/٢٢٦

، فسمي لذلك فرقانا ، ولأنه الفارق بين ملتبس ، فلا يدع خفاء إلا بينه ، ولاحقا إلا أثبته ، ولا باطلا إلا نفاه ومحقه ، فيه انتظام الحياة الأولى والأخرى ، فكان قاطعا على علم منزله ، ومن علمه الباهر إنزاله) على عبده) أي الذي لا أحق منه بإضافته إلى ضميره الشريف ، لأنه خالص له ، لا شائبة لغيره فيه أصلا ، ولم يجز مخلوق ما جاز من طهارة الشيم ، وارتفاع الهمم ، ولا شك أن الرسول دال على مرسله في مقدار علمه ، وكثرة جنده ، واتساع ملكه

٧٧ ( ) الله أعلم حيث يجعل رسالاته ( ) ٧

[الأنعام : ١٢٤] ثم علل إنزاله عليه بقوله : (ليكون (اي العبد أو الفرقان .

ولما كان العالم ما سوى الله ، وكان ادعى مدع أم المراد البعضن لأنه قد يطلق اللفظ على جزء معناه بدلالة التضمن ، وكان الجمع لا بد أن يفيد ما أفاده المفرد بزيادة ، جمع ليعرف أن المراد المدلول المطابقي ، مع التصريح باستغراق جميع الأنواع الداخلة تحت مفهوم المفرد ، واختار جمع العقلاء تغليبا ، إعلاما بأنهم المقصودون بالذات فقال : (للعالمين (اي المكلفين كلهم من الجن والإنس والملائكة .

ولما كان كل من الكتاب والمنزل عليه بالغا في معناه ، عبر بما يصح أن يراد به المنذر والإنذار على وجه المبالغة فقال : (نذيرا) أي وبيرا ، وإنما اقتصر على النذارة للإشارة إلى البشارة بلفظ) تبارك (ولأن المقام لها ، لما ختم به تلك من إعراض المتولين عن الأحكام ، ونفى الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام ، وفيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة ، ولا التفات إلى من قال : إن الرازي والبرهان النسفي نقلا الإجماع على أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يرسل الملائكة ، فإن عبارة الرازي في بعض نسخ تفسيره : لكنا أجمعنا على أنه لم يرسل إلى الملائكة ، وفي أكثر النسخ : بينا - بدل : أجمعنا ، على أنه لو اتفقت جميع النسخ عليها لم تضر ، لأنها غير صريحة في إرادة الإجماع ، ولأن الإجماع لا يثبت بنقل واحد لا سيما في مثل هذا الذي تظافرت الظواهر على خلافه ، ولم يرد مانع منه ، وأما البرهان النسفي فمن الرازي أخذ ، وعبر بعبارته ، فصارا واحدا ، وقد بينت ذلك عند قوله تعالى في سورة الأنعام) لأنذركم به ومن بلغ) [الأنعام : ١٩] بينا شافيا لا ارتياب معه ، بل ولو قيل : إن الآية على ظاهرها ، لا خصوص فيها بالعقلاء ، وتكليف كل شيء بحسبه ، لكان وجها ، وبذلك صرح الإمام تاج الدين السبكي في أول الترشيح في قوله : (وأصلي على نبيه نحمد المصطفى المبعوث إلى كل." [1]

" صفحة رقم ٤٢٤

بتعظيمهم وإجلالهم وتكريمهم ، فقال : (ما كنت) أي كونا ما) قاطعة أمرا) أي فاعلته وفاصلته غير مترددة فيه) حتى تشهدون (وقد دل على غزارة عقلها وحسن أدبها ، ولذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها في المنشط والمكره ، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله : (قالوا) أي الملأ مائلين إلى الحرب : (نحن أولو قوة) أي بالمال والرجال) وأولو باس) أي عزم في الحرب) شديد والأمر (راجع وموكول) إليك (اي كل من المسالمة والمصادمة) فانظري (بسبب أنه لا نزاع معك) ماذا تأمرين) أي به فإنه مسموع .

النمل : (٣٤ - ٤٠) قالت إن الملوك. .. . .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢٩٢/٥

) قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلهآ أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جآء سليمان قال أتمدونن بمال فمآ آتاني الله خير ممآ آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منهآ أذلة وهم صاغرون قال يأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم (( )

ولما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده ، ولا أحد بكيده ، مالت إلى المسالمة ، فاستأنف سبحانه وتعالى الإخبار عنها بقوله : (قالت (جوبا لم أاحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن الصواب من غير ارتياب أن نحتال في عدم قصد هذا الملك المطاع ؛ ثم علل هذا أفهمه سياق كلامها بقولها) إن الملوك) أي مطلقا ، فكيف بهذا النافذ الأمر ، العظيم القدر) إذا دخلوا قرية) أي عنوة بالقهر والغلبة) أفسدوها) أي بالنهب والتخريب) وجعلوا اعزة قومها اذلة) أي بما يرونهم من الباس ، ويحلون بهم السطوة .

ثم أكدت هذا المعنى بقولها : (وكذلك) أي ومثل هذا الفعل العظيم الشأن ، الوعر المسلك البعيد السأو) يفعلون (دائما ، هو خلق لهم مستمر جميعهم على هذا ، فكيف بمن تطيعه الطيور ، ذوات الزكور ، فيما يريده من الأمر .

ولما بينت ما في المصادمة من الخطر ، أتبعته ما عزمت عليه من المسالمة ، فقالت : (وإني مرسلة (وأشار سبحانه إلى عظيم ما ترسل له بالجمع في قولها : (إليهم (اي إليه وإلى جنوده) بهدية) أي تقع منهم موقعا .

قال البغوي : وهي العطية." [1]

" صفحة رقم ٤٣٨

أن المراد كل ما كان هكذا ، فإنه في قوة أن يدار عليه الجدار وإن لم يكن له جدار ، وعن الفراء أن البستان إن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة .

ولما كان الأولى بجمع الكثرة لما لا يعقل الوصف بالمفرد قال مفيدا أنها كالشيء الواحد في ذلك الوصف : (ذات بهجة) أي بهاء وحسن رونق ، وبشر بها وسرور على تقارب اصولها مع اختلاف أنواعها ، وتباين طعومها وأشكالها ، ومقاديرها وألوانها .

ولما أثبت الإنبات له ، نفاه عن غيره على وجه التأكيد تنبيها على تأكد اختصاصه بفعله ، وعلى أنه إن أسند إلى غيره فهو مجاز عن التسبب وأن الحقيقة ليست إلا له فقال : (ما كان) أي ما صح وما تصور بوجه من الوجوه) لكم (وأنتم أحياء فضلا عن شركائكم الذين هم أموات بل موات) أن تنبتوا شجرها) أي شجر تلك الحدائق .

ولما ثبت أنه المتفرد بالألوهية ، حسن موقع الإنكار والتقرير في قوله : (أإله) أي كائن) مع الله) أي الملك الأعلى الذي لا مثل له .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٤٢٤/٥

ولما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته قال معرضا عنهم للإيذان بالغضب : (بل هم) أي في جعائهم معه سبحانه شريكا) قوم يعدلون) أي عن الحق الذي لا مرية فبه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره .

ولما فرغ من آية اشترك فيها الخافقان ، ذكر ما تتفرد به الأرض ، لأنها اقرب إليهم وهم بحقيقتها وما لا بسوه من أحوالها أعلمم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفرده بالفعل الدال على تفرده بالإلهية ، فقال مبدلا من) أمن خلق (: (أمن) أي أم فعل ذلك الذي) جعل الأرض قرارا) أي مستقرة في نفسها ليقر عليها غيرها ، وكان القياس يقتضي أن تكون هاوية أو مضطربة كما يضطرب ما هو معلق في الهواء .

ولما ذكر قرارها ، أتبعه دليله في معرض الامتنان فقال : (وجعل خلالها (اي في الأماكن المنفرجة بين جبالها) أنهارا) أي جارية هلى حالة واحدة ، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب ، لتغيرت مجاري المياه بلا **ارتياب** .

ولما ذكر الدليل ، ذكر سبب القرار فقال : (وجعل لها رواسي) أي كمارسي السفن ، كانت أسبابا في ثباتها على ميزان دبره سبحانه في مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب .

ولما أثبت القرار وسببه ، وكان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تتصرف فيها ولو حبسها عن الجري شيء لأوشك أن تستبحر ، فيصير أكثر الأرض لا ينتفع به في سير ولا." [1]

" صفحة رقم ٥٦٧

بالصدق ، كما قضت بصدق أنبيائهم مع أنهم يكتبون ويقرؤون ، وكتبهم لم تنزل للإعجاز ، فصح أنهم يلزمهم الاتصاف بالإبطال **بالارتياب** على كل تقدير من تقديري الكتابة والقرءة وعدمهما ، لأن العمدة على المعجزات .

ولما كان التقدير : ولكنه لا ريبة لهم أصلا ولا شبهة ، لقولهم : إنه باطل ، قال : (بل هو) أي القرآن الي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير) آيات (اي دلالات) بينات) أي واضحات جدا في الدلالة على صدقك) في صدرو الذين (ولما كان المقصود المبالغة في تعظيم العلم ، بني للمفعول ، أظهر ما كان أصله الإضمار فقال : (أتوا العلم (دلالة على أنه العلم الكامل النافع ، فلا يقدر أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم ، وفي ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له ، ولما كان المراد بالعلم النافع ، قال إشارة إلى عظمته فقال : (بآياتنا) أي ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة بإضافتها إلينا والبيان الذي لا يجحده أحد) إلا الظالمون) أي الراسخون في الظلم الذي لا ينتفعون بنورهم في وضع كل شيء في محله ، بل هم في وضع الأشياء في غير محلها كالماشي في الظلام الذي تأثر عن وصفهم أولا بالكفر الذي هو تغطية أنوار العقول .

ولما كان التقدير : فجحدوها بما لهم من الرسوخ في الظلم أصلا ورأسا ، ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات ، عطف عليه قوله : (وقالوا (موهمين مكرا وإظهار النصفة بالاكتفاء بأدنى ما يدل على الصدق : (لولا) أي هلا) أنزل عليه) أي على أي وجه كان من وجوه الإنزال) آية) أي واحدة تكون بحيث تلد قطعا على صدق الآتي بها) من ربه) أي الذي يدعي إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء قبله من نحو ناقة صالح عصا موسى ونحوهما ، انستدل به على صدق مقاله

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٤٣٨/٥

، وصحة ما يدعيه من حاله هذا على قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وأبي بكر بالإفرادن وجمع غيرهم دلالة علة أن فريقا آخر قالوا : إن مثل هذا المهم العظيم لا يثبت إلا بآيات متعددة ، وأوهموا مكابرة وعنادا أن ذلك لم يقع ، وإن وقع ما يسمى آية .

ولما كان هذا الإنكار للشمس بعد شروقها ، ومكابرة فيما تحدى به من المعجزات بعد حقوقها ، أشار إليه بقوله : (قل) أي لهم إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء : (إنما الآيات عند الله) أي الذي له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره ، فإنما الإله هو لا سواه) وإنما أنا نذير (أقوم لكم بما حملني وكلفني من النذارة ، دالا عليه بما أعطيت من الآيات ، على أن." (١)

" صفحة رقم ٣٧

والنصرة والفداء بالنفس والمال أعظم مما بين غيرهما ، فإذا انتفى إغناء أحدهما عن الآخر انتفى غيرهما بطريق الأولى قال : (لا يجزي) أي يغني فيه ، ولعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام في هذه الدار أسابا ستر قدرته بها ، فصار الجاهل يحيل الأمر ويسنده إليها ، وأما هناك فتزول الأسباب ، وينجلي غمام **الارتياب** ، ويظهر اختصاص العظمة برب الأرباب .

ولما كانت شفقة الوالد – مع شمولها لجميع أيام حياته – أعظم فهو يؤثر حياة ولده على حياته ويؤثر أن يحمل بنفسه الآلام والأموال بدأ به فقال : (والد (كائنا من كان) عن ولده) أي لا يوجد منه ولا يتجدد في وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء وإن تحقق أن الولد منه ، والتعبير بالمضارع إشارة إلى أن الوالد لا يزال تدعوه الوالدية إلى الشفقة على الولد ، وتجدد عنده العطف والرقة ، والمفعول إما محذوف لأنه أشد في النفي وآكد ، وإما مدلول عليه بما في الشق بعده .

ولما كان الولد لا يتوقع منه الإغناء عن والده في الهزاهز إلا بعد بلوغه ، أخره في عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال : (ولا مولود) أي مولود كان) هو جاز عن والده (وإن علم أنه بعضه) شيئا (من الجزاء ، وفي التعبير ب (هو) إشعار بأن المنفي نفعه بنفسه ، ففيه ترجية بأن الله قد يأذن له في نفعه إذا وجد الشرط ، وعبر هنا بالاسم الفاعل لأن الولد من شأنه أن يكون ذلك له ديدنا لما لأبيه عليه من الحقوق ، والفعل يطلق على من ليس من شأنه الاتصاف بمأخذ اشتقاقه ، فعبر به في الأب لأنه لاحق للولد عليه يوجب عليه ملازمة الدفع عنه ، ويكون ذلك من شأنه ومما يتصف به فلا ينفك عنه ، وذلك كما أن الملك لو خاط صح أن يقول في تلك الحال : أنه يخيط ، ولا يصح (خياط) لأن ذلك ليس من صنعته ، ولا من شأنه .

ولما كان من المعلوم أن لسان حالهم يقول : هل هذا اليوم كائن حقا ؟ أجيب هذا السؤال بقوله مؤكدا لمكان إنكارهم ، لأفتا القول إلى الاسم الأعظم لاقتضاء الوفاء له : (إن وعد الله (الذي له جميع معاقد العز والجلال) حق (يعني أنه سبحانه قد وعد به على جلال جلاله ، وعظيم قدرته وكماله ، فكيف يجوز أن يقع في وهم فضلا عن أوهامكم أن يخلفه مع أن أدناكم – أيها العرب كافة – لا يرى أن يخلف وعده وإن ارتكب في ذلك الأخطار ، وعانى فيه الشدائد الكبار ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٥/٥٦٧

فلما ثبت أمره ، وكان حبهم لسجن هذا الكون المشهود ينسيهم ذلك اليوم ، لما جعل سبحانه في هذا الكون من المستلذات ، تسبب عنه قوله : (فلا تغرنكم (مؤكدا لعظم الخطب) الحياة الدنيا) أي بزخرفها ، ولا ما يبهج من لا تأمل له من فاني رونقها ، وكرر الفعل والتأكيد إشارة إلى أن ما لهم." (١)

" صفحة رقم ٦٦

منتظرون) أي ما يفعل بك وما يكون من عاقبة أمرك فيما تتوعدهم به وفي غيره ، وقد انطبق آخرها على أولها بالإنذار بهذا الكتاب ، وأعلم بجلالته وجزالته وشدته وشجاعته أنه ليس فيه نوع **ارتياب** ، وأيضا فأولها في التذكيب بتنزيله ، وآخرها في الاستهزاء بتأويله ،) يوم يأتي تأويله الذي نسوه من قبل) [الأعراف : ٥٣] - الآية ، وأيضا فالأول في التكذيب بإنزال الروح المعنوي ، والآخر في التكذيب بإعادة الروح العيني الحسي الذي ابتدأه أول مرة والله الهادي إلى الصواب . . . ." (٢)

" صفحة رقم ٧٠

حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن وتخصيصا وإجلالا لنبيه (صلى الله عليه وسلم) ، ومنها قوله تعالى : (ولما رأى المؤمنون الأحزاب (- الآية ، فنزههم عن تطرق سوء أو دخول **ارتياب** على مصون معتقداتهم وجليل إيمانهم) قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (والآية بعد ذلك ، وهي قوله تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا (- الآية ، ومنها) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن (فتزههن سبحانه وبين شرفهن على مد عداهن ، ومنها تنزيه أهل البيت وتكرمتهم) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (الآية ، ومنها الأمر بالحجاب) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن (فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج وعدم الحجاب ، وصانهن عن التبذل والامتهان ، ومنها قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى (فوصاهم جل وتعالى ونزهم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن والغضب في سوء أدبهم وعظيم مرتكبهم ، إلى ما تضمنت السورة من هذا القبيل ، ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة واللطف الشامل كقوله تعالى : (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (ثم قال تعالى : (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا كثيرا (- إلى قوله تعالى : (أجرا كريما (وقوله تعالى) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (وقوله تعالى : (إن المسلمين والمسلمات (- إلى قوله : (وأجرا عظيما (وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (- إلى قوله : (عظيما (وقوله تعالى : (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات (إلى قوله : (وكان الله غفورا رحيما (وقوله تعالى مثنيا على المؤمنين بوفائهم وصدقهم) ولما رأي المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (- إلى قوله : (وما بدلوا تبديلا (وقوله : (وإثما مبينا (وفي هذه الآيات من تأنيس المؤمنين وبشارتهم وتعظيم حرمتهم ما يكسر هذا القبيل أيضا ما

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٣٧/٦

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٦/٦

تضمنت السورة من تعداد نعمه تعالى عليهم وتحسين خلاصهم كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم (– إلى قوله : (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (وقوله تعالى : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال (إلى قوله : (وكان الله على كل شيء قديرا (وختم السورة بذكر التوبة والمغفرة أوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها." (١)

" صفحة رقم ٧٣

لضاق الأمر ، واتسع الخرق ، وامتنع الرتق) وما جعل أدعياءكم (بما جعل لهم من النسبة والانتساب إلى غيركم) أبناءكم (بما جعلتم لهم من الانتساب إليكم ليحل لهم إرثكم ، وتحرم عليكم حلائلهم وغير ذلك من أحكام الأبناء ، ولا يكون لابن أبوان ، ولو جعل ذلك لضاعت الأنساب ، وعم الارتياب ، وانقلب كثير من الحقائق أي انقلاب ، فانفتح بذلك من الفساد أبواب أي أبواب ، فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الذي تبينته ابنا لك أيها النبي بتبينك له جزاء له باختياره لك على أبيه وأهله ، وهذا توطئة لما يأتي من قصة زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فإنه (صلى الله عليه وسلم) لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوي وغيره : تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، وبين أن التبني إنما هو مجاز ، وأن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيقي وما ألحق به من الرضاع ، وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان تبنى زيدا بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن) ادعوهم لآبائهم (.

لما أبطل سبحانه ، استأنف الإخبار عما مضى من عملهم فيه فقال : (ذلكم) أي القول البعيد عن الحقيقة ، وأكد هذا بقوله : (قولكم بأفواهكم) أي لا حقيقة له وراء القول وتحريك الفم من غير مطابقة قلوبكم ، فإن كل من يقول ذلك لا يعتقده ، لأن من كان له فم كان محتاجا ، ومن كان محتاجا كان معرضا للنفائص كام معرضا للأوهام ، ومن غلبت ، عليه الوهام كان في كلامه الباطل) الله) أي المحيط علمه وقدرته وله جميع صفات الكمال) ويقول الحق) أي الكامل في حقيته ، الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه ، فلا قدرة لأحد على نقضه فإن أخبر عن شيء فهو كما قال ، ليس بين الخبر والواقع من ذلك المخبر عنه شيء من المخالفة ، وإن أتى بقياس فرع على أصل لم يستطع أحد إبداء فرق ، فإن أقواله سبحانه سابقة على الواقع لأنها مصدرة فيها بكون ، فإذا قال قولا وجد مضمونه مطابقا لذلك القول ، فإذا طبقت بينهما كانا سواء ، فكان ذلك المضمون ثابتا كما كان ذلك الواقع ثابتا ، فكان حقا ، هكذا أقواله على الدوام ، لأنه منزه سبحانه عن النقائص فلا جارحة ثم ليكون بينها وبين معد القول مخالفة من فم أو غيره وعن كل ما يقتضي حاجة ، فالآية من الاحتبك : ذكر الفم أولا دليلا على نفيه ثانيا والحق ثابنا دليلا على ضده الباطل أولا ، وسر ذلك أنه ذكر ما." (٢)

" صفحة رقم ١٢١

يوجد نكاحه لها يجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين ، فتصير له مجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٧٠/٦

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٧٣/٦

ولما كان ربما فهم أن غيره يشاركه في هذا المعنى ، قال مبينا لخصوصيته واصفا لمصدر) أحللنا (مفخما للأمر بهاء المبالغة ملتفتا غلى الخطاب لأنه معين للمراد رافع للارتياب : (خالصة لك (وزاد المعنى بيانا بقوله : (من دون المؤمنين) أي من الأنبياء وغيرهم ، وأطلق الوصف للرسوخ فشمل من قيد بالإحسان والإيقان ، وغير ذلك من الألوان ، دخل من نزل عن رتبهم من الذين يؤمنون والذين آمنوا وسائر الناس من باب الأولى مفهوم موافقة ، وقد كان الواهبات عدة ولم يكن عنده منهن شيء .

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله وأقوال : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها ، فلما نزلت) ترجى من تشاء منهن (قلت : يا رسول الله ، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك .

ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص تام القدرة ، ليمنع غيره من ذلك ، علله بقوله : (قد) أي أخبرناك بأن هذا أمر يخصك دونهم لأنا قد) علمنا ما فرضنا) أي قدرنا بعظمتنا .

ولما كان ما قدر للإنسان عطاء ومنعا لا بد له منه ، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال : (عليهم) أي المؤمنين) في أزواجهم) أي من أنه لا تحل لهم امرأة بلفظ الهبة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولي شهود ، وهذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين والمتأخرين .

ولما كان هذا عاما للحرة والرقيقة قال : (وما ملكت أيمانهم) أي من أن أحدا غيرك لا يملك رقيقة بهبتها لنفسها منه ، فيكون أحق من سيدها .

ولما فرغ من تعليل الدونية ، علل التخصيص لفا ونشرا مشوشا بقوله : (لكيلا يكون عليك حرج) أي ضيق في شيء من أمر النساء حيث أحللنا لك أنواع المنكوحات وزدناك الواهبة .

ولما ذكر سبحانه ما فرض في الأزواج والإماء الشامل للعدل في عشرتهن ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أعلى الناس فهما وأشدهم لله خشية ، وكان يعدل بينهن ، ويعتذر مع ذلك من ميل القلب الذي هو خارج عن طوق البشر بقوله (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك) خفف عنه سبحانه بقوله : (وكان الله) أي المتصف بصفات الكمال من الحلم والأناة والقدرة وفيها أزلا وأبدا) غفورا رحيما) أي بليغ." (١)

" صفحة رقم ٢٧٢

مقول هو ، والسلام يجمع جميع النعم ، ثم بين هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله : (قولا من رب) أي دائم الإحسان) رحيم) أي عظيم الإكرام بما ترضاه الألهية ، كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا ، فيرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش والصعق لعظيم الأمر وبالتأهيل لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه ، وقد أوضح هذا السياق أنه من الله تعالى بلا واسطة ، فإنه أكده بالقول وحرف الابتداء ، وذكر صفات الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيري : ولا ارتياب في أنه لا شيء يعدل هذا في النعيم وقرة العين والشرف وعلو القدر ، ولا شك أن هذا هو المقصود بالحقيقة ، فهو قلب النعيم في ذلك اليوم الذي هو قلب الوجود حقا خفاء وصلاحا وفسادا ، فصح أن هذه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ١٢١/٦

الآية قلب قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن ، وقد ورد حديث في تفسير البغوي وكتاب المائتين للأستاذ أبي عثمان الصابوني أنه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، وذلك قوله تعالى) سلام قولا من رب رحيم (فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته في ديارهم) .

قال الاستاذ أبو عثمان : هذا حديث غريب الإسناد والمتن لا أعلم إني كتبته إلا من هذا الوجه .

ولما كان التقدير : فانظروا وازدادوا حسرة أيها المجرمون ، عطف عليه قوله : (وامتازوا) أي انفردوا انفرادا هو بغاية القصد ، وجرى على النمط الماضي من زيادة التهويل لذلك الموقف بإعادة قوله : (اليوم) أي عن عبادي الصالحين أو عمن بقي منهم معكم في الموقف ليظهروا من أوضارهم ، ويشفوا من مضارهم ، لأن غيبة الرقيب أتم النعيم ، وإبعاد العدو أعلى السرور ، وحذف أداة النداء لا لقرب الكرامة بل للدلالة على أنهم في القبضة لا مانع من غاية التصرف فيهم لكل ما يراد لأنه لا حائل دونهم) أيها المجرمون) أي العريقون في الإجرام ، فلا يقع في أوهامكم أنكم تخالطونهم اليوم أصلا ، وهذا ما كنتم تمتازون عنهم في الدنيا وتقاطعونهم ترفعا واستكبارا ، فهذا قوله للمجرمين وذلك قوله للمؤمنين ، فصح أنه قلب لأنه به صلاح بعض المكلفين وفساد الآخرين الذي هو تمام صلاح الأولين ، وقد تقدم في أوائل سورة الروم منام ينفع استحضاره هنا .

ولما أمرهم بالامتياز أمرا إدرايا حكيما ، فامتازوا في الحال ، وأسروا الندامة وسقط في أيديهم فعضوا الأنامل ، وصروا بالأسنان ، وشخصت منهم الأبصار ، وكلحت." (١)

" صفحة رقم ٣٦٧

أسباب الهلاك ، قال مؤكدا بأنواع التأكيد : (إن) أي ما) كل (من هذه الفرق كان لهلاكه سب من الأسباب) إلا (أنه) كذب الرسل) أي كلهم بتذكيب رسوله ، فإن من كذب رسولا واحدا مع ثبوت رسالته فقد استهان بمن أرسله ، وذلك ملزوم لتكذيب جميع من يرسله لتساوي أقدام المعجزات التي ثبتت رسالتهم بها في إيجاب التصديق) فحق) أي فتسبب عن ذلك التكذيب أنه حق) عقاب) أي ثبت عليه فلم يقدر على التخلص منه بوجه من الوجوه والعدول إلى إفراد الضمير مع أسلوب التكلم لأن المقام للتوحيد كما مضى وهو أنص على المراد ، وتقدم السر في حذف الياء رسما في جميع المصاحف ، وقراءة عند أكثر القراء وفي إثباتها في الحالين ليعقوب وحده .

ولما كان السياق للشقاق والإذعان للذكر الذي هو الموعظة ذات الشرف :

ولا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

كان الحال مقتضيا للعقوبة بخلاف ما في (ق) فإن السياق لإنكارهم البعث وصحة النذارة وإثبات المجد ، فكان الوعيد في ذلك كافيا .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢٧٢/٦

ولما كان التقدير : فلقد أعقبنا كلا من أولئك الأحزاب لما حق عليهم العقاب بنوع من الأنواع لا شك فيه عند أحد ولا **ارتياب** ، عطف عليه قوله : (وما (ولما كانت قريش في شدة العناد والتصميم على الكفر والاستكبار عن الإذعان للحق وتعاطي الجميع أسباب العذاب كأنهم ينتظرونه ويستعجلونه ، عبر بما يدل على الانتظار .

ولما كانوا لمعرفتهم بصدق الآتي إليهم والقطع بصحة ما يقول كأنهم يرون العذاب ولا يرجعون ، جرد فعل الانتظار فقال : (ينظر (وحقرهم بقوله : (هؤلاء) أي الذين أدبروا عنك في عزة وشقاق ، وغاية جهدهم أن يكونوا من الأحزاب الذين تحزبوا على جندنا فأخذناهم بما هو مشهور من وقائعنا ومعروف من أيامنا بأصناف العذاب ، ولم تغن عنهم كثرتهم ولا قوتهم شيئا ولم يضر جندنا ضعفهم ولا قلتهم) إلا صيحة (وحقر أمرهم بالإشارة إلى أن أقل شيء من عذابه كاف في إهلاكهم فقال) واحدة (ولما كان السياق للتهديد فعلم به أن الوصف بالوحدة للتعظيم ، بينه بقوله : (ما لها) أي الصيحة) من فواق) أي مزيد أي شيء من جنسها يكون فروقها ، يقال : فاق أصحابه فوقا وفواقا ، علاهم ، وقرأه حمزة بالضم فيكون كناية عن سرعة الهلاك بها من غير تأخر اصلا ، فإن الفواق كغراب ما يأخذ المحتضر عند النزاع ، والمعنى أنه لا يحتاج في إهلاكهم إلى زيادة على الصيحة الموصوفة لأنه لا صيحة فوقها ، ففي ذلك تعظيم أقل شيء من عذابه وتحقير أعلى شيء من أمرهم ويجوز أن تكون القرءاتان من فواق الحلب ، قال الصغائي : والفوق والفواق أي بالضم والفتح : ما بين الحلبتين من الوقت لأنها تحلب ثم تترك." (١)

" صفحة رقم ٥١٣

ولما كان مرادهم استغراق النفي حتى لا يقع البعث في زمن من الأزمان وإن قل ، أدخل الجار فقال : (من بعده) أي يوسف عليه السلام) رسولا (وهذا ليس إقرارا منهم برسالته ، بل هو ضم منهم إلى الشك في رسالته التكذيب برسالة من بعده ، والحجر على الملك الأعظم في عباده وبلاده والإخبار عنه بما ينافي كماله .

ولما كان كأنه قيل : هذا ضلال عظيم هل ضر أحد مثله ؟ أجيب بقوله : (كذلك) أي مثل هذا الضلال العظيم الشأن) يضل (وأبرز الاسم ولم يضمره لئلا يخض الإضلال بالحيثية الماضية ، وجعله الجلالة تعظيما للأمر لصلاحية الحال لذلك وكذا ما يأتي بعده) الله) أي بما له من صفات القهر) من هو مسرف) أي متعال في الأمور خارج عن الحدود طالب للارتفاع عن طور البشر .

ولما كان السياق للشك في الرسالة والقول بالظن الذي يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة قال : (مرتاب) أي يشك فيما لا يقبل الشك ويتهم غيره بما لا حظ للتهمة فيه ، أي بدينه التذبذب في الأمور الدينية ، فلا يكاد يحقق أمرا من الأمور ، ولا إسراف ولا **ارتياب** أعظم من حال المشرك فإنه منع الحق أهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه ، وهذه الآية دليل على أن القبط طول الدهر على ما نشاهده من أنه لا ثقة بدخولهم في الدين الحق ، ولا ثبات لهم في الأعمال الصالحة .

غافر : (٣٥ - ٣٩) الذين يجادلون في. .. . .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٣٦٧/٦

) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (( )

ولما ظهر ظهورا لا يحتمل شكا بما أتى به موسى عليه السلام من البينات أن شكهم في رسالة وجزمهم في الحكم بنفي رسالة الآتي أعظم ضلال وأنه من الجدال الذي لا معنى له إلا فتل المحق عما هو عليه من الحق إلى ما عليه المجادل من الضلال ، وصل بذلك قوله على سبيل الاستنتاج ذما لهم بعبارة تعم غيرهم : (الذين) أي جدال من) يجادلون) أي يقاتلون ويخاصمون خصاما شديدا) في آيات الله) أي المحيطة بأوصاف الكمال لا سيما الآيات الدالة على يوم التناد ، فإنها أظهر الآيات على وجوده سبحانه وعلى ما هو عليه من الصفات والأفعال وما يجوز عليه أو يستحيل .." (١)

" صفحة رقم ٥٨

بحيث لا يخاف وعيده ، فلا يخوض ولا يعلب عبده ، ومن خاض منهم أو لعب فلا يلومن إلا نفسه ، فإن عمله محفوظ بعلمه فهو مجاز عليه بحكمته .

ولما نزه ذاته الأقدس وأثبت لنفسه استحقاق الإلهية بالإجماع من خلقه بما ركزه في فطرهم وهداهم إليه بعقولهم ، أتبع ذلك أدلة أخرى بإثبات كل كمال بما تسعه العقول وبما لا تسعه مصرحا بالملك فقالك) وتبارك) أي ثبت ثباتا لا يشبهه ثبات لأنه لا زوال مع التيمن والبركة وكل كمال ، فلا تشبيه له حتى يدعي أنه ولد له أو شريك ، ثم وصفه بما يبين تباركه واختصاصه بالإلهية فقال : (الذي له ملك السموات) أي كلها) والأرض (كذلك) وما بينهما (وبين كل اثنين منها ، والدليل على هذا الإجماع القائم على توحيده عند الاضطرار .

لما ثبت اختصاصه بالملك وكان الملك لا يكون إلا عالما بملكه وكان ربما ادعى مدع وتكذب معاند في الملك أو العلم ، قطع الأطماع بقوله : (وعنده) أي وحده) علم الساعة (سائقا له مساق ما هو معلوم الكون ، لا مجال للخلاف فيه إشارة إلى ما عليها من الأدلة القطعية المركوزة في الفطرة الأولى فكيف بما يؤدي إليه الفكر من الذكر المنبه عليه السمع ، ولأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته ، وخوفا من سطواته ، ورجاء في بركاته) وإليه) أي وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة) ترجعون (بأيسر أمر تحقيقا لملكه وقطعا للنزاع في وحدانيته ، وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير وحمزة والكسائي وورش عن يعقوب بالخطاب أشد تهديدا من قراءة الباقين بالغيب ، وأدل على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب .

ولما أرشد السياق قطعا إلى التقدير : فلا شريك له في شيء من ذلك ولا ولده ولا يقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لا يقدر أحد على مدافعة قضائه وقدره ، عطف عليه قوله : (ولا يملك) أي بوجه م الوجوه في وقت ما) الذين يدعون) أي يجعلونهم في موضع الدعاء بعبادتهم لهم ، وبين سفول رتبتهم بقوله تعالى : (من دونه (من أدنى

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦/٥١٣

رتبة من رتبته من الأصنام والملائكة والبشر وغيرهم) الشفاعة) أي فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم) إلا من شهد) أي منهم) بالحق (.

أي التوحيد الذي يطابقه الواقع إذا انكشف أتم انكشاف وكذا ما يتبعه فإنه يكون أهلا لأن يشفع كالملائكة والمسيح عليهم الصلاة والسلام ، والمعنى أن أصنامهم التي ادعوا أنها تشفع لهم لا تشفع غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى .

ولما كان ذلك مركوزا حتى في فطر الكفار فلا يفزعون في وقت الشدائد إلا إلى." (١)

" صفحة رقم ٦٠٦

) المنافقون) أي العريقون في وصف النفاق وهو إسلام الظاهر وكفر الباطن ، وأغلبهم من اليهود) قالوا (مؤكدين لأجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم لما عندهم من الارتياب : (نشهد (قال الحسن : هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا : نقسم) إنك (- التأكيد لذلك وإيهاما لأن قوة تأكيدهم لشدة رغبتهم في مضمون ما يقولونه) لرسول الله) أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة ، فوافقوا الحق بظاهر أحوالهم ، وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم .

ولما كانت الشهادة الإخبار عن علم اليقين لأنها من الشهود وهو كما الحضور وتمام الاطلاع ومواطأة القلوب للألسنة ، صدق سبحانه المشهود به وكذبهم في الإقسام بالشهادة ومواطأة ألسنتهم لقلوبهم فقال : (والله) أي المحيط بجميع صفات الكمال) يشهد (شهادة هي الشهادة لأنها محيطة بدقائق الظاهر والباطن) أن المنافقين) أي الراسخين في وصف النفاق) لكاذبون) أي في إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ، ومن شرط قول الحق أن يتصل ظاهره باطنه وسره بعلانيته ، ومتى تخالف ذلك فهو كذب ، لا المراد أنهم كاذبون في صحة ما تضمنته شهادتهم من أنك رسول الله والحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر والإذعان له ، فصدقهم في الأول وكذبهم في الثاني فصاروا بنفاقهم أسفل حالا وشر مآلا من اليهود .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما أعقب حال المؤمنين فيما خصهم الله به مما انطوت عليه الآيات الثلاث إلى صدر سورة الجمعة إلى قوله :

٧٧ ( ) والله ذو الفضل العظيم ( ) ٧

[الجمعة : ٤] بذكر حال من لم ينتفع بما حمل حسبما تقدم ، وكان في ذلك من المواعظ والتنبيه ما ينتفع به من سبقت له السعادة ، أتبع بما هو أوقع في الغرض وأبلغ في المقصود ، وهو ذكر طائفة بين أظهر من قدم لاثناء عليهم ومن أقرانهم وأترابهم وأقاربهم ، تلبست في الظاهر بالإيمان ، وأظهرت الانقياد والإذعان ، وتعرضت فأعرضت وتنصلت فيما وصلت ، بل عاقتها الأقدار ، فعميت البصائر والأبصار ، ومن المطرد المعلوم أن اتعاظ الإنسان بأقرب الناس إليه وبأهل زمانه أغلب من اتعاظه بمن بعد عنه." (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٥٨/٧

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٠٦/٧

" صفحة رقم ٦٠٩

هو ظاهر العبارة بمطابقة اللسان للقلب ، قال معبرا بأداة الشك إشارة إلى أنهم لا يكلمونه (صلى الله عليه وسلم) إلا اضطرارا لأنهم لا يحبون مكالمته ولا باعث لهم عليها لما عندهم من أمراض القلوب : (وإن يقولوا) أي يوجد منهم قول في وقت من الأوقات) تسمع لقولهم) أي لأنه يكون بحيث يلذذ السمع ويروق الفكر لما فيه من الادهان مع الفصاحة فهو يأخذ بمجامع القلب .

ولما اخبر عن ظاهرهم ، دل على أن ذلك الظاهر أمر لا حقيقة له ، أنهم لما وطنوا أنفسهم على الوقاحة وخلعوا لباس الحياء بالكذب بذلوا جميع الجهد في تحسين القول لأنه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لأنهم لا يحسبون للآخرة حسابا فقال : (كأنهم) أي في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفي الجبن والخور وعدم الانتفاع بهم في شيء من فهم أو ثبات فإنهم لا حقيقة لهم) خشب (ن جمع كثرة لخشبة وهو دليل على كثرتهم .

ولما كان الخشب ربما أطلق على المغروس ، نفى ذلك بقوله منبها بالتشديد على الكثرة : (مسندة) أي قد قطعت من مغارسها وقشرت وأسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب ، فهي بيض تلوح تعجب ناظرها ولا ثبات لها ولا باطن بثمرة ولا سقي فلا مدد سماوي لها أصلا يزكيها نوع زكاء فقد فقدت روح الإثبات الذي به كمالها كما فقد المنافق روح الذي به كمال الناطق وبقاؤه ، فهم في تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام .

ولما كان من يقول ما لا يفعل يصير متهما لكل من يكلمه ، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن ، وذلك هو السبب الأعظم في تحسين قوله ، قال : (يحسبون) أي لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم) كل صيحة) أي من نداء مناد في انفلات دابة أو إنشاد ضالة ، ونحو ذلك) عليهم) أي واقعة .

ولما كان من يظن عداوة الناس له يكون هو عدوا لهم ، قال نتيجة ما مضى : (هم) أي خاصة) العدو) أي كامل العداوة بما دل عليه الإخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع دون الجمع إشارة إلى أنهم - في شدة عداوتهم للاسلام وأهله وكمال قصدهم وشدة سعيهم فيه - على قلب واحد وإن أظهروا التودد في الكلام والتقرب به إلى أهل الإسلام ، فإن ألسنتهم معكم إذا لقوكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهو عيون لهم عليكم .

ولما بين ذلك من سوء أحوالهم سبب عنه قوله : (فاحذرهم (لأن أعدى الأعداء العدو المداحي الذي يكاشرك وتحت ظلوعه الداء الدوي ، فإن من استشعر أنك عدو له بغى لك الغوائل ، وأغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون ، ولكنه يكون بلطف الله." (١)

" صفحة رقم ٨٨

ظاهر الحياة الدنيا ولو كان مخوفا فإنه لا خوف معه سبحانه ، فالتوكل عليه منجاة من كل هلكة مجلبة لكل ملكة ، ولم يفعل كما تفعلون أنتم في توكلكم على رجالكم وجاهكم وأموالكم .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٠٩/٧

ولما أبان هذا طريق الصواب ، وجلى كل ارتياب ، وكان لا بد من الرجوع إليه والإنقلاب ، لإتمام ، الرحمة بالثواب والعقاب ، سبب عنه قوله : (فستعلمون) أي عند التجلي عليكم بصفة القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه) من هو) أي منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا) في ضلال) أي أخذ في غير مسلك موصل إلى مقصد محيط به الضلال بحيث إنه لا قدرة له على الانفكاك منه إلا إن أطاع من يجره بيده فيخرجه منه ، ولما كان الشيء إذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال : (مبين) أي بين في نفسه موضع لكل أحد أنه لا خفاء به .

ولما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته وتفرده في مملكته ، ودل على ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء ، ختم بمثل ذلك بالماء الذي وجوده هو سبب للحياة وعدمه سبب للموت ، فقال قارعا بالتنبيه مشيرا بتكرير الأمر إلى مزيد التوبيخ والزجر والتبكيت دالا على تعيين ما أبهم من أهل الضلال ، ومصرحا بما لوح إليه من ذلك الإجمال .

) قل) أي يا أعظم خلقنا وأعلمهم بنا : (أرءيتم) أي أخبروني إخبارا لا لبس فيه ولا خفاء ، ولما كان شديد العناية بهذا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، سكن قلبه في وعيدهم بالإشارة إلى الرفق بهم لأجله ، فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال : (إن (ولما كانت النعمة أشد ما يكون إذا كانت في الصباح الذي هو موضع ارتقاب الفلاح قال : (أصبح مآؤكم) أي الذي تعدونه في أيديكم - بما نبهت عليه الإضافة .

ولما كان المقصود المبالغة ، جعله نفس المصدر فقال : (غورا) أي نازلا في الأرض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة - بما دل على ذلك الوصف بالمصدر) فمن يأتيكم (على ضعفكم حينئذ وافتقاركم وانخلاع قلوبكم واضطراب أفكاركم) بماء معين) أي جار دائما لا ينقطع أو ظاهرا للأعين سهل المأخذ إلا الله رب العالمين فإنه هو القادر على ذلك ، فقد رجع ذلك الآخر كما ترى على ذلك الأول ، وعانقه على أحسن وجه وأكمل - والله أعلم .

.. .."(١)

"صفحة رقم ٢٤١

(سورة القيامة)

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار (صلى الله عليه وسلم) لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان بعد الرسوم بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه الله من وضوح المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظوم ورونق السبك وعلو المقاصد ، فهو لذلك معشوق لكل طبع ، معلوم ما خفي من أسراره وإشاراته بصدق النية وقوة العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر كأنه كان منسيا بعد حفظه فذكر) فمن شاء ذكر ه) [عبس : ١٢] فحفظه وعلم معانيه وتخلق بها ، وإنما المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى ، فمن شاء حجبه عنه أصلا رأسا ، ومن شاء شك ولا ارتياب ، وجلى عليه أوانسه وعرائسه وحباه جواهره ونفائسه ، وحلاه به ، فكان ملكه وسائسه ، كما كان المدثر (صلى الله عليه وسلم) حين كان خلقه القرآن ، واسمها القيامة واضح في ذلك جدا ، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه " لا " النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها في الوضوح في حد لا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٨/٨٨

يحتاج إلى الأقسام عليه لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض ، ويتصرفون فيما خولهم فيه منه غير حساب ، فكيف بأحكم الحاكمين الذي وكل عبيده أضعافهم من الملائكة فهم يديرون كل لحظة فيهم كؤوس المنايا ، ويأخذون من أمرهم به سبحانه إلى داره البرزخ للتهئية للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمر إلى العود في الأرض حتى ينتهي الجمع في القبور ، ويقيمهم بالنقر في الناقور ، والنفخ في الصور ، إلى ساحة الحساب للثواب والعقاب ، ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة في الشر شديدة اللوم عن الإقصار عن شيء منه كمت أن ما جلاه لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى كان خلقه ، ولمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه بتغليب المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا ونورا خالصا بحتا) بسم." (١)

" صفحة رقم ٥٥٤

أعبد ولا أنآ عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون مآ أعبد لكم دينكم ولي دين) ٧٣

( ) ٧١

لما أخبره في الكوثر أن العريق في شنآنه عدم ، وجب أن يعرض عنه ويقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك ، فقال معلما له ما يقول ويفعل : (قل (ولما كان شائنه أعرق الخلق في الضلال والبعد من الخير ، قال مناديا له بأداة البعد وإن كان حاضرا معبرا بالوصف المؤذن بالرسوخ : (يا أيها الكافرون) أي الذين قد حكم بثباتهم على الكفر فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الإعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ ، وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع ، وبما دل عليه التبعير بالوصف دون الفعل ، واستغرقت اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان ، وإنما عبر بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته (صلى الله عليه وسلم) وإشارة إلى حقارة الكافر وذلته وإن كان كثيرا - كما يشير إليه جعل كل كلمة منها بحرف من الكوثر كا سيأتي ، وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدتهم ومحل عزهم وحميتهم إيذان بأنه محروس منهم علما من أعلام النبوة .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال كل فريق وشتى درجاتهم ، وأعني بالفريقين من أشير إليه في قوله سبحانه وتعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم (فهذا طريق أحد الفريقين ، وفي قوله : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين (إشارة إلى طريق من كان في الطرف الآخر من حال أولئك الفريق إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك

٧٧ ( ) فريق في الجنة وفريق في السعير ( ) ٧

[الشورى : ٧]

٧٧ ( ) فمنكم كافر ومنكم مؤمن ( ) ٧

[التغابن : ٢] والسالكون طريف السلامة فأعلى درجاتهم مقامات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم يليهم

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٢٤١/٨

أتباعهم من صالحي العباد وعلمائهم العاملين وعبادهم وأهل الخصوص منهم والقرب من أحوال من تنسك منهم ، ورتبتهم مختلفة وإن جمعهم جامع وهو قوله : (فريق في الجنة (وأما أهل التنكب عن هذا الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات أيضا ، ويضم جميعهم طريق واحد فكيفما تشعبت الطرف فإلى ما ذكر من الطريقين مرجعهما ، وباختلاف سبل الجميع عرفت آي الكتاب وفصلت ، ذكر كله تفصيلا لا يبقى معه ارتياب لمن وفق ، فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به ، وتداولت بيانه الآي من لدن قوله بعد أم القرآن

٧٧ ( ) هدى للمتقين ( ) ٧

[البقرة : ٢] إلى قوله : (إن شانئك هو الأبتر (أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى : (قل." [١]

" صفحة رقم ٦٢١

فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس ، وصوبوا طريق الإلحاد ، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد ، ولجوا بالخصام في العناد ، وأفتوا بمحض الباطل ، وبثوا السم القاتل ، إلا ناسا قليلا كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا ، فسألتهم سؤالا ، جعلهم ضلالا جهالا ، فتداولوه فيما بينهم وتناقلوه وعجزوا عن جوابه بعد أن راموه أشد الروم ، وحاولوه فظهر لاكثر الناس حالهم ، واشتهر بينهم ضلالهم ، وغيهم الواضح ومحالهم ، وصنفت في ذلك عدة مصنفات ، بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت ، منها (صواب الجواب للسائل المرتاب) ومنها (القارض لتكفير ابن الفارض) ومنها (تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض) ومنها (تنيه الغبي على تكفير ابن عربي) ومنها (تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد) أنفقت فيها عمرا مديدا ، وبددوا فيها أوقاتي – بددهم الله تبديدا ، وهدد أركانهم وأعضادهم تهديدا ، وقرعتهم بالعجز عن الجواب ، الكاشف للارتياب ، صباحا ومساء ، وإعادة وإبداء ، فحملهم التقريع ، والتوبيخ والتبخيع ، على كتابه جواب ، لم يخل من ارتجاج واضطراب ، وشك وارتياب ، بينت أن جامعه أخطأ في جميعه الصواب ، وكفر في أربعة مواضع كفرا صريحا ، وكذب في ثمانية فصار بذلك جريحا ، بل هالكا طريحا ، فأطلت بذلك التقريع ، والتوبيخ والتبشيع ، فذلت أعناقهم ، وضعف شقاقهم ، وخفي نفاقهم ، غير أنه حصل في كل واحدة من هذه الوقائع ، من الشرور وعجائب المقدور ، ما غطى ظلامه الشموس الطوالع .

وطال الأمر في ذلك سنين ، وعم الكرب حتى كثر الأنين ، والتضرع في الدعاء والحنين ، وثبت الله ورزق الصبر والأناة حتى أكمل هذا الكتاب ، على ماتراه من الحسن والصواب .

وقد قلت مادحا للكتاب المذكور ، بماابان عنه من عجائب المقدور ، وغرائب الأمور ، شارحا لحالي ، وحالهم وظفر آمالي ، وخيبة آمالهم من مجزوء الرجز ، وضربه مقطوع ، والقافية متواتر مطلق مجرد ، مسميا له ب (كتاب لما) لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بها ، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه ، الذي هو للكلام بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات ، وكل جملة على حيالها بمنزلة الجسد ، فالوح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق ويفهم ، ويسري ذهنه في ميادين التراكيب ويعلم ، و (لما) طرف يراد بها ثبوت

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٨/٥٥٤

الثاني مما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المكنة بمعنى أنها كالشروط تطلب جملتين يلزم لذلك الملزوم ، فتم الكتاب في هذا النظم ب (لما) لأني أكثرت من استعمالها فيه لهذا الغرض :

هذا كتاب لما لم المعاني لما." (١)

"ورصدوا الوفود القادمة إلى مكة كى يحذروها من اتباع الرسول، والانخداع بما يقول. وطبيعى أن يتألم النبى من هذه الحملات الجائرة، ولكن الله أمره ألا يلقى إليها بالا، وألا يحزن لتهافت المشركين عليها. " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين". وقد صدق الله وعده فارتفع لواء الإيمان، وذهب الشرك وأتباعه فى خبر كان. ص ــ٢٠٥

سورة النحل ظاهر أن سورة النحل نزلت فى أخريات العهد المكى بعدما احتدم العراك بين المشركين والمؤمنين، وطال الأمد ولم يظفر الإيمان بنصر يشد أزره، ولم ينزل بالشرك حدث يقصم ظهره!!. وكأن المشركين يقولون للمؤمنين: أين ما توعدوننا به وتنتظرون وقوعه؟ فكان الجواب: كل آت قريب، إن غدا لنظاره قريب: " أتى أمر الله فلا تستعجلوه... " . وما يتحقق وقوعه يمكن الجزم به، وقد انتهى الصراع بين الحق والباطل بهزيمة أخرست الوثنيين وأخضعت أعناقهم..! واحتاج ذلك إلى أجل يعده المجرمون طويلا، ويعده القدر قصيرا!. وفى هذا الأجل يجب على المسلمين أن يصبروا دون **ارتياب**، ولذلك يقول الله فى آخر السورة لنبيه: " واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " . وقد صابر المسلمون الأيام، وعندما حرت فى جلودهم الآلام نزلت آيتان فى هذه السورة تعزيان المسلمين، وتصبرانهم على ما نزل بهم. الأولى قوله تعالى: " والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون " . والثانية قوله تعالى: " ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم" . والهجرة المقصودة هنا هى الهجرة إلى الحبشة.. وقد أذن فيها للمستضعفين ومن لا طاقة لهم على التعذيب، وقد روى البخارى حديثا فى هذا الموضوع نسوقه هنا قال: إن أسماء بنت عميس وهى ممن قدم من أرض." (٢)

"ج ١ ، ص : ٤٦٩

المسجد فيه أي في هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات ، وسائر النجاسات وهم : بنو عامر بن عوف الذين بنوه والله يحب المطهرين (١٠٨) أي يرضى عنهم.

روى ابن خزيمة عن عويمر ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال : «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به» «١»؟ أي الذي تحصلون الطهارة بسببه. قالوا : والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود ، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا.

وفي حديث رواه البزار فقالوا : في جواب سؤاله لهم : نتبع الحجارة بالماء فقال : «هو ذاك فعليكموه»

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، المؤلف غير معروف ٦٢١/٨

(٢) نحو تفسير موضوعي، المؤلف غير معروف ٢٠٣/١

«٢». أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان أي أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار أي أم من أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله وإضرار بعباد الله فانهار به في نار جهنم أي فسقط المسيل مصاحبا له أي للمؤسس في قعر نار جهنم أي مثل الضلال مثل شفا جرف هار من أودية جهنم فكان قريب السقوط ولكونه على طرف جهنم كان إذا انهار فإنما ينهار في قعر جهنم.

وقرأ نافع وابن عامر «أسس» مبنيا للمفعول ، وبنيانه بالرفع نائب الفاعل والله لا يهدي القوم الظالمين (١٠٩) أي لا يغفر للمنافقين ولا ينجيهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي لا يزال مسجدهم سبب شك في الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته ، وعظم خوفهم منه في جميع الأوقات ، وصاروا مرتابين في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يخلي سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم؟! إلا أن تقطع قلوبهم.

وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة بفتح التاء والطاء المشددة. والباقون بضم التاء مبني للمجهول. وعن ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أي إلا أن تجعل قلوبهم قطعا بالسيف. وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب «إلى أن تقطع» ، وأبو حيوة كذلك إلا أنه قرأ بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول ، و«قلوبهم» بالنصب ، وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب.

والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم أبدا ويموتون على هذا النفاق ، و«إلا» بمعنى إلى بدليل القراءة الشاذة والله عليم بأحوالهم حكيم (١١٠) في

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ، باب : الاستنجاء بالماء ، وأحمد في (م ٣/ ص ٤٢٢).

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ، باب : الاستنجاء بالماء ، والدار قطني في (ج ١/ ص ٦٢).." [١]

"وإن مما حرك إلى هذا الغرض وألحقه عند من تحلى ولوعا باعتباره والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره ، بمثل حالي على استحكام جذبي وإمحالي بالواجب المفترض ، إنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهن وخلف ، أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمدد وترادف أيام الأبد ، مع عظيم موقعه وجليل منزعه ، ومكانته في الدين وفته أعضاد ذوي الشك والارتياب من الطاعنين والملحدين ، إلى أن ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقه[ابن الخطيب الإسكافي] نفعه الله سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل ، قرع به مغلق هذا الباب وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب ، وعرف أنه باب لم يوجفه عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب ، ولا نطق ناطق قبل فيه ، بحرف مما فيه. وصدق رحمه الله وأحسن فيما سلك وسن وحق لنا به – لإحسانه – أن نقتدى به ونستن ، فحرك من فكري الساكن وأضربت عن فسحته بالاستدراك بلكن ، وأبديت بحول ربي من مكنون خاطري إلى الظهور ما أثبته بعون الله وقوته في هذا

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، المؤلف غير معروف ٤٦٩/١

المسطور ، معتمدا عين ما ذكره من الآيات ومستدركا ما تذكرته مما أغفله رحمه الله من أمثالها من المتشابهات ، وإبداء المعاني الخفيات القاطعة بدرب البطالات ، من غير أن أقف في أكثر ذلك على كلامه إلا بعد إبدائي ما يلهمه الله سبحانه وإتمامه ، ولا ناقلا إلا في الشاذ التادر كلام أحد من أرباب المعاني إذ لم يعترض أحد غير من تقدم ذكره لما من هذا الضرب أعاني ، وإنما يلقيه فكري إلى ذكري فيلقيه ترجمان فهمي على قلمي ، وإن آثرت بعض ما عليه لغيري عثرت فنقلت أفصحت بالنسبة وعقلت ، وما أرى ذلك يبلغ فى هذا المجموع غاية أقل الجموع ، وإن نيف فيسير والتحقق في ذلك بلازم الذهول الإنساني عسير ، وما سوى ذلك فأنا ابن نجدته وذو عهدته ، "وما بكم من نعمة فمن الله ".." (١)

"والجواب عن السؤال الأول : بعد تمهيده وهو أن نقول أن قوله تعالى : "الحمد لله " مبتدأ وخبر وكذلك قوله : "فلله الحمد " وتأخر في هذه الثانية المبتدأ ، والحاصل في الموضعين معنى واحد وهو حمده سبحانه بما هو أصله.

ومعلوم أن التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ والخبر إذا لم يقع عارض مما يعرض في التركيب ، ككون المبتدأ مما يلزم صدر الكلام ، أو كون الخبر كذلك ، فيلزم تقديم ما له الصدرية إلى غير ذلك من العوارض وهى كثيرة ، فما لم يعرض عارض يوجب لأحدهما التقديم أو التأخير فتقديم أيهما كان وتأخير الآخر عربي فصيح ، إلا أن مرتبة المبتدأ التقديم ليبنى عليه الخبر ، فتقديمه عند عدم العوارض اللفظية أولى كما فى القرآن.

وإذا وضح هذا فللسائل أن يقول : ما الموجب لتقديم الخبر على المبتدإ فى سورة الجاثية ؟ وهل كان يسوغ عكس الواقع ؟

والجواب : أن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير وتأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة فى جهة التركيب اللفظي ، بل قد يعرض من جهة المعنى.

وتقدير الكلام ما يقتضى ذلك ويوجبه.

وإذا تقرر هذا فنقول : إن قوله تعالى : "فلله الحمد " ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذب وقهره ووقوع الأمر مطابقا لأخبار الرسل عليه السلام ، وظهور ما كذب الجاحد به ، فعند وضوح الأمر كأن قد قيل لمن الحمد ومن أهله ؟ فكان الجواب على ذلك فقيل : "فلله الحمد ".

نظير هذا قوله تعالى : "لمن الملك " ؟ ثم قال : "لله الواحد القهار " ، ألا ترى تلاقى الآيتين فيما تقدمهما فالمتقدم فى سورة غافر قوله تعالى : "لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ ".

فعند ظهور الأمر للعيان ومشاهدة ما قد كان خبرا قيل لهم : "لمن الملك اليوم ".

وتقد فى سورة الجاثية قوله تعالى : "وبدا لهم سيئآت ما عملوا " الآيات.

وإنما ذلك يوم التلاقي والعرض عليه سبحانه فعند المعاينة وزوال **الارتياب** والشكوك كأن قد قيل لهم : لمن الحمد ومن أهله ؟ فورد الجواب بقوله : "فلله الحمد ".

فالآية." (٢)

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، المؤلف غير معروف ٣/١

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، المؤلف غير معروف ٧/١

"فإن قيل قد علم من قبله صلى الله عليه وسلم أن حكمه على الواحد حكم على الجميع وأن الخطاب له خطاب له ولأمته وذلك كله ما لم يرد تخصيص.

فجوابنا عن هذا أن الكلام فى هذه الآية ليس خاصا بمن سلم بالقواعد المستقرات من الكتاب والسنة وإنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوى الزيغ **والارتياب** ممت يتعلق بما تشابه منه طعنا فى الدين واتباعا لسبيل الملحدين وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك.

وعلى هذا نقول ان قوله تعالى : "فول وجهك شطر المسجد الحرام " أمر يدفع احتمال خصوصه صلى الله عليه وسلم دون أمته بالأمر بالتولى ثم تحصل مع هذا من قوله "وحيث ما كنتم " أن ذلك لا يختص بمكان دون مكان ثم يبقى احتمال نذكره وما يزيله بعد.

وأما قوله تعالى "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام " فإعلام له صلى الله عليه وسلم بتسوية حالى الظعن والاقامة ونه خرج عن المدينة مسافرا فحاله حيث توجه كحاله فى المدينة مقيما ولم يكن هذا ليحصل نصا لا احتمال فيه مما تقدم من الامر فقد حصل من هذا ما لم يتحصل نصا مما تقدم.

". (١)

"طه فمقاطع آيها لازمة الألف المقصورة وعلى ذلك أي السور كلها ، وأما النمل والقصص فقد اكتنف الواقع في آي هذه القصة فيها ما مقطعه النون الواقع قبلها الياء والواو الساكنتان بحسب ما تقدمهما من حركتي الضمة والكسرة.

فإن قلت : إن السورتين مستويتان في هذا فما الفارق ؟ قلت : الإيجاز والطول ، أما سورة النمل فأوجز في هذا المقصد ، وأما سورة القصص فإن خبر موسى ، عليه السلام ، فيها يكاد يستغرق آيها كلها ، فناسبه طول الوارد فيها مما فيه الكلام ، وذلك غير خاف. وتأمل الوارد في سورة طه من قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى ، عليه السلام ، من قوله : (أو أجد على النار هدى) ، ومناسبة ذلك لما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم ، وافتتاحها بقوله تعالى : (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (طه : ٢) ، يلح لك التلاؤم والتناسب ، وقد وضح أن كل ما في كل سورة من السور الثلاث من هذه القصة لا يلائم غيرها ، وأن كل قصة منها لا يحسن وقوعها في موضع الآخر لعدم المناسبة وبعد التلاؤم ، والله أعلم.

الآية الثانية من سورة طه – قوله تعالى : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) (طه : ١٥) ، وفي سورة غافر : (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) (غافر : ٥٩) ، للسائل أن يسأل عن تخصيص آية طه بقوله في وصف الساعة : (أكاد أخفيها) ووصفها في سورة غافر بقوله : (لا ريب فيها) ؟ فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول منهما : أن آية طه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، يتضمن تأنيسه وتسليته عن حال كفار قريش في (توقفهم عن) الإيمان ، فافتتحت السورة بأجل التأنيس وهو قوله تعالى مبشرا لنبيه ، عليه السلام ، مقسما على ذلك : (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (طه : ٢) ، ثم تابع التعريف بتعظيم الكتاب ، وذكر منزلته سبحانه وتعالى بما انفرد

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، المؤلف غير معروف ٧٢/١

فيه من ملك السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، ووصفه بأنه يعلم السر وأخفى ، وانفراده بأسمائه الحسنى ، ثم عرف نبيه صلى الله عليه وسلم بابتداء (أمر) موسى ، عليه السلام ، (إلى قوله) : (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) (طه : ١٥) تعريفا بعظيم خفاء أمر الساعة وتغيب كنهها عن الخلق حتى كأن أمرها لم يخبر عنه ولا وقع تعريف بشيء منه ، فهو إخبار بفرط إخفاء أمرها ، وذلك إعلام بوصف وحال من قد تقرر بوقوعها يقينه ، وانطوى على علم كيانها إيمانه ، ولما كان هذا الخطاب والتعريف لمن جرى ذكره من تنزهه صلى الله عليه وسلم عن **الارتياب** في أمر الساعة ، لم يحتج إلى نفي الريب ، إذ مقام النبوى في الإيمان بها المقام الذي لا يداني ، فلم يكن نفي **الارتياب** ليلائم ولا يناسب ، وإنما عرفوا بحال وصف تابع.." (١)

"

الجدل : الحجاج والمناظرة ، مسلمون : أي خاضعون مطيعون ، والجحد : نفى ما فى القلب ثبوته أو إثبات ما فى القلب نفيه والمراد به هنا الإنكار عن علم ، **والارتياب** :

الشك ، الظالمون : أي الذين ظلموا أنفسهم وجحدوا وجه الحق.." (٢)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٦٨

رَهِينٌ ومَرْهُونٌ. ويقال في جمع الرَّهْنِ : رِهَانٌ ورُهُنٌ ورُهُونٌ ، وقرئ : فَرُهُنٌ مقبوضة «١» وفِرِهانٌ

«٢» ، وقيل في قوله : كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ

[المدثر / ٣٨] ، إنه فعيل بمعنى فاعل ، أي : ثابتة مقيمة. وقيل : بمعنى مفعول ، أي :

كلّ نفس مقامة في جزاء ما قدّم من عمله. ولمّا كان الرّهن يتصوّر منه حبسه استعير ذلك للمحتبس أيّ شيء كان ، قال : بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ [المدثر / ٣٨] ، ورَهَنْتُ فلانا ، ورَهَنْتُ عنده ، وارْتَهَنْتُ : أخذت الرّهن ، وأَرْهَنْتُ في السِّلْعة ، قيل : غاليت بها ، وحقيقة ذلك : أن يدفع سلعة تقدمة في ثمنه ، فتجعلها رهينة لإتمام ثمنها.

رهو

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً

[الدخان / ٢٤] ، أي :

ساكنا ، وقيل : سعة من الطّريق ، وهو الصحيح ، ومنه : الرَّهَاءُ للمفازة المستوية ، ويقال لكلّ جوبة «٣» مستوية يجتمع فيها الماء رهو ، ومنه قيل : «لا شفعة في رَهْوٍ» «٤» ، ونظر أعرابيّ إلى بعير فالج فقال : رَهْوٌ بين سنامين «٥».

ريب

يقال رَابَنِي كذا ، وأَرَابَنِي ، فَالرَّيْبُ : أن تتوهّم بالشيء أمرا مّا ، فينكشف عمّا تتوهّمه ، قال الله تعالى : يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ [الحج / ٥] ، وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا [البقرة / ٢٣] ، تنبيها أن لا ريب فيه ،

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، المؤلف غير معروف ٢/٣٣٥

(٢) مفردات القرآن للشيخ المراغي، المؤلف غير معروف ص/٧٠٦

وقوله : رَيْبَ الْمَنُونِ

[الطور / ٣٠] ، سمّاه ريبا لا أنه مشكّك في كونه ، بل من حيث تشكّك في وقت حصوله ، فالإنسان أبدا في ريب المنون من جهة وقته ، لا من جهة كونه ، وعلى هذا قال الشاعر :

٢٠٠ -

النّاس قد علموا أن لا بقاء لهم لو أنّهم عملوا مقدار ما علموا

«٦» ومثله :

٢٠١ -

أمن المنون وريبها تتوجّع؟

«٧» وقال تعالى : لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ

[هود / ١١٠] ، مُعْتَدٍ مُرِيبٍ [ق / ٢٥] ، **والارْتِيابُ** يجري مجرى الْإِرَابَةِ ، قال : أَمِ ارْتابُوا أَمْ يَخافُونَ

[النور / ٥٠] ، وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٣ ، وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو.

(٢) وهي قراءة الباقين.

(٣) الجوبة : الحفرة.

(٤) الحديث : «لا شفعة في فناء ولا منقبة ، ولا طريق ولا ركح ولا رهو». انظر : النهاية ٢ / ٢٨٥ ، وغريب الحديث ٣ / ١٢١.

(٥) انظر عمدة الحفاظ : رهو.

(٦) البيت في البصائر ٣ / ١١٤ دون نسبة ، وهو لديك الجن في محاضرات الأدباء ٤ / ٤٩١ ، وعمدة الحفاظ : ريب.

(٧) شطر بيت ، وعجزه :

والدّهر ليس بمعتب من يجزع

وهو مطلع قصيدة أبي ذؤيب الهذلي العينية. وهو في المفضليات ص ٤٢١ ، والأغاني ٦ / ٥٨.." [1]

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٦٩

[الحديد / ١٤] ، ونفى من المؤمنين **الِارْتِيَابَ** فقال : وَلا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْمُؤْمِنُونَ

[المدثر / ٣١] ، وقال : ثُمَّ لَمْ يَرْتابُوا

[الحجرات / ١٥] ، وقيل : «دع ما يُرِيبُكَ إلى ما لا يُرِيبُكَ» «١» ورَيْبُ الدّهر صروفه ، وإنما قيل رَيْبٌ لما يتوهّم فيه من المكر ، والرِّيبَةُ اسم من الرّيب قال : بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ

---

(١) مفردات القرآن ـ للراغب ـ نسخة محققة، المؤلف غير معروف ص/٣٦٨

[التوبة / ١١٠] ، أي : تدلّ على دغل وقلّة يقين.

روح

الرَّوْحُ والرُّوحُ في الأصل واحد ، وجعل الرّوح اسما للنّفس ، قال الشاعر في صفة النار :

- ٢٠٢

فقلت له ارفعها إليك وأحيها بروحك واجعلها لها قيتة قدرا

«٢» وذلك لكون النّفس بعض الرّوح كتسمية النوع باسم الجنس ، نحو تسمية الإنسان بالحيوان ، وجعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتّحرّك ، واستجلاب المنافع واستدفاع المضارّ ، وهو المذكور في قوله : وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي

[الإسراء / ٨٥] ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [الحجر / ٢٩] ، وإضافته إلى نفسه إضافة ملك ، وتخصيصه بالإضافة تشريفا له وتعظيما ، كقوله :

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ [الحج / ٢٦] ، ويا عِبادِيَ

[الزمر / ٥٣] ، وسمّي أشراف الملائكة أَرْوَاحاً ، نحو : يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا

[النبأ / ٣٨] ، تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ [المعارج / ٤] ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ

[الشعراء / ١٩٣] ، سمّي به جبريل ، وسمّاه بِرُوحِ القدس في قوله : قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ [النحل / ١٠٢] ، وَأَيَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ [البقرة / ٢٥٣] ، وسمّي عيسى عليه السلام رُوحاً في قوله : وَرُوحٌ مِنْهُ

[النساء / ١٧١] ، وذلك لما كان له من إحياء الأموات ، وسمّي القرآن رُوحاً في قوله : وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا

[الشورى / ٥٢] ، وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخرويّة الموصوفة في قوله :

وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ [العنكبوت / ٦٤] ، والرَّوْحُ التّنفّس ، وقد أَرَاحَ الإنسان إذا تنفّس. وقوله : فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ

[الواقعة / ٨٩] ، فالرَّيْحَانُ : ما له رائحة ، وقيل : رزق ، ثمّ يقال

---

(١) الحديث عن أبي الجوزاء قال : قلت للحسن بن عليّ : ما حفظت من رسول الله صلّى الله عليه وسلم؟ قال : حفظت منه : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». أخرجه الترمذي في صفة القيامة رقم (٢٥٢٠) وقال : حسن صحيح ، وأخرجه الحاكم ٢ / ١٣ وصححه ووافقه الذهبي ، وابن حبان (٥١٢) وصححه ، والنسائي ٨ / ٣٢٧ ، وانظر : شرح السنة ٨ / ١٧. [.....]

(٢) البيت لذي الرّمة من قصيدة له مطلعها :

لقد جشأت نفسي عشية مشرف ويوم لوى حزوى فقلت لها صبرا

وتسمى هذه القصيدة أحجية العرب ، والبيت في ديوانه ص ٢٤٦ ، والبصائر ٣ / ١٠٣ ، واللسان (حيا).." [1]

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، المؤلف غير معروف ص/٣٦٩

"- يقال رابني كذا، وأرابني، فالريب: أن تتوهم بالشيء أمرا ما، فينكشف عما تتوهمه، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾ [الحج/٥]، ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة/٢٣]، تنبيها أن لا ريب فيه، وقوله: ﴿ريب المنون﴾ [الطور/٣٠]، سماه ريبا لا أنه مشكك في كونه، بل من حيث تشكك في وقت حصوله، فالإنسان أبدا في ريب المنون من جهة وقته، لا من جهة كونه، وعلى هذا قال الشاعر:

*الناس قد علموا أن لا بقاء لهم**لو أنهم عملوا مقدار ما علموا*

(البيت في البصائر ٣/١١٤ دون نسبة؛ وهو لديك الجن في محاضرات الأدباء ٤/٤٩١؛ وعمدة الحفاظ: ريب)

ومثله:

*أمن المنون وريبها تتوجع؟ *

(شطر بيت، وعجزه:

والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهو مطلع قصيدة أبي ذؤيب الهذلي العينية. وهو في المفضليات ص ٤٢١؛ والأغاني ٦/٥٨)

وقال تعالى: ﴿لفي شك منه مريب﴾ [هود/١١٠]، ﴿معتد مريب﴾ [ق/٢٥]، والارتياب يجري مجرى الإرابة، قال: ﴿أم ارتابوا أم يخافون﴾ [النور/٥٠]، ﴿وتربصتم وارتبتم﴾ [الحديد/١٤]، ونفى من المؤمنين الارتياب فقال: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ [المدثر/٣١]، وقال: ﴿ثم لم يرتابوا﴾ [الحجرات/١٥]، وقيل: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) (الحديث عن أبي الجوزاء قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظت منه: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). أخرجه الترمذي في صفة القيامة رقم (٢٥٢٠) وقال: حسن صحيح؛ وأخرجه الحاكم ٢/١٣ وصحح ووافقه الذهبي؛ وابن حبان (٥١٢) وصححه؛ والنسائي ٨/٣٢٧) ؛ وانظر: شرح السنة ٨/١٧) وريب الدهر صروفه، وإنما قيل ريب لما يتوهم فيه من المكر، والريبة اسم من الريب قال: ﴿بنوا ريبة في قلوبهم﴾ [التوبة/١١٠]، أي: تدل على دغل وقلة يقين.

روح

- الروح والروح في الأصل واحد، وجعل الروح اسما للنفس، قال الشاعر في صفة النار:

*فقلت له ارفعها إليك وأحيها**بروحك واجعلها لها قيتة قدرا*

." (١)

"إعراض المنافقين عن التحاكم إلى شرع رب العالمين

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة، المؤلف غير معروف ١/٤١٩

وبعد: يقول الله سبحانه: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، فهذا دليل على أن أهل الإيمان قالوا: سمعنا وأطعنا، وقد قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (قولوا: سمعنا وأطعنا، فقالوا: ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [البقرة:٢٨٥])، لكن المراد بالقائلين هنا في هذه الآية: ﴿ آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴾ [النور:٤٧]: هم أهل النفاق لما أفاده ختام الآية، فختام الآية بينت أن المراد بالقائلين هم أهل النفاق.

﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ﴾ [النور:٤٧] أطعنا الله وأطعنا الرسول، ﴿ ثم يتولى ﴾ [النور:٤٧] أي: يعرض، ﴿ فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ [النور:٤٧] فإن المعرضين ليسوا بمؤمنين.

﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ﴾ [النور:٤٨] إذا حلت بهم نازلة، فقيل لهم: هلم نتحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهلم نتحاكم إلى الشرع، ﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [النور:٤٨] ، كما تقول للناس الآن: هيا -يا معشر الناس- نتحاكم إلى كتاب الله، ونتحاكم إلى سنة رسول الله، فيأبون عليك ذلك أشد الإباء، ويتحاكمون إلى قوانين كفرية جاءتهم من بلاد اليونان، وجاءتهم من بلاد الفرنجة، ومن بلاد الكفار، فهذا شأن أهل النفاق، بألسنتهم يقولون: آمنا بالله وبالرسول، بألسنتهم يقولون: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، فإذا قيل لهم: هلم نتحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فريق منهم معرضون.

وشأنهم ذكر أيضا في سورة النساء قال سبحانه: ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ [النساء:٦٠-٦١]، فهذا شأن أهل النفاق، شأنهم الإعراض عن التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾ [النور:٤٨]، لماذا لم يثن الضمير المفرد هنا (ليحكم)، ولم يقل (ليحكما)؟ ذلك لأن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حكم الله سبحانه وتعالى، فهو حكم واحد إذا، كما قال سبحانه: ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ [التوبة:٦٢]، ولم يقل: (أحق أن يرضوهما)؛ فإن رضا رسول الله من رضا الله سبحانه وتعالى، وطاعة رسول الله من طاعة الله عز وجل.

﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ [النور:٤٩] يأتون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم طائعين، وهذا شأن كثير من أهل النفاق الآن، فهم في الأصل لا يتحاكمون إلى الكتاب ولا إلى السنة، لكن إن أرادوا تشريعا جديدا أو شيئا جديدا ووجدوا لهم متنفسا في الكتاب والسنة طفق علماؤهم يرفعون الآيات ويرفعون الرايات! فمثلا: عندما تصالحوا مع اليهود إذا بالأيادي ترفع: ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ﴾ [الأنفال:٦١] ، فإذا وجدوا أي شيء من الكتاب والسنة يشهد لأفعالهم تمسكوا به مع بعدهم عن كتاب الله جملة وتفصيلا.

قال سبحانه: ﴿ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ﴾ أي: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم فيه، ((مذعنين)) أي: طائعين خاضعين.

﴿ أفي قلوبهم مرض ﴾ [النور:٥٠] ، ما الحامل لهم على الإعراض عن التحاكم إلى الله ورسوله؟ هل هو مرض في قلوبهم؟ ((أفي)) الهمزة الاستفهامية هنا المراد منها: التوبيخ.

﴿ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ﴾ [النور:٥٠] أي: هل شكوا.

﴿ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ [النور:٥٠] أي: خافوا أن يظلمهم الله أو يظلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إذا كان ذلك فالله ورسوله لا يظلمان الناس ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ [النور:٥٠].

ومن العلماء من قال: إن (أم) في قوله تعالى: ﴿ أم ارتابوا ﴾ بمعنى: بل، فعلى هذا يكون السياق تأويله كالتالي: أفي قلوبهم مرض: شك وكفر ونفاق، بل ارتابوا، بل يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله، وتكون بل بمعنى الواو، ﴿ أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا ﴾ **الارتياب** هو: الشك ، ﴿ أم يخافون أن يحيف ﴾ أي: يظلم، ﴿ بل أولئك هم الظالمون ﴾ [النور:٥٠].." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون)

باسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: يقول الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ [القلم:١] (ن) للعلماء في تفسيرها أقوال: أحد هذه الأقوال: أن (ن) حرف من الأحرف التي بدئت بها السور ك(ص) و (طه) و (ألم) و (ق) و (يس) إلى غير ذلك.

القول الثاني: أن (ن) المراد به الحوت، وكما في السورة نفسها، ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ [القلم:٤٨] ، وصاحب الحوت ذكره الله في سورة الأنبياء، فقال: ﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ﴾ [الأنبياء:٨٧] ، فالقول الثاني من الأقوال: أن (ن) المراد به الحوت، ومما أيد ذلك ذكر صاحب الحوت في هذه السورة، وصاحب الحوت هو ذو النون كما في السورة الأخرى.

والقول الثالث: أن المراد ب(ن) الدواة، فأقسم الله بالقلم، وبالدواة التي يغمس فيها القلم، لتمده بالحبر والمداد.

القول الرابع: أن المراد ب(ن) اللوح الذي يكتب فيه بالقلم.

فهذه أشهر الأقوال في تفسير قوله: (ن).

أيضا للعلماء في الحوت أقوال لا ينبني أي شيء منها على حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمنهم من قال: هو حوت يحمل الأرض، ومنهم من قال: هو الحوت الذي التقم يونس، إلى غير ذلك من الأقوال.

﴿ ن والقلم ﴾ الواو في قوله سبحانه: (والقلم) واو القسم، وكما أسلفنا مرارا أن أحرف القسم ثلاثة: الواو والباء والتاء، فالواو هنا واو القسم على رأي كثير من العلماء، فأقسم الله بالقلم.

وما المراد بالقلم؟ من أهل العلم من قال: المراد بالقلم قلم مخصوص وهو أول قلم خلقه الله، وهو أول الخلق على الإطلاق، كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يصح بمجموع طرقه: (أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة) ، فمن العلماء من قال: إن المراد بالقلم: القلم الذي

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، المؤلف غير معروف ٢/٣٧

خلقه الله أول ما خلق، وكتب به مقادير كل شيء، والحامل لهم على هذا الاختيار أنه درج في كتاب الله على أن الله سبحانه وتعالى يقسم بعظيم المخلوقات، ﴿ والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها ﴾ [الشمس:٥-٧] ، ﴿ والصافات صفا ﴾ [الصافات:١] ، ﴿ والمرسلات عرفا ﴾ [المرسلات:١] ، فيقسم الله بعظيم المخلوقات، ولا يقسم بأشياء يسيرة من خلقه، مع أن كل خلقه عظيم، لكن ما تجد ربنا أقسم بالنملة مثلا، ولا بالبعوضة، ولا بالخنافس، ولا بالصراصير، مع أنها كلها مخلوقات لله، لكن ربنا يقسم بعظيم المخلوقات، فهذا حمل بعض العلماء على أن يقول: إن القلم هنا قلم مخصوص، وهو أول قلم خلق، وهو الذي كتبت به مقادير الخلائق.

ومن العلماء من قال: هو عموم الأقلام، وليس المقسم به قطعة خشب، وإنما المراد أهمية هذا القلم، وما ينبني عليه، فالقلم النوع الثاني من أنواع البيان، فرب العزة سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم: ﴿ خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [الرحمن:٣-٤] ، فالبيان بيانان: بيان بالقلم، وبيان باللسان، وقال الله سبحانه وتعالى في أول سورة نزلت على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم ﴾ [العلق:١-٤] ، فالقلم نعمة امتن الله بها على العباد.

فقد يطرح

Q لماذا وهو نعمة امتن الله بها على العباد لم يعلمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومع أن العلم محمود، والجهل مذموم، فلماذا حرم النبي صلى الله عليه وسلم هذه النعمة؟ أليس تعلمها داخلا في قوله تعالى: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ [طه:١١٤] ، ويتوصل بالقراءة والكتابة إلى الاطلاع على العلوم الشرعية؟! فالإجابة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم منع هذه النعمة لعلة أعظم، ذكرها الله في كتابه: ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ [العنكبوت:٤٨] ، فلدفع **الارتياب** والشكوك عن الناس جعل الله الرسول صلى الله عليه وسلم أميا.

﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ [القلم:١] أي: وما يسطرون أي: وما يكتبون، فأقسم الله بالآلة، أي: بالقلم وبما كتبته الآلة: القلم وبما كتبه القلم، وعلام كان القسم؟! ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ [القلم:٢] فالله يقسم على أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون، كما وصفه الواصفون، فقد وصفه القرشيون المشركون بالجنون ورموه به، كما قال تعالى: ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [الحجر:٦] فأنت عندما ترى الناس كلهم يقذفونك ويصفونك بالجنون، قد يتسرب إلى نفسك شك أن بك شيئا من كثرة ما تسمع؛ لأن كل هؤلاء يصفونك بالجنون وتتساءل: هل أنا على خطأ أو على صواب؟! فرسولنا وصفه الكفار بهذا الوصف، كما وصف إخوانه من المرسلين، فقد وصف بذلك نوح صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿ كذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ﴾ [القمر:٩].

وهكذا عموم الأنبياء، فربنا سبحانه وتعالى هو الذي دافع عن نبيه محمد عليه الصلاة والسلام بنفسه: ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ﴾ [الحج:٣٨] ما أنت بمجنون من فضل الله عليك، ﴿ ما أنت بنعمة ربك ﴾ [القلم:٢] أي: من نعمة الله عليك، أنك لست بمجنون، أي: بحمد الله لست بمجنون ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ [القلم:٢] أي: ما

أنت بمجنون، وجاءت كلمة ﴿ بنعمة ربك ﴾ [القلم:٢] اعتراضية، فيكون المعنى: ما أنت بمجنون، لكن عززت بقوله ﴿ ما أنت بنعمة ربك ﴾ ، ويصبح المعنى: ما أنت بفضل الله عليك بمجنون.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما جعلنا أصحاب النار .)

قال تعالى: ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ [المدثر:٣١] أي: ما جعلنا خزنة النار إلا ملائكة، ولم نجعلهم بشرا، إنما جعلناهم ملائكة، كما قال تعالى: ﴿ عليها ملائكة غلاظ شداد ﴾ [التحريم:٦] فخزنتها ملائكة.

﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم ﴾ [المدثر:٣١] أي: عددهم، ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾ [المدثر:٣١]، فوقف الكفار يتساءلون فيما بينهم: لماذا هذا العدد بالذات تسعة عشر؟ لماذا هم تسعة عشر؟ هذا عدد غريب ليس كالواحد وليس كالثلاثة وليس كالاثنين وليس كالسبعة وليس كالعشرة، ليس كهذه الأعداد الشهيرة المتداولة بين الناس، حتى من نواحي الحساب لا يقبل القسمة إلا على نفسه، تسعة عشر رقم غريب على العرب، فقالوا: لماذا هذا العدد الغريب؟ ومن العلماء من نقل عن بعض كفار قريش أنه قال: تسعة عشر عدد يسير، فنحن قادرون على قتلهم وتحطيمهم واحتلال الجنة بالقوة! فكل مائة منا يوكل إليهم أمر ملك من الملائكة يقتلونه ونحتل الجنة بالقوة! فجعل العدد فتنة للكفار، قال تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ [المدثر:٣١] أي: عددهم ﴿ إلا فتنة للذين كفروا ﴾ [المدثر:٣١] وكما أسلفنا أن الآية كانت تنزل من كتاب الله يفتن بها أهل الكفر والنفاق، ويزداد أهل الإيمان إيمانا بهذه الآية، كما قال تعالى في شجرة الزقوم: ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ [الصافات:٦٤] فقالوا: كيف تخرج الشجرة في وسط النار؟ النار تأكل الأشجار، فهذا وجه افتتان الكفار بالشجرة، أما أهل الإيمان فأجابوا: (إن الله على كل شيء قدير).

كذلك في الإسراء: ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ [الإسراء:٦٠] فتن بها الناس، فتنوا بإسراء ومعراج الرسول عليه الصلاة والسلام، أما أهل الإيمان فيقولون: (إن الله على كل شيء قدير).

قال الله سبحانه: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ﴾ [المدثر:٣١] اختبارا وابتلاء، والفتنة أيضا تطلق على الصرف والتحويل، فتنته أي: صرفته عن الشيء، وفتنته أي: ابتليته بالنار، ومن المعنى الأول قول الشاعر: لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت سعيدا فأصبح قد قلى كل مسلم وألقى مصابيح القراءة واشترى وصال الغواني بالكتاب المتيم قال الله سبحانه: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة ﴾ [المدثر:٣١] أي: اختبارا وابتلاء، وأيضا صرفا للكفار عن الإيمان كما قال تعالى: ﴿ فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين ﴾ [الصافات:١٦١-١٦٢] أي: بصارفين ﴿ إلا من هو صال الجحيم ﴾ [الصافات:١٦٣].

قال تعالى: ﴿ وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ [المدثر:٣١]، ليستيقن أي: ليزدادوا يقينا، وكيف يستيقن الذين أوتوا الكتاب إذا سمعوا أن خزنة النار تسعة عشر؟ يستيقنون ويعلمون أن هذا القرآن حق من عند الله؛ لأن في كتبهم ما يفيد أن الخزنة تسعة عشر، إذا كان الكتابي اليهودي أو النصراني يقرأ في التوراة وفي الإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر، ويرى أن هذا القرآن الكريم أتى يؤكد هذا، ويفيد أن خزنة النار تسعة عشر ازداد يقينهم

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، المؤلف غير معروف ٢/٧٠

أن هذا القرآن من عند الله سبحانه وتعالى، فهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ﴾ [المدثر:٣١] أي: ليزدادوا يقينا إذا علموا أن هذا القرآن ﴿ مصدق الذي بين يديه ﴾ [الأنعام:٩٢] أي: مصدق للكتب التي أتت من قبله.

﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ [المدثر:٣١] وأهل الإيمان أيضا إذا علموا أن الذي جاء به الرسول محمد عليه الصلاة والسلام يوافق الذي جاءت به الكتب وأخبرت به الرسل من قبله، ازداد إيمانهم وتصديقهم برسول الله صلى الله عليه وسلم، فالآية أفادت معنى ألا وهو أن طمأنينة القلب وزيادة الإيمان تحدث بتواتر الأدلة، وقد بوب لهذا بعض العلماء في باب طمأنينة القلب بتواتر الأدلة، واستدلوا بقول إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿ رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ﴾ [البقرة:٢٦٠] أي: قد آمنت، ﴿ ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [البقرة:٢٦٠]، فلا يطعن فيمن طلب مثل هذا الطلب، أي: رجل مؤمن يطلب مثلا رفع شبهة عن شيء، أو الاستفسار عن شيء كي يزداد إيمانه؛ لا يطعن -أصلا- في إيمانه، فإبراهيم قال: ﴿ رب أرني كيف تحي الموتى ﴾ [البقرة:٢٦٠] قال الله له: ﴿ أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ [البقرة:٢٦٠] الآيات، ولا يقولن قائل: إن هذا خاص بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو شرع لمن قبلنا وليس شرعا لنا؛ وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذا قال: (رب أرني كيف تحي)) قال ذلك ضمن حديث وفيه: (يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي)، ومطلع الحديث: (نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: (رب أرني كيف تحي)).

وقوله تعالى: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ [المدثر:٣١] فيه دليل لعقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزداد، وخالف في ذلك بعض أهل البدع، وقالوا: إن الإيمان لا يزداد، والآية نص صريح في زيادة الإيمان: ﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ [المدثر:٣١]، وقال تعالى: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ [محمد:١٧]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ﴾ [آل عمران:١٧٣]، أي: سماعهم هذا القول زادهم ﴿ إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ففي الآيات بيان لزيادة الإيمان، وكذلك نقصان الإيمان من عقيدة أهل السنة لحديث: (أخرجوا من النار من قال: "لا إله إلا الله" وفي قلبه من الخير ما يزن ذرة)، (ومن رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)، وهذا مرئي مشاهد، قد يقوى إيمانك الآن فتقدم على فعل خير كثير، وقد يقل إيمانك غدا فتتراجع عن خير كثير.

قال تعالى: ﴿ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ [المدثر:٣١] أي: لا يتطرق إليهم شك في صدق هذا الرسول، (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ﴾ [المدثر:٣١] هذا تفريق بين الذي في قلبه مرض وبين الكافر، فالذي في قلبه مرض: هو رجل شهد أن "لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله" بقلبه وبلسانه، أما قلبه فما زال مريضا ومرتابا، وكم من قائل: "لا إله إلا الله محمدا رسول الله" وفي قلبه مرض.

ومن ثم قال رب العزة سبحانه: ﴿ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا ﴾ [الأحزاب:٣٢]، بعضهم في قلبه مرض من ناحية النساء مثلا، إذا كلم امرأة أي كلمة، وأجابته بأي إجابة فيها نوع من

الرفق؛ فيحملها محملا سيئا، فيقول في نفسه: ما كلمتني بهذه الطريقة إلا لأنها تحبني وتطمع في، ويجد إليه الشيطان سبيلا من هذا الطريق.

فهناك قوم شهدوا أن لا إله إلا الله بألسنتهم ومع ذلك في قلوبهم مرض، وذكرهم الله في آية أخرى: ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ﴾ [الأحزاب:٦٠].

وقال تعالى: ﴿ (وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ [المدثر:٣١] اللام هنا: هل هي لام العاقبة؟ أي: تكون عاقبة الأمر وعاقبة نزول هذه الآيات أن يقول الذين في قلوبهم مرض: كذا وكذا، كما في قوله تعالى: ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾ [القصص:٨] هم في الحقيقة ما التقطوه -أبدا- كي يكون لهم عدوا وحزنا، إنما التقطوه فكانت عاقبة التقاطه أنه كان لهم عدوا وحزنا، فتسمى اللام التي في قوله: (فالتقطه آل فرعون ليكون) لام العاقبة أي: كان عاقبة الأمر أن كان لهم عدوا وحزنا.

﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ [المدثر:٣١] ما هذا المثل الذي يريده الله بهذا العدد؟ هم في شك **وارتياب** من هذا العدد وهذا المثل، أما أهل الإيمان فيعلمون كما أسلفنا (أن الله على كل شيء قدير) وأن الملك الواحد قادر -بإذن الله- على أن يدمر الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ [المدثر:٣١] فيه أن الإضلال أيضا من الله، وخالفت طائفة من أهل البدع في هذا، وقالوا: ليس الإضلال من الله سبحانه، ولكن تضافرت الأدلة على إثبات أن الإضلال أيضا من الله، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقال النبي صلى الله عليه وس." (١)

"والكتبة (بضم الكاف): الخرزة، والجمع كتب.

والكتب: الخرز.

قال ذو الرمة: وفراء غرفية أثأى خوارزها * مشلشل ضيعته بينها الكتب (١) والكتاب: هو خط الكاتب حروف المعجم مجموعة أو متفرقة، وسمي كتابا وإن كان مكتوبا، كما قال الشاعر: تؤمل رجعة مني وفيها *كتاب مثل ما لصق الغراء والكتاب: الفرض والحكم والقدر، قال الجعدي: يا بنة عمي كتاب الله أخرجني * عنكم وهل أمنعن الله ما فعلا قوله تعالى: (لا ريب) نفي عام، ولذلك نصب الريب به.

وفي الريب ثلاثة معان: أحدها - الشك، قال عبد الله بن الزبعري: ليس في الحق يا أميمة ريب * إنما الريب ما يقول الجهول وثانيها - التهمة، قال جميل: بثينة قالت يا جميل أربتني * فقلت كلانا يا بثين مريب وثالثها: الحاجة، قال: (٢) قضينا من تهامة كل ريب * وخيبر ثم أجمعنا السيوفا

فكتاب الله تعالى لا شك فيه ولا **ارتياب**، والمعنى: أنه في ذاته حق وأنه منزل من عند الله، وصفة من صفاته، غير مخلوق ولا محدث، وإن وقع ريب للكفار.

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، المؤلف غير معروف ٤/٧٩

وقيل: هو خبر ومعناه النهي، أي لا ترتابوا، وتم الكلام كأنه قال ذلك الكتاب حقا.

وتقول: رابني هذا الامر إذا أدخل عليك شكا وخوفا.

وأراب: صار ذا ريبة، فهو مريب.

ورابني أمره.

وريب الدهر: صروفه.

قوله تعالى: (فيه هدى للمتقين) فيه ست مسائل:

---

(١) قوله: (وفراء) أي واسعة.

و (غرقية): مدبوغة بالغرف، وهو نبت تدبغ به الجلود.

والثأى والثأى (بسكون الهمزة وفتحها): خرم خرز الاديم.

والمشلشل: الذي يكاد يتصل قطره وسيلانه لتتابعه.

(٢) هو كعب بن مالك الانصاري، كما في اللسان مادة (ريب).

(*)."[١]

"سرت حتى أدخلها، أي كى أدخلها.

والوجهان في الرفع سرت حتى أدخلها، أي سرت فأدخلها، وقد مضيا جميعا، أي كنت سرت فدخلت.

ولا تعمل حتى ها هنا بإضمار أن، لان بعدها جملة، كما قال الفرزدق:

* فيا عجبا حتى كليب تسبنى (١) * قال النحاس: فعلى هذا القراءة بالرفع أبين وأصح معنى، أي وزلزلوا حتى الرسول يقول، أي حتى هذه حاله، لان القول إنما كان عن الزلزلة غير منقطع منها، والنصب على الغاية ليس فيه هذا المعنى.

والرسول هنا شعيا في قول مقاتل، وهو اليسع.

وقال الكلبي: هذا في كل رسول بعث إلى أمته وأجهد في ذلك حتى قال: متى نصر الله ؟.

وروى عن الضحاك قال: يعنى، محمدا صلى الله عليه وسلم، وعليه يدل نزول الآية، والله أعلم.

والوجه الآخر في غير الآية سرت حتى أدخلها، على أن يكون السير قد مضى والدخول الآن.

وحكى سيبويه: مرض حتى لا يرجونه، أي هو الآن لا يرجى، ومثله سرت حتى أدخلها لا أمنع.

وبالرفع قرأ مجاهد والاعرج وابن محيصن وشيبة.

وبالنصب قرأ الحسن وأبو جعفر وابن أبى إسحاق وشبل وغيرهم.

قال مكى: وهو الاختيار، لان جماعة القراء عليه.

وقرأ الاعمش " وزلزلوا ويقول الرسول " بالواو بدل حتى.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ١٥٩/١

وفى مصحف ابن مسعود " وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول ".

وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، أي بلغ الجهد بهم حتى استبطئوا النصر، فقال الله تعالى: " ألا إن نصر الله قريب ".

ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك **وارتياب**.

والرسول اسم جنس.

وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله، فيقول الرسول: ألا إن نصر الله قريب، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته، ثم قدم قول المؤمنين

---

(١) وتمام البيت *كأن أباها نهشل أو مجاشع * هجا كليب بن يربوع رهط جرير، وجعلهم من الضعة بحيث لا يسابون مثله لشرفه.

ونهشل ومجاشع: رهط الفرزدق، وهما ابنا دارم (عن شرح الشواهد).." [1]

"قلت: ومن أراد الحلال الصرف في هذه الازمان دون شبهة ولا امتراء ولا **ارتياب** فليشرب بكفيه الماء من العيون والانهار المسخرة بالجريان آناء الليل و [آناء (١)] النهار، مبتغيا بذلك من الله كسب الحسنات ووضع الاوزار واللحوق بالائمة الابرار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من شرب بيده وهو يقدر على إناء يريد به التواضع كتب الله له بعدد أصابعه حسنات وهو إناء عيسى بن مريم عليهما السلام إذا طرح القدح فقال أف هذا مع الدنيا ".

خرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب على بطوننا وهو الكرع، ونهانا أن نغترف باليد الواحدة، وقال: " لا يلغ أحدكم كما يلغ الكلب

ولا يشرب باليد الواحدة كما يشرب القوم الذين سخط الله عليهم ولا يشرب بالليل في إناء حتى يحركه إلا أن يكون إناء مخمرا ومن شرب بيده وهو يقدر على إناء..." الحديث كما تقدم، وفى إسناده بقية بن الوليد، قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال أبو زرعة: إذا حدث بقية عن الثقات فهو ثقة.

التاسعة – قوله تعالى: (فشربوا منه إلا قليلا منهم) قال ابن عباس: شربوا على قدر يقينهم، فشرب الكفار شرب الهيم (٢) وشرب العاصون دون ذلك، وانصرف من القوم ستة وسبعون ألفا وبقى بعض المؤمنين لم يشرب شيئا وأخذ بعضهم الغرفة، فأما من شرب فلم يرو، بل برح به العطش، وأما من ترك الماء فحسنت حاله وكان أجلد ممن أخذ الغرفة.

العاشرة – قوله تعالى: (فلما جاوزه هو) الهاء تعود على النهر، و " هو " توكيد.

(والذين) في موضع رفع عطفا على المضمر في " جاوزه " يقال: جاوزت المكان مجاوزة وجوازا.

والمجاز في الكلام ما جاز في الاستعمال ونفذ واستمر على وجهه.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٣/٣٥

قال ابن عباس والسدى: جاز معه في النهر أربعة آلاف رجل فيهم من شرب، فلما نظروا إلى جالوت وجنوده وكانوا مائة ألف كلهم شاكون في السلاح رجع منهم ثلاثة آلاف وستمائة وبضعة وثمانون، فعلى هذا القول قال المؤمنون الموقنون بالبعث والرجوع إلى الله تعالى عند ذلك وهم عدة أهل

---

(١) كذا في هـ وج وفى ز: أطراف.

(٢) الهيم: الابل التى يصيبها داء فلا تروى من الماء، واحدها أهيم، والانثى هيماء.." [1]

"اللبس الخلط، وقد تقدم في البقرة (١).

ومعنى هذه الاية والتي قبلها معنى ذلك (٢).

(وتكتمون الحق) ويجوز " تكتموا " على جواب الاستفهام.

(وأنتم تعلمون) جملة في موضع الحال.

قوله تعالى: وقالت طائفة من أهل الكتب ءامنوا بالذي أنزل على الذين ءامنوا وجه النهار وواكفرو اءاخرة لعلهم يرجعون (٧٢) نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصف وغيرهما، قالوا للسفلة من قومهم: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، يعني أوله.

وسمي وجها لانه أحسنه، وأول ما يواجه منه أوله.

قال الشاعر: وتضئ في وجه النهار منيرة * كجمانة البحري سل نظامها (٣) وقال آخر: من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار وهو منصوب على الظرف، وكذلك " آخره ".

ومذهب قتادة أنهم فعلوا ذلك ليشككوا المسلمين.

والطائفة: الجماعة، من طاف يطوف، وقد يستعمل للواحد على معنى نفس طائفة.

ومعنى الاية أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الايمان بمحمد في أول النهار ثم أكفروا به آخره، فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه **ارتياب** في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا.

وقيل: المعنى آمنوا بصلاته في أول النهار إلى بيت المقدس فإنه الحق، واكفروا بصلاته آخر النهار إلى الكعبة لعلهم يرجعون إلى قبلتكم، عن

ابن عباس وغيره.

وقال مقاتل: معناه أنهم جاءوا محمدا صلى الله عليه وسلم أول النهار ورجحوا من عنده فقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا: قد نظرنا في التوراة فليس هو به.

يقولون إنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة وأن يشككوا فيه.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٢٥٤/٣

(١) راجع ج ١ ص ٣٤٠.

(٢) في ج: معنى تلك.

(٣) البيت للبيد.

والجمانة: حبة تحمل من الفضة كالذرة، والذي في اللسان والتاج: وتضى في وجه الظلام.

(*)."[(١)]

"في تحليف الذميين أنه باليمين تكمل شهادتهما وتنفذ الوصية لاهلها روى أبو داود عن الشعبي أن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقاء (١) هذه (٢)، ولم يجد أحدا من المسلمين [حضره] (٣) يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، فقدما الكوفة فأتيا الاشعري فأخبراه، وقدما بتركته ووصيته، فقال الاشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأحلفهما بعد العصر: [بالله ما خانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وإنها لوصية الرجل وتركته] فأمضى شهادتهما.

قال ابن عطية: وهذه الريبة عند من لا يرى الآية منسوخة تترتب في الخيانة، وفي الاتهام بالميل إلى بعض الموصى لهم دون بعض، وتقع مع ذلك اليمين عنده، وأما من يرى الآية منسوخة فلا يقع تحليف إلا أن يكون **الارتياب** في خيانة أو تعد بوجه من وجوه التعدي، فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى على منكر لا على أنه تكميل للشهادة.

قال ابن العربي: يمين الريبة والتهمة على قسمين: أحدهما -

ما تقع الريبة فيه بعد ثبوت الحق وتوجه الدعوى فلا خلاف في وجوب اليمين.

الثاني - التهمة المطلقة في الحقوق والحدود، وله تفصيل بيانه في كتب الفروع، وقد تحققت ها هنا الدعوى وقويت حسبما ذكر في الروايات.

السابعة عشرة - الشرط في قوله: " إن ارتبتم " يتعلق بقوله: " تحبسونهما " لا بقوله " فيقسمان " لان هذا الحبس سبب القسم.

الثامنة عشرة - قوله تعالى: (لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى) أي يقولان في يمينهما لا نشتري بقسمنا عوضا نأخذه بدلا مما أوصى به ولا ندفعه إلى أحد ولو كان الذي نقسم له ذا قربى منا.

وإضمار القول كثير، كقوله: " والملائكة يدخلون عليهم من كل باب.

سلام عليكم " (٤) [الرعد: ٢٣ - ٢٤] أي يقولون سلام عليكم.

والاشتراء ها هنا ليس بمعنى البيع، بل هو التحصيل.

---

(١) دقوقاء (بفتح أوله وضم ثانيه وبعد الواو قاف أخرى وألف ممدودة وتقصر): مدينة بين إربل وبغداد معروفة، لها ذكر في الاخبار والفتوح، كما بها وقعة للخوارج.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٤/١١١

(معجم البلدان).

(٢) كذا في الاصول.

ويبدو أن فيه سقطا فليتأمل.

(٣) في ب وج وك وى وع وه.

(٤) راجع ج ٩ ص ٣١٠ (*)."[(١)]

"وقال: " نزلنا " على المبالغة بطول مكث الكتاب بين السماء والارض والكتاب مصدر بمعنى الكتابة فبين أن الكتابة في قرطاس، لانه غير معقول كتابة إلا (١) في قرطاس أي في صحيفة والقرطاس الصحيفة، ويقال: قرطاس بالضم، وقرطس فلان إذا رمى فأصاب الصحيفة الملزقة بالهدف.

(فلمسوه بأيديهم) أي فعاينوا ذلك ومسوه باليد كما اقترحوا وبالغوا في ميزه وتقليبه جسا بأيديهم ليرتفع كل **ارتياب** ويزول عنهم كله إشكال، لعاندوا فيه وتابعوا (٢) كفرهم، وقالوا: سحر مبين إنما سكرت أبصارنا وسحرنا، وهذه الآية جواب لقولهم: " حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه " (٣) [الاسراء: ٩٣] فأعلم الله بما سبق في علمه من أنه لو نزل لكذبوا به.

قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا: " لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا " (٣) [الاسراء: ٩٠] الآية.

قوله تعالى: وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (٨) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩) ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون (١٠) قوله تعالى: (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) اقترحوا هذا أيضا.

و " لولا " بمعنى هلا.

(ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته.

مجاهد وعكرمة: لقامت الساعة.

قال الحسن وقتادة: لاهلكوا بعذاب الاستئصال، لان الله أجرى سنته بأن من طلب آية فأظهرت له فلم يؤمن أهلكه الله في الحال.

(أي لا ينظرون) أي لا يمهلون ولا يؤخرون.

قوله تعالى: (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة، لان كله جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم

---

(١) في ب وع وى:: لا في قرطاس.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٦/٣٥٦

(٢) في ع: وبالغوا في كفرهم.

(٣) راجع ج ١٠ ص ٣٢٧.

(*)."[1]

"قال مجاهد وسعيد بن جبير: وقوله " إلا الذين ظلموا منهم " معناه إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يؤمنوا، أو يعطوا الجزية.

الثانية - قوله تعالى: (وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) روى البخاري عن أبي هريرة: قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية، لاهل الاسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " " وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ".

وروى عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا إما أن

تكذبوا بحق وإما أن تصدقوا بباطل ".

وفي البخاري: عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الاحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

قوله تعالى: وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون (٤٨) فيه ثلاث مسائل: الاولى - قوله تعالى: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) الضمير في " قبله " عائد إلى الكتاب وهو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، أي وما كنت يا محمد تقرأ قبله، ولا تختلف إلى أهل الكتاب، بل أنزلناه إليك في غاية الاعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك، فلو كنت ممن يقرأ كتابا، ويخط حروفا " لارتاب المبطلون " أي من أهل الكتاب، وكان لهم في ارتيابهم متعلق، وقالوا الذي نجده في كتبنا أنه أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية، قال النحاس: دليلا على نبوته لقريش، لانه لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل الكتاب ولم يكن بمكة أهل الكتاب فجاءهم بأخبار الانبياء والامم وزالت الريبة والشك.." [2]

"وقال مجاهد: أخذه الشيطان من يد سليمان، لأن سليمان سأل الشيطان وكان اسمه آصف: كيف تضلون الناس ؟ فقال له الشيطان: أعطني خاتمك حتى أخبرك.

فأعطاه خاتمه، فلما

أخذ الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان، متشبها بصورته، داخلا على نسائه، يقضي بغير الحق، ويأمر بغير الصواب.

واختلف في إصابته لنساء سليمان، فحكي عن ابن عباس ووهب بن منبه: أنه كان يأتيهن في حيضهن.

وقال مجاهد: منع من إتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا إلى ساحل البحر يتضيف الناس، ويحمل سموك الصيادين

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٣٩٣/٦

(٢) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٣٥١/١٣

بالأجر، وإذا أخبر الناس أنه سليمان أكذبوه.

قال قتادة: ثم إن سليمان بعد أن استنكر بنو إسرائيل حكم الشيطان أخذ حوته من صياد.

قيل: إنه استطعمها.

وقال ابن عباس: أخذها أجرة في حمل حوت.

وقيل: إن سليمان صادها فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها، وذلك بعد أربعين يوما من زوال ملكه، وهي عدد الأيام التي عبد " فيها " الصنم في داره، وإنما وجد الخاتم في بطن الحوت، لأن الشيطان الذي أخذه ألقاه في البحر.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بينما سليمان على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه، إذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه.

وقال جابر بن عبد الله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كان نقش خاتم سليمان بن داود لا إله إلا الله محمد رسول الله. " وحكى يحيى بن أبي عمرو الشيباني أن سليمان وجد خاتمه بعسقلان، فمشى منها إلى بيت المقدس تواضعا لله تعالى.

قال أبن عباس وغيره: ثم إن

---

(١) هذه الأقوال لا تصح قطعا لمنا فاتها للعصمة التي هي من أخص صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولو صح شئ منها لكان الوحى محل الشك **والارتياب**، وقد قال أبو حيان في تفسيره: نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقا الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهى مما لا يحل نقلها، وهى إما من أوضاع اليهود أو الزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذى ألقاه على كرسى سليمان.

إلى أن قال: لم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون إليه ما يعظم أن يتفوه به، ويستحيل عقلا وجود بعض ما ذكروه، كتمثل الشيطان بصورة نبى، حتى يلنبس أمره عند الناس، ويعتقدوا أن ذلك المتصور هو النبي.

ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبى، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها.

وقال الألوسى: ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطهن وهن حيض.

الله أكبر ! ! هذا بهتان عظيم، وخطب جسيم.

وسيأتى للمؤلف تضعيف هذا القول أيضا.

(*)".[١]

"قوله تعالى: (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي ليوفن الذين أعطوا التوراة والانجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم، قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم.

ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام.

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٢٠٠/١٥

ويحتمل أنه يريد الكل.

(ويزداد الذين آمنوا إيمانا) بذلك، لانهم كلما صدقوا بما في كتاب الله آمنوا، ثم ازدادوا إيمانا لتصديقهم بعدد خزنة جهنم.

" ولا يرتاب " أي ولا يشك " الذين أوتوا الكتاب " أي أعطوا الكتاب " والمؤمنون " أي المصدقون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر.

(وليقول الذين في قلبوهم مرض) أي في صدورهم شك ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة.

وقيل: المعنى، أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة.

" والكافرون " أي اليهود والنصارى (ماذا أراد الله بهذا مثلا) يعني بعدد خزنة جهنم.

وقال الحسين بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية الخلاف و " الكافرون " أي مشركو العرب.

وعلى القول الاول أكثر المفسرين.

ويجوز أن يراد بالمرض: الشك **والارتياب**، لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى إخبارا عنهم: " ماذا أراد الله " أي ما أراد " بهذا " العدد الذي ذكره حديثا، أي ما هذا من الحديث.

قال الليث: المثل الحديث، ومنه: " مثل الجنة التي وعد المتقون " أي حديثها والخبر عنها "كذلك " أي كإضلال الله أبا جهل وأصحابه

المنكرين لخزنة جهنم " يضل الله " أي يخزي ويعمي " من يشاء ويهدي " أي ويرشد " من يشاء "كإرشاد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

وقيل: "كذلك يضل الله " عن الجنة " من يشاء ويهدي " إليها " من يشاء ".

(وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي وما يدري عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار " إلا هو " أي إلا الله جل ثناؤه.

وهذا جواب لابي جهل حين قال: أما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر ! وعن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنائم حنين، فأتاه جبريل فجلس عنده، فأتى ملك فقال: إن ربك يأمرك." (١)

"﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ زاد يجيء متعديا كما في هذه الآية ولازما كما في قوله تعالى : ﴿وأرسلناه إلى ما ئة ألف أو يزيدون﴾ (الصافات : ١٤٧) والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في أفاعيله ويؤدي إلى الموت ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي إلى الهلاك الروحاني لأنها مانعة عن نيل الفضائل أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقة الأبدية والآية الكريمة تحتملها فإن قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرئاسة وحسدا على ما يرون من

---

(١) تفسير القرطبي، المؤلف غير معروف ٨٢/١٩

ثبات أمر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء أمره ورفع قدره وأن نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بأن طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحي وتضاعف النصر لأنهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهي وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك في الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى : ﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ (النحل : ٨٨) والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال : ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ (مريم : ٧٦) وفي العقبى ما قال : ﴿ويزيدهم من فضله﴾ (الشورى : ٢٦).

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٥

قال القطب العلامة أمراض القلب إما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر أو بالأخلاق وهي إما رذائل فعلية كالغل والحسد وإما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض أولا على الكفر ثم على الهيئات الفعلية ثم على الهيئات الانفعالية ويحتمل أن يكون قوله تعالى :

٥٥

﴿فزادهم الله﴾ دعاء عليهم ، فإن قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز؟ قلت هذا تعليم من الله عباده أنه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لأنهم شر خلق الله لأنه أعد لهم يوم القيامة الدرك الأسفل من النار وهذا كقوله تعالى : ﴿قاتلهم الله﴾ (التوبة : ٣٠) ﴿ولعنهم الله﴾ (التوبة : ٦٨) ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ يصل ألمه إلى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على أنه اسم مفعول من الإيلام وصف به العذاب للمبالغة وهو في الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما أن الجد للجاد في قولهم جد جده وجه المبالغة إفادة أن الألم بلغ الغاية حتى سرى المعذب إلى العذاب المتعلق به ﴿بما كانوا يكذبون﴾ الباء للسببية أو للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لإفادة دوام كذبهم وتجدده أي : بسبب كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا إلخ وفيه رمز إلى قبح الكذب وسماجته وتخييل أن العذاب الأليم لاحق بهم من أجل كذبهم نظرا إلى ظاهر العبارة المتخيلة لانفراده بالسببية مع إحاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وأن الاقتصار عليه للإشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه.

والكذب : الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله.

وأما ما روي أن إبراهيم عليه السلام : (كذب ثلاث كذبات) فالمراد به التعريض لكن لما شابه الكذب في صورته سمي به وإحدى الكذبات قوله : ﴿إني سقيم﴾ (الصافات : ٨٩) أي : ذاهب إلى السقم أو إلى الموت أو سيسقم لما يجد من الغيظ في اتخاذهم النجوم آلهة قاله ليتركوه من الذهاب معهم إلى عيد لهم حتى يخلوا سبيله فيكسر أصنامهم.

والثانية قوله : ﴿بل فعله كبيرهم﴾ (الأنبياء : ٦٣) هذا على الفرض والتقدير على سبيل الإلزام كأنه قال لو كان إلها معبودا وجب أن يكون قادرا على أن يفعله فإذا لم يكن قادرا عليه يكون عاجزا والعاجز بمعزل عن الألوهية واستحقاق

العبادة فكيف حالكم في العكوف عليه فهذا القول تهكم بعقولهم.

وثالثتها قوله في حق زوجته سارة رضي الله عنها : "هذه أختي" والمراد منه الأخوة في الدين وغرضه منه تخليصها من يد الظالم لأن من دين ذلك الملك الذي يتدين به في الأحكام المتعلقة بالسياسة لا يتعرض إلا لذوات الأزواج لأن من دينه أن المرأة إذا اختارت الزوج فالسلطان أحق بها من زوجها وأما اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن إلا إذا رضين.

وأما قوله : ﴿هاذا ربى﴾ (الأنعام : ٧٦) فهو من باب الاستدراج وهو إرخاء العنان مع الخصم وهو نوع من التعريض لأن الغرض منه حكاية قولهم كذا في "حواشي ابن تمجيد".

جزء : ١ رقم الصفحة : ٥٥

" (١).

"بدل من الظرف وفي إبداله منه تنبيه على أن الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها ﴿اثنان﴾ خبر للمبتدأ بتقدير المضاف لئلا يلزم حمل العين على المعنى أي : شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين أو فاعل شهادة بينكم على أن خبرها محذوف أي : فيما نزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان.

واختلفوا في هذين الاثنين.

فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي.

وقال آخرون هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الإيصاء وإن صح إلى واحد إلا أنه ورد في الآية الإيصاء إلى اثنين احتياطا واعتضادا لأحدهما بالآخر.

فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذي حضرته الوفاة في الغزو حتى لو مضى عليه وقت صلاة وهو حي لا يسمى شهيدا لأن الوفاة لم تحضره في الغزو ﴿ذوا عدل منكم﴾ هما صفتان للاثنان أي : صاحبا أمانة وعقل من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له أو من أهل دينكم يا معشر المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية في الحضر والسفر ﴿أو ءاخران من غيركم﴾ عطف على اثنان أو شهادة عدلين آخرين من غيركم أي : من الأجانب أو من غير أهل دينكم أي : من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ بقوله تعالى ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ فلا يقبل شهادة الذمي على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية وتقبل شهادة الذمي على الذمي لأن أهل الذمة بعضهم أولياء بعض ﴿إن أنتم ضربتم فى الأرض﴾ أي : سرتم وسافرتم فيها ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي : إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى لأمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين أو فإنه يشهد آخران فقوله تعالى : ﴿إن أنتم ضربتم﴾ تقييد لقوله ﴿أو ءاخران من غيركم﴾ ﴿تحبسونهما﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي : تقفونهما وتصيرونهما للتحليف ﴿منا بعد الصلواة﴾

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٢/١

من صلة واللام للعهد الخارجي أي : بعد صلاة العصر لتعينها عندهم للتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جمع أهل الإيمان يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي عليه السلام وقتئذ حلف من حلف.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٤٤

قال الشافعي : الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر بمكة بين الركن والمقام وفي المدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة

٤٥٥

وفي سائر البلدان في أشرف المساجد وقال أبو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ولا مكان.

﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على تحبسونهما ﴿إن ارتبتم﴾ شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والأقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب أي : إن ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله ﴿لا نشترى به ثمنا﴾ جواب القسم أي مقسم عليه فإن قوله فيقسمان يتضمن قسما مضمرا فيه.

والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أي : أخذها بدلا منه ثم استعير لأخذ شيء بإزالة ما عنده عينا كان أو معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والإعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه والضمير في به .

والمعنى لا نأخذ لأنفسنا بدلا من الله أي : من حرمته عرضا من الدنيا بأن نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب أي : لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال وطمع الدنيا ﴿ولو كان﴾ أي : المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام وهو الميت ﴿ذا قربى﴾ أي : قريبا منا في الرحم تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه كأنهما قالا لا نأخذ لأنفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم إليه رعاية جانب الأقرباء فقد انضم إليها ما هو أقوى منها وأدعى إلى الحلف كاذبا وهي صيانة حظ أنفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة في التنزه عنه والتبري منه.

قلت : صيانة أنفسهما وإن كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة إليه ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وشهادة الله منصوب على أنها مفعول بها أضيفت إليه تعالى لأنه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها ﴿إنآ إذا﴾ إذ كتمناها ﴿لمن الاثمين﴾ أي : العاصين ﴿فإن عثر﴾

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٤٤

". (١)

"أي : اطلع بعد التحليف ﴿على أنهما استحقآ إثما﴾ أي : فعلا ما يوجب إثما من تحريف وكتم بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه ﴿فاا‌خران﴾ أي : رجلان آخران وهو مبتدأ خبره ﴿يقومان مقامهما﴾ أي : مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٣٦٤

بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق ﴿من الذين﴾ حال من فاعل يقومان أي : من أهل الميت الذين ﴿استحق عليهم الاوليان﴾ من بينهم أي : الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي : باليمين ومفعول استحق محذوف أي : استحق عليهم أن يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبني للفاعل والأوليان فاعله وهو تثنية الأولى بالفتح بمعنى الأقرب.

وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي : من الذين استحق عليهم الإثم أي : جنى عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هم فقيل الأوليان ﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على يقومان ﴿لشهادتنآ﴾ المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى : ﴿فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله﴾ (النور : ٦) أي : ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها ﴿أحق﴾ بالقبول ﴿من شهادتهما﴾ أي : من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقيقة

٤٥٦

في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما ﴿وما اعتدينآ﴾ عطف على جواب القسم أي : ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما ﴿إنآ إذا﴾ أي : إذا اعتدينا في يميننا

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٤٤

﴿لمن الظالمين﴾ أنفسهما بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخرين من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما اقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم وإنما انتقل اليمين إلى الأولياء لأن الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصي إذا أخذ شيئا من مال الميت وقال أنه أوصى به حلف الوارث إذا أنكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ ﴿ذالك﴾ أي : الحكم الذي تقدم تفصيله ﴿أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجههآ﴾ أي : أقرب إلى أن تؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخروي هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور ﴿أو يخافوا أن ترد أيمانا بعد أيمانهم﴾ بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبىء عنه المقام كأنه قيل ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة أو يخافوا الافتضاح على رؤوس الأشهاد بإبطال إيمانهم والعمل بأيمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية إليه فأي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الإتيان بالشهادة على وجهها ﴿واتقوا الله﴾ في شهادتكم فلا تحرفوها وفي أيمانكم فلا تحلفوا أيمانا كاذبة وفي أماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من الأحكام فلا

تخالفوا حكمه ﴿واسمعوا﴾ ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول ﴿والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة أي : فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي : إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم. " (١).

"قال حضرة الشيخ الكبير صدر الدين القنوي في فك ختم الفص الداودي : من شأن الكمل أن كل ما هو متعذر الحصول لأحد من الخلق هو عندهم وبالنسبة إلى كمال قابليتهم غير متعذر ولا يستحيل إلا أن يخبرهم الحق بأخبار مخصوص خارج من خواص المواد والوسائط فحينئذ يصدقون ربهم ويحكمون باستحالته

٢٣١

وحصول ذلك كحال موسى في طلب الرؤية على وجه مخصوص فلما أخبر بتعذر ذلك تاب وآمن انتهى.

﴿قال﴾ الله تعالى وهو استئناف بياني ﴿لن ترانى﴾ لم يقل لن تنظر إلي كقوله أنظر إليك لأن المطلوب هي الرؤية التي معها إدراك لا النظر الذي هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي لأنه قد تخلف عنه الإدراك في بعض الصور.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٧

قال في "التفسير" : ﴿لن ترانى﴾ (نتوانى ديد مرا در دنيا هـ حكم أزلي برآن وجه واقع شده كه هربشرى كه در دنيا بمن نظر كندبميرد) وفي المدارك ﴿لن ترانى﴾ بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية (صاحب كشف الأسرار كويدكه مقام موسى دران ساعت كه خطاب لن تراني شنيد عالي بود ازان وقتكه كفت أرني زيرا اين سعت درعين مراد حق بود وآن وقت درعين مراد خود قائم بمراد حق بود كاملترست ارقيام بمراد خود).

لن تراني ميرسد ازطور موسى را جواب

هره آن ازدوست آيدسربنه كردن متاب

وهو دليل لنا أيضا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لأخبر بأنه ليس بمرئي إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان فهو لا يدل على امتناع رؤيته في نفس الأمر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فإنه يجوز أن يبقى فيه حينئذ شيء من الحجاب المانع لرؤيته إياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد.

يقول الفقير : هذا ما عليه أكثر أهل التفسير وهو ليس بمرضي عندي لأن إتيان الطور لم يكن في أوائل حاله عليه السلام بل كان ذلك نظير المعراج المحمدي بالنسبة إلى مرتبته والتحقيق بعيد عن درك أهل التقليد.

وقد سألت حضرة شيخي العلامة أبقاه الله بالسلامة عن قولهم في قوله تعالى : ﴿لن ترانى﴾ أي : ببشريتك ووجودك فقال إن البشرية تنافي الرؤية وموسى عليه السلام إنما سأل الرؤية بالنسبة إلى ظاهر البشرية والوجود الكوني وهي لا تمكن أبدا بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء في الله واضمحلال حال البشرية ، فقلت يرد عليه ما وقع ليلة المعراج من الرؤية بعين الرأس ، فقال : إنه حبيب الله رأى ربه في تلك الليلة بالسر والروح في صورة الجسم ولا جسم هناك لأنه

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣٦٥/٢

تجاوز في سيره عن عالم الأجسام كلها بل عن عالم الأرواح حتى وصل إلى عالم الأمر.
فقلت : يرد عليه أن الأنبياء والأولياء مشتركون في الرؤية بالبصيرة حالة الفناء الكلي فلا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام ، فأي فائدة في قوله : ﴿لن تراني﴾ وأيضا في عروجه عليه السلام إلى ما فوق العرش فإن تلك الرؤية إنما تحصل في مقام العينية الجمعية القلبية لا في مقام الغيرية الفرقية القالبية فقال إن أمر الرؤية وإن كان محتاجا إلى الانسلاخ التام عن الأكوان مطلقا إلا أن الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا عليه السلام فإن موسى وكذا غيره من الأنبياء عليهم السلام إنما يرون بالانسلاخ حين كون قوالبهم في عالم العناصر.
وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعا فأنى يكون هذا لغيره فافهم جدا انتهى ما جرى بيني وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وما تحاورناه في المجلس الخاص المفتوح بابه للأحباب لا للأغيار وأهل الإنكار **والارتياب** وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة إلى ما يحويه قلبه الحاضر قدس الله

٢٣٢

سره ورزقني وجميع الأحباب شفاعته.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٧

". (١)

"﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات﴾ أي : الثابت ربوبيته لا ما أشركتم معه ، فقولهفذلكم مبتدأ والجلالة صفته وربكم الحق خبره ويجوز أن يكون الجلالة خبره وربكم بدل منه والإشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الإحساس به تعالى.

فماذا يجوز أن يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الإشارة وإن يكون موصولا بمعنى الذي ، أي : ما الذي بعد الحق أي : غيره بطريق الاستعارة أي : ليس غير التوحيد وعبادة الله تعالى إلا الضلال الذي لا يختاره أحد وهو عبادة الأصنام ، وإنما سميت ضلالا مع كونها من أعمال الخوارج باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأي.

فإني تصرفون استفهام إنكاري بمعنى إنكار الوقوع واستبعاده والتعجب أي : كيف تصرفون من التوحيد وعبادة الله إلى الإشراك وعبادة الأصنام الذي هو ضلال عن الطريق الواضح.

قال السعدي قدس سره :

ترسم نرسى بكعبه أي : أعرابي

كين ره كه توميروى بتركستانست

فقد نبه الله على ضلالهم على لسان رسوله عليه السلام وهو الهادي إلى طريق الحق والصواب والفارق بين أهل التصديق **والارتياب**.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٧٥/٣

قال الصائب :
اقف نميشوندكه كم كرده اند راه
تا رهروان برهنمايي نمى رسند
كذلك الكاف في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف والإشارة بذلك إلى المصدر المفهوم من الحق في قوله ربكم الحق أي : كما حقت الربوبيةتعالى حقت كلمة ربك حكمه وقضاؤه ، يعني (واجب شد عذاب إلهي) على الذين فسقوا أي : تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح أنهم تعليل لحقية تلك الكلمة والأصل لأنهم لا
٤٣
يؤمنون فالكفر أداهم إلى العذاب فإن كل نتيجة مبنية على المقدمات والأسباب.
والقمح لا ينبت من الزوان ولا يثمر الثمر أم غيلان.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٣
﴿قل هل من شركآاكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده﴾ بالفارسية (ابتدا كردن) ، أي : يخلق الخلق أولا ثم يعيده بعد الموت ولما كانوا مقرين بالبدء ومنكرين للإعادة عنادا ومكابرة أمر بأن يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له : قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده أي : هو يفعلهما لا غير كائنا من كان فأني تؤفكون أي : كيف تصرفون وتقلبون عن قصد السبيل والاستفهام إنكاري قل هل من شركائكم من يهدي غيره إلى الحق ولو كان الهداية بوجه من الوجوه فإن أدنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته إلى ما فيه صلاح أمرهم وهدى كما يستعمل بكلمة إلى لتدل على انتهاء ما قبلها إلى مدخولها كذلك يستعمل باللام التعليلة لتدل على أن الهداية لا تتوجه نحو ما دخل عليه اللام إلا لأجل أن تؤدي إليه ويترتب هو عليها كما هو شأن العلة والمعلل بها وقد جمع بين التعديتين في هذه الآية قل الله يهدي من يشاء للحق دون غيره بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب والتوفيق للنظر الصحيح والتدبر الصائب فإن العقول مضطربة والأفكار مختلطة وتعيين الحق صعب ولا يسلم من الغلط إلا الأقل من القليل فالاهتداء لإدراك الحقائق لا يكون إلا بإعانة الله وهدايته وإرشاده أفمن يهدي غيره إلى الحق هو الله تعالى أحق أن أي : بأن يتبع والمفضل عليه محذوف أي : ممن لا يهدي.
أم من لا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال أصله لا يهتدي وأدغم وكسر الهاء لالتقاء الساكنين أي : لا يهتدي في حال من الأحوال إلا أن يهدي إلا حال هدايته تعالى له إلى الاهتداء.
فإن قلت الأصنام جمادات لا تقبل الهداية فكيف يصح أن يقال : في حقها إلا أن يهدى؟ وأيضا كلمة من تستعمل في ذوي العقول دون الجمادات فلا يليق أن يقال : في حقها أم من لا يهدي.
قلت : هذا أي : انتفاء الاهتداء إلا أن يهدي حال إشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام ، فهذا بيان لفساد مذهب من يتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية أربابا بعد ما بين فساد مذهب مطلق أهل الشرك من عبدة الأوثان وغيرها بقوله : قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق الآية فإنه لا شك أن المراد بالشركاء فيه ما يتناول الأصنام وغيرها.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٤
وقال : في التبيان الصنم لا ينفع ولا يضر ولا يقدر على شيء في نفسه إلا أن يهدى يعني يدخل ويخرج وينقل ويتصرف

فيه والله تعالى جل عن ذلك ، وظاهر هذا الكلام يدل على أن الأصنام إن هديت اهتدت وليس كذلك ، لأنها حجارة لا تهتدي إلا أنهم لما اتخذوها آلهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ويفعل فما لكم أي : أي : شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاءتعالى كيف تحكمون بما يقضي صريح العقل ببطلانه وهو إنكار لحكمهم الباطل حيث سووا بين من يحتاجون هم إليه وهو الله تعالى وبين من يحتاج هو إليهم وهو ما عبدوه من دون الله من الأصنام ولا مساواة بين القادر والعاجز جدا.

عجز وقدرت كه هر دو ضدانند

عقل كركويدت كه يكسانند

عجز بر خلق مى دراند وست

قادري بر كمال حضرت اوست

٤٤

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٤

" (١).

"﴿أفي قلوبهم مرض﴾ إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشأه أي أذلك الإعراض لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم.

﴿أم﴾ لأنهم ﴿ارتابوا﴾ أي : شكوا في أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها.

﴿أم﴾ لأنهم ﴿يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ في الحكومة.

والحيف الجور والظلم الميل في الحكم إلى أحد الجانبين يقال حاف في قضيته أي جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وأبطل منشئيته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل : ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي : ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا إليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم أمانته عليه السلام وثباته على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه عليه السلام لعلهم بأنه يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما في الإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الوصف مع عدم تحققه في نفسه وفي الرابع هو الأصل والوصف جميعا.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٦٩

﴿إنما كان قول المؤمنين﴾ بالنصب على أنه خبر كان وإن مع ما في حيزها اسمها.

﴿إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم﴾ أي : الرسول ﴿بينهم﴾ وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم.

﴿أن يقولوا سمعنا﴾ الدعاء ﴿وأطعنا﴾ بالإجابة والقبول والطاعة موافقة الأمر طوعا وهي تجوزولغيره كما في "فتح الرحمن" (بهره كنى درميان حكمى).

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/٢٢

﴿وأوالائك﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿هم المفلحون﴾ الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور.

قال في "المفردات" : الفلاح الظفر وإدراك البغية.

﴿ومن﴾ (وهركه) ﴿يطع الله ورسوله﴾ أي : من يطعمها كائنا من كان فيما أمرا به من الأحكام الشرعية اللازمة والمتعدية.

﴿ويخش الله﴾ على ما مضى من ذنوبه أن يكون مأخوذا بها.

﴿ويتقه﴾ فيما بقي من عمره وأصله يتقيه فحذف الياء للجزم فصار يتقه بكسر القاف والهاء ثم سكن القاف تخفيفا على خلاف القياس لأن ما هو على صيغة فعل إنما يسكن عينه إذا كانت كلمة واحدة نحو كتف في كتف ثم أجري ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فإن تقه في قولنا : يتقه بمنزلة كتف فسكن وسطه كما سكن وسط كتف فأولئك الموصوفون بالطاعة والخشية والاتقاء.

﴿هم الفآانازون﴾ بالنعيم المقيم لا من عداهم.

والفوز الظفر مع حصول السلامة كما في "المفردات"

١٧٠

(در كشاف آورده كه ملكى از علما التماس آيتى كردكه بدان عمل كافى باشد ومحتاج بآيات ديكر نباشد علماى عصراو برين آيت اتفاق كردند هـ حصول فوز وفلاح جز بفرمان بردارى وخشيت وتقوى ميسر نيست).

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٧٠

اينك ره اكر مقصد اقصى طلبي

وينك عمل ار رضاى مولى طلبي

فلا بد من الإطاعةولرسوله في أداء الفرائض واجتناب المحارم فقد دعا الله تعال فلا بد من الإجابة.

قال ابن عطاء رحمه الله : الدعوة إلى الله بالحقيقة والدعوة إلى الرسول بالنصيحة فمن لم يجب داعي الله كفر ومن لم يجب داعي الرسول ضل وسبب عدم الإجابة المرض.." (١)

"يتوهم بالشيء أمرا ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى : ﴿لا ريب فيه﴾ والإرابة أن يتوهم فيه أمرا لا ينكشف عما يتوهمه **والارتياب** يجري مجرى الإرابة ونفى عن المؤمنين **الارتياب** كما قال : ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ (المدثر : ٣١) والمبطل من يأتي بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتي بالحق لما أن الباطل نقيض الحق.

قال في "المفردات" : الإبطال يقال في إفساد الشيء وإزالته حقا كان الشيء أو باطلا قال تعالى : ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ وقد يقال فيمن يقول شيئا لا حقيقة له.

والمعنى لارتابوا وقالوا : لعله تعلمه أو التقته من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلا.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٧٩

قال الكاشفي : (درشك افتادندى تباه كاران وكحروان يعني مشركان عرب كفتندي كه جون مي خواند ومي نويسد بس

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٢٣/٦

قرآنرا ز كتب يشينيان التقاط كرده وبرما مي خواند ياجهودان درشك افتادندكه در كتب خود خوانديم كه بيغمير آخر زمان امى باشد واين كس قاري وكاتب است).

فإن قلت : لم سماهم المبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا : ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارىء كاتب؟.

قلت : لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به : لو لو يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحيث أنه ليس بقارىء ولا كاتب فلا وجه **لارتيابهم**.

قال في "الأسئلة المقحمة" : كيف من الله على نبيه بأنه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب إنما وصفه بعدم الخط والكتابة لأن أهل الكتاب كانوا يجدون من نعته في التوراة والإنجيل أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب فأراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه ولأن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولأن المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها العصا والقائد انتهى.

وقال في "أسئلة الحكم" : كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلماذا لم يكتب والجواب أنه لو كتب لقيل : قرأ القرآن من صحف الأولين.

وقال النيسابوري : إنما لم يكتب لأنه إذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه واصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان كذلك قال الله تعالى : لا جرم يا حبيبي لما لم ترد أن يكون قلمك فوق اسمي ولم ترد أن يكون ظل القلم على اسمي أمرت الناس أن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفا لك وتعظيما ولا أدع بسبب ذلك ظلك يقع على الأرض صيانة له أن يوطأ ظله بالأقدام.

قيل : إنه نور محض وليس للنور ظل.

وفيه إشارة إلى أنه أفنى الوجود الكوني الظلي وهو نور متجسد في صورة البشر وكذلك الملك إذا تجسد بصورة البشر لا يكون له ظل وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القديسة وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلمته على الأرض أكثر من سائر الأظلال الكونية فليحفظ ذلك.

قال الكاشفي : (درتيسير آورده كه خط وقرأت فضيلة بوده است مر غير بيغمبر مارا وعدم آن فضل معجزة آن حضرت بوده وجون معجزة ظاهر شده ودراميت اوشك وشبه نماند حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيزبوى ارزاني داشته تامعجزه ديكر باشد وابن ابى شيبه درمصنف از طريق عون بن عبد الله نقل ميكند كه "مامات رسول الله حتى كتب وقرأ" واين صورت منافىء قرآن نيست زيرا كه نفي كتابت مقرر ساخته بزماني قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا امي دانند از اول عمرتا آخر بصواب اقربست

٤٨٠

بقلم كرنرسيد انكشتش

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٧٩

بود لوح وقلم اندر مشتش

ازسواد خط اكرديده ببست

بكمالش نرسد هيج شكست

بود اونور خط تيره ظلم

لشود نور وظلم جمع بهم

ولذا قال بعضهم : من كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتمثيل العلوم بالآلات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بآلاتها الجسمانية.

قال رجل من الأنصار للنبي عليه السلام إني لأسمع الحديث ولا أحفظه فقال : "استعن بيمينك" أي : اكتبه.

" (١).

"قال بعض كبار المكاشفين : سبحت الجبال وكذا الطير لتسبيح داود ليكون له عملها ، لأن تسبيحها لما كان لتسبيحه منتشأ منه لا جرم يكون ثوابه عائدا إليه لا إليها لعدم استحقاقها لذلك بخلاف الإنسان فإنه إذا وافقه إنسان آخر في ذكره وتسبيحه ، أو عمل بقوله يكون له مثل ثواب ذكره وتسبيحه لإحيائه وإيقاظه فهو صيده ، وأحق به ، وإنما كان يسبح الجبال والطير لتسبيحه ، لأنه لما قوي توجهه عليه السلام بروحه إلى معنى التسبيح والتحميد سرى ذلك إلى أعضائه وقواه ؛ فإنها مظاهر روحه ومنها إلى الجبال والطير فإنها صور أعضائه وقواه في الخارج ، فلا جرم يسبحن لتسبيحه وتعود فائدة تسبيحها إليه وخاصية العشي والإشراق أن فيهما زيادة ظهور أنوار قدرته وآثار بركة عظمته ، وأن وقت الضحى وقت صحو أهل السكر من خمار شهود المقامات المحمودة ، وأن العشي وقت إقبال المصلين إلى المناجاة وعرض الحاجات.

﴿وشددنا ملكه﴾ : قوينا ملكه بالهيبة والنصرة ونحوهما.

قال الكاشفي : (ومحكم كرديم بادشاهى ويرا بدعاى مظلومان.

يابو زراى نصيحت كنندكان.

يابكوتاه كردن ظلم ازرعيت.

يابا لقاى رعب وى دردل اعادى.

يابيافتن زره وساختن آلات حرب ، يابه بسيارى لشكر.

يابكثرت باسبانان جه هرشب سى وششن هزار مردباس خانه وى ميداشتند).

وقيل : كان أربعون ألف لابسي درع يحرسونه ، فإذا أصبح قيل : ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وكان نبينا عليه السلام يحرس أيضا إلى نزول قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة : ٦٧).

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣٤٨/٦

ومن ذلك أخذ السلاطين الحرس في السفر والحضر فلا يزالون يحرسونهم في الليالي ولهم أجر في ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ادعى رجل على رخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : أن اقتل المدعى عليه فأعلم الرجل فقال : صدقت يا نبي الله ، إن الله لم يأخذني بهذا

١٤

الذنب.

ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة ، فقتله فقال الناس : إن أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه ، وعظمت هيبته في القلوب.

والغيلة : بالكسر هو أن يخدع شخصا فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله.

﴿وشددنا ملكه﴾ ؛ أي : العلم بالأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه إن كان متعلقا بكيفية العمل.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢

واعلم أن الحكمة نوعان :

أحدهما : الحكمة المنطوق بها وهي علم الشريعة والطريقة.

والثاني : الحكمة المسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها عوام العلماء على ما ينبغي فيضرهم أو يهلكهم.

كما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجتاز في بعض سكك المدينة مع أصحابه فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها ، فدخلوا فرأوا نارا موقدة وأولاد المرأة يلعبون حولها ، فقالت : يا نبي الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي ، فقال عليه السلام : "بل الله أرحم فإنه أرحم الراحمين".

فقالت : يا رسول الله أتراني أحب أن ألقي ولدي في النار فقال : "لا".

فقالت : فكيف يلقي الله عبيده فيها ، وهو أرحم بهم.

قال الراوي : فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "هكذا أوحي إلي".

﴿وفصل الخطاب﴾ : لبيان تلك الحكمة على الوجه المفهم كما في "شرح الفصوص" للمولى الجامي رحمه الله ، فيكون بمعنى الخطاب الفاصل ؛ أي : المميز والمبين ، أو الخطاب المفصول ؛ أي : الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس.

وفي "شرح الجندي" : يعني الإفصاح بحقيقة الأمر وقطع القضايا والأحكام باليقين من غير **ارتياب** ، ولا شك ولا توقف ، فيكون بمعنى فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل ، فالفصل على حقيقته ، وأريد بالخطاب المخاصمة لاشتمالها عليه.

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿وشددنا ملكه﴾ : في الظاهر بأن جعلناه أشد ملوك الأرض في الباطن بأن ﴿وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ .

والحكمة : هي أنواع المعارف من المواهب وفصل الخطاب بيان تلك المعارف بأدل دليل وأقل قليل.

انتهى.

وإنما سمي به.

أما بعد ، لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له من الحمد والصلاة.

وقال زياد : أول من قال في كلامه أما بعد داود عليه السلام ، فهو فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه أنه تكلم بغير لغته.

وأما بعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه داود هو فصل الخصومة كما في "إنسان العيون".

اللهم إلا أن يقال إن صح هذا القول لم يكن ذلك بالعربية على هذا النظم وإنما كان بلسانه عليه السلام.

وقال علي .. رضي الله عنه .. : فصل الخطاب أن يطلب البينة من المدعي ويكلف اليمين من أنكر ، لأن كلام الخصوم لا ينقطع ولا ينفصل إلا بهذا الحكم.

." (١)

"﴿ولقد جآءكم﴾ يا أهل مصر ﴿يوسف﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام.

﴿من قبل﴾ ؛ أي : من قبل موسى ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة التي من جملتها تعبير الرؤيا وشهادة الطفل على براءة ذمته ، وقد كان بعث إلى القبط قبل موسى بعد موت الملك.

وكان فرعون هو فرعون موسى عاش إلى زمانه.

وذلك لأن فرعون موسى عمر أكثر من أربعمائة سنة ، وكان بين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة على ما رواه ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ، فيجوز أن يكون بين يوسف وموسى مدة عمر فرعون تقريبا ، فيكون الخطاب لفرعون وجمع لأن المجيء إليه بمنزلة المجيء إلى قومه ، وإلا فأهل عصر موسى لم يروا يوسف بن يعقوب.

والأظهر على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وتوبيخ المعاصرين بحال الماضين ؛ أي : ولقد جاء أيها القبط آباءكم الأقدمين.

وهذا كما قال الله تعالى : ﴿فلم تقتلون أنابيآء الله من قبل﴾ (البقرة : ٩١) ، وإنما أراد به آباءهم ؛ لأنهم هم القاتلون ، ثم لا يلزم من هذا أن يكون فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف على ما ذهب إليه البعض.

وقيل : المراد يوسف بن إفرائيم بن يوسف الصديق أقام نبيا عشرين سنة.

﴿فما زلتم﴾ من زال ضد ثبت ؛ أي : دمتم.

﴿فى شك مما جآءكم به﴾ من الدين الحق.

﴿حتى إذا هلك﴾ بالموت ، يعني : (تا آنكاه كه بمرد).

﴿قلتم﴾ : ضما إلى تكذيب رسالته ، تكذيب رسالة من بعده.

﴿لن يبعث الله منا بعده رسولا﴾ .

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٨

وقال الكاشفي : (جون سخن اين رسول نشنيديم ديكرى نخو اهد آمد از ترس آنكه در قول او تردد كنيم).

وفي الآية إشارة إلى أن في الإنسان ظلومية وجهولية لو خلي وطبعه لا يؤمن بنبي من أنبيائه ولا بمعجزاتهم أنها آيات الحق

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٨/ ١٠

تعالى ، وهذه طبيعة المتقدمين والمتأخرين منهم ، وإنما المهتدي من يهديه الله بفضله وكرمه ومن إنكارهم الطبيعي أنهم ما آمنوا بنبوة يوسف ، فلما هلك أنكروا أن يكون بعده رسول الله ، وذلك من زيادة شقاوة الكافرين ، كما أن من كمال سعادة المؤمنين أن يؤمنوا بالأنبياء قبل نبيهم.

﴿كذالك﴾ ؛ أي : مثل ذلك الإضلال الفظيع.

﴿يضل الله﴾ : (كمراه سازد خداى تعالى در بوادى طغيان).

﴿من هو مسرف﴾ في عصيانه.

﴿مرتاب﴾ : في دينه ، شاك في معجزات أنبيائه لغلبة الوهم والتقليد.

﴿الذين يجادلون فى ءايات الله﴾ بدل من الموصول الأول ؛ لأنه بمعنى الجمع إذ لا يريد مسرفا واحدا ، بل كل مسرف.

والمراد بالمجادلة رد الآيات.

والطعن فيها ﴿بغير سلطان﴾ متعلق بيجادلون ؛ أي : بغير حجة وبرهان صالحة للتمسك بها في الجملة.

﴿أتاـاهم﴾ صفة سلطان ﴿كبر﴾ عظم من هو مسرف مرتاب ، أو الجدال.

﴿مقتا﴾ ؛ أي : من جهة البغض الشديد والنفور القوي ﴿عند الله وعند الذين ءامنوا﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : بمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال.

﴿كذالك﴾ ؛ أي : مثل ذلك الطبع الفظيع.

﴿يطبع الله﴾ : (مهر

١٨١

مى نهد خداى تعالى واز هدى محجوب ميكند).

﴿على كل قلب متكبر جبار﴾ : (برهردل شخص متكبر كه سر كش انداز فرمان بردارى خو دكامه كه خودرا ازديكران بر تردانننده).

فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف **والارتياب** والمجادلة بالباطل.

قال الراغب : الجبار في صفة الإنسان.

يقال : لمن جبر نقيصته ؛ أي : أصلحها بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها.

وهذا لا يقال إلا على طريقة الدم ويسمى السلطان جبار لقهره الناس على ما يريده ، أو لإصلاح أمورهم ، فالجبر تارة ، يقال في الإصلاح المجرد وتارة في القهر المجرد.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٤٨

وقال أبو الليث : على قلب كل متكبر جبار ومثله في "كشف الأسرار" حيث.

قال بالفارسية : (بردل هر كردن كشى).

فقوله : قلب بغير تنوين بإضافته إلى متكبر ؛ لأن المتكبر هو الإنسان.

وقرأ بعضهم بالتنوين بنسبة الكبر إلى القلب على أن المراد صاحبه ؛ لأنه متى تكبر القلب تكبر صاحبه ، وبالعكس والخبر زنا العينين النظر يعني زنا صاحبهما.

قال في "الكواشي" ، وكل على القراءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب.

يقول الفقير : اعلم أن الطابع هو الله تعالى ، والمطبوع هو القلب وسبب الطبع هو التكبر والجبارية وحكمه أن لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال ، فلا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدي ، وهو أعظم عقوبة من الله عليه ، فعلى العاقل أن يتشبث بالأسباب المؤدية إلى شرح الصدر لا إلى طبع القلب.

قال إبراهيم الخواص قدس سره : دواء القلب خمسة : قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل ، والتضرع إلى الله عند السحر ، ومجالسة الصالحين.

." (١)

"وقال في "المفردات" : معناه محفوظ لا يضيع ، كقوله : ﴿علمها عند ربى فى كتابا لا يضل ربى ولا ينسى﴾ (طه : ٥٢).

﴿ومآ أنت عليهم بوكيل﴾ بموكول إليه أمرهم حتى تسأل عنهم وتؤخذ بهم ، وإنما وظيفتك الإنذار وتبليغ الأحكام.

وفيه إشارة إلى أن كل من عمل بمتابعة هواه ، وتركحدا ونقض له عهدا ، فهو متخذ الشياطين أولياء ؛ لأنه يعمل بأوامرهم وأفعاله موافقة لطباعهم الله حفيظ عليهم بأعمال سرهم وعلانيتهم إن شاء عذبهم ، وإن شاء عفا عنهم ، وما أنت عليهم بوكيل لتمنعهم عن معاملاتهم ، فعلى العاقل أن لا يتخذ من دون الله أولياء ، بل يتفرد بمحبة الله وولايته كما قال تعالى : ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ (الأنعام : ٩١) حتى يتولاه في جميع أموره ، وما أحوجه إلى أحد سواه.

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق قدس سره : ظهرت علة بالملك يعقوب بن الليث أعيت الأطباء ، فقالوا له : في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله يستجيب له ، فاستحضره ، فقال : ادع الله ، فقال : كيف يستجاب دعائي فيك.

وفي حسبك مظلومون ، فأطلق كل من حبسه ، فقال سهل : اللهم كما أريته ذل المعصية ، فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفي ، فعرض مالا على سهل ، فأبى أن يقبله ، فقيل له : لو قبلته ودفعته إلى الفقراء ، فنظر إلى الحصباء في الصحراء ، فإذا هي جواهر ، فقال : من يعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث ، فالمعطي والمانع والضار والنافع هو : الله الولي الوكيل الذي لا إله غيره :

نقش او كردست ونقاش من اوست

غير اكر دعوى كند او ظلم جوست

﴿وكذالك أوحينآ إليك قرءانا عربيا﴾ .

ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ، ومحل الكاف النصب

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٣٧/٨

على المصدرية ، وقرآنا عربيا مفعول لأوحينا ؛ أي : ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك إيحاء لا لبس فيه إليك وعلى قومك.
وقال الكاشفي : (وهمچنانكه وحى كرديم بهر بيغمبر بزبان او ووحى كرديم بتو قرآني بلغت عرب كه قوم تواند تاكه فهم حاصل شود).
﴿لتنذر أم القرى﴾ ؛ أي : لتخوف أهل مكة بعذاب الله على تقدير إصرارهم على الكفر والعرب تسمي أصل كل شيء بالأم ، وسميت مكة أم القرى تشريفا لها وإجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ، ومقام إبراهيم ، ولما روى من أن الأرض دحيت من تحتها ، فمحل القرى منها محل البنات من الأمهات.
﴿ومن حولها﴾ من العرب ، وهذا ؛ أي : التبيين بالعرب لا ينافي عموم رسالته ؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي حكم ما عداه ، وقيل : من أهل الأرض كلها ، وبذلك فسره البغوي ، فقال : قرى الأرض كلها وكذا القشيري حيث قال العالم محدق بالكعبة ومكة ؛ لأنهما سرة الأرض :
جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٥
بس همه أهالي بلاد برحوالى ويند
قال في "التأويلات النجمية" : يشير إلى إنذار نفسه الشريفة ؛ لأنها أم قرى نفوس آدم وأولاده ؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي تعلقت القدرة بإيجاده قبل كل شيء ، كما قال أول ما خلق الله روحي ، ومنه تنشأ الأرواح والنفوس.
ولهذا المعنى قال آدم : ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ، فالمعنى : كما يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم لينذروا الأمم.
كذلك أوحينا قرآنا عربيا لتنذر نفسك الشريفة بالقرآن العربي ؛ لأن نفسك عربية ومن حولها من نفوس أهل العالم ؛ لأنها محدقة بنفسك الشريفة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ومآ أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء : ١٠٧).
وقال عليه السلام : "بعثت إلى الخلق كافة".
مه طلعتى كه برقد قدرش بريده اند
ديباى قم فانذر واستبرق دنا
﴿وتنذر﴾ أهل مكة ومن حولها.
﴿يوم الجمع﴾ ؛ أي : بيوم القيامة وما فيه من العذاب ؛ لأنه يجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين وأهل السماوات وأهل الأرض ، والأرواح والأشباح والأعمال والعمال ، فالباء محذوف من اليوم ، كما قال : ﴿لينذر بأسا شديدا﴾ (الكهف : ٢) ، أي : ببأس شديد كما قاله أبو الليث ، فيكون مفعولا به لا ظرفا ، كما في "كشف الأسرار" ، وقد سبق غير ذلك في ﴿حم﴾ المؤمن عند قوله تعالى : ﴿لينذر يوم التلاق﴾ (غافر : ١٥) ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض لا محل له ؛ أي : لا بد من مجيء ذلك اليوم ، وليس بمرتاب فيه في نفسه وذاته ؛ لأنه لا بد من جزاء العاملين من المنذرين والمنذرين ، وأهل

الجنة وأهل النار وارتياب الكفار فيه لا يعتد به ، ولا شك في الجمع أنه كائن ، ولا بد من تحققه.

﴿فريق﴾ وهم المؤمنون ﴿فى الجنة وفريق﴾ ، وهم الكافرون ﴿فى السعير﴾ ؛ أي : سميت بهالالتها بها ، وذلك بعد جمعهم في الموقف ؛ لأنهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب ، والتقدير منهم فريق على أن فريق مبتدأ حذف خبره ، وجاز الابتداء بالنكرة لأمرين تقديم خبرها ، وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله في الجنة والضمير المجرور في منهم للمجموعين لدلالة لفظ الجمع عليه فإن المعنى يوم يجمع الخلائق في موقف الحساب.

". (١)

"فليقلد ربه فيما أخبر ولا يؤول فإنه أولى من تقليد العقل ﴿إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ أي آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فإن الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وهو الاتياب وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة ﴿هم الصادقون﴾ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم فهو قصر أفراد وتكذيب لأعراب بني أسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون أيضا في دعوى الإيمان.

واعلم أن الآية الكريمة شاملة لجامع القوى التي وجب على كل أحد تهذيبها وأصلاحها تطهيرا لنفسه الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى : قد أفلح من زكاها وهي قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي إذا أصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذي قامت به السموات والأرض فإنها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولأصالة الأولى وجلالتها قدمت على الأخيرتين فدل بالإيمان بالله ورسوله مع نفي الارتياب على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها إلا بإصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لإصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالأنفس على الشجاعة والحلم التابعين لإصلاح قوة الحمية الغضبي وقهرها وإسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فإن العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة وإعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضلة والإحسان.

واعلم أيضا أن جميع كمالات النفس الإنسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الأربع إذ العقل كماله العلم والعفة كالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الإنصاف وهي أصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم : لولا الدعاوى ما خلقت المهاوي فمن ادعى فقد هوى فيها وإن كان صادقا ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل.

قال الحافظ :

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢٢١/٨

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١

حديث مدعيان وخيال همكاران

همان حكايت زرد وزو بور يابافست

وفي الحديث يا أبا بكر عليك بصدق الحدث والوفاء بالعهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء.

قال الحافظ :

طريق صدق بياموز ازاب صافي دل

بر استى طلب آزادكى وسر ومن

وأتى رسول الله التجار فقال : يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجارا إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة وفي الحديث التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال : لأنهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون.

قال الصائب :

٩٥

كعبه دركام نخستين كند استقبالت

از سر صدق اكر همنفس دل باشى

فإذا صدق الباطن صدق الظاهر إذ كل إناء يترشح بما فيه وكل أحد يظهر ما فيه بفيه ﴿قل﴾ .

. روي . أنه لما نزلت الآية السابقة جاء الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قله تعالى : قل يا محمد لهم : ﴿أتعلمون الله بدينكم﴾ دخلت الباء لأن هذا التعليم بمعنى الإعلام والإخبار أي أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والاستفهام فيه للتوبيخ والإنكار أي لا تعرفوا الله بدينكم فإنه عالم به لا يخفى عليه شيء وفيه إشارة إلى أن التوقيف في الأمور الدينية معتبر واجب وحقيقتها موكولة إلى الله فالأسامي منه تؤخذ والكلام منه يطلب وأمره يتبع ﴿والله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض﴾ حال من فاعل تعلمون مؤكدة لتشنيعهم ﴿والله بكل شيء عليم﴾ لا يحتاج إلى إخباركم تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يجتهدون في ستر أحوالهم وإخفائها.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١

." (١)

"﴿فنزل﴾ أي فله نزل كائن ﴿من حميم﴾ يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية س مراوراست يشكش درقبر ازاب كرم كرده دردوزخ بادود آتش دوزخ ﴿وتصلية جحيم﴾ أي إدخال في النار وقيل : إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها يقال أصلاه النار وصلاه أي جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف إلى المفعول ﴿إن هاذا﴾ أي الذي ذكر في هذه السورة الكريمة ﴿لهو حق اليقين﴾ أي حق الخبر اليقين فهو من

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٧٧/٩

قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين أي الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال أبو الليث أي يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذي يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها والضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لأن المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب أن يكون الخبر أيضا كذلك التقدير إن هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به أي الثابت منه على أن الإضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لأنها بمعنى واحد كما تقول في أمر توكده هذا يقين اليقين وصوب الصواب بمعنى أنه نهاية الصواب فهي عبارة مبالغة و تأكيد معناه أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك إضافة العلم إلى اليقين إضافة الشيء إلى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك في العطف وفي شرح النصوص بالنون العلم اليقيني هو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية فإذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الاثنينية فإذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق إلا الإدراك بأحدية جمعك أي بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك أي يدركها بها إدراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الأمور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذي قد وسعه كما أخبره لأنه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة أي حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعنه للأولياء وحقه للأنبياء وأما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل والذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السموات والأرض و بأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه إلى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى

٣٤٢

وقال ابن عطاء رحمه الله : إن هذا القرآن لحق ثابت في صدور الموقنين وأهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق في قلوب المحققين واليقين ما استقر في قلوب أوليائه وقد قال سيدنا علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناك

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٦

حال خلد وجحيم دانستم

بيقين اننانكه مى بايد

كر حجاب ازميانه بركيرند

آن يقين ذره نيفزا يد

يعني اكر احوال آخرت منكشف شود وجمله را معاينه كنم يك ذره در يقين من زياده نشود كه علم اليقين من امروز وعين اليقين منست در فردا.

وقال عليه السلام : اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ويقينا ليس بعده كفر وهو اليقين الحاصل بالعيان وظهور الحقيقة

ولذا نقول أهل علم اليقين ذو خطر لا يحصل منه الإرشاد بخلاف أهل عين اليقين فإنه قطب إرشاد وبخلاف أهل حق اليقين فإنه قطب الأقطاب فالتجليات ثلاثة : تجلي علمي وتجلي عيني وتجلي حقي فالأول كعلم الكعبة علما ضروريا من غير رؤية والثاني مثل رأستها من بعيد والثالث كدخولها قال قتادة : إن الله ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن أما المؤمن فأيقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة وأما الكافر فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه.

قال المولى الجامي :

سيراب كن زبحر يقين جان نشنه را

زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فسبح﴾ يا محمد ﴿باسم ربك العظيم﴾ الفاء لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فإن حقية ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التي من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق وقال أبوعثمان قدس سره : فسبح شكرا لما وقفنا أمتك إليه من التمسك بسنتك وفي فتح الرحمن هذه عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة الله والدعاء إليه.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣١٦

". (١)

" . حكي . أن إبراهيم بن أدهم قدس سره كان يصلي ليلة فأعيي فجلس ومدر رجليه فهتف به هاتف أهكذا تجالس الملوك وكان الحريري لا يمد رجليه في الخلوة ويقول حفظ الأدب مع الله أحق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فإن من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند أهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند اللهجناح بعوضة على أن العبرة في الكمال والنقصان بالأصغرين اللسان والقلب لا بالأكبرين الرأس والجلد فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب والأعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لا يخلو من قلة أو علة أو ذلة ولا شك أن بالقلة يكثر الهم الذي يذيب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول وفي الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع أخرى ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر قوله الأرزة بفتح الهمزة وبراء مهملة ساكنة ثم زاي شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الأرمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار.

ازبن بركنده شدن يعني مثل منافق مثل صنوبراست كه بلند واستوار برزمين تاكه افتادن وازبيخ برآمدن.

وفيه إشارة إلى أن المؤمن كثير الابتلاء في بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتي بسيئاته كاملة يوم القيامة ﴿يحسبون﴾ يظنون ﴿كل صيحة﴾ كل صوت ارتفع فإن الصيحة رفع الصوت وفي القاموس الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول أول ليحسبون والمفعول الثاني قوله ﴿عليهم﴾ أي واقعة عليهم ضارة لهم.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢٨٠/٩

ومراد از صيحه هر فريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه بركشند.
وقال بعضهم : إذا نادى مناد في العسكر لمصلحة أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة أو وقعت جلبة بين الناس ظنوه إيقاعا بهم لجنبهم واستقرار الرعب في قلوبهم والخائن خائف وقال القاشاني لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك **والارتياب** فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفي هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم
٥٣٣
كما قيل إذا رأى غير شيء ظنه رجلا وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيخ دماءهم وأموالهم
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٢٩
﴿هم العدو﴾ أي هم الكاملون في العداوة الراسخون فيها فإن أعدى الأعادي العدو المكاسر الذي يكاسرك وتحت ضلوعه داء لا يبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الأعداء لأن العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فوقه ﴿فاحذرهم﴾ أي فاحذر أن تثق بقولهم وتميل إلى كلامهم أو فاحذر مما يلتهم لأعدائك وتخذيلهم أصحابك فإنهم يفشون سرك للكفار ﴿قاتلهم الله﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أي لعنهم قال سعدي المفتي ولا طلب هناك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على أن اللعن عليهم مما لا بد منه قال الطيبي يعني إنه من أسلوب التجريد كقراءة ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ومن كفر فأمتعه يا قادر ويجوز أن يكون تعليماف للمؤمنين بأن يدعوا عليهم بذلك ففيه دلالة على أن للدعاء على أهل الفساد محلا يحسن فيه فقاتلا الله المبتدعين الضالين المضلين فإنهم شر الخصماء وأضر الأعداء وإيراده في صورة الإخبار مع أنه إنشاء معنى للدلالة على وقوعه ومعنى الإنشاء بالفارسية هلاك كناد خداى ايشانرا يا لعنت كناد برايشان.
وقال بعضهم أهلكهم وهو دعاء يتضمن الاقتضاء والمنابذة وتمنى الشر لهم ويقال هي كلمة ذم وتوبيخ بين الناس وقد تقول العرب قاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب وقيل أحلهم محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند ﴿أنى يؤفكون﴾ تعجيب من حالهم أي كيف يصرفون عن الحق والنور إلى ما هم عليه من الكفر والضلال والظلمة بعد قيام البرهان من الإفك بفتح الهمزة بمعنى الصرف عن الشيء لأن الإفك بالكسر بمعنى الكذب.
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٢٩
(١) ".

"يعني دوباربا صابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود ﴿ويزداد الذين ءامنوا إيمانا﴾ أي يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم إنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما انزل ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان فإن نفي ضد الشيء بعد إثبات وقوعه أبلغ في الإثبات ونفي لما قد يعترى المستيقني والمؤمن من شبهة ما فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٣١/٩

وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في نفي **الارتياب** حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فإن انتفاء **الارتياب** من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمن وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك ﴿وليقول الذين فى قلوبهم مرض﴾ شك أو نفاق فإن كلا منهما من الأمراض الباطنة فيكون أحبارا بما سيكون في المدية بعد الهجرة إذا النفاق إنما حدث بالمدينة وكان أهل مكة إما مؤمنا حقا وإما مكذبا وإما شاكا ﴿والكافرون﴾ المصرون على التكذيب فإن قلت كيف يجوز أن يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا أشكال ﴿ماذآ أراد الله بهاذا مثلا﴾ تمييز لهذا أو حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية أي أي شيء أراد بهذا العد المستغرب استعراب المثل فإطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين أو ثلاثين والاستفهام لإنكار أنه من عند

٢٣٤

الله بناء على أنه لو كان من عنده لما جاء ناقصا وأفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة ﴿كذالك يضل الله من يشآء﴾ ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الضلال أي يضل الله من يشاء إضلاله كأبي جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم إضلالا كائنا مثل ما ذكر من الإضلال لا إضلالا أنى منه لصرف اختياره إلى جنب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق وأصله أن الله لا يضل إلا بحسب الضلالة الأزلية لأن الضلال وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٢٣

﴿ويهدى من يشآء﴾ هدايته كأصحاب محمد عليه السلام هدايته كائنة مثل ما ذكر من الهداية لا هداية أدنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى وحقيقته إن الله لا يهي إلا بموجب الهداية الأزلية إذ الاهتداء وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من أحواله الأزلية فلا يجوز خلافه في عالم العين في الأبد ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكلم جتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفي الحديث إن الله جنودا منها العسل ﴿إلا هو﴾ لفرط كثرتها وفي حديث موسى عليه السلام إنه سأل ربه عن عدد أهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطا عدد كل سبط عدد لتراب وفي "الأسرار المحمدية" ، ليس في العالم موضع بيت ولا زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله والدليل على ذلك أمر النبي عليه السلام بالتستر في الخلوة وإن لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه إشارة إلى أن الله في اختيار عدد الزبانية حكمة وإلا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشاني : وما يعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها إلا هو لإحاطة علمه بالماهيات وأحوالها.

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٢٣

". (١)

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١٠/١٨١

"﴿ فى قلوبهم مرض فزادهم الله ﴾ زاد يجيئ متعدي كما فى هذه الآية ولازما كما فى قوله تعالى ﴿ فارسلناه الى مائة الف او يزيدون ﴾ والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل فى افاعليه ويؤدىلى الموت ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحانى لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الابدية والآية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرفا على مافات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره ورفع قدره وان نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهى وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب وارتيابا على ارتياب ويزدادون بذلك فى الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى ﴿ زدناهم عذابا فوق العذاب ﴾ والمؤمنون لهم فى الدنيا ما قال ﴿ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ وفى العقبى ما قال ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ .
قال القطب العلامة امراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر او بالاخلاق وهى اما رذائل فعلية كالغل والحسد واما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض اولا على الكفر ثم على الهيآت الفعلية ثم على الهيآت الانفعالية ويحتمل ان يكون قوله تعالى ﴿ فزادهم الله ﴾ دعاء عليهم * فان قلت فكيف يحمل على الدعاء والدعاء للعاجز عرفا والله تعالى منزه عن العجز قلت هذا تعليم من الله عباده انه يجوز الدعاء على المنافقين والطرد لهم لانهم شر خلق الله لانه اعد لهم يوم القيامة الدرك الاسفل من النار وهذا كقوله تعالى ﴿ قاتلهم الله ﴾ ﴿ ولعنهم الله ﴾ ﴿ ولهم ﴾ فى الآخرة ﴿ عذاب اليم ﴾ يصل المه الى القلوب وهو بمعنى المؤلم بفتح اللام على انه اسم مفعول من الايلام وصف به العذاب للمبالغة وهو فى الحقيقة صفة المعذب بفتح الذال المعجمة كما ان الجد للجاد فى قولهم جدجده وجه المبالغة افادة ان الالم بلغ الغاية حتى سرى المعذب الى العذاب المتعلق به ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة فى الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اى بسب بكذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا الخ وفيه رمز الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم نظرا الى ظاهر العبارة المتخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه .." (١)

"فقال قوم هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصى . وقال آخرون هما الوصيان لان الآية نزلت فيهما ولانه قال تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان ولا يلزم الشاهدين الايصاء وان صح الى واحد الا انه ورد فى الآية الايصاء الى اثنين احتياطا واعتضادا لاحدهما بالآخر . فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت والشهيد الذى حضرته الوفاة فى الغزو حتى لو مضى عليه وقت صلاة وهو حى لا يسمى شهيدا لان الوفاة لم

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٦١/١

تحضره فى الغزو ﴿ ذوا عدل منكم ﴾ هما صفتان للاثنان اى صاحبا امانة وعقل من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرى ما هو اصلح له او من اهل دينكم يا معشر المؤمنين وهذه جملة تامة تتناول حكم الشهادة على الوصية فى الحضر والسفر ﴿ او آخران من غيركم ﴾ عطف على اثنان او شهادة عدلين آخرين من غيركم اى من الاجانب او من غير اهل دينكم اى من اهل الذمة وقد كان ذلك فى بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما فى السفر ثم نسخ بقوله تعالى ﴿ واشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ فلا يقبل شهادة الذمى على المسلم لعدم ولايته عليه والشهادة من باب الولاية وتقبل شهادة الذمى على الذمى لان اهل الذمة بعضهم اولياء بعض ﴿ ان انتم ضربتم فى الارض ﴾ اى سرتم وسافرتم فيها ﴿ فاصابتكم مصيبة الموت ﴾ عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى لامر الشهادة كما هو الغالب المعتاد فى الاسفار فشهادة بينكم شهادة آخرين او فانه يشهد آخران فقوله تعالى ﴿ ان انتم ضربتم ﴾ تقييد لقوله ﴿ او آخران من غيركم ﴾ ﴿ تحبسونهما ﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسوههما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف ﴿ من بعد الصلوة ﴾ من صلة واللام للعهد الخارجى اى بعد صلاة العصر لتعينها عندهم للتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جمع اهل الايمان يعظمون ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روى ان النبى عليه السلام وقتئذ حلف من حلف

قال الشافعى الايمان تغلظ فى الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتى درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر بمكة بين الركن والمقام وفى المدينة عند المنبر وفى بيت المقدس عند الصخرة وفى سائر البلدان فى اشرف المساجد وقال ابو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ولا مكان ﴿ فيقسمان بالله ﴾ عطف على تحبسونهما ﴿ ان ارتبتم ﴾ شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال **الارتياب** اى ان ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة واخذ شىء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله ﴿ لا نشترى به ثمنا ﴾ جواب القسم اى مقسم عليه فان قوله فيقسمان يتضمن قسما مضمرا فيه .." (١)

"﴿ فان عثر ﴾ اى اطلع بعد التحليف ﴿ على انهما استحقا اثما ﴾ اى فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شىء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه ﴿ فآخران ﴾ اى رجلان آخران وهو مبتدأ خبره ﴿ يقومان مقامهما ﴾ اى مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التى توليها ولم يؤدياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق ﴿ من الذين ﴾ حال من فاعل يقومان اى من اهل الميت الذين ﴿ استحق عليهم الاوليان ﴾ من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين ومفعول استحق محذوف اى استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبنى للفاعل والاوليان فاعله وهو تثنيه الاولى بالفتح بمعنى الاقرب . وقرىء على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٣/٣٥٣

فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هم فقيل الاوليان ﴿ فيقسمان بالله ﴾ عطف على يقومان ﴿ لشهادتنا ﴾ المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى ﴿ فشهادة احدهم اربع شهادات بالله ﴾ اى ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة فى نفسها ﴿ احق ﴾ بالقبول ﴿ من شهادتهما ﴾ اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب فصيغة التفضيل مع انه لا حقيقة فى يمينهما رأسا انما هى لا مكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقها فى ادعاء تملكهما لما ظهر فى ايديهما ﴿ وما اعتدينا ﴾ عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بابطال حقهما ﴿ انا اذا ﴾ اى اذا اعتدينا فى يميننا ﴿ لمن الظالمين ﴾ انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع **ارتياب** بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم وانما انتقل اليمين الى الاولياء لان الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصى اذا اخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى به حلف الوارث اذا انكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ." (١)

"واما محمد A فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعا فانى يكون هذا لغيره فافهم جدا انتهى ما جرى بينى وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وما تحاورناه فى المجلس الخاص المفتوح بابه للاحباب لا للاغيار واهل الانكار **والارتياب** وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة الى ما يحويه قلبه الحاضر قدس الله سره ورزقنى وجميع الاحباب شفاعته

قال مرجع طريقتنا الجلوتية بالجيم حضرة الشيخ الشهير بافتاده البروسوى كما ان للانسان عينين فى الظاهر كذلك له عينان فى قلبه فاذا انفتحتا يشاهد بهما تجلى الصفات ولهما ايضا حدقتان لكنهما فى غاية اللطافة وانما قلنا يشاهد بهما تجلى الصفات لان تجلى الذات لا يشاهد الا بعين معنوية وراء عين القلب لا حدقة لها ولا كما زعمت الملاحدة والعياذ بالله تعالى فان الممكن الحقيقى غير الواجب الحقيقى كيف والسالك الواصل اذا افنى وجوده يصير معدوما والمعدوم لا يحكم عليه بشيء فضلا عن الحلول والاتحاد بل اذا عبر بالاتحاد يراد به التقرب التام على وفق رضاه تعالى كما يراد ذلك فى قولهم فلان متحد مع فلان اذ لا شك انهما شخصان مستقلان حقيقة ومعنى كونه معدوما اذ ذاك انه يتلاشى ويغيب فى بحر الاستغراق وانوار التجلى بحيث يغيب عن نظره ما سوى الله تعالى حتى ينظر ولا يجد نفسه للتوجه التام الى جنابه والاعراض الكلى عما سوى الله تعالى كمن جعل نظره الى جانب السماء لا ترى له الارض ومن نظر الى المشرق لايرى له المغرب لا انه يعدم وجوده الخارجى ويضمحل والانبياء عليهم السلام وان تجلى لهم الات الا ان تعين نبينا فوق الكل حتى ان موسى لما سال ربه التجلى عن تعين نبينا قال تعالى ﴿ لن ترانى ﴾ كذا اوله بعضهم وليس بشيء لانه عالم بمرتبة المصطفى A فكيف يطلبها فخاطب موسى ﴿ لن ترانى ﴾ لقطع طمع قومه حيث ﴿ قالوا ارنا الله جهرة ﴾ لانه اذا خوطب بذلك فهم اولى به فهذا فى الحقيقة ليس بالنسبة الى موسى عليه السلام فانه قد نال سعادة التجلى مرارا واصطفاه برسالته وبكلامه

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٣/٣٥٥

الى هنا كلام افتاده افندى كما فى الواقعات المحمودية

وقال الشيخ على دده فى اسئلة الحكم

فان قلت ما الحكمة الربانية فى منعة الرؤية فى الموطن الدنيوي

قيل لان الرؤية غاية الكرامة فى الدنيا وغاية الكرامة فيها لاكرم الخلق وهو سيدنا محمد A صاحب المقام المحمود الذى شاهد ربه ليلة المعراج بعينى رأسه على هذا فابحث وقيل لو اعطاه الرؤية بالسؤال لكانت الرؤية مكافأة لسؤاله والرؤية فضل لا مكافأة وهى ربانية لا مدخل للسؤال والتعمل فيها فهى امتنان محض من الله تعالى." (١)

"﴿ فذلكم الله ﴾ الذى يفعل هذه الاشياء هو ﴿ ربكم الحق ﴾ اى الثابت ربوبيته لا ما اشركتم معه . فقوله فذلكم مبتدأ والجلالة صفته وربكم الحق خبره ويجوز ان يكون الجلالة خبره وربكم بدل منه والاشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الاحساس به تعالى ﴿ فما ذا ﴾ يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون موصولا بمعنى الذى اى ما الذى ﴿ بعد الحق ﴾ اى غيره بطريق الاستعارة اى ليس غيرالتوحيد وعبادة الله تعالى ﴿ الا الضلال ﴾ الذى لا يختاره احد وهو عبادة الاصنام وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الخوارج باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى ﴿ فأنى تصرفون ﴾ استفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع واستبعاده والتعجب اى كيف تصرفون من التوحيد وعبادة الله تعالى الى الاشراك وعبادة الاصنام الذ هو ضلال عن الطريق الواضح : قال السعدى قدس بره

ترسم نرسى بكعبه اى اعرابى ... كين ره كه توميروى بتر كستانست

فقد نبه الله على ضلالهم على لسان رسوله عليه السلام وهو الهادى الى طريق الحق والصواب والفارق بين اهمل التصديق والارتياب : قال الصائب

اقف نميشوندكه كم كرده اند راه ... تار هروان برهنمايى نمى رسند." (٢)

"﴿ أفى قلوبهم مرض ﴾ انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشأة اى أذلك الاعراض لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ﴿ ام ﴾ لانهم ﴿ ارتابوا ﴾ اى شكوا فى امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها ﴿ ام ﴾ لانهم ﴿ يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ﴾ فى الحكومة . والحيف الجور والظلم الميل فى الحكم الى احد الجانبين يقال حاف فى قضيته اى جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وابطل منشئيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل ﴿ بل اولئك هم الظالمون ﴾ اى ليس ذلك الشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء مهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه مذعنين لحكمه لتحقق نافقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لايخافون الحيف اصلا لمعرفتهم امانته عليه لسلام وثباته على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلمموا من له الحق عليه ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام لعلهم بانه يقضى عليهم بالحق فمناط النفى المستفاد من الاضراب

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٤/٢٦٣

(٢) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٥/٢٦٧

فى الاولين هو و صف منشئيتهما فى الاعراض فقط مع تحققهما فى نفسهما وفى الثالث هو الوصف مع عدم تحققه فى نفسه وفى الرابع هو الاصل والوصف جميعا .." (١)

"﴿ وما كنت تتلو من قبله ﴾ اى وما كانت عادتك يا محمد قبل انزالنا اليك القرآن ان تتلو شيأ ﴿ من كتاب ﴾ من الكتب المنزلة ﴿ ولا تخطه ﴾ ولا ان تكتب كتابا من الكتب والخط كالمد ويقال لما له طول ويعبر عن الكتابة بالخط ﴿ بيمينك ﴾ حسبما هو المعتاد يعنى ذكر اليمين لكون الكتابة غالبا باليمين لا انه لايخط بيمينه ويخط بشماله فان الخط بالشمال من ابعد النوادر ، قال الشيعة انه عليه السلام كان يحسن الخط قبل الوحى ثم نهى عنه الوحى وقالوا ان قوله و لاتخطه نهى فليس ينفى الخط ، قال فى كشف الاسرار قرىء ولا تخطه بالفتح على النهى وهو شاذ والصحيح انه لم يكن يكتب انتهى ، وفى الاسئلة المقحمة قول الشيعة مردود لان لاتخطه لو كان نهيا لكان بنصب الطاء او قال لاتخططه بطريق التضعيف ﴿ اذا ﴾ [آن هنكام] اى لو كنت ممن يعتاد التلاوة والخط ﴿ لارتاب المبطلون ﴾ ، قال فى المختار الريب الشك ، قال الراغب الريب ان يتوهم بالشىء امرا ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى ﴿ لاريب فيه ﴾ والارابة ان يتوهم فيه امرا فلا ينكشف عما يتوهمه والارتياب يجرى مجرى الارابة ونفى عن المؤمنين الارتياب كما قال ﴿ ولا يرتاب الذى اوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ والمبطل من يأتى بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتى بالحق لما ان الباطل نقيض الحق ، قال فى المفردات الابطال يقال فى افساد الشىء وازالته حقا كان ذلك الشىء او باطلا قال تعالى ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ وقد يقال فيمن يقول شيأ لاحقيقة له . والمعنى لارتابوا وقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شأنك منشأ ريب اصلا ، قال الكاشفى [درشك افتادندى تباه كاران وكجروان يعنى مشركان عرب كفتندى كه جون مى خواند ومى نويسد بس قر آنرا از كتب بيشينيان التقاط كرده وبرما مى خواند ياجهودان درشك افتادندكه دركتب خود خوانده ايم كه بيغمبر آخر زمان امى باشد واين كسى قارى وكاتب است] ، فان قلت لم سماهم المبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا لكانوا محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق فى قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارىء كاتب ، قلت لانهم كفروا به وهو امى بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون فى كفهرم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحيث انه ليس بقارىء ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم ، قال فى الاسئلة المقحمة كيف من الله على نبيه انه امى ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب انما وصفه بعدم الخط والكتابة لان اهل الكتاب كانوا يجدون من نعته فى التوراة والانجيل انه امى لايقرأ ولا يكتب فاراد تحقيق ماوعدهم به على نعته اياه ولا ن الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولان المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنيسان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها غنية عن العصا والقائد انتهى ، وقال فى اسئلة الحكم كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلما ذا لم يكتب الجواب انه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الاولين ، وقال النيسابورى انما لم يكتب لانه اذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه واصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان ذلك قال الله تعالى لاجرم ياحبيبى لما لم ترد ان يكون قلمك فوق اسمى ولم ترد ان يكون ظل القلم على اسمى امرت الناس ان لايرفعوا

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ١٥٩/٩

اصواتهم فوق صوتك تشريفا لك وتعظيما ولا ادع بسبب ذلك ظلك يقع الى الارض صيانة له ان يوطأ ظله بالاقدام ، قيل انه نور محض وليس للنور ظل ، وفيه اشارة الى انه افنى الوجود الكونى الظلى وهو نور متجسد فى صورة البشر وكذلك الملك اذا تجسدت الارواح الخبيثة وقعت كشافة ظلها وظلمته على الارض اكثر من سائر الاظلال الكونية فليحفظ ذلك ، قال الكاشفى [درتيسير آورده كه خط وقرائت فضيلت بوده است مرغير بيغمبر مارا وعدم آن فضل معجزه آن حضرت بوده وجون معجزه ظاهر شده ودراميت اوشك وشبه نماند حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيزبى ارزانى داشته تامعجزه ديكر باشد وابن ابى شيبه درمصنف خود از طريق عون بن عبد الله نقل ميكندكه « مامات رسول الله حتى كتب وقرأ » واين صورت منافىء قرآن نيست نيست زيراكه درآيت نفى كتابت مقرر ساخته بزمانى قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا امى دانند از اول عمرتا آخر بصواب اقربست." (١)

"﴿ الذين يجادلون فى آيات الله ﴾ بدل من الموصول الاول لأنه بمعنى الجمع اذ لا يريد مسرفا واحدا بل كل مسرف والمراد بالمجادلة رد الآيات والطعن فيها ﴿ بغير سلطان ﴾ متعلق بيجادلون اى بغير حجة وبرهان صالحة للتمسك بها فى الجملة ﴿ أتاهم ﴾ صفة سلطان ﴿ كبر ﴾ عظم من هو مسرف مرتاب او الجدال ﴿ مقتا ﴾ اى من جهة البغض الشديد والنفور القوى ﴿ عند الله وعند الذين آمنوا ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنه بمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال ﴿ كذلك ﴾ اى مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿ يطبع الله ﴾ مهر منهد خداى تعالى وازهدى محجوب ميكند ﴿ على كل قلب متكبر جبار ﴾ برهردل شخص متكبركه سركش انداز فرمان بردارى خودكامه كه خودرا ازديكران برترداننند

فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف **والارتياب** والمجادلة بالباطل قال الراغب الجبار فى صفة الانسان يقال لمن جبر نقيصته اى اصلحها بادعاء منزلة من التعالى لا يستحقها وهذا لا يقال الا على طريقة الذم ويسمى السلطان جبارا لقهره الناس على ما يريده او لاصلاح امورهم فالجبر تارة يقال فى الاصلاح المجرد وتارة فى القهر المجرد وقال ابو الليث على قلب كل متكبر جبار ومثله فى كشف الاسرار حيث قال بالفارسية بردل هر كردن كشى

فقوله قلب بغير تنوين باضافته الى متكبر لأن المتكبر هو الانسان وقرأ بعضهم بالتنوين بنسبة الكبر الى القلب على أن المراد صاحبه لأنه متى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس والخبر « زنى العينين النظر » يعنى زنى صاحبهما قال فى الكواشى وكل على القرآءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب

يقول الفقير اعلم أن الطابع هو الله تعالى والمطبوع هو القلب وسبب الطبع هو التكبر والجبارية وحكمه ان لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال فلا يدخل فيه ما فى الخارج من الايمان والاخلاص والسداد والهدى وهو اعظم عقوبة من الله عليه فعلى العاقل ان يتشبث بالاسباب المؤدية الى شرح الصدر لا الى طبع القلب قال ابراهيم الخواص قدس سره دوآء القلب خمسة قرآءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله عند السحر ومجالسة الصالحين وقال الحسن البصرى حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور وهو بالفارسية زثنك افكندن كارد وشمشير والمحادثة بزدودن

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٢٧٥/١٠

وهذا بالنسبة الى القلب القابل للمحادثة اذ رب قلب لا يقبل ذلك

آهنى راكه موريانه بخورد ... نتوان برد ازوبصقل زنك

باسيه دل جه سود كفتن وعظ ... نرود ميخ آهنين درسنك

وفى الحديث « انى ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة » وقد تكلموا فى تأويله عن الجنيد البغدادى قدس سره ان العبد قد ينتقل من حال الى ارفع منها وقد يبقى من الاولى بقية يشرف عليها من الثانية فيصححها ويقال بين العبد والحق ألف مقام او مائة من نور وظلمة فعلى هذا كان عليه السلام كلما جاز عن مقام استغفر فهو يقطع جميع الحجب كل يوم وذلك يدل على نهاية بلوغه الى حد الكمال وجلالة قدره عند الملك المتعال." (١)

"﴿ وكذلك اوحينا اليك قرءآنا عربيا ﴾ ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرءآنا عربيا مفعول لأوحينا اى ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك ايحاء لا لبس فيه عليك وعلى قومك (وقال الكاشفى) وهمجانكه وحى كرديم بهر بيغمبر بزبان قوم او ووحى كرديم بتو قرآنى بلغت عرب كه قوم تواند تاكه فهم حاصل شود ﴿ لتنذر أم القرى ﴾ اى لتخوف اهل مكة بعذاب الله على تقدير اصرارهم على الكفر والعرب تسمى اصل كل شيء بالام وسميت مكة ام القرى تشريفا لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابرهيم ولما روى من أن الارض دحيت من تحتها فمحل القرى منها محل البنات من الامهات ﴿ ومن حولها ﴾ من العرب وهذا اى التبيين بالعرب لا ينافى عموم رسالته لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافى حكم ما عداه وقيل من اهل الارض كلها وبذلك فسره البغوى فقال قرى الارض كلها وكذا القشيرى حيث قال العالم محدق بالكعبة ومكة لأنهما سرة الارض

بس همه اهالئ بلاد برحوالى ويند ... قال فى التأويلات النجمية يشير الى انذار نفسه الشريفة لانها ام قرى نفوس آدم واولاده لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى تعلقت القدرة بايجاده قبل كل شيء كما قال « اول ما خلق الله روحى ومنه تنشأ الارواح والنفوس » ولهذا المعنى قال « آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة » فالمعنى كما يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم لينذروا الامم كذلك اوحينا قرءآنا عربيا لتنذر نفسك الشريفة بالقرءآن العربى لأن نفسك عربية ومن حولها من نفوس اهل العالم لأنها محدقة بنفسك الشريفة ولذلك قال تعالى ﴿ وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ﴾ وقال عليه السلام « بعثت الى الخلق كافة »

مه طلعتى كه برقدقدرش بريده اند ... ديباى قم فانذر واستبرق دنا

﴿ وتنذر ﴾ اهل مكة ومن حولها ﴿ يوم الجمع ﴾ اى بيوم القيامة وما فيه من العذاب لأنه يجمع فيه الخلائق من الاولين والاخرين واهل السموات واهل الارض والارواح والاشباح والاعمال والعمال فالباء محذوف من اليوم كما قال لتنذر بأسا شديدا اى ببأس شديد كما قاله ابو الليث فيكون مفعولا به لا ظرفا كما فى كشف الاسرار وقد سبق غير ذلك فى حم المؤمن عند قوله تعالى ﴿ لتنذر يوم التلاق ﴾ ﴿ لا ريب فيه ﴾ اعتراض لا محل له اى لا بد من مجيىء ذلك اليوم وليس بمرتاب فيه فى نفسه وذاته لانه لا بد من جزآء العاملين من المنذرين والمنذرين واهل الجنة واهل النار وارتياب الكفار فيه لا

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ١٢/٣٩٠

يعتد به او لا شك فى الجمع انه كائن ولا بد من تحققه ﴿ فريق ﴾ وهم المؤمنون ﴿ فى الجنة وفريق ﴾ وهم الكافرون ﴿ فى السعير ﴾ اى النار سميت بهالالتها بها وذلك بعد جمعهم فى الموقف لأنهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق على أن فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتدآء بالنكرة لأمرين تقديم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله فى الجنة والضمير المجرور فى منهم للمجموعين لدلالة لفظ الجمع عليه فان المعنى يوم يجمع الخلائق فى موقف الحساب وفى التأويلات النجمية وتنذر يوم الجمع بين الارواح والاجساد لا شك فى كونه وكما أنهم اليوم فريقان فريق فى جنة القلوب وراحات الطاعات وحلاوات العبادات وتنعمات القربات وفريق فى سعير النفوس وظلمات المعاصى وعقوبات الشرك والجحود فكذلك غدا فريق هم اهل اللقاء فريق هم اهل الشقاء والبلاء وفى الحديث." (١)

"﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ اى آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك فى الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فان الشك تردد بين نقيضين لا تهمة فيه وفيه اشارة الى أن فيهم ما يوجب نفى الايمان عنهم وهو الارتياب وثم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ﴿ ثم استقاموا ﴾ ﴿ وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ﴾ فى طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد ﴿ اولئك ﴾ الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة ﴿ هم الصادقون ﴾ اى الذين صدقوا فى دعوى الايمان لا غيرهم فهو قصر افراد وتكذيب لاعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون ايضا فى دعوى الايمان . واعلم ان الآية الكريمة شاملة لجامع القوى التى وجب على كل احد تهذيبها واصلاحها تطهيرا لنفسه الحاصل به الفوز بافلاح والسعادة كلها كما قال تعالى ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ وهى قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتى اذا اصلحت ثلاثتها وضبطت حصل العدل الذى قامت به السموات والارض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولاصالة الاولى وجلالتها قدمت على الاخيرتين فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفى الارتياب على العلم اليقينى والحكمة الحقيقية التى لا يتصور حصولها الا باصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالاموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالانفس على الشجاعة والحلم التابعين لاصلاح قوة الحمية الغضبية وقهرها واسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى ﴿ خذ الفعو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة واعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والاحسان . واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس الانسانية محصورة فى القوى الثلاث وفضائلها الاربع اذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كما لها المجاهدة والعدل كماله الانصاف وهى اصول الدين على التحقيق وفى الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم لولا الدعاوى ما خلقت المهاوى فمن ادعى فقد هوى فيها وان كان صادقا ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل (قال الحافظ)

حديث مدعيان وخيال همكاران ... همان حكايت زردوزو بور يابافست

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٥١/١٣

وفى الحديث « يا ابا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الامانة فانها وصية الانبياء » (قال الحافظ)

طريق صدق بياموز ازاب صافى دل ... بر استى طلب آزادكى جوسر وجمن

وأتى رسول الله التجار فقال « يا معشر التجار ان الله باعثكم يوم القيامة فجارا الا من صدق ووصل وأدى الامانة » وفى الحديث « التجار هم الفجار » قيل ولم يا رسول الله وقد أجل الله البيع فقال « لانهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون » (قال الصائب)

كعبه دركام نخستين كند استقبالت ... ازسر صدق اكر همنفس دل باشى

فاذا صدق الباطن صدق الظاهر اذ كل اناء يترشح بما فيه وكل احد يظهر ما فيه بفيه." (١)

"﴿ ان هذا ﴾ اى الذى ذكر فى هذه السورة الكريمة ﴿ لهو حق اليقين ﴾ اى حق الخبر اليقين فهو من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين اى الحق الثابت الذى لايطرأ عليه التبدل والتغير وقال ابو الليث اى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذى يحصل به اطمئنان النفس ويزول **ارتيابها** واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلم فجيب أن يكون الخبر ايضا كذلك التقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به اى الثابت منه على ان الاضافة بمعنى من وفى فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول فى امر توكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى

قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشيء الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك فى العطف وفى شرح النصوص بالنون العلم اليقينى هو العلم الحاصل بالادراك الباطنى بالفكر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الارواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الاثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الادراك بأحدية جمعك اى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك اى يدركها بها ادراكا يستوعب معرفة كل ماشتملت عليه حقيقة المدرك من الامور الظاهرة والباطننة وهو حال الكامل وصفه من صار قلبه متسوى الحق الذى قد وسعه كما اخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء واما حقيقة اليقين وهو باطن حق ايقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لاتحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر فى ملكوت السموات والارض وبادآء السنن والفرآئض وترك ماسوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض واكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى وقال ابن عطاء C ان هذا القرآن لحق فى صدور الموقنين وأهل اليقين وهو الحق من عند الحق فلذلك تحقق فى قلوب المحققين واليقين ماستقر فى قلوب اوليائه وقد قال سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٩١/١٤

حل خلد وجحيم دانستم ... بيقين انجنانكه مى بايد

كر حجاب ازميانه بر كيرند ... آن يقين ذره نيفزا يد." (١)

"« انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة » « مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الارزة لاتزال قائمة حتى تنقر » قوله الارزة بفتح ألهمزة وبرآء مهملة ساكنة ثم زاى شجرة يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الارمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار ، ازبن بركنده شدن يعنى مثل منافق مثل صنوبر براست كه بلند واستوار بر زمين تاكه افتادن وازبيخ بر آمدن ، وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء فى بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتى بسيئاته كاملة يوم القيامة ﴿ يحسبون ﴾ يظنون ﴿ كل صيحة ﴾ كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفى القاموس الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول اول ليحسبون والمعفول الثانى قوله ﴿ عليهم ﴾ اى واقعة علهيم ضارة ، ومراد از صيحة هر فريادى كه برآيد وهرآوازى كه درمدينه بركشند .

وقال بعضهم اذا نادى مناد فى العسكر لمصلحة او انفلتت دابة او انشدت ضالة او وقعت جلبة بين الناس ظنوه ايقاعا بهم لجنبهم واستقرار الرعب فى قلوبهم والخائن خائف وقال القاشانى لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منعمسون فى ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك **والارتياب** فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفى هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم كما قيل اذا رأى غير شىء ظنه رجلا وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم مايهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم ﴿ هم العدو ﴾ اى هم الكاملون فى العداوة الراسخون فيها فان اعدى الاعادى العدو المكاسر الذى يكاسرك وتحت ضلوعه دآء لايبرح بل يلزم مكانه ولم يقل هم الاعدآء لان العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد وما فقوه ﴿ فاحذرهم ﴾ اى فاحذر أن تثق بقولهم وتميل الى كلامهم او فاحذر مما يلتهم لاعدآئك وتخذيلهم اصحابك فانه يفشون سرك للكفار ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم ويميتهم على الهوان والخذلان كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اى لعنهم قال سعدى المفتى ولا طلب هناك حقيقة بل عبارة الطلب للدلالة على ان اللعن عليهم مما لابد منه قال الطيبى يعنى انه من اسلوب التجريد كقرآءة ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله." (٢)

"﴿ واللائى ﴾ من الموصولات جمع التى يعنى آن زنان كه ﴿ يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ اللاتى دخلتم بهن لكبرهن وييسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه أيس يأيس يأسا واياسا لا ايسا وفاعلهما آيس لا يائس يقال امرأة آيس اذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث اذا استعملت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما واذا لم تستعمل له فأى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء اذا كان حملها من الولد واما اذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء واما الا ياس فى

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٩٩/١٥

(٢) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٣٣٨/١٥

مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الاصل ايئاس على افعال حذفت منه الهمزة التى هى عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الانثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كام ذكره الحاحظ وفى القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضا من حوآئض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا اياس لها اى يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتدآء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف ﴿ ان ارتبتم ﴾ من **الارتياب** بالفارسية بشك شدن .

اى شككتم واشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر ﴾ فقوله واللائى يئسن الخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيه فاعلموا انها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلالك او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الايام لانه يشهر بالقمر ﴿ واللآئى ﴾ وآن زنان كه ﴿ لم يحضن ﴾ اى ما رأين الدم لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبى حنيفة والشافعى لا تنقضى عدتها حتى يعادوها الدم فتعتد بثلاثة اقرآء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وضع السجاوندى الطاء الدالة على الوقف الملطق على وضعه وقانونه فى لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لان المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسدا العله نظر الى ظهور عدم حمل التى لم تحض لغصرها ﴿ وأولات الاحمال ﴾ واحدتها ذات بمعنى صاحبة والاحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار .." (١)

"وروي أن أبا هريرة ذكر هذا الحديث عند معاوية فبكى معاوية حتى ظننا أنه هالك ثم أفاق فقال : صدق الله ورسوله : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ الآيتان . ثم بين أن بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال : ﴿ أفمن كان ﴾ والمعنى أمن كان يريد الحياة الدنيا كما كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم؟ نظيره إذا أتاك العلماء والجهال فاستأذن الجهال للدخول قبل العلماء فتقول : الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد أن العلماء ينبغي أن يدخلوا أولا ثم الجهال . ويمكن أن يقال : التقدير أفمن كان ﴿ على بينة من ربه ﴾ كمن يريد الحياة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ [فاطر : ٣٥] ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ﴾ [الزمر : ٩] واعلم أن أول هذه الآية يشتمل على ألفاظ أربعة مجملة : الأول أن هذا الذي وصفه الله بأنه على بينة من هو؟ الثاني ما المراد بالبينة؟ الثالث ما معنى يتلوه أهو من التلاوة أم من التلو؟ الرابع الشاهد من هو؟ وللمفسرين فيها أقوال : أصحها أن معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق ، والذي هو على البينة مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه ، ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد إلى البينة . بتأويل البيان والبرهان ، والمراد بالشاهد القرآن ومنه أي من الله أو من القرآن المتقدم ذكره في قوله : ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ ، ﴿ ومن قبله كتاب

---

(١) تفسير حقي، المؤلف غير معروف ٣٩٢/١٥

موسى ﴾ أي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة حال كونها ﴿ إماما ﴾ أو أعني إماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ﴿ ورحمة ﴾ ونعمة عظيمة على المنزل إليهم . والحاصل أن المعارف اليقينية المكتسبة إما أن يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان ، وإما أن يكون بالوحي والإلهام ، وإذا اجتمع على بعض المطالب هذان الأمران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب أوثق . ثم إذا توافقت كلمة الأنبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ، ثم إنه حصل على تقرير صحة هذا الدين هذه الأمور الثلاثة جميعا : البينة . وهي الدلائل العقلية اليقينية ، والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي ، وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به ، وعند اجتماع هذه الأمور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك **وارتياب** .." (١)

"ومعنى ﴿ كان ﴾ صح واستقام أي لا ينبغي أن يكون قولهم إلا السمع والطاعة . عن ابن عباس ﴿ ومن يطع الله ﴾ في فرائضه ﴿ ورسوله ﴾ في سننه ﴿ ويخش الله ﴾ على ما مضى من ذنوبه ﴿ ويتقه ﴾ فيما يستقبل من عمره ﴿ فأولئك هم الفائزون ﴾ وهذه آية جامعة لأسباب الفوز وفقنا الله تعالى للعمل بها . ثم حكى عن المنافقين أنهم يريدون أن يؤكدوا أساس الإيمان بالأيمان الكاذبة . قال مقاتل : من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين وكانوا يقولون : والله إن أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا ، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا ، فنهوا عن هذه الأقسام لما علم من نفاقهم وشقاقهم وإضمارهم الغدر والخديعة وإلا فمن حلف على فعل البر لا يجوز أن ينهى عنه . وقوله ﴿ طاعة معروفة ﴾ مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة ، أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا **ارتياب** فيها كطاعة الخلص من المؤمنين ، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل . ثم صرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب . ومعنى ﴿ فإن تولوا ﴾ فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين . وما حمل الرسول هو أداء الرسالة ، وما حمل على الأمة هو الطاعة والانقياد ، والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة . وههنا شبه إضمار والتقدير : بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح . وفي الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ﴿ ليستخلفنهم ﴾ أو القسم محذوف أي أقسم ليجعلنكم خلفاء في الأرض كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشأم بعد إهلاك الجبابرة . ﴿ وليمكنن ﴾ لأجلهم الدين المرتضى وهو دين الإسلام . وتمكين الدين تثبيته وإشادة قواعده ، كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا إلى رسول الله A فقال : لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة ، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الأكاسرة خزائنهم ، وهذا إخبار بالغيب فيكون معجزا . ومحل ﴿ يعبدونني ﴾ نصب على الحال أي وعدهم ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال : ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال : ﴿ يعبدونني ﴾ وعلى الوجهين فقوله ﴿ لا يشركون ﴾ بدل من ﴿ يعبدونني ﴾ أو بيان لها . وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والإخلاص له . ﴿ ومن كفر ﴾ بهذه النعم الجسام وهي الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد

---

(١) تفسير النيسابوري، المؤلف غير معروف ٤/٢٩٣

حصول ذلك أو بعدما ذكر ﴿ فأولئك هم ﴾ الكاملون في الفسق . قال أهل السنة : في الآية دلالة على إمامة الخلفاء الراشدين لأن قوله ﴿ منكم ﴾ للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين في وقت الخطاب ، ومعلوم أن الأئمة الأربعة كانوا من أهل الإيمان والعمل الصالح ، وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح ، فوجب أن يكونوا مرادين من الآية .." (١)

"وقال : بعضهم : أراد ما وقعوا فيه من الكفر بسبب إنكارهم والتقدير إلا فتنة على الذين كفروا ، وحاصله يرجع إلى ترك الألطاف . وأجيب عن هذه التأويلات بأن تنزيل المتشابهات لا بد أن يكون له أثر في تقوية داعية الكفر وإلا كان إنزالها كلا إنزال . ومع هذا الترجيح لا يحصل الإيمان ألبتة وهو المعنى بالإضلال .

واعلم أن في الآية دلالة على أنه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانية سببا لأمور أربعة : أولها ﴿ ليستيقن ﴾ ثانيها ﴿ ويزداد ﴾ ثالثها ﴿ ولا يرتاب ﴾ رابعها ﴿ وليقول ﴾ وفيه إشكال . قال جار الله : ما جعل افتتانهم بالعدد سببا ولكنه وضع ﴿ فتنة ﴾ موضع ﴿ تسعة عشر ﴾ تعبيرا عن المؤثر باللفظ الدال على الأثر تنبيها على أن هذا الأثر من لوازم ذلك المأثر . وقال آخرون : تقديره وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للكافرين وإلا ليستيقن كما يقال : فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك . قالوا : والعاطف يذكر في هذا الموضع تارة ويحذف أخرى . وأما سبب إستيقان أهل الكتاب فهو أنهم قرؤا هذا العدد في كتابهم ولكنهم ما كانوا واثقين لتطرق التحريف إلى كتابهم . فلما سمعوا ذلك في القرآن تيقنوا بصحة نبوة محمد A لأنه أخبرهم بما في كتابهم من غير سابقة دراسة وتعلم . ولأنه أخبر كفار قريش بهذا الأمر الغريب من غير مبالاة باستهزائهم وتكذيبهم فعرفوا أنه من قبيل الوحي وإلا لم يجترىء على التكلم به خوفا من السخرية . وأما زيادة إيمان المؤمنين فحمل على آثاره ولوازمه ونتائجه . وأما نفي **الارتياب** عن أهل الكتاب والمؤمنين بعد إثبات الاستيقان وزيادة الإيمان لهم فمن باب التوكيد كأنه قيل : حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب . فإن الذي حصل له اليقين قد يغفل عن مقدمة من مقدمات الدليل فيعود له الشك . وفيه أيضا تعريض بحال من عداهم كأنه قيل : وليخالف حالهم حال المرتابين من أهل الزيغ ولكفران ، وأما الذين في قلوبهم مرض فهم أهل النفاق الذين أحدثوا بعد ذلك لأن السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما حدث بالمدينة ، ففي الآية إخبار بالغيب وقد وقع مطابقا فكان معجزا . واللامات في الأمور الأربعة للغاية عند الأشاعرة ، والمعتزلة يسمونها لام العاقبة وقد مر في مواضع . وقوله ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ إلى قوله ﴿ من يشاء ﴾ قد مر في « البقرة » . وجعل مثل هذا العدد مثلا لغرابته حيث لم يقل عشرين وسواه والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب مع أنهم منكرون له من أصله . والكاف في ﴿ كذلك ﴾ منصوب المحل أي مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل ويهدي . قوله ﴿ وما يعلم جنود ربك ﴾ إشارة إلى أن ما عليه عدد الخزنة لا يعلم حكمته ولا حكمة ما عليه كل جند من العدد إلى حين الأبد إلا الله سبحانه كما يقوله أهل الحق وقد مر .." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري، المؤلف غير معروف ٢٤/٦

(٢) تفسير النيسابوري، المؤلف غير معروف ٢٤٥/٧

" أن هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث ان هذا إلا قول البشر ولم يذكر العاطف بين هاتين الجملتين لأن الثانية جرت مجرى التوكيد للأولى سأصليه سأدخله بدل من سأرهقه سعودا سقر علم لجنهم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث وما أدراك ما سقر تهويل لشأنها لاتبقي أي هي لا تبقي لحما ولا تذر عظما أو تبقي شيئا يبقي فيها إلا أهلكته ولا تذره ها لكابل يعود كما كان لواحة خبر مبتدأ محذوف أي هي لواحة للبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلدي أي مسودة للجلود ومحرقة لها عليها على سقر تسعة عشر أي يلي أمرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وما جعلنا أصحاب النار أي خزنتها الا ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين فلا تأخذهم الرأفة والرقة لأنهم أشد الخق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا فتنة أي ابتلاء واختيارا للذين كفروا حتى قال أبو جهل لما نزلت وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فنزلت وما جعلنا اصحاب النار إلا ملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لا يطلب في الاعداد العلل ان ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهومالك وهو الاكبر وقيل في سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهي تسعة عشر وكان اصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله ويزداد الذين آمنوا بمحمد وهو عطف على ليستيقن إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ولا يرتاب الذين أوتوا الكتباب والمؤمنون هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان إذ الاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء **الارتياب** ثم عطف على ليستيقن أيضا وليقول الذين في قلوبهم مرض نفاق والكافرون والمشركون فان قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وهذا أخبار بما سيكون ." (١)

" كسائر الاخبارت بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك **والارتياب** لأن أهل مكة كن أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمي مثلا والمعنى أي شيء اراد الله بهذا العدد العجيب واي معنى اراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم انكاره اصلا وانه ليس من عند الله وانه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص كذلك يضل الله من يشاء الكاف نصب وذلك اشارة إلى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أي مثل لتصديقه ورؤية الحكمة في ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ويهدي من يشاء وهو الذي علم منه إختيار الاهداء وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية والإضلال ولما قال أبو جهل لعنه الله اما لرب محمد اعوان إلا تسعة عشر نزل وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وما هي متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي وما سقر وصفتها إلا ذكر البشر أي تذكرة للبشر أو

---

(١) تفسير النسفي، المؤلف غير معروف ٤/٢٩٦

ضمير الآيات التي ذكرت فيها كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون والقمر اقسم به لعظم منافعه والليل إذا أدبر نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم أدبر ومعناهما ولى وذهب وقيل أدبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار والصبح إذا اسفر اضاء وجواب القسم إنها ان سقر لإحدى الكبر هي جمع الكبرى أي لإحدى البلايا أو الدواهي الكبر ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء نذيرا تمييز من إحدى أي أنها لإحدى الدواهي انذارا كقولك وهي احدى النساء عفافا وابدل من للبشر لمن شاء منكم باعادة الجار ان يتقدم إلى الخير أو يتأخر عنه وعن الزجاج إلى ما أمرو عما نهى كل نفس بما كسبت رهينة هي ليست بتأنيث رهين في قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لأنه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك إلا أصحاب اليمين أي أطفال المسلمين لأنهم لا أعمال لهم يرهنون بها أو إلا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق في جنات أي ." (١)

"ذلِكَ الحكم بتحليف الوصيين عند **ارتياب** الورثة وتحليف الورثة عند دعوى الوصيين بالشراء ونحوه. أَدْنى أى اقرب من أَنْ يَأْتُوا أى يأتي الأوصياء بِالشَّهادَةِ أى بإظهار الحق وبيان ما اوصى إليهم الميت عَلى وَجْهِها على نحو ما حملوها من غير خيانة فيها أَوْ يَخافُوا عطف على يأتوا أى أو ادنى ان يخافوا أَنْ تُرَدَّ على الورثة أَيْمانٌ على انكار ما ادعاه الوصي بَعْدَ أَيْمانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ عطف على محذوف أى احفظوا احكام الله واتقوا الله وَاسْمَعُوا ما أمركم الله سماع اجابة وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ يعنى ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين إلى حجة أو إلى طريق الجنة وعلى هذا التفسير الذي ذكرت تطابق الآية

التفسير المظهري ج ٣ ، ص : ٢٠١

سبب نزولها ولا يلزم النسخ لان يمين الوصي عند إنكاره الخيانة ويمين الوارث عند إنكاره دعوى الوصي الشراء ونحوه حكم ثابت محكم وقد تقرر عند القوم ان شيئا من سورة المائدة لم ينسخ وقيل معنى الآية ليستشهد الميت عند احتضاره إذا اوصى لاحد رجلين ليوديا الشهادة عند القاضي للموصى له ويدل عليه ظاهر قوله تعالى لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى يعنى ولو كان الموصى له ذا قربى منا لا نشهد له بالزيادة على الوصية طمعا وعلى هذا التأويل قيل معنى ذوا عدل منكم أى من حى الموصى أو آخران من غيركم أى من غير حيكم وعشيرتكم وهو قول الحسن والزهري وعكرمة.

.)"(٢)

"عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم على صدقهم ويقينهم روى احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن عمر بن الخطاب قال خرجنا إلى تبوك فى يوم قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا سينقطع حتى إذا كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع

(١) تفسير النسفي، المؤلف غير معروف ٢٩٧/٤

(٢) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٢١٠٨

حتى يظن ان رقبته سينقطع وحتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه « ١ » فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال أبو بكر يا رسول الله ان الله عز وجل قد عود لك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أ تحب ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى جالت « ٢ » السماء فاظلت ثم سكبت فملاؤا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وروى ابن أبي حاتم عن أبي حرزة الأنصاري قال نزلوا الحجر فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين ثم دعا فارسل الله سحابة فامطرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه متهم بالنفاق ويحك قد ترى ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامطر الله علينا السماء قال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قرأ حفص وحمزة بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية لان الفاعل مونث غير حقيقى قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أى قلوب بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل إلى التخلف والانصراف لاجل الشدة التي كانت عليهم قال الكلبي همّ ناس بالتخلف ثم لحقوه وقال ابن إسحاق ومحمد عمر كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا **ارتياب** منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة ابن الربيع وأبو حيثمة وابو." (١)

"النبي صلى الله عليه وسلم وَمِنْ هؤُلاءِ أى من أهل مكة أو من العرب أو ممن فى عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم من الكتابين مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أى بالقران وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا الاضافة للعهد يعنى بايات القرآن إِلَّا الْكافِرُونَ يعنى الكافرون بالله وبالكتب كلها يعنى من كذب بالقران فقد كذب بالتوراة والإنجيل أيضا لانهما مصدقان للقران فتكذيبه تكذيب بهما فمن أنكر القرآن وادعى الايمان بالتورية فدعواه باطل قال قتادة الجحود انما يكون بعد المعرفة عرفوا ان محمدا حق والقران حق فجحدوا.

وَما كُنْتَ تَتْلُوا يا محمد ص عطف على كَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ أى من قبل ما انزل إليك الكتاب مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ ولا تكتبه بِيَمِينِكَ ذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد إِذاً يعنى إذا كنت قاريا للكتب المتقدمة كاتبا لها لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ أى الكافرون يعنى أهل مكة وقالوا لعله التقطه من كتب الأقدمين كذا قال قتادة وانما سماهم مبطلين لكفرهم أو **لارتيابهم** بانتفاء وجه واحد مع وجود المعجزات المتكاثرة وقيل معناه لا **ارتياب** أهل الكتاب لوجدانهم نعتك فى كتبهم بالامى كذا قال مقاتل فيكون على هذا ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر.." (٢)

"أَ فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ يعنى أفاض فى قلبه نورا أدرك به الحق حقا والباطل باطلا فاذعن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بلا **ارتياب** عبّر عن تلك الحالة بشرح الصدر لان الصدر محل القلب والروح القابل للاسلام فإذا كان قلبه قابلا لاحكام الإسلام صار كظرف انشرح وتفسح حتى حال فيه المظروف فَهُوَ أى ذلك الشخص عَلى نُورٍ أى بصيرة مِنْ رَبِّهِ الهمزة للانكار والفاء للعطف على ما فهم مما سبق من قوله تعالى أ فمن حقّ عليه كلمة العذاب أ فأنت

---

(١) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٣٠٠٨

(٢) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٥٠٧١

تنقذ من فى النّار لكن الّذين اتّقوا ربّهم فانه يفهم منه الفرق بين المؤمن والكافر والموصول مبتدا وخبره محذوف يدل عليه ما بعده والإنكار راجع إلى مضمون الفاء كأنَّه قال لما ثبت الفرق بين المؤمن والكافر فليس من شرح الله صدره للاسلام وترتب عليه كونه على نور من ربه فامن واهتدى كمن طبع الله على قلبه فقسى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أ فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه قلنا يا رسول الله كيف انشرح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح صدره وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله.." (١)

"الإياس وانقطع دمها تستانف العدة بالشهور وان اعتدت الآئسة بالأشهر ثم رأت الدم بعد انقضائها أو فى خلالها انتقض ما مضى من عدتها وظهر فساد نكاحها الكائن بعد تلك العدة هذا إذا رات الدم على العادة بان يكون الدم أسودا واحمر ولو رات اصفر أو اخضر أو تربية لا يكون حيضا الا إذا كانت عادتها قبل الإياس اصفر فرأته كذلك أو علقا فرأته كذلك ان وقع الطلاق فى أول شهر اعتدت بالأشهر الهلالية اتفاقا وان وقع فى أثناء الشهر اعتبر كلها بالأيام فلا ينقضى عدتها الا بتسعين يوما عند

التفسير المظهري ج ٩ ، ص : ٣٢٤

ابى حنيفة وعند صاحبيه يكمل الأول ثلثين يوما والأخيران المتوسطان بالاهلة (مسئلة :) ليس حكم هذه الآية فى المتوفى عنها زوجها فان عدتها إذا لم تكن حاملا اربعة أشهر وعشر سواء كانت صغيرة أو آيسة أو شابة والداعي إلى تخصيص حكم هذه الآية بالمطلقات دون المتوفى عنهن أزواجهن مع كون اللفظ عاما الإجماع وسند الإجماع ما ذكرنا فى سبب النزول من حديث أبي بن كعب قالوا قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغائر والكبائر وأولات الأحمال فانزلت هذه الآية وقوله تعالى ان ارتبتم ولا شك ان عدة النساء لم يبق الا من قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء بخلاف قوله تعالى والذين يتوفون منكم فانه عام شامل لجميع اقسام المتوفى عنهن أزواجهن لم يشذ منها شيء وأيضا لا يحتمل تلك الآية **الارتياب**." (٢)

"فان **الارتياب** انما يتصور فى ما ثبت بدليل ظنى وتلك الآية لعمومه يشتمل جميع اقسام المتوفى عنها زوجها قطعا يقينا فان قيل هذا الدليل كما يقتضى اختصاص هذه الآية بالمطلقات يقتضى أيضا ان يختص به أيضا قوله تعالى وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ مع انه لم يقل به أحد فكيف ترك دليل الاختصاص هناك مع كون الجمل الثلث فى نسق واحد قلنا كان دليل التخصيص هاهنا الإجماع والا فحديث الآحاد ما لم يعتقد بالإجماع لا يصلح مخصصا للقطع عندنا والإجماع هناك على خلاف ذلك يعنى على شمول الأحمال أولات الأحمال المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن لابن علية وابن عباس رض قالا لا بد للمتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملة من الوضع والاربعة الأشهر وعشرا جمعا بين الآيتين احتياطا والجمهور على انه تنقضى عدتها بالوضع كذا روى مالك فى الموطأ عن ابن عمرو عن عمر بن الخطاب ولم يقل أحد ان

(١) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٥٦٧٧

(٢) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٥٦٩٨

الوضع فى حقها غير معتبر أصلا وفى موطاء مالك عن سليمان بن يسار ان عبد الله بن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اختلفوا فى المرأة متنفس بعد زوجها بليال فقال أبو سلمة إذا وضعت ما فى بطنها فقد حلت وقال ابن عباس اخر اجلين فقال أبو هريرة انا مع ابن أخي يعنى أبا سلمة فارسلوا كريبا مولى ابن عباس إلى أم سلمة زوج النبي صلعم يسالها عن ذلك فاخبرهم انها قالت ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك للنبى صلعم فقال قد حللت فانكحى من شئت وفى الصحيحين حديث عمر بن عبد الله بن أرقم انه دخل على سبيعة بنت الحارث الاسلمية فسالها عن حديثها فاخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة

التفسير المظهري ج ٩ ، ص : ٣٢٥." (١)

"وقد قيل : " إشن " القَوانسَ " منصوبٌ بمضمر يدلُّ عليه أفعل التَّفضيل ، هذا معنى كلام أبي حيّان ، وهو ماشٍ على أنّ " أَقْوَم " من أقام المتعدّي ، وأمَّا إذا جعلته من " قَام " بمعنى ثبت فاللاَّم غير زائدة.

قوله : ﴿أَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا اْ﴾ ، أي : أقرب ، وحرف الجرّ محذوفٌ ، فقيل : هو اللاَّم أي : أدنى لئلاَّ ترتابوا ، وقيل هو " إلَى " وقيل : هو " من " ، أي : أدنى إلى ألاّ ترتابوا ، وأدنى من ألا ترتابوا.

وفي تقديرهم : " مِنْ " نظرٌ ، إذ المعنى لا يساعد عليه.

و " تَرْتَابُوا " : تفتعلوا من الرِّيبة ، والأصل : " تَرْتَيِبُوا " ، فقلبت الياء ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها.

٥٠٠

والمفضَّل عليه محذوفٌ لفهم المعنى ، أي : أقسط وأقوم ، وأدنى لكذا من عدم الكتب ، وحسَّن الحذف كون أفعل خبراً للمبتدأ بخلاف كونه صفةً ، أو حالاً.

وقرأ السُّلمي : " ألاّ يَرْتَابُوا " بياء الغيبة كقراءة : " وَلاَ يَسْأَمُوا أَنْ يكتبُوهُ " وتقدَّم توجيهه.

فصل في فوائد الإشهاد والكتابة اعلم أنَّ الكتابة ، والاستشهاد تشتمل على ثلاث فوائد : الأولى : قوله : ﴿أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ ، أي : أعدل عند الله وأقرب إلى الحقّ.

والثانية : قوله : ﴿أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ ، أي : أبلغ في استقامته التي هي ذد الاعوجاج ؛ لأنَّ المنتصب القائم ضدّ المنحني المعوج ، وإنَّما كانت أقوم للشَّهادة ؛ لأنها سبب للحفظ والذكر ، فكانت أقرب إلى الاستقامة.

والفرق بين الفائدة الأولى والثانية أن الأولى تتعلّق بتحصيل مرضاة الله ، والثانية تتعلّق بتحصيل مصلحة الدُّنيا ، ولهذا قدمت الأولى عليها ؛ لأن تقديم مصلحة الدّين على مصلحة الدُّنيا واجب.

الفائدة الثالثة : قوله : ﴿وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا اْ﴾ يعني أقرب إلى زوال الشَّكِّ **والارتياب** عن قلوب المتداينين ، فالفائدة الأولى إشارة إلى تحصيل مصلحة الدِّين.

والثَّانية : إشارة إلى تحصيل مصلحة الدُّنيا.

والثالثة : إشارة إلى دفع الضَّرر عن النَّفس وعن الغير ، أمَّا عن النَّفس فلأنه يبقى في الفكران ، أنَّ هذا الأمر كيف كان

---

(١) تفسير المظهرى، المؤلف غير معروف ص/٦٥٩٩

، وهذا الذي قلت : هل كان صدقاً ، أو كذباً ، أمَّا عن الغير ، فلأنّ ذلك الغير ربَّما نسبه إلى الكذب ، فيقع في عقاب الغيبة.

قوله : ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً﴾ في هذا الاستثناء قولان : أحدهما : أنه متَّصل قال أبو البقاء : " والجُمْلَةُ المستثناة في موضع نصبٍ ؛ لأنَّه استثناءٌ [من الجنس] لأنه أمرٌ بالاستشهاد في كلِّ معاملةٍ ، فالمستثنى منها التجارة الحاضرة ، والتَّقدير : إلاَّ في حال حضور التِّجارة ".

والثاني : أنَّه منقطع ، قال مكي بن أبي طالبٍ : و " أَنْ " في موضع نصبٍ على الاستثناء المنقطع " وهذا هو الظَّاهر ، كأنه قيل : لكنّ التّجارة الحاضرة ، فإنَّه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها.

٥٠١

وقرأ عاصم هنا " تِجَارَةً " بالنَّصب ، وكذلك " حَاضِرَةً " ؛ لأنها صفتها ، ووافقه الأخوان ، والباقون قرءوا بالرَّفع فيهما.

فالرَّفع فيه وجهان : أحدهما : أنها التامة ، أي : إلا أن تحدث ، أو تقع تجارة ، وعلى هذا فتكون " تُدِيرونها " في محلِّ رفع صفةً لتجارة أيضاً ، وجاء هنا على الفصيح ، حيث قدَّم الوصف الصريح على المؤول.

والثاني : أن تكون النَّاقصة ، واسمها " تِجَارَةٌ " والخبر هو الجملة من قوله : " تُدِيرُونَهَا " كأنه قيل : إلا أنَّ تكون تجارةٌ حاضرةٌ مدارةٌ ، وسوَّغ مجيء اسم كان نكرةً وَصْفُه ، وهذا مذهب الفراء و [تابعه] آخرون.

وأمَّا قراءة عاصم ، فاسمها مضمرٌ فيها ، فقيل : تقديره : إلا أن تكون المعاملة ، أو المبايعة ، أو التجارة.

وقدَّره الزَّجاج إلاَّ أن تكون المداينة ، وهو أحسن.

وقال الفارسيُّ : " ولا يجوز أن يكون [التَّداينُ] اسم كان ؛ لأنَّ التَّداين معنًى ، والتّجارة الحاضرة يراد بها العين ، وحكم الاسم أن يكون الخبر في المعنى ، والتَّداين حقٌّ في ذمة المستدين ، للمدين المطالبة به ، وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون اسم كان لاختلاف التَّداين ، والتّجارة الحاضرة " وهذا الرد لا يظهر على الزجاج ، لأنَّ التِّجارة أيضاً مصدرٌ ، فهي معنًى من المعاني لا عينٌ من الأعيان ، وأيضاً فإنَّ من باع ثوباً بدرهم في الذِّمَّة بشرط أن يؤدى الدّرهم في هذه السَّاعة ، كان مداينة ، وتجارةً حاضرة.

وقال الفارسيُّ أيضاً : ولا يَجُوزُ أيضاً أن يكون اسمها " الحَقُّ " الذي في قوله : ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ للمعنى الذي ذكرنا في التَّداين ، لأنَّ ذلك الحقَّ دينٌ ، وإذا لم يجز هذا لم يخل اسم كان من أحد شيئين : أحدهما : أنَّ هذه الأشياء التي اقتضت من الإشهاد ، والارتهان قد علم من فحواها التبايُع ، فأضمر التَّبايع لدلالة الحال عليه كما أضمر لدلالة الحال فيما حكى سيبويه رحمه الله : " إذا كَانَ غَداً فَأتني " ؛ وينشد على هذا : [الطويل] ١٢٩٠ - أَعَيْنَيَّ هَلاَّ تَبْكِيَانِ عِفَاقَا

إِذَا كَانَ طَعْناً بَيْنَهُمْ وَعِنَاقَا

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٧٥

." (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٩٤١

"فتحرك حرف العلة ، وانفتح ما قبله ، فقُلِب ألفاً ، فصار مثل قولهم : كبشٌ صافٌ.

أي : صَوِف ، ويومٌ راحٌ ، أي : روحٌ.

وعلى هذا ، فيجري بوجوه الإعراب أيضاً كالذي قبله ، كما تقولُ : هذا بابٌ ورأيتُ باباً ، ومررت ببابٍ.

وهذا أعدل الوُجُوهِ ، لاستراحته من ادِّعاءِ القلبِ ، والحذف اللذين هما على خلاف الأصلِ ، لولا أنه غير مشهور عند أهل التَّصريف.

ومعنى : " هَارٍ " أي : ساقط متداع منهال.

قال الليثُ : الهورُ : مصدر هَارَ الجُرفُ يهورُ ، إذا انصدَعَ من خلفه ، وهو ثابتٌ بعدُ في مكانه ، وهو جرفٌ هارٍ أي : هائر ، فإذا سقط ؛ فقد انهارَ وتَهَيَّر.

ومعناه السَّاقط الذي يتداعى بعضه في أثر بعض كما ينهار الرَّمل والشيء الرخو.

قوله : " فَانْهَارَ " فاعله إمَّا ضميرُ البنيان ، والهاءُ في " به " على هذا ضمير المؤسس الباني أي : فسقط بنيان الباني على شفا جرفٍ هار ، وإمَّا ضمير الشَّفَا ، وإمَّا ضمير الجرف أي : فسقط الشَّفَا ، أو سقط الجرفُ ، والهاء في " بِهِ " للبنيان ، ويجوزث أن يكون للباني المؤسس.

والأولى أن يكون الفاعل ضميرَ الجرف ؛ لأنَّهُ يلزمُ من انهياره انهيارُ الشَّفَا والبنيان جميعاً ، ولا يلزمُ من انهيارهما أو انهيار أحدهما انيهارهُ.

والباءُ في " به " يجوز أن تكون المعدِّية ، وأن تكون التي للمصاحبة ، وقد تقدَّم الخلاف في أول الكتاب أنَّ المعدِّيةَ عند بعضهم تستلزم المصاحبة.

وإذا قيل إنَّها للمصاحبة هنا ؛ فتتعلقُ بمحذوفٍ ؛ لأنَّها حال أي : فانهار مصاحباً له.

فصل معنى الآية : أفمَنْ أسَّس بنيان دينه على قاعدةٍ قويَّة محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ، أمَّنْ أسَّسَ على قاعدة هي أضعف القواعد وأقلها بقاء ، وهو الباطلُ والنِّفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار من أودية جهنم ؟ وكونه شفا جرف هار كان مشرفاً على السُّقوط ولكونه على طرف جهنم ، كان إذا انهار فإنَّما ينهار في قعر جهنم ، فالمعنى أنَّ أحد البنائين قصد بانيه ببنائه تقوى الله ورضوانه ، والبناء الثاني قصد بانيه ببنائه المعصية والكفر فكان البناء الأول شريفاً واجب الإبقاء ، والبناء الثاني خسيساً واجب الهدم ؛ فلا يرى مثال أخس مطابقة لأمر المنافقين من هذا المثال ، ﴿وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

قوله : ﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي : ذلك البنيان صار سبباً لحصول الريبة في قلوبهم.

و " بُنيَانهُم " يحتملُ أن يكون مصدراً على حاله ، أي : لا يزالُ هذا الفعلُ الصَّادرُ منهم ، ويحتملُ أن يكون مراداً به المبني ، وحينئذٍ يضطرُّ إلى حذف مضاف ، أي : بناء بنيانهم ؛ لأن المبنيَّ ليس ريبةً ، أو يقدَّر الحذف من الثاني أي : لا يزال مبنيُّهم سبب ريبة.

وقوله : " الذي بَنَوا " تأكيدٌ دفعاً لوهم من يتوهَّم أنهم لم يَبْنُوا حقيقة ، وإنَّما دبَّرُوا أموراً ، من قولهم : كم أبني وتهدمُ ،

وعليه قوله : [الطويل]

٢١٣

٢٨٤٩ - متى يبلغُ البُنْيانُ يَوْماً تَمَامَهُ

إذَا كُنْتَ تَبْنيهِ وغيْرُكَ يَهْدِمُ ؟

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٢٠٢

فصل في كونه سبباً للريبة وجوه : الأول : أنَّ المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضَّرار ، فلمَّا أمر الرسول بتخريبة ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته.

وثانيها : أنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما أمر بتخريبه ، ظنُّوا أنَّهُ إنَّما أمر بتخريبه حسداص ، فارتفع أمانهم عنه ، وعظم خوفهم منه ، وصاروا مرتابين في أنَّهُ هل يتركهم على ما هم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم ؟ وثالثها : أنَّهم اعتقدوا كونهم محسنين في بناء ذلك المسجد ، كما حبب العجل إلى قوم موسى ، فلمَّا أمر الرَّسول - عليه الصلاة والسلام - بتخريبه بقوا شاكين مرتابين في أنه لأي سبب أمر بتخريبه ؟ قاله ابن عباس.

وقال الكلبيُّ : " ريبة " أي : حسرة وندامة ، لأنهم ندموا على بنائه.

وقال السُّدي : لا يزال هدم بنيانهم ريبة ، أي : حزازة وغيظاً في قلوبهم.

قوله : " إلاَّ أَن تَقَطَّعَ " المستثنى منه محذوفٌ ، والتقدير : لا يزالُ بنيانهم ريبةً في كلِّ وقت إلاَّ وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال إلاَّ حال تقطيعها.

وقرأ ابن عامر ، وحمزة ، وحفص " تقطَّع " بفتح التَّاء ، والأصل تتقطع بتاءين ، فحذفت إحداهما.

وعن ابن كثير " تَقْطع " بفتح الياء وتسكين القاف " قُلوبَهُم " بالنصب ، أي : تفعلُ أنت بقلوبهم هذا الفعل.

وقرأ الباقون " تُقَطَّع " بضمِّها ، وهو مبني للمفعول ، مضارع " قطَّع " بالتشديد.

وقرأ أبيّ " تَقْطَعَ " مخففاً من " قطع ".

وقرأ الحسنُ ، ومجاهد وقتادة ، ويعقوب " إلى أن " بـ " إلى " الجارة.

وأبو حيوة كذلك ، وهي قراءةٌ واضحةٌ في المعنى ، إلاَّ أنَّ أبا حيوة قرأ " تُقَطِّع " بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددةً والفاعل ضميرُ الرسول ، " قُلُوبَهُم " نصباً على المفعول به ، والمعنى بذلك أنه يقتلهم ويتمكَّن منهم

٢١٤

". (١)

"أي هم كذلك ، ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ أي : يظلم ﴿بَلْ أُوْلَائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

قال الحسن بن أبي الحسن : من دعا خصمه إلى حكم من أحكام المسلمين فلم يجب ، فهو ظالم فإن قيل : إذا خافوا أن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٢٦٨٩

يخيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين ، وإذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض ، فالكل واحد ، فأي فائدة في التعديد ؟ فالجواب : قوله : ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ إشارة إلى النفاق ، وقوله : " أَم ارْتَابُوا " إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه.

فإن قيل : هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة ، فكيف أدخل عليها كلمة " أم " ؟ فالجواب الأقرب أنه تعالى أنبههم على كل واحدة من هذه الأوصاف ، فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق ، وكان فيها شك وارتياب ، وكانوا يخافون الحيف من الرسول ، وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ، ثم بين تعالى بقوله : ﴿بَلْ أُوْلَائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بطلان ما هم عليه ، لأن الظلم يتناول كل معصية ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان : ١٣].

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٤٢٦

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

العامة على نصب " قَوْلَ " خبراً لـ " كَانَ " ، والاسم " أنْ " المصدرية وما بعدها.

وقرأ أمير المؤمنين والحسن وابن أبي إسحاق برفعه على أنه الاسم ، و " أَنْ " وما في حَيِّزها الخبر ، وهي عندهم مرجُوحَةٌ ، لأنه متى اجتمع مَعْرِفَتَان فالأولى جعل الأعرف الاسم ، وإن كان سيبويه خيَّر في ذلك بين كل

٤٢٩

معرفتين ، ولم يفرّق هذه التفرقة ، وتقدم تحقيق هذا في " آل عمران ".

فصل قوله : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا اْ إِلَى اللَّهِ﴾ أي : إلى كتاب الله ﴿وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وهذا ليس على طريق الخبر ، ولكنه تعليم أدب الشرع ، بمعنى أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا ، ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أي : سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة ، ﴿وَأُوْلَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ قال ابن عباس : فيما ساءه وسره " وَيَخْشَى اللَّهَ " فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي " وَيَتَّقِهِ " فيما بقي من عمره ﴿فَأُوْلَائِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾ الناجون.

قوله : " وَيَتَّقِهِ ".

القراء فيه بالنسبة إلى القاف على مرتبتين : الأولى : تسكينُ القاف ، ولم يقرأ بها إلاّ حفص.

والباقون بكسرها.

وأما بالنسبة إلى هاء الكناية فإنهم فيها على خمس مراتب : الأولى : تحريكُهَا مَفْصُولةً قولاً واحداً ، وبها قرأ ورشٌ وابن ذَكْوَانَ وخَلَفٌ وابن كثير والكسائيّ.

الثانية : تسكينها قولاً واحداً ، وبها قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم.

الثالثة : إسكان الهاء أو وصلها بياء ، وبها قرأ خلاَّد.

٤٣٠

الرابعة : تحريكها من غير صلة ، وبها قرأ قالون وحفص.

الخامسة : تحريكها موصولة أو مقصورة ، وبها قرأ هشام.

فأمَّا إسكان الهاء وقصرها وإشباعها فقد مرَّ تحقيقه مستوفىً.

وأما تسكين القاف فإنهم حملوا المنفصل على المتَّصل ، وذلك أنهم يُسَكِّنُون عين " فَعل " فيقولون : كَبْد ، وكتف ، وصبر في كَبِد وكَتِف وصبِر ، لأنها كلمة واحدة ، ثم أجري ما أشبه ذلك من المنفصل مُجْرَى المتصل ، فإن " يَتَّقِه " صار منه " تَقِه " بمنزلة " كَتِف " فسكن كما يسكن ، ومنه :

٣٨٤٩ - قَالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنَا سَوِيقَا

بسكون الراء كما سكن الآخر :

٣٨٥٠ - فَبَاتَ مُنْتَصباً وَمَا تَكَرْدَسَا

وقول الآخر : ٣٨٥١ - عَجِبْتُ لِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ

وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٤٢٩

يريد : " مُنْتَصِباً " ، و " لَمْ يَلِدْهُ ".

٤٣١

وتقدم في أول البقرة تحرير هذا الضابط في قوله : " فهي كالحجارة " و " هي " و " هو " ونحوها : وقال مكيٌّ : كان يجب على من سَكَّنَ القاف أن يضُمَّ الهاء ، لأنَّ هاء الكناية إذا سُكِّن ما قبلها ولم يكن الساكن ياءً ضُمَّتْ نحو " مِنْهُ " و " عَنْهُ " ، ولكن لما كان سكون القاف عارضاً لم يعتدَّ به ، وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف ، ولم يصلها بياء ، لأنَّ الياء المحذوفة قبل الهاء مُقَدَّرَةٌ مَنْوِيَّةٌ ، (فبقي الحذف الذي في الياء قبل الهاء على أصله).

وقال الفارسيُّ : الكسرة في الهاء لالتقاء الساكنين ، وليست الكسرة التي قبل الصلة ، وذلك أنَّ هاء الكناية ساكنةٌ في قراءته ، ولما أَجْرَى " تَقِهِ " مجرى كَتِفٍ ، وسكَّن القاف التقى ساكنان ، ولَمَّا التقيا اضطر إلى تحريك أحدهما ، فإمَّا أن يحرِّك الأول أو الثاني ، (و) لا سبيل إلى تحريك الأول ، لأنه يعود إلى ما فرَّ منه ، وهو ثقل " فَعِل " فحرَّك ثانيهما (على غير) أصل التقاء الساكنين ، فلذلك كسر الهاء ، ويؤيده قوله : ٣٨٥٢ - ....

." (١)

"قوله : ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ﴾.

تقدم الخلاف فيه.

وأبو عمرو يقرأ هنا : " واللاّئي يئسن " بالإظهار.

وقاعدته في [مثله] الإدغام ، إلا أن الياء لما كانت عنده عارضة لكونها بدلاً من همزة ، فكأنه لم يجتمع مثلان ، وأيضاً لإن سكونها عارض ، فكأن ياء " اللائي " متحركة ، والحرف ما دام متحركاً لا يدغم في غيره ، وقرىء : " يَئِسْنَ " فعلاً ماضياً. وقرىء : " يَيْئَسْنَ " مضارع.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٣٨٤٩

و ﴿الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾.

" من " الأولى لابتداء الغاية ، وهي متعلقة بالفعل قبلها ، والثانية للبيان متعلقة بمحذوف.

و " اللاَّئِي " مبتدأ ، و " فَعدَّتُهُنَّ " مبتدأ ثانٍ ، و " ثَلاثةُ أشْهُرٍ " خبره ، والجملة خبر الأول ، والشرط معترض ، وجوابه محذوف.

ويجوز أن يكون " إن ارْتَبْتُمْ " جوابه ﴿فعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ﴾ ، والجملة الشرطية خبر المبتدأ ، ومتعلق **الارتياب** محذوف ، تقدير : إن ارتبتم في أنها يئست أم لا لإمكان ظهور حمل وإن كان انقطع دمها.

١٦١

وقيل : إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس أهو دم حيض ، أو استحاضة ، وإذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغير المُرتَاب فيها أولى.

وأغرب ما قيل : إن " إنِ ارتَبْتُمْ " بمعنى : تَيَقَّنْتُمْ ، فهو من الأضداد.

قوله : ﴿وَاللاَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾.

مبتدأ ، خبره محذوف ، فقدره جملة كالأولى ، أي : فعدتهن ثلاثة أشهر أيضاً ، والأولى أن يقدر مفرداً ، أي : فذلك أو مثلهن.

ولو قيل : بأنه معطوف على " اللاَّئِي يَئِسْنَ " عطف المفردات ، وأخبر عن الجمع بقوله : " فعدَّتُهُنَّ " لكان وجهاً حسناً ، وأكثر ما فيه توسُّطُ الخبر بين المبتدأ وما عطف عليه.

وهذا ظاهر قول أبي حيان : و ﴿وَاللاَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معطوف على قوله " واللاَّئِي يَئِسْنَ " ، فإعرابه مبتدأ كإعراب " واللائي ".

قوله : ﴿وَأُوْلاَتُ الأَحْمَالِ﴾ مبتدأ ، و " أجَلُهُنَّ " مبتدأ ثانٍ ، و " أن يَضَعْنَ " خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر الأول.

والعامَّة : على إفراد " حَمْلَهُنَّ ".

والضحاك : " أحْمَالهُنَّ ".

فصل في عدة التي لا ترى الدم لما بين أمر الطلاق والرجعة في التي تحيض ، وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الأقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم.

قال أبو عثمان عمير بن سليمان : لما نزل عدة النِّساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها ، قال أبيُّ بن كعب : يا رسول الله ، إن ناساً يقولون : قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء ، الصغار والكبار وذوات الحَمْل ، فنزلت : ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ﴾ الآية.

وقال مقاتل : لما ذكر قوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة : ٢٢٨] قال

١٦٢

خلاَّد بن النعمان : يا رسول الله ، فما عدّة التي لم تَحِضْ ، وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحُبْلى ؟ فنزلت : ﴿وَاللاَّئِي

يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ ، يعني : قعدن عن الحيض.
وقيل : إن معاذ بن جبل سأل عن عدّة الكبيرة التي يئست ، فنزلت الآية.
وقال مجاهد : الآية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو أو دم علة ؟ .
فصل في تفسيرة الآية قال المفسرون : ﴿وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ ، فلا يرجون أن يحضن " إن ارتبْتُمْ " أي : شككتم.
وقيل : تيقنتم ، وهو من الأضداد ، يكون شكّاً ويقيناً كالظَّن.
واختيار الطَّبري : أن يكون المعنى إن شككتم ، فلم تدروا ما الحكم فيهن.
وقال الزجاج : إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها.
قال القشيري : وفي هذا نظر ، لأنا إذا شككنا ، هل بلغت سن اليأس لم نقل : عدتها ثلاثة أشهر.
والمعتبر في سن اليأس أقصى عادة امرأة في العالم.
وقيل : غالب نساء عشيرة المرأة.
وقال مجاهد : قوله : " إن ارْتَبْتُمْ " للمخاطبين ، يعني إن لم تعلمواكم عدة الآيسة ، والتي لم تحضْ فالعدّة هذه.
وقيل : المعنى إن ارتبتم أن الدم الذي يظهر منها من أجل كبر أو من الحيض المعهود أو من الاستحاضة فالعدة ثلاثة أشهر.
وقال عكرمة وقتادة : من الريبة المرأة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في أول الشهر مراراً ، وفي الشهر مرة.
وقيل : إنه متصل بأول السورة ، والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن إن ارتبتم في انقضاء العدة.
١٦٣
." (١)

"قال القرطبي : " وهو أصح ما قيل فيه ".
فصل في المرتابة في عدتها المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرىء نفسها من ريبتها ، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الرِّيبة ، وقد قيل في المرتابة التي ارتفع حيضها ، لا تدري ما رفعه إنها تنتظر سنة من يوم طلَّقها زوجها ، منها تسعة أشهر استبراء ، وثلاثة عدة ، فإن طلقها فحاضت حيضة ، أو حيضتين ، ثم ارتفع حيضها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت [للأزواج].
وهذا قول الشافعي بالعراق.
فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد التسعة أشهر [أربعة أشهر وعشراً ، والأمة شهرين وخمس ليال بعد التسعة أشهر].
وروي عن الشافعي أيضاً : أن أقراءها على ما كانت حتى تبلغ سنَّ اليائسات.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٤٩٥٥

وهو قول النخعي والثوري وغيرهما ، وحكاه أبو عبيدة عن أهل العراق.

فصل في ارتياب المرأة الشابة إذا ارتابت المرأة الشابة هل هي حامل أم لا ؟ فإن اسبان حملها فأجلها وضعه ، وإن لم يستبن ، فقال مالك : عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة ، وبه قال أحمد وإسحاق وروي عن عمر بن الخطَّاب وغيره.

وأهل " العراق " يرون أن عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وإن مكثت عشرين سنةً ، إلا أن تبلغ من الكبر سنّاً تيأس فيه من الحيضِ فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر.

قال الثعلبي : وهذا الأصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء ، وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه.

قال إلكيا : وهو الحق ، لأن الله تعالى جعل عدة الآيسة ثلاثة أشهر.

والمرتابة ليس آيسة.

فصل فيمن تأخر حيضها لمرض فأما من تأخر حيضها لمرض ، فقال مالك وبعض أصحابه : تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة كما تقدم.

١٦٤

وقال أشهب : هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض أو بالسنة.

وقد طلق حبان بن منقذ امرأته وهي ترضع ، فمكثت سنة لا تحيض لأجل الرضاع ثم مرض حبان فخاف أن ترثه فخاصمها إلى عثمان وعنده عليّ وزيد فقالا : نرى أن ترثه ، لأنها ليست من القواعد ولا من الصغار ، فمات حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة.

فصل لو تأخّر الحيض بغير مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها ، تسعة أشهر ثم ثلاثة على ما تقدم ، فتحل ما لم ترتب بحمل ، فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام أو خمس أو سبعة على الاختلاف.

قال القرطبي : " وأشهر الأقوال خمسة أعوام ، فإن تجاوزتها حلّت ".

وقال أشهب : لا تحل أبداً حتى تنقطع عنها الريبة.

قال ابن العربي : " وهو الصحيح ، إذا جاز أن يبقى الولد في بطنها خمسة أعوام جاز أن يبقى عشرة أو أكثر من ذلك " ، وروي مثله عن مالك.

فصل فيمن جهل حيضها بالاستحاضة وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها أقوال : قال ابن المسيب : تعتد سنة. وهو قول الليث.

قال الليث : عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها إذا كانت مستحاضة " سنة ".

قال القرطبي : " وهو مشهور قول علمائنا ، سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها ، وميزت ذلك أو لم تميزه ، عدّتها في مذهب مالك سنة ، منها تسعة أشهر استبراء ، وثلاثة عدّة ".

وقال الشَّافعي في أحد أقواله : عدتها ثلاث أشهر وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين.

قال ابن العربي : " وهو الصحيح عندي ".

وقال أبو عمر : المستحاضة إذا علمت إقبال حيضتها وإدبارها اعتدت بثلاثة قُرُوءٍ.
قال القرطبي : " وهذا أصحّ في النظر ، وأثبت في القياس والأثر ".
قوله : ﴿وَاللاَّتِي لَمْ يَحِضْنَ﴾.
١٦٥
". (١)

"فالجواب : نحمله على ثمرات الإيمان ، وعلى آثاره ولوازمه.
قوله تعالى : ﴿وَلاَ يَرْتَابَ﴾ ، أي : ولا يشك ﴿الَّذِينَ أُوتُواْ﴾ أي : أعطوا ﴿الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أي : المُصدِّقُون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنَّ خزنة جهنَّم تسعة عشر.
فإن قيل : لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب ، وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين ، فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك : ﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ؟ .
فالجواب : أن الإنسان إذا اجتهد في أمرٍ غامضٍ دقيقِ الحُجَّة كثير الشُّبه ، فحصل له اليقين ، فربَّما غفل عن مقدمةٍ من مقدِّمات ذلك الدليل الدقيق ، فيعود الشرك ، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان **الارتياب** بعد ذلك ، ففائدة هذه الإعادة نفي ذلك الشكِّ ، وأنه حصل له يقينٌ جازمٌ ، لا يحصل عقيبه شكٌّ ألبتة.
قوله تعالى : ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ، أي : في صدورهم شكٌّ ونفاقٌ من منافقي أهل " المدينة " الذين يجيئون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ، وهذا إخبار عما سيكون ففيه معجزة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ أي : اليهود والنصارى ﴿مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَاذَا مَثَلاً﴾ يعني : بعدد خزنةِ جهنَّم ، وهذا قول أكثر المفسرين.
وقال الحسن بن الفضل : السورة مكيّة ، ولم يكن بـ " مكة " نفاقٌ ، فالمرض في هذه الآية الخلاف ، والمراد بالكافرين : مشركو العرب ، ويجوز أن يُراد بالمرض الشكُّ والارتيباب لأن أهل " مكة "كان أكثرهم مشركين ، وبعضهم قاطعين بالكذب ، وقوله تعالى إخباراً عنهم : ﴿مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَاذَا مَثَلاً﴾ ؟ أي : هذا العدد الذي ذكره حديثاً ، أي ما هذا من الحديث.
قال الليث رحمه الله : المثل الحديث ، ومنه : ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد : ١٥] ، أي حديثها والخبر عنها.
وقال ابن الخطيب : إنما سمَّوه مثلاً ؛ لأنه لمَّا كان هذا العدد عدداً عجيباً ظن القوم أنه رُبَّما لم يكن مراداً لله منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلاً لشيء آخر تنبيهاً على مقصود آخر - لا جَرمَ سمَّوه مثلاً - لأنهم لمَّا اسغربوه ظنُّوا أنه ضرب مثلاً لغيره ، و " مَثَلاً " تمييزٌ أو حالٌ ، وتسمية هذا مثلاً على سبيل الاستعارة لغرابته.
فصل في لام : " وليقول " " اللام " في قوله تعالى : ﴿وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ جار على أصول أهل السُّنة ؛ لأن ذلك مراد ، وعند المعتزلة : هي لا العاقبة ، ونسبوه إلى الله - عز وجل - مع أنهم ينكرون ذلك ، إما على سبيل التَّهكُّم ، وإما على ما يقولونه.

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٤٩٥٦

٥٢٤
". (١)

"" صفحة رقم ٤٦٢ "

) وكذلك أنزلنآ إليك الكتاب فالذين ءاتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هاؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنآ إلا الكافرون (العنكبوت : (٤٧) وكذلك أنزلنا إليك . . . . .

ومثل ذلك الإنزال) أنزلنا إليك الكتاب (أي : أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية ، تحقيقا لقوله : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم . وقيل : كما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب) فالذين ءاتيناهم الكتاب (هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه) ومن هؤلاء (من أهل مكة وقيل : أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أهل الكتاب . ومن هؤلاء ممن في عهده منهم) وما يجحد باياتنآ (مع ظهورها وزوال الشبهة عنها ، إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه . وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه .

) وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون بل هو ءايات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بأاياتنآ إلا الظالمون (

العنكبوت : (٤٨) وما كنت تتلو . . . . .

وأنت أمي ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط) إذا لارتاب المبطلون (لو كان شيء من ذلك ، أي ، من التلاوة والخط) لارتاب المبطلون (من أهل الكتاب وقالوا : الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به . أو لارتاب مشركو مكة وقالوا : لعله تعلمه أو كتبه بيده . فإن قلت : لم سماهم مبطلين ، ولو لم يكن أميا وقالوا : ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ؟ ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارىء كاتب ؟ قلت : سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب ، فكأنه قال : هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب ، فحين ليس بقارىء كاتب فلا وجه لارتيابهم . وشيء آخر : وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ، ووجب الإيمان بهم وبما جاؤوا به ، لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات ، فهب أنه قارىء كاتب فمالهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام ؟ على أن المنزلين ليسا بمعجزين ، وهذا المنزل معجز ، فإذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ، ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي . فإن." (٢)

"" صفحة رقم ٣٨٠ "

(توقيت لما أمروا به أن يقولوه ، كأنه قيل لهم) ولاكن قولوا أسلمنا (حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم ؛ لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في) قولوا (وما في (لما) من معنى التوقع : دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد) لا يلتكم (لا ينقصكم ولا يظلمكم . يقال : ألته السلطان حقه أشد الألت ، وهي لغة غطفان . ولغة أسد وأهل الحجاز : لاته

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ص/٥١١١

(٢) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/٤٦٢

ليتا . وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت : الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ، ولا تصمه الأصوات . وقرىء باللغتين (لا يلتكم) ولا يألتكم . ونحوه في المعنى) فلا تظلم نفس شيئا ((الأنبياء : ٤٧) . ومعنى طاعة الله ورسوله : أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته ، فإن فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ، ووهب لهم مغفرته . وأنعم عليهم بجزيل ثوابه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة ، فأظهروا الشهادة ، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات ، وأغلوا أسعارها ، وهم يغدون ويروحون على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقولون : أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ، وجئناك بالأثقال والذراري ، يريد الصدقة ويمنون عليه ، فنزلت .

) إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولائك هم الصادقون (الحجرات : (١٥) إنما المؤمنون الذين . . . . .

ارتاب : مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة . والمعنى : أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ، ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه . فإن قلت : ما معنى ثم هاهنا وهي التراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه ، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب ؟ قلت : الجواب على طريقين ، أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه ، أو نظر هو نظرا غير سديد ويسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا ، فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات . ونظيره قوله :) ثم استقاموا ((فصلت : ٣٠) والثاني : أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان ، تنبيها على مكانه ؛ وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا .) وجاهدوا (يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى . وأن يكون جاهد مبالغة في جهد . ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس : الغزو ، وأن يتناول العبادات بأجمعها ، وبالمجاهدة بالمال : نحو ما." (١)

"" صفحة رقم ٦٥٣ "

أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم ، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش ، أنا أكفيكم سبعة عشر ، فأكفوني أنتم اثنين ، فأنزل الله) وما جعلنا أصحاب النار إلا ملئكة (أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون . فإن قلت : قد جعل افتنان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين ، فما وجه صحة ذلك ؟ قلت ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك ، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا ، وذلك أن المراد بقوله) وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا (وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر ، فوضع) فتنة للذين كفروا (موضع) تسعة عشر (ويعترض ويستهزيء ، ولا يذعن إذعان المؤمن ، وإن خفى عليه وجه الحكمة ، كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها ،

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣٨٠/٤

لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب ، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين ، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله ، وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ، ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك . فإن قلت : لم قال) ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون (والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء **الارتياب** ؟ قلت لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك . كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ، ولأن فيه تعريضا بحال من." (١)

"" صفحة رقم ٦٥٤ "

عداهم ، كأنه قال : ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر . فإن قلت : كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون ، والسورة مكية ، ولم يكن بمكة نفاق ، وإنما نجم بالمدينة ؟ قلت : معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة) والكافرون (بمكة) ماذا أراد الله بهاذا مثلا (وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب ، وذلك لا يخالف كون السورة مكية . ويجوز أن يراد بالمرض : الشك **والارتياب** ، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب . فإن قلت : قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء **الارتياب** وقول المنافقين والكافرين غرضا ؟ قلت : أفادت اللام معنى العلة والسبب ، ولا يجب في العلة أن تكون غرضا ، ألا ترى إلى قولك : خرجت من البلد لمخافة الشر ، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك .) مثلا (تمييز لهذا ، أو حال منه ، كقوله :) هاذه ناقة الله لكم ءاية ((هود : ٦٤) ، فإن قلت : لم سموه مثلا ؟ قلت : هو استعارة من المثل المضروب . لأنه مما غرب من الكلام وبدع ، استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له . والمعنى : أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب ، وأي غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ، ومرادهم إنكاره من أصله ، وأنه ليس من عند الله ، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص . الكاف في) كذلك (نصب ، وذلك : إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى ، أي : مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين ، يعني : يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب ، فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا ، وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا) وما يعلم جنود ربك (وما عليه كل جدد من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص ، وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة) إلا هو (ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في أعداد السموات والأرضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات في الشريعة أو : وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو ، فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها . وقيل : هو جواب لقول أبي جهل : أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر ، وما جعلنا أصحاب النار إلى قوله إلا هو : اعتراض . وقوله :)

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/٦٥٣

وما هي إلا ذكرى (متصل بوصف سقر وهي ضميرها أي : وما سقر وصفتها إلا تذكرة) للبشر (أو ضمير الآيات التي ذكرت فيها .." (١)

"« الجلد ثابت بالنص القرآني القاطع »

أم الجلد : فقد ثبت بالنص القرآني القاطع ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ والآية الكريمة إنما هي في حد الزاني (غير المحصن) والآية وإن كانت عامة في كل (زان) إلا أن السنة النبوية قد بينت ذلك ووضحته كما في حديث (عبادة بن الصامت) المتقدم ومهمة الرسول البيان كما قال تعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] وكفى بتوضيح الرسول وبيانه وتفصيلاً وبياناً لمجمل القرآن!!

« الرجم ثابت بالسنة النبوية المتواترة »

وأمّا الرجم : فقد ثبت بفعل النبي A وقوله ، وعمله ، وكذلك بإجماع الصحابة والتابعين فقد ثبت بالروايات الصحيحة التي لا يتطرأ إليها الشك ، وبطريق التواتر أن النبي A أقام (حد الرجم) على بعض الصحابة كماعز ، والغامدية ، وأن الخلفاء الراشدين من بعده قد أقاموا هذا الحد في عهودهم وأعلنوا مراراً أن الرجم هو الحد للزنى بعد الإحصان .

ثم ظلّ فقهاء الإسلام في كل عصر وفي كل مصر مجمعين على كونه حكماً ثابتاً وسنة متبعة وشريعة إلهية قاطعة ، بأدلة متضافرة لا مجال للشك فيها أو **الارتياب** ، وبقي هذا الحكم إلى عصرنا هذا لم يخالف فيه أحد إلا فئة شاذة من المنحرفين عن الإسلام هم (الخوارج) حيث قالوا : إن الرجم غير مشروع وسنبين فساد مذهبهم فيما يأتي :

أدلة الخوارج والرد عليها :

استدل الخوارج على أنّ الرجم غير مشروع بأدلة ثلاثة هي أوهَى من بيت العنكبوت نلخصها فيما يلي :

أولاً : قالوا الرجمُ أشدُّ العقوبات فلو كان مشروعاً لذكِر في القرآن ولّما يذكر دل على أنه غير مشروع .

ثانياً : إن حدّ الأمة نصف حد الحرة ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المحصنات مِنَ العذاب ﴾ [النساء : ٢٥] والرجم لا ينتصف فلا يصح أن يكون حداً للحرة .

ثالثاً : إن الحكم عام في جميع الزناة وتخصيص (الزاني المحصن) من هذا الحكم مخالف للقرآن .

هذه هي خلاصة أدلتهم وهي في الواقع تدل على جهلهم الفاضح وعدم فهمهم لمهمة الرسول A أو سوء إدراكهم لأسرار القرآن ومقاصده ، وذلك منتهى الجهل والغباء .

الرد على أدلة الخوارج :

وقد ردّ أهنل السنة والجماعة على الخوارج بأدلة دامغة تقصم ظهر الباطل ، وتخرس كلّ أفّاك أثيم نلخصها فيما يلي :

أولاً : إن عدم ذكر الرجم في القرآن لا يدل على عدم المشروعية فكثير من الأحكام الشرعية لم تذكر في القرآن وإنما بينتها السنة النبوية والله تعالى قد أمرنا باتباع الرسول والعمل بأوامره." (٢)

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٦٥٤/٤

(٢) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، المؤلف غير معروف ص/٢٩٧

"واختلف في تقدير سن اليأس على أقوال عديدة :

فقدره بعض الفقهاء بستين سنة .

وقدَّره بعضهم بخمس وخمسين سنة .

وقيل : غالب سن يأس عشيرة المرأة .

وقيل : أقصى عادة امرأة في العالم .

وقيل : غالب سن يأس النساء في مكانها التي هي فيه ، فإن المكان إذا كان طيّب الهواء والماء ، يبطئ فيه سن اليأس .

وأما المرأة إذا كانت تحيض ثم لم تر الحيض في عدتها ولم يُدْر سببه :

فقال الحنفية والشافعية : إن عدتها الحيض حتى تدخل في السن التي لا تحيض أهلها من النساء فتستأنف عدة الآيسة ثلاثة أشهر .

ونقل عن علي وعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود .

وقال مالك وأحمد : تنتظر تسعة أشهر لتعلم براءة رحمها لأن هذه المدة هي غالب مدة الحمل فإذا لم يبن الحمل فيها علم براءة الرحم ، ثم تعتد بعد ذلك عدة الآيسات ثلاثة أشهر . ونقل عن عمر أنه قضى ذلك .

الحكم الثاني : ما المراد من قوله تعالى : ﴿ إِنِ ارتبتم فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أَشْهُرٍ ﴾ ؟

قال الجصاص : غير جائز أن يكون المراد به **الارتياب** في الإياس؛ لأنَّا إذا شككنا هل بلغت سن اليأس لم نقل عدَّتُها ثلاثة أشهر .

واختلف أهل العلم في (الريبة) المذكورة في الآية على أقوال :

اختار الطبري : أن يكون المعنى « إن شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن؟ فالحكم أن عدتهن ثلاثة أشهر » وهو قول الجصاص فقد قال : « وذِكْر **الارتياب** في الآية إنما هو على وجه ذكر السبب الذي نُزل عليه الحكم فكان بمعنى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر . . . » ونقل عن مجاهد .

وقال مجاهد : الآية واردة في المستحاضة أطبق بها الدم لا تدري أهو دم حيض أو دم علة .

وقال عكرمة وقتادة : من الريبة المرأة المستحاضة التي لم يستقيم لها الحيض ، تحيض في أول الشهر مراراً وفي الأشهر مرة .

وقيل : إنه متصل بأول السورة والمعنى « لا تخرجوهن من بيوتهن إن ارتبتم في انقضاء العدة » .

قال القرطبي : وهو أصح ما قيل فيه .

وقال الزجاج : المعنى إن ارتبتم في حيضهن ، وقد انقطع عنهن الدم وكن ممن يحيض مثلهن .

وقيل : إن ارتبتم أي تيقنتم وهو من الأضداد .

الحكم الثالث : ما هي عدة الحامل؟

نصت الآية على أن الحامل تنتهي عدتها بولادتها ، ودل قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾ [البقرة : ٢٣٤] على أن عدةالمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً ، فإذا كانت

المتوفى عنها زوجها حاملاً فبأي الأجليت تأخذ؟ ولم يختلف السلف والخلف أن عدة المطلقة الحامل أن تضع حملها ، واختلفوا في المتوفى عنها زوجها .." (١)

"

أي أظننتم أنكم تدخلون الجنة بدون ابتلاءات تحدث لكم؟ إن الحق سبحانه ينفي هذا الظن ويقول: ليس الأمر كذلك، بل لابد من تحمل تبعات الإيمان، فلو كان الإيمان بالقول لكان الأمر سهلا، لكن الذي يُصَعِبُ الإيمان هو العمل، أي حمل النفس على منهج الإيمان. لقد استكبر بعض من الذين عاصروا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقولوا: " لا إله إلا الله " لأنهم فهموا مطلوبها؛ لأن الأمر لو اقتصر على مجرد كلمة تقال بلا رصيد من عمل يؤديها، لكان أسهل عليهم أن يقولوها، لكنهم كانوا لا يقولون إلا الكلمة بحقها، ولذلك أيقنوا تماما أنهم لو قالوا: " لا إله إلا الله " لانتهت كل معتقداتهم السابقة، لكنهم لم يقولوها؛ لأنهم أبوا وامتنعوا عن القيام بحقها وأداء مطلوبها.

إن الحق يقول: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ ﴾ فما العلاقة بين هذه الآية وما سبق من الآيات؟ لقد كان الحديث عن بني إسرائيل الذين حسبوا أنهم يدخلون الجنة بدون أن يبتلوا، وصارت لهم أهواء يحرفون بها المنهج. أما أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليهم أن يستعدوا للابتلاء، وأن يعرفوا كيف يتحملون الصعاب.

ونحن نعرف في النحو أن هناك أدوات نفي وجزم. ومن أدوات النفي " لم " و " لما " فعندما نقول: " لم يحضر زيد " فهذا حديث في الماضي، ومن الجائز أن يحضر الآن. ولكن إذا قلت: " لما يحضر زيد " فالنفي مستمر حتى الآن، أي أنه لم يأتي حتى ساعة الكلام لكن حضوره ومجيئه متوقع. ولذلك يقول الحق:﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[الحجرات: ١٤]

وعندما سمع الأعراب ذلك قالوا: نحمد الله، فمازال هناك أمل أن نؤمن. لقد أراد الله أن يكون الأعراب صادقين مع أنفسهم، وقد نزلت هذه الآية كما يقول بعض المفسرين في قوم من بني أسد، جاءوا إلى المدينة في سنة جدب، وأعلنوا الشهادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، وكانوا يطلبون الصدقة، ويحاولون أن يمنوا على الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم لم يقاتلوه كما فعل غيرهم، فجاءت هذه الآية لتوضح أن الإيمان درجة أرقى من إظهار الإسلام. لكن ذلك لا يعني أنهم منافقون، ولذلك يوضح القرآن الكريم أن إظهار الإسلام لا يعني الإيمان؛ لأن الإيمان عملية قلبية.

لقد أعلنوا الخضوع لله، وأرادوا أن يقوموا بأعمال المسلمين نفسها لكن ليس هذا هو كل الإيمان. وهم قالوا: ﴿ آمَنَّا ﴾ فقال الحق لهم: لا لم تؤمنوا وكونوا صادقين مع أنفسكم فالإيمان عملية قلبية، ولا يقال إنك آمنت؛ لأنها مسألة في قلبك، ولكن قل أسلمت، أي خضعت وفعلت مثلما يفعل المؤمنون، فهل فعلت ذلك عن إيمان أو غير إيمان.

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، المؤلف غير معروف ص/٦٠٢

إن ذلك هو موضوع آخر. هنا تقول الآية: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾ أي لا يمكن أن تدخلوا الجنة إلا إذا جاءكم من الابتلاء مثل من سبقكم من الأمم ولابد أن تُفتنوا وأن تمحصوا ببأساء وضراء، ومن يثبت بعد ذلك فهو يستحق أن يدخل الجنة، فلا تظنوا أنكم أمة متميزة عن غيركم في أمر الاختبار، فأنتم لن تدخلوا الجنة بلا ابتلاء، بل على العكس سيكون لكم الابتلاء على قدر النعماء.

أنتم ستأخذون مكانة عالية في الأمم ولذلك لابد أن يكون ابتلاؤكم على قدر مكانتكم، فإن كنتم ذوي مكانة عالية وستحملون الرسالة الخاتمة وتنساحون في الدنيا فلا بد أن يكون ابتلاؤكم على قدر عظمة مسئوليتكم ومهمتكم.

﴿ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾ إن قول الله: ﴿ وَلَمَّا ﴾ يفيد بأن ما حدث للذين من قبلهم من ابتلاء عليهم سيقع على المؤمنين مثله.

وعندما نتأمل قوله الحق: ﴿ وَزُلْزِلُواْ ﴾ فأنت تكتشف خاصية فريدة في اللغة العربية، هذه الخاصية هي تعبير الصوت عن واقعية الحركة، فكلمة " زلزلوا " أصلها زلزلة، وهذه الكلمة لها مقطعان هما " زل، زل ". و " زل ": أي سقط عن مكانه، أو وقع من مكانه، والثانية لها المعنى نفسه أيضاً، أي وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر: وقوع أول، ووقوع ثانٍ، والوقوع الثاني ليس امتداداً للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة، إن الزلة الثانية تأتي عكس الزلة الأولى في الاتجاه، فكأنها سقوط جهة اليمين مرة، وجهة الشمال مرة أخرى.

ومثل ذلك " الخلخلة " أي حركة في اتجاهين معاكسين " خَلّ " الأولى جهة اليمين، و " خَلّ " الثانية جهة اليسار، وبهذا تستمر الخلخلة.

وهكذا " الزلزلة " تحمل داخلها تغير الاتجاه الذي يُسمى في الحركة بالقصور الذاتي. والمثال على ذلك هو ما يحدث للإنسان عندما يكون راكباً سيارة، وبعد ذلك يأتي قائد السيارة فيعوقها بالكابح " الفرامل " بقوة، عندئذ يندفع الراكب للأمام مرة، ثم للخلف مرة أخرى، وربما تكسر زجاج السيارة الأمامي حسب قوة الاندفاع؛ ما الذي تسبب في هذا الاندفاع؟ إن السبب هو أن جسم الراكب كان مهيأً لأن يسير للأمام؛ والسائق أوقف السيارة والراكب لا زال مهيأً للسير للأمام، فهو يرتج، وقد يصطدم بأجزاء السيارة الداخلية عند وقوفها فجأة. وعملية " الزلزلة " مثل ذلك تماماً، ففيها يصاب الشيء بالارتجاج للأمام والخلف، أو لليمين واليسار، وفي أي جهتين متعاكستين.

و ﴿ وَزُلْزِلُواْ ﴾ يعني أصابتهم الفاجعة الكبرى، الملهية، المتكررة، وهي لا تتكرر على نمط واحد، إنما يتعدد تكرارها، فمرة يأخذها الإيمان، ثم تأخذها المصائب والأحداث، وتتكرر المسألة حتى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾؟

ويأتي بعده القول: ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ فهل يتساءلون أولاً، ثم يثوبون إلى رشدهم ويردون على أنفسهم ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ أم أن ذلك إيضاح بأن المسألة تتأرجح بين ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وبين ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾؟.

لقد بلغ الموقف في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختيار والابتلاء إلى القمة، ومع ذلك واصل الرسول صلى الله عليه وسلم والذين معه الاستمساك بالإيمان. لقد مستهم البأساء والضراء وزلزلوا، أي أصابتهم رجفة عنيفة هزتهم، حتى وصل الأمر من أثر هذه الهزة أن ﴿ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾. إن مجيء الأسلوب بهذا الشكل ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ يعني استبطاء مجيء النصر أولاً، ثم التبشير من بعد ذلك في قوله الحق: ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾. ولم يكن ذلك للشك **والارتياب** فيه. وهذا الاستبطاء، ثم التبشير كان من ضمن الزلزلة الكبيرة، فقد اختلطت الأفكار: أناس يقولون: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ فإذا بصوت آخر من المعركة يرد عليهم قائلا: ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

وسياق الآية يقتضي أن الذين قالوا: ﴿ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ هم الصحابة، وأن الذي قال: ﴿ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ينتقل الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك إلى قضية أخرى، هذه القضية شاعت في هذه الصورة وهي ظاهرة سؤال المؤمنين عن الأشياء، وهي ظاهرة إيمانية صحية، وكان في استطاعة المؤمنين ألا يسألوا عن أشياء لم يأتِ فيها تكليف إيماني خوفاً من أن يكون في الإجابة عنها تقييد للحركة، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه ".

ورغم ذلك كانوا يسألون عن أدق تفاصيل الحياة، وكانت هذه الظاهرة تؤكد أنهم عشقوا التكليف من الله؛ فهم يريدون أن يبنوا كل تصرفاتهم بناءً إسلامياً، ويريدون أن يسألوا عن حكم الإسلام في كل عمل ليعملوا على أساسه. يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ... ﴾

(١) ".

"

ثم يُنزِل الله حكمه في هؤلاء فيقول:

﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾

وهكذا أصدر الله حكمه فيمن أقدموا على الاستئذان، فما دام الإنسان قد تردد بين أن يخرج للجهاد أو لا يخرج، فهذا يكشف عن اهتزاز إيمانه، وهذا الاهتزاز يعني وجود شك في نفسه، فيما أعد الله له في الآخرة؛ لأنه إذا كان واثقاً في داخله يقيناً أنه سيدخل الجنة بلا حساب إنْ استشهد، ما تردد ثانية واحدة، ولا أدار الأمر في رأسه هل يذهب أو لا يذهب؟ فما دامت الجن هي الغاية، فأيُّ طريق مُوصل إليها يكون هو الطريق الذي يتبعه مَنْ في قلبه يقين الإيمان، وكلما كان الطريق أقصر كان ذلك أدعى إلى فرح الإنسان المؤمن؛ لأنه يريد أن ينتقل من شقاء الدنيا إلى نعيم الآخرة، وحتى لو كان يحيا في نعيم في الدنيا، فهو يعرف أنه نعيم زائل وهو لا يريد هذا النعيم الزائل، بل يريد النعيم الباقي الذي لا يزول.

---

(١) تفسير الشعراوي، المؤلف غير معروف ص/٢١٧

والتردد والاستئذان هنا معناهما: أن الشك قد دخل في قلب الإنسان، ومعنى الشك –كما نعلم– هو وجود أمرين متساويين في نفسك لا يرجح أحدهما حتى تتبعه. والنسب الكلامية والقضايا العقلية تدور بين أشياء متعددة، فأنت حين تجزم بحكم فلا بد أن يكون له واقع يؤيده؛ لأنك إن جزمتَ بشيء لا واقع له فهذا جهل، والجهل –كما نعلم– أن نعتقد أن شيئاً ما هو حقيقة، وهو غير ذلك ولا واقع له. فإذا أنت على سبيل المثال قلت: إن الأرض مبسوطة، ثم جاءوا لك بصورة الأرض كروية وأصررت على أنها مبسوطة، فهذا جهل وإصرار عليه. وفرق بين الجاهل والأمي، فالأمي الذي لم يكن يعرف أن الأرض كروية، ثم علم حقيقة العلم وصدقها فهو مذ عرف الواقع صدقه وآمن به. ولكن الجاهل يؤمن بما يخالف الواقع. فإن جئت له بالحقيقة أخذ يجادل فيها مُصراً على رأيه. ولذلك نجد مصيبة الدنيا كلها ليست من الأميين، ولكن من الجهلة لأن الأمي يحتاج إلى مجهود فكري واحد، أن تنقل له المعلومة فيصدقها، أما الجاهل فإقناعه يقتضي مجهودين: الجهد الأول: أن تخرج ما في عقله من معلومات خاطئة، وأوهام ليست موجودة في الواقع، والجهد الثاني: أن تقنعه بالحقيقة.

وإذا كان هناك واقع في الحياة تستطيع أن تدلل عليه فهذا هو العلم. فإن لم تستطع التدليل عليه فهذا هو التلقين، والمثال: أننا حين نُلقن الطفل الصغير أن الله أحد، وهو لم يبلغ السن التي تستطيع عقلياً أن تدلل له فيها على ذلك. ولكنك قلت له: إن الله أحد، وجزم بها الطفل، وهذه حقيقة واقعة، ولكنه لا يستطيع أن يدلل عليها.

وهو في هذه الحالة يُقلد أباه أو أمه أو مَنْ لقنه هذا الكلام حتى ينضج عقله ويستطيع أن يدلل على ما اعتقده في صغره بالتلقين.

إذن: فالعلم يقتضي أن تؤمن بقضية واقعية عليها دليل، ولكن إن كنت لم تصل إلى مرحلة الجزم؛ تكون في ذهنك نسبتان؛ وليست نسبة واحدة. فإن لم ترجع نسبة على الأخرى، فهذا هو الشك. وإن ظننتَ أنت أن إحداهما راجحة فهذا هو الظن، فإن أخذت بالنسبة غير الراجحة فهذا هو الوهم.

الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ ولو استقر في قلوبهم الايمان اليقيني بالله واليوم الآخر، وأن مَردَّهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأنهم سوف يحاسبون على ما قدموا، واعتبروا أن تضحيتهم بالمال والنفس عمل قليل بالنسبة للجزاء الكبير الذي ينتظرهم في الآخرة، لو كان الأمر كذلك لنا استأذنوا، ولكن ما دام الشك قد دخل قلوبهم فمعنى هذا أن هناك ريبة في أمر ملاقات الله في اليوم الآخر. وهل هذا الأمر حقيقة يقينية؟ ولأنهم يرتابون في هذه المسألة فهل يضحون بأموالهم وأنفسهم من أجل لا شيء، ولذلك يقول عنهم الحق سبحانه وتعالى: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

إذن: فالارتياب محله القلب، والعلم أيضاً محله القلب، ويمر كل من الارتياب والعلم علىالعقل؛ لأن العقل هو الذي يُصفَّى مثل تلك المسائل بعد أن يستقبل المحسَّات ويناقش المقدمات والنتائج، فإن صفَّى العقل هذه الأمور واستقر على الإيمان، هنا يصبح الإيمان قضية يقينية ثابتة مستقرة في القلب، ولا تطفو مرة أخرى إلى العقل لتُناقَش من جديد، ولذلك سمَّوْها عقيدة، أي عقدت الشيء حتى يستقر في مكانه ولا يتزحزح.

إن الطفل – مثلاً – إنْ قرَّب يده إلى شيء مشتعل فأحس بلسعة النار. هنا يعرف أن النار محرقة ولا يحاول تكرار نفس التجربة، ولا يناقشها في عقله ليقول: لن تلسعني النار في هذه المرة، بل تستقر في ذهنه المسألة، وتنتقل من قضية حسية إلى قضية عقدية لا تخضع للتجربة من جديد ولا يحتاج فيها إلى دليل.

وهنا يقول الحق سبحانه: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ والقلب هو محل القضايا التي انتهت من مرحلة التفكير العقلي، وصارت قضايا ثابتة لا يبحثها العقل من جديد.

وقوله هنا: ﴿ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ معناه: أن الإيمان عندهم لم يصل إلى المرتبة التي لا يطفو فيها مرة أخرى للتفكير العقلي.. أيؤمن أو لا؟، أي: لم يصل إلى مرتبة اليقين، بل ما زال في مرحلة الشك الذي يعيد القضايا من القلب إلى العقل لمناقشتها من جديد، ولذلك يصفهم الحق سبحانه وصفاً دقيقاً فيقول: ﴿ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ أي: أن الإيمان عندهم يتردد بين العقل والقلب، فينزل إلى القلب ثم يطفو إلى العقل ليُناقَشَ من جديد، ثم ينزل إلى القلب مرة أخرى، وهكذا يتردد الأمر بين العقل والقلب، ولا يستقر في مكان، وهم بذلك على غير يقين من الآخرة، وما أعدَّ الله لهم فيها من جزاء. ويشكُّون في لقاء الله في اليوم الآخر. ويدور كل ذلك في نفوسهم، ولكنه لا يصل إلى مرتبة اليقين.

ويريد الله سبحانه وتعالى أن يوضح لنا الصورة أكثر فيقول: ﴿ وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ.. ﴾ ".(١)

"

قوله: ﴿ تَتْلُواْ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨] أي: تقرأ، واختار تتلو لأنك لا تقرأ إلا ما سمعت، فكأن قراءتك لما سمعت تجعل قولك تالياً لما سمعتَ، نقول: يتلوه يعني: يأتي بعده ﴿ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨] يعني: الكتابة.

وفَرْق بين أنْ تقرأ، وبين أنْ تكتب، فقد تقرأ لأنك تحفظ، وتحفظ نتيجة السماع، كإخواننا الذين ابتلاهم الله بكفِّ نظرهم ويقرأون، إنما يقرأون ما سمعوه؛ لأن السمع كما قلنا أول حاسة تؤدي مهمتها في الإنسان، فمن الممكن أن تحفظ ما سمعت، أما أن تكتبه فهذا شيء آخر.

والكلام هنا لون من ألوان الجدل والإقناع لكفار قريش الذين يُكذِّبون رسول الله، ولوْن من ألوان التسلية لرسول الله، كأنه يقول سبحانه لرسوله: اطمئن. فتكذيب هؤلاء لك افتراء عليك؛ لأنك ما تلوْتَ قبله كتاباً ولا كتبته بيمينك، وهم يعرفون سيرتك فيهم.

كما قال سبحانه في موضع آخر:﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾[يونس: ١٦].

أربعون سنة قضاها رسول الله بين قومه قبل البعثة، ما جرَّبوا عليه قراءة ولا كتابة ولا خطبة، ولا نمَّق قصيدة، فكيف تُكذِّبونه الآن؟

---

(١) تفسير الشعراوي، المؤلف غير معروف ص/١٢٦٧

فإن قالوا: كانت عبقرية عند محمد أجَّلها حتى سِنَّ الأربعين. نقول: العبقرية عادة مَا تأتي في أواخر العقد الثاني من العمر في السابعة عشرة، أو الثامنة عشرة، ومَنْ ضمن لمحمد البقاء حتى سِنّ الأربعين، وهو يرى مصارع أهله، جده وأبيه وأمه؟

لو كان عندك شيء من القراءة أو الكتابة لكان لهم عذر، ولكان في الأمر شبهة تدعو إلى **الارتياب** في أمرك، كما قالوا:﴿ وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الفرقان: ٥].

وقالوا:﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ... ﴾[النحل: ١٠٣] فردَّ القرآن عليهم﴿ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[النحل: ١٠٣].

وقالوا: ساحر. وقالوا: شاعر. وقالوا: مجنون. وكلها افتراءات وأباطيل واهية يسهل الردُّ عليها: فإنْ كان ساحراً، فلماذا لم يسحركم أنتم أيضاً وتنتهي المسألة؟ وإنْ كان شاعراً فهل جرَّبتم عليه أنْ قال شعراً قبل بعثته؟

وإنْ قُلْتم مجنون، فالجنون فَقْد العقل، بحيث لا يستطيع الإنسان أنْ يختار بين البدائل، فهل جرَّبتم على محمد شيئاً من ذلك؟ وكيف يكون المجنون على خُلُق عظيم بشهادتكم أنتم أنه الصادق الأمين، فعنده انضباط في المَلَكات وفي التصرفات، فكيف تتهمونه بالجنون؟

وكلمة ﴿ مِن قَبْلِهِ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨] لها عجائب في كتاب الله منها هذه الآية: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨] فيقول بعض العارفين (من قبله): أي من قبل نزول القرآن عليك، وهذا القول ﴿ قَبْلِهِ.. ﴾ [العنكبوت: ٤٨] يدل على أنه من الجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم كيف يقرأ وكيف يكتب بعد نزول القرآن عليه، حتى لا يكون في أمته من هو أحسن حالاً منه في أي شيء، أو في خصلة من خصال الخير.

ثم تأمل قوله تعالى:﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ... ﴾[البقرة: ٩١] ألاَ يدخل في روع رسول الله أنهم ربما يجترئون عليه فيقتلوه، فيتهيب منهم، أو يدخل في نفوسهم هم، فيجترئون عليه كما قتلوا الأنبياء من قبل؛ لذلك جاءتْ الآية لتقرر أن هذا كان في الماضي، أما الآن فلن يحدث شيء من هذا أبداً، ولن يُمكِّنكم الله من نبيه.

وكلمة ﴿ وَمَا كُنتَ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨] تكررت كثيراً في كتاب الله، ويُسمُّونها في الزمن الماضي، والحاضر، والمستقبل.

كما في قوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ... ﴾[القصص: ٤٤].

وقوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا... ﴾[القصص: ٤٥].

وقوله تعالى:﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ... ﴾[آل عمران: ٤٤].

وهنا: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ... ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

لذلك وصفه ربه – عز وجل – بأنه﴿ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ... ﴾[الأعراف: ١٥٧] وإياك أن تظن أن الأمية عَيْب في رسول الله، فإنْ كانت عيباً في غيره، فهي فيه شرف؛ لأن معنى أمي يعني على فطرته كما ولدتْه أمه، لم يتعلم شيئاً من أحد، وكذلك رسول الله لم يتعلَّم من الخَلْق، إنما تعلم من الخالق فعلَتْ مرتبةُ علمه عن الخَلْق.

ومن ذلك المكانة التي أخذها الإمام علي – رضي الله عنه – في العلم والإفتاء حتى قال عنه عمر رضي الله عنه – مع ما عُرف عن عمر من سداد الرأي حتى إن القرآن لينزلُ موافقاً لرأيه، ومُؤيّداً لقوله – يقول عمر: بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن. لماذا؟

لأنه كان صاحب حجة ومنطق وصاحب بلاغة، ألم يراجع الفاروقَ في مسألة المرأة التي ولدتْ لستة أشهر من زواجها، وعمر يريد أنْ يقيم عليها الحد؛ لأن الشائع أن مدة الحمل تسعة أشهر فتسرَّع البعض وقالوا: إنها سُبق إليها، لكن يكون للإمام على رأي آخر، فيقول لعمر: لكن الله يقول غير هذا، فيقول عمر: وما ذاك؟ قال: ألم يقُل الحق سبحانه وتعالى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ... ﴾[البقرة: ٢٣٣] قال: بلى.

قال: ألم يقل:﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً... ﴾[الأحقاف: ١٥] وبطرح العامين من ثلاثين شهراً يكون الباقي ستة أشهر، فإذا ولدتْ المرأة لستة أشهر، فهذا أمر طبيعي لا ارتيابَ فيه.

وفي يوم دخل حذيفة على عمر رضي الله عنهما – فسأله عمر: كيف أصبحتَ يا حذيفة؟ فقال حذيفة: يا أمير المؤمنين، أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأُصلِّي بغير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.

فغضب عمر، وهَمَّ أن يضربه بدرة في يده، وعندها دخل عليٌّ فوجد عمر مُغْضباً فقال: مالي أراك مغضباً يا أمير المؤمنين؟ فقصَّ عليه ما كان من أمر حذيفة، فقال علي:

نعم يا أمير المؤمنين يحب الفتنة؛ لأن الله تعالى قال:

﴿ إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ... ﴾[التغابن: ١٥].

ويكره الحق أي: الموت فهو حقّ لكنا نكرهه، ويُصلِّي على النبي بغير وضوء، وله في الأرض ولد وزوجة، وليس ذلك لله في السماء. فقال عمر قولته المشهورة: بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن.

فلماذا تميَّز عليٌّ بهذه الميزة من العِلْم والفقه والحجة؟ لأنه تربَّى في حِجرْ النبوة فاستقى من نَبْعها، وترعرع في أحضان العلوم الإسلامية منذ نعومة أظافره، ولم يعرف شيئاً من معلومات الجاهلية، فلما تتفاعل عنده العلوم الإسلامية لا تَلِد إلا حقاً.

ثم يقول سبحانه ﴾ إِذاً... ﴿ [العنكبوت: ٤٨] يعني: لو حصل منك قراءة أو كتابة ﴾ لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿ [العنكبوت: ٤٨] أي: لَكَان لهم عُذْر ووجهة نظر في الارتياب، والارتياب لا يعني مجرد الشك، إنما شك باتهام أي: يتهمون رسول الله بأنه كان على عِلْم بالقراءة والكتابة؛ لذلك وصفهم بأنهم مبطلون في اتهامهم له صلى الله عليه وسلم.

" (١).

"ومعنى الآيتين : أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت ، فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإن الشاهد لا يحلف ولا تعارض يمينه بيمين الوارث ، وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها ، وهي ما روي أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن زيد إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما بها وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ثم قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة ودفعا المتاع إلى أهل الميت ففتشوا فأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميما وعديا فقالوا : هل باع صاحبنا شيئا ؟

قالا : لا قالوا : هل اتجر تجارة قالا : لا قالوا : فهل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟

قالا لا قالوا : فإنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما معه وإنا فقدنا منها إناء من فضة مموها بالذهب ثلثمائة مثقال من فضة قالا : ما ندري إنما أوصى لنا بشيء وأمرنا أن ندفعه لكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجترآ على الإنكار وحلفا فأنزل الله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ الآية فلما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يختانا شيئا مما دفع إليهما فحلفا على ذلك وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ، ثم وجد الإناء في

٤٦٦

أيديهما ، فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا : إنا كنا قد اشتريناه منه فقالوا : ألم تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه ؟

قالا : لم يكن عندنا بينة وكرهنا أن نقر لكم فكتمنا لذلك فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي رفاعة السهميان وحلفا وتقدم أن تخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها.

﴿

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٤

ذلك﴾ أي : الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة ﴿أدنى﴾ أي : أقرب ﴿أن﴾ أي : إلى أن ﴿يأتوا﴾ أي : الذين شهدوا أولا ﴿بالشهادة﴾ أي : الواقعة في نفس الأمر ﴿على وجهها﴾ أي : الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة

---

(١) تفسير الشعراوي، المؤلف غير معروف ص/٣٣١٤

﴿أو﴾ أقرب إلى أن ﴿يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ أي : على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا وإنما جمع الضمير ؛ لأنه حكم يعم الشهود كلهم ﴿واتقوا الله﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وا لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي : الخارجين عن طاعته لا يهديهم إلى حجة أو إلى طريق الجنة.
وقوله تعالى :
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٤
﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ أي : يوم القيامة منصوب بإضمار اذكر. وقيل : بدل من مفعول واتقوا بدل اشتمال ﴿فيقول﴾ لهم توبيخا لقومهم كما أن سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ﴿ماذا﴾ أي : الذي ﴿أجبتم﴾ به حين دعوتم إلى التوحيد ﴿قالوا لا علم لنا﴾ أي : لا علم لنا بما أنت تعلمه ﴿إنك أنت علام الغيوب﴾ فتعلم ما أجابونا وأظهروا لنا وما لم نعلم مما أضمروا في قلوبهم وقوله تعالى :
٤٦٧
﴿إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ أي : اشكرها منصوب بإضمار اذكر ، وقيل : بدل من يوم يجمع وهو على طريقة : ونادى أصحاب الجنة ، والمعنى أنه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهروا عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة وقوله تعالى : ﴿إذ أيدتك﴾ أي : قويتك ظرف لنعمتي أو حال منه ﴿بروح القدس﴾ أي : جبريل عليه السلام فكان له في الصغر حفظ لم يكن لغيره وقوله تعالى :
﴾
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٧." (١)

"ولما انهزموا وبلغوا مكة قالوا : هزم الناس سراقة ، فبلغه ذلك فقال : والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان ، وقوله تعالى : ﴿وا شديد العقاب﴾ يجوز أن يكون من كلام إبليس أي : إني أخاف الله ؛ لأنه شديد العقاب وأن يكون مستأنفا أي : والله شديد العقاب لمن خالفه وكفر به.
فإن قيل : كيف يقدر إبليس أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا ؟
أجيب : بأن الله تعالى أعطاه قوة ، وأقدره على فعل ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنية لم تتغير ، فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة.
وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما رؤي إبليس يوما فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة" وما ذاك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما كان من يوم بدر.
٦٥٨
﴿إذ﴾ أي : واذكر إذ ﴿يقول المنافقون﴾ أي : من أهل المدينة ، والمنافق هو من يظهر الإسلام ويخفي الكفر كما أن

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣٢٢/١

المرائي هو من يظهر الطاعة ويخفي المعصية ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي : شك **وارتياب** ، وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يقع الإسلام في قلوبهم ولم يتمكن ، فلما خرج قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم إلى بدر ، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا : ﴿غر هؤلاء﴾ المسلمين ﴿دينهم﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه ، فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعدي بن أمية بن خلف الجمحي والعاص بن أمية بن الحجاج ، قال تعالى في جوابهم : ﴿ومن يتوكل على الله﴾ أي : يثق به يغلب ﴿فإن الله عزيز﴾ أي : غالب على أمره ﴿حكيم﴾ أي : في صنعه يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ، ويعجز عن إدراكه.

ولما شرح تعالى أحوال هؤلاء الكفار شرح أحوال موتهم ، والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت بقوله تعالى :

﴿ولو ترى﴾ أي : عاينت وشاهدت يا محمد ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ أي : بقبض أرواحهم عند الموت ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ أي : ظهورهم وأستاههم ، قال البيضاوي : ولعل المراد تعميم الضرب أي : يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم : ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي : النار.

قال ابن عباس : كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف ، وإذا ولوا ضربوا أدبارهم ، فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت نزع الروح ، وجواب لو محذوف ، والتقدير لرأيت منظرا هائلا وأمرا فظيعا وعقابا شديدا ، والملائكة مرفوع بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون في قوله : يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر.

﴿

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٥٦

ذلك﴾ أي : الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿بما﴾ أي : بسبب ما ﴿قدمت﴾ أي : كسبت ﴿أيديكم﴾ من الكفر والمعاصي ، وإنما عبر بالأيدي دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها والتحقيق إن الإنسان جوهر واحد وهو الفعال وهو الدراك وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصي وهذه الأعضاء آلة له وأدوات في الفعل فأضيف الفعل في الظاهر إلى الآلة وهو في الحقيقة مضاف إلى جوهر ذات الإنسان ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام للتكثير لأجل العبيد أي : أنه بمعنى ذي ظلم.

﴿كدأب﴾ أي : دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب ﴿آل فرعون﴾ وهو عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي : داموا عليه فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالإغراق ، وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال : فلان دأب في كذا أي : داوم عليه وسميت العادة دأبا لأن الإنسان مداوم على عادته مواظب عليها ﴿والذين من قبلهم﴾ أي : من قبل آل فرعون وقوله تعالى : ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي : بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء ﴿الله الله قوي﴾ أي : على ما يريده فينتقم ممن كفر وكذب رسله ﴿شديد العقاب﴾ ممن كفر وكذب رسله وقوله تعالى :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٦٥٦

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما حل بهم من العقاب ﴿بأن﴾ أي : بسبب أن ﴿الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم﴾ أي : مبدلا لها بالنقمة ﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ أي : بأن يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ منه.
٦٥٩." (١)

"إنما يستأذنك﴾ يا محمد في التخلف عن الجهاد معك من غير عذر ﴿الذين لا يؤمنون با واليوم الآخر﴾ وهم المنافقون لأنهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا ﴿وارتابت﴾ أي : شكت ﴿قلوبهم﴾ في الدين وإنما أضاف الشك والارتياب إلى القلب لأنه محل المعرفة والإيمان فإذا داخله الشك كان ذلك نفاقا ﴿فهم﴾ أي : فتسبب عن ذلك أنهم ﴿في ريبهم يترددون﴾ أي : المنافقون ويتحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين.

تنبيه : اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل إنها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى : ﴿إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون با ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ (النو ، ٦٢)

وقيل : إنها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات أن المؤمنين كانوا يسارعون إلى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير استئذان فإذا عرض لأحدهم عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الإذن لهم بقوله تعالى : ﴿فأذن لمن
٧٠٥
شئت منهم﴾ وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر.

﴿ولو أرادوا الخروج﴾ إلى الغزو معك ﴿لأعدوا له﴾ أي : قبل حلوله ﴿عدة﴾ أي : قوة وأهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون كالحاضرين في صلب الحرب الواقفين في الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ، ولما كان قوله تعالى : ﴿ولو أرادوا الخروج﴾ يعطي معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو أتى تعالى بحرف الاستدراك فقال تعالى : ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ أي : لم يرض خروجهم معك إلى الغزو ﴿فثبطهم﴾ أي : حبسهم بالجبن والكسل ﴿وقيل﴾ لهم ﴿اقعدوا مع القاعدين﴾ أي : مع النساء والصبيان والمرضى وأهل الأعذار ومعنى ﴿قيل لهم﴾ أي : قدر الله تعالى عليهم ذلك بأن ألقى في قلوبهم القعود لما كره الله انبعاثهم مع المؤمنين ، وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استأذنوه في القعود فقال لهم : اقعدوا مع القاعدين.

فإن قيل : خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فإن كان فيه مصلحة فلم قال تعالى : ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ وإن فيه مفسدة فلم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ في ترك الخروج ؟

أجيب : بأن خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله تعالى :

﴿لو خرجوا فيكم﴾ أي : معكم ﴿ما زادوكم﴾ بخروجهم ﴿إلا خبالا﴾ أي : فسادا وشرا بتخذيل المؤمنين وتقدم الكلام على قوله : ﴿لم أذنت لهم﴾.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ١/٤٥٤

جزء : ١ رقم الصفحة : ٧٠٣

تنبيه : لا يصح أن يكون فيه الاستثناء منقطعا لأن الاستثناء المنقطع يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله : ﴿ما زادوكم خيرا إلا خبالا﴾ والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر ووقع الاستثناء من أعم العام كأنه قيل : ما زادوكم شيئا إلا خبالا ﴿ولأوضعوا﴾ أي : أسرعوا ﴿خلالكم﴾ أي : بينكم فيما يخل بكم بالمشي بالنميمة ﴿يبغونكم الفتنة﴾ أي : يطلبون منكم ما تفتتنون به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين : لقد جمعوا لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وإنكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ، ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي تجبنهم ﴿وفيكم﴾ أي : والحال أن فيكم ﴿سماعون لهم﴾ أي : عيون لهم يؤدون لهم أخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس أو مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون إليهم أنواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم.

فإن قيل : كيف يكون في المؤمنين الخالصين من يطيع المنافقين ؟

أجيب : بأنهم ربما قالوا قولا أثر في قلوب ضعفة المؤمنين في بعض الأحوال وقوله تعالى : ﴿وا عليم بالظالمين﴾ وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٧٠٣

٧٠٦." (١)

"﴿وإنا﴾ أي : بما لنا من العظمة ﴿على أن نريك﴾ أي : قبل موتك ﴿ما نعدهم﴾ من العذاب ﴿لقادرون﴾ لكنا نؤخره علما بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بالقتل يوم بدر أو فتح مكة ، ثم كأنه قال : فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم ، فقال تعالى :

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ أي : من الأقوال والأفعال بالصفح والمداراة ﴿السيئة﴾ أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال فهي منسوخة ، وقيل : محكمة لأن المداراة محثوث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ في حقك وحقنا ، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب ، وليس أحد بأغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ، ولما أدب سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن علمه ما به يقوى على ذلك بقوله تعالى :

﴿

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٥٤

وقل رب﴾ أي : أيها المحسن إلي ﴿أعوذ بك﴾ أي : ألتجىء إليك ﴿من همزات الشياطين﴾ أي : أن يصلوا إلي بوساوسهم ، وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي وإنما جمع همزات لتنوع الوسواس أو لتعدد المضاف إليه.

﴿وأعوذ بك رب﴾ أي : أيها المربي لي ﴿أن يحضرون﴾ في حال من الأحوال خصوصا حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الأجل ؛ لأنها أحرى الأحوال ، وهم إنما يحضرون بالسوء ، ولو لم تصل إلي وساوسهم ، فإن بعدهم بركة ، وعن جبير بن

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤٨٨/١

مطعم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر : ولا أدري أي صلاة هي فقال : "الله أكبر كبيرا ثلاثا ، والحمد لله كثيرا ثلاثا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه ؛ قال : نفثه الشعر ونفخه الكبر ، وهمزه الموتة" أخرجه أبو داود ؛ لأن الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان ، وينفثه كما ينفث الريق والمتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه ويحتاج إلى أن ينفخ ، والموتة الجنون والمجنون

٦٥٤

يصير في الدنيا كالميتة ، ثم إن الله تعالى أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت بقوله تعالى : ﴿حتى﴾ وهي هنا كما قال الجلال المحلي ابتدائية أو متعلقة بيصفون أو بكاذبون كما قال الزمخشري ، وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال :

﴿إذا جاء أحدهم الموت﴾ فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ، ولم يبق في شيء من ذلك **ارتياب** ﴿قال﴾ متحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس من دأب البهائم ﴿رب ارجعون﴾ أي : ردوني إلى الدنيا دار العمل ، ويجوز أن يكون الجمع له تعالى وللملائكة أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر سيما الملوك كقوله :

*ألا فارحموني يا إله محمد

وقوله :

*فإن شئت حرمت النساء سواكم

أو القصد تكرير الفعل للتأكيد ؛ لأنه في معنى أرجعني كما قيل في قفا واطرقا فإنهما بمعنى قف قف واطرق اطرق ، ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال :

﴿

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٦٥٤

لعلي أعمل﴾ أي : لأن كون على رجاء من أن اعمل ﴿صالحا فيما تركت﴾ أي : ضيعت من الإيمان بالله وتوابعه فيدخل في الأعمال الأعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم "إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بلى قدوما على الله ، وأما الكافر فيقول : رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت" قال قتادة : ما تمنى أن يرجع إلى أهله ولا عشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر إذا رأى العذاب ، وقال ابن كثير : كان العلاء بن زياد يقول : لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت واستقال ربه ، فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى ، ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولو رجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون ، قال الله تعالى له ردعا وردا لكلامه : ﴿كلا﴾ أي : لا يكون شيء من ذلك وكأنه قيل : فما حكم ما قال ؟

فقيل : ﴿إنها كلمة﴾ والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون إلى آخره ﴿هو

قائلها﴾ وقد عرف منه الخداع والكذب فهي كما عهد منه لا حقيقة لها ، فلا يجاب إليها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يخليها ، ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه ، وتسلط الندم ﴿ومن ورائهم﴾ أي : أمامهم والضمير للجماعة ﴿برزخ﴾ أي : حاجز حائل بينهم وبين الرجعة ، واختلف في معناه فقال مجاهد : حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ، وقال قتادة : بقية

٦٥٥." (١)

"أجيب : بأن قوله تعالى : ﴿في قلوبهم مرض﴾ أشار به إلى النفاق ، وقوله تعالى : ﴿أم ارتابوا﴾ إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا حيث يتركون الدين بسببه فإن قيل : هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم ؟

أجيب بأنه تعالى نبههم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول ، وكل واحد من ذلك كفر ونفاق ، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية ، فقال مقاتل : نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق : نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف علينا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقد

٧٠٢

مضت قصتها في سورة النساء.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٧٠١

وقال الضحاك : نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض تقاسماها فوقع إلى علي ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة فقال المغيرة : بعني أرضك فباعه إياها وتقابضا ، فقيل للمغيرة : أخذت سبخة لا ينالها الماء ، فقال لعلي : اقبض أرضك فإنما أشتريتها إن رضيتها ولم أرضها ، فقال علي : بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ، ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة : أما محمد فلا نأتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي ، فنزلت الآية.

وقال الحسن : نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر ، ولما نفى تعالى عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به كان كأنه سئل عن حال المؤمنين ، فقال تعالى :

﴿إنما كان﴾ أي : دائما ﴿قول المؤمنين﴾ أي : العريقين في ذلك الوصف ﴿إذا دعوا﴾ أي : من أي داع كان ﴿إلى الله﴾ أي : إلى ما أنزل الملك الذي لا كفء له من أحكامه ﴿ورسوله﴾ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ليحكم﴾ أي : الرسول ﴿بينهم﴾ بما أراه الله تعالى أي حكومة من الحكومات لهم أو عليهم ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ أي : الدعاء ﴿وأطعنا﴾ أي : بالإجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا ﴿وأولئك﴾ أي : العالوا الرتبة ﴿هم المفلحون﴾ الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين ، وهذا يدل على

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٤٦٥

عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي ، ولما رتب تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى :

﴿ومن يطع الله﴾ أي : الذي له الأمر كله ﴿ورسوله﴾ أي : فيما ساءه وسره ﴿ويخش الله﴾ أي : فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي ليحمله ذلك على كل خير ﴿ويتقه﴾ أي : الله فيما بقي من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية من المباحات فيتركها ورعا ﴿فأولئك﴾ أي : العالوا الرتبة ﴿هم الفائزون﴾ بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم ، وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل ، وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت عليه هذه الآية.

وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاد ويتقه بسكون الهاء بخلاف عن خلاد وقالون باختلاس كسرة الهاء وحفص بسكون القاف ، وقصر كسرة الهاء ، والباقون وخلاد في أحد وجهيه بإشباع كسرة الهاء ، ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة الظاهرة التي هي دليل الانقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٧٠١

٧٠٣

﴿وأقسموا بالله﴾ أي : الذي له الكمال المطلق ، وقوله تعالى : ﴿جهد أيمانهم﴾ مستعار من جهد نفسه إذا بلغ أقصى وسعها ، وذلك إذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها ، وعن ابن عباس : من قال بالله فقد بالغ في اليمين ، وبلغ غاية شدتها ﴿لئن أمرتهم﴾ أي : أمر من الأمور ﴿ليخرجن﴾ مما هم متلبسون به من خلافه كائنا ما كان ، وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقمت أقمنا ، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا ، فقال الله تعالى : ﴿قل﴾ أي : لهم ﴿لا تقسموا﴾ أي : لا تحلفوا فإن العلم بما أنتم عليه لا يحتاج إلى الإقسام ، وههنا قد تم الكلام ، ولو كان قسمهم صادقا لما نهوا عنه ؛ لأن من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه ، فثبت أن قسمهم كان لنفاقهم ، وكان باطنهم يخالف ظاهرهم ، ومن نوى الغدر لا الوفاء فقسمه قبيح ؛ قال المتنبي :

*

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٧٠٣

وفي اليمين على ما أنت واعده

** ما دل أنك في الميعاد متهم

وفي رفع قوله تعالى : ﴿طاعة معروفة﴾ ثلاثة أوجه : ." (١)

"بيمينك ؟

أجيب : بأنه ذكر اليمين التي هي أقوى الجارحتين وهي التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا ، ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبه فكذلك النفي ، وفي

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٢/٥٠٠

ذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الريبة في أمره لعاقل إلا بالمواظبة القوية التي ينشأ عنها ملكه فكيف إذا لم يحصل أصل الفعل ولذلك قال تعالى : ﴿إذا﴾ أي : لو كنت ممن يخط ويقرأ ﴿لارتاب﴾ أي : شك ﴿المبطلون﴾ أي : اليهود فيك وقالوا : الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأولين وكتبه بيده.

فإن قيل : لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه بيده فإنه رجل كاتب قارئ ؟

أجيب : بأنه سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال : هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحينئذ ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم ، وأيضا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات ، فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزل إليهم معجز وهذا المنزل معجز فإذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو أمي ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير أمي ، ولما كان التقدير ولكنه لا ريب لهم أصلا ولا شبهة لقولهم أنه باطل قال تعالى :



جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٧

بل هو﴾ أي : القرآن الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير ﴿آيات﴾ أي : دلالات ﴿بينات﴾ أي : واضحات جدا في الدلالة على صدقك ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ أي : المؤمنين يحفظونه فلا يقدر أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم ، وفي ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم ، وقال ابن عباس وقتادة : بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته ووصفه في كتبهم ﴿وما يجحد﴾ وكان الأصل به ولكنه أشار إلى عظمته بقوله تعالى : ﴿بآياتنا﴾ أي : ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة بإضافتها إلينا والبيان الذي لا يجهله أحد ﴿إلا الظالمون﴾ أي : المتوغلون في الظلم المكابرون.

فإن قيل : ما الحكمة في قوله تعالى ههنا ﴿إلا الظالمون﴾ ومن قبل قال ﴿إلا الكافرون﴾ ؟

أجيب : بأن ما من حرف ولا حركة في القرآن إلا وفيه فائدة ثم إن العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها وما أوتي البشر من العلم إلا قليلا ولكن الحكمة هنا أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم إن لكم المزايا فلا تبطلوها بإنكار محمد صلى الله عليه وسلم فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هناك أبلغ فمنعهم عن ذلك استنكافهم عن الكفر ، ثم بعد بيان المعجزة قال لهم : إن جحدتم هذه الآية لزمكم إنكار إرسال الرسل فتلتحقون في أول الأمر بالمشركين حكما وتلتحقون عند جحد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أي : مشركين كما قال تعالى : ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ (لقمان : ١٣)

فهذا اللفظ ههنا أبلغ ، ولما كان التقدير جحدوها بما لهم من الرسوخ في الظلم ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات عطف عليه قوله تعالى :

﴿وقالوا﴾ موهمين مكرا إظهارا للصفة بأدنى ما يدل على الصدق ﴿لولا﴾ أي : هلا ﴿أنزل عليه﴾ أي : محمد صلى الله عليه وسلم على أي وجه كان من وجوه الإنزال ﴿آية﴾ تكون

١٩٩

بحيث تدل قطعا على صدق الآتي بها ﴿من ربه﴾ أي : الذي يدعي إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء قبله كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام ليستدل بها على صدق مقاله وصحة ما يدعيه من حاله ، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجمع لأن بعده ﴿قل إنما الآيات﴾ بالجمع إجماعا ، والباقون آية بالإفراد لأن غالب ما جاء في القرآن كذلك ، ولما كان هذا إنكارا للشمس بعد شروقها ومكابرة فيما تحدى به من المعجزات بعد حقوقها أشار إليه بقوله تعالى :



جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٧

قل﴾ أي : لهم إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشيء ﴿إنما الآيات عند الله﴾ أي : الذي له الأمر كله ينزل أيتها شاء فلا يقدر على إنزال شيء منها غيره فإنما الإله هو لا سواه ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لفعل ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ أي : فليس من شأني إلا الإنذار وإبانته بما أعطيته من الآيات وليس لي أن أقترح عليه الآيات فأقول أنزل علي آية كذا دون آية كذا على أن المقصود من الآيات الدلالة على الصدق وهي كلها في حكم آية واحدة في ذلك ، ولم يذكر البشارة لأنه ليس من أسلوبها وقوله تعالى : ." (١)

"سورة المنافقين

مدنية وهي إحدى عشرة آية ، ومائة وثمانون كلمةوسبعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿بسم الله﴾ الذي له الإحاطة العظمى علما وقدرة ﴿الرحمن﴾ الذي ستر بعموم رحمته من أراد من عباده ﴿الرحيم﴾ الذي وفق أهل وده لما يحبه ويرضاه.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٢

﴿إذا جاءك﴾ يا أيها الرسول المبشر بك في التوراة والإنجيل ، وقرأ حمزة وابن ذكوان بالإمالة والباقون بالفتح ، وإذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر ، وله أيضا إبدالها ألفا مع المد والقصر﴿المنافقون﴾ أي : الغريقون في وصف النفاق ، وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم بتكذيب من يسمعهم لما عندهم من **الارتياب** ﴿نشهد﴾ قال الحسن : هو بمنزلة اليمين كأنهم قالوا نقسم ﴿إنك لرسول الله﴾ أي : الملك الذي له الإحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر أحوالهم ، وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم. وقوله تعالى : ﴿والله يعلم﴾ أي : وعلمه هو العلم في الحقيقة ، وأكد سبحانه بحسب إنكار المنافقين فقال تعالى : ﴿إنك لرسوله﴾ سواء أشهد المنافقون بذلك أم لا فالشهادة حق ممن يطابق لسانه قلبه جملة معترضة بين قولهم : ﴿نشهد إنك لرسول الله﴾ وبين قوله تعالى : ﴿والله يشهد﴾ لفائدة.

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣/١٣٤

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٣

قال الزمخشري : لو قال قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون ، لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله تعالى : ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ ليميط هذا الإيهام

٣١٣

﴿والله﴾ أي : المحيط بجميع صفات الكمال ﴿يشهد﴾ شهادة هي الشهادة لأنها محيطة بدقائق الظاهر والباطن ﴿إن المنافقين﴾ أي : الراسخين في وصف النفاق ﴿لكاذبون﴾ أي : في إخبارهم عن أنفسهم إنهم يشهدون ، لأن قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ، ومن شرط قول الحق أن يتصل ظاهره بباطنه وسره بعلانيته ، ومتى تخالف ذلك فهو كذب ألا ترى أنهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد إنك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لأن قولهم خالف اعتقادهم.." (١)

"وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان" وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر" وروي عن الحسن أنه ذكر هذا الحديث فقال : إن بني يعقوب حدثوا فكذبوا ، ووعدوا فأخلفوا ، وائتمنوا فخانوا ، إنما هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنذار للمسلمين ، والتحذير لهم أن يعتادوا هذه الخصال شفقة أن تفضي بهم إلى النفاق ، وليس المعنى أن من ندرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد أنه منافق وقال عليه الصلاة والسلام : "المؤمن إذا حدث صدق ، وإذا وعد نجز ، وإذا ائتمن وفى" والمعنى المؤمن الكامل ﴿فصدوا﴾ أي : فسبب لهم اتخاذهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم مع سوء البواطن وحرارة ما في الصدور ، وحملوا

٣١٥

غيرهم على الإعراض ﴿عن سبيل الله﴾ أي : عن طريق الملك الأعظم الذي شرعه لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه ، ووصلوا إلى ذلك بخداعهم ومكرهم بجراءتهم على الأيمان الخائنة ﴿إنهم ساء ما كانوا﴾ أي : جبلة وطبعا ﴿يعملون﴾ أي : يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جراءتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالأيمان الخائنة.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٣

ولما كانت المعاصي تعمي القلوب فكيف بأعظمها علله بقوله تعالى :

﴿ذلك﴾ أي : سوء عملهم ﴿بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾.

فإن قيل : إن المنافقين لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم ، فما معنى قوله تعالى : ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ ؟

أجيب : بثلاثة أوجه :

أحدها : آمنوا ، أي : نطقوا بكلمة الشهادة ، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ، ثم كفروا أي : ثم ظهر كفرهم

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/ ٢٠٩

بعد ذلك ، وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقول محمد حقا ، فنحن حمير ، وقولهم في غزوة تبوك : أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ، ونحوه قوله : ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ (التوبة : ٧٤)

أي : وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ، ونحوه ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (التوبة : ٦٦)

والثاني : آمنوا أي : نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام بقوله تعالى : ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ إلى قوله ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾ (البقرة : ١٤)

وهذا إعلام من الله تعالى بأن المنافقين كفار.

الثالث : أن يراد أن ذلك في قوم آمنوا ثم ارتدوا ﴿فطبع﴾ أي : فحصل الطبع وهو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه ﴿على قلوبهم﴾ أي : لأجل اجترائهم على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق ﴿فهم﴾ أي : فتسبب عن ذلك أنهم ﴿لا يفقهون﴾ أي : لا يقع لهم فقه في شيء من الأشياء ، فهم لا يميزون صوابا من خطأ ، ولا حقا من باطل.

﴿وإذا رأيتهم﴾ أي : أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة ، أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر ﴿تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها وصباحتها ، فإن عنايتهم كلها بصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم ، فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق.

قال ابن عباس : كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان ، وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة ، وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ﴿وإن يقولوا﴾ أي : يوجد منهم قول في وقت من الأوقات ﴿تسمع لقولهم﴾ أي : لفصاحته فيلذذ السمع ويروق الفكر ﴿كأنهم﴾ أي : في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم ، وفي عدم الانتفاع بهم في شيء ﴿خشب﴾ جمع كثرة لخشبة ، وهو دليل على كثرتهم ﴿مسندة﴾ أي : قطعت من مغارسها ممالة إلى الجدار. وقرأ أبو عمرو والكسائي بسكون الشين ، والباقون بضمها ﴿يحسبون﴾ أي : لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ﴿كل صيحة﴾ أي : من نداء مناد في إنشاد ضالة ، أو انفلات دابة ، أو نحو ذلك واقعة ﴿عليهم﴾ وضارة لهم لجبنهم وهلعهم لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم. ومنه أخذ الأخطل :

٣١٦

*مازلت تحسب كل شيء بعدهم ** خيلا تكر عليهم ورجالا*

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣١٣

ومنه قول الآخر :

*كأن بلاد الله وهي عريضة ** على الخائف المطلوب كفة حابل*

*يخال إليه أن كل ثنية ** تيممها ترمي إليه بقاتل*." (١)

"جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨١

﴿وما جعلنا﴾ أي : لنا من العظمة وإن خفي وجه العظمة فيه على من عمي قلبه ﴿أصحاب النار﴾ أي : خزنتها ﴿إلا ملائكة﴾ أي : لم نجعلهم رجالا فتغالبوهم وإنما جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنسي الفريقين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرحمة والرأفة ولأنهم أشد بأسا وأقوى بطشا فقوتهم أعظم من قوة الإنس والجن ولذلك جعل الرسول إلى البشر من جنسهم ليكون له رأفة ورحمة بهم.

فإن قيل : ثبت في الأخبار أن الملائكة مخلوقون من النور فكيف تطيق المكث في النار ؟

أجيب : بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا استبعاد في أنه يبقى الحي في مثل ذلك العذاب الشديد أبد الآباد ولا يموت ، فكذا لا استبعاد في إبقاء الملائكة هناك من غير ألم.

﴿وما جعلنا﴾ أي : بما لنا من العظمة ﴿عدتهم﴾ أي : مذكورة ومحصورة ﴿إلا فتنة﴾ أي : بلية ﴿للذين كفروا﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ضلالة وفتنة مفعول ثان على حذف مضاف أي : إلا سبب فتنة وللذين صفة الفتنة وليست فتنة مفعولا له. وقول البيضاوي وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر تبعا للزمخشري ، قال أبو حيان : إنه تحريف لكتاب الله إذ زعم أن معنى إلا فتنة للذين كفروا إلا تسعة عشر وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء.

وقال الرازي : إنما صار هذا العدد سببا لفتنة الكفار من وجهين : الأول : أن الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون عشرين ، وما المقتضي لتخصيص هذا العدد. والثاني : أن الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف يكونون وافين بتعذيب أكثر العالم من الجن والإنس من أول ما خلق الله إلى قيام الساعة ؟

وأجيب : عن الأول بأن هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض ، وعن الثاني بأنه لا يبعد أن الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك ، فقد اقتلع جبريل عليه السلام مدائن قوم لوط على أحد جناحيه ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم ثم قلبها فجعل عاليها

٤٨٤

سافلها ، وأيضا فأحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا ولا للعقل فيها مجال. وذكر أرباب المعاني في تقرير هذا العدد وجهين :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٨٤

أحدهما : ما قاله أرباب الحكمة إن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية ،

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٤/٢١١

فالقوى الحيوانية هي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر ، وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة ، فالمجموع تسعة عشر فلما كانت هذه منشآت لا جرم كان عدد الزبانية هكذا.

ثانيهما : أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد للفساق ، ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة : ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأبواب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر ، وأما باب الفساق فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر.

وقوله تعالى : ﴿ليستيقن الذين﴾ متعلق بجعلنا لا بفتنة. وقيل : بفعل مضمر أي : فعلنا ذلك ليستيقن الذين ﴿أوتوا الكتاب﴾ أي : أعطوا التوراة والإنجيل ، فإنه مكتوب فيهما إنه تسعة عشر ، فذلك موافقة لما عندهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ أي : من أهل الكتاب ﴿إيمانا﴾ أي : تصديقا لموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم ﴿ولا يرتاب﴾ أي : يشك ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ في عددهم.

فإن قيل : قد أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وزيادة الإيمان للمؤمنين فما فائدة ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ ؟

أجيب : بأن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه ، فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان **الارتياب** بعد ذلك ، ففائدة هذه الجملة نفي ذلك الشك ، وإنه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة.

﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق وإن قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من أعلام النبوة فإنه إخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الأمور علة إصلاح ناس وفساد آخرين ؛ لأنه لا يسأل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشيء بالقصد الأول ثم يترتب عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض.

﴿والكافرون﴾ أي : ويقول الراسخون في الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الأدلة من الحق ﴿ماذا﴾ أي : أي شيء ﴿أراد الله﴾ أي : الملك الذي له جميع العظمة ﴿بهذا﴾ أي : العدد القليل في جنب عظمته ﴿مثلا﴾ قال الجلال المحلي : سموه لغرابته بذلك ، وأعرب حالا. وقال الليث : المثل الحديث ومنه ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ (الرعد : ٣٥)." (١)

"﴿ ٣٦ ، ٣٧ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ﴾ لدعوتك، ويلبي رسالتك، وينقاد لأمرك ونهيك ﴿ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الألباب والأسماع.

---

(١) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع، المؤلف غير معروف ٣١٥/٤

والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد سماع الأذن،يشترك فيه البر والفاجر. فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى،باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول.

﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ يحتمل أن المعنى، مقابل للمعنى المذكور. أي: إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبون لك، ولا ينقادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية، على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم ينبئهم بما كانوا يعملون.

ويكون هذا، متضمنا للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك.

﴿ وَقَالُوا ﴾ أي: المكذبون بالرسول، تعنتا وعنادا: ﴿ لَوْلا نزلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ يعنون بذلك آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة.

كقولهم: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرْضِ يَنْبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا ﴾ الآيات

﴿ قُلْ ﴾ مجيبا لقولهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنزلَ آيَةً ﴾ فليس في قدرته قصور عن ذلك كيف وجميع الأشياء منقادة لعزته مذعنة لسلطانه؟

ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو شر لهممن الآيات التي لو جاءتهم فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب كما هي سنة الله التي لا تبديل لها ومع هذا فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق وتوضح السبيل فقد أتى محمد صلى الله عليه وسلم بكل آية قاطعةوحجة ساطعة دالة على ما جاء به من الحق بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية بحيث لا تبقي في القلوب أدنى شك **وارتياب** فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وأيده بالآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينةوإن الله لسميع عليم." (١)

"﴿ ٣٥ - ٤٠ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلا ضَرَبْنَا لَهُ الأمْثَالَ وَكُلا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا * وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ .

أشار تعالى إلى هذه القصص وقد بسطها في آيات أخر ليحذر المخاطبين من استمرارهم على تكذيب رسولهم فيصيبهم ما أصاب هؤلاء الأمم الذين قريبا منهم ويعرفون قصصهم بما استفاض واشتهر عنهم.

ومنهم من يرون آثارهم عيانا كقوم صالح في الحجر وكالقرية التي أمطرت مطر السوء بحجارة من سجيل يمرون عليهم مصبحين وبالليل في أسفارهم، فإن أولئك الأمم ليسوا شرا منهم ورسلهم ليسوا خيرا من رسول هؤلاء ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٢٥٥

أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ولكن الذي منع هؤلاء من الإيمان -مع ما شاهدوا من الآيات- أنهم كانوا لا يرجون بعثا ولا نشورا، فلا يرجون لقاء ربهم ولا يخشون نكاله فلذلك استمروا على عنادهم، وإلا فقد جاءهم من الآيات ما لا يبقي معه شك ولا شبهة ولا إشكال ولا **ارتياب**.." (١)

"﴿ ٦٠-٦١ ﴾ ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ * أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ .

هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخرى، وجعلها مقصود العبد ومطلوبه، ويخبرهم أن جميع ما أوتيه الخلق، من الذهب، والفضة، والحيوانات والأمتعة، والنساء، والبنين، والمآكل، والمشارب، واللذات، كلها متاع الحياة [الدنيا] وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصيرا، متاعا قاصرا، محشوا بالمنغصات، ممزوجا بالغصص.

ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يزول ذلك سريعا، وينقضي جميعا، ولم يستفد صاحبه منه إلا الحسرة والندم، والخيبة والحرمان.

﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ من النعيم المقيم، والعيش السليم ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ أي: أفضل في وصفه وكميته، وهو دائم أبدا، ومستمر سرمدا.

﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي: الأمور (١) أولى بالإيثار، وأي: الدارين أحق للعمل لها فدل ذلك أنه بحسب عقل العبد، يؤثر الأخرى على الدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله، ولهذا نبه العقول على الموازنة بين عاقبة مؤثر الدنيا ومؤثر الآخرة، فقال: ﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ﴾.

أي: هل يستوي مؤمن ساع للآخرة سعيها، قد عمل على وعد ربه له، بالثواب الحسن، الذي هو الجنة، وما فيها من النعيم العظيم، فهو لاقيه من [ص ٦٢٢] غير شك ولا **ارتياب**، لأنه وعد من كريم صادق الوعد، لا يخلف الميعاد، لعبد قام بمرضاته وجانب سخطه، ﴿ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فهو يأخذ فيها ويعطي، ويأكل ويشرب، ويتمتع كما تتمتع البهائم، قد اشتغل بدنياه عن آخرته، ولم يرفع بهدى الله رأسا، ولم ينقد للمرسلين، فهو لا يزال كذلك، لا يتزود من دنياه إلا الخسار والهلاك.

﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ للحساب، وقد علم أنه لم يقدم خيرا لنفسه، وإنما قدم جميع ما يضره، وانتقل إلى دار الجزاء بالأعمال، فما ظنكم إلى ما يصير إليه؟ وما تحسبون ما يصنع به؟ فليختر العاقل لنفسه، ما هو أولى بالاختيار، وأحق الأمرين بالإيثار.

---

(١) في ب: الأمرين.." (٢)

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٥٨٣

(٢) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٦٢١

"﴿ ٤٧ – ٤٨ ﴾ ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ * وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ .

أي: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزلْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا محمد، هذا ﴿ الْكِتَاب ﴾ الكريم، المبين كل نبأ عظيم، الداعي إلى كل خلق فاضل، وأمر كامل، المصدق للكتب السابقة، المخبر به الأنبياء الأقدمون.

﴿ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ فعرفوه حق معرفته، ولم يداخلهم حسد وهوى.

﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ لأنهم تيقنوا صدقه، بما لديهم من الموافقات، وبما عندهم من البشارات، وبما تميزوا به من معرفة الحسن والقبيح، والصدق والكذب.

﴿ وَمِنْ هَؤُلاءِ ﴾ الموجودين ﴿ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ﴾ إيمانا عن بصيرة، لا عن رغبته ولا رهبته. ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلا الْكَافِرُونَ ﴾ الذين دأبهم الجحود للحق والعناد له. وهذا حصر لمن كفر به، أنه لا يكون من أحد قصده متابعة الحق، وإلا فكل من له قصد صحيح، فإنه لا بد أن يؤمن به، لما اشتمل عليه من البينات، لكل من له عقل، أو ألقى السمع وهو شهيد.

ومما يدل على صحته، أنه جاء به هذا النبي الأمين، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله، وهو لا يكتب بيده خطا، ولا يقرأ خطا مكتوبا، فإتيانه به في هذه الحال، من أظهر البينات القاطعة، التي لا تقبل **الارتياب**، أنه من عند الله العزيز الحميد، ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو ﴾ أي: تقرأ ﴿ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا ﴾ لو كنت بهذه الحال ﴿ لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ فقالوا: تعلمه من الكتب السابقة، أو استنسخه منها، فأما وقد نزل على قلبك، كتابا جليلا تحديت به الفصحاء والبلغاء، الأعداء الألداء، أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، فعجزوا غاية العجز، بل ولا حدثتهم أنفسهم بالمعارضة، لعلمهم ببلاغته وفصاحته، وأن كلام أحد من البشر، لا يبلغ أن يكون مجاريا له أو على منواله، ولهذا قال:." (١)

"﴿ ٥٢-٥٤ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ .

أي ﴿ قُلْ ﴾ لهؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران ﴿ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ ﴾ هذا القرآن ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ من غير شك ولا **ارتياب**، ﴿ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم.

فإن قلتم، أو شككتم بصحته وحقيقته، فسيقيم الله لكم، ويريكم من آياته في الآفاق كالآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر على الحق.

﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ مما اشتملت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر المؤمنين. ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ﴾ من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ وما

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٦٣٣

اشتمل عليه حق.

وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء.

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرًا متضمنًا لشهادته القولية، عند من شك فيها.

﴿ أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ﴿ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴾ علما وقدرة وعزة.

تم تفسير سورة فصلت

-بمنه تعالى-." (١)

"﴿ ١٤-١٥ ﴾ ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم

أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم.

﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ أي: بتأخير العذاب القاضي ﴿ إلى أجل مسمى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ ولكن حكمته وحلمه، اقتضى تأخير ذلك عنهم. ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم ﴿ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكا **وارتيابا**، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم.

﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ﴾ أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتبه وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقبله، ﴿ وَاسْتَقِمْ ﴾ بنفسك ﴿ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك.

ومن المعلوم أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له.

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٧٥٢

﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: "ولا تتبع دينهم" لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهوا ولعبا.

﴿ وَقُلْ ﴾ لهم عند جدالهم ومناظرتهم: ﴿ آمَنْتُ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾ أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن وبمن جاء به، فكتابنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته.

وأما مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم.

وقوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لأعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ من خير وشر ﴿ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدال، إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وإنما المراد ما ذكرنا.

[ص ٧٥٦]

﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ يوم القيامة، فيجزي كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب.." (١)

"﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ .

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ ﴾ [أي:] في نفسه ﴿ وَقَدَّرَ ﴾ ما فكر فيه، ليقول قولا يبطل به القرآن.

﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو و [لا] أمثاله، ﴿ ثُمَّ نَظَرَ

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٧٥٥

﴿ ما يقول، ﴿ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴾ في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضا له، ﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ ﴾ أي: تولى ﴿ وَاسْتَكْبَرَ ﴾ نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي أن قال:

﴿ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد (١) .

فما حقه إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى:

﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ ﴾ أي: [ص ٨٩٧] لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته.

﴿ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴾ أي: تلوحهم [وتصليهم] في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرها.

﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً ﴾ وذلك لشدتهم وقوتهم. ﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعذاب يسمى فتنة، [كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾] ويحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا ما ذكر بعده في قوله: ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطابقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون كلما أنزل الله آية، فآمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم، ﴿ وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ أي: ليزول عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد جليلة، يعتني بها أولو الألباب، وهي السعي في اليقين، وزيادة الإيمان في كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد (٢) الجليلة، ومميزا للكاذبين من الصادقين، ولهذا قال: ﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي: شك وشبهة ونفاق. ﴿ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا ﴾ وهذا على وجه الحيرة والشك، والكفر منهم بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله لمن يضل ولهذا قال:

﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه، ومن أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمة في حقه، والواجب أن يتلقى ما أخبر الله به ورسوله بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك من الملائكة وغيرهم ﴿ إِلا هُوَ ﴾ فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا **ارتياب**، ﴿ وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ أي: وما هذه الموعظة والتذكار مقصودا به العبث واللعب، وإنما المقصود به أن يتذكر [به] البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه.

(١) في ب: على وصفه بهذا الوصف لكلام الله تعالى.

(٢) في ب: المقاصد.." (١)

"﴿ ١ - ١٥ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

أقسم تعالى على البعث والجزاء بالأعمال (١) ، بالمرسلات عرفا، وهي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه القدرية وتدبير العالم، وبشئونه الشرعية ووحيه إلى رسله.

و ﴿ عُرْفًا ﴾ حال من المرسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث.

﴿ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴾ وهي [أيضا] الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها.

﴿ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴾ يحتمل أنها الملائكة (٢) ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها.

﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴾ هي الملائكة تلقي أشرف الأوامر، وهو الذكر الذي [ص ٩٠٤] يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل.

﴿ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ أي: إعذارا وإنذارا للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف وتقطع معذرتهم (٣) ، فلا يكون لهم حجة على الله.

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾ من البعث والجزاء على الأعمال ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أي: متحتم وقوعه، من غير شك ولا **ارتياب.**

فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي والأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، وذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل، وأجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال:

﴿ لأيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴾ استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل.

---

(١) في ب: على الأعمال.

(٢) في ب: يحتمل أن المراد بها الملائكة.

(٣) في ب: أعذارهم.." (٢)

---

(١) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٨٩٦

(٢) تفسير السعدي، المؤلف غير معروف ص/٩٠٣

"الرجس : النجس ومعناه هنا الكفر يعني ازدادوا كفرا الى كفرهم .

بعد ذكر الوان من مخازي المنافقين وكشف اخلاقهم بين هنا أنواعا اخرى من تلك المثالب مثل سخريتهم من القرآن الكريم ، وتسللهم حين سماعه .

﴿ وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ﴾ .

واذا ما أنزل الله سورة من القرآن على رسوله ، وسمعها المنافقون ، سخرواواستهزأوا ، وقال بعضهم لبعض : هل منكم من زادته هذه السورة إيمانا؟ وجواب ذلك يا محمد : نعم ، المؤمنون الذين ابصروا النور وعرفوا الحق زادتهم إيمانا إلى إيمانهم . يفرحون بذلك ويستبشرون ، لأنهم يرجون الخير من هذه الزيادة ، وذلك بتزكية أنفسهم في الدنيا والآخرة .

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ .

وأما المنافقن الذين في قلوبهم شك وارتياب ، فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وحين ماتوا على الكفر والنفاق كان مأواهم جهنم وبئس المصير .

﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ .

أولا يعتبر هؤلاء المافقون بما يبتليهم الله به كل عام من ألوان باللاء بكشف أستارهم ، وإنباء الله بما في قلوبهم وفضيحتهم ، ونصر المؤمنين!! ثم هم مع كل هذا لا يتوبون من نفاقهم ، ولا يتعظون بما يحل بهم من العذاب .

قراءات :

قرا حمزة ويعقوب : « او لا ترون » بالتاء .

﴿ وإذا مآ أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ .

بعد ان بين حال تأثير إنزال آيات القرآن في المنافقين وهم غائبون عن مجلس الرسول A ، بين حالهم هنا وهم في مجلسه حين نزولنا واستماع تلاوته لها . واذا ما انزلت سورة وهم في مجلس الرسول الكريم تسارقوا النظر وتفاخروا وقال بعضهم لبعضه : هل يراكم أحد؟ ثم انصرفوا متسللين لئلا يفتضحوا بما يزره عليهم من سخرية وانكار ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ وهذا دعاء عليهم ، فقد صرف قلوبهم عن الهدى فاهم يستحقون ان يزلوا في ضلالهم يعمهون ، لانهم قوم لا يفقهون ، حيث عطلوا قلوبهم عن وظيفتها واستمروا على عنادهم ونفاقهم .

ثم يختم الله تعالى هذه السورة الكريمة بآيتين تتحدث احداهما عن الصلة بين الرسول وقومه ، وعن حرصة عليهم ورحمته بهم ، والآية الثانية توجيه للرسول ان يعتمد على به وحده حين يتولى عنه من يتولى ، فهو وليه وناصره وكافيه .." (١)

"الجدل : الحجاج والمناظرة ، مأخوذ من جدل الحبل وفتله ، والمناظر يفتل خصمه عن رأيه . مسلمون : مطيعون ، خاضعون . وما يجحدون بآياتنا : وما ينكر . اذا لارتاب المبطلون : اذا لشك أهل الباطل .

يؤكد القرآن الكريم على الدعوة بالرفق واللين ، ومجادلة اهل الكتاب بالتي هي أحسن ، ومقابلة الغضب ولاعصبية بالهدوء وكظم الغيظ ، فيقول ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ . ويقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة

---

(١) تفسير القطان، المؤلف غير معروف ١٧٧/٢

والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] . ويقول : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [المؤمنون : ٩٦] .

هذه أوامر الله تعالى في القرآن الكريم ، يأمرنا ان نتحلى بالرفق واللين ، وندعو ونجادل بالتي هي أحسن . لكننا مع الأسف نجد معظم الذين يرتدون في الظاهر زي الدين ، ويدعون الى الله – لا يتحلون بهذه الاخلاق ، فتجدهم على المنابر متشنجين متشددين ، وقد لا نظلمهم إذا قلنا ان بعضهم يتشنج في خدمة جيبه ، لا خدمة ربه .

﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾

اما الذين ظلمونا وحاربونا وناصبونا العداء فإن الله تعالى أمرنا ان نقابلهم بالمثل ، حيث لا ينفع معهم الرفق ولا اللين . وفي مذابح لبنان وافغانستان شاهد على ذلك .

﴿ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾

قولوا لهم : آمنا بالقرآن الذي أنزل الينا ، والتوراة والإنجيل ، معبودنا ومعبودكم واحد ونحن خاضعون له ، ومنقادون لأمره .

ثم بين الله انه لا عجب في إنزال القرآن على الرسول الكريم ، فهو على مثال ما أنزل من الكتب من قبل فقال :

﴿ وكذلك أنزلنآ إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنآ إلا الكافرون ﴾ .

كما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك القرآن ، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن من اليهود والنصارى – يؤمنون به ، اذ كانوا مصدقين بنزوله حسب ما ورد في كتبهم . ومن هؤلاء العرب من يؤمن به ، وما يكذب بآياتنا بعد ظهورها الا المصرون على الكفر .

ثم اكد الله إنزاله من عنده ، وأزال الشبهة في افترائه فقال :

﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ .

ما كنت يا محمد تقرأ ولا تكتب من قبل ان ينزل اليك القرآن ، وهذا أمر يعلمه جميع أهل مكة ، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك أهل الباطل في أن هذا القرآن من عند الله .

ثم اكد ما سلف وبين ان هذا القرآن منزل من عند الله حقا فقال :

﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنآ إلا الظالمون ﴾ .

ان هذا القرآن لا يمكن ان يكون موضع **ارتياب** ، بل هو آيات واضحات محفوظة في صدور الذين آتاهم الله العلم . ولا ينكر آياتن الا الظالمون للحق ولأنفسهم ، الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور .." (١)

"من جبل على الشح لا يزداد بسعة يده إلا تأسفا على راحة ينالها الخلق ، كأن من شرب قطرة ماء قد تحسى بل رشف من ماء حياته! .

(١) تفسير القطان، المؤلف غير معروف ٧٢/٣

قوله : ﴿ أم يحسدون الناس ﴾ : بل ينكرون تخصيص الحق سبحانه لأوليائه بما يشاء حسدا من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال ، وسنة الله سبحانه مع أوليائه مضت بالتعزيز والتوقير لهم . ودأب الكافرين جرى **بالارتياب** في القدرة؛ فمنهم من آمن بهم ، ومنهم من رد ذلك وجحد ، وكفى بعقوبة الله منتقما عنهم .

قوله : ﴿ وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ : الملك العظيم معرفة الملك ، ويقال هو الملك على النفس .

ويقال الإشراف على أسرار المملكة حتى لا يخفى عليه شيء .

ويقال الاطلاع على أسرار الخلق .." (١)

"وأي عذر لنا في التعريج في أوطان **الارتياب** ، وقد تجلت لقلوبنا الحجج؟ ثم ما نؤمله من حسن العاقبة . . متى بدونه يمكن أن نطلبه؟ .." (٢)

"سلكوا في التكذيب مسلك سلفهم ، وأسرفوا في العناد مثل سرفهم ، فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم .

قوله : ﴿ لقد وعدنا ﴾ لما طال عليهم وقت الحشر ، وما توعدهم به من العذاب بعد البعث والنشر زاد ذلك في **ارتيابهم** ، وجعلوا ذلك حجة في لبسهم واضطرابهم ، فقالوا : لقد وعدنا مثل هذا نحن وآباؤنا ، ثم لم يكن لذلك تحقيق؛ فما نحن إلا أمثالهم . فاحتج الله عليهم في جواز الحشر بما أقروا به من ابتداء الخلق :." (٣)

"أحاط بهم سرادق البلاء ، وأحدق بهم عسكر العدو ، واستسلموا للاجتياح ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتقسمت الظنون ، وداخلتهم كوامن **الارتياب** ، وبدا في سويدائهم جولان الشك .." (٤)

"ج١ص١٨٦

والمصنف رحمه الله لم يتعرض له لما فيه من الخفاء والإبهام ، وقوله : بمعنى المفعول ظاهر ، وفي بعض النسخ بني للمفعول ، وهو إن صح فبنى معناه صيغ لبيان معنى المفعول ، وهو أحد معاني البناء المارة . وقوله : (ثم أطلق على النظوم إلخ) ولم ينظر حينئذ إلى أنه حروف مجموعة وأصله الجمع مطلقا لأنه أصل مهجور هنا فلا يقال إنه مضي إلى المجاز بلا ضرورة كما توفم . قوله : (معناه أنه لوضوحه إلخ (جواب عن أنه كيف نفى الريب استغراقا مع كثرة المرتابين والريب ، أي هو لوضوح شأنه ، ونير برهانه لا يرتاب فيه ذو نظر صحيح فتعين أنه وحي معجز وما سواه بمنزلة العدم لا يعتد به ، ولا **بارتيابه** فمعنى نفيه عنه أنه ليس محلا له ، ولا مظنة عند العاقل المنصف ولذا قيل إنه لنفي اللياقة ، والسطوع ظهور النار والنور ، وارتفاعهما استعير لغاية الظهور وقوله بحيث خبر أن وما بينهما اعتراض ، وحد الإعجاز له معنياه نهايته ومرتبته والإضافة بيانية أي النهاية التي هي الإعجاز ، أو مرتبة هي الإعجاز ، وسيأتي تنويره في تفسير قوله تعالى ﴿ ولو كان من عند غير

---

(١) تفسير القشيري، المؤلف غير معروف ٤٨٨/١

(٢) تفسير القشيري، المؤلف غير معروف ١٦٣/٢

(٣) تفسير القشيري، المؤلف غير معروف ٢٨١/٥

(٤) تفسير القشيري، المؤلف غير معروف ٢٤٠/٦

الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [النساء : ٨٢] وقد قيل عليه : إن بلوغه حد الإعجاز هو برهانه الساطع ، فالأولى أن يقتصر على كونه وحيا ، ولا يذكر قوله بالغا حد الإعجاز ، وقيل السطوع إجمال والبلوغ المذكور تفصيل له ، والإجمال لا يغني عن التفصيل ، على ان قوله بالغا إلخ من تتمة بيان محل **الارتياب** المنفي بعد النظر الصحيح وتلخيصه أن ظهور برهانه بحسب نفس الأمر يوجب نفي **الارتياب** بعد النظر الصحيح في كونه بالغا حد الإعجاز ، فهذا كالعلة لعدم **الارتياب** في كونه وحيا ، فليس في الكلام ما يستغنى عنه حتى يقال : إن الأولى تركه والأحسن أن يقال : إن قوله لوضوحه أي لظهور أحواله المخصوصة به علة لكونه وحيا وسطوع برهانه أي كونه في القوة والنور المبين غير خفي علة لبلوغه حد الإعجاز ، ففيه لف ونشر . قوله : (لا أن أحدا لا يرتاب فيه إلخ) عطف على معناه أي المعنى هذا لا هذا ، وقوله : ألا ترى بتاء الخطاب تأييد للنفي وعبر بما ذكر للدلالة على أنه لغاية وضوحه كالمحسوس الذي يرى وبعض الطلبة يقرؤه بالياء التحتية المضمومة تأدبا ، والرواية بخلافه أو عدل عن قوله في الكشاف ما نفى أن أحدا لا

يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقا للريب ، ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة ، وسطوع البرهان ، بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه إلخ . فغير العبارة وقدم وأخر إشارة إلى ما فيه مما لا يرتضيه لأنه كما اتفق عليه شراحه كان الظاهر أن يترك لا من قوله إن أحدا لا يرتاب إلخ لئلا يفسد المعنى لأن نفي نفي الريب إثبات له ، وقد وجه بما لم يصف من الكدر فقيل : لا زائدة وليس بشيء ، وقيل : في نفي ضمير مستتر راجع للريب بقرينة السؤال وقيل : إن قبل أن حرف جر مقدر ، لأنها مفتوحة رواية ودراية ، فكسرها توهم فارغ وتقديره ما نفى الريب بأن أحدا ، أو لأن أحدا ، أو على معنى أن أحدا لا يرتاب فيه ، ورد بأن المنفي حينئذ العلة ، والتفسير فلا يقابله قوله وإنما المنفي إلخ . فالواجب أن يقال : وإنما نفي لعلة ، أو على معنى آخر ، وفيه نظر والأحسن ما قاله المحقق من أن في الكلام نقصا نوه عنه لما أشار إليه بعض الفضلاء من أن المقابلة نظرا لمآل المعنى ، ومحصله أو هو وارد على خلاف مقتضى الظاهر مثلا بل المعنى ومثله أكثر من أن يحصر ، وقيل : معناه ليست القضية الماتي بها سالبة هي هذه فالنفي بمعنى الإتيان بالخبر سالبا لا بمعنى الإعدام ، فتصح المقابلة لا أن الكلام في استعمال النفي بهذا المعنى مع أن الحكم بزيادة لا أقل تكلفا منه كما قال قدس سره : والظاهر أن النفي بهذا المعنى في كلام المصنف ، وعرف التخاطب غير عزيز ، وما ذكره من المقابلة غير مسلم ، فإن المنفي في قوله : إنما المنفي ليس بذلك المعنى ، فلا تصح المقابلة ظاهرا والتكلف في تصحيح الأولين أقل من التكلف في هذا ، ثم قال قدس سره : وفي مبالغته في الحصر بقوله وإنما إلخ إشارة إلى أنه ليس المنفي ههنا إلا كون القرآن محلا صالحا في نفسه لتعلق الريب به ، ومظنة له بل هو لوضوح الدلالة وسطوع البرهان على كونه حقا منزلا من عند الله بحيث لا ينبغي لأحد أن يرتاب فيه ، وهذا معنى صحيح لا يقدح في صدقه **ارتياب** جميع الناس فضلا عن **ارتياب** بعضهم " ، وفي اختيار إنما إشعار بأن كون المنفي ما ذكره أمر مكشوف ، كما تقول بعد تلخيص مسئلة على وجه صواب هذا مما لا شك ، ولا شبهة فيه مع تردد المخاطب فيها تريد أنها يقينية لا يليق بأحد أن يشك فيها." (١)

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١/١٨٦

وتقول لمن ينكر أمرا لا إنكار فيه أي ليس هو محلا للإنكار وخليقا به هذا زبدة ما حققه السيد السند وفيه مؤاخذات مفصلة في حواشي المطول لا حاجة لإيرادها هنا ، والحق كما قاله بعض الفضلاء أن في عبارة الكشاف تعسفا على سائر الوجوه فلذا عدل عنها المصنف رحمه الله ، فلله دره . قوله : (﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ﴾ [البقرة : ٢٣]) قيل : إن مراد المصنف أن وجود الريب وان تحقق إلا أنه منزل منزلة العدم لأنه لا يصدر عن عاقل تدبره ، وما يصدر عن غيره لا عبرة به ، فكأنه غير موجود رأسا فنفيه عنه نفي لكونه محلا له ، ومظنة لثبوته والدليل على أنه أراد هذا تأييده ما مر بقوله ألا ترى إلخ ، فليس حاصل جوابه تخصيصا لنفي الريب ، كما توهم بل يثير إلى ما نقل هنا عن بعض الفضلاء من أن ما في الكشاف معناه ليس القرآن مظنة للريب ، ولا ينبغي أن يرتاب فيه ، فقيل

عليه : إنه مئنة لريب المرتابين ومع تحقق المئنة كيف يصح نفي المظنة وقول المصنف لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح تخصيص لنفي الريب العام ، ولو صح هذا ما أشكل على أحد ، وقد استشكله مهرة المفسرين ، فالأصح أن معنى ما في الكشاف أن الريب بمعنى جنسه منفي على عمومه ، وإن كان المتقي في الحقيقة استحقاق الريب ولياقته به لا هو نفسه ، وليس المراد تقدير الاستحقاق فيه ، ولا أن المنفي وجوده بل تعلقه بالقرآن تعلق الوقوع من غير نظر إلى تعلقه بالمرتاب فضلا عن أن يكون المنفي هو التعلق الثاني ، وذلك أن الارتياب له نسبة إلى الطرفين ، وكل ما هو كذلك يجوز أن يكون مناط إيجابه ، وسلبه تعلقه بأحد الطرفين ليس إلا كما بين في محله ، فإن قلت إنهم قالوا قراءة لا ريب بالفتح نص في الاستغراق لأن نفي الجنس مستلزم له قطعا ، فكيف يتأتى ادعاء التخصيص قلت : هذا غير مسلم لما قاله بعض المدققين : من أن الموجبة الجزئية والسالبة الجزئية لا يتناقضان ، فيجوز أن ينتفي الجنس في ضمن فرد ويثبت في ضمن فرد آخر ، إلا أن يقال المفهوم بحسب العرف من نفي الجنس بلا تقييد نفيه بالكلية ، وأيضا لا يظهر الكلام على رأي من جعل اسم الجنس موضوعا بازاء فرد ، ومن ههنا تبين لك أنه لا فرق بين كلام الشيخين لمن كان صادق النظر . قوله : (فإنه ما أبعد عنهم الريب إلخ) أي لم يجعل الريب بعيدا عنهم فما نافية لا تعجبية وقد أورد عليه أن قوله ما أبعد إلخ لا يناسب ما قبله بل المناسب له أن يقول إن إن الشرطية هنا بمعنى إذا إلا أنه قصد توبيخهم على الإرتياب ، فصور بصورة ما لا يثبت إلا على سبيل الفرض والتردد لوجود ما يقلعه من أصله ، أو على من لم يقطع بارتيابه على المرتابين وأيضا إن ظاهر قوله : ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ [البقرة : ٢٣] الآية لا يفيد القطع بوجود الريب فلا يلائم قوله : لا أن أحدا لا يرتاب إلخ ليحصل التأييد ، فالمناسب أن يؤيد بقوله : ﴿ ما هذا إلا إفك مفترى ﴾ [سبأ : ٤٣] ونحوه وأجيب بأن القطع بوجود الريب كما أنه ينافي القطع بانتفائه كذلك تجويز الريب ينافي القطع بانتفائه واختيار هذه الآية لوجود لفظ الريب فيها وليس بشيء لمن تدبر السياق ، لأن المصنف رحمه الله قصد بما ذكر . تنوير أمرين أحدهما إن معناه نفي ارتياب العاقل بعد النظر الصحيح . والثاني عدم إرادة نفي الإرتياب مطلقا بقوله ما أبعد الريب إلخ أي جوزه بكلمة الشك وان كان تجويزه لا يستلزم نفي إبعاده لجواز أن يجوز أمر بعيد لأنه إنما يتأتى إذا كانت كلمة الشك على حقيقتها ، وليس كذلك فإنه عبر هنا بصورة الشك عن ريب محقق قطعا إشعارا بأنه ليس في محله لسطوع برهانه ، وبقوله بل عرفهم الطريق المزيح إلخ فإنه يفيد

نفي **الارتياب** بعد الإزاحة ، فظهر أن لا ريب نفي لجنس الريب ، رآلمراد منه نفي الريب الخاص ، كما مر للعلم بوجود جنس الريب بدليل العقل والنقل ، وتعيين هذا المعنى المجازي بسطوع البرهان ، فلا وجه لما تكلف من البيان . قوله : (عرفهم الطريق المزيح الخ) المزيح بضم الميم وكسر الزاي المعجمة والياء المثناة التحتية ، ثم حاء مهملة كالمزيل لفظا ومعنى وضمير له

للريب وهو للطريق ، لأنه يذكر ويؤنث أو للمزيج ، لأنه ففسر له ، والاجتهاد في الأمر أن يأتي به على أبلغ ما في وسعه وطاقته ، ومنه الاجتهاد في الأمور الشرعية ، والنجم المقدار عنه الذي يحصل به التحدي ، والنجوم المقادير المفرقة والقرآن نزل نجوما ، ونجم عليه الك ين نجعله نجوما أي مقادير معينة يقال : نجمت المال إذا وزعته ، كأنك فرضت أن تدفع إليه عند طلوع كل نجم نصيبا ، – ثم صار." (١)

"ج١ص١٨٨

متعارفا في تقدير دفعه بأي شيء قدرت ذلك كما قاله الراغب والجهد بالضم الطاقة وما يقدرون عليه . وقوله : (أن ليس فيه مجال للشبهة) هذا ناظر لقوله لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح ، وأصل المجال محل الجولان ، وهو الحركة في الجوانب ، وهو كناية عن نفي الشبهة على أبلغ وجه كما يقال لا محل له . قوله : (وقيل معناه إلخ) هذا معطوف على معناه السابق ، وهو جواب آخر عن السؤال السابق في توجيه نفي الريب والمرتابين كما مر ، وعلى هذا فيه صفة لاسم لا وللمتقين خبر لا ، ومرضه المصنف رحمه الله الما قيل عليه من أن المعروف في الظرف الواقع بعد لا أن يكون خبرا لا صفة ، والمناسب لمقام المدح نفي الريب مطلقا مع أنه ينبو عن وصل المتقين بالذين إذ المعنى حينئذ لا شك في حقيته للمتقين المصدقين بحقيته ، ولا يخفى ما فيه ، والظاهر توجه النفي إلى القيد حينئذ فيختل المعنى إذ يلزمه وجود الريب إذا لم يكن هاديا مع تنافي القيد ، والمقيد ظاهرا وما قيل : من أنه قيد للنفي لا للمنفي حتى لا يرد ما مر لا يدفعه ، لأنه إثبات لما هو منشأ الإشكال ، ونفي لما لم- يصدر عن صاحب هذا المقال ، فإن أريد الرذ على غيره ، فلا مشاحة ولا جدال .

(أقول) ما توهمه من أن منشأ الإشكال كونه قيدا للنفي ليس بصحيح إنما منشؤه أنه إذا لم

يكن هديا اقتضى ثبوت الريب فيه للمتقين ، وهو فاسد لأن المتقي لا يرتاب أصلا ، ولذا قيل إن الحال على هذا الأزمة ، فلا يبقى للإشكال مجال ، وأما جعله قيدا للنفي ، كما في قوله تعالى : ﴿ فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ [الطور : ٢٩] وقوله ونجي التلخيص لم أبالغ في اختصاره تقريبا فهو مستقيم لكنه لا يدفع الإشكال ، وكونه لا يقول به صاحب هذا المقال دعوى غير مسموعة نعم تمريض المصنف له ظاهر لعدم املاءمته للسياق ، وقلة جدواه ، فإن المتقي لا يتصور منه الريب حتى ينفي . قوله : (وهدي حال من الضمير المجرور) نفي الراجع على القرآن والمصدر يقع حالا مبالغة بجعله عين الهدي أو مؤولا بالتأويل المشهور . وقوله : (والعامل فيه) أي في الحال ، لأنها تذكر وتؤنث والمراد بالظرف لفظ فيه لأن الظرف يطلق على أسماء الظروف نحو عند وحيث ، وعلى الجار والمجرور لا سيما وفي الجارة هنا ظرفية وفيه تسامح لأنه أراد بالظرف متعلقه وهو حاصل أو استقر ، لأنه هو الصفة والعامل حقيقة في الضمير محلا فلا يرد عليه أن

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١/١٨٧

العامل في الحال ، وهو متعلق الظرف غير العامل في ذيها ، وهو في الجارة حتى يقال إنه على رأي من لم يثترط إتحاد عاملهما قيل : وهذا هو السر في إطناب

المصنف هنا بقوله والعامل إلخ وأما تعلق فيه بريب ، فرد بأنه يكون مطولا ، فيتعين نصبه على اللغة الفصيحة ، وإن وجه بأن المراد أنه معمول لما دل عليه الريب لا له نفسه كما في الدر المصون . قوله : (والريب في الأصل) أي هذا معناه في أصل اللغة ثم استعمل في الشك والكذب والتهمة ، وهو مصدر أيضا لكنه بحسب أصل اللغة مجاز من استعمال المسبب في السبب كما أيثحار إليه بقوله : لأنه يقلق قال أبو زيد : يقال رابني من فلان أمر إذا كنت مستيقنا منه بالريب ، فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن منه بالريب قلت : أرابني من فلان أمر هو فيه إرابة وقد أبان الفرق بين راب وأراب بشار في قوله :

أخوك الذي إن ربته قال إنما أراب وان عاتبته لان جانبه

والارتياب يجري مجرى الإرابة كما قاله الراغب . وقوله . حصل بتشديد الصاد المهملة

من التحصيل ، والريبة بكسر الراء ، وقلق النفس أصله عدم السكون والقرار كتقلب المريض على فراشه ، والإضطراب بمعناه لأنه افتعال من الضرب ويقابله الإطمئنان ، ثم عم الحركات الحسية والمعنوية . قوله : (سمي به الشك إلخ (ظاهر قوله سمي أنه حقيقة في معنى الشك ويشهد له ظاهر كلام الأساس وغيره من كتب اللغة إلا أن سياقه . وقوله . (لأنه يقلق إلخ (يأباه ، ولذا قال : أرباب الحواشي إن المصنف رحمه الله أراد أنه عدل به عن معناه المصدري واستعمل في معنى الشك مجازا بعلاقة السببية بذكر المسبب وإرادة السبب ، ولو أريد معناه الأصلي لقيل لا ريب له فسمي هنا بمعنى استعمل وهو كثيرا ما يستعمل بهذا المعنى ، وان كان الأكثر أنه بمعنى وضع الاسم العلم أو مطلق الوضع ، وقيل عليه : إن القرآن لا يتوهم أن يكون رائبا حتى يقال : لا ريب له بل لو كان مصدرا كان الواجب لا ريب فيه ، وهو على كل حال مصدر لأنه تجوز في فعله أيضا ، وهذا من عدم." (١)

"ج١ص١٨٩

الوقوف على مراده فإن مراده بالمصدر المصدر الحقيقي أي القلق ، وهو يتعدى باللام يقال قلق له وان تعدى الشك بقي ، وفيه إشارة إلى أنه مجاز في الأصل صار حقيقة في الاستعمال ، وعوف اللغة وظاهر . ترادف الشك والريب إلا أنه قيل عليه أنه ليس كذلك لأن الريب شك مع تهمة ، ولذا قال الإمام : الريب قريب من الشك وفيه زيادة كأنه ظن سيء وقال الراغب الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة ، والمرية التردد في المتقابلين ، وطلب الإمارة مأخوذ من مري الضرع إذا مسحه للدر ، فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن ، والريب أن يتوهم في الشيء أمر ما ثم ينكشف عما توهم فيه ، وقال الحوي : يقال الشك لما استوى فيه الاعتقادان ، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما لدرجة الظهور الذي تبني عليه الأمور ، والريب لما لم يبلغ درجة اليقين ، وان ظهر نوع ظهور ولذا حسن هنا لا ريب فيه للإشارة إلى أنه لا يحصل فيه ريب فضلا عن شك ، وعلى هذا ينبني ما في كتب الأصول من

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١/١٨٨

الفرق بين الشك
والظن إلا أن المصنفين يفسرون بالأعم ونحوه كثيرا من غير مبالاة منهم ومثله تعاريف لفظية مبنية على التسامح . وقوله : (لأنه) أي الشك إشارة للعلاقة والطمأنينة السكون ويقابلها القلق وهو الحركة يقال : اطمأن القلب إذا سكن ، ولم يقلق والاسم الطمأنينة ، وأطمأن بالموضع أقام به واتخذه وطنا وقال بعضهم : الأصل في اطمأن القلب إذا سكن ، ولم يقلق والاسم الطمأنينة ، واطمأن بالموضع أقام به واتخذه وطنا وقال بعضهم : الأصل في اطمأن الألف مثل احمار واسواد ، فهمزوه فرارا من الساكنين وقيل الأصل همزة متقدمة على الميم ، فقلب على غير القياس بدليل قولهم طأ من الرجل ظهره إذا حناه ، والهمزة يجوز تسهيلها . قوله : (وفي الحديث دع ما يريبك الخ (١)) استشهد به على أن الريب له معنى غير الشك ، وهو القلق كما مر إذ لو اتحدا لكان قوله فإن الشك بمنزلة قولك فإن الأسد غضنفر ، وهو من لغو الحديث وقد قالوا : إن هذا الحديث رواه الترمذي ، والنسائي وحسناه ، وصححه الحاكم هكذا : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) ٢ (والمعنى دع ذلك إلى ذلك أي استبدله به أو دع ذلك ذاهبا إلى غيره على التقدير أو التضمين . وقوله : (فإق إلخ) معلل ، وممهد لما تقدمه . قيل : والمعنى إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق ، وترتاب في الكذب ، فارتيابك في الشيء ينبيء عن كونه باطلأ ، فاحذره واطمئنانك إلى الشيء يشعر بكونه حقا فاستمسك به ، وهذا خاص بذوي النفوس القدسية الطاهرة من وسخ الطبائع ، فظهر أن قوله : فإن الشك ريبة لا يستقيم رواية ودراية ، ورد بأنهما ممنوعان أما الدراية ، فلأن الشيخين بيناه بما لا مزيد عليه ، وأما الرواية فإن إحدى الروايتين لا تبطل الأخرى وكان عليه أن يبين الأخرى التي ادعاها فإن مثله لا يقال بالتشهي ، وقد صحح الحافظ ابن حجر ما في الكتاب بعينه وقال : إنه رواه الطبراني ، وروى البيهقي " فإن الشر ريبة والخير طمأنينة " (٣ (فاستشهد به كما مر على أن الريبة غير الشك ، والا لم يفد الكلام وبمقابلتها للطمأنيثة علم أنها موضوعة للقلق ، فانطبق الاستشهاد على تمام المدعى ويريبك في الحديث روي بضم الياء وفتحها والثاني هو المناسب هنا .

(بقي) إن الظاهر أنه ليس معنى الحديث ما قاله وتبعه فيه الشراح بل معنا . كما قاله
المحدثون خذ ما تيقنت حله وحسنه ، واترك ما شككت في حله وحسته ، كما ورد في الحديث الصحيح " اتقوا الشبهات فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه " (١) ومما هو صريح في ذلك ما روي أن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جئت تسال عن البر والإثم " . فقال : نعم فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال له : " استفت نفسك يا وابصة ثلاثا ، البر مات اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (٢) فلا وجه لما زعموه من اختصاصه بالأنفس القدسية فتدبر . قوله : (ومنه ريب الزمان) أي مما نقل من القلق إلى ما هو سببه من الشدائد وفصله بقوله : ومنه والضمير للريب المتجوز فيه مطلقا ، لأنه ليس بمعنى الشك وإنما شاركه فإن أصله القلق فسمي به ما هو سبب له كما قال الهذلي :
أمن المنون وريبه تتوجع

وقال الرازي : إن هذا قد يرجع إلى معنى الشك ، لأن ما يخاف من الحوادث محتمل ،
فهو كالمشكوك فيه وكذا ما يختلج بالقلب وفيه نظر ، والنوائب جمع نائبة ، وهي الحادثة من حوادث." (١)
"ج١ص٣٩٤
متصل بالسحاب كالشخص في جزء من البلد وهذا أقرب إلى المثال وذاك إلى عبارة الكتاب ، وقد تبع فيه الشارح المحقز ، ، وترك ما فيه من أن من الناس من ذهب إلى أن المراد بالبلد جزؤه ، وزعم أن الأعلى والمصب جزء من المطر وليس بذاك ، ومنهم من جعله من إطلاق أحد المجاورين على الآخر والأعلى والمصب سحاب والتمثيل لمجرد التلبس ، ولمجاورة ورد بأنه يكون المعنى حيئذ في السحاب رعد وبرق لا في المطر على ما هو المطلوب .
ثم قال ردا لما في الكشف : فإن قلت الظلمة والرعد أي الصت والبرق أي النارية واللمعان كلها أعراض ، والعرض لا يتمكن في المكان إلا بنوع توسع من غير فرق بين المطر والسحاب ، وبين الظلمة والرعد غاية ما في الباب أن وجه التلبس يكون في البعض أوضح كالرعد بالنسبة إلى السحاب .
قك : معنى الظرفية التي تفيدها في أعم من أن يكون على وجه التمكن في المكان كالجسم في الحيز أو على وجه الحلول في المحل كالعرض في الموضوع أو على وجه الاختصاص بالزمان كالضرب في وقت كذا ، وظلمة السحمة والتطبيق في السحاب حقيقة بخلاف ظلمة الليل ، وكذا تمكن الجسم الذي يقوم به صوت الرعد وبريق البرق حقيقة في السحاب لا في المطر فاحتيج للتأويل ، وما ذكره من أن ظرفية الزمان والمكان حقيقة تدل عليها في بالوضع مسلم عند الأدباء وأما كون ظرفية العرض في الموضوع كذلك فغير مسلم ،
والظاهر أن إطلاق في على ما ذكره بطريق الاشتراك اللفظي أو المعنوفي لا الحقيقة والمجاز كما قيل ، والذي في الكشف أن الظرفية الحقيقية أي كون الشيء مكانا لآخر لا تراد هنا فإنهما عرضاه والتمكن من خواص الأجسام وإنما يضاف للعرض بواسطة معروضة ، وهو وإن لم يرتضه الفاضل فهو الظاهر الموافق لكلام النحاة ، وليس قصره الظرفية الحقيقية على المكانية لنفي الزمانية بل لأنه محل النزاع ، ثم إن الذي أوقعهم في النزإع قوله أعلاه ومصبه فإن ضميربه للمطر وأصل إضافة اسم التفضيل أن يكون لما هو بعض منه فمنهم من أبقاه على ظاهره فجعل الظرف والمظروف قطرا ومنهم من صرفه عنه ، وجعله غير مضاف لبعضه وهو الحق وكأنه استعمله ظرفا بمعنى فوق كما أن أسفل يكون بمعنى تحت من غير تفضيل أي إذا كانا في شيء فوقه وهو منشؤه ومصبه والمراد بمصبه محل ينصب منه لا فيه وإليه كما توهم ، وفي حواشي ابن الصائغ حكى الشيخ عز الدين عن أبي علي فيه أي في وقته ، وقال غيره في مصبه ، وهو ضعيف لأن الرعد والبرق لا يكونان في الأرض وهو وهم لما عرفت .
وأعلم أن ألمصنف رحمه الله أتى بعبارة أوجز من عبارة الزمخشري ، وقصد في تغييرها
مقاصد حسنة فعدل عن قوله مصبه إلى منحدره بضم الميم وفتح الدال المهملة ، وهو اسم مكان أيضا لما في عبارة الكشاف من الغموض واحتمال إرادة الأرض! وهو فاسد كما مر ، وحذف قوله في الجملة إذ لا طائلى تحتة ، وترك قوله ألا تراك

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١٨٩/١

إلخ لأن المتبادر منه أن فلانا في البلد مجاز كما صرح به بعض شراحه ، وهو مخالف لما يفهم من العرف ، وقد صرحوا بأن صمت في الشهر حقيقة في صوم يوم منه كما صرحوا به وقياسه يقتضي أن هذا حقيقة أيضا كما صرح به في التلويح فقال في للظرف بأن يشتمل المجرور على ما قبلها اشتمالا مكانيا أو زمانيا تحقيقا ن!حو الماء في الكوز وزيد في البلد ، أو تشبيها نحو زيد في نعمة ، وفي الرضى الظرفية الشحقيقية نحو زيد في الدار وهو مما لا خفاء فيه ، وقد يقال إنه تنظير بقطع النظر عن الحقيقة والمجاز فإن الكائن في بقعة من البلد يجعل في جميعها لما بينهما من الملابسة إلا أنه يرد حينئذ ما ذكر على شراحه فتدبر ، وقد أطلنا هنا تحريرا وتقريرا إلا أن فيما أبدعناه ما يجعل ذنب الإسهاب (١) مغفورا ، ويبدي لعين الإنصاف نضرة وسرورا . قوله : (وإن أريد به السحاب إلخ) ما مر كله على أن المراد بالصيب المطر وقدمه لأنه المعروف في اللغة والاستعمال ، وسحمته بضم السين سواده وظلمته ، وتطبيقه كون بعضه فوق بعض ، وفيه تسامح ولم يقل وظلمة الليل لما مر وظلمة الليل مستفادة من التظلم كما مر وما قيل من أنه يجوز أن يعتبر ظلمات حصلت من إحاطة الغمام ، بآفاق السماء على التمام فإن كل أفق إذا استتر بسحاب تتراكم الظلمات بلا **ارتياب** .

قلت : لم يزد شيئا على ما ذكروه ، فإن ما تصلف به هو معنى تطبيقه بعينه غايته أنه جعل

جزء الوجه وجها مستقلا ، وقوله وارتفاعها فضمير المؤنث لظلمات ، وفي نسخة وارتفاعه بتذكيره لأنه لفظ والمراد أن." (١)

"ج٢ص٣٧

المذكور ليس بصريح وإنما أخذوه من مفهومه وانمفهوم غير معتبر فهو اكتفاء لا خصيص قبعياء عن السياق بمراحل. قوله : (لأنه المطابق لقوله الخ) أيد رجوع الضمير للمنزل بوجوه منها أنه الموافق لنظائره من آيات التحدي لأن المماثلة فيها صفة للمأتي به فكذا هنا إذا

جعل الظرف صفة للسورة والضمير للمنزل ومن بيانية كما عرفت ، ومنها أن الكلام فيه لا في المنزل عليه فارتباط آخر الكلام بأوله وترتب الجزاء على الشرط إنما يحسن كل الحسن إذا كان الضمير للمنزل فإنه الذي سيق له الكلام وفرض! فيه **الارتياب** قصدا وذكر القيد وقع تبعا فلذا صح عود الضميم- له في الجملة مع أنه لو عاد الضمير له ترك التصريح بمماثلة السورة له في البلاغة وهو عمدة التحدي وان فهم من السياق ومعونة المقام ، فسقط ما قيل هنا من أنه إذا رجع الضمير إلى العبد لا ينفك الكلام عن المنزل لأن المراد بالعبد العبد المنزل عليه وحاصله كون المنزل بحيث يعجز كل من طولب بالإتيان بما يداني سورة من سورة ممن هو على حال من أنزل عليه ولا حاجة إلى ما أجاب به من أنه أراد بالانفكاك انفكاك الضمير فإن الضمير المقدر في صلة الموصول راجع إلى المنزل. قوله : (ولأن مخاطبة الجتم الفقير الخ) ووجه الأبلغية ظاهر مما قرره المصنف لأن أمرهم بجملتهم بأن يأتوا بشيء من مثل ما أتى به واحد من جنسهم أبلغ من أمرهم بأن يجدوا واحدا يأتي بمثل ما أتى به رجل آخر ، والجم الغفير بمعنى الناس الكثير جدا من الغفر وهو الستر كأنهم يسترون وجه الأرض! لكثرتهم واستعمله المصنف مجرورا بالإضافة والمعروف في كلام العرب استعماله منصوبا على الحال يقولون جاؤوا الجماء

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١/٣٩٤

الغفير وجاء الغفير أي بجملتهم ، ومثله مما يأباه الأدباء ويعدونه لحنا كما بيناه في شرح الدرة ، وفيه لغات مذكورة في القاموس وقوله بنحو الخ إشارة إلى أن المثلية ملحوظة فيه وان رجع الضمير للعبد وكونه من أبناء جلدتهم معناه من جنسهم ونوعهم في البلاغة وأصله أن كل نوع متشابه البنية وظاهر البدن وهو المراد بالجلدة كما مر ، وقيل إن صفة المرء بمنزلة جلده في التلبس والتزي وليس المقصود أنهم من قوم واحد بحسب النسب فإنه لا دخل له في هذا المقام وفيه نظر. قوله : (ولأنه معجز في نفسه الخ) هذا رابع الوجوه في كلام المصنف يعني لو أرجع الضمير إليه أوهم أن إعجازه لكونه من أمي لم يدرس ولم يكتب ولم يتعلم من غيره علما ومعرفة ، وقوله ولأن رده الخ أي رد الضمير إلى عبدنا يوهم أنه يمكن صدوره من غيره من الخطباء والشعراء وأهل الدراسة وليس بين هذا وما قبله كثير فرق فالظاهر إدراجه فيه وعدهما وجها واحدا إلا وجها خامسا كما قيل ، فقوله ولا يلائمه الخ وجه آخر مستقل وقد عده بعضهم وجها سادسا والأمر فيه سهل. قوله : (ولا يلائمه قوله ﴿ وادعوا شهداءكم ﴾ الخ) ادعوا أمر من الدعاء ، وله معان ذكرها الراغب وهي النداء والتسمية في نحو دعوت ابني محمدا والاستعانة كقوله تعالى : ﴿ أغير الله تدعون ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٤٠] والدعاء إلى الشيء الحث على قصده وقيل إنه فسر هنا بالإحضار والاستعانة والمصنف أشار بقوله استعينوا إلى أن الثاني
هو المختار عنده ، والظاهر أنه مجازا أو كناية مبنية على النداء لأن الشخص إنما ينادي للحضور ليستعان به ، وفي الأساس دعا بالكتاب استحضره يدعون فيها بفاكهة والمتبادر منه اختصاصه بالمتعدي بالباء ، ويلائمه بهمزة بعد الألف وتبدل ياء كثيرا أي يوافقه ويناسبه وأصله من لأم الصاع والشق بي الإناء ونحوه إذا أصلحه ووجه عدم موافقة رجوع الضمير للعبد لما بعده كما قرره الشراح مما يحتاج إلى فضل تأمل كما ذكر. المدقق في الكشف لأن المراد أنه إن أريد دعاء الشهداء للاستعانة بهم في المعارضة إما حقيقة كما ، ي الوجه الأخير من الوجوه الستة واما تهكما كما في الوجهين الأولين فلأنه إنما يلائم الأمر بالإتيان بسورة من مثل القرآن " لا الأمر بالإتيان بسورة من واحد عربي أمي إذ لا معنى للاستمداد بطائفة فيما هو فعل واحد كيف ولو استعين بالشهداء في ذلك لم يكن المأتي به ما كان مطلوبا منهم وأما إذا أريد به دعاؤهم ليشهدوا لهم بأن ما يدعونه حق كما في الوجوه الباقية فلأن إضافة الشهداء إليهم إنما تقع موقعها إذا كان الإتيان بالمثل منهم لا من واحد والا كانوا شهداء له فحقهم أن يضافوا إليه وان كان للإضافة إليهم وجه صحة ، ورجوع الضصير للعبد يوهم أن دعاءهم." (١)

"ج٢ص٤٥

بغاية الصفاء وأنها تريك القذى قدامها والحال أنها قدام القذى والضمير في ذاقها باعتبار ما فيها على قياس قولك شربت كأسا والأول باعتبار نفسها حذوا فيه حذوا لكشف وهو تبع الأزهري في قوله : لا يريد أن هنالك قذى وإنما يريد أن يصف صفاء الزجاجة ويبالغ فيه وعليه ففيه تجوزوا استخدام لطيف لكن يأباه أنه لم يسبق للزجاجة ذكر في هذا الشعر ، وإنما الضمير فيهما للصهباء بمعنى الخمر وهو وصف لها أيضا بغاية الرقة والصفاء-ضى كات ما تحتها فوقها وما خلفها قدامها والتبكيت التقريع والغلبة بالحجة وقريب منه ما قيل إنه الإسكات والتهكم الاستهزاء وهو المراد وله معان أخر وهو

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٣٧/٢

في قول الحماسي :

سرى الليلة الظلماء لم يتهكم

بمعنى لم يخطئ والتهكم في غير هذا التندم وقيل معنى لم يتهكم لم يتميز عليهم والتهكم التكذب على ما فصل في شروح الحماسة وقد مر بيان ما هنا فتذكر. قوله : (وقيل من دون الله الخ) بتقدير مضاف ليقابل أولياء الأصنام كما يقابل الله أصنامهم والأمر كما مر لإرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت أي تركنا إلزامكم بشهداء لا يميلون لأحد الجانبين كما هو العادة واكتفينا بشهدائكم المعروفين بمعاونتكم من الفصحاء والرؤساء فإن شهدوا لكم قبلنا شهادتهم مع أنهم لا يفعلون ما يشهد العقل بخلافه لبلوغ أمر الإعجاز إلى حد لا يخفى فالشهداء بمعنى الرؤساء وهو ناظر لتفسيره بالإمام والظرف حاله معلوم والوجوه مستعار من الجارحة للرؤساء والمشاهد جمع مشهد وهو المجلس الذي يشهده الناس ويحضره الكبار. قيل ولما لم تقم قرينة على هذا التقدير ولا ضرورة فيه ضعفه المصنف رحمه الله تعالى وقيل : لأنه يؤذن بعدم شمول! التحدي لأولئك الرؤساء وليس بشيء ، وقد قيل أن تخصيص التمريض بهذا الوجه مع ظهور ضعف غيره من الوجوه لا وجه له وهذا الوجه مشترك بين التعلق بادعوا وبالشهداء عند الزمخشري وبما قصصناه عرفت استيفاء المصنف لجميع الوجوه وأن قيل إنه ترك سادسها فتنبه. قوله : (إنه من كلام البشر الخ) أي في أنه والجار يطرد تقديره مع أن وأن كما لا يخفى أي إن كنتم صادقين في أنه من كلام البشر أو في أنكم تقدرون على معارضته فافعلوا أو فأتوا بمقدار أقصر سورة منه وهذا معنى قوله إن جواب أن الشرطية محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو جواب الشرط الأول وليس الجواب المقدم جوابا لهما ولا متنازعا فيه كما لا يخفى وذكر التنازع هنا لغو من القول. فإن قلت لم يذكر فيما سبق ادعاؤهم أنه من كلام البثر بل ارتيابهم وشكهم فيه والشك من قبيل التصور الذي لا يجري فيه صدق وكذب بلا شك

والقول بأن المراد إن كنتم صادقين في احتمال كونه من كلام البشر لا يدفع السؤال لأن الاحتمال شك مع ما فيه من التكلف وكذا ما قيل من أنهم كانوا منكرين لأنه من كلام الله لكن نزل إنكارهم منزلة الشك لأنه لا مستند له فلذا صدر بكلمة الشك وكذا القول بأنهم عالمون بأنه كلام الله لكنهم يظهرون الريب فقيل لهم إن كنتم صادقين في دعوى الريب فهاتوا ما يصلح الريب كأقصر سورة قلت المراد من النظم الكريم والله أعلم الترقي في إلزام الحجة وتوضيح الحجة فالمعنى إن ارتبتم فاتوأ بنظيره ليزول ريبكم ويظهر لكم أنكم أصبتم فيما خطر على بالكم وحينئذ فإن صدقت مقالتكم في أنه مفتري فأظهروها ولا تخافوا فإن قلت لم لم يقل فإن ارتبتم وهو أظهر وأخصر. قلت عدل عنه لابلغيته بدلالنه على تمكنهم وانغماسهم فيه. وما قيل من أن تقدير الجواب كلام نحوي لا يرضاه أهل المعاني وقد جعلوا نحو قوله :

كأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتاى عنك واسع

من المساواة كلام واه وغفلة عن أن الممنوع تقدير جوابه أن الوصلية وهي لا تكون بدون

وأو ولأن الجواب بعينه فيما ذكر تقدم فلا يحتاج لجواب وما هنا ليس كذلك. قوله : (والصدق الإخبار المطابق) أي الصدق الواقع صفة للمتكلم وفي الصدق والكذب مطلقا ثلاثة مذاهب مشهورة كما بين في كتب المعاني وثبوت الواسطة

بينهما وعدمها المبني على الخلاف ظاهر وأصحها أنه مطابقة الواقع وهو نفس الأمر وقد يعبر عنه بالخارج وان كان تد يخص بالمحسوس والمراد بقوله : الإخبار المطابق للمخبر." [1]

"ج٢ص٩٢

والشرط لزمها الفاء ولصوق الاسم إقامة للازم مقام الملزوم وابقاء لأثره في الجملة ومن أراد تفصيله فلينظر حواشي المطول والرضي ، وقوله كرهوا الخ أي وقوع الفاء بعد حرف في معنى الشرط من غير فاصل والمعروف تخلل جملة الشرط بينهما ولذ قال : فادخلوا الخ وعدى أدخل إلى مفعولين بنفسه وقد يتعدى إلى الثاني بعلى فيقال : مثلا أدخلوها على الخبر والمراد بتعويضه شغل خبره به وكون ما يلي أما مبتدأ ليس بلازم لكنه كثير فيه وفي الرضي أنه يقدم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به نحو فأما اليتيم فلا تقهر والظرف والحال وعذد أمورا يفصل بها وفيه كلام ذكرنا. في حواشي الرضي وشرح التسهيل. قوله : (وفي تصدير الجملتين به الخ) ضمير به لا ما باعتبار أنه لفظ وحرف والإحماد هنا بمعنى الحمد والمدح العظيم المتضمن لأنه بموقع مرضي منه كما قال في الأساس من المجاز أحمدت صنيعه رضيته والأرض! رضيت سكناها وفي بعض شروح الكشاف الاحماد الحكم بلزوم كونهم محمودين كالأكفار للحكم بالكفر وقال السعد : أحمدت فلانا وجدته محمودا وجاورته فأحمدت جواره والحمد والذم مفهوم من نفس الجملتين ولكن لما أفادت أما تأكيده وتحقيقه علم منها ذلك أيضا من أول الأمر وهي تفصيل لما دل عليه قوله إن الله لا يستحي الخ من أنه وقع فيه اختلاف بين التحقيق **والارتياب**. قوله : (والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب الخ) أي ضمير أنه في قوا ، تعالى : ﴿ يعلمون أنه الحق ﴾ للمثل أو لضربه المفهوم من أنه يضرب لأنه مؤول به وعود الضمير للمثل أقرب ولذا قدمه المصنف رحمه الله وجوز فيه أيضا أن يعود لترك الاستحياء المفهوم مما مر وللقرآن. قوله : (والحق الثابت الخ) الحق خلاف الباطل وهو في الأصل مصدر حتى يحق من بابي ضرب وقتل إذا وجب وثبت وقال الراغب أصل الحق المطابقة والموافقة ويقال على أوجه فالأول : الموجد للشيء بحسب مقتضى الحكمة ومنه الله هو الحق ، والثاني الموجد بالفتح على وفق الحكمة ومنه فعل الله حق ، والثالث الاعتقاد المطابق للواقع ، والرابع الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب وليس بين هذا وبين ما قبله فرق غير التعميم فلو تركه كان أحسن والى ما ذكر أثار المصنف رحمه الله بقوله الثابت الخ ، وقوله لا يسوغ إنكاره بمعنى لا يصح ويجوز من ساغ الشيء إذا سهل تناوله ودخوله في الحلق فاستعير للصحة والجواز وشاع حتى صار حقيقة فيه ، والأعيان الذوات والجواهر ، والثابتة بمعنى المقررة المحسوسة ، والصائبة بمعنى المصيبة إلا أن فعله مزيد من أصاب الرأي فهو مصيب والأفعال مصيبة لا صائبة ، ولذا فسره في بعض الحواشي بالموافقة للغرض يثير إلى أنه استعارة من قولهم أصاب السهم الهدف وصابه إذا وصل إليه وفيه نظر وفي الأساس من المجاز أصاب في رأيه ورأي مصيب وصائب وتعريف الحق للمبالغة كأنه تلك الحقيقة والجنس أو للحصر الاضافي لما قالوه ، وأخكامه يقتضي الثبوت فلذا قالوا ثوب محقق أي محكم النسج كما في الأساس والعامة تقول ثوب محقق بمعنى منقوش وفي الفصول القصار فيض فضله محقق وبرد مجده محقق. قوله : (كان من حقه الخ) القرين المقارن وعطف يقابل قسيمه على يطابق قرينه تفسيري لأن القرين والقسيم بمعنى والمطابقة المراد

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٤٥/٢

بها المقابلة بالمعنى اللغوي أو البديعي وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كقوله. قوله : ﴿ يحيي ويميت ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٥٨] وهو هنا يعلمون ولا يعلمون لتقابل السلب والايجاب فيه أي لم يقل أما الذين كفروا فلا يعلمون حتى يقابل قسميه بل عدل عنه لما ذكر من المبالغة في المدح والذم المذكورين لأن هذا يدل على أن قولهم هذا لفرط جهلهم على طريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح لإثبات المدعي ببينة بينة كما أشار إليه لأن الاستفهام إما لعدم العلم أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة ومن لقل للمسك أين الشذا كذبه رائحة الطيب ولذا قال المصنف : رحمه الله دليلا واضحا قيل ولم يقل فأما الذين آمنوا فيقولون الخ إشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الاسرار لأنه كإخفاء الجمر في الحلفاء ، أو يقال يقولون لا يدل صريحا على العلم وهو المقصود ، والكافرون منهم الجاهل." (١)

"ج٣ص٣٦

لنفسك أو للمؤمنين فهو يهدي لأصل الإيمان وللثبات عليه من يشاء فلا يضر كيدهم. قوله : (أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى الخ) تحقيق ذلك وتفصيله ما أفاده المدقق في الكشف أن فيها أوجهآ.

أحدها : أن التقدير ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهم المسلمون أوتوا كتابا سماويا كالتوراة ، ونبيا مرسلا كموسى صلى الله عليه وسلم وبأن يحاجوكم ويغلبوكم بالحجة يوم القيامة! لأ لأتباعكم ، نهوهم عن الإظهار للمسلمين فيزدادون تصلبا ولمشركي العرب فيبعثهم على الإسلام ، وأتي بأو على وزان ولا تطع منهم آثما الخ وهو أبلغ والحمل على معنى حتى صحيح مرجوح ، وفائدة الاعتراض أن كيدهم غير ضحار لمن لطف الله به بالدخول في الإسلام أو زيادة التصلب فيه ، ويفيد أيضا أن الهدى هداه فهو الذي يتولى ظهوره فلا يطفا نوره فالمراد بالإيمان إظهره كما ذكره الزمخشرفي أو الإقرار اللساني كما ذكره الواحدفي ، والمراد التصلب من التابعين لإلا وقع ما فروا منه.

وثانيها : ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر الذي أتيتم به وجه النهار إلا لمن كان تابعا لدينكم أؤلا وهم الذين أسلموا منهم أي لأجل رجوعهم لأنه كان عندهم أهتم وأوقع ، وهم فيه أرغب وأطمع ، ثم قيل : إن الهدى هدى الله من يهده الله فلا مضل له ، وقوله : أن يؤتى أحد على هذا معللة لمحذوف أي لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وما يتصل به من الغلبة بالحجة يوم القيامة دبرتم ما دبرتم ، والمعنى أن داعيكم إليه ليس إلا الحسد ، وإنما أتي بأو تنبيها على استقلال كل منهما في غيظهم وحملهم على الحسد حتى دبروا ما دبروا ، ولو أتي بالواو لم تقع هذا الموقع للعلم بلزوم الثاني للأول لأنه إذا كان ما أوتوا حقا غلبوا يوم القيامة مخالفهم فلا لاندة فيه ، وأما أو فتشعر بأن كلا مستقل في بعثهم على الحسد والتدبير ، وحملها على معنى حتى وإن كان ظاهرا لا يروع السامع ويؤيد هذا قراءة آن يؤتى بالاستفهام للدلالة على انقطاعه ، الاستقلال بالإنكار ، وفيه تقييد الإيمان بالصادر أول النهار بقرينة أن الكلام فيه وتخصيص من سع بمسلميهم بقرينة المعنى ولأن غيرهم متبع دينهم الآن ، وعن المصنف إنه من جملة المقول ثانه قيل قل لهم هذين القولين ، ومعناه أكد عليهم أن الهدى ما فعل الله من إيتاء اليهاب غيركم ، أنكر عليهم أن يمتغصوا من أن يؤتى أحد مثله كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله ، وقل لأن لؤتى أحد مثل

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٩٢/٢

ما أوتيتم قلتم ما قلتم وكذبتم ما كذبتم ، وثالثها أن يقرر ولا تؤمنوا على ما قرر علبه الثاني ويجعل أن يؤتى خبر ان وهدى الله بدل من اسمها وأو بمعنى حتى على أنها غاية سببة وحينئذ لا يخص عند ربكم بيوم القيامة بل بالمحاجة المحققة كما مر في البقرة ، ولو حملت على العطف لم يلتئم الكلام ، ورابعها : أن قوله ولا تؤمنوا إلا لمن الخ على إطلاقه أي

، أثفروا آخره واستمروا على اليهودية ولا تقروا لأحد إلا لمن هو على دينكم وهو من جملة ٤. فرل الطائفة فقيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى حتى تحاجوا وقرينة الإضمار أن مر له ولا تؤمنوا تقرير على اليهودية وأنه لا دين يساويها فماذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم علم أن ا اجراب أن ما أنكروه غير منكر وأنه كائن ، وحمل أو على معناها الأصلي حسن لأنه تأييد الإبتاء وتعريض بأن من أوتي مثل ما أوتوا هم الغالبون لا هم ، وأما على قراءة إن بالكسر فهو من مقول الطائفة وقدره بقولوا لهم توضيحا وبيانا لأنه ليس استئنافا تعليلا بل خطابا لمن أسلم منهم رجاء العود ، والمعنى لا إيتاء فلا محاجة وذكر عقيب الثالث لتساويهما في أن أو بمعنى حتى ، وقوله : إن الهدى هدى الله اعتراض ذكر قبل تمام كلامهم للاهتمام ببيان فساد ما ذهبوا إليه ، وأرجح الوجوه الثاني انتهى محصله.

(وههنا بحث) ذكره صاحب الانتصاف على قطع آن يؤتى أحد عن لا تؤمنوا وهو أنه

يلزمه وقوع أحد في الإثبات لأن الاستفهام هنا إنكار وهو في مثله إثبات إذ حاصله أنه وبخهم على ما وقع منهم ، وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تخص بني إسرائيل ، وأجاب عنه بأنه روعي فيه صيغة الاستفهام وان لم يرد حقيقته فحسن دخول أحد في سياقه ، وترك التعرض له الناظرون فيه لأنهم لم يروه واردا لأن التوبيخ لا ينبغي ، ولا يليق فهو نفي معنى بلا ارتياب واحتياج إلى جوابه الساقط ، وقوله : من كلام الطائفة أي المذكور في الآية واحتمال أن يكون خطابا من الله للمسلمين أي لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المسلمون حتى يحاجوكم لأنه." (١)

"ج٣ص٢٩٢

يقتضي الإتيان لمصدر الفعل المجهول بنائب فاعل ، وهو اسم ظاهر مرفوع ، وهذا وأن جوزه البصريون كما في شرح التسهيل للمرادي في باب المصدر فقد منعه الكوفيون ، وقالوا إنه هو الصحيح لأن حذف فاعل المصدر سائغ شائع فلا يحتاج إلى ما يسد مسد فاعله كفاعل الفعل الصريح ، وحذف المضاف إما من المبتدأ أو الخبر كما مر ، ووقع في النسخ هنا اختلاف ففي نسخة الأشهاد في الوصية ، وفي أخرى بالوصية ، وفي أخرى أو الوصية فيكون المراد بالشهادة الوصية ، وسيأتي ما يتعلق به ، والأخيرة ليست معتمدة ، ولا تناسب الكلام فتأمل. قوله : (من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان الخ) التفسيران مبنيان على ما سيأتي. قوله : (ومن فسر الغير بأهل الذفة) بناء على أن منكم معناه من المسلمين ، وفي كونه منسوخا ، واجماعا نظر أما الأول فلأنه قد سبق من المصنف رحمه الله تعالى في آية الوضوء أن القول بالنسخ في هذه السورة ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، وأما الثاني فلأن ابن حنبل رضي الله تعالى عنه أجاز شهادة الكافر على المسلم في الوصية ، وأبو حنيفة رحمه الله تعالى أجازها في بعض الصور المذكورة في الفقه فتأمل. قوله : (أي سافرتم فيها) لأن ضرب في الأرض! معناه سافر كما بين في كتب اللغة ، وقوله أي قاربتم الأجل

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٣٦/٣

إشارة إلى أنه من مجاز المشارفة لأن الوصية قبل إصابته. قوله : (تقفونهما الخ) وقف يكون لازما ومتعديا قال الراغب : يقال وقفت القوم أقفهم وقفا ، ووقفواهم وقوفا ، وتصبرونهما من الصبر بالصاد المهملة بمعنى الحبس قال في النهاية في الحديث : " من حلف على يمين صبر " أي ألزم بها ، وحبس عليها ، وكانت لازمة له من جهة الحكم. قوله : (صفة لآخران الخ) على الوصفية جملة الشرط معترضة فلا يضر الفصل بها ، واختلف في الشرط هل هو قيد في أصل الشهادة أو قيد في آخران من غيركم فقط بمعنى أنه لا يجوز العدول في الشهادة على الوصية إلى أهل الذمة إلا بشرط الضرب في الأرض ، وهو السفر فإن قيل هو شرط في اصل الشهادة فتقدير الجواب إن ضربتم في الأرض! فليشهد اثنان منكم أو من غيركم وان كان شرطا في العدول إلى آخرين من غير الملة فالتقدير فأشهدوا آخرين من غيركم أو فالشاهدان آخران من غيركم فقد ظهر أن الدال على جواب الشرط أما مجموع قوله اثنان ذوا عدل الخ ، وأما آخران من غيركم فقص ، وجملة أصابتكم معطوفة على الشرط ، والى الثاني ذهب المصنف لظهوره. قوله : (صلاة العصر الخ (فالتعريف للعهد أو للجنس ، وتصادم ملائكة الليل الخ لأنه يوكل بالمرء من يحفظه ، ويكتب أعماله في النهار ، وآخروه في الليل ، وملائكة النهار يصعدون بعد العصر ، وملائكة الليل تهبط بعده أيضا فيتلاقون حي!سذ فالتصادم مجاز عن التلاقي ، وهذا ورد مصرحا به في الحديث ، واجتماع طائفتي الملائكة فيه تكثير للشهود منهم على صدقه ، وكذبه فيكون أقوى من غيره ، وأخوف. قوله : (إن ارتاب الوارث منكم الخ) قدر المض ، ف أي ارتاب وارثكم لأن المخاطب الموصون والمرتاب الموصى له وجعله وارثا لأنه الأغلب ، والمذكور في سبب النزول ، والا فقد يكون الموصى له غير الوارث ، ولو قدر الموصي كان أسلم ، وليس المراد بالوصية هنا الوصية التي لا تكون للوارث ، وهو ظاهر ، وقيل نزل ارتياب الموصى له منزلة ارتياب الموصي. قوله :) وإن ارتبتم اعتراض الخ (في الكشاف إن ارتبتم في شأنهما ، واتهمتموهما فحلفوهما فالشرط مع جوابه المحذوف معترض لا الشرط وحده قيل قدر جواب الشرط ليكون الاعتراض هو الجملة الشرطية ، ولو كان هو الشرط فقد لكان الجزاء مضمون القسم فلم يحسن توسيطه بين القسم ، والجواب بل التقديم عليه أو التأخير ، والمصنف رحمه الله تعالى لا بد له من ذلك أيضا لأنه لا يخلو أن يكون للشرط جواب أو لا فإن لم يكن له جواب تكون أن وصلية ، وهي مع أن الواو

لازمة لها ليس المعنى عليها ، ولو قدر فإما مقدما أو مؤخرا ، وكلاهما ينافيان الاعتراض إلا أن يريد أنها مستغنية عن الجواب لسد ما أكدته مسده ، وفي قوله اختصاص القسم بحال الارتياب ، وقوله بعد ذلك وجوابه أيضا محذوف ما يشعر بموافقة الكشاف فتأمل فما تيل إنه رأى اعتراض! الشرط ، ومنع عدم." (١)

"ج٤ص٢٦٩

عليه ، وثالثها أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليلهم في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال !اظهار خلاف ما يضمر واليه الإشارة بقوله أو بمعاملة الخ أو إنه مشاكلة صرفة فالوجوه أربعة. قوله : (إذ لا يؤبه بمكرهم الخ) يؤبه ويعبأ به بمعنى يعتد به ، وقوله دون مكره أي عند مكره والمزاوجة بمعنى المشاكلة كالازدواج ، وقوله لأن مكره أنفذ من

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٢٩٢/٣

مكرهم وأبلغ تأثيرا ، وهذا معنى الخيرية والتفضيل في النظم قال النحرير إطلاق خير الماكرين عليه تعالى إذا جعل باعتبار أن مكره أنفذ وأبلغ تأثيرا فالإضافة للتفضيل على المضاف لأن لمكر الغير أيضا نفوذا وتأثيرا في الجملة ، وهذا معنى أصل فعل الخير فتحصل المشاركة فيه وإذا جعل باعتبار أنه لا ينزل إلا الحق ، ولا يصيب إلا بما استوجبه الممكور به فلا شركة لمكر الغير فيه فالإضافة حينئذ للاختصاص كما في أعد لابني مروان لانتفاء المشاركة ، وقيل هو من قبيل الصيف أحر من الشتاء بمعنى أن مكره في خيريته أبلغ من مكر الغير في شريته وكلام المصنف رحمه الله يمكن تنزيله على هذا فتدبر. قوله : (وإسنادا مثال هذا إنما يحسن للمزاوجة الخ) قد سبق مثله في سورة آل عمران ، وهو يقتضي أن المكر لا يطلق عليه تعالى دود مشاكلة ، واعترض عليه بقوله تعالى : ﴿ أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٩٩] وقد أجيب عنه بأن المشاكلة إما تحقيقية أو تقديرية والآية التي أوردوها من قبيل الثاني على ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ صبغة الله ﴾ لأن ما قبله يدل على

معاملتهم بالحيلة والمكر وفيه نظر. قوله : (هو قول النضر بن الحرث الخ) النضر بن الحرث كان معروفا بينهم بالفطنة والدهاء فكانوا يتبعون ما يقوله وأشار إلى أنه من إسناد فعل البعض إلى الجميع لأن القائل واحد منهم ، وأشار إلى أن وجه التجوز في إسناده أنه كان كبيرهم الذي يعلمهم الباطل إذ علم منه ، ومما مر في أماكن أن إسناد فعل البعض إلى الكل إما لكثرة من صدر منه ، أو لرضا الباقين به أو لأن القائل رئي! متبع أو لغير ذلك من النكت وأنه لا ينحصر في الرضا كما توهم ، والقاص بتشديد الصاد المهملة من يقص لهم القصص ووقع في بعض النسخ قاضيهم بضاد معجمة بعدها ياء أي حاكمهم الذي يفصل القضايا فيهم ولها وجه وليست بأولى كما قيل ، وأتمروا بمعنى تشاوروا ، والمكابرة أصل معناها فاعلة من الكبر ، والمراد بها فرط العناد فعطفه عليها تفسيري.

قوله : (أن يشاؤوا) بتقدير حرف الجر أي من أن يشاؤوا أو عن أن يشاؤوا ، والأنفة بفتحتين ، والاستنكاف الامتناع عن شيء تكبرا ، والتحدي طلب المعارضة ، وأصله في الحاديين يتناظران في الحد إثم عم والتقريع والتعبير والتوبيخ وبين قرعهم وقارعهم تجنيس ، وقوله : (فلم يعار!وا سواه) أي اختاروا معارضة السيف على معارضة الكلام لفرط عجزهم عنه ، ووقع في نسخة فلم يعارضوه بسورة وهي ظاهرة ، وقوله خصوصا في باب البيان لأنهم فرسانه المالكون لازمته وغاية ابتهاجهم به ، ومن قال : حتى علقوا السبعة على باب الكعبة متحذين بها لم يدر أنه لا أصل له دمان اشتهر. قوله : (ما سطره الأولون من القصص) أصل معنى السطر الصف من الكتابة والشجر ونحوه ، وكذا السطر بالفتح إلا أن جمع سطر بالسكون أسطر وسطور وجمع سطر أسطار وأساطير ، وقال المبرد : أساطير جمع أسطورة كأحدوثة وأحاديث ومعناه ما سطر وكتب ، والقصص بكسر القاف جمع قصة وبفتحها القصة نفسها والمصدر. قوله : (هذا أيضا في كلام ذاك القائل أبلغ في الجحود الخ) وجه أبلغيته أنه عذ حقيته محالا فلذا علق عليه طلب العذاب الذي لا يطلبه عاقل ، ولو كان ممكنا لفر من تعليقه عليه ، وهذا أسلوب من الجحود بليغ قال العلامة فإن قلت إن للخلو عن الجزم فكيف استعمل في صورة الجزم قلت إن لعدم الجزم بوقوع الشرط ، ومتى جزم بعدم وقوعه عدم الجزم بوقوعه وهذا كقوله : ﴿ وإن كنتم في ريب ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٣ ، والخطاب مع المرتابين إبراز لارتيابهم

في صورة المحال للأدلة القاطعة للارتياب ففرض كما يفرض المحال ، وقيل عليه إنه تعليق بالمحال كأن كان الباطل حقا على فرض المحال غير قطعي ليصح تعليق شيء به بكلمة ، إن الموضوعة للشك الخالية عن الجزم بالوقوع وعدمه فيصير كالتنبيه على انتفاء ذلك الشيء ، وأما ما قاله هذا القائل فإنما نشأ توهمه من الاقتصار في بعض الكتب على أنها لعدم الجزم بالوقوع من غير تعرض! لجانب اللاوقوع تصدا إلى التفرقة." [1]

"ج٤ص٣٦١

لكناية القبول عن إعطاء الثواب وحذف أداة التعليلى لأنه قياسي ، وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبوله للتقريب بين التعليل والمعلل مهما أمكن وقيل عليه إنه لا حاجة إلى الاعتذار عن حذف أداة التعليل لإمكان تقديرها في المعطوف عليه المقدر وكل ذلك من ضيق العطن. قوله : (فإنه لا يخفى عليه الخ) يعني المراد بالرؤية الاطلاع عليه ، وعلمه علما جليا مكشوفا له وعلمه كناية عن مجازاته ، وأما جعل الرؤية حقيقية وأنه يرى المعاني فلا حاجة إليه لتكلفه ، وإن كان بالنسبة إليه غير بعيد وقوله فإنه تعالى لا يخفى من الإخفاء أي لا يخفى ذلك عنهم بل يعلمهم به كما تبين لهم من تفضيح بعض وتصديق آخرين ، وفي هذه الآية وعد ووعيد ، ولذلك قيل إنها أجمع آية في بابها ، وقوله بالمجازاة إشارة إلى أن الأنباء مجاز عن المجازاة أو كناية. قوله تعالى : (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) قال بعض المفسرين : الغيب ما يسرونه من الأعمال والشهادة يظهرونه كقوله تعالى : ﴿ يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ [سرة البقرة ، الآية : ٧٧] فالتقديم لتحقيق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده لا لإيهام أن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن أن يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى ، وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة ، ورده بعض فضلاء العصر فقال : لا يخفى عليك ان هذا قول يكون علمه تعالى حضوريا لا انطباعيا وحصولياً وقد زيفوه وأبطلوه لشمول علمه تعالى للممتنعات ، والمعدومات الممكنة والعلم الحضوري يختص بالموجودات العينية لأنه حصول المعلوم بصورته العينية عند العالم فكيف لا يختلف الحال فيه بين الأمور البارزة والكامنة مع أن الكامنة تشمل المعدومات ممكنة كانت أو ممتنعة ولا يتصور فيها التحقق في نفسها حتى تكون علما له تعالى ، وتحقيق علمه الواجب بالأشياء من المباحث المشكلة والمسائل المعضلة ، ولو أمسك هذا القائل عن أمثال هذه المطالب لكان خيرا له إذ بالتفوه بأمثال هذه المزيفات ، تبين أنه لم يحم حول ما تقرر عندهم من التحقيقات ، وقد حققناه في بعض تعليقاتنا بما لا مزيد عليه انتهى ، وهذا ذهول عن مراده والذي أوهمه ما أوهمه قعاقع ألفاظه وتطويله بلا طائل كما هو عادته في التشبه بالحرائر. قوله : (وآخرون من المتخلفين الخ) اختلف في المراد بآخرين هنا فقيل هم هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهو المروي في الصحيحين ، والمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وكبار الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن تخلفهم عن نفاق ولا شك وارتياب كما في السير وإنما كان لأمر مع الهم باللحاق بهم فلم يتيسر ذلك فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان ما مر من المعذرين قال : هؤلاء لا عذر لنا إلا الخطيئة ، ولم يعتذروا له صلى الله عليه وسلم فأمر المسلمين باجتنابهم فاجتنبوهم واعتزلوا نساءهم فنزلت يعني آية العفو عنهم وتعذيبهم

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٤/٢٦٩

إلى الله ، وإنما اشتذ الغضب عليه مع إخلاصهم والجهاد فرض! كفاية لما نقل عن ابن بطال في الروض الأنف وارتضاه أنه كان على الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه ألا ترى قول راجزهم في الخندق :

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

وهؤلاء من أجلهم فكان تخلف هؤلاء كبيرة فإذا عرفت أن هؤلاء من كبار الصحابة رضوان الله عليهم وأنهم من المخلصين كما صرحوا به فقول المصنف رحمه الله إن أصروا على النفاق لا ينبغي أن يصدر مثله عن مثله ومن قال : إن هذه الآية في المنافقين كما هو قول للحسن وغيره لم يفسره بهؤلاء ، وما قيل إن كلامه محمول على ما يشبه النفاق فهو بعيد ودعوى بلا دليل. قوله : (مرجون بالواو الخ) قرىء في السبعة مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وقرىء مرجون بدون همزة كما قرىء ترجى من تشاء بهما ، وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته كأعطيته ، ويحتمل أن تكون الياء بدلا من الهمزة كقولهم قرأت وقربت وتوضأت وتوضيت وهو في كلامهم كثير وعلى كونه لغة أصلية فهو يائي ، وقيل إنه واوي. قوله : (والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى) يعني إما كأو لوقوع أحد الأمرين." [(١)]

"ج٤ص٣٦٦

أنه لو كان جمعا لوصف باللاتي ونحوه لا بالذين لاختصاصه بالعقلا ، وأما احتمال تقدير المضاف وجعله صفة له وكذا الخبر فخلاف الظاهر ، ويكفي مثله في أدلة النحاة وفي المثل أضعف من حجة نحوي. قوله : (شكا ونفاقا الخ (أصل معنى الريب الشك وقد فسر به هنا ، والمراد شكهم في بنوته ع!يرو الذي أضمروه وهو عين النفاق فلذا عطفه عليه للتفسير ، ولما كان الحامل على البناء هو النفاق زادهم ذلك بهدمه نفاقا لشدة غيظهم قال الإمام رحمه الله : لما صار بناء ذلك البنيان سببا لحصول الريبة في قلوبهم جعل نفس ذلك البنيان ريبة ، وفيه وجوه أحدها أن المنافقين عظم فرحهم ببنيانه فلما أمر بتخريبه ثقل عليهم وازداد غيظهم وارتيابهم في نبوته لمجيرو ، وثانيها أنه لما أمر بتخريبه خافوا فارتابوا هل يتركون على حالهم أو يقتلون ، وثالثها أنهم اعتقدوا أنهم احسنوا بنيانه فلما هدم بقوا مرتابين في سبب تخريبه والصحيح هو الأول ورجح الطيبي الثاني بأنه أوفق للغة وريبتهم بالبناء كأنه سبب لهدمه فليس في الكلام مضاف مقدر والوسم السمة والعلامة وأصل معناه الكي. قوله :) بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك الخ (أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال إلا حال تقطيعها وهو كناية عن تمكن الريبة في قلوبهم التي هي محل الإدراك ، وإضمار الشك بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء إلا إذا قطعت ومزقت فحينئذ تخرج الريبد منها وتزول

والمبالغة في الريبة واضحة ، وهذا على التصوير والفرض فلا تقطيع فيه ، وعلى الوجه الذي بعد. فالتقطيع والتمزيق بالموت وتفريق أجزاء البدن فهو حقيقي ، ويفيد لزوم الريبة ما دإموا أحياء ، وعلى الثالث المراد إلا أن يتوبوا ويندموا ندامة عظيمة تفتت قلوبهم وأكبادهم فتقطيع القلب مجاز أو كناية عن شدة الأسف ، والفرق بين الوجوه ظاهر لكنه قيل إياك أن تتوهم أن مراده بالأول ما في الكشاف من أنه تصوير لحال زوال الريبة عنها إذ لي في كلامه ما يدل عليه ، وكأنه لم يرض! به لأن احتمال الحقيقة في الوجه الثاني يمنع الحمل على التمثيل لأن المجاز مشروط بالقرينة وقد دفع بأن جعل الكلام محتملا

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٣٦١/٤

للحقيقة ، والمجاز في كلامهم كثير ومبناه على أن القرينة لا يجب أن تكون قطعية بل قد تكون احتمالية فإن اعتبرت جعل مجازآ

– والا جعل حقيقة وكناية ومن لا يسلمه قال يتعين هنا أنه كناية ولا يخفى أنه ليس في كلام المصنف رحمه الله ما يخالف كلام الكشاف حتى يقال إنه لم يرتضه ومثله من التكلفات الباردة. قوله : (تقطع) أي في هذه القراءة بفتح التاء وأصله تتقطع فحذفت إحدى التاءين وقراءة الياء لإسناده إلى الظاهر وتقطع بالتخفيف ، وهو مجهول الثلاثي وتقطع بالتاء ونصب قلوبهم ، والضمير للخطاب أو للريبة وقطعت بفتح القاف والتاء في المبني للفاعل وبضم القاف وسكون التاء في المجهول. قوله : (تمثيل لإثابة الله إياهم الخ (في الكشاف ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن ، ولا أبلغ من هذه الآية لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده رب العزة ، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط بل إذا كانوا قاتلين أيضأ لإعلاء كلمته ونصر دينه ، وجعله مسجلا في الكتب السماوية ، وناهيك به من صك وجعل وعده حقا ، ولا أحد أوفى من واعده فنسيئته أقوى من نقد غيره وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم ، وهو استعارة تمثيلية صور جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه ، واثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء وأتى بقوله يقاتلون الخ بيانا لمكان التسليم ، وهو المعركة هاليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : " الجنة تحت ظلال السيوف ")

١ (ثم أمضاه بقوله ذلك هو الفوز العظيم ، ولما في هذا من البلاغة واللطائف المناسبة للمقام لم يلتفتوا إلى جعل اشترى وحده استعارة أو مجازا عن الاستبدال ، وان ذكروه في غير هذا الموضع لأن قوله : ﴿ فاستبشروا ببيعكم ﴾ يقتضي إنه شراء وبيع وهذا لا يكون إلا بالتمثيل ومن غفل عنه ، قال إنه تركه وهو جائز أيضا ، ومنهم من جوز أن يكون معنى اشترى منهم أنفسهم بصرفها في العمل الصالح وأموالهم بالبذل فيها ، وجعل قوله يقاتلون مستأنفا لذكر بعض ما شمله الكلام اهتماما به. قوله : (استئناف ببيان ما لأجله الشراء) يعني لما قال اشترى الخ كأنه قيل لماذا فقيل ليقاتلوا في سبيله ، وليست المقاتلة." [(١)]

"ج٦ص١٨٩

والآخر مبين ورد بأن الفعل إنما يطلب المؤكد وإذا عمل في المبين فقد عمل في المؤكد لأنه بعض ما يعطيه وزيادة فلا يعمل في المبين إلا عند عدم المؤكد أو يؤتى به وأنا نحو دكا دكا فليس منه. قوله : (فإنه المنتفع به (ذكره لأن القرآن تذكير للخاشي وغيره فأشار إلى أن التخصيص به على الوجهين لتنزيل غيره منزلة العدم والجار والمجرور متعلق بتذكرة أو صفة له وليس فيه إشارة إلى أن اللام للعاقبة ، كما قيل : بناء على أن يخشى بمعنى يؤول أمره إلى الخشية كما في هدى للمتقين وكذا ليس المراد من شأنه الخشية فإنه لا يلائم كلامه. قوله : (بإضمار فعله (فهو مفعول مطلق أي نزله تنزيلآ ، وقوله : أو بيخشى ، والمعنى إلا تذكرة لمن يخشى المنزل الذي هو من قادر قاهر فإن من لم يخش غير مؤمن ، فيقدم على **الارتياب** والتكذيب والنصب على المدح بتقدير أعني والبدل بدل اشتمال ، وقوله : أو معنى يعني إذا كان استثناء منقطعا فإنه يفيد التعليل. قوله : الأن الشيء لا يعلل بنفسه (إن كان التنزيل والإنزال ، بمعنى بحسب الوضع ولا بنوعه إن كان الإنزال عاما

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٣٦٦/٤

والتنزيل بالتدريجي فإن البدل هو المقصود فيصير المعنى أنزلناه لأجل التنزيل وعلى الحالية فهي حال مؤكدة لا موطئة كما في بعض شروح الكشاف وان وجه بأن مراد قائله أنها كالموطئة لأنه لو اكتفى بقوله : ممن خلق الخ كفى. قوله : (مع ما بعده (خبر مبتدأ محذوف أي هذا مع ما بعده ، والتفخيم لشأن المنزل وهو الله جل وعلا أي تعظيمه بذكر مخلوقاته العظيمة ولذا وصف السموات بالعلى وقوله : بعرض الظاهر أنه بضم فسكون بمعنى التعريض به على طريق الكناية كما في بعض الحواشي والباء فيه للمصاحبة أو السببية ومن فسره بإظهار تعظيمه جعله بفتح العين وسكون الراء والظاهر الأول ، وقوله : الذي هو عند العقل لأنه يدرك أفعاله أولا ثم يستدل بها على سائر صفاته ولذا قدم الخلق وثنى بالرحمة التي تنال الموجودات قبل كل شيء لأن الخلق منها وليس الترتيب بحسب الوجود فإنه بعكسه ولذا قدم الأرض كما أشار إليه والعليا بضم العين والقصر كالكبرى وقوله : بأن قصد الخ إن كان المعنى بأن ذكر قصده لذلك فهو متعلق بأشار هالا فهو خبر مبتدأ محدوف أي وهو بأن قصد الخ واجراء الكلام والتقادير بناء على أن قوله : على العرش استوى تمثيل لإجرائه ذلك ، كالملك إذا جلس على سرير ملكه لتنفيذ أوامره ونواهيه ، وقيل : إنه من إطلاق العرش على المحيط تشبيها له بسرير ملك يصدر أمره ونهيه عليه. قوله : اليدل بذلك محلى كمال قدرته الخ (كمال القدرة والإرادة مأخوذ من قصد ما ذكر كما مر بيانه ، وقوله : ولما كانت القدرة الخ قيل عليه إنه لا مدخل لتبعية القدرة لإرادة في ترتيب الجزاء على الشرط بل يكفي فيه وجود الإرادة المعلوم مما سبق وكان وجهه أن ما في النظم يدل بصريحه على كمال القدرة كما يدل عليه قوله : أولا حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فتأمل ، وقوله : بجليات الأمور وخفياتها إشارة إلى أن قوله : السز وأخفى كناية عما ذكر ، وقوله : عقب ذلك أي القول المذكور ببيان إحاطة علمه. قوله : (أي وأن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم الخ (أشار بقوله : فاعلم إلى أن ما ذكر لا يصلح

لأن يكون جوابا للشرط لأن علمه للسز ، وأخفى ثابت قبل جهره وبعده وبدونه فهو يقام مقام الجواب وهو أمر الله له بعلمه لترتبه عليه والمقصود منه ترك ملازمته له لا فائدة الخبر وسيأتي بيانه وتخصيص القول بذكر الله مع إطلاقه لأن التعريف للعهد بقرينة الجواب فإن استواء الجهر والسز عنده يقتضي أن الجهر المذكور في خطابه ، وهو الدعاء كما لا يخفى. قوله : (وأخفى منه وهو ضمير النفس (فالسز ما أسر به إلى الغير وأخفى منه ما أضمره في نفسه ولم يظهره ، وقيل : السز ما أسررته في نفسك وأخفى منه ما ستسره فيها ، وأخفى أفعل تفضيل من الخفاء ، وقيل : فعل ماض يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه وقد قال الزمخشري : إنه ليس بذاك. قوله : (وفيه تنبيه على أن شرع الذكر الخ (ذكر في الكشاف بعد تقدير الجواب بما مر إنه إتا نهى عن الجهر كقوله تعالى : ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ [سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٥] ، لماتا تعليم للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله بل لغرض آخر كما ذكره المصنف رحمه الله هنا واختاره لأن الجهر ليس بمنهييء عنه بل هو لحكمة ، وتصوير النفس." (١)

"ج٦ص٣٩٤

شامل لصورة الشك لا يناسب سبب النزول وسوق الكلام ومقابلته لقوله لهم الحق ولا ما سيأتي من نفي ريبهم والنكتة في

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١٨٩/٦

اختيار بينهم دون عليهم لأن المتعارف قول المتخاصمين اذهب لتحكم بيننا لا علينا وهو الطريق المنصف. وقوله : لا عليهم من تقديم الخبر وقوله : أو لمذعنين وإلى بمعنى اللام أو هو متضمن معنى الإسراع وتقديم صلته لما ذكر أو للفاصلة أو لهما.
قوله : (بأن رأوا الخ ا لم يفسره بالشك في نبوته كما في
الكشاف لدخوله في مرض القلب. وتقديم عليهم على الرسول في النظم قيل إنه لإظهار أنه لو وقع منه لكان من الله لأنه مظهر لا مثبت. وأورد عليه أنه لا يناسب قوله لأن منصب نبوته الخ وأيضا هم يخافون حيفة نفسه فلا يتم الحصر فهو لتأكيد أن حكمه حكم الله ولا يخفى عدم ورود. وأن مآل ما ارتضاه إلى ما أنكر. فتأمل. قوله : (إضراب عن القسمين الآخيرين) ذهب الإمام إلى أن أم منقطعة والمصنف والزمخشري : إلى أنها متصلة والمقصود التقسّم لكنهما اختلفا في إضراب بل فذهب الزمخشري إلى أنه عن الأخير والمصنف إلى أنه عن الأخيرين والطيبي إلى أنه عن الجميع والتقسيم والأول أدل على ما كانوا عليه وأدخل في الإنكار من حيث إنه يناقض شرعهم إليه إذا كان الحق لهم على الغيرة وحصر الظلم فيهم ناطق به وأما أنه لا يدل على تعين الأول والمقام يقتضيه ولذا خالفه المصنف كما قيل ، ففيه أنه إذا أبطل خوفهم الحيف استلزم إبطال الارتياب ، وتعين الأول ليس بلازم إذ نفى الإيمان عنهم قبله مغن عنه وعلى الأخير فالإضراب انتقالي والمعنى ح هذا كله فإنهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك الأوصاف فلذا أعرضوا عن حكمك بدليل اسم الإشارة والخطاب وتعريف الخبر وتوسط الفصل لأنه لو كان للأولين لأعرضوا عنه والحق لهم ولو كان للثالث لم يناسب لعلمهم بأمانته وثباته على الحق فتامل. قوله : (منصب نبوته) أي شرفها وعلوها كما مر وكذا شرعهم إليه والحق لهم. وقوله : وظلمهم الخ الظاهر أنه دفع لما يقال من أنه إذا بطل الأخيران كان الأول مثبتا والمثبت هنا الظلم وهو غيره فهو لإبطال الأخير بإثبات الظلم والحيف لهم دون غيرهم بأن المرض فسر بالكفر والميل إلى الظلم والكافرون هم الظالمون. قوله : (والفصل) أي الإتيان بضمير الفصل المفيد للحصر على معنى أنهم الكاملون في الظلم. وقوله : سيما الخ ربما يشعر بأنه إضافي والمدعو لحكمه هو الرسول صلى الله عليه وسلم. قوله : (تعالى إنما الخ) الحصر لأن هذا شأن من آمن وكان بمعنى لاق به وانبغى له كما صرح به المصنف فلا حاجة إلى تفسير المؤمنين بالخاص منهم كما قيل وان صح أيضا نعم قولهم أطعنا مفسر بالثبوت أو الإخلاص لصدور مثله عمن قبلهم أيضا. قوله : (وقرئ قول بالرفع) في الكشاف وقراءة النصب أقوى لأن
أن يقولوا أوغل في التعريف فهو أولى بكونه مبتدأ ويجوز خلافه أيضا وذلك لأنه لا يكون إلا في تاويل مصدر معرف وأما كون الفعل لا يوصف بتعريف ولا تنكير فلا يضر كما توهم وأما كونه لا يوصف كالضمير فلا دخل له في الأعرفية وهذا بناء على أن المصدر المسبوك معرفة أبدا قال الدماميني : ولا يظهر له دليل فإن المصدر المؤول به يجوز أن لا يقدر مضافا كما جعل قوله : ﴿ وما كان هذا القرآن ﴾ أن يفتري بمعنى افتراء. وقد ذكر في باب النعت أن جواز تنكيره مذهب الفارسي مع أنه قد يقدر إضحافته لنكرة كما يؤول أن يقوم رجل بقيام رجل مثلا ففي ما ذكره شراح الكشاف هنا نظر وقد تناقض كلام المغني في هذه المسألة وقد قيل إن قراءة الرفع أقعد لأن جعل ما هو أكثر فائدة مصب الفائدة أولى وفيه نظر. وقراءة ليحكم مجهولا مناسبة لدعوا معنى لعدم ذكر الداعي والحاكم. قوله : (في الفرائض والسنن) هذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل اللف والنشر وقوله : على ما صدر الخ تعليلية كقوله : (اذكروا الله على ما هداكم)

لا علاوة لفساده. وقوله : فيما بقي من عمره لأن الاتقاء يكون في الآتي بخلاف الخشية. قوله : (وقرأ يعقوب الخ) والباقون بخلافه بكسر القاف وياء وصل بعدها الضمير وقوله بلا ياء أي ياء وصل والهاء ضمير لأن قبله ساكنا تقديرا فجعل كمنه وعنه إذ لو كان تحركا كبه وله لم يحذف فجعل المحذوف للجزم في حكم الباقي. وقوله : بسكون الهاء قيل وهي للسكت وقوله بسكوت القاف الخ فأعطى تقه حكم كتف لكونه على وزنه فخفف بتسكين وسطه لجعله ككلمة." [1] "ج٧ص١٠٤

المذكور مجادلة لأنه كناية عن أنا لا نصدق نقلكم ما لم نعلم به ، والتكذيب والتصديق ليسا نقيضين فيجوز ارتفاعهما كما في حال السكوت والحديث المذكور صحيح وأصله مروي في الببخاري وقوله مطيعون له خاصة التخصيص من تقدم له وهو المفيد للتعريض أيضا والآية المذكورة تقدم تفسيرها. قوله : (ومثل ذلك الإنزال) المذكور بعده ، وقد مر تحقيقه وأنه يفيد أنه أمر عجيب الشأن أو هو إشارة إلى ما سبق من إنزال الكتب على ما ارتضاه المصنف هناك فتذكره ، وقوله وحيا مصدقا مؤيد للأول لأنه كالبيان له وكون المراد ما ذكر بقرينة ما بعده مع التصريح به في محل آخر. قوله : (وهو تحقيق الخ) أي تقرير له كالدليل عليه فإن تصديقه للكتب الإلهية التي قبله يقتضي إيمان أهل الكتاب لأنه يدل على أنه مثلها في كونه وحيا إلهيا لا من حيث إنه إجمال ذلك التفصيل لأن التفصيل يحقق الإجمال بدون العكس ، ولا من حيث أنه توطئة لما بعده ، وأما كون المراد بقوله لقوله ما سبق فتعمية والغاز ، وقوله عبد الذ بن سلام بتخفيف اللام ، وأضرابه بمعنى أمثاله ممن أسلم من الأحبار ، وصار من كبار الصحابة وضي الله عنهم ، وقوله من أهل الكتابين في نسخة من الكتابيين ، وهذا يؤيد ما مر من أن المصنف يرى أن هذه الآية مدنية إذ كونها مكية وعبد الفه ممن أسلم بعد الهجرة بناء على أنه إعلام من الله بإسلامقم في المستقبل ، والتفصيل باعتبار

الإعلام بعيد جدا ، واذا كان لمن مضى فالمضارع لاستحضار تلك الصورة في الحكاية. قوله تعالى : (﴿ ومن هؤلاء من يؤمن به ﴾) قيل الظاهر أن من التبعيضية هنا واقعة موقع المبتدأ كما مر في سورة البقرة ميلا مع المعنى ، وقد مر ما فيه والكلام عليه وأن المعنى شاهد له ونحوه ومنهم المؤمنون ، وقول الحماسي :

منهم ليوث لاترام وبعضهم مما قمشت وضم حبل الحاطب

قيل إنه مؤيد بقوله : ﴿ منهم المؤمنون ﴾ فمنهم مهتد وبهذه الآية وقد غفل عن هذا السعد

فأيده بهذا البيت (قلت ا لم يغفل وإنما دعاه له ذكر بعض صريحا. قوله : (أو من تقدم عهد الرسول) فإنه ورد في الحديث إيمان بعض المتقدمين به لما رأوا نعته في كتبهم ، وقوله أو ممن في عهد الرسول هذا على تفسيره الثاني ، ولذا أخره ففيه لف ونشر ، وقوله المتوغلون في الكفر إن كان الجحد الإنكار عن علم فهو ظاهر والا وهو ظاهر كلام المصنف رحمه الله كما مر في سورة النمل فهو من فحوى الكلام لأن الكفر به مع ظهوره يدل عليه ، وقوله كما أشار إليه أي إلى كونه معجزة الخ لكونه أميا. قوله تعالى : (﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾) قال ابن حجر في تخريج الرافعي قال البغوي في التهذيب : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله الأصح أنه

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٦/٣٩٤

كان لا يحسنهما ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه وادعى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها ، وعدم معرفته سبب المعجزة لهذه الآية فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ ، وروى ابن أبي شيبة وغيره ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ ونقل هذا للشعبي فصدقه وقال سمعت أقواما يذكرونه وليس في الآية ما ينافيه ، وروى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ليلة أسرى بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض! بثمانية عشر " والقدرة على القراءة فرع الكتابة ورد باحتمال أقدار الله له عليها بدونها معجزة ، أو فيه مقدر وهو فسألت عن المكتوب فقيل الخ ، ويشهد للكتابة أحاديث في البخاري وغيره

كما ورد في صلح الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم كتب ولم يكن يحسن الكتابة وممن ذهب إليه أبو ذز الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة وصنف فيه كتابا وسبقه إليه ابن منية ، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمى بالزندقة وسب على المنابر ، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه ومعرفة الكتابة بعد أمية لا تنافي المعجزة بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم ورد الإمام محمد بن مفوز كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح : " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " وقال كل ما ورد في الحديث من قوله كتب فمعناه أمر بالكتابة ، وتقديم قوله من قبله على قوله ولا تخطه كالصريح فيه ، وكون القيد." (١)

"ج٧ص١٠٥

المتوسط راجعا لما بعده غير مطرد مع أنه مفهوم ليس بحجة عندنا فمن استدل به لم يصب ، وقوله على أمي أي من أمي والأمي من لا يكتب ولا يقرأ ولما كان بعض الأميين قد يتعلم القرآن ونحوه بأخذه من أفواه الرجال وهو لم يقع أيضا ذكر قوله والتعلم ليكون خارقا للعادة ولأن الخط إنما يعرف بالتعلم ، وقد قيل إنه مأخوذ من تنكير الكتاب في سياق النفي ، وقوله لم يعرف إشارة إلى ما مر وقوله زيادة تصوير لأن الخط باليمين فهو مثل نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة ، وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجاز. قوله : (أي لو كنت ممن يخط ويقرأ) هو من قوله إذا فالمراد بالمبطلين كفار قريش ، وقوله سماهم مبطلين الخ أي على هذا التفسير وعلى تقدير كفرهم بنبوته لو لم يكن أميا لإبطالهم حينئذ إذ كفروا أو ارتابوا وشكوا بمجرد كونه غير أمي مع أن انتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز لا ينفي غيره مع كثرته وظهوره ، فمدعي مثله مبطل سواء أكان أميا أم لا لأنهم لم يؤمنوا به ولم ينظروا لما جاء به من المعجزات المثبتة لرسالته صلى الله عليه وسلم فالتعريف في المبطلين للعهد كما في شرح الكشاف وأما احتمال تعلمه فغير متوجه لأن مثله من الكتاب المفصل الطويل لا يتلقن ويتعلم إلا في زمان طويل بمدارسة لا يخفى مثلها.

قوله : (وقيل لارتاب الخ) فالمراد بالمبطلين أهل الكتاب وهم على تقدير كونه صلى الله عليه وسلم ولم غير أمي يشكون في كونه النبي المنعوت في كتبهم لأنه أمي ، ولما ورد على هذا التفسير أنهم لا يكونون حينئذ مبطلين بل محقين في مدعاهم لم!لفة نعته لما نعت به في الكتب المنزلة أشار إلى دفعه بقوله فيكون إبطالهم يعني على هذا الوجه دون

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١٠٤/٧

الأول كما توهم ، وقوله باعتبار

الواقع دون المقدر المراد بالواقع كونه أميا ، وبالمقدر كونه قارئا كاتبا لأنهم على فرض تقديره لا يكونون مبطلين كما في الوجه الأول فانهم فيه مبطلون على الحالين ، ومرضه لمخالفته لظاهر النظم إلا بتكلف وهو أن يقال أصله لارتابوا لكنه عدل عنه للإشارة إلى أنه غير واقع فهم مبطلون في نفس الأمر لا على هذا التقدير أو المراد أنه على هذا الوجه يكون إبطالهم أي إبطال أهل الكتاب لكونه النبي المنعوت في كتبهم باعتبار الواقع يتحقق من كونه غير أمي فإنه حينئذ إبطال محقق فلذا نفى ، وأما إبطال المشركين فباعتبار أمر مقدر ، وهو قولهم أخذه من كتب المتقدمين فلشى كونه مقدرا بالنظر للثاني كما قيل فتامل. قوله : (بل هو الخ) إضراب عن ارتيابهم أي ليس مما يرتاب فيه لوضوح أمره ، والمراد بكونه في الصدور كونه محفوظا بخلاف غيره من الكتب ، ولذا جاء في وصف هذه الأمة صدورهم أنا جيلهم كما أشار إليه بقوله يحفظونه ، وقوله لا يقدر أحد تحريفه أي على تحريفه وعداه بنفسه لتضميته معنى يطيق ، وقوله المتوغلون بمعنى البالغين ، وأصل معنى التوغل الدخول وقد تقدم توجيهه ، وقوله وقالوا أي كفار قريش لتعليم أهل الكتاب لهم اقتراحه ، أو أهل الكتاب مطلقا لا بعض اليهودا إذ هم لا يقرون بمعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام وكونه مجرد تشه ، واقتراح وأن لم يؤمنوا بمثله بعيد ، والبصريان أبو عمرو وعاصم وحفص ووراية فكان تركه أولى. قوله : (ليس من شأني إلا الإفذار) أي لا الإتيان بما اقترحتموه فهو قصر قلب وابانته بما أعطيت تفسير لقوله مبين ، وقوله تدوم الخ من صيغة المضارع الدالة على الاستمرار ، وقوله متحدين لأن التلاوة على الكفرة إنما هي للتحذي ويجوز في آية الرفع والنصب ، وتضمحل بمعنى تفني وتذهب وقوله يعني اليهود إشارة إلى أن الضمير على هذا مخصوص بهم بخلافه على الأول ، وخص اليهود لأنه بين أظهرهم دون النصارى ، وإن كان ما ذكر جاريا فيهم والباء في قوله بتحقيق للملابسة ، وقوله آية مستمرة على التفسير الأول وما بعده على التفسير الثاني ، وقوله لنعمة تفسير للرحمة وعظيمة من تنوينها. قوله : (وتذكرة لمن همه الإيمان) إشارة إلى أن ذكرى بمعنى تذكوة والجار والمجرور متعلق به لا برحمة وأن يؤمنون المرإد به إلاستقبالد لا الحال لأن التذكير نافع ومشوق لهم ، والكلام مع الكفار ، وقيل إن يؤمنون مجاز عن يهمون بالإيمان ولا حاجة إليه ، ويجوز أن يكون من التنازع- والهم بمعنى التقيد. قوله : (وقيل إن ناسا من المسلمين الخ) فيكون يؤمنون على ظاهره ، وهذا الحديث رواه أبو داود والطبري مرسلا مع زيادة واختلاف فيه وهو سبب النزول ، والكتف عظمه لأنهم كانوا في الصدر الأول يكتبون على الخشب." (١)

"ج٧ص١٦٩

وهذا تفسير لكريما لأن معناه الكثير الخير والنفع. قوله : (أصل أحد وحد بمعنى الواخد ثم وضع في النفي العام الخ) قيل عليه الموضوع في النفي العام همزته أصلية غير منقلبة عن الواو كما نص عليه النحاة ، وأجيب بأن المذكور في النحو إن ما همزته أصلية يختص بالنفي ولا يمنعون اسنعمال ما همزته واو في النفي أيضا وتعقب بأن السؤال عن وجه جعل همزته منقلبة باق مع أن الذي همزته غير منقلبة هو المختص بالعقلاء ، والمشهور باستواء الواحد والكثير فيه وهو أنسب هنا على ما ذكره من المعنى ، وقيل أيضا كيف يتأتى الجواب المذكور أولا وهو معنى آخر إلا أن يستعمل لمعنى آخر غير النفي العام ،

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١٠٥/٧

وقد قاك أبو علي همزة أحد المستعمل في النفي للاستغراق أصلية لا بدل من الواو فالأولى أن يقال هـ ، ذكر قول لبعض النحاة ، وقد قال الرضى إن همزته في كل مكان بدل من الواو وكل هذا لاث. ي الغليل كما قاله القرافي في كتابه المسمى بالعقد المنظوم في ألفاظ العموم يستشكلون هذا بأن اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة يتناولهما والواو فيها أصلية فيلزم قطعا انقلاب ألفه عنها وجعل أحدهما منقلبا دون الآخر تحكم ، وقد أشكل هذا على كثير من الفضلاء حتى أطلعني الله على جوابه ، وهو أن أحدا الذي لا يستعمل إلا في النفي معناه إنسان بإجماع أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الإثبات معناه الفرد من العدد فإذا تغاير مسماهما تغاير اشتقاقهما لأنه لا بد فيه من المناسبة بين اللفظ ، والمعنى ولا يكفي فيه أحدهما فإذا كان المقصود به الإنسان فهو الذي لا يستعمل إلا في النفي وهمزته أصلية وان قصد به العدد ونصف الاثنين فهو الصالح للإثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو ا هـ ، إذا عرفت هذا فما وقع للمصنف تبعا للزمخشري هنا ليس كما ينبغي فإنه على تسليم الفرق المذكور ينبغي أن تكون الهمزة هنا أصلية كما قاله أبو حيان رحمه الله

وجواب الطيبي لا يجدي نفعا وكل ما ذكر بعده خبط عشواء فتأمل. قوله : (والمعنى لستن كجماعة واحدة الخ) في الانتصاف أراد المطابقة بين المتفاضلين فإن نساء النبي جماعة ولو حمل على الواحدة كان أبلغ أي ليست واحدة منكن كواحدة من آحاد النساء فيلزم تفضيل الجماعة على الجماعة دون عكس ، ورد بأنه لا شك أن اسم ليس ضمير الجماعة وقد حمل عليه كأحد وبين بقوله من النساء وتعريفه للجنس فيجب حمل أحد بمقتضى السياق على الجماعة كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين ، ولو حمل على الواحد لزم التفضيل بحسب الوحدات ويرجع المعنى إلى تفضيل كلهن على واحدة واحدة من النساء ولا ارتياب في بطلانه أما تأويله بليست واحدة منكن فخلاف الظاهر وأما قوله يلزم الخ فجوابه أن تفضيل كل واحدة منهن يعلم من دليل آخر كقوله : ﴿ وأزواجه أمهاتكم ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٦٠] ونحوه فما قيل على هذا يكون الأحد بمعنى الواحد لا موضوعا في النفي العام ، والأولى أن يفسر بجماعة واحدة كانت أو أكثر ليعم النفي ، ويناسب مقام تفضيلهن ، ثم هذا يفيد بحسب عرف الاستعمال تفضيل كل منها على سائر النساء لأن فضلها يكون عاليا لفضل كل منها فلا حاجة إلى تقدير ليست إحداكن كامرأة لأنه خلاف الظاهر ، أو يقال المقصود تفضيل الجماعة لا كل منها إذ لا شك أن بعضهن ليست بأفضل من فاطمة رضي الله عنها فليس التقدير أولى كما توهم ، ا هـ ليس بصحيح أوله لأنه شامل للقليل والكثير فلا يكون بمعنى الواحد نعم ما ذكره بعده كلام حسن فتأمله ، وقد اغتر بعضهم بما في الانتصاف فقال ما قال. قوله : (مخالفة حكم الله ورضا رسوله (صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه من التقوى بمعناها المعروف في لسان الشرع وجعله بمعنى استقبلتن الرجال ، وان كان صحيحا لغة وقد ورد بمعنى الاستقبال في القرآن كثيرا كقوله : ﴿ أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٢٤] كما أشار إليه الراغب لا يتأتى هنا لأنه لا يستعمل في مثله إلا مع المتعلق الذي يحصل به الوقاية كقوله بوجهه في الآية وباليد في قول النابغة : فتناولته واتقينا باليد

ليكون قرينة على إرادة غير المعنى الشرعي ، فالقول بأنه غير معروف في اللغة فلا يناسب الفصاحة خطأ ، وأما تمسك من فسره به هنا بأنه أبلغ في المدح لأنهن متقيات فليس بشيء لأن المراد دوامهن على التقوى مع أن المقصود به التهييج بجعل

طلب الدنيا ، والميل إلى ما تميل إليه النساء لبعده من مقامهن بمنزلة الخروج من التقوى. قوله : (مثل قول المريبات (أي الموقعات في الريب في طهارتهن ، وهذا هو الصحيح ووقع في بعض النسخ المزينات أي الزانيات." [1]

"ج٨ص٨٢

مقيد بحال عدم دخول الإيمان في قلوبهم أي قولوا : أسلمنا ما دمتم على هذه الصفة فأفاد هنا فائدة زائدة ، وهيئ توقيت القول المأمور به وتوقعه منهم بخلاف نفيه السابق فلا تكرار فيه ، ولذا اختار كون الجملة حالا لا مستأنفة إخبارا منه تعالى فإنه غير مفيد لما ذكر كما أشار إليه. قوله : (من لات ليتا إذا نقص الخ) نقص يكون متعديا ولازما ، والمراد الأول هنا فلا حاجة لشديد قافه ، وإن صح وهو على هذه اللغة أجوف وفي لغة غطفان وأسد مهموز الفاء وبهما قرئ في السبعة. قوله : (إذا أوقعه في الشك مع التهمة) قال الراغب : أن يتوهم بالشيء أمرا فينكشف عما يتوهمه والإرابة أن يتوهم فيه أمرا فلا يكشف عما يتوهمه **والارتياب** يجري مجرى الإرابة ، وهو ما أشار إليه المصنف ، وقيل الشك في الخبر والتهمة في المخبر فتأمل وقوله : وفيه الخ يعني قوله : لم يرتابوا تعريض لمن نفى عنه الإيمان سابقا بأن نفيه لكونهم مرتابين في الله ورسوله. قوله : (وثم للأشعار الخ (توجيه لما في النظم من أن عدم **الارتياب** لا ينفك عن الإيمان فكيف جعل متراخيا عنه وله طريقتان في الكشاف إحداهما أن من وجد منه الإيمان ربما يعترضه ما يوقعه في الشك فيستمر عليه فوصف المؤمن حقا بالبعد عن هذه الموبقات كقوله تعالى : ﴿ ثم استقاموا ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٣٠ ، والثانية أن زوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعده تنبيها على مكانه وعطف بثم إشعارا باستمراره في الأزمنة المتراخية غضا طريا يعني أنه لنفي الشك عنهم فيما بعد فدل على أنهم كما لم يرتابوا ، أولا لم تحدث لهم ريبة فالتراخي زمانيئ لا رتبي على ما مر في قوله ثم استقاموا أو عطفه عليه عطف جبريل على الملائكة تنبيها على أصالته في الإيمان حتى كأنه شيء آخر فثم دلالة على استمراره قديما وحديثا ، والفرق بين الاستمرارين أنه على الأول

استمرار المجموع كما في قوله : ثم استقاموا أي استمر إيمانهم مع عدم **الارتياب** وعلى الثاني الاسنمرار معتبر في الجزء الأخير فالتنظير بقوله : ثم اسنقاموا من جهة أخرى غير التراخي الرتبي السابق ذكره فليس إشارة لجريان هذا الوجه فيه كما توهم ، وقيل إنه على الأول ثم فيه للتراخي الرتبي إذ المعنى لم يرتابوا بعد تشكيك المشكك والثبات على الشيء أعلى رتبة من إيجاده فتنظيره على ظاهره وعلى الثاني في **الارتياب** يبقى في الأزمنة المتراخية فثم للتراخي الزماني باعتبار النهاية فتدبر. قوله : (في طاعتة) يعني ليس المراد بسبيل الله الغزو بخصوصه بل ما يعم العبادات والطاعات كلها لأنها في سبيله وجهته ، ولذا قال والمجاهدة الخ فالمجاهدة بالأموال عبارة عن العبادة المالية كالزكاة والمجاهدة بالأنفس البدنية كالصلاة والصوم وقدم الأموال لحرص الإنسان عليها فإن ماله شقيق روحه وجاهدوا بمعنى بذلوا الجهد أو مفعوله مقدر أي العدو أو النفس والهوى. قوله : (الذين صدقوا في ادعاء الإيمان) إشارة إلى أنه تعريض بكذب الإعراب في ادعاءهم الإيمان وأنه يفيد الحصر أي هم الصادقون لا هؤلاء ، وايمانهم إيمان صدق وجد. قوله : (أتخبرونه به بقولكم آمنا) فهو من قولهم علمت به فلذا تعدى بالتضعيف لواحد بنفسه ، والى الثاني بحرف الجر لأنه بمعنى الإعلام والإخبار ، وقيل : إنه تعدى بها لتضمين معنى الإحاطة

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ١٦٩/٧

أو الشعور ففيه مبالغة لإجرائه مجرى المحسوس فتأمل. قوله : (تجهيل لهم وتوبيخ ا لأنهم كيف يعلمونه ، وهو العالم بكل شيء وقوله : وهي أي المنة النعمة التي لا يستثيب أي يطلب الثواب والجزاء عليها وموليها كمعطيها لفظا ، ومعنى وقوله : ممن يزلها متعلق بيستثيب أي يوصلها إليه ، قال في القاموس : أزل إليه نعمه أسداها واليه من حقه شيئا أعطاه اهـ ، وقوله : الثقيلة ثقل المنة عظمها أو المشقة في تحملها ، وقوله : من المن وهو الرطل الذي يوزن به. قوله : (أو تضمين الفعل معنى الاعتداد) أي يعذون إسلامهم منة ونعمة كما أشار إليه أولا والاعتداد بالشيء الاعتبار به ، وقوله : على ما زعمتم في قوله قالت الأعراب : آمنا فلا ينافي هذا قوله لم تؤمنوا حيث نفى الإيمان عنهم ، وقوله : مع أن الهداية الخ

فالهداية مطلق الدلالة فلا يلزم إيمانهم ، وينافي نفي الإيمان السابق فإن قلت : الهداية هنا ما يلازم الإيمان لقوله : إن كنتم صادقين فكيف يتجه ما ذكره في هذه المعية قلت : الإضراب يقتضي أن ما من به عليهم واقع ، وهو الدلالة لا الاهتداء ولا يلزم تقدير الجواب من لفظ ما قبله بعينه ، ومتعلق الصدق ادعاء الإيمان لا الهداية حتى ينافيه كما توهم. قوله :." [١]

"(الجواب) للمبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى (لا ريب فيه) والإشعار بأن ذلك إن وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية ، واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضع فهو قلته لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته(١).أهـ.

قال أبو السعود :

وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه ، بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل.

ثم قال : وفي ذكره – صلى الله عليه وسلم – بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه على اختصاصه به عز وجل والقيادة لأوامره تعالى مالا يخفى.

وقال في قوله تعالى (من مثله) أي بسورة كائنة من مثله في عل والرتبة وسم والطبقة ، والنظم الرائق ، والبيان البديع ، وحيازة سائر نعوت الإعجاز(٢). أهـ.

وقال الزركشي(٣) : ما نصه :

(واعلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تحدى العرب قاطبة بالقرآن حين قالوا : افتراه ، فأنزل الله عز وجل عليه : (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله) (هود (١٣) ثم كرر هذا فقال (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) أي : من كلام مثله ، وقيل من بشر مثله ، ويحقق القول الأول الآيتان السابقتان فلما عجزوا عن أن يأتوا بسورة تشبه القرآن على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء قال : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) (الإسراء : ٨٨) فقد ثبت أنه تحداهم به ، وأنهم لم يأتوا بمثله لعجزهم عنه ، لأنهم لو قدروا على ذلك لفعلوا ، ولما عدلوا إلى العناد تارة والاستهزاء أخرى ، فتارة قالوا : سحر ، وتارة قالوا : شعر ، وتارة قالوا : أساطير الأولين. كل ذلك من التحير والانقطاع. أهـ.

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، المؤلف غير معروف ٨٢/٨

(١) – تفسير أبي السعود جـ١ صـ٦٣

(٢) – تفسير أبي السعود جـ١ صـ٦٤. بتصرف يسير

(٣) – البرهان جـ٢ صـ١٠٢." (١)

"وقال بعض المفسرين : الغرفة بالكف الواحد والغرفة بالكفين.

وقال بعضهم : كلاهما لغتان بمعنى واحد.

وقال علي رضي الله عنه : الأكف أنظف الآنية ، ومنه قول الحسن :

لا يدلفون إلى ماء بآنية . . .

إلا اغترافا من الغدران بالراح

الدليف : المشي الرويد.

قلت : ومن أراد الحلال الصرف في هذه الأزمان دون شبهة ولا امتراء ولا ارتياب فليشرب بكفيه الماء من العيون والأنهار المسخرة بالجريان آناء الليل و(آناء) النهار ، مبتغيا بذلك من الله كسب الحسنات ووضع الأوزار واللحوق بالأئمة الأبرار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من شرب بيده وهو يقدر على إناء يريد به التواضع كتب الله له بعدد أصابعه حسنات وهو إناء عيسى بن مريم عليهما السلام إذ طرح القدح فقال أف هذا مع الدنيا " خرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب على بطوننا وهو الكرع ، ونهانا أن نغترف باليد الواحدة ، وقال : " لا يلغ أحدكم كما يلغ الكلب ولا يشرب باليد الواحدة كما يشرب القوم الذين سخط الله عليهم ولا يشرب بالليل في إناء حتى يحركه إلا أن يكون إناء مخمرا ومن شرب بيده وهو يقدر على إناء ".

الحديث كما تقدم ، وفي إسناده بقية بن الوليد ، قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به.

وقال أبو زرعة : إذا حدث بقية عن الثقات فهو ثقة. أ هـ ﴿تفسير القرطبى حـ ٣ صـ ٢٥٤﴾

وقال أبو حيان . وقد أجاد . :." (٢)

"قوله تعالى ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (٢٨١)﴾

مناسبة الآية لما قبلها

قال البقاعى :

ولما كان من المعلوم أنه لا يدفعه حجة كان التقدير : فامتثلوا ما أمرتم به واجتنبوا ما نهيتم عنه ،

فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه والمجازاة بين يديه فقال – وقال الحرالي : لما أنهي الخطاب بأمر الدين وعلنه وأمر الآخرة على وجوهها وإظهار حكمتها المرتبطة بأمر الدنيا وبين أمر الإنفاق والربا الذي هو غاية أمر الدين والدنيا في

(١) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ١/٢٠٧

(٢) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ٨/١٨

صلاحهما وأنهى ذلك إلى الموعظة بموعود جزائه في الدنيا والآخرة أجمل الموعظة بتقوى يوم الرجعة إلى إحاطة أمره ليقع الختم بأجمل موعظة وأشملها ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب الأنفس لتجتمع عزائمها على ما هو ملاك أمرها من قبول صلاح دينها ودنياها ومعادها من خطاب الله سبحانه وتعالى لها فختم ذلك بكمال معناه بهذه الآية كما أنها هي الآية التي ختم بها التنزيل أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم هو في الشكاية وهي آخر آية أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في مقابلة ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق : ١] الذي هو أول منزل النبوة و﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر : ١] الذي هو أول منزل الرسالة فكان أول الأمر نذارة وآخره موعظة تبعث النفس على الخوف وتبعث القلب على الشوق من معنى ما اختتم به أمر خطاب الله سبحانه وتعالى في آية ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة : ٤] انتهى – فقال تعالى : ﴿واتقوا يوما﴾ أي في غاية العظم ﴿ترجعون فيه﴾ حسا بذواتكم كما أنتم في الدنيا ومعنى بجميع أموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شيء من الأسباب ولا يحول دونه عارض ارتياب ﴿إلى الله﴾ الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد ،

فيكون حالكم بعد النقلة من الدنيا كحالكم قبل البروز إليها من البطن لا تصرف لكم أصلا ولا متصرف فيكم إلا الله ويكون حالكم في ذلك اليوم الإعسار ،." (١)

"والفائدة الثانية : قوله ﴿أقوم للشهادة﴾ معنى ﴿أقوم﴾ أبلغ في الاستقامة ، التي هي ضد الاعوجاج ، وذلك لأن المنتصب القائم ، ضد المنحني المعوج.

فإن قيل : مم بنى أفعل التفضيل ؟ أعني : أقسط وأقوم.

قلنا : يجوز على مذهب سيبويه أن يكونا مبنيين من أقسط وأقام ، ويجوز أن يكون أقسط من قاسط ، وأقوم من قويم.

واعلم أن الكتابة إنما كانت أقوم للشهادة ، لأنها سبب للحفظ والذكر ، فكانت أقرب إلى الاستقامة ، والفرق بين الفائدة الأولى والثانية أن الأولى : تتعلق بتحصيل مرضاة الله تعالى ، والثانية : بتحصيل مصلحة الدنيا ، وإنما قدمت الأولى على الثانية إشعارا بأن الدين يجب تقديمه على الدنيا.

والفائدة الثالثة : هي قوله ﴿وأدنى أن لا ترتابوا﴾ يعني أقرب إلى زوال الشك والارتياب عن قلوب المتداينين ، والفرق بين الوجهين الأولين ، وهذا الثالث الوجهين الأولين يشيران إلى تحصيل المصلحة ، فالأول : إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين ، والثاني : إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا وهذا الثالث : إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير ، أما عن النفس فإنه لا يبقى في الفكر أن هذا الأمر كيف كان ، وهذا الذي قلت هل كان صدقا أو كذبا ، وأما دفع الضرر عن الغير فلأن ذلك الغير ربما نسبه إلى الكذب والتقصير فيقع في عقاب الغيبة والبهتان ، فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في القسط ، وما أحسن ما فيها من الترتيب. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٧ صـ ١٠١ ـ ١٠٢﴾

فائدة

قال القرطبي :

قوله تعالى : ﴿ وأقوم للشهادة ﴾ دليل على أن الشاهد إذا رأى الكتاب ولم يذكر الشهادة لا يؤديها لما دخل عليه من

---

(١) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ١٠/١٠١

الريبة فيها ، ولا يؤدي إلا ما يعلم ، لكنه يقول : هذا خطي ولا أذكر الآن ما كتبت فيه.

قال ابن المنذر : أكثر من يحفظ عنه من أهل العلم يمنع أن يشهد الشاهد على خطه إذا لم يذكر الشهادة.." (١)

"ونفوه على طريقه نفي الجنس لعدم الاعتداد **بارتياب** المرتابين ، هذا إذا جعلت (فيه) خبرا ، ولك أن تجعله صفة لريب وتجعل الخبر محذوفا على طريقة لا النافية للجنس ، فيكون التقدير : عندنا ، أو لنا. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٣ صـ ٣٠﴾

وقال الآلوسى :

﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ المكلفين وغيرهم ﴿ليوم﴾ أي لحساب يوم ، أو لجزاء يوم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه تهويلا لما يقع فيه ، وقيل : اللام بمعنى إلى أي جامعهم في القبول إلى يوم ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا ينبغي أن يرتاب في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ، وقيل : الضمير المجرور للحكم أي لا ريب في هذا الحكم ، فالجملة على الأول صفة ليوم ، وعلى الثاني لتأكيد الحكم ومقصودهم من هذا كما قال غير واحد عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسني عندهم ، والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة لمزيد الرغبة في استنزال طائر الإجابة. أ هـ ﴿روح المعانى حـ ٣ صـ ٩١﴾

وقال أبو حيان :

ومعنى : ليوم لا ريب فيه ، أي : لجزاء يوم ، ومعنى : لا ريب فيه ، لا شك في وجوده لصدق من أخبر به ، وإن كان يقع للمكذب به ريب فهو بحال ما لا ينبغي أن يرتاب فيه.

وقيل : اللام ، بمعنى : في ، أي : في يوم ، ويكون المجموع لأجله لم يذكر ، وظاهر هذا الجمع أنه الحشر من القبور للمجازاة ، فهو اسم فاعل بمعنى الاستقبال ، ويدل على أنه مستقبل قراءة أبي حاتم : جامع الناس ، بالتنوين ، ونصب : الناس.." (٢)

"الثاني : أنه تعالى لما أطلع المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة أثر في قلوب المؤمنين ، ولولا هذا الإعلان لكان ربما أثرت هذه الحيلة في قلب بعض من كان في إيمانه ضعف

الثالث : أن القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة صار ذلك رادعا لهم عن الإقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٨ صـ ٨٤﴾

من فوائد الإمام القرطبى فى الآية

قال عليه الرحمة :

نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وغيرهما ، قالوا للسفلة من قومهم : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار ، يعني أوله.

---

(١) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ١٠/١٨٣

(٢) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ١١/٣٢٧

وسمي وجها لأنه أحسنه ، وأول ما يواجه منه أوله.

قال الشاعر :

وتضيء في وجه النهار منيرة . . .

كجمانة البحري سل نظامها

وقال آخر :

من كان مسرورا بمقتل مالك . . .

فليأت نسوتنا بوجه نهار

وهو منصوب على الظرف ، وكذلك "آخره".

ومذهب قتادة أنهم فعلوا ذلك ليشككوا المسلمين.

والطائفة الجماعة ، من طاف يطوف ، وقد يستعمل للواحد على معنى نفس طائفة.

ومعنى الآية أن اليهود قال بعضهم لبعض : أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به آخره ؛ فإنكم إذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه **ارتياب** في دينه فيرجعون عن دينه إلى دينكم ، ويقولون إن أهل الكتاب أعلم به منا.

وقيل : المعنى آمنوا بصلاته في أول النهار إلى بيت المقدس فإنه الحق ، واكفروا بصلاته آخر النهار إلى الكعبة لعلهم يرجعون إلى قبلتكم ؛ عن ابن عباس وغيره.

وقال مقاتل : معناه أنهم جاءوا محمدا صلى الله عليه وسلم أول النهار ورجعوا من عنده فقالوا للسفلة : هو حق فاتبعوه ، ثم قالوا : حتى ننظر في التوراة ثم رجعوا في آخر النهار فقالوا : قد نظرنا في التوراة فليس هو به.." (١)

"ثم قال تعالى وهو أول هداية دينية ألقاها إلى آدم ومن معه حين إهباطهم من الجنة " قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " البقرة - ٣٩ وما يشتمل عليه بمنزلة التلخيص لتفاصيل الشرائع إلى يوم القيامة ففيه تشريع ووعد ووعيد عليه من غير تردد **وارتياب** وقد قال تعالى : " والحق أقول " ص - ٨٤ وقال تعالى " ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد " ق - ٢٩ فبين أنه لا يتردد فيما جزم به من الأمر ولا ينقض ما أنفذه من الأمر فما يقضيه هو الذي يمضيه وإنما يفعل ما قاله فلا ينحرف فعله عن المجرى الذي أراد عليه لا من جهته نفسه بأن يريد شيئا ثم يتردد في فعله أو يريده ثم يبدو له فلا يفعله ولا جهة غيره بأن يريد شيئا ويقطع به ويعزم عليه ثم يمنعه مانع من العقل أو يبدو إشكال يعترض عليه في طريق الفعل فكل ذلك من قهر القاهر وغلبة المانع الخارجي قال تعالى " والله غالب على أمره " يوسف - ٢١ وقال تعالى " إن الله بالغ أمره " الطلاق - ٣ وقال تعالى حكاية عن موسى " قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى " طه - ٥٢ وقال تعالى " اليوم تجزي كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب " المؤمن - ١٧.

تدل هذه الآيات وما يشابهها على أنه تعالى إنما خلق الخلق ولم يغفل عن أمره ولم يجهل شيئا مما سيظهر منه ولم يندم على

---

(١) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ١٧٥/١٤

ما فعله ثم شرع لهم الشرائع تشريعا جديا فأصلا من غير هزل ولا خوف ولا رجاء ثم إنه يجزي كل ذي عمل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر من غير أن يغلبه تعالى غالب أو يحكم عليه حاكم من شريك أو فدية أو خلة أو شفاعة من دون إذنه فكل ذلك ينافي ملكه المطلق لما سواه من خلقه.

". (١)

"وذكر غير واحد من المفسّرين أن تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة : فسمي (مسجد القبلتين) وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر Bهما أنه قال : « بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت فقال : إن رسول الله A قد أُنْزِل عليه الليلة قرآن وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة » ، ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتيابٌ وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك ، وقالو : ﴿ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ التي كَانُواْ عَلَيْهَا ﴾ أي قالوا : ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله : ﴿ قُل لِلَّهِ المشرق والمغرب ﴾ أي الحكم والتصرف والأمر كله لله ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ الله ﴾ أي الشأن كله في امتثال أوامر الله ، فحيثما وجهنا توجهنا ، فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مراتٍ إلى جهات متعددة فنحن عبيده ، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه وأُمته عناية عظيمة ، إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن ، وجعل توجههم إلى الكعبة أشرف بيوت الله في الأرض ، إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام ، ولهذا قال : ﴿ قُل للَّهِ المشرق والمغرب يَهْدِي مَن يَشَآءُ إلى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

عن عائشة قالت : قال رسول الله A ، يعني في أهل الكتاب : « إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها ، وعلى القبلة التي هدانا الله لها ، وضلوا عنها ، وعلى قولنا خلف الإمام آمين » .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى الناس وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيداً ﴾ ، يقول تعالى إنما حولناكم على قبلة إبراهيم عليه السلام ، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأُمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأُمم ، لان الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسطُ هاهنا : الخيار والأجود ، كما يقال : قريش أوسط العرب نسباً وداراً أي خيرها ، وكان رسول الله وسطاً في قومه ، أي أشرفهم نسباً ، ومنه (الصلاة الوسطى) وهي العصر ، ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً خصَّها بأكمل الشرائع ، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى : ﴿ هُوَ اجتباكم وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدين مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ المسلمين مِن قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرسول شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى الناس ﴾ [الحج : ٧٨] .." (٢)

"قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشيطان إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكفر فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنّي برياء مِّنكَ إني أَخَافُ الله رَبَّ العالمين ﴾ [الحشر : ١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشيطان لَمَّا قُضِيَ الأمر إِنَّ الله وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحق وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ [

(١) جامع لطائف التفسير، المؤلف غير معروف ٣٦٠/١٤

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، المؤلف غير معروف ص/١٦١

إبراهيم : ٢٢] الآية .
وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ المنافقون والذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هؤلاء دِينُهُمْ ﴾ ، وقال ابن عباس : لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : غرَّ هؤلاء دينهم ، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم ، فظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال الله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَإِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، قال قتادة : وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد A وأصحابه قال : والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتواً ، وقال ابن جريج : هم قوم كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر ، وقال الشعبي : كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر ، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا : غرَّ هؤلاء دينهم ، وقال مجاهد : هم فئة من قريش خرجوا مع قريش من مكة وهم على **الارتياب** فحبسهم **ارتيابهم** ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله A قالوا : غرَّ هؤلاء دينهم ، حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم . وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء . وقال ابن جرير عن الحسن في هذه الآية قال : هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمو منافقين ، وقوله : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله ﴾ أي يعتمد على جنابه ﴿ فَإِنَّ الله عَزِيزٌ ﴾ أي لا يضام من التجأ إليه ، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويخذل من هو أهل لذلك (١) "..

"هذا إخبار من الله عزّ وجلّ عن هذا الرجل الصالح (مؤمن آل فرعون) أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ ياقوم إني أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الأحزاب ﴾ أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة ، كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد ﴿ وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ ﴾ ، أي إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ، فأنفذ فيهم قدره ، ثم قال : ﴿ وياقوم إني أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التناد ﴾ يعني يوم القيامة ، وسمي بذلك لما جاء في حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر ، وماجت وارتجت ، فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضاً ، وقال الضحاك : بل ذلك إذا جيء بجهنم ذهب الناس هراباً منهم ، فتتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر وهو قوله تعالى : ﴿ والملك على أَرْجَآئِهَآ ﴾ [الحاقة : ١٧] ، وقيل : لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ، ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقي فلان بن فلان ، وقيل : سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار ﴿ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ ﴾ [الأعراف : ٤٤] ، ومناداة أهل النار أهل الجنة ﴿ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ المآء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله قالوا إِنَّ الله حَرَّمَهُمَا عَلَى الكافرين ﴾ [الأعراف : ٥٠] ، ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة ، وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف ، واختار البغاوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك ، وهو قول حسن جيد ، والله أعلم .
وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ أي ذاهبين هاربين ، ﴿ مَا لَكُمْ مِّنَ الله مِنْ عَاصِمٍ ﴾ أي لا مانع يمنعكم من بأس

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، المؤلف غير معروف ص/٩٨٧

الله وعذابه ﴿ وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ أي من أضله الله فلا هادي له غيره ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بالبينات ﴾ يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولاً من قبل موسى E وهو (يوسف) E كان عزيز أهل مصر ، وكان رسولاً يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط ، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُمْ بِهِ حتى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ الله مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ أي يئستم فقلتم طامعين ﴿ لَن يَبْعَثَ الله مِن بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم ، ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ أي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ، ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ الذين يُجَادِلُونَ في آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى ، فإن الله عزّ وجلّ يمقت على ذلك أشد المقت ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله وَعِندَ الذين آمَنُواْ ﴾ أي والمؤمنون أيضاً يبغضون من تكون هذه صفته ، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه ، فلا يعرف بعد ذلك معروفاً ولا ينكر منكراً ، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله على كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أي على اتباع الحق ﴿ جَبَّارٍ ﴾ قال قتادة : آية الجبابرة القتل بغير حق ، والله تعالى أعلم .." (١)

"﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ اليمين * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ المجرمين * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [المدثر : ٣٨-٤٢] ؟ فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ ، ثم قال تعالى : ﴿ فاليوم لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الذين كَفَرُواْ ﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه . وقوله تعالى : ﴿ مَأْوَاكُمُ النار ﴾ أي هي مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى : ﴿ هِيَ مَوْلاَكُمْ ﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل ، على كفركم وارتيابكم وبئس المصير .." (٢)

"الرجس : النجس ومعناه هنا الكفر يعني ازدادوا كفرا الى كفرهم .

بعد ذكر الوان من مخازي المنافقين وكشف اخلاقهم بين هنا أنواعا اخرى من تلك المثالب مثل سخريتهم من القرآن الكريم ، وتسللهم حين سماعه .

﴿ وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ﴾ .

واذا ما أنزل الله سورة من القرآن على رسوله ، وسمعها المنافقون ، سخرواواستهزأوا ، وقال بعضهم لبعض : هل منكم من زادته هذه السورة إيمانا؟ وجواب ذلك يا محمد : نعم ، المؤمنون الذين ابصروا النور وعرفوا الحق زادتهم إيمانا إلى إيمانهم . يفرحون بذلك ويستبشرون ، لأنهم يرجون الخير من هذه الزيادة ، وذلك بتزكية أنفسهم في الدنيا والآخرة .

﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ .

وأما المنافقن الذين في قلوبهم شك وارتياب ، فقد زادتهم كفرا الى كفرهم ، وحين ماتوا على الكفر والنفاق كان مأواهم جهنم وبئس المصير .

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، المؤلف غير معروف ص/٢٢٣١

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، المؤلف غير معروف ص/٢٤٩٤

﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴾ .
أولا يعتبر هؤلاء المافقون بما يبتليهم الله به كل عام من ألوان باللاء بكشف أستارهم ، وإنباء الله بما في قلوبهم وفضيحتهم ، ونصر المؤمنين!! ثم هم مع كل هذا لا يتوبون من نفاقهم ، ولا يتعظون بما يحل بهم من العذاب .
قراءات :
قرا حمزة ويعقوب : « او لا ترون » بالتاء .
﴿ وإذا مآ أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ .
بعد ان بين حال تأثير إنزال آيات القرآن في المنافقين وهم غائبون عن مجلس الرسول A ، بين حالهم هنا وهم في مجلسه حين نزولنا واستماع تلاوته لها . واذا ما انزلت سورة وهم في مجلس الرسول الكريم تسارقوا النظر وتفاخروا وقال بعضهم لبعضه : هل يراكم أحد؟ ثم انصرفوا متسللين لئلا يفتضحوا بما يزره عليهم من سخرية وانكار ﴿ صرف الله قلوبهم ﴾ وهذا دعاء علهيم ، فقد صرف قلوبهم عن الهدى فاهم يستحقون ان يزلوا في ضلالهم يعمهون ، لانهم قوم لا يفقهون ، حيث عطلوا قلوبهم عن وظيفتها واستمروا على عنادهم ونفاقهم .
ثم يختم الله تعالى هذه السورة الكريمة بآيتين تتحدث احداهما عن الصلة بين الرسول وقومه ، وعن حرصة عليهم ورحمته بهم ، والآية الثانية توجيه للرسول ان يعتمد على به وحده حين يتولى عنه من يتولى ، فهو وليه وناصره وكافيه .." (١)
"الجدل : الحجاج والمناظرة ، مأخوذ من جدل الحبل وفتله ، والمناظر يفتل خصمه عن رأيه . مسلمون : مطيعون ، خاضعون . وما يجحدون بآياتنا : وما ينكر . اذا لارتاب المبطلون : اذا لشك أهل الباطل .
يؤكد القرآن الكريم على الدعوة بالرفق واللين ، ومجادلة اهل الكتاب بالتي هي أحسن ، ومقابلة الغضب ولاعصبية بالهدوء وكظم الغيظ ، فيقول ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ . ويقول : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] . ويقول : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [المؤمنون : ٩٦] .
هذه أوامر الله تعالى في القرآن الكريم ، يأمرنا ان نتحلى بالرفق واللين ، وندعو ونجادل بالتي هي أحسن . لكننا مع الأسف نجد معظم الذين يرتدون في الظاهر زي الدين ، ويدعون الى الله – لا يتحلون بهذه الاخلاق ، فتجدهم على المنابر متشنجين متشددين ، وقد لا نظلمهم إذا قلنا ان بعضهم يتشنج في خدمة جيبه ، لا خدمة ربه .
﴿ إلا الذين ظلموا منهم ﴾
اما الذين ظلمونا وحاربونا وناصبونا العداء فإن الله تعالى أمرنا ان نقابلهم بالمثل ، حيث لا ينفع معهم الرفق ولا اللين . وفي مذابح لبنان وافغانستان شاهد على ذلك .
﴿ وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾
قولوا لهم : آمنا بالقرآن الذي أنزل الينا ، والتوراة والإنجيل ، معبودنا ومعبودكم واحد ونحن خاضعون له ، ومنقادون لأمره

(١) تيسير التفسير للقطان، المؤلف غير معروف ١٧٧/٢

.

ثم بين الله انه لا عجب في إنزال القرآن على الرسول الكريم ، فهو على مثال ما أنزل من الكتب من قبل فقال :

﴿ وكذلك أنزلنآ إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنآ إلا الكافرون ﴾ .

كما أنزلنا الكتب على من قبلك من الرسل أنزلنا إليك القرآن ، فالذين آتيناهم الكتاب قبل القرآن من اليهود والنصارى – يؤمنون به ، اذ كانوا مصدقين بنزوله حسب ما ورد في كتبهم . ومن هؤلاء العرب من يؤمن به ، وما يكذب بآياتنا بعد ظهورها الا المصرون على الكفر .

ثم اكد الله إنزاله من عنده ، وأزال الشبهة في افترائه فقال :

﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾ .

ما كنت يا محمد تقرأ ولا تكتب من قبل ان ينزل اليك القرآن ، وهذا أمر يعلمه جميع أهل مكة ، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك أهل الباطل في أن هذا القرآن من عند الله .

ثم اكد ما سلف وبين ان هذا القرآن منزل من عند الله حقا فقال :

﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنآ إلا الظالمون ﴾ .

ان هذا القرآن لا يمكن ان يكون موضع **ارتياب** ، بل هو آيات واضحات محفوظة في صدور الذين آتاهم الله العلم . ولا ينكر آياتن الا الظالمون للحق ولأنفسهم ، الذين لا يعدلون في تقدير الحقائق وتقويم الأمور .." (١)

"﴿ ولئن أذقناه ﴾ أصبناه ﴿ رحمة منا ﴾ نعمة منا بالمال والولد ﴿ من بعد ضرآء مسته ﴾ شدة أصابته ﴿ ليقولن هذا لي ﴾ بخير علم الله في ﴿ ومآ أظن الساعة ﴾ قيام الساعة ﴿ قآئمة ﴾ كائنة كما يقول محمد E إنكارا منه للبعث ﴿ ولئن رجعت إلى ربي ﴾ كما يقول محمد A ﴿ إن لي عنده ﴾ في الآخرة ﴿ للحسنى ﴾ الجنة وهو عتبة بن أبي ربيعة وأصحابه ﴿ فلننبئن ﴾ فلنخبرن ﴿ الذين كفروا بما عملوا ﴾ في كفرهم ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ شديد لونا بعد لون في النار ﴿ وإذآ أنعمنا على الإنسان ﴾ يعني الكافر بالمال والولد ﴿ أعرض ﴾ عن شكر ذلك ﴿ ونأى بجانبه ﴾ تباعد عن الإيمان ﴿ وإذا مسه الشر ﴾ أصابه الفقر ﴿ فذو دعآء عريض ﴾ طويل بالمال ويقال كثير الولد وهو عتبة ﴿ قل ﴾ لهم يا محمد ﴿ أرأيتم إن كان من عند الله ﴾ يقول هذا القرآن من الله ﴿ ثم كفرتم به ﴾ بالقرآن إنه ليس من عند الله ماذا يفعل بكم ربكم ﴿ من أضل ﴾ عن الحق والهدى ﴿ ممن هو في شقاق ﴾ في خلاف ﴿ بعيد ﴾ عن الحق والهدى ويقال في معاداة شديدة مع محمد A وهو أبو جهل ﴿ سنريهم ﴾ يا محمد أهل مكة ﴿ آياتنا ﴾ علامات عجائبنا ووحدانيتنا وقدرتنا ﴿ في الآفاق ﴾ في أطراف الأرض من خراب مساكن الذين من قبلهم مثل عاد وثمود والذين من بعدهم ﴿ وفي أنفسهم ﴾ ونريهم في أنفسهم من الأمراض والأوجاع والمصائب وغير ذلك ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ أن ما يقول لهم النبي هو الحق ﴿ أولم يكف بربك ﴾ أو لم يكفهم ما بين لهم ربك من أخبار الأمم الماضية من غير أن يريهم ﴿ أنه على

---

(١) تيسير التفسير للقطان، المؤلف غير معروف ٧٢/٣

كل شيء ﴾ من أعمالهم ﴿ شهيد ألا إنهم ﴾ أهل مكة ﴿ في مرية ﴾ في شك **وارتياب** ﴿ من لقآء ربهم ﴾ من البعث بعد الموت ﴿ ألا إنه بكل شيء ﴾ من أعمالهم وعقوبتهم ﴿ محيط ﴾ عالم .." (١)

"؟ ثانيا: المحور الرئيسي للسورة:

إثبات عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

؟ ثالثا: الأهداف الفرعية للسورة:

مشاهد يوم القيامة

؟ رابعا:

قد أعذر من أنذر.

التفسير الموضوعي لسورة النبأ

لقد أفردت للتفسير الموضوعي للسورة فصلاً خاصاً، وهو يشتمل على.

أولا: التمهيد (بين يدي السورة)

ثانياً: موضوع السورة الأساسي حيث يتكلم عن إثبات عقيدة البعث، حيث إن السورة قد ذكرت تساؤل الكفار الذي شغل أذهانهم حتى صاروا فيه ما بين مصدق ومكذب، ثم أقامت الدلائل والبراهين على قدرة رب العالمين الذي لا يعجزه إعادة خلق الإنسان بعد فنائه.

ثالثاً: تناولت فيه مشاهد يوم البعث الذي صدر وقته وميعاده ومشهد الطغاة في النيران ومشهد التقاة في الجنان.

رابعاً: تناولت فيه ختام الآيات وموقف المقربين من الله وموقف الذين تساءلوا في **ارتياب**، لقد أعذر من أنذر.

موضوع السورة الأساسي ومحورها

(إثبات عقيدة البعث)

ويتكون من:

١- تساؤل الكفار عن اليوم الآخر.

٢- الدلائل على قدرة الله

.

---

(١) تنوير المقباس، المؤلف غير معروف ٢/٢

التعريف بالسورة:

سورة النبأ مكية بالإجماع، فقد أخرج البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت ﴿ عم يتساءلون ﴾ [أي : سورة النبأ] بمكة(رحمه الله١)، وعدد آياتها أربعون، وكلماتها مائة وثلاثة وسبعون، وحروفها ثمانمائة وست عشرة، يبدأ الجزء الثلاثون بسورة النبأ وهو يعني بجانب العقيدة وتسمى بسورة (عمّ) وسورة (النبأ) لافتتاحها بقول الله تعالى: ﴿ عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ وهو خبر القيامة والبعث الذي يهتم بشأنه ويسأل الناس عن وقته وحدوثه(رحمه الله٢)

سبب نزول السورة:

﴾

رحمه الله______________

(رحمه الله١) محمد الشوكاني، فتح القدير، دار المعرفة، بيروت، ج٥، ص٤٤٤.

(رحمه الله٢) وهبة الزحيلي، التفسير المنير، دار الفكر، دمشق، ج٣، ٥٩.." (١)

"فشرابهم الماء الساخن والغسّاق الذي يغسق من أجساد المحروقين ويسيل ﴿جزاء وفاقا ﴾ وهذا يوافق ما سلفوا وقدّموا ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذّابا﴾، وجرس اللفظ فيه شدّة توحي بشدّة التكذيب وشدة الإصرار عليه، بينما كان الله يحصى عليهم كل شيء وهنا يجيء التأنيب الميئس من كل رجاء في تغيير أو تخفيف ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا﴾(رحمه الله١).

علاقة الآيات بما قبلها:

بعد أن ذكر الله تعالى مشاهد من مشاهد يوم القيامة بين جزاء من كذب بيوم القيامة موضحاً أن تكذيبهم إنما يعود بالضرر عليهم.

٣- (مشهد التقاة في الجنان)

ثم يعرض المشهد المقابل، مشهد التقاة في النعيم.

﴿ إن للمتقين مفازا، حدائق وأعنابا، وكواعب أترابا، وكأساً دهاقا، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذابا، جزاءً من ربك عطاءً حسابا﴾.

إن المتقين ينتهون إلى مفازة ومنجاة، تتمثل في الحدائق والأعناب وكواعب وهن الفتيات الناهدات اللواتي استدارت أثداؤهن، وأترابا متوافيات السن والجمال، وكأسا دهاقا ما كان فيه من شراب كلما فرغت ملئت مرة أخرى، فهم في حياة مصونة من اللغو والتكذيب الذي يصاحبه الجدل، ﴿ جزاءً من ربك عطاءُ حساباً ﴾، وتلمح هنا ظاهرة الأناقة في التعبير والموسيقى في التقسيم بين (جزاء) و(عطاء)(رحمه الله٢).

علاقة الآيات بما قبلها:

---

(١) تفسير سورة النبأ وسورة الملك تفسيرا موضوعيا، المؤلف غير معروف ص/٩

بعد أن ذكر الله تعالى عاقبة من كذب بيوم البعث بين جزاء من آمن به وصدق به..

رابعا: (قد أعذر من أنذر)

ويشتمل على:

١.موقف المقربين إلى الله.

٢. موقف الذين يتساءلون في **ارتياب.**

١- موقف المقربين إلى الله:

﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾.

____

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، م٦، ص٣٨٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٨٠٨.." [1]

"إن موقف المقربين إلى الله وهم جبريل والملائكة، الأبرياء من الذنوب والمعصية موقفهم هكذا صامتين، لا يتكلمون إلا بإذن وحساب، يغمر الجو بالروعة والرهبة والإجلال والوقار(١).

علاقة الآيات بما قبلها:

تكملة لمشاهد اليوم الذي يتم فيه ذلك كله، يأتي المشهد الختامي في السورة حيث يقف جبريل والملائكة لا يتكلمون إلا ما هو صواب.

المطلب الثاني: (موقف الذين يتساءلون في **ارتياب)**

﴿ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا، إنا أنذرناكم عذاباً قريبا، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾.

في ظل هذا المشهد تنطلق صيحة من صيحات الإنذار، إنها الهزة العنيفة لأولئك الذين يتساءلون في شكٍ، فلا مجال للتساؤل والاختلاف والفرصة ما تزال سانحة قبل أن تكون جهنم مرصاداً ومآبا، وهو عذاب يؤثر الكافر العدم على الوجود، ﴿ يا ليتني كنت ترابا﴾، وهو أهون عليه من مواجهة الموقف المرعب الشديد، هو الموقف الذي يقابل تساؤل المتسائلين وشك المتشككين في ذلك النبأ العظيم !!!(٢).

علاقة الآيات بما قبلها:

---

(١) تفسير سورة النبأ وسورة الملك تفسيرا موضوعيا، المؤلف غير معروف ص/١٥

إنذار للبشر بعد عاقبة الكافرين، وعاقبة المتقين، ليختار كل واحد ما يريد.

الفصل الثالث

أولا:-

أساليب القرآن في عرض موضوعاته من خلال دراسة السورة.

ثانيا:-

ثمرة الإيمان باليوم الآخر في الدنيا والآخرة في حياة المسلم.

أولا:-

أساليب القرآن في عرض موضوعاته من خلال دراسة السورة.

ويشتمل على

أولا: أسلوب الترغيب والترهيب والوعيد.

ثانيا: الوصف.

ثالثا: الاستفهام والتعجب والتفخيم.

رابعا: الاستدلال العقلي.

أولا: أسلوب الترغيب والترهيب:

رحمه الله______________

(رحمه الله١) السيد قطب، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث، بيروت، م٦، ص٢٨٠٨.

(رحمه الله٢) المرجع السابق، ص ٣٨٠٦.." [(١)]

"تهديد ووعيد للذين لا يخشون العذاب الشديد

التفسير الموضوعي لسورة الملك

لقد أفردت للتفسير الموضوعي للسورة فصلاً خاصاً، وهو يشتمل على.

أولا: التمهيد (بين يدي السورة)

ثانياً: موضوع السورة الأساسي حيث يتكلم عن إثبات قدرة الله جل وجلاله، بذكر الأدلة المادية على ذلك من خلق سبع

(١) تفسير سورة النبأ وسورة الملك تفسيرا موضوعيا، المؤلف غير معروف ص/١٦

سموات طباقاً، وتزيينها بالنجوم.

ثالثاً: تهديد ووعيد للذين لا يخشون العذاب الشديد، وذلك بتهديدهم بخسف الأرض أو عذاب من السماء، أو إمساك الرزق عنهم إلى غيرها من المشاهد

رابعاً: تناولت فيه ختام الآيات وموقف المقربين من الله وموقف الذين تساءلوا في **ارتياب**، لقد أعذر من أنذر.

موضوع السورة الأساسي ومحورها

(إثبات قدرة الله جل جلاله)

ويتكون من:

٣- تنزيه وتحدي وإعجاز

٤- مصير المكذبين لآيات الله

أولاً : التمهيد

التعريف بالسورة:

سورة الملك مكية بالإجماع، فقد أخرج البيهقي وغيره عن أبن عباس رضي الله عنه قال :" نزلت بمكة سورة تبارك الملك(رحمه الله ١)

وقال القرطبي :"مكية في قول الجميع" .

وعدد آياتها ثلاثون، ويبدأ بها الجزء التاسع والعشرون، وهي تُعنى بجانب العقيدة وإثبات قدرة الله جل جلاله، وتسمى بسورة الملك وتبارك لحديث ابن عباس المتقدم، ولبدئها بكلمة تبارك.

١.مناسبة بداية سورة الملك لنهاية ما قبلها وهي سورة التحريم.

لما ختمت سورة التحريم بقول الله تعالى :" وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ " جاءت بداية سورة تبارك مناسبة لها، حيث أن كلمة تبارك تعني تنزيه الله جل وجلاله عن صفات المخلوقين كالإنجاب، والولد ، ويشعرنا ذلك أن تبارك تنفي ما أدعاه النصارى بأن عيسى عليه السلام ابن الله، ببيان حقيقة مريم بنت عمران.

رحمه الله______________

(رحمه الله١) محمد الشوكاني ،فتح القدير،دار المعرفة ،بيروت ،ج٦ ص ٣١٤." [(١)]

---

(١) تفسير سورة النبأ وسورة الملك تفسيرا موضوعيا، المؤلف غير معروف ص/٢٠

"م ج س
كلمة واحدة
المجوس: قوم من القدماء لهم نحلة دينية خاصة. ومن أصول دينهم القول بالاثنين: النور والظلمة وأنهما ينشأ عنهما الخير والشر وقد قيل أن " زرادشت " جدد هذه النحلة.
المجوس: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) " ١٧/الحج"

م ح ص
كلمتان
محص الشئ خلصه من العيب. يقال: محص الذهب: خلصه من خبثه وشوائبه وصفاه بالنار ويقال: محص الله المؤمن: طهره من الذنوب وتبعاتها بما ينزله به من أنواع الابتلاء، ومحص ما في قلب المؤمن: طهره من الوساوس **والارتياب**." (١)
"فإن قال: ما دل على ما وصفت؟
قيل: - قال الشافعي -: لما كانت
العدة استبراء وتعبدا، وكان وضع الحمل براءة من عدة الوفاة، هادما للأربعة أشهر والعشر، كان هكذا في جميع العدد والاستبراء - والله أعلم -، مع أن المعقول أن وضع الحمل غاية براءة الرحم حتى لا يكون في النفس - منه - شيء، فقد يكون في النفس شيء في جميع العدد والاستبراء، وإن كان ذلك براءة في الظاهر - والله سبحانه وتعالى الموفق -.
الأم (أيضا) : عدة الحامل:
قال الشافعي رحمه الله: قال الله - عز وجل في المطلقات: (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) الآية.
قال الشافعي رحمه الله: فافي مطلقة طلقت حاملا، فأجلها أن تضع حملها.
قال الشافعي - رحمه الله -: فإن كانت تحيض على الحمل، تركت الصلاة، واجتنبها زوجها، ولم تنقض عدتها بالحيض؛ لأنها ليست من أهله، إنما أجلها أن تضع حملها.
قال الشافعي رحمه الله: فإن كانت ترى أنها حامل، وهي تحيض فارتابت.
أحصت الحيض، ونظرت في الحمل، فإن مرت لها ثلاث حيض فدخلت في الدم من الحيضة الثالثة، وقد بان لها أن ليس بها حمل فقد انقضت عدتها بالثلاث الحيض، فإن ارتجعها زوجها في حال **ارتيابها** بعد ثلاث حيض، وقفنا الرجعة فإن بان بها حمل فالرجعة ثابتة، وإن بان أن ليس بها حمل فالرجعة باطلة.." (٢)

---

(١) معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل ٢٢١/٤
(٢) تفسير الإمام الشافعي الشافعي ١٣٨٥/٣

"ﷺوقوله: ﴿بشيء من الخوف﴾ [البقرة: ١٥٥] يعني من الخوف من العدو وبالجوع، وهو القحط. يقول: لنختبرنكم بشيء من خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم، وحروب تكون بينكم وبين أعدائكم من الكفار، فينقص لها عددكم، وموت ذراريكم، وأولادكم، وجدوب تحدث، فتنقص لها ثماركم. كل ذلك امتحان مني لكم واختبار مني لكم، فيتبين صادقوكم في إيمانهم من كاذبيكم فيه، ويعرف أهل البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك **والارتياب**. -[٧٠٥]- كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه." (١)

"يكونوا في شك من عظيم ما أتى المشركون إلى المسلمين في إخراجهم إياهم من منازلهم بمكة، فيحتاجوا إلى أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إخراج المشركين إياهم من منازلهم، وهل ذلك كان لهم؟ بل لم يدع ذلك عليهم أحد من المسلمين، ولا أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك. وإذ كان ذلك كذلك، فلم يكن القوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عما ارتابوا بحكمه **كارتيابهم** في أمر قتل ابن الحضرمي، إذ ادعوا أن قاتله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله في الشهر الحرام، فسألوا عن أمره، **لارتيابهم** في حكمه. فأما إخراج المشركين أهل الإسلام من المسجد الحرام، فلم يكن فيهم أحد شاكا أنه كان ظلما منهم لهم فيسألوا عنه. ولا خلاف بين أهل التأويل جميعا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب قتل ابن الحضرمي وقاتله." (٢)

"حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، وهشام، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا هشام، قالا جميعا في حديثهما، عن قتادة، عن صفوان بن محرز، قال: " بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف إذ عرض له رجل، فقال: يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ﷺيدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب اغفر مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم "، قال: " فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه، وأما الكفار والمنافقون، فينادي بهم على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين " إن الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه إياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضله عليه بعفوه له عنها، فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته إياه بما أبداه من نفسه، وبما أخفاه من ذلك، ثم يغفر له كل ذلك بعد -[١٤٦]- تعريفه تفضله وتكرمه عليه، فيستره عليه، وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين، فقال: يغفر لمن يشاء. فإن قال قائل: فإن قوله: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] ينبئ عن أن جميع الخلق غير مؤاخذين إلا بما كسبته أنفسهم من ذنب، ولا مثابين إلا بما كسبته من خير، قيل: إن ذلك كذلك، وغير مؤاخذ العبد بشيء من ذلك إلا بفعل ما نهي عن فعله، أو ترك ما أمر بفعله. فإن قال: فإذا كان ذلك كذلك، فما معنى وعيد الله عز وجل إيانا على ما أخفته أنفسنا بقوله: ﴿ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] إن كان ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٧٠٤/٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٦٥٠/٣

[البقرة: ٢٨٦] وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا من هم بذنب، أو إرادة لمعصية، لم تكتسبه جوارحنا؟ قيل له: إن الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفو لهم عما هو أعظم مما هم به أحدهم من المعاصي فلم يفعله وهو ما ذكرنا من وعده إياهم العفو عن صغائر ذنوبهم إذا هم اجتنبوا كبائرها، وإنما الوعيد من الله عز وجل بقوله: ﴿ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشك في الله، والمرية في وحدانيته، أو في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما جاء به من عند الله، أو في المعاد والبعث من المنافقين، على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد، ومن قال بمثل قولهما أن تأويل قوله: ﴿أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] على الشك واليقين. غير أنا نقول: إن المتوعد بقوله: ﴿ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] هو من كان إخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية في الله، وفيما يكون الشك فيه بالله كفرا، والموعود الغفران بقوله: ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] هو الذي أخفى، وما يخفيه الهمة -[١٤٧]- بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الأمور التي كان جائزا ابتداء تحليله وإباحته، فحرمه على خلقه جل ثناؤه، أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزا ابتداء إباحة تركه، فأوجب فعله على خلقه، فإن الذي يهم بذلك من المؤمنين إذا هو لم يصحح همه بما يهم به، ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن مأخوذا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه» فهذا الذي وصفنا هو الذي يحاسب الله به مؤمني عباده ثم لا يعاقبهم عليه. فأما من كان ما أخفته نفسه شكا في الله وارتيابا في نبوة أنبيائه، فذلك هو الهالك المخلد في النار، الذي أوعده جل ثناؤه العذاب الأليم بقوله: ﴿ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] فتأويل الآية إذا: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم﴾ [البقرة: ٢٨٤] أيها الناس، فتظهروه ﴿أو تخفوه﴾ [البقرة: ٢٨٤] فتنطوي عليه نفوسكم، ﴿يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] فيعرف مؤمنكم تفضله بعفوه عنه، ومغفرته له، فيغفره له، ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه." (١)

"حدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، قال: ثنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿ﷺوما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية: " ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم، وشج فوق حاجبه، وكسرت رباعيته: قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فذلك قوله: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [آل عمران: ١٤٤] "." (٢)

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: قال: " أهل المرض والارتياب والنفاق ﷺحين فر الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه الآية " ومعنى الكلام: وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قتل؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا فجعل الاستفهام في حرف الجزاء، ومعناه أن يكون في جوابه خبر وكذلك كل استفهام دخل على جزاء، فمعناه أن يكون في جوابه خبر لأن الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك، ومعناه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٤٥/٥

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٤/٦

الرفع لمجيئه بعد الجزاء، كما قال الشاعر:

[البحر الطويل]

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل ... أمامك بيت من بيوتي سائر

فمعنى «لا يزل» رفع، ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب، ومثله: ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤] و ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ [المزمل: ١٧] ، ولو كان مكان ﴿فهم الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤] يخلدون؛ وقيل: أفإن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم، وكذلك لو كان مكان ﴿انقلبتم﴾ [آل عمران: ١٤٤] «تنقلبوا» جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل، وتركت إعادة الاستفهام ثانية مع قوله: ﴿انقلبتم﴾ [آل عمران: ١٤٤] اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام وأن الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه،." (١)

"فيقسمان بالله إن ارتبتم يقول: يحلفان بالله إن اتهمتموهما بخيانة فيما ائتمنا عليه من تغيير وصية أوصى إليهما بها، أو تبديلها **والارتياب**: هو الاتهام لا نشتري به ثمنا يقول: يحلفان بالله لا نشتري بأيماننا بالله ثمنا، يقول: لا نحلف كاذبين على عوض نأخذه عليه، وعلى مال نذهب به، أو لحق نجحده لهؤلاء القوم الذين أوصى إلينا وإليهم وصيتهم. والهاء في قوله به من ذكر الله، والمعني به الحلف والقسم، ولكنه لما كان قد جرى قبل ذلك ذكر القسم به، فيعرف من معنى الكلام، واكتفي به من إعادة ذكر القسم والحلف ولو كان ذا قربى يقول: يقسمان بالله لا نطلب بإقسامنا بالله عوضا فنكذب فيها لأحد، ولو كان الذي نقسم به له ذا قرابة منا. وبنحو الذي قلنا في ذلك روي الخبر عن ابن عباس.." (٢)

"حدثني الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا يحيى بن زكريا، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: " ﴿ﷺإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾ [الأنفال: ٤٩] قال: فئة من قريش: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكة وهم على **الارتياب** فحبسهم **ارتيابهم**، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم "." (٣)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: " ﴿ﷺما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ [التوبة: ١٢٠] فقرأ حتى بلغ: ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ [التوبة: ١٢١] قال: هذا حين كان الإسلام قليلا، فلما كثر الإسلام بعد قال: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ [التوبة: ١٢٢] . إلى آخر الآية " والصواب من القول في ذلك عندي، أن الله عنى بها الذين وصفهم بقوله: ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم﴾ [التوبة: ٩٠] . . الآية، ثم قال جل ثناؤه: ما كان لأهل المدينة الذين تخلفوا عن رسول الله ولا لمن حولهم من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد معه أن يتخلفوا خلافه ولا يرغبوا بأنفسهم عن

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر   الطبري، أبو جعفر ١٠٥/٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر   الطبري، أبو جعفر ٧٥/٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر   الطبري، أبو جعفر ٢٢٧/١١

نفسه. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ندب في غزوته تلك كل من أطاق النهوض معه إلى الشخوص إلا من أذن له أو أمره بالمقام بعده، فلم يكن لمن قدر على الشخوص التخلف، فعدد جل ثناؤه من تخلف منهم، فأظهر نفاق من كان تخلفه منهم نفاقا وعذر من كان تخلفه لعذر، وتاب على من كان تخلفه تفريطا من غير شك ولا **ارتياب** في أمر الله إذ تاب من خطأ ما كان منه من الفعل. فأما التخلف عنه في حال -[٧٤]- استغنائه فلم يكن محظورا إذا لم يكن عن كراهته منه صلى الله عليه وسلم ذلك، وكذلك حكم المسلمين اليوم إزاء إمامهم، فليس بفرض على جميعهم النهوض معه إلا في حال حاجته إليهم لما لا بد للإسلام وأهله من حضورهم واجتماعهم واستنهاضه إياهم فيلزمهم حينئذ طاعته. وإذا كان ذلك معنى الآية لم تكن إحدى الآيتين اللتين ذكرنا ناسخة للأخرى، إذ لم تكن إحداهما نافية حكم الأخرى من كل وجوهه، ولا جاء خبر يوجه الحجة بأن إحداهما ناسخة للأخرى وقد بينا معنى المخمصة وأنها المجاعة بشواهده، وذكرنا الرواية عمن قال ذلك في موضع غير هذا، فأغنى ذلك عن إعادته ههنا وأما النيل: فهو مصدر من قول القائل. نالني ينالني، ونلت الشيء: فهو منيل، وذلك إذا كنت تناله بيدك. وليس من التناول، وذلك أن التناول من النوال، يقال منه: نلت له أنول له من العطية. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: النيل مصدر من قول القائل: نالني بخير ينولني نوالا. وأنالني خيرا إنالة؛ وقال: كأن النيل من الواو أبدلت ياء لخفتها وثقل الواو. وليس ذلك بمعروف في كلام العرب، بل من شأن العرب أن تصحح الواو من ذوات الواو إذا سكنت وانفتح ما قبلها، كقولهم: القول، والعول، والحول، ولو جاز ما قال لجاز القيل." (١)

"قيل في بعض التفسير إنهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عدة التي تحيض.

فما عدة التي لا تحيض والتي لم تحض؟

فقيل إن ارتبتم، أي إذا ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر.

والذي يذهب إليه مالك، واللغة تدل عليه أن معناه إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتها ثلاثة أشهر، وذلك بعد أن تترك تسعة أشهر بمقدار الحمل، ثم تعتد بعد ذلك

ثلاثة أشهر، فإن حاضت في هذه الثلاثة الأشهر تمت ثلاث حيض.

وجائز أن يتأخر هذا الحيض فيكون كلما قاربت أن تخرج من الثلاثة حاضت، فهذا مذهب مالك وهو الذي يروى عن عمر رحمه الله.

وقال أهل العراق تترك ولو بلغت في ذلك أكثر من ثلاثين سنة ولو بلغت

إلى السبعين، يعنون حتى تبلغ مبلغ من لا يحيض، وقالوا: ولو شاء الله

لابتلاها بأكثر من ذلك، وكذلك في قوله:

(واللائي لم يحضن) معناه عند مالك معناه إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واليائسة عند مالك وغيره بإجماع التي قد يئست من المحيض فلا **ارتياب** في أمرها أنها لا تحيض تعتد ثلاثة أشهر.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢/٧٣

ولم يأت في القرآن النص على ذلك، ولكن في القرآن دليل عليه

وأنا أبينه إن شاء الله.

فأما الصغيرة التي لا يوطأ مثلها فإن دخل بها ووطئها مكانه فإنما عقرها (١).

ولا عدة عند مالك عليها، إلا أن يكون مثلها يستقيم أن يوطأ وإنما هي عنده

في عداد من لم يدخل بها.

والذي في القرآن يدل على أن اليائسة التي لا يرتاب فيها يجب أن تعتد ثلاثة أشهر لقوله: (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن)

فمعناه واللائي لا يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر، فقياس اللائي لا يحضن قياس اللائي لم يحضن

---

(١) قال في اللسان:

وفي الحديث فيما روى الشعبي ليس على زان عقر أي مهر وهو للمغتصبة من الإماء كمهر المثل للحرة وفي الحديث فأعطاهم عقرها قال العقر بالضم ما تعطاه المرأة على وطء الشبهة وأصله أن واطئ البكر يعقرها إذا اقتضها فسمي ما تعطاه للعقر عقرا ثم صار عاما لها وللثيب وجمعه الأعقار. اهـ (لسان العرب. ٤/ ٥٩١)." (١)

"٩٧٦ - حدثنا زكريا، قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، عن علي بن الحكم، عن الضحاك، وأما قوله: " ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ عنى بذلك قوما من أهل **الارتياب** والمرض والنفاق، قالوا ذلك يوم أحد حين انهزم الناس، وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشج فوق حاجبه، ففقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناعوه وقالوا: لو كان محمد رسولا، ما مات ولا قتل، فالحقوا بدينكم الأول "

٩٧٧ - حدثنا زكريا، قال: حدثنا إسحاق، قال:

أخبرنا عمرو بن محمد، قال: حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية العوفي، قال: " لما كان يوم أحد انهزم إخوانكم، قال بعض الناس: إن كان محمد قد أصيب، فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم، وقال بعضهم: إن كان محمد قد أصيب، ألا تمضون على ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به، فأنزل الله جل وعز ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله بقتل نبيهم إلى قوله: فآتاهم الله﴾ "

٩٧٨ - حدثنا ابن بنت منيع، قال: حدثنا يحيى الحماني، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر المخرمي، عن أبي عون، عن المسور بن مخرمة، قال:." (٢)

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٥/١٨٥

(٢) تفسير ابن المنذر ابن المنذر ٤٠٣/١

"القراءة: ضم الحروف بعضها إلى بعض بالتأليف على سياقه.

قرأت أقرأ قراءة، والقراءة والتلاوة من النظائر.

معنى قرآن: تلاوة في أعلى طبقات حسن النظام في المعاني والألطاف

والأسباب التي يعلو بها في حسن النظام ستة تعديل الحروف وتشاكل المقاطع، وغيرها بحسن البيان والإيجاز من غير إخلال والوعظ الذي يلين القلب للعمل بالحق والحجة التي تؤدي إلى المعرفة بتمييز الحق من الباطل وهذه جمل لها تفضيل كثير.

معنى ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾

هنا أي: الذي يمنعهم من السجود عند تلاوة القرآن تكذيبهم به جهلا بما عليهم فيه، وفي ذلك التحذير من الجهل والحث على طلب العلم

الإيعاء: جعل الشيء في وعاء والقلوب أوعية لما يجعل فيها من معرفة

أو جهالة وعزم على خير أو شر.

وقيل ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾

أي: ما وجه **الارتياب** الذي يصرفهم عن الإيمان.." (١)

"وقال عكرمة: من [الريبة]: المرأة المستحاضة والتي لا تستقيم لها الحيض: تحيض في الشهر مرات، وفي الأشهر مرة، فعدتها ثلاثة أشهر، وهو قول قتادة.

وقيل: هذا متصل بأول السورة، والتقدير: لا تخرجوهن من بيوتهن إن ارتبتم في انقضاء العدة ولا يخرجن.

والاختيار (عند) الطبري أن يكون المعنى على قول من قال: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم في عدتهن. قال: ولو كن **الارتياب** إنما هو في الدم، لا يدرى دم حيض أم دم استحاضة؟. لكان اللفظ: إن ارتبتن. لأنهن إذا أشكل الدم عليهن فهن المرتابات بدماء أنفسهن، [لا غيرهن]، فكون [الخطاب] للرجال دليل." (٢)

"قوله: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ إلى قوله: ﴿للعبيد﴾.

المعنى: واذكر، يا محمد، ﴿إذ يقول﴾.

وقيل المعنى: ﴿لسميع عليم﴾ [الأنفال: ٤٢]، في هذه الأحوال، وحين يقول المنافقون: كذا وكذا.

و ﴿المنافقون﴾ هنا: نفر لم يستحكم الإيمان في قلوبهم من مشركي قريش، خرجوا مع المشركين من مكة وهم على **الارتياب**، فلما رأوا قلة أصحاب محمد A قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾، حتى قدموا على ما قدموا عليه، مع قلة عددهم.

وقال الحسن: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا: " منافقين ".

---

(١) تفسير ابن فورك ابن فُورَك ١٨٥/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٥٤٣/١٢

وقال معمر: هم قوم أقروا بالإسلام بمكة، ثم خرجوا مع المشركين إلى بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾. قال ابن عباس: إنما قالوا ذلك حين قلل الله المسلمين في أعين المشركين، فظنوا." (١)

"أحدهما: أنهما الوصيان إن ارتبتم بهما في الخيانة أحلفهما الورثة. والثاني: أنهما الشاهدان إن ارتبتم بهما ، ولم تعرف عدالتهما ، ولا جرحهما ، أحلفهما الحاكم ليزول عنه **الارتياب** بهما ، وهذا إنما جوزه قائل هذا القول في السفر دون الحضر. وفي قوله تعالى: ﴿لا نشتري به ثمنا﴾ تأويلان: أحدهما: لا نأخذ عليه رشوة ، قاله ابن زيد. والثاني: لا نعتاض عليه بحق. ﴿ولو كان ذا قربى﴾ أي لا نميل مع ذي القربى في قول الزور ، والشهادة بغير حق. ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ يعني عندنا فيما أوجبه علينا. قوله تعالى: ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما﴾ يعني فإن ظهر على أنهما كذبا وخانا ، فعبر عن الكذب بالخيانة والإثم لحدوثه عنهما. وفي الذين: ﴿عثر على أنهما استحقا إثما﴾ قولان: أحدهما: أنهما الشاهدان ، قاله ابن عباس. والثاني: أنهما الوصيان ، قاله سعيد بن جبير. ﴿فئاخران﴾ يعني من الورثة. ﴿يقومان مقامهما﴾ في اليمين ، حين ظهرت الخيانة. ﴿من الذين استحق عليهم الأوليان﴾ فيه تأويلان: أحدهما: الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير. والثاني: الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله ابن عباس وشريح. وكان سبب نزول هذه الآية ما روى عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء ، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم ، فلما قدما بتركته ، فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وجد الجام بمكة ، وقالوا اشتريناه من تميم الداري ، وعدي بن بداء ، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: ﴿لشهادتنا أحق من شهادتهما﴾ وأن الجام لصاحبهم قال: وفيهم نزل: ﴿يا أيها الذينءامنوا شهادة بينكم﴾ إلى قوله: ﴿واتقوا الله واسمعوا لا يهدي القوم الفاسقين﴾. ثم اختلفوا في حكم هاتي الآيتين هل هو منسوخ أو ثابت. فقال ابن عباس حكمهما منسوخ. قال ابن زيد: لم يكن الإسلام إلا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب وهو اليوم طبق الأرض. وقال الحسن: حكمهما ثابت غير منسوخ.." (٢)

"رحيم وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ قوله عز وجل: ﴿وما أبرىء نفسي﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه قول العزيز أي وما أبرىء نفسي من سوء الظن بيوسف. ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: الأمارة بسوء الظن. الثاني: بالاتهام عند **الارتياب**. ﴿إلا ما رحم ربي﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: إلا ما رحم ربي إن كفاه سوء الظن. الثاني: أن يثنيه حتى لا يعمل. فهذا تأويل من زعم أنه قول العزيز. الوجه الثاني: أنه قول امرأة العزيز وما أبرىء نفسي إن كنت راودت يوسف عن نفسه لأن النفس باعثة على السوء إذا غلبت الشهوة عليها. ﴿إلا ما رحم ربي﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: إلا ما رحم ربي من نزع شهوته منه. الثاني: إلا ما رحم ربي في قهره لشهوة نفسه ، فهذا تأويل من زعم أنه من قول امرأة العزيز. الوجه الثاني: أنه من قول يوسف ، واختلف قائلو هذا في سببه على أربعة أقاويل: أحدها: أن يوسف لما قال ﴿ذلك ليعلم أني

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢٨٤٥/٤

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٧٧/٢

لم أخنه بالغيب﴾ قالت امرأة العزيز: ولا حين حللت السراويل؟ فقال: وما أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء، قاله السدي.." (١)

"﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ ليس هذا سؤال استفهام ، وإنما هو سؤال تقرير لئلا يدخل عليه **ارتياب** بعد انقلابها حية تسعى. ﴿قال هي عصاي﴾ فتضمن جوابه أمرين: أحدهما: الإخبار بأنها عصا وهذا جواب كاف. الثاني: إضافتها إلى ملكه ، وهذه زيادة ذكرها ليكفي الجواب بما سئل عنه. ثم أخبر عن حالها بما لم يسأل عنه ليوضح شدة حاجته إليها واستعانته بها لئلا يكون عابثا بحملها ، فقال: ﴿أتوكؤا عليها وأهش به على غنمي﴾ أي أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي. قال الراجز:

(أهش بالعصا على أغنامي ... من ناعم الأراك والبشام.)

وقرأ عكرمة (وأهس) بسين غير معجمة. وفي الهش والهس وجهان: أحدهما: أنهما لغتان معناهما واحد. والثاني: أن معناهما مختلف ، فالهش بالمعجمة: خبط الشجر ، والهس بغير إعجام زجر الغنم. ﴿ولي فيها مئارب أخرى﴾ أي حاجات أخرى ، فنص على اللازم وكنى عن العارض ، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه كان يطرد بها السباع ، قاله مقاتل: الثاني: أنه كان يقدح بها النار ، ويستخرج الماء بها.." (٢)

"طاغوت كل أحد نفسه وهواه وجبته و (.....) «١» مقصوده من الأغيار، فمن لاحظ شخصا أو طالع سببا أو عرج على علة أو أطاع هوى، فذلك جبته وطاغوته. وأصحاب الجبت والطاغوت يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية، والحجاب عن شهود الربوبية.

قوله جل ذكره:

[سورة النساء (٤) : الآيات ٥٣ الى ٥٤]

أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤)

من جبل على الشح لا يزداد بسعة يده إلا تأسفا على راحة ينالها الخلق، كأن من شرب قطرة ماء قد تحسى بل رشف من ماء حياته! قوله: أم يحسدون الناس ... : بل ينكرون تخصيص الحق سبحانه لأوليائه بما يشاء حسدا من عند أنفسهم فلا يقابلونهم بالإجلال، وسنة الله سبحانه مع أوليائه مضت بالتعزيز والتوقير لهم. ودأب الكافرين جرى **بالارتياب** فى القدرة فمنهم من آمن بهم، ومنهم من رد ذلك وجحد، وكفى بعقوبة الله منتقما عنهم.

قوله: «وآتيناهم ملكا عظيما» : الملك العظيم معرفة الملك، ويقال هو الملك على النفس.

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٤٨/٣

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٩٩/٣

(١) مشتبهة.." (١)

"ما للنصارى من الترهب أثر فيهم (بالمقاربة) «١» من أهل الحق فإنهم وإن لم ينتفعوا بهم من حيث الخلاص فقد ذكرهم الله سبحانه- بمقاربة أهل الاختصاص.

قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٣]

وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (٨٣)

هذه صفة من نظر إليه الحق نظر القبول، فإذا قرعت سمعهم دعوة الحق ابتسمت البصيرة فى قلوبهم، فسكنوا إلى المسموع لما وجدوا من التحقيق.

قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٤]

وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (٨٤)

وأي عذر لنا فى التعريج فى أوطان **الارتياب**، وقد تجلت لقلوبنا الحجج؟ ثم ما نؤمله من حسن العاقبة. متى بدونه يمكن أن نطلبه؟

قوله جل ذكره:

[سورة المائدة (٥) : آية ٨٥]

فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين (٨٥)

لما صدقت آمالهم قابلها بالتحقيق، سنة منه- سبحانه- ألا يخيب راجيه، ولا يرد مؤمليه «٢» ، وإنما علق الثواب على قول القلب الذي هو شهادة عن شهوده، فأما النظر المنفرد عن البصيرة فلا ثواب عليه ولا إيجاب «٣» .

(١) وردت (بالمقارنة) والصواب أن تكون (المقاربة) فقد وردت كذلك فيما بعد إشارة إلى ما فى الآية (أقربهم مودة ...) . وربما قبلنا (المقارنة) على أساس مقارنة النصارى باليهود.

(٢) وردت (مؤمليه) وهى خطأ فى النسخ.

(٣) لاحظ هنا قيمة الإيمان النظري بالقياس إلى الإيمان القلبي ومغزى ذلك فى التسامح الديني.." (٢)

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٣٩/١

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٤٤٣/١

"قوله جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٨١ الى ٨٣]
بل قالوا مثل ما قال الأولون (٨١) قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون (٨٢) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٨٣)
سلكوا فى التكذيب مسلك سلفهم، وأسرفوا فى العناد مثل سرفهم، فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم.
قوله: «لقد وعدنا ... » لما طال عليهم وقت الحشر، وما توعدهم به من العذاب بعد البعث والنشر زاد ذلك فى ارتيابهم، وجعلوا ذلك حجة فى لبسهم واضطرابهم، فقالوا: لقد وعدنا مثل هذا نحن وآباؤنا، ثم لم يكن لذلك تحقيق، فما نحن إلا أمثالهم.
فاحتج الله عليهم فى جواز الحشر بما أقروا به من ابتداء الخلق:
فقال جل ذكره:

[سورة المؤمنون (٢٣) : الآيات ٨٤ الى ٨٩]
قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥) قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم (٨٦) سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون (٨٨)
سيقولون لله قل فأنى تسحرون (٨٩)
أمره- عليه السلام- أن يلون عليهم الأسئلة، وعقب كل واحد من ذلك- مخبرا عنهم- أنهم سيقولون: لله، ثم لم يكتف منهم بقالتهم تلك، بل عاتبهم على." (١)
"قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٩]
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩)
ذكر نعمة الله مقابلتها بالشكر، ولو تذكرت ما دفع عنك فيما سلف لهانت عليك مقاساة البلاء في الحال، ولو تذكرت ما أولاك في الماضي لقربت من قلبك الثقة في إيصال ما تؤمله في المستقبل.
ومن جملة ما ذكرهم به: «١» «إذ جاءتكم جنود ... » كم بلاء صرفه عن العبد وهو لم يشعر! وكم شغل كان يقصده فصده عنه ولم يعلم! وكم أمر عوقه والعبد يضج وهو-- (سبحانه) - يعلم أن في تيسيره له هلاك العبد فمنعه منه رحمة به،

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٢/٥٨٥

والعبد يتهم ويضيق صدره بذلك! قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١٠ الى ١١]
إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١)
أحاط بهم سرادق البلاء، وأحدق بهم عسكر العدو، واستسلموا للاجتياح، وبلغت القلوب الحناجر، وتقسمت الظنون، وداخلتهم كوامن **الارتياب**، وبدا في سويدائهم جولان الشك.
«هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا» ثم أزال عنهم جملتها، وقشع عنهم شدتها، فانجاب عنهم سحابها، وتفرقت عن قلوبهم همومها، وتفجرت ينابيع سكينتهم.

---

(١) يوضح القشيري هنا ما يسمى عنده (نعم المنع) وهي صنف آخر يختلف عن (نعم المنح) ، والعبد- لقصر نظره- يشكر على هذه، وتخفى عليه تلك.." (١)
"وتقدير الآية: وليبتلي الله ما في صدوركم فعل ما فعل يوم أحد.
وقوله: ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ [آل عمران: ١٥٤] قال قتادة: ليطهرها من الشك **والارتياب** بما يريكم من عجائب صنعه في إلقاء الأمنة وصرف العدو، وإعلان سرائر المنافقين.
وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين، ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ [آل عمران: ١٥٤] أي: بما فيها من خير وشر.
قوله: ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان﴾ [آل عمران: ١٥٥] يعني الذين انهزموا يوم أحد، ﴿إنما استزلهم الشيطان﴾ [آل عمران: ١٥٥] أي: حملهم على الزلة، وكسبهم الزلة، ﴿ببعض ما كسبوا﴾ [آل عمران: ١٥٥] قال مقاتل: يعني معصيتهم النبي عليه السلام وتركهم المركز.
﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ [آل عمران: ١٥٥] غفر لهم تلك الخطيئة، قال قتادة في هذه الآية: تولى أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد عن القتال وعن نبي الله، وكان ذلك من أمر الشيطان، فأنزل الله ما تسمعون أنه قد تجاوز عن ذلك وعفا عنهم.
١٧٧ - أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن حيان، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن المروزي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب، حدثنا محمد بن الليث، حدثنا علي بن الحكم، حدثنا القاري، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب: أن عثمان بن عفان رفع صوته على عبد الرحمن، وهو يومئذ خليفة، فقال له عبد الرحمن:." (٢)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ١٥٤/٣
(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٥٠٩/١

"فإن قيل: قوله: ﴿وجلت قلوبهم﴾ وقوله في آية أخرى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ الرعد: ٢٨. كيف يجمع بينهما والآيتان متدافعتان؛ لأن الوجل خلاف الطمأنينة؟ قيل: هذا جهل وذهاب عما عليه الآيتان لأن الاطمئنان إنما يكون من (رحمه الله١) ثلج اليقين (رحمه الله٢)، وشرح الصدور، ولمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل الموعود به، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة أو عند خوف الزيغ عن الهدى وما يستحق به الوعيد، فتوجل القلوب لذلك فكل واحدة من الحالتين غير صاحبتها فليس هنا إذا تضاد ولا تدافع وهذان المعنيان المفترقان في هاتين الآيتين اجتمعا في آية واحدة وهو قوله: ﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدهم ووثقوا فانتفى عنهم الشك **والارتياب** فهو معنى قوله: ﴿تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ وهذا كله كلام أبي علي الفارسي (رحمه الله٣).

وقوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾. قال ابن عباس: يريد تصديقا ويقينا (رحمه الله٤)، وزيادة الإيمان الذي هو التصديق (رحمه الله٥) يكون على وجهين:

رحمه الله________________

(رحمه الله١) في (س): (عن).

(رحمه الله٢) في (ح): (النفس)، وهما بمعنى. يقال: ثلج قلبه وثلج: تيقن. انظر: "اللسان" (ثلج) ١/ ٥٠٠.

(رحمه الله٣) انظر: "الحجة للقراء السبعة" ١/ ٢٢٢.

(رحمه الله٤) رواه بنحوه ابن جرير ٩/ ١٧٩، وابن أبي حاتم ٥/ ١٦٥٦ أمن رواية علي بن أبي طلحة.

(رحمه الله٥) التصديق بعض الإيمان، فإن كان المؤلف يريد أن يبين كيفية زيادة هذا البعض فكلامه مقبول، وإن كان يريد أن يفسر الإيمان بالتصديق فقط فكلامه محل نظر إذ إن الثابت عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان: تصديق الجنان، وقول اللسان، =." (١)

"فلا معنى لقوله: ﴿إذا لارتاب﴾ مع كونهم مرتابين؛ ووجهه ما قال الفراء: أي: لكان أشد لريبة من كذب من أهل الكتاب (رحمه الله١). فحمل قوله: ﴿لارتاب﴾ على زيادة الريبة، على قول مجاهد. والمعنى: أن المشركين كانوا شاكين في نبوته، مع أنه يخبرهم بقصص الماضين، من غير أن يقدر على كتابة وقراءة، فلو كان قارئا كاتبا لاشتد **ارتيابهم**، وقالوا: إنما تعلمه وقرأه من كتاب.

وتفسير الآية: أي: الذي يأتي بالباطل، يقال: أبطل فلان: إذا كذب وادعى غير الحق (رحمه الله٢). وكل من ادعى دينا غير الإسلام فهو مبطل.

٤٩ - قوله تعالى ﴿بل هو آيات بينات﴾ قال الحسن: القرآن آيات بينات. ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين (رحمه الله٣).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/١٨

وهو قول عبد الله بن عباس في رواية عطاء؛ يريد: الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار، وحملوه من بعد النبي -عليه السلام-. وعلى هذا الكناية عن القرآن والكتاب بقوله: ﴿هو﴾.

وقال قتادة ﴿بل هو﴾ يعني النبي -صلى الله عليه وسلم- و ﴿آيات بينات في صدور﴾ أهل العلم من أهل الكتاب؛ لأنهم يجدون في كتابهم نعته وصفته (ﷺ٤). وعلى هذا التقدير: بل هو ذو آيات بينات، فحذف المضاف، وذلك أن كونه بالنعت

ﷺ________

(ﷺ١) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٣١٧.

(ﷺ٢) كتاب "العين" ٧/ ٤٣٠ (بطل)، ونقله الأزهري، "تهذيب اللغة" ١٣/ ٣٥٥.

(ﷺ٣) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٩٩، وابن جرير ٢١/ ٦. وهو قول الفراء، "معاني القرآن" ٢/ ٣١٧. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢ أ، ولم ينسبه.

(ﷺ٤) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٩٩، وابن جرير ٢١/ ٥. وأخرجه ابن جرير ٢١/ ٥، عن ابن جريج. وذكره الثعلبي ٨/ ١٦٢ أ، عن ابن عباس.." [1]

"وللشافعي رحمه الله في كيفية اعتبار اليأس قولان:

أحدهما: أن (ﷺ١) يعتبر غالب عادة نسائها ومن في مثل حالها، فإذا مضت عليها تلك المدة ولم تحض علمنا أنها يئست (ﷺ٢).

فمعنى **الارتياب** على القول الأول: الجهالة بحكم العدة. أي إن جهلتم عدة الكبيرة وشككتم في عدتها فلم تدروا كم هي ثلاثة أشهر. وعلى القول الثاني معنى **الارتياب** الشك في حالة المرأة أهي آيسة أم ذات حيض ويستأنى بها إحدى العادتين اللتين ذكرناهما. فلما نزل قوله: ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ قام رجل فقال: يا رسول الله: فما عدة الصغيرة التي لم تحض؟ فنزل: ﴿واللائي لم يحضن﴾ -أي: هن بمنزلة الكبيرة التي قد يئست عدتها ثلاثة أشهر. فقام آخر فقال: فالحامل (ﷺ٣) يا رسول الله ما عدتهن؟ فنزل: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ (ﷺ٤). معناه: أجلهن في انقطاع ما بينهن وبين

ﷺ________

(ﷺ١) في (س): (أن) زيادة.

(ﷺ٢) في (س): (آيسة). وانظر: "المجموع" ١٨/ ١٤٤، و"المغني" ١١/ ٢١١.

(ﷺ٣) في (س): (فالحوامل).

(ﷺ٤) ذكر مقاتل نحوه وذكر اسم السائل وهو خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري، ونقله الثعلبي عن مقاتل. انظر: "تفسير مقاتل" ١٥٨/ ب، و"الكشف والبيان" ١٢/ ١٤٣ أ - ب، و"أسباب النزول" للواحدي ص ٥٠٣.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٤١/١٧

قلت: ذكر الثعلبي عند سبب النزول أن الآية نزلت بكاملها، ثم أورد قول مقاتل. وهذه دلالة على ترجيحه لغير ما قاله مقاتل. وهو الصواب إن شاء الله إذ القرآن لا يليق به غير هذا، وتقطيع الآية بهذه الصورة يفكك النظم بين مفردات الآية الواحدة. ويشهد لهذا ما أخرجه ابن جرير وإسحاق بن راهوية والحاكم وغيرهم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة .. قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن ناسا يقولون: قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن الصغار وذوات الحمل. فنزلت: =." (١)

"وقوله تعالى: ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ قد ذكرنا للتمحيص ثلاث معان، عند قوله -تعالى-: ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾ [آل عمران: ١٤١]: التطهير، والكشف، والابتلاء. وهذ كلها محتملة في هذه الآية.

قال قتادة (رحمه الله١) - في قوله: ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾، أي: يظهرها (رحمه الله٢) من الشك **والارتياب**؛ بما يريكم من عجائب صنعه في إلقاء الأمنة، وصرف العدو، وإعلان سرائر المنافقين. وهذا (رحمه الله٣) التمحيص خاص للمؤمنين؛ فابن عباس قال (رحمه الله٤): يريد: يمحص قلوب أوليائه من الخطأ.

وقال الكلبي (رحمه الله٥): ﴿وليمحص﴾: يبين ما في قلوبكم. يعني: أن المؤمن يظهر الرضا بقدر الله، والمنافق يظهر مثل ما أظهر معتب بن قشير وأصحابه. فعل الله ما فعل يوم أحد؛ ليبين ما في قلوب الفريقين.

ويحتمل التمحيص -ههنا- معنى الابتلاء، غير أن القولين الأولين أجود؛ لزيادة الفائدة؛ فإن الابتلاء قد ذكر في قوله: ﴿وليبتلي الله﴾.

وقوله تعالى: ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ (ذات الصدور)، تحتمل معنيين: أحدهما: أن (ذات الصدور) هي: الصدور؛ لأن ذات الشيء

رحمه الله________________

= ولوامع الأنوار" للسفاريني ١/ ٢٢١ - ٢٢٣، و"روح المعاني" ٢٥/ ٩١، و"أضواء البيان" ٧/ ٢٥٦، و"العقائد السلفية" لأحمد بن حجر ١/ ٨٦

(رحمه الله١) لم أقف على مصدر قوله. وقد أورده ابن الجوزي في: "الزاد" ١/ ٤٨٢.

(رحمه الله٢) في (ب)، (ج): (يطهرها) بالطاء.

انظر:"بحر العلوم" ١/ ٣٠٩، و"تفسير الثعلبي" ٣/ ١٣٤ ب، و"تفسير البغوي" ٢/ ١٢٢، و"زاد المسير" ١/ ٤٨٢.

(رحمه الله٣) من قوله: (وهذا ..) إلى (.. يمحص قلوب): ساقط من (ج).

(رحمه الله٤) لم أقف على مصدر قوله.

(رحمه الله٥) لم أقف على مصدر قوله.." (٢)

"والهور والانهيار: الميل، ومنه التهور والهوارة، في الحديث: من أطاع ربه فلا هوارة (رحمه الله١) عليه، وروي: من اتقى الله وقي الهوارة (رحمه الله٢).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١٠/٢١

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٩٩/٦

١١٠ - ﴿بنوا ريبة:﴾ أي: سبب ريبة (﵀٣).

﴿تقطع:﴾ تفسخ (﵀٤)، فمن حمل الكلام على الغاية والتوقيت قال: ترتفع الريبة عند تقطع القلوب؛ لأن **الارتياب** في فعل الأحياء دون من هلك وتلاشى، ومن حمل على المبالغة والتأكيد قال: يجوز بقاء الريبة مع تقطع القلوب لجواز بقاء الحياة والعقل فيها بتبقية الله تعالى كحياة الشهداء وحياة الذين يسألون في القبور، وهذا أشبه. ويمكن الجمع بين القولين بأن يحمل أحدهما في طائفة من المنافقين والآخر (﵀٥) في طائفة أخرى منهم.

١١١ - ﴿إن الله اشترى:﴾ اتصالها بما قبلها من حيث ذكر الرجال الذين يحبون أن يتطهروا. عن عبد الله بن رواحة قال يوم البيعة: اشترط يا رسول الله لربك ولنفسك، قال:

أشترط (﵀٦) لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما (﵀٧) تمنعون منه أنفسكم وأهاليكم، قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة، قال: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، فأنزل الله بها (﵀٨) هذه الآية.

واشتراء الله من عباده [المؤمنين] (﵀٩) ما يملكه عليهم إنما على سبيل التفضيل واللطف، وهو كالاستقراض منهم، وإيجاب الأجر لهم. أبو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة) (﵀١٠).

١١٢ - ﴿التائبون:﴾ أي: هم التائبون، وقيل: رفع على المدح (﵀١١).

﵀____________

(﵀١) هلاك، ينظر: الفائق في غريب الحديث ٤/ ١٢١، والنهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٨١.

(﵀٢) في مصادر التخريج: الهورات، أي: الهلكات، ينظر: الفائق في غريب الحديث ٤/ ١٢١، والنهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٨١، ولسان العرب ٥/ ٢٦٩ (هور).

(﵀٣) ينظر: الكشاف ٢/ ٣١٣، والتفسير الكبير ١٦/ ١٩٧، والبحر المحيط ٥/ ١٠٥.

(﵀٤) في ب: تسفح.

(﵀٥) النسخ الثلاث: والأخرى.

(﵀٦) (قال أشترط) مكررة في ب، وبعدها (أن تعبدوه) ليس في ك.

(﵀٧) النسخ الثلاث: ما.

(﵀٨) ساقطة من ك. وينظر: تفسير الطبري ١١/ ٤٩، والبغوي ٢/ ٣٢٩، وفتح الباري ٦/ ٤.

(﵀٩) من ك.

(﵀١٠) الموطأ ٢/ ٤٤٣، وصحيح البخاري ٣/ ١١٣٥، ومسلم ٣/ ١٤٩٦.

(رحمه الله١١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٧١، والتبيان في تفسير القرآن ٥/ ٣٠٦ - ٣٠٧، والكشاف ٢/ ٣١٤.." (١)

"سوى أبي الحسين الفارسي، وكان هذا التتلمذ متأخرا، فقد كان في بداية حياته العلمية حنفي المذهب والاعتقاد، كوفيا نحويا، وبعد أن نضج وتتلمذ على يد أبي الحسين الفارسي، وقرأ كتبا أخرى، جعلته يغير منهجه الذي يسير عليه إلى منهج آخر مختلف تماما، نظرا لسعة اطلاعه، وسعة أفقه ومداركه.

٩ - ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف أورد خلال حديثه عن اسم الله تعالى (البارئ) خلال تفسير الآية ٢٤ من سورة الحشر يقول: «وقد استوفينا الكلام في الأسماء في مفتاح الهدى» (رحمه الله١)، وقد استبشرت خيرا بهذا فقد ذكر أن للجرجاني كتابا هو المفتاح، فقلت: إن ضالتي قد وجدت، فبحثت عن الكتاب، وبعد جهد توصلت إلى كتاب للجرجاني اسمه «المفتاح في الصرف»، وبحثت فيه عن ذلك فلم أجد شيئا يدل على ما ذكره، ولو بالإشارة، فكان المفتاح في الصرف ليس له علاقة في اشتقاق بأسماء الله من قريب ولا بعيد، كما أني لم أجد كتابا بهذا الاسم فيما لدي من مصادر يذكر كتابا اسمه مفتاح الهدى، سواء للجرجاني أو غيره.

وخلال بحثي في الكتاب عن شيء يدل على المؤلف في محاولة لمعرفة المؤلف وجدت عبارة مهمة وهي: «قال الأمير» (رحمه الله٢)، ولعلها من أهم العبارات التي تشير إلى المؤلف، إذ قد يكون الأمير هو مؤلف الكتاب، إذ من المعتاد في كتب القدماء أن يذكر المؤلف باسمه أو بلقبه، لأن كثيرا منهم قد أملى كتابه إملاء على تلاميذه، فقام هؤلاء التلاميذ بذكر أسمائهم فيها، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: «معاني القرآن» للفراء، والذي ترد فيه عبارة «قال الفراء» أو «حدثنا شيخنا» (رحمه الله٣).

ونظرا لأهمية هذه العبارة قمت بالبحث في المصادر عمن يلقب بالأمير من العلماء الذين عاشوا في عصر المؤلف في القرن الخامس، فلم أجد سوى الأمير العالم ابن ماكولا، وهو سعد الملك أبو نصر علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، صاحب كتاب «الإكمال في رفع **الارتياب** عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» المتوفى سنة نيف وسبعين، أو نيف وثمانين وأربع مئة للهجرة، فيكون كما ذكرت، من عصر عبد القاهر الجرجاني، وهو العصر الذي رجحت أن يكون قد كتب فيه الكتاب.

رحمه الله______________

(رحمه الله١) الأصل (٣٠٧ ظ).

(رحمه الله٢) الأصل (١٢٣ و)، و (١٥٠ و)، ودرج الدرر ٢١٨.

(رحمه الله٣) ينظر: على سبيل المثال: معاني القرآن ١/ ٢١ و ٢٢ و ٣٣٨.." (٢)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧٩٩/١

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١٠/٢

"ورغم أن مصادر ترجمة ابن ماكولا ذكرت «أنه كان نحويا مجودا وشاعرا مبرزا» (رَحِمَهُ اللَّهُ١) لكني لم أقف في مصادر ترجمته على تاليف في التفسير، فلم تذكر أنه كان له تفسير أو حتى تفسير سورة واحدة.

كما أنه مما يظهر من هذا التفسير والأحاديث الواردة فيها أن صاحب التفسير هذا لم تكن لديه اهتمامات المحدثين في ضبط الأحاديث وأسانيدها والحكم عليها، بل نجده يستشهد بأحاديث ضعيفة جدا بل موضوعة، وكذلك يهتم بالإسرائيليات والتاريخ، مما يدفع كون مؤلف الكتاب هو من أهل الحديث كما هو معروف عن ابن ماكولا، ودقته واحترافه لهذا الفن، وبخاصة أنه ألف كتابا في نقد الرجال وتاريخهم وهو كتاب «الإكمال في رفع **الارتياب** عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب».

وخلاصة القول: إن كتاب «درج الدرر في تفسير القرآن العظيم» وحسب ما ترجح لدي، والله أعلم، أن الكتاب ليس لعبد القاهر الجرجاني، بل هو لغيره، ولم أستطع نسبته لغيره، إذ لم توجد علامات دالة على ذلك، فهو، في رأيي المتواضع، منسوب له، ويبقى كذلك حتى يتبين لي أو لأحد غيري مؤلف الكتاب.

المطلب الثاني

أهمية الكتاب

إن تفسير «درج الدرر» وبالرغم من أنه مختصر، إلا أنه يعد من التفاسير القيمة، فهو ليس من المختصرات المخلة، ولا من المطولات المملة، فهو ذو فائدة للقارئ العادي غير المختص، كما أنه ذو فائدة عالية للقارئ المختص في آن واحد.

وقد حوى الكتاب على كثير من النقولات عن علماء سابقين من أعلام التفسير والحديث واللغة والنحو وغيرها من العلوم، فهو بذلك جمع بين التفسير بالمأثور بهذه النقولات، وبين التفسير بالرأي بما كان يبدي من رأي في كثير من المسائل التي فيها اختلاف، سواء في المعاني أو الإعراب أو غيرها.

وهذه النقولات تدل بشكل لا ريب فيه على غزارة علم المؤلف، وسعة اطلاعه، كما أنها تعطي صورة واضحة عن المرحلة التي عاش فيها المؤلف، وهي مرحلة مهمة من مراحل سير التأليف في ذلك الوقت، ومنها كتب تفسير القرآن الكريم، إذ انصرف اهتمام العلماء في تلك المرحلة إلى جمع أقوال العلماء المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وتدوين آرائهم، فيناقشون أراءهم وأقوالهم، ويردون على أصحابها، ويرجحون بعضها على بعض.

ونلاحظ هذا في كتاب «درج الدرر»، فنجده ينقل الأقوال من غير ترجيح، وقد يرجح بينها، وقد يردها جميعا، وأحيانا يأت برأي مغاير لهم.

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٧٥، وطبقات الحفاظ ٤٤٣.." [١]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١١/٢

"والرابع: هو تكرار المعنى المزعج، يعني: [في] (رحمه الله١) سورة هود: تكرار لفظة (بعد) (رحمه الله٢) أي: هلك، وفي سورة الواقعة: تكرار (أنتم) (رحمه الله٣)، أو (نحن) (رحمه الله٤)، وفي سورة المرسلات: تكرار لفظة (ويل) (رحمه الله٥)، وفي سورة عم يتساءلون: تكرار لفظة (وكان) (رحمه الله٦)، و (كانت) (رحمه الله٧)، وفي سورة التكوير:
تكرار لفظة (إذا) (رحمه الله٨) على سبيل الوعيد.

١ - قوله: ﴿أحكمت﴾ بمعنى: الخصوص، وهو إحكام التلاوة، وتهذيبها (١٥٨ و) مما يلقي الشيطان في الأمنية.
﴿ثم فصلت﴾ من عنده بلا وساطة، أو التفصيل: هو تفسير رسول الله مجملات الآي.

٢ - ﴿ألا تعبدوا:﴾ مضمر آتيناكه لتقوم بالوعظ أن لا يعبدوا.

٣ - وإنما قدم الاستغفار على التوبة (رحمه الله٩) لأن الإنسان يستقبح الشر، ويعرض عنه مستغفرا، ثم يستفتح الخير، ويقبل عليه مستوفيا، والمراد (رحمه الله١٠) بالاستغفار كسب سبب المغفرة، وهو إصلاح العقيدة، وبالتوبة سبب الاستقامة، بإصلاح العزيمة. (رحمه الله١١)
ويوف (رحمه الله١٢) الله تعالى ﴿كل ذي فضل:﴾ خصلة فاضلة (رحمه الله١٣).
﴿فضله:﴾ فضيلتها من الثواب.

٥ - ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في الأخنس [بن] شريق بن عمرو بن وهب الثقفي (رحمه الله١٤)، (رحمه الله١٥) وقال أبو بكر (رحمه الله١٦) محمد بن عزيز

رحمه الله______________

(رحمه الله١) من ك.
(رحمه الله٢) ينظر الآيات:٤٤ و ٦٠ و ٦٨ و ٩٥.
(رحمه الله٣) ينظر الآيات:٥٧ و ٥٩ و ٦٠ و ٦٤ و ٦٧ و ٦٩ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٥.
(رحمه الله٤) ينظر الآيات:٥٩ و ٦٤ و ٦٩ و ٧٢ و ٨١ و ٨٤.
(رحمه الله٥) ينظر الآيات:١٥ و ١٩ و ٢٤ و ٢٨ و ٣٤ و ٤٠ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٩.
(رحمه الله٦) ينظر الآيات:١٧ و ٢٧.
(رحمه الله٧) ينظر الآيات:١٩ و ٢٠.
(رحمه الله٨) ينظر الآيات:١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٧ و ١٨.
(رحمه الله٩) في قوله تعالى: وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه.
(رحمه الله١٠) الأصل: أو المراد.

(رحمه الله١١) ينظر: تفسير الطبري ٦/ ٦٢٢، والبحر المحيط ٦/ ١٢٠.

(رحمه الله١٢) ع: يؤت.

(رحمه الله١٣) ساقطة من ك

(رحمه الله١٤) اسمه أبي، ولقب بالأخنس؛ لأنه رجع ببني زهرة من بدر، فقيل: خنس. وما بين المعقوفتين زيادة من المصادر الآتية: سيرة ابن هشام ٢/ ١٠٧، وتاريخ الطبري ٢/ ٢٩، والإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ١/ ٣٠١.

(رحمه الله١٥) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٣٧٣، وتفسير أبي السعود ٤/ ١٨٥.

(رحمه الله١٦) الأصول المخطوطة: أبو بكر ومحمد، وأبو بكر هو محمد كما في كتب الرجال. ينظر: الحاشية الآتية.." [١]

"وتعلم ما هي، فلا أقبلها منك، فدعاه علي أن يخاصمه إلى رسول الله، فقال قوم عثمان: لا تخاصمه إلى رسول الله (رحمه الله١)، فإنك إن خاصمته إليه قضى له عليك، فهو ابن عمه، وأكرم عليه منك، ثم اختصما إلى رسول الله، وقصا عليه القصة، فقضى لعلي على عثمان رضي الله عنهما، وألزمه الأرض، ونزل في قوم عثمان: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول. . .﴾ الآية. (رحمه الله٢)

٤٨ - ﴿وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم:﴾ الرسول (رحمه الله٣).

﴿بينهم:﴾ بالقرآن. قال الفراء: الحكم للرسول، وذكر الله للتعظيم. (رحمه الله٤)

﴿إذا فريق منهم معرضون:﴾ عن رسول الله والقرآن.

٤٩ - ﴿وإن يكن لهم الحق:﴾ القضاء.

﴿يأتوا إليه﴾ (٢٣٨ ظ) ﴿مذعنين:﴾ طائعين، والإذعان: الإسراع مع الطاعة. وقال الفراء: «مطيعين غير مستكرهين». (رحمه الله٥)

٥٠ - ﴿أفي قلوبهم:﴾ نفاق.

﴿أم ارتابوا:﴾ شكوا في الله ورسوله والقرآن وإيمانهم.

﴿أم يخافون أن يحيف الله:﴾ يجور (رحمه الله٦) الله عليهم ورسوله في الحكم.

﴿بل أولئك هم الظالمون:﴾ وإنما حسن الجمع بألف الاستفهام، وأم المترتبة عليها بين شيئين متغايرين، كقولك: إنها لإبل أم (رحمه الله٧) شاء، لتصور المغايرة بين المعاني هاهنا، فإن مرض القلب يتصور بالحيرة المتولدة من السفه، ومجرد الجهل دون الشبهات، وباليأس عن روح (رحمه الله٨) الله، والمقت له من غير ارتياب وخوف حيف، ويتصور الارتياب في أمر القرآن والنبوة من غير حيرة

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٩٥

رحمهم الله
____

(رحمهم الله١) (فقال قوم عثمان لا تخاصمه إلى رسول الله)، ساقط من ك.

(رحمهم الله٢) ينظر: تفسير السمعاني ٣/ ٥٤١ نقلا عن أحكام القرآن للأبي بكر الفارسي، ومجمع البيان ٧/ ٢٠٩، وجوامع الجامع ٢/ ١٣٠. وبعد أن ذكر الشيخ محمد دروزة هذه الرواية مختصرة في كتابه التفسير الحديث ٨/ ٤٣٢ قال: «والرواية الثالثة لا يمكن أن تصدق؛ لأن عثمان أنزه وأجل من أن يسمع لابن عمه في النبي عليه السلام وعلي رضي الله عنه، أو أن يعرض عن التحاكم إلى النبي عليه السلام ويخاف حيفه، والآية تندد بالمعرض عن هذا التحاكم الذي لا يمكن أن يكون إلا منافقا، وهي بعد من مرويات الشيعة الذين يجعلون عثمان في زمرة من يطعنون بهم، ويخرجونهم من أصحاب رسول الله عليه السلام ورضي الله عنهم».

(رحمهم الله٣) ساقطة من ع.

(رحمهم الله٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٨.

(رحمهم الله٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٨.

(رحمهم الله٦) ك: ويجور، وفي أ: ويكون.

(رحمهم الله٧) ع: بل.

(رحمهم الله٨) أ: مكررة.." [1]

"في ظاهر التوحيد، ويأس عمن هو الخالق الرازق، ومقت له، ويتصور خوف الحيف بالتسخط على قضاء الله وقدره من غير حيرة ويأس ومقت **وارتياب** في الظاهر. وقيل: مرض القلب: أن يضمر الرجل خلاف ما يظهره، ويعتقد نقيض ما (رحمهم الله١) يعلنه. **والارتياب**: أن يرتاب في حق أو باطل من غير اعتقاد. وخوف الحيف: أن يعتقد جواز كون الظلم من صفاته. وقيل: تقدير الآية: أفي قلوبهم مرض سابق باق أم ارتابوا آنفا أم يخافون ظلم الله من غير هذين. ويحتمل: أن الآية الأولى في شأن المنافقين من قوم عثمان (رحمهم الله٢)، وهذه الآية في شأن الفاسقين منهم.

٥١ - ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ أي (رحمهم الله٣): إلى كتاب الله ورسوله.

﴿ليحكم بينهم:﴾ ليقضي بينهم (رحمهم الله٤).

وقيل: هذه الآية متأخرة عن قول عثمان، وأنها (رحمهم الله٥) مدح له، وثناء عليه.

﴿أن يقولوا سمعنا:﴾ أجبنا.

﴿وأطعنا:﴾ ما أمرنا به، ﴿وأولئك هم المفلحون.﴾

٥٢

____

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٣٧٠

و٥٣ - ﴿ومن يطع الله. . .﴾ الآية، فلما نزلت (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) فيهم أقبل عثمان بن عفان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله، لئن شئت، والله، لأخرجن من أرضي كلها، ولأدفعنها إليه، فأنزل: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ ﴿ليخرجن. . .:﴾ من أرضهم (رَحِمَهُ اللَّهُ٧).

﴿قل لا تقسموا:﴾ لا تحلفوا فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه.

ثم (رَحِمَهُ اللَّهُ٨) قال: ﴿طاعة معروفة﴾ أي: أطيعوه وقولوا له المعروف، أي: الائتمار بأمر رسول الله.

﴿طاعة معروفة:﴾ غير منكرة، أو عليكم طاعة معروفة، لا إصر ولا تقل فيها، أو طاعتكم معروفة مقبولة، (٢٣٩ و) هذا في المؤمنين المصلحين خاصة.

رَحِمَهُ اللَّهُ______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) ساقطة من ع.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ويسقط هذا الاحتمال بما ذكر في الحاشية (٢) الصفحة السابقة.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) في ك: لئن.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) (ليقضي بينهم)، مكررة في ع.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) ك وع وأ: إنما.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) ك: نزل.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٧) وأقسموا بالله جهد أيمانهم ليخرجن. . . من أرضهم)، ساقط من ك.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٨) أ: لم تبلغوهم.." (١)

"إلا بالله»، ففعل، فغفلوا عنه، فركب فحلا لهم، وأتبعته الإبل، فأنزل الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٣) ويرزقه من حيث لا يحتسب.﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ١)

﴿لكل شيء قدرا:﴾ لكل مخلوق مقدارا. (رَحِمَهُ اللَّهُ٢)

٤ - ﴿يئسن:﴾ الآيسات (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) القواعد اللاتي انقطع دم حيضهن. (رَحِمَهُ اللَّهُ٤)

﴿إن ارتبتم﴾ (٣١٠ ظ): في فراغ أرحامهن لاعتبار غالب (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) الأحوال. والأصح إن ارتبتم في حكمهن فاعلموا أن أرحامهن.

﴿ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن:﴾ إن كان معطوفا على ﴿واللائي يئسن﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٦) **فالارتياب** فيهن **كالارتياب** في الآيسات، وإن كان معطوفا على الضمير المجرور في قوله: ﴿فعدتهن﴾ فلا **ارتياب** فيهن. وعن عمر بن الخطاب: إن وضعت ما في بطنها وزوجها على السرير قبل أن يدلى في حفرته فقد انقضت عدتها. (رَحِمَهُ اللَّهُ٧) وروي: أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بعشرين ليلة، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تتزوج. (رَحِمَهُ اللَّهُ٨)

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٧١/٢

٦ - ﴿أسكنوهن:﴾ خطاب للأزواج (رحمه الله٩).

﴿من وجدكم:﴾ ما تملكونه، ويبطل ذلك عدتهم لانتقال الملك إلى الورثة.

﴿وإن كن أولات حمل:﴾ شرط لامتداد نفقتهن إلى وضع الحمل وانقطاعها بالوضع، طالت أو قصرت، أو لبيان حكم النفقة قبل الوضع أنه مخالف لحكم النفقة بعد الوضع من الأولى نفقة عدة يلزم الأزواج، ويلزم سائر الورثة، وهذا الشرط لا يدل على سقوط نفقة سائر المعتدات، لقول عمر رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه، وردهما حديث فاطمة بنت قيس. وعن ابن عباس: إذا مات عن المرأة زوجها وهي حبلى أو غير حبلى، فنفقتها من

رحمه الله____________

(رحمه الله١) ينظر: والدر المنثور ٨/ ١٨٥ وقال: أخرجه ابن مردويه من هذا الطريق.

(رحمه الله٢) ينظر: عمدة الحفاظ ٣/ ٣٢٨.

(رحمه الله٣) ع وأ: الآيات.

(رحمه الله٤) ينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٣، وتفسير الخازن ٤/ ٣٠٨، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٢٧.

(رحمه الله٥) أ: كمال.

(رحمه الله٦) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٢.

(رحمه الله٧) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥٥٤، والاستذكار ٦/ ٢١١.

(رحمه الله٨) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٨/ ٢٨٧، وأحمد في المسند ٦/ ٢٨٩، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٢٥٨) عن أم سلمة رضي الله عنها.

(رحمه الله٩) أ: الأزواج. وينظر: أحكام القرآن للجصاص.." [1]

"د. زهير غازي زاهد، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٨ م.

٧٧ - إعراب القرآن: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (٣٣٨ هـ)، تحقيق: د. زهير غازي، مطبعة العاني، بغداد (بلا. ت). (أ)

٧٨ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم:

ابن خالويه، دار التربية، بغداد، (لا، ت).

٧٩ - الأعلام: الزركلي، خير الدين، ت ١٩٧٦ م، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م.

٨٠ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١ هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت،١٩٨٦ م.

٨١ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين، ت ٣٥٦ هـ، تحقيق: سمير جابر، ط ٢، دار الفكر، بيروت.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٤٤/٢

٨٢ – الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني:
أبو علي الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، ت ٣٧٧ هـ، تحقيق: محمد حسن محمد إسماعيل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٤ م.
٨٣ – الأفعال: لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي (٥١٥ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ–١٩٨٣ م.
٨٤ – الاقتراح في علم أصول النحو:
السيوطي، ط ١، جمعية دار المعارف العثمانية، ١٣٥٩ هـ.
٨٥ – الإقناع في القراءات السبع: أحمد بن علي ابن الباذش (٥٤٠ هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،١٤٠٣ هـ.
٨٦ – الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع: شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب (٩٦٠ هـ)، دار المعرفة بيروت، (بلا. ت).
٨٧ – الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: الكلاعي الأندلسي، أبو الربيع، سليمان بن موسى، ت ٦٣٤ هـ، تحقيق:
د. محمد كمال الدين عز الدين علي، ط ١، عالم الكتب، بيروت،١٤١٧ هـ–١٩٩٧ م.
٨٨ – الإكليل في استنباط التنزيل: للإمام جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، دراسة وتحقيق: د.
عامر بن علي العرابي، دار الأندلس الخضراء، جدة،١٤٢٢ هـ–٢٠٠٢ م.
٨٩ – الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال: أبو المحاسن شمس الدين الحسيني الشافعي، محمد بن علي بن الحسن بن حمزة، ت ٧٦٥ هـ، تحقيق: د. عبد المعاطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، (لا، ت).
٩٠ – الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: تأليف الأمير الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ)، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الناشر محمد أمين دمج، بيروت، لبنان، (د. ت).
٩١ – الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات: تأليف معروف الرصافي، تحقيق وتعليق:
عبد الحميد الرشودي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠.
٩٢ – الأم: الشافعي، ط ٢، دار الفكر، بيروت،١٤٠٣ هـ–١٩٨٣ م.
٩٣ – الأم: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.
٩٤ – أمالي الزجاجي: عبد الرحمن بن إسحق، ت ٣٤٠ هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، دار الجيل، بيروت،١٤٠٧ هـ–١٩٨٧ م.

٩٥ - أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه: السهيلي، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الله، ت ٥٨١ هـ، تحقيق: محمد." [1]

"هو شاكي السلاح وشائك، وقد تحذف الهاء من هائر حذفا حقيقيا من غير قلب، في حديث خزيمة وذكر السنة، قال: تركت المخ رارا والمطي هارا (رحمه الله١)، والهور والانهيار: الميل، ومنه التهور والهوارة، في الحديث: "من أطاع ربه فلا هوارة عليه" (رحمه الله٢)، وروي: "من انقى الله وقي الهوارة" (رحمه الله٣).

﴿بنوا ريبة﴾ أي: سبب ريبة، ﴿تقطع﴾ تفسخ، فمن حمل الكلام على الغاية والتوقيت قال: ترتفع الريبة عند تقطع القلوب لأن **الارتياب** في فعل الأحياء دون من هلك وتلاشى، ومن حمل على المبالغة والتأكيد قال: يجوز بقاء الريبة مع تقطع القلوب لجواز بقاء الحياة والعقل (رحمه الله٤) فيهما بتبقية الله تعالى كحياة الشهيد (رحمه الله٥)، وحياة الذين يسألون في القبور، وهذا أشبه. ويمكن الجمع بين القولين بأن يحمل أحدهما في طائفة من المنافقين والأخرى في طائفة أخرى منهم.

﴿إن الله اشترى﴾ اتصالها بما قبلها من حيث ذكر الرجال الذين

رحمه الله________________

= والوجه الثاني: أنه حذفت عينه اعتباطا، أي: لغير موجب.

والوجه الثالث: أنه لا قلب فيه ولا حذف وأن أصله هور أو هير فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقلب ألفا وهذا أقرب الأوجه لأنه جار على الأصل خلافا للقلب والحذف اللذين هما على خلاف الأصل.

[البحر (٥/ ١٠٠)، الدر المصون (٦/ ١٢٥)].

(رحمه الله١) حديث خزيمة بن ثابت رواه الطبراني في الأوسط (٧٧٣١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٦/ ٣٧٣، ٣٧٥) وقد جاء محرفا في الطبراني الأوسط بلفظ (المخ رزاما والمطي هاما) والتحريف من الأصل وليس في المطبوع لأنه هكذا ورد في "مجمع الزوائد" (٨/ ٢٤٢) ومعنى رارا: أي: ذائبا، والهار: هو صوت الكلب دون نباحه من قله صبره، والتعبير كله عن الشدة والبؤس.

(رحمه الله٢) ذكره مسندا الحربي في "غريب الحديث" (٢/ ٦٨٥)، وذكره ابن الجوزي في "غريب الحديث" (٢/ ٥٠٤)، وابن الأثير (٥/ ٦٥٧)، والزمخشري في الفائق (٤/ ١٢١).

(رحمه الله٣) ذكره مسندا الحربي في "غريب الحديث" (٢/ ٦٨٣)، وذكره ابن الجوزي في "غريب الحديث" (٢/ ٦٨٥)، وابن الأثير (٥/ ٦٥٧)، والزمخشري في الفائق (٤/ ١٢١).

(رحمه الله٤) في الأصل و "أ": (والفعل).

(رحمه الله٥) في الأصل: (الشاهد).." [2]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٧٥٣/٢

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ٩٢٢/٢

"وإنما حسن الجمع بألف الاستفهام و (أم) المترتبة عليها بين شيئين متغايرين كقولك إنها لإبل أم شاة لتصور المغايرة بين المعاني هاهنا، فإن مرض القلب يتصور بالحيرة المتولدة من السفه، ومجرد الجهل دون الشبهات، وباليأس عن روح الله والمقت له من غير **ارتياب** وخوف حيف، ويتصور **الارتياب** في أمر القرآن والنبوة من غير حيرة في ظاهر التوحيد ويأس عمن هو الخالق الرازق ومقت له، ويتصور خوف الحيف بالتسخط على قضاء الله وقدره من غير حيرة ويأس ومقت **وارتياب** في الظاهر، وقيل: مرض القلب أن يضمر الرجل خلاف ما يظهره ويعتقد نقيض ما يعلنه، **والارتياب** أن يرتاب في حق أو باطل من غير اعتقاد خوف، الحيف أن يعتقد جواز كون الظلم من صفاته.

وقيل: تقدير الآية: في قلوبهم مرض سابق باق، أم ارتابوا آنفا، أم يخافون ظلم الله من غير هذين، ويحتمل أن الآية الأولى في شأن المنافقين من قوم عثمان، وهذه الآية في شأن الفاسقين منهم.

﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله﴾ إلى كتاب الله ورسوله ﴿ليحكم بينهم﴾ ليقضي بينهم، وقيل: هذه الآية متأخرة عن قول عثمان، وإنما مدح له وثناء عليه ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ أجبنا ﴿وأطعنا﴾ ما أمرنا به ﴿وأولئك هم المفلحون﴾.

﴿ومن يطع الله﴾ الآية، فلما نزلت (﵀١) فيهم أقبل عثمان - رضي الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (﵀٢) قال: يا رسول الله لئن شئت والله لأخرجن من أرضي كلها لأدفعها إليه فنزل [﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن (﵀٣)﴾] (﵀٤) قل لا تقسموا﴾ لا تحلفوا، فإن الله لو بلغ منكم الجهد لم تبلغوه ثم قال:

﵀________________

(﵀١) الأصل و"ب": (نزل).

(﵀٢) (- صلى الله عليه وسلم -) من الأصل.

(﵀٣) مر قبل قليل أننا لم نجده، وهناك أقوال أخرى ليس فيها ذكر لعثمان - رضي الله عنه -، وكأن هذه رواية للكلبي، كما سيأتي، وهي روايات باطلة لا يعتد بها.

(﵀٤) ما بين [...] ليست في الأصل.." [1]

"أبي حنيفة رحمه الله. والمراد بقوله: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ مودة المطلقة والندامة على الطلاق ليرتجعها ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ أمر للأخذ بالاحتياط كقوله ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ [البقرة: ٢٨٢] وفائدته قطع أسباب التجاحد، وعن ابن سيرين: سئل عمران بن حصين في رجل طلق امرأته ولم يشهد وراجع لم يشهد؟ قال: بئس ما صنع طلق في عدة وراجع في غير سنة ليشهد على غيرها (﵀١) (﵀٢). ولا مخالف له من (﵀٣) الصحابة.

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ في أمر النكاح والطلاق، وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أسر المشركون ابن رجل من المسلمين فشكا ذلك إلى النبي -عليه السلام- (﵀٤) قال: "أرسل إليه فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله" ففعل، فغفلوا عنه، فركب فحلا لهم واتبعته الإبل فأنزل الله تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (﵀٥).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٢٩٤/٣

﴿لكل شيء قدرا﴾ لكل مخلوق مقدار.

﴿يئسن﴾ الآيسات القواعد اللاتي انقطع دم حيضهن. ﴿إن ارتبتم﴾ في فراغ أرحامهن لاعتبار غالب الأحوال، والأصح إن ارتبتم في حكمهن فاعلموا أن أرحامهن ثلاثة أشهر ﴿واللائي لم يحضن﴾ إن كان معطوفا على ﴿واللائي يئسن﴾ **فالارتياب** فيهن **كالارتياب** في الآيسات وإن كان معطوفا على الضمير المجرور في قوله ﴿فعدتهن﴾ **فالارتياب** فيهن.

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (رَحِمَهُ اللَّهُ٦): إن وضعت ما في بطنها وزوجها

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) (غيرها) من الأصل.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) عبد الرزاق (١٠٢٥٥، ١٠٢٥٧).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) (له من) بدله في "ب": (أمر).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) (السلام) ليست في "ي"، وفي "ب": (النبي صلى الله عليه وسلم).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) ذكره القرطبي (١٨/ ١٤٣) عن الكلبي، وفي زاد المسير (٨/ ٢٩١) قال: إنه عوف بن مالك الأشجعي.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) (رضي الله عنه) من الأصل.." [(١)]

"ذلك الكتاب - كان كذبا على هذا - وإذا قيل: " ذلك الكتاب الم " كان صدقا؟ قيل: في ذلك الكتاب جوابان

أحدهما: أن يجعل " ذلك الكتاب ": مبتدأ.

و" الم ": خبرا له مقدما، وتقديمه على كون العناية به أصدق كما تقدم.

والثاني: أنه قد يقال: الإنسان زيد.

بمعنى غير معنى " زيد إنسان " وهو أن يراد أن كما الإنسانية موجود في زيد.

فكأنه قيل: كمال حروف التهجي موجود في هذا الكتاب والمكتوب في التعارف اسم للمكتوب، أي: المنظوم كتابة، وقد يعبر عن المنظوم عبارة قبل أن يكتب بالكتاب.

قوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ الآية: (٢) - سورة البقرة.

قال المفسرون: معناه لا شك فيه،

فإن قيل: كيف نفى الريب عنه، وقد علم تشكك كثير من الناس فيه؟ قيل: في ذلك أجوبة: الأول: إن ذلك نفي على معنى النهي نحو قوله: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾، بدلالة قوله: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ وقوله: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾

فإن قيل: الشك لا يقصده الإنسان، فكيف ينهى عنه؟ قيل: اللفظ لذلك، والمعنى حث على التدبر والتفكر النافيين للشك.

والثاني: أنه يقال: رابني كذا، إذا تحققت منه الريبة، وأرابني: أوهمني الريبة.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٦٣٣/٤

قال الشاعر:

أخوك الذي إن ربته قال إنما. . . أربت وإن عاتبته لان جانبه

فالقرآن لا ريب فيه، وإن كان فيه ارتياب من بعض الكفار، والثالث أنه يقال: هذا لا ريب فيه، والقصد إلى أنه حق، تنبيها أن الريب يرتفع عن عند التدبير والتأمل، والرابع: أنه لا ريب في كونه مؤلفا من حروف التهجي وقد عجزتم عن معارضته، والخامس لا ريب فيه للمتقين، ويكون خبر (لا ريب فيه) قوله تعالى: (للمتقين) وهدى نصب على الحال أو خبر ابتداء مضمر في موضع الحال.

قوله عز وجل -: ﴿هدى للمتقين﴾ الآية: (٢) - سورة البقرة.

قد تقدم الكلام في الهداية.

أما اختصاص المتقين، فلأن الهداية: نصب العلم ليهتدي به الناس فله موضوع هو المبدأ: وذلك نصب العلم للكافة.

وغاية: وهو الاهتداء به، فيقال: ﴿هدى للمتقين﴾ لما لم يهتد به غيرهم.

ومثاله: من بنى مسجدا مباحا للكافة.

يصح أن يقول: " بنيت هذا المسجد للناس كافة "، اعتبارا بالمبدأ.

ويصح أن يقول: بنيته للمصلين فيه، اعتبارا بالغاية.

وطريقة أخرى: وهي أن." (١)

"هل باع شيئا، قلتما: لا، فقالا: نسينا، فذهبوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالا: إنا كنا ابتعنا الآنية ولم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر، فنزلت الآية على النبي - صلى الله عليه وسلم -، فعلى هذا شهادة أهل الذمة في الوصية في السفر يجوز إذا لم يوجد العدلان

وقد حكم أبو موسى في مثله بذلك، وقال هذا حكم ثابت غير منسوخ.

وقال بعضهم: - ذاك في الكافر في أول الإسلام ثم نسخ بآية

الشهادة، ولا يجوز الآن شهادة الذمي على المسلم بوجه، وقد بينت أن لا يمين على الشاهد بوجه، ولا يجوز الارتياب على الشاهد لمكان اليمين، ولا يجوز." (٢)

"ملفوظ، وعلى هذين القولين لا حذف في الآية.

قوله: (سكرة الموت بالحق) .

أي الأمر الذي عم جميع الأحياء، وقيل: تبيان ما يؤول إليه الإنسان

من جنة أو نار.

الغريب: أي بالله، ولعل هذا القائل أراد بالعلم واليقين الذي لا

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٧٦/١

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٤٨١/٥

يبقى معه شك ولا **ارتياب**.

العجيب: بالحق قسم، وهذا بعيد.

قوله: (لقد كنت في غفلة من هذا) .

أي يقال لهم، الخطاب عام، وقيل للكفار.

الغريب: ابن زيد، الخطاب للنبي - عليه السلام - أي كنت قبل

الوحي في غفلة من هذا العلم، فكشفنا عنك غطاءك بالوحي فبصرك اليوم

حديد فعلمك نافذ.

الغريب: فبصرك عينك.

العجيب: فبصرك اليوم حديد يريد لسان الميزان.

قوله: (هذا ما لدي عتيد (٢٣) .

"هذا" مبتدأ "ما" خبره، فإن جعلته نكرة ف "لدي" صفته

و"عتيد" خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف، فإن جعلته موصولة ف "لدي"

صلته.." (١)

"إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل مكة وقيل: أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها، إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه. وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابه.

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٨ الى ٤٩]

وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)

وأنت أمى ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذا لو كان شيء من ذلك، أى، من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب وقالوا: الذي نجده في كتبنا أمى لا يكتب ولا يقرأ وليس به. أو لارتاب مشركو مكة وقالوا: لعله تعلمه أو كتبه بيده. فإن قلت:

لم سماهم مبطلين، ولو لم يكن أميا وقالوا: ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين؟

ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه فإنه رجل قارئ كاتب؟ قلت: سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمى بعيد من الريب، فكأنه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب، فحين ليس «١»

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ١١٣١/٢

بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم. وشيء آخر: وهو أن سائر الأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين، ووجب الإيمان بهم وبما جاءوا به، لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات، فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام؟ على أن المنزلين «٢» ليسا بمعجزين، وهذا المنزل معجز، فإذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي، ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي.

فان قلت: ما فائدة قوله بيمينك؟ قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط: زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا. ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات، رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه، كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبته، فكذلك النفي بل القرآن آيات بينات في صدور العلماء به وحفاظه، وهما من خصائص القرآن: كون آياته بينات الإعجاز، وكونه محفوظا في الصدور يتلوه أكثر الأمة ظاهرا: بخلاف سائر الكتب، فإنها لم تكن معجزات،

---

(١) . قوله «فحين ليس» لعله فحين كان ليس. (ع)

(٢) . قوله «على أن المنزلين ليسا بمعجزين» لعله: المنزلين عليهما. (ع)." [1]

"لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم، لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع: دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم.

يقال: ألته السلطان حقه أشد الألت، وهي لغة غطفان. ولغة أسد وأهل الحجاز: لاته ليتا.

وحكى الأصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت: الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات، ولا تصمه الأصوات «١» . وقرئ باللغتين: لا يلتكم، ولا يألتكم. ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا.

ومعنى طاعة الله ورسوله: أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الإيمان ويعملوا بمقتضياته، فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم، ووهب لهم مغفرته، وأنعم عليهم بجزيل ثوابه. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرا من بنى أسد قدموا المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الشهادة، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والذراري، يريدون الصدقة ويمنون عليه، فنزلت.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٥]

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥)

ارتاب: مطاوع را به إذا أوقعه في الشك مع التهمة. والمعنى: أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به، ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه. فإن قلت: ما معنى ثم هاهنا وهي التراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للإيمان لأنه وصف فيه، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب؟ قلت: الجواب على

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٥٨

طريقين، أحدهما أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه، أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا، فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات.

ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني: أن الإيقان وزوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان، تنبيها على مكانه، وعطف على الإيمان بكلمة التراخي إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى، وأن يكون جاهد مبالغة في جهد. ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس: الغزو، وأن يتناول العبادات بأجمعها، وبالمجاهدة بالمال: نحو

---

(١) . قوله «ولا تصمه الأصوات» إن كان من الوصم فالمعنى: لا تصدعه الأصوات ولا تعيبه، وإن كان من الصمم فالمعنى: لا تجد أصم. وفي الصحاح «الوصم» : الصدع والعيب. وفيه «أصممته» : وجدته أصم. (ع) [.....]."[١]

"أهل الكتاب، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله، وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل، ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك. فإن قلت: لم قال ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء **الارتياب؟** قلت. لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفى الشك. كان آكد وأبلغ لوصفهم «١» بسكون النفس وثلج الصدر، ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم، كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر. فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، والسورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟ قلت: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ماذا أراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب، وذلك لا يخالف كون السورة مكية. ويجوز أن يراد بالمرض: الشك **والارتياب**، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب. فإن قلت: قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء **الارتياب** وقول المنافقين والكافرين ما قالوا، فهب أن الاستيقان وانتفاء **الارتياب** يصح أن يكونا غرضين، فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا؟ قلت: أفادت اللام معنى العلة والسبب، ولا يجب في العلة أن تكون غرضا، ألا ترى إلى قولك: خرجت من البلد لمخافة الشر، فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هي بغرضك. مثلا تمييز لهذا، أو حال منه، كقوله هذه ناقة الله لكم آية. فإن قلت: لم سموه مثلا؟ قلت: هو استعارة من المثل المضروب. لأنه مما غرب من الكلام وبدع، استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له. والمعنى: أى شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأى غرض قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء، ومرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص.

الكاف في كذلك نصب، وذلك: إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أى:

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٧٧/٤

مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين، يعني: يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب، فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم إيمانا، وينكره الكافرون ويشكون. فيه فيزيدهم كفرا وضلالا

---

(١) . قال محمود: «وقوله تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين ... الخ» قال أحمد: أطلق الغرض على الله عز وجل، مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع.

وأورده السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم، وإنما قالوا على خلاف «ما أراد، وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال. فالكل مراد، وحسبك تتمة الآية كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء.." (١)

"أراد قالت: وقفت. وكقول القائل: [زهير بن أبي سلمى] [الرجز] .

بالخير خيرات وإن شرا فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

أراد: وإن شرا فشر، وأراد: إلا أن تشاء. والشواهد في هذا كثيرة، فليس كونها في القرآن مما تنكره العرب في لغتها، فينبغي إذا كان من معهود كلام العرب أن يطلب تأويله ويلتمس وجهه، والوقف على هذه الحروف على السكون لنقصانها إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتها فإنك تعربها.

وموضع الم من الإعراب رفع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو على أنه ابتداء، أو نصب بإضمار فعل، أو خفض بالقسم، وهذا الإعراب يتجه الرفع منه في بعض الأقوال المتقدمة في الحروف، والنصب في بعض، والخفض في قول ابن عباس رضي الله عنه أنها أسماء لله أقسم بها.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : آية ٢]

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢)

الاسم من ذلك الذال والألف، وقيل الذال وحدها، والألف تقوية، واللام لبعد المشار إليه وللتأكيد، والكاف للخطاب، وموضع ذلك رفع كأنه خبر ابتداء، أو ابتداء وخبره بعده، واختلف في ذلك هنا فقيل: هو بمعنى «هذا» ، وتكون الإشارة إلى هذه الحروف من القرآن.

قال القاضي أبو محمد: وذلك أنه قد يشار ب «ذلك» إلى حاضر تعلق به بعض الغيبة وب «هذا» إلى غائب هو من الثبوت والحضور بمنزلة وقرب. وقيل: هو على بابه إشارة إلى غائب، واختلف في ذلك الغائب، فقيل: ما قد كان نزل من القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ أي الكتاب الذي هو القدر وقيل: إن الله قد كان وعد نبيه أن ينزل

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٦٥٢/٤

عليه كتابا لا يمحوه الماء، فأشار إلى ذلك الوعد.

وقال الكسائي: «ذلك إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد» . وقيل: إن الله قد كان وعد أهل الكتاب أن ينزل على محمد كتابا، فالإشارة إلى ذلك الوعد. وقيل: إن الإشارة إلى حروف المعجم في قول من قال الم حروف المعجم التي تحديتكم بالنظم منها.

ولفظ الكتاب مأخوذ من «كتبت الشيء» إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ككتب الخرز بضم الكاف وفتح التاء وكتب الناقة.

ورفع الكتاب يتوجه على البدل أو على خبر الابتداء أو على عطف البيان. ولا ريب فيه معناه: لا شك فيه ولا ارتياب به والمعنى أنه في ذاته لا ريب فيه وإن وقع ريب للكفار.

وقال قوم: لفظ قوله لا ريب فيه لفظ الخبر ومعناه النهي.

وقال قوم: هو عموم يراد به الخصوص أي عند المؤمنين.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف.." (١)

"وقال الزجاج: «هو تضعيف في زل» فيجيء التضعيف على هذا في الفاء، وقرأ الأعمش «وزلزلوا ويقول الرسول» بالواو بدل حتى، وفي مصحف ابن مسعود «وزلزلوا ثم زلزلوا ويقول الرسول» ، وقرأ نافع «يقول» بالرفع، وقرأ الباقون «يقول» بالنصب، ف حتى غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير إلى أن، وعلى قراءة نافع كأنها اقترن بها تسبيب فهي حرف ابتداء ترفع الفعل، وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر لا على شك ولا ارتياب، والرسول اسم الجنس، وذكره الله تعظيما للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول، وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير حتى يقول الذين آمنوا متى نصر الله فيقول الرسول ألا إن نصر الله قريب، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته ثم قدم قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان.

قال القاضي أبو محمد: وهذا تحكم، وحمل الكلام على وجهه غير متعذر، ويحتمل أن يكون ألا إن نصر الله قريب إخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول.

قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢١٥ الى ٢١٧]

يسئلونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (٢١٥) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٢١٦) يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٨٣/١

استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٢١٧)

السائلون هم المؤمنون، والمعنى يسألونك ما هي الوجوه التي ينفقون فيها وأين يضعون ما لزم إنفاقه، و «ما» يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداء، و «ذا» خبرها، فهي بمعنى الذي، وينفقون صلة، وفيه عائد على «ذا» تقديره ينفقونه، ويصح أن تكون ماذا اسما واحدا مركبا في موضع نصب ب ينفقون، فيعرى من الضمير، ومتى كانت اسما مركبا فهي في موضع نصب لا ما جاء من قول الشاعر: [الطويل] .

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا ... سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

فإن عسى لا تعمل، فماذا في موضع رفع وهو مركب إذ لا صلة لذا.

قال قوم: هذه الآية في الزكاة المفروضة، وعلى هذا نسخ منها الوالدان ومن جرى مجراهما من الأقربين.

وقال السدي: «نزلت هذه الآية قبل فرض الزكاة، ثم نسختها الزكاة المفروضة» ، ووهم المهدوي على السدي في هذا فنسب إليه أنه قال إن الآية في الزكاة المفروضة، ثم نسخ منها الوالدان، وقال ابن." (١)

"ذلك مستثنى من قوله: لاتبعتم الشيطان إلا قليلا، على سرد الكلام دون تقدير تقديم، ثم اختلفت هذه الفرقة، فقال الضحاك: إن الله هدى الكل منهم إلى الإيمان، فكان منهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك، ولا عنت له شبهة **ارتياب**، فذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجديد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان إلا قبضة من شعير وقبضة من قرظ، وإذا أفيقان معلقان، فبكيت، فقال رسول الله عليه السلام: ما يبكيك يا بن الخطاب؟ فقلت يا رسول الله:

أنت صفوة الله من خلقه ورسوله، وليس لك من الدنيا إلا هذا، وكسرى وقيصر في الأشجار والأنهار، فقال أهاهنا أنت يا عمر؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ فقلت: بلى، ثم جعلت أحدثه حتى تهلل وابتسم، فقلت يا رسول الله: إنهم ادعوا أنك طلقت نساءك، فقال: لا، فقلت أتأذن لي أن أعرف الناس؟

قال: افعل إن شئت، قال: فقمت على باب المسجد، فقلت: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلق نساءه، فأنزل الله في هذه القصة وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به الآية وأنا الذي استنبطته.

وقوله تعالى: ولو ردوه إلى الرسول الآية، المعنى: لو أمسكوا عن الخوض واستقصوا الأمور من قبل الرسول. أو أولي الأمر وهم الأمراء، قاله السدي وابن زيد، وقيل: أهل العلم، قاله الحسن وقتادة وغيرهما، والمعنى يقتضيهما معا لعلمه طلابه من أولي الأمر والبحثة عنه وهم مستنبطوه، كما يستنبط الماء وهو النبط أي الماء المستخرج من الأرض. ومنه قول الشاعر:

قريب ثراه ما ينال عدوه ... له نبطا آبي الهوان قطوب

يعني بالنبط الماء المستنبط.

وقوله تعالى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا. هذا خطاب للمؤمنين باتفاق من المتأولين. والمعنى:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢٨٨/١

لولا هداية الله لكم وإرشاده لبقيتم على كفركم، وهو اتباع الشيطان. وقال الضحاك: هدى الكل منهم للإيمان فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك ولا عنت له شبهة **ارتياب**، وذلك هو القليل وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان.

قال القاضي أبو محمد: هذا معنى قول الضحاك، ويجيء الفضل معينا، أي رسالة محمد والقرآن، لأن الكل إنما هدي بفضل الله على الإطلاق، وقال قوم: المخاطب بقوله لاتبعتم جميع المؤمنين، وقوله: إلا قليلا إشارة إلى من كان قبل الإسلام غير متبع للشيطان على ملة إبراهيم، كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو بن نفيل، وغيرهما، وقال قوم: الاستثناء إنما هو من الاتباع، أي لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها، وقال قوم: قوله: إلا قليلا عبارة عن العدم، يريدون لاتبعتم الشيطان كلكم، وهذا الأخير قول قلق، وليس يشبه ما حكى سيبويه من قولهم: أرض قل ما تنبت كذا، بمعنى لا تنبته لأن اقتران القلة بالاستثناء يقتضي حصولها، ولكن قد ذكره الطبري.

قوله تعالى:." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت إليهم خمسمائة، فوثبوا إلى عدي فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف عمرو بن العاص ورجل آخر معه، ونزعت من عدي خمسمائة.

قال القاضي أبو محمد: تختلف ألفاظ هذه القصة في الدواوين وما ذكرته هو عمود الأمر، ولم يصح لعدي صحبة فيما علمت ولا ثبت إسلامه، وقد صنفه في الصحابة بعض المتأخرين، وضعف أمره، ولا وجه عندي لذكره في الصحابة.

وأما معنى الآية من أولها الى آخرها، فهو أن الله تعالى أخبر المؤمنين أن حكمه في الشهادة على الموصي إذا حضره الموت أن تكون شهادة عدلين فإن كان في سفر وهو الضرب في الأرض ولم يكن معه من المؤمنين أحد فليشهد شاهدين ممن حضره من أهل الكفر، فإذا قدما وأديا الشهادة على وصيته حلفا بعد الصلاة أنهما ما كذبا ولا بدلا وأن ما شهدا به حق ما كتما فيه شهادة الله، وحكم بشهادتهما، فإن عثر بعد ذلك على أنهما كذبا أو خانا ونحو هذا مما هو إثم، حلف رجلان من أولياء الموصي في السفر وغرم الشاهدان ما ظهر عليهما، هذا معنى الآية على مذهب أبي موسى الأشعري وسعيد بن المسيب ويحيى بن يعمر وسعيد بن جبير وأبي مجلز وإبراهيم وشريح وعبيدة السلماني وابن سيرين ومجاهد وابن عباس وغيرهم، يقولون معنى قوله، منكم من المؤمنين، ومعنى، من غيركم من الكفار، قال بعضهم وذلك أن الآية نزلت ولا مؤمن إلا بالمدينة وكانوا يسافرون في التجارة صحبة أهل الكتاب وعبدة الأوثان وأنواع الكفرة، واختلفت هذه الجماعة المذكورة، فمذهب أبي موسى الأشعري وشريح وغيرهما أن الآية محكمة، وأسند الطبري إلى الشعبي أن رجلا حضرته المنية بدقوقا ولم يجد أحدا من المؤمنين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى الأشعري فأخبراه وقدما بتركته، فقال أبو موسى الأشعري هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في مدة النبي عليه السلام ثم أحلفهما بعد صلاة العصر وأمضى شهادتهما، وأسند الطبري عن شريح أنه كان لا يجيز شهادة النصراني واليهودي على مسلم إلا في الوصية، ولا تجوز أيضا في الوصية إلا إذا كانوا في سفر، ومذهب جماعة ممن ذكر، أنها منسوخة بقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم [الطلاق:

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٨٥

٢] وبما استند إليه إجماع جمهور الناس على أن شهادة الكافر لا تجوز.
وتأول الآية جماعة من أهل العلم على غير هذا كله، قال الحسن بن أبي الحسن وقوله تعالى:
منكم يريد من عشيرتكم وقرابتكم، وقوله أو آخران من غيركم يريد من غير القرابة والعشيرة، وقال بهذا عكرمة مولى ابن عباس وابن شهاب، قالوا أمر الله بإشهاد عدلين من القرابة إذ هم ألحن بحال الوصية وأدرى بصورة العدل فيها، فإن كان الأمر في سفر ولم تحضر قرابة أشهد أجنبيان، فإذا شهدا فإن لم يقر **ارتياب** مضت الشهادة، وإن ارتيب أنهما مالا بالوصية إلى أحد أو زادا أو نقصا حلفا بعد صلاة العصر ومضت شهادتهما، فإن عثر بعد ذلك على تبديل منهما واستحقاق إثم حلف وليان من القرابة وبطلت شهادة الأولين.
وقال بعض الناس الآية منسوخة، ولا يحلف شاهد، ويذكر هذا عن مالك بن أنس والشافعي وكافة." (١)
"الفقهاء، وذكر الطبري رحمه الله أن هذا التحالف الذي في الآية إنما هو بحسب التداعي، وذلك أن الشاهدين الأولين إنما يحلفان إن ارتيب وإذا ارتيب فقد ترتبت عليهما دعوى فلتزمهما اليمين، لكن هذا **الارتياب** إنما يكون في خيانة منهما، فإن عثر بعد ذلك على أنهما استحقا إثما نظر، فإن كان الأمر بينا غرما دون يمين وليين، وإن كان بشاهد واحد أو بدلا بل تقتضي خيانتهما أو ما أشبه ذلك مما هو كالشاهد حمل على الظالم وحلف المدعيان مع ما قام لهما من شاهد أو دليل.
قال القاضي أبو محمد: فهذا هو الاختلاف في معنى الآية وصورة حكمهما، ولنرجع الآن إلى الإعراب والكلام على لفظة لفظة من الآية، ولنقصد القول المفيد لأن الناس خلطوا في تفسير هذه الآية تخليطا شديدا، وذكر ذلك والرد عليه يطول، وفي تبيين الحق الذي تتلقاه الأذهان بالقبول مقنع، والله المستعان، قوله شهادة بينكم قال قوم الشهادة هنا بمعنى الحضور، وقال الطبري: الشهادة بمعنى اليمين وليست بالتي تؤدى.
قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، والصواب أنها الشهادة التي تحفظ لتؤدى، ورفعهما بالابتداء والخبر في قوله اثنان قال أبو علي: التقدير شهادة بينكم في وصاياكم شهادة اثنين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقدره غيره أولا كأنه قال مقيم شهادة بينكم اثنان، وأضيفت الشهادة إلى «بين» اتساعا في الظرف بأن يعامل معاملة الأسماء، كما قال تعالى: لقد تقطع بينكم [الأنعام: ٩٤] وقرأ الأعرج والشعبي والحسن «شهادة» بالتنوين «بينكم» بالنصب، وإعراب هذه القراءة على نحو إعراب قراة السبعة وروي عن الأعرج وأبي حيوة «شهادة» بالنصب والتنوين «بينكم» نصب، قال أبو الفتح: التقدير ليقم شهادة بينكم اثنان، وقوله تعالى: إذا حضر أحدكم الموت معناه إذا قرب الحضور، وإلا فإذا حضر الموت لم يشهد ميت، وهذا كقوله تعالى: فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله [النحل: ٩٨] وكقوله إذا طلقتم النساء فطلقوهن [الطلاق: ١] وهذا كثير، والعامل في إذا المصدر الذي هو شهادة، وهذا على أن تجعل إذا بمنزلة حين لا تحتاج إلى جواب، ولك أن تجعل إذا في هذه الآية المحتاجة إلى الجواب، لكن استغني عن جوابها بما تقدم في قوله شهادة بينكم إذ المعنى إذا حضر أحدكم الموت فينبغي أن يشهد، وقوله حين الوصية ظرف زمان، والعامل فيه حضر، وإن شئت جعلته بدلا من إذا،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٢٥١

قال أبو علي:

ولك أن تعلقه ب الموت لا يجوز أن تعمل فيه شهادة لأنها إذا عملت في ظرف من الزمان لم تعمل في ظرف آخر منه، وقوله ذوا عدل صفة لقوله اثنان، ومنكم صفة أيضا بعد صفة، وقوله تعالى:

من غيركم صفة لآخران، وضربتم في الأرض معناه سافرتم للتجارة، تقول ضربت في الأرض أي سافرت للتجارة، وضربت الأرض ذهبت فيها لقضاء حاجة الإنسان، وهذا السفر كان الذي يمكن أن يعدم المؤمن مؤمنين، فلذلك خص بالذكر لأن سفر الجهاد لا يكاد يعدم فيه مؤمنين، قال أبو علي: قوله تحبسونهما صفة ل آخران واعترض بين الموصوف والصفة بقوله: إن أنتم إلى الموت، وأفاد الاعتراض أن العدول إلى آخران من غير الملة والقرابة حسب اختلاف العلماء في ذلك إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه، واستغني عن جواب إن لما تقدم من قوله أو آخران من غيركم وقال." (١)

"جمهور العلماء الصلاة هنا صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس، وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيمن حلف على سلعته وأمر باللعان فيه، وقال ابن عباس: إنما هي بعد صلاة الذميين، وأما العصر فلا حرمة لها عندهما، والفاء في قوله فيقسمان عاطفة جملة على جملة لأن المعنى تم في قوله من بعد الصلاة قال أبو علي: وإن شئت لم تقدر الفاء عاطفة جملة على جملة، ولكن تجعله جزاء كقول ذي الرمة:

وإنسان عيني يحسر الماء تارة ... فيبدو وتارات يجم فيغرق

تقديره عندهم إذا حسر بدا، فكذلك إذا حبستموهما أقسما وقوله إن ارتبتم شرط لا يتوجه تحليف الشاهدين إلا به، ومتى لم يقع **ارتياب** ولا اختلاف فلا يمين، أما أنه يظهر من حكم أبي موسى تحليف الذميين أنه باليمين تكمل شهادتهما وتنفذ الوصية لأهلها وإن لم يرتب، وهذه الريبة عند من لا يرى الآية منسوخة ترتب في الخيانة وفي الاتهام بالميل إلى بعض الموصى لهما دون بعض وتقع مع ذلك اليمين عنده، وأما من يرى الآية منسوخة فلا يقع تحليف إلا بأن يكون **الارتياب** في خيانة أو تعد بوجه من وجوه التعدي فيكون التحليف عنده بحسب الدعوى على منكر لا على أنه تكميل للشهادة، والضمير في قول الحالفين لا نشتري به ثمنا عائد على القسم، ويحتمل أن يعود على اسم الله تعالى، قال أبو علي:

يعود على تحريف الشهادة، وقوله لا نشتري جواب ما يقتضيه قوله: فيقسمان بالله، لأن القسم ونحوه يتلقى بما تتلقى به الأيمان، وتقديره به ثمنا، أي ذا ثمن لأن الثمن لا يشترى.

وكذلك قوله تعالى: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا [التوبة: ٩] معناه ذا ثمن، ولا يجوز أن يكون نشتري في هذه الآية بمعنى نبيع لأن المعنى يبطله وإن كان ذلك موجودا في اللغة في غير هذا الموضع، وخص «ذو القربى» بالذكر لأن العرف ميل النفس إلى قرابتهم واستسهالهم في جنب نفعهم ما لا يستسهل، وقوله تعالى: ولا نكتم شهادة الله أضاف شهادة إليه تعالى من حيث هو الآمر بإقامتها الناهي عن كتمانها، وقرأ الحسن والشعبي «ولا نكتم» بجزم الميم، وقرأ علي بن أبي طالب ونعيم بن مسيسرة والشعبي بخلاف عنه «شهادة» بالتنوين «الله» نصب ب نكتم، كأن الكلام ولا نكتم الله شهادة قال الزهري ويحتمل أن يكون المعنى «ولا نكتم شهادة والله» ثم حذفت الواو ونصب الفعل إيجازا، وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٢٥٢

عياش «شهادة» بالتنوين الله بقطع الألف دون مد وخفض الهاء، ورويت أيضا عن الشعبي وغيره أنه كان يقف على الهاء من الشهادة بالسكون، ثم يقطع الألف المكتوبة من غير مد كما تقدم، وروي عنه أنه كان يقرأ «الله» بمد ألف الاستفهام في الوجهين أعني بسكون الهاء من الشهادة وتحريكها منوتنة منصوبة، ورويت هذه التي هي تنوين الشهادة ومد ألف الاستفهام بعد عن علي بن أبي طالب، قال أبو الفتح: أما تسكين هاء شهادة والوقف عليها واستئناف القسم فوجه حسن لأن استئناف القسم في أول الكلام أوقر له وأشد هيبة أن يدرج في عرض القول، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن حبيب والحسن البصري فيما ذكر أبو عمرو الداني «شهادة» بالنصب والتنوين «آلله» بالمد في همزة الاستفهام التي هي عوض من حرف القسم «آنا» بمد ألف الاستفهام أيضا دخلت لتوقيف وتقرير لنفوس المقسمين أو لمن خاطبوه وقرأ ابن محيصن «لملآثمين» بالإدغام.." (١)

"يريد أنها تحرم ذلك القرن، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشير: تعيش قرنا فعاش مائة سنة، وقيل: القرن ثمانون سنة، وقيل سبعون وقيل ستون، وتمسك هؤلاء بالمعترك وحكى النقاش أربعين وذكر الزهراوي في ذلك أنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحكى النقاش أيضا ثلاثين، وحكى عشرين، وحكى ثمانية عشر وهذا كله ضعيف، وهذه طبقات وليست بقرون إنما القرن أن يكون وفاة الأشياخ ثم ولادة الأطفال، ويظهر ذلك من قوله تعالى: ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين وإلى مراعاة الطبقات وانقراض الناس بها أشار ابن الماجشون في الواضحة في تجويز شهادة السماع في تقادم خمسة عشر عاما فصاعدا، وقيل القرن الزمن نفسه، وهو على حذف مضاف تقديره من أهل قرن، والضمير في مكناهم عائد على القرن، والمخاطبة في لكم هي للمؤمنين ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، فكأنه قال: ما لم نمكن يا أهل العصر لكم، فهذا أبين ما فيه، ويحتمل أن يقدر في الآية معنى القول لهؤلاء الكفرة، كأنه قال يا محمد قل لهم: ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض، ما لم نمكن لكم وإذا أخبرت أنك قلت لغائب أو قيل له أو أمرت أن يقال فلك في فصيح كلام العرب أن تحكي الألفاظ المقولة بعينها فتجيء بلفظ المخاطبة، ولك أن تأتي بالمعنى في الألفاظ بذكر غائب دون مخاطبة السماء المطر ومنه قول الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

ومدرارا بناء تكثير كمذكار ومئناث، ومعناه يدر عليهم بحسب المنفعة، لأن الآية إنما سياقها تعديد النعم وإلا فظاهرها يحتمل النعمة ويحتمل الإهلاك وتحتمل الآية أن تراد السماء المعروفة على تقدير وأرسلنا مطر السماء لأن مدرارا لا يوصف به إلا المطر، وقوله تعالى: فأهلكناهم معناه فعصوا وكفروا فأهلكناهم، وأنشأنا اخترعنا وخلقنا، وجمع آخرين حملا على معنى القرن.

قوله عز وجل:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٧ الى ٩]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٢٥٣

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩)

لما أخبر عنهم عز وجل بأنهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية تبع ذلك إخبار فيه مبالغة مضمنه أنه لو جاءهم أشنع مما جاء لكذبوا أيضا، والمعنى لو نزلنا بمرأى منهم عليك كتابا أي كلاما مكتوبا في قرطاس أي في صحيفة، ويقال «قرطاس» بضم القاف فلمسوه بأيديهم يريد أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه وتابعوا كفرهم وقالوا هذا سحر مبين، ويشبه أن سبب هذه الآية اقتراح عبد الله بن أبي أمية وتعنته إذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم، لا أؤمن لك حتى تصعد إلى السماء ثم تنزل بكتاب فيه من رب العزة إلى عبد الله بن أبي أمية، يأمرني بتصديقك، وما أراني مع هذا كنت أصدقك، ثم أسلم بعد ذلك عبد الله وقتل شهيدا في الطائف، وقوله تعالى: وقالوا لولا." (١)

"قال القاضي أبو محمد: معناه أنه لما قال الله لكل ضعف قال الأولون للآخرين لم تبلغوا أملا في أن يكون عذابكم أخف من عذابنا ولا فضلتم بالإسعاف والنص عليه.

قوله عز وجل:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٤٠ الى ٤٢]

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين (٤١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢)

هذه الآية عامة في جميع الكفرة قديمهم وحديثهم، وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر «لا تفتح» بضم التاء الأولى وتشديد الثانية، وقرأ أبو عمرو «تفتح» بضم التاء وسكون الفاء وتخفيف الثانية، وقرأ حمزة والكسائي «يفتح» بالياء من أسفل وتخفيف التاء، وقرأ أبو حيوة وأبو إبراهيم «يفتح» بالياء وفتح الفاء وشد التاء، ومعنى الآية لا يرتفع لهم عمل ولا روح ولا دعاء، فهي عامة في نفي ما يوجب للمؤمنين بالله تعالى، قاله ابن عباس وغيره، وذكر الطبري في كيفية قبض روح المؤمن والكافر آثارا اختصرتها إذ ليست بلازمة في الآية، وللين أسانيدها أيضا، ثم نفى الله عز وجل عنهم دخول الجنة وعلق كونه بكون محال لا يكون، وهو أن يدخل الجمل في ثقب الإبرة حيث يدخل الخيط، والجمل كما عهد وال سم كما عهد، وقرأ جمهور المسلمين: «الجمل» ، واحد الجمال، وقال الحسن هو الجمل الذي يقوم بالمديد ومرة لما أكثروا عليه قال هو الأشتر وهو الجمل بالفارسية، ومرة قال هو الجمل ولد الناقة وقاله ابن مسعود.

قال القاضي أبو محمد: وهذه عبارة تدل على حرج السائل لارتياب السائلين لا شك باللفظة من أجل القراءات المختلفة، وذكر الطبري عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ: «حتى يلج الجمل الأصفر» ، وقرأ أبو السمال «الجمل» بسكون الميم وقرأ ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابن جبير والشعبي ومالك بن الشخير وأبو رجاء: «الجمل» بضم الجيم وتشديد الميم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٢٦٩

وهو حبل السفينة، وقرأ سالم الأفطس وابن خير وابن عامر أيضا: «الجمل» بتخفيف الميم من الجمل وقالوا هو حبل السفن، وروى الكسائي أن الذي روى تثقيل الميم عن ابن عباس كان أعجميا فشدد الميم لعجمته.

قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف لكثرة أصحاب ابن عباس على القراءة المذكورة وقرأ سعيد بن جبير فيما روي عنه: «الجمل» بضم الجيم وسكون الميم، وقرأ ابن عباس أيضا: «الجمل» بضم الجيم والميم، و «السم» : الثقب من الإبرة وغيرها يقال سم وسم بفتح السين وكسرها وضمها، وقرأ الجمهور بفتح السين، وقرأ ابن سيرين بضمها، وقرأ أبو حيوة بضمها وبكسرها، وروي عنه الوجهان، والخياط والمخيط الإبرة، وقرأ ابن مسعود: «في سم المخيط» بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الياء، وقرأ طلحة «في سم المخيط» بفتح الميم، وكذلك أبى على هذه الصفة وبمثل هذا الحتم وغيره يجزى الكفرة وأهل الجرائم على الله تعالى.." (١)

"ومما ذكر على أن «الأيدي» أيدي النعم ما ذكره الزجاج وذلك أنهم ردوا آلاء الرسل في الإنذار والتبليغ بأفواههم، أي بأقوالهم- فوصل الفعل ب في عوض وصوله بالباء- وروي نحوه عن مجاهد وقتادة.

قال القاضي أبو محمد: والمشهور: جمع يد النعمة: أياد، ولا يجمع على أيد، إلا أن جمعه على أبد، لا يكسر بابا ولا ينقض أصلا، وبحسبنا أن الزجاج قدره وتأول عليه.

قال القاضي أبو محمد: ويحتمل اللفظ- على هذا- معنى ثانيا، أن يكون المقصد: ردوا أنعام الرسل في أفواه الرسل، أي لم يقبلوه، كما تقول لمن لا يعجبك قوله: أمسك يا فلان كلامك في فمك.

ومن حيث كانت أيدي الرسل أقوالا ساغ هذا فيها، كما تقول: كسرت كلام فلان في فمه، أي رددته عليه وقطعته بقلة القبول والرد، وحكى المهدوي عن مجاهد أنه قال: معناه: ردوا نعم الرسل في أفواه أنفسهم بالتكذيب والنجه.

وقوله: لفي شك مما تدعوننا إليه مريب يقتضي أنهم شكوا في صدق نبوتهم وأقوالهم أو كذبها، وتوقفوا في إمضاء أحد المعتقدين، ثم ارتابوا بالمعتقد الواحد في صدق نبوتهم فجاءهم شك مؤكد **بارتياب.**

وقرأ طلحة بن مصرف: «مما تدعونا» بنون واحدة مشددة.

قوله عز وجل:

[سورة إبراهيم (١٤) : آية ١٠]

قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين (١٠)

قوله: أفي الله مقدر فيه ضمير تقديره عند كثير من النحويين أفي ألوهية الله شك؟ وقال أبو علي الفارسي: تقديره: أفي وحدانية الله شك؟.

قال القاضي أبو محمد: وزعم بعض الناس: أن أبا علي إنما فزع إلى هذه العبارة حفظا للاعتزال وزوالا عما تحتمله لفظة

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٢/٤٠٠

الألوهية من الصفات بحسب عمومها، ولفظة الوحدانية مخلصة من هذا الاحتمال.
و «الفاطر» المخترع المبتدي، وسوق هذه الصفة احتجاج على الشاكين يبين التوبيخ، أي أيشك فيمن هذه صفته؟ فساق الصفة التي هي منصوبة لرفع الشك.
وقوله: من ذنوبكم ذهب بعض النحاة إلى أنها زائدة، وسيبويه يأبى أن تكون زائدة ويراها للتبعيض.." [1]
"إلى العلم، فإنه لو كان ممن يقرأ لارتاب المبطلون وكان لهم في ارتيابهم متعلق، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده، وقال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمدا لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت هذه الآية، وذكر النقاش في تفسير هذه الآية عن الشعبي أنه قال: ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وأسند أيضا حديثا إلى أبي كبشة السلولي مضمنه أنه عليه السلام قرأ صحيفة لعيينة بن حصن وأخبر بمعناها.
قال الفقيه الإمام القاضي: وهذا كله ضعيف، وقول الباجي رحمه الله منه، وقوله تعالى: بل هو آيات بينات إضراب عن مقدر من الكلام يقتضيه ما تقدم كأنه قال: ليس الأمر كما حسبوا بل هو وهذا الضمير يحتمل أن يعود على القرآن، ويؤيده أن في قراءة ابن مسعود «بل هي آيات» ، ويحتمل أن يعود على محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده أن قتادة قرأ «بل هو آية بينة» على الإفراد، وقال: المراد النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يعود على أمر محمد صلى الله عليه وسلم في أنه لم يتل ولا خط، وبكل احتمال قالت فرقة، وكون هذا كله آيات أي علامات في صدور العلماء من المؤمنين بمحمد، يراد به مع النظر والاعتبار. والظالمون والمبطلون، قيل يعم لفظهما كل مكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن عظم الإشارة بهما إلى قريش لأنهم الأهم، قاله مجاهد، وقال قتادة: المبطلون اليهود.
قوله عز وجل:

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٠ الى ٥٢]
وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢)
الضمير في قالوا لقريش ولبعض اليهود، لأنهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة يقولون: لم لا يأتيكم بمثل ما جاء به موسى من العصا وغيرها، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وعلي بن نضر عن أبي عمرو «آية من ربه» ، وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص عن عاصم «آيات من ربه» ، فأمر الله تعالى نبيه أن يعلم أن هذا الأمر بيد الله عز وجل ولا يستنزله الاقتراح ولا التمني وأنه بعث نذيرا ولم يؤمر بغير ذلك، وفي مصحف أبي بن كعب «قالوا لو ما يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات» ، ثم احتج عليهم في طلبهم آية بأمر القرآن الذي هو أعظم الآيات ومعجز للجن والإنس فقال: أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب، ثم قرر ما فيه من «الرحمة والذكرى» للمؤمنين، فقوله أولم يكفهم، جواب لمن

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٣٢٧

قال لولا أنزل، وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين كتبوا عن اليهود بطائق أخبروهم بشيء من التوراة فكتبوه، فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «كفى بها ضلالة قوم أن رغبوا عما آتاهم به نبيهم إلى ما أتى به غيره» ، ونزلت الآية بسببه.." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة السجدة

هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون [السجدة: ١٨] إلى تمام ثلاث آيات، ويأتي تفسيرها، وقال جابر بن عبد الله: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم «السجدة» و «تبارك» [الملك: ١] .

قوله عز وجل:

[سورة السجده (٣٢) : الآيات ١ الى ٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢) أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤)

تنزيل يصح أن يرتفع بالابتداء والخبر لا ريب ويصح أن يرتفع على أنه خبر ابتداء، وهو إما الحروف المشار إليها على بعض الأقوال في أوائل السور، وإما ذلك تنزيل أو نحو هذا من التقدير بحسب القول في الحروف وقوله تعالى: لا ريب فيه أي هو كذا في نفسه ولا يراعى ارتياب الكفرة، وقوله من رب العالمين متعلق ب تنزيل، ففي الكلام تقديم وتأخير، ويجوز أن يتعلق بقوله لا ريب أي لا شك فيه من جهة الله تعالى وإن وقع شك للفكرة فذلك لا يراعى، والريب الشك وكذلك هو في كل القرآن إلا قوله ريب المنون [الطور: ٣٠] وقوله أم يقولون إضراب، كأنه قال بل أيقولون، وافتراه اختلقه، ثم رد تعالى على مقالتهم هذه وأخبر أنه الحق من عند الله، واللام في قوله لتنذر يجوز أن تتعلق بما قبلها، ولا يجوز الوقف على قوله من ربك ويجوز أن تتعلق بفعل مضمر تقديره أنزله لتنذر فيوقف حينئذ على قوله من ربك، وقوله ما أتاهم من نذير أي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا آباؤهم العرب، وقوله تعالى: وإن من أمة إلا خلا فيها نذير [فاطر: ٢٤] يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الأمم التي خلت فيها النذر على هذا الوجه لأنها علمت بإبراهيم وبنيه ودعوتهم وهم ممن لم يأتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم، وقال ابن عباس ومقاتل: المعنى لم يأتهم نذير في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٣٢٢

السلام، وقوله تعالى: في ستة أيام يقضي بأن يوما من أيام الجمعة بقي لم يخلق فيه شيء، وتظاهرت الأحاديث الصحاح أن الخلق ابتدئ يوم الأحد، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأشياء فهذا مستقيم مع هذه الآية.." (١)

"الخصم ليفتي بأن هذا ظلم. وقالت فرقة: إن هذا كله هم به داود ولم يفعله، وإنما وقعت المعاتبة على همه بذلك. وقال آخرون: إنما الخطأ في أن لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده، إذ كان عنده أمر المرأة.

قال القاضي أبو محمد: والرواة على الأول أكثر، وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصة صور لا تليق، وقد حدث بها قصاص في صدر هذه الأمة، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من حدث بما قال هؤلاء القصاص في أمر داود عليه السلام جلدته حدين لما ارتكب من حرمة من رفع الله محله.

وقوله: خصمان تقديره: نحن خصمان، وهذا كقول الشاعر: [الطويل]

وقولا إذا جاوزتما أرض عامر ... وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما

نزيعان من جرم ابن زبان إنهم ... أبوا أن يميروا في الهزاهز محجما

ونحوه قال العرب في مثل: محسنة فهيلي، التقدير: أنت محسنة، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «آئبون تائبون» . و: بغى معناه: اعتدى واستطال، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم

وقوله: فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط إغلاظ على الحاكم واستدعاء بعدله، وليس هذا بارتياب منه، ومنه قول الرجل للنبي عليه السلام: فاحكم بيننا بكتاب الله.

وقرأ جمهور الناس: «ولا تشطط» بضم التاء وكسر الطاء الأولى، معناه: ولا تتعد في حكمك. وقرأ أبو رجاء وقتادة: «تشطط» بفتح التاء وضم الطاء، وهي قراءة الحسن والجحدري، ومعناه: ولا تبعد، يقال: شط إذا بعد، وأشط إذا أبعد غيره. وقرأ زر بن حبيش: «تشاطط» بضم التاء وبالألف. و: سواء الصراط معناه: وسط الطريق ولا حبه.

وقوله: إن هذا أخي إعراب أخي عطف بيان، وذلك أن ما جرى من هذه الأشياء صفة كالخلق والخلق وسائر الأوصاف، فإنه نعت محض، والعامل فيه هو العامل في الموصوف، وما كان منها مما ليس ليوصف به بتة فهو بدل، والعامل فيه مكرر، وتقول: جاءني أخوك زيد، فالتقدير: جاءني أخوك جاءني زيد، فاقتصر على حذف العامل في البدل والمبدل منه في قوله: ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون [يس: ٣١] وما كان منها مما لا يوصف به واحتيج إلى أن يبين به ويجري مجرى الصفة فهو عطف بيان، وهو بين في قول الشاعر: [الرجز] يا نصر نصرا نصرا فإن الرواية في الثاني بالتنوين، فدل ذلك على أن النداء ليس بمكرر عليه، فليس ببدل، وصح فيه عطف البيان، وهذه الأخوة مستعارة، إذ هما ملكان، لكن من حيث تصورا آدميين تكلما بالأخوة التي بينهما في الدين والإيمان، والله أعلم. و «النعجة» في هذه الآية، عبر بها عن المرأة. والنعجة في كلام العرب تقع." (٢)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٥٧/٤

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٩٩/٤

"قوله عز وجل:

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)
قد قدمنا ذكر الخلاف في هذه الأقوال كلها، هل هي من قول مؤمني آل فرعون أو من قول موسى عليه السلام. وقالت فرقة من المتأولين منهم الطبري: يوسف المذكور هو يوسف بن يعقوب صلى الله عليه. وقالت فرقة: بل هو حفيده يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. و «البينات» التي جاء بها يوسف لم تعين لنا حتى نقف على معجزاته. وروي عن وهب بن منبه أن فرعون موسى لقي يوسف، وأن هذا التقريع له كان. وروى أشهب عن مالك أنه بلغه أن فرعون عمر أربعمائة سنة وأربعين سنة. وقالت فرقة:
بل هو فرعون آخر.
وقوله: قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكاية لرتبة قولهم لأنهم إنما أرادوا أن يجيء بعد هذا من يدعي مثل ما ادعى ولم يقر أولئك قط برسالة الأول ولا الآخر، ولا بأن الله يبعث الرسل فحكى رتبة قولهم، وجاءت عبارتهم مشنعة عليهم، ولذلك قال بإثر هذا: كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي كما صيركم من الكفر والضلالة في هذا الحد فنحو ذلك هو إضلاله لصنعكم أهل السرف في الأمور وتعدي الطور والارتياب بالحقائق. وفي مصحف أبي بن كعب وابن مسعود: «قلتم لن يبعث الله» ، ثم أنحى لهم على قوم صفتهم موجودة في قوم فرعون، فكأنه أرادهم فزال عن مخاطبتهم حسن أدب واستجلابا، فقال الذين يجادلون في آيات الله أي بالإبطال لها والرد بغير برهان ولا حجة أتتهم من عند الله كبر مقت جدالهم عند الله، فاختصر ذكر الجدال لدلالة تقدم ذكره عليه، ورد الفاعل ب كبر نصيبا على التمييز كقولك: تفقأت شحما وتصببت عرقا. و: يطبع معناه: يختم بالضلال ويحجب عن الهدى.
وقرأ أبو عمرو وحده والأعرج بخلاف عنه «على كل قلب» بالتنوين «متكبرا» على الصفة. وقرأ الباقون: «على كل قلب» بغير تنوين وبإضافته إلى «متكبر» . قال أبو علي: المعنى يطبع الله على القلوب إذ كانت قلبا قلبا من كل متكبر، ويؤكد ذلك أن في مصحف عبد الله بن مسعود: «على قلب كل متكبر جبار» .
قال القاضي أبو محمد: ويتجه أن يكون المراد عموم قلب المتكبر الجبار بالطبع أي لا ذرة فيه من إيمان ولا مقاربة فهي عبارة عن شدة إظلامه.
قوله عز وجل:

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٦ الى ٤٠]
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا

وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧) وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٤٠)." (١)

"هذه آية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار وإزالة عن النبي صلى الله عليه وسلم جميع الكلف سوى التبليغ فقط، لئلا يهتم بعدم إيمان قريش وغيرهم، فقال تعالى لنبيه: إن الذين اتخذوا الأصنام والأوثان أولياء من دون الله، الله هو الحفيظ عليهم كفرهم، المحصي لأعمالهم، المجازي لهم عليها بعذاب الآخرة، وأنت فلست بوكيل عليهم ولا ملازم لأمرهم حتى يؤمنوا. والوكيل: المقيم على الأمر، وما في هذا اللفظ من موادعة فهو منسوخ بآية السيف، ثم قال تعالى: وكذلك أوحينا إليك أي وكما قضينا أمرك هكذا وأمضيناه في هذه الصورة، كذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا مبينا لهم، لا يحتاجون معه إلى آخر سواه ولا محتج غيره، إذ فهمه متأت لهم ولم يكلفك إلا إنذارا من ذكر. و: أم القرى مكة، والمراد أهل مكة، ولذلك عطف من، وهي في الأغلب لمن يعقل. و: يوم الجمع هو يوم القيامة، واقتصر في تنذر على المفعول الأول، لأن المعنى: وتنذر أهل أم القرى العذاب، وتنذر الناس يوم الجمع، أي تخوفهم إياه لما فيه من عذاب من كفر، وسمي يوم الجمع لاجتماع أهل الأرض فيه بأهل السماء، أو لاجتماع بني آدم للعرض.

وقوله: لا ريب فيه أي في نفسه وذاته، وارتياب الكفار به: لا يعتد به.

وقوله: فريق مرتفع على خبر الابتداء المضمر، كأنه قال: هم فريق في الجنة، وفريق في السعير. ثم قوى تعالى تسلية نبيه عليه السلام بأن عرفه أن الأمر موقوف على مشيئة الله من إيمانهم أو كفرهم، وأنه لو أراد كونهم أمة واحدة لجمعهم عليه، ولكنه يدخل من سبقت له السعادة عنده في رحمته، وييسره في الدنيا لعمل أهل السعادة، وأن الظالمين بالكفر الميسرين لعمل الشقوة ما لهم من ولي ولا نصير.

وقوله: أم اتخذوا كلام منقطع مما قبله، وليست معادلة، ولكن الكلام: كأنه أضرب عن حجة لهم أو مقالة مقررة فقال: «بل اتخذوا» هذا مشهور قول النحويين في مثل هذا، وذهب بعضهم إلى أن أم هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام دون تقدير إضراب، ثم أثبت الحكم بأنه عز وجل هو الولي الذي تنفع ولايته، وأنه هو الذي يحيي الموتى ويحشرهم إلى الآخرة ويبعثهم من قبورهم، وأن قدرته على كل شيء تعطي هذا وتقتضيه.

قوله عز وجل:

[سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١٠ الى ١٢]

وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب (١٠) فاطر السماوات والأرض جعل لكم

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٥٥٩

من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السماوات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم (١٢)." [١]

"أبلغ، ومن رأى أنه قصد قصد السور الذي هو الحجي، قال: إن ذلك إذا تواضع فغيره من المباني أحرى بالتواضع.

قال القاضي أبو محمد: فإذا كان السور في البيت محتملا للوجهين فليس هو في قوة مر الرياح وصدر القناة وغير ذلك مما هو مذكر محض استفاد التأنيث مما أضيف إليه.

وقوله تعالى: باطنه فيه الرحمة أي جهة المؤمنين، وظاهره جهة المنافقين، والظاهر هنا البادي، ومنه قول: من ظاهر مدينة كذا، وقوله تعالى: ينادونهم معناه: ينادي المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم في الدنيا؟ فيرد المؤمنون عليهم: بلى كنتم معنا، ولكنكم عرضتم أنفسكم للفتنة، وهو حب العاجل والقتال عليه، قال مجاهد: فتنتم أنفسكم بالنفاق. وتربصتم معناه هنا: بأمانكم «فأبطأتم» به حتى متم. وقال قتادة معناه: تربصتم بنا وبمحمد عليه السلام الدوائر وشككتم في أمر الله.

والارتياب: التشكك. و: الأماني التي غرتهم هي قولهم: سيهلك محمد هذا العام ستهزمه قريش، ستأخذه الأحزاب، إلى غير ذلك من أمانيهم، وطول الأمل غرار لكل أحد، وأمر الله الذي جاء هو الفتح وظهور الإسلام، وقيل هو موت المنافقين وموافاتهم على هذه الحال الموجبة للعذاب و: الغرور الشيطان بإجماع من المتأولين.

وقرأ سماك بن حرب بضم الغين، وأبو حيوة. وينبغي لكل مؤمن أن يعتبر هذه الآية في نفسه وتسويفه في توبته.

قوله عز وجل:

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ١٥ الى ١٧]

فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (١٥) ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧)

قوله تعالى: فاليوم لا يؤخذ استمرار في مخاطبة المنافقين. قاله قتادة وغيره: وروي في معنى قوله: ولا من الذين كفروا حديث، وهو أن الله تعالى يقرر الكافرين فيقول له: أرأيتك لو كان لك أضعاف الدنيا أكنت تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: قد سألتك ما هو أيسر من هذا وأنت في صلب أبيك آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك.

وقرأ جمهور القراء والناس: «يؤخذ» بالياء من تحت. وقرأ أبو جعفر القارئ: «تؤخذ» بالتاء من فوق، وهي قراءة ابن عامر في رواية هشام عنه، وهي قراءة الحسن وابن أبي إسحاق والأعرج وقوله: هي مولاكم قال المفسرون معناه: هي أولى بكم، وهذا تفسير بالمعنى، وإنما هي." [٢]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٢٧

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥/٢٦٣

"قوله عز وجل:

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٤ الى ٧]
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥) أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)
اللائي: هو جمع ذات في ما حكى أبو عبيدة وهو ضعيف، والذي عليه الناس أنه: جمع التي، وقد يجيء جمعا للذي، واليائسات من المحيض على مراتب، فيائسة هو أول يأسها، فهذه ترفع إلى السنة، ويبقيها الاحتياط على حكم من ليست بيائسة، لأنا لا ندري لعل الدم يعود، ويائسة قد انقطع عنها الدم لأنها طعنت في السن ثم طلقت، وقد مرت عادتها بانقطاع الدم، إلا أنها مما يخاف أن تحمل نادرا فهذه التي في الآية على أحد التأويلين في قوله: إن ارتبتم وهو قول من يجعل **الارتياب** بأمر الحمل وهو الأظهر، ويائسة قد هرمت حتى تتيقن أنها لا تحمل، فهذه ليست في الآية، لأنها لا يرتاب بحملها، لكنها في حكم الأشهر الثلاثة إجماعا فيما علمت، وهي في الآية على تأويل من يرى قوله: إن ارتبتم معناه في حكم اليائسات، وذلك أنه روى إسماعيل بن أبي خالد أن قوما منهم أبي بن كعب وخلاد بن النعمان لما سمعوا قول الله عز وجل: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء [البقرة: ٢٢٨] قالوا يا رسول الله: فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت الآية، فقال قائل منهم: فما عدة الحامل؟ فنزلت:
وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن، وقد تقدم ذكر الخلاف في تأويل: إن ارتبتم، وأولات جمع ذات، وأكثر أهل العلم على أن هذه الآية تعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة والحجة حديث سبيعة الأسلمية قالت: كنت تحت سعد بن خولة فتوفي في حجة الوداع، ووضعت حملها قبل أربعة أشهر، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «قد حللت» وأمرها أن تتزوج، وقال ابن مسعود:
نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى، يعني أن قوله تعالى: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن نزلت بعد قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا [البقرة: ٢٣٤] ، وقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب: إنما هذه في المطلقات، وأما في الوفاة فعدة الحامل آخر الأجلين إن وضعت قبل أربعة أشهر وعشر تمادت إلى آخرها، والقول الأول أشهر، وعليه الفقهاء، وقرأ الضحاك: «أحمالهن» على الجمع، وأمر الله تعالى بإسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت. وأما المبتوتة، فمالك رحمه الله يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب، ولا يرى لها نفقة،."
(١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٢٥/٥

"الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: للحافظ ابن ماكولا. باعتناء: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. نشر: محمد أمين دمج- بيروت- ١٩٦٢ م.

الأم: للإمام الشافعي. ط: دار المعرفة- بيروت- ١٣٩٣ هـ-.

الأمثال: لأبي عبيد القاسم بن سلام. تحقيق: الدكتور عبد المجيد قطامش. نشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة- ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠ م.

الأموال: لأبي عبيد القاسم بن سلام. باعتناء الشيخ محمد خليل الهراس. ط: دار الفكر- بيروت- ١٣٩٥ هـ- ١٩٧٥ م.

إنباه الرواة على أنباء النحاة: للقفطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- ١٤٠١ هـ-.

الإنباه على قبائل الرواة: لابن عبد البر. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط: دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥ م.

الأنساب: لأبي نصر السمعاني. تحقيق: عبد الرحمن يحيي المعلمي وآخرين. نشر:

محمد أمين دمج- بيروت- ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م.

الإنصاف في مسائل الخلاف: لأبي البركات بن الأنباري. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. نشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت- بدون تاريخ.

الأنواء: لابن قتيبة الدينوري. اعتنى بنشره: شارل بلا، ومحمد حميد الله. ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد- الهند- ١٣٧٩ هـ- ١٩٥٦ م.

أنوار التنزيل تفسير البيضاوي.

الأيام والليالي والشهور: للفراء. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط: دار الكتاب المصري- القاهرة- ١٤٠٠ هـ-.

إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري.

تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان. من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق- ١٣٩٠ هـ- ١٩٧١ م.

الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: لمكي بن أبي طالب القيسي. تحقيق: د. أحمد حسن فرحات. نشر: دار المنارة- جدة- ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.

البحر المحيط: لأبي حيان الأندلسي. ط: دار الفكر- بيروت- ١٤٠٣ هـ-.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني. نشر:

دار الكتب العلمية- بيروت- ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.." (١)

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن النيسابوري، بيان الحق ٢/٩٥٠

"بيوتنا ما قتلنا هاهنا» . والثاني: أنه إسرارهم الكفر، والشك في أمر الله. والثالث: الندم على حضورهم مع المسلمين بأحد.

قال أبو سليمان الدمشقي: والذي قال: هل لنا من الأمر من شيء عبد الله بن أبي. والذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء معتب بن قشير.

قوله تعالى: قل لو كنتم في بيوتكم أي: لو تخلفتم، لخرج منكم من كتب عليه القتل، ولم ينجه القعود. والمضاجع: المصارع بالقتل.

قال الزجاج: ومعنى لبرز: صاروا إلى براز، وهو المكان المنكشف. ومعنى وليبتلي الله ما في صدوركم أي: ليختبره بأعمالكم، لأنه قد علمه غيبا، فيعلمه شهادة.

قوله تعالى: وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة: أراد ليظهرها من الشك والارتياب، بما يريكم من عجائب صنعه من الأمنة، وإظهار سرائر المنافقين. وهذا التمحيص خاص للمؤمنين. وقال غيره:

أراد بالتمحيص: إبانة ما في القلوب من الاعتقاد لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فهو خطاب للمنافقين.

قوله تعالى: والله عليم بذات الصدور أي: بما فيها. وقال ابن الأنباري: معناه: عليم بحقيقة ما في الصدور من المضمرات، فتأنيث ذات بمعنى الحقيقة، كما تقول العرب: لقيته ذات يوم. فيؤنثون لأن مقصدهم: لقيته مرة في يوم.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٥]

إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (١٥٥)

قوله تعالى: إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الخطاب للمؤمنين، وتوليهم: فرارهم من العدو. والجمعان: جمع المؤمنين، وجمع المشركين، وذلك يوم أحد. واستزلهم: طلب زللهم، قال ابن قتيبة: هو كما تقول: استعجلت فلانا، أي: طلبت عجلته، واستعملته: طلبت عمله. والذي كسبوا: يريد به الذنوب. وفي سبب فرارهم يومئذ قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فترخصوا في الفرار «١» ، قاله ابن عباس في آخرين. والثاني: أن الشيطان أذكرهم خطاياهم، فكرهوا لقاء الله إلا على حال يرضونها، قاله الزجاج.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٦]

يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦)

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا أي كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم في النفاق، وقيل: إخوانهم في النسب. قال الزجاج: وإنما قال: إذا ضربوا ولم يقل: إذ ضربوا، لأنه يريد: شأنهم هذا أبدا، تقول: فلان إذا حدث صدق، وإذا ضرب صبر. و «إذا» لما يستقبل، إلا أنه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا لما قد خبر منه فيما مضى. قال المفسرون: ومعنى ضربوا في الأرض:

(١) تقدم، تخريجه، وهو ضعيف جدا.." [١]

"المطلقة، والمتوفى عنها زوجها في البقرة «١» .

(١٤٦٠) قال أبي بن كعب: يا رسول الله: إن نساء من أهل المدينة يقلن: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «وما هو؟» قال: الصغار والكبار، وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية، قاله عمرو بن سالم.

(١٤٦١) والثاني: لما نزل قوله عز وجل: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الآية «٢» قال خلاد بن النعمان الأنصاري: يا رسول الله، فما عدة التي لا تحيض، وعدة التي لم تحض، وعدة الحبلى؟ فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل. ومعنى الآية: إن ارتبتم، أي: شككتم فلم تدروا ما عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن كذلك.

فصل «٣» :

قال القاضي أبو يعلى: والمراد **بالارتياب** هاهنا: **ارتياب** المخاطبين في مقدار عدة

أخرجه الحاكم ٢/ ٤٩٢ و ٤٩٣ والواحدي في «أسبابه» ٨٣٠ والبيهقي ٧/ ٤١٤ من حديث أبي بن كعب، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، مع أن إسناده منقطع عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب كما في «تهذيب التهذيب» لابن حجر، وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦٠٢٤ بتخريجنا، وانظر «الدر» ٦/ ٣٥٧.

عزاه المصنف لمقاتل، وهو متروك متهم، فالخبر لا شيء.

---

(١) البقرة: ٢٢٧- ٢٣٢.

(٢) البقرة: ٢٢٨.

(٣) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ١٣٤: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة قول من قال عني بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهن. فإن حكم عددهن إذا طلقن، وهن ممن دخل بهن أزواجهن، فعدتهن ثلاثة أشهر، وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري الصغار إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول.

وقال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام القرآن» ١٨/ ١٤٦: المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة. وقد قيل في المرتابة التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما ترفعها: إنها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها، منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثة عدة، فإن طلقها فحاضت حيضة أو حيضتين ثم ارتفع عنها بغير يأس

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١/٣٣٨

منها انتظرت تسعة أشهر، ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم حلت للأزواج. هذا قول الشافعي بالعراق. فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد تسعة أشهر، أربعة أشهر وعشرا. فإن كانت المرأة شابة، استؤني بها هل هي حامل أم لا، فإن استبان حملها فإن أجلها وصفه. وإن لم يستبن فقال مالك: عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة. وبه قال أحمد وإسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره. وأهل العراق يرون أن عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها، وإن مكثت عشرين سنة، إلا أن تبلغ من الكبر مبلغا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر قال الثعلبي: وهذا الأصح في مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء. وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه وأما من تأخر حيضها لمرض، فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن أصبغ: تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة. ولو تأخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فإنها تنتظر سنة لا حيض فيها، تسعة أشهر ثم ثلاثة، على ما ذكرناه، فتحل ما لم ترتب بحمل، فإن ارتابت بحمل أقامت أربعة أعوام، وقال أشهب: لا تحل أبدا حتى تنقطع عنها الريبة، قال ابن العربي: وهو الصحيح. وأما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة أقوال: قال ابن المسيب: تعتد سنة وهو قول الليث، وهو مشهور قول علمائنا. سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها، وميزت ذلك أو لم تميزه. عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهبه سنة. وقال الشافعي في أحد أقواله: عدتها ثلاثة أشهر. وهو قول جماعة من التابعين والمتأخرين من القرويين. قال ابن العربي: وهو الصحيح عندي. وقال أبو عمر: المستحاضة إذا كان دمها ينفصل فعلمت إقبال حيضتها أو إدبارها اعتدت ثلاثة قروء. وهذا أصح في النظر، وأثبت في القياس والأثر.." (١)

"الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به **ارتياب** المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزول الآية. ولأنه لو أريد بذلك النساء لتوجه الخطاب إليهن، فقيل: إن ارتبتن، أو ارتبن، لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن.

وقد اختلف في المرأة إذا تأخر حيضها لا لعارض كم تجلس؟ فمذهب أصحابنا أنها تجلس غالب مدة الحمل، وهو تسعة أشهر، ثم ثلاثة. والعدة: هي الثلاثة التي بعد التسعة. فإن حاضت قبل السنة بيوم، استأنفت ثلاث حيض، وإن تمت السنة من غير حيض، حلت، وبه قال مالك. أبو حنيفة، والشافعي في الجديد: تمكث أبدا حتى يعلم براءة رحمها قطعا، وهو أن تصير في حد لا يحيض مثلها، فتعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر.

قوله عز وجل: واللائي لم يحضن يعني: عدتهن ثلاثة أشهر أيضا، لأنه كلام لا يستقل بنفسه، فلا بد له من ضمير، وضميره تقدم ذكره مظهرا، وهو العدة بالشهور. وهذا على قول أصحابنا محمول على من لم يأت عليها زمان الحيض: أنها تعتد ثلاثة أشهر. فأما من أتى عليها زمان الحيض، ولم تحض، فإنها تعتد سنة.

قوله عز وجل: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن عام في المطلقات، والمتوفى عنهن أزواجهن، وهذا قول عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي مسعود البدري، وأبي هريرة، وفقهاء الأمصار. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: تعتد آخر الأجلين. ويدل على قولنا عموم الآية. وقول ابن مسعود: من شاء لاعنته، ما نزلت وأولات الأحمال إلا بعد آية المتوفى

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٢٩٩

عنها زوجها، وقول أم سلمة:

(١٤٦٢) إن سبيعة وضعت بعد وفاة زوجها بأيام، فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتزوج.

قوله عز وجل: ومن يتق الله: فيما أمر به يجعل له من أمره يسرا يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة، وهذا قول الأكثرين. وقال الضحاك: ومن يتق الله في طلاق السنة، يجعل له من أمره يسرا في الرجعة ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله بطاعته يكفر عنه سيئاته أي: يمح عنه خطاياه ويعظم له أجرا في الآخرة.

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٦ الى ٧]

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)

صحيح. أخرجه البخاري ٥٣١٩ و ٥٣٢٠ ومسلم ١٤٨٤ وأبو داود ٢٣٠٦ والنسائي ٦/ ١٩٤ و ١٩٦ وابن ماجة ٢٠٢٨ ومالك ٢/ ٥٩٠ وأحمد ٦/ ٤٣٢ وابن حبان ٤٢٩٤ وعبد الرزاق ١١٧٢٢ والطبراني ٢٤/ ٧٤٥- ٧٥٠ والبيهقي ٧/ ٤٢٨- ٤٢٩ من طرق عن الزهري به بألفاظ متقاربة.." (١)

"دراسة المسائل العربية في تفسير الكتاب العزيز وإعرابه

توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه ابن أبي الربيع

...

الفصل الثاني

دراسة المسائل العربية في تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، وفيه مباحث

المبحث الأول: توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه ابن أبي الربيع

هذا الكتاب هو آخر أعمال ابن أبي الربيع، وخاتمة نشاطه العلمي في الدرس والمراجعة والتصنيف، وهو من مصنفات ابن أبي الربيع التي لم يرد لها ذكر في أكثر كتب التراجم والبرامج التي ترجمت ابن أبي الربيع وأوردت أسماء مؤلفاته أو شروحا ته على كتب المتقدمين، كما لم يرد عنه نقل في المصادر التي أوردت أقوالا ونقولات عن كتب ابن أبي الربيع، وإنما أورده تلميذه القاسم بن يوسف التجيبي في برنامجه، وقد وثق نسبته إلى شيخه توثيقا لا يأفكه ارتياب ولا تسنح فيه شبهة، فذكر عنوان هذا التفسير وبدايته ونهايته، والقدر الذي سمعه من إملاء شيخه، ثم إجازته له رواة جميع تفسيره وجميع ما رواه وألفه، وفيما يلي نص كلام التجيبي عن هذا التفسير:

(.. ما تسنى لشيخنا العلامة أبي الحسن القرشي المذكور- رحمه الله- تعالى من تفسير الكتاب العزيز وإعرابه، وذلك من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٠٠

فاتحته إلى قوله تعالى في سورة المائدة (١٠٩) : (ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم، قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب) وعاقته المنية عن إتمامه- رحمه الله- ورضى عنه وقدس روحه وبرد ضريحه. وهو آخر ما ألف. سمعت طائفة منه من لفظه في الإملاء وأجازني في جميعه..) .

وأحسب أن هذا النص كاف في نسبة هذا التفسير لابن أبي الربيع، وهناك من الأدلة التي توثق هذه النسبة وتؤكدها ما يلي:

أولا: ورود اسم هذا التفسير في اللوحة الأخيرة من هذا الكتاب، ونصها: الأول من تفسير القرآن لابن أبي الربيع- رحمه الله- وإن كان في هذه قصور في." (١)

"التعبير، فعسر إلا على الماهر حفظا، وظن الغافل عن التدبر والمخلد إلى الراحة عن التفكر، أن تخصيص كل آية من تلك الآيات بالوارد فيها مما خالفت فيه نظيرتها ليس لسبب تقتضيه وداع من المعنى يطلبه ويستدعيه، وأن ليس على جميع الوارد من ذلك محرزات من المعاني عند ذوي الأفهام ومقتضيات من لوازم جليل التركيب من ذلك المعجز العلي من النظام، فلا يليق بكل من تلك الواضع إلا الوارد فيه وإن تقرير وقوع آية منها في موضع نظيرتها ينافي مقصود ذلك الموضع وينافيه.

فتعسا لمن تنكب عن واضح آياته، وكأن لم يقرع سمعه قوله تعالى: "كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته ".

وإن مما حرك إلى هذا الغرض وألحقه عند من تحلى ولوعا باعتباره والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره، بمثل حالي على استحكام جذبي وإمحالي بالواجب المفترض، إنه باب لم يقرعه ممن تقدم وسلف ومن حذا حذوهم ممن أتى بعدهن وخلف، أحد فيما علمته على توالي الأعصار والمدد وترادف أيام الأبد، مع عظيم موقعه وجليل منزعه، ومكانته في الدين وفته أعضاد ذوي الشك **والارتياب** من الطاعنين والملحدين، إلى أن ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة [ابن الخطيب الإسكافي] نفعه الله سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب، وعرف أنه باب لم يوجفه عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبل فيه، بحرف مما فيه.

وصدق رحمه الله وأحسن فيما سلك وسن وحق لنا به – لإحسانه – أن نقتدى به ونستن، فحرك من فكري الساكن وأضربت عن فسحته بالاستدراك بلكن، وأبديت بحول ربي من مكنون خاطري إلى الظهور ما أثبته بعون الله وقوته في هذا المسطور، معتمدا عين ما ذكره من الآيات ومستدركا ما تذكرته مما أغفله رحمه الله من أمثالها من المتشابهات، وإبداء المعاني الخفيات القاطعة بدرب البطالات، من غير أن أقف في أكثر ذلك على كلامه إلا بعد إبدائي ما يلهمه الله سبحانه وإتمامه، ولا ناقلا إلا في الشاذ النادر كلام أحد من أرباب المعاني إذ لم يعترض أحد غير من تقدم ذكره لما من هذا الضرب أعاني، وإنما يلقيه فكري إلى ذكري فيلقيه ترجمان فهمي على قلمي، وإن آثرت بعض ما عليه لغيري عثرت فنقلت أفصحت بالنسبة وعقلت، وما أرى ذلك يبلغ فى هذا المجموع غاية أقل الجموع، وإن نيف فيسير والتحقق في ذلك بلازم الذهول الإنساني

---

(١) تفسير الكتاب العزيز وإعرابه ابن أَبي الرَّبيع ص/٣١٨

عسير، وما سوى ذلك فأنا ابن نجدته وذو عهدته، "وما بكم من نعمة فمن الله ".

وقد." (١)

"السؤال الرابع: ما وجه كون الوارد من حمده في الخواتم والانتهاءات لم يطرد فيه ما أطرد في افتتاح هذه السور من اختلاف التوابع بل جرى على أسلوب واحد فقال سبحانه: "فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " وقال تعالى: "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " وقال تعالى: "وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " وقال تعالى: "وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " فورد هذا مكتفي فيه بوصفه سبحانه بأنه رب العالمين

والجواب عن السؤال الأول: بعد تمهيده وهو أن نقول أن قوله تعالى: "الحمد لله " مبتدأ وخبر وكذلك قوله: "فلله الحمد " وتأخر في هذه الثانية المبتدأ، والحاصل في الموضعين معنى واحد وهو حمده سبحانه بما هو أصله.

ومعلوم أن التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ والخبر إذا لم يقع عارض مما يعرض في التركيب، ككون المبتدأ مما يلزم صدر الكلام، أو كون الخبر كذلك، فيلزم تقديم ما له الصدرية إلى غير ذلك من العوارض وهى كثيرة، فما لم يعرض عارض يوجب لأحدهما التقديم أو التأخير فتقديم أيهما كان وتأخير الآخر عربي فصيح، إلا أن مرتبة المبتدأ التقديم ليبنى عليه الخبر، فتقديمه عند عدم العوارض اللفظية أولى كما فى القرآن.

وإذا وضح هذا فللسائل أن يقول: ما الموجب لتقديم الخبر على المبتدإ فى سورة الجاثية؟ وهل كان يسوغ عكس الواقع؟

والجواب: أن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير وتأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة فى جهة التركيب اللفظي، بل قد يعرض من جهة المعنى.

وتقدير الكلام ما يقتضى ذلك ويوجبه.

وإذا تقرر هذا فنقول: إن قوله تعالى: "فلله الحمد " ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذب وقهره ووقوع الأمر مطابقا لأخبار الرسل عليه السلام، وظهور ما كذب الجاحد به، فعند وضوح الأمر كأن قد قيل لمن الحمد ومن أهله؟ فكان الجواب على ذلك فقيل: "فلله الحمد ".

نظير هذا قوله تعالى: "لمن الملك "؟ ثم قال: "لله الواحد القهار "، ألا ترى تلاقى الآيتين فيما تقدمهما فالمتقدم فى سورة غافر قوله تعالى: "لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ ".

فعند ظهور الأمر للعيان ومشاهدة ما قد كان خبرا قيل لهم: "لمن الملك اليوم ".

وتقد فى سورة الجاثية قوله تعالى: "وبدا لهم سيئآت ما عملوا " الآيات.

وإنما ذلك يوم التلاقي والعرض عليه سبحانه فعند المعاينة وزوال **الارتياب** والشكوك كأن قد قيل لهم: لمن الحمد ومن أهله؟." (٢)

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل   ابن الزبير الغرناطي ٨/١

(٢) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل   ابن الزبير الغرناطي ١٢/١

"الآيات "كيف حدد بشهر وعين بالتسمية وبين وقت الامساك بضبط طرفيه وبين لهم حال المرض وحال السفر وأمروا بتميل العدة على مأ أوضح الشرع إلى غير ذلك مما يحصل به على المطلوب فيرفع حكم الإطلاق الداخل منه الاختلاف للحتمال وكل هذا أو أكثره قبل أن يسألوا وكذا قبل أن يسألوا وكذا جرى فى أمر القبلة عند التحويل.

فقوله تعالى فى أول الأمر بالتوجه قبل البيت "فول وجهك شطر المسجد الحرام " وان كان قد تقيد بالأداة المعينة للجهة فإن فيه احتمالا أن يكون خاصا به صلى الله عليه وسلم أو عاما له ولأمته.

فإن قيل قد علم من قبله صلى الله عليه وسلم أن حكمه على الواحد حكم على الجميع وأن الخطاب له خطاب له ولأمته وذلك كله ما لم يرد تخصيص.

فجوابنا عن هذا أن الكلام فى هذه الآية ليس خاصا بمن سلم بالقواعد المستقرات من الكتاب والسنة وإنما كلامنا معتمد فيه القطع بذوى الزيغ **والارتياب** ممت يتعلق بما تشابه منه طعنا فى الدين واتباعا لسبيل الملحدين وشأن هؤلاء التعلق بأدنى احتمال من غير تسليم لما وراء ذلك.

وعلى هذا نقول ان قوله تعالى: "فول وجهك شطر المسجد الحرام " أمر يدفع احتمال خصوصه صلى الله عليه وسلم دون أمته بالأمر بالتولى ثم تحصل مع هذا من قوله "وحيث ما كنتم " أن ذلك لا يختص بمكان دون مكان ثم يبقى احتمال نذكره وما يزيله بعد.

وأما قوله تعالى "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام " فإعلام له صلى الله عليه وسلم بتسوية حالى الظعن والاقامة ونه خرج عن المدينة مسافرا فحاله حيث توجه كحاله فى المدينة مقيما ولم يكن هذا ليحصل نصا لا احتمال فيه مما تقدم من الامر فقد حصل من هذا ما لم يتحصل نصا مما تقدم.

وقوله بعد: "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام " هذا مما كرر لا لمجرد التوكيد وان كانت القصة لها تعلق بيهود وانكارهم التحويل فالتأكيد يلائم ولكن ذكر ليحصل منه التوكيد وبناء ما بعده عليه من قوله "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " والمراد بهذا وحيث ما كنتم من البلاد والمواضع التى خرجتم اليها حيث كانت من الارض كلها فإن قيل أن هذا قد تقدم حيث ذكر هذا اللفظ بعيه الذى هو "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " فالجواب أن ذلك محتمل أن يراد به وحيث ما كنتم من نواحى المدينة وما يرجع اليها إذ لم يتقدم ذكر الخروج عنها كما تقدم هنا." (١)

"طه فمقاطع آيها لازمة الألف المقصورة وعلى ذلك أي السور كلها، وأما النمل والقصص فقد اكتنف الواقع في آي هذه القصة فيها ما مقطعه النون الواقع قبلها الياء والواو الساكنتان بحسب ما تقدمهما من حركتي الضمة والكسرة. فإن قلت: إن السورتين مستويتان في هذا فما الفارق؟ قلت: الإيجاز والطول، أما سورة النمل فأوجز في هذا المقصد، وأما سورة القصص فإن خبر موسى، عليه السلام، فيها يكاد يستغرق آيها كلها، فناسبه طول الوارد فيها مما فيه الكلام، وذلك غير خاف. وتأمل الوارد في سورة طه من قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى، عليه السلام، من قوله: (أو أجد على النار هدى)، ومناسبة ذلك لما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا صلى الله عليه وسلم، وافتتاحها بقوله تعالى: (ما أنزلنا عليك

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ابن الزبير الغرناطي ١/٥٤

القرآن لتشقى) (طه: ٢)، يلح لك التلاؤم والتناسب، وقد وضح أن كل ما في كل سورة من السور الثلاث من هذه القصة لا يلائم غيرها، وأن كل قصة منها لا يحسن وقوعها في موضع الآخر لعدم المناسبة وبعد التلاؤم، والله أعلم.

الآية الثانية من سورة طه – قوله تعالى: (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) (طه: ١٥)، وفي سورة غافر: (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) (غافر: ٥٩)، للسائل أن يسأل عن تخصيص آية طه بقوله في وصف الساعة: (أكاد أخفيها) ووصفها في سورة غافر بقوله: (لا ريب فيها)؟ فهذان سؤالان.

والجواب عن الأول منهما: أن آية طه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، يتضمن تأنيسه وتسليته عن حال كفار قريش في (توقفهم عن) الإيمان، فافتتحت السورة بأجل التأنيس وهو قوله تعالى مبشرا لنبيه، عليه السلام، مقسما على ذلك: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) (طه: ٢)، ثم تابع التعريف بتعظيم الكتاب، وذكر منزلته سبحانه وتعالى بما انفرد فيه من ملك السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، ووصفه بأنه يعلم السر وأخفى، وانفراده بأسمائه الحسنى، ثم عرف نبيه صلى الله عليه وسلم بابتداء (أمر) موسى، عليه السلام، (إلى قوله): (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) (طه: ١٥) تعريفا بعظيم خفاء أمر الساعة وتغيب كنهها عن الخلق حتى كأن أمرها لم يخبر عنه ولا وقع تعريف بشيء منه، فهو إخبار بفرط إخفاء أمرها، وذلك إعلام بوصف وحال من قد تقرر بوقوعها يقينه، وانطوى على علم كيانها إيمانه، ولما كان هذا الخطاب والتعريف لمن جرى ذكره من تنزهه صلى الله عليه وسلم عن **الارتياب** في أمر الساعة، لم يحتج إلى نفي الريب، إذ مقام النبوى في الإيمان بها المقام الذي لا يداني، فلم يكن نفي **الارتياب** ليلائم ولا يناسب، وإنما عرفوا بحال وصف تابع.." [١]

"به الأرض من الجبال وهي تسعة عشر وكان أصلها مائة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ بمحمد وهو عطف على ليستيقن ﴿إيمانا﴾ لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل أو يزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب أولئك ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ هذا عطف أيضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الإيمان إذ الاستيقان وازدياد الإيمان دالان على انتفاء **الارتياب** ثم عطف على ليستيقن أيضا ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ نفاق ﴿والكافرون﴾ والمشركون فإن قلت النفاق ظهر في المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ وهذا إخبار بما سيكون

كسائر الاخبارت بالغيوب وذا لا يخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك **والارتياب** لأن أهل مكة كن أكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد في غاية الغرابة وأن مثله حقيق بأن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمي مثلا والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين وغرضهم إنكاره أصلا وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص ﴿كذلك يضل الله من يشاء﴾ الكاف نصب وذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى أي مثل لتصديقه ورؤية

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ابن الزبير الغرناطي ٢/٣٣٥

الحكمة في ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذي علم منه اختيار الضلال ﴿ويهدى من يشاء﴾ وهو الذي علم منه إختيار الاهداء وفيه دليل خلق الأفعال ووصف الله بالهداية." (١)

"يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شيء قدير يعني أنه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا. قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢): آية ٢٨٥]

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢٨٥)

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال: قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال: قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن. قال الزجاج: لما ذكر الله في هذه السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وأقاصيص الأنبياء وما ذكر من كلام الحكماء ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى صدق الرسول أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند الله عز وجل: والمؤمنون أي وصدق المؤمنون بذلك أيضا كل أي كل واحد من المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فهذه أربع مراتب من أصول الإيمان وضرورياته، فأما الإيمان بالله فهو أن يؤمن بأن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ويؤمن بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي عالم قادر على كل شيء، وأما الإيمان بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله. وأما الإيمان بكتبه فهو أن يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله إلى رسله، وأنها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب، وأن القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير، وأنه مشتمل على المحكم والمتشابه، وأن محكمه يكشف عن متشابهه. وأما الإيمان بالرسل فهو أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه، وأنهم معصومون وأنهم أفضل الخلق، وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى:

لا نفرق بين أحد من رسله. وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ومعنى قوله: لا نفرق بين أحد من رسله فتؤمن ببعض

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٥٦٦

ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله، وفي الآية إضمار تقديره وقالوا: يعني المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا يعني سمعنا قولك وأطعنا أمرك، والمعنى قال المؤمنون: سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به، وأطعناه فيما ألزمنا من فرائضه، واستعبدنا به من طاعته، وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه، غفرانك ربنا أي نسألك غفرانك ربنا، أو يكون المعنى اغفر لنا غفرانك ربنا وإليك المصير يعني قالوا، إليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر ذنوبنا. روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر: «أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه».

قال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير. قوله عز وجل:." (١)

"محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وإن أمره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به ظن الجاهلية أي كظن أهل الجاهلية يقولون يعني المنافقين هل لنا أي مالنا من الأمر شيء وذلك أنه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة وأشار عليه أن لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج وقتل من قتل قيل لعبد الله بن أبي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الأمر شيء وهو استفهام على سبيل الإنكار أي مالنا أمر يطاع. وقيل المراد بالأمر النصر والظفر يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء إنما هو للمشركين قل يا محمد لهؤلاء المنافقين إن الأمر كله لله يعني النصر والظفر والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف أحب يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي أخفوه وهو قوله تعالى حكاية عنهم: يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وذلك أن المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد إلى قتال أهل مكة ولم تقتل رؤساؤنا. وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا. وعن ابن عباس في قوله تعالى: يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم:

«لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا» قيل إن الذي قال هل لنا من الأمر من شيء هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الأمر شيء هو معتب بن قشير قل أي قل يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل أي قضى عليهم القتل وقدر عليهم إلى مضاجعهم يعني مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الآية أن الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم. التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم به عليهم لا بد وأن يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها ولظهر الذين قضى الله عليهم بالقتل وقضاه إلى حيث يقتلون فيه وليبتلي الله ما في صدوركم أي وليختبر ما في صدوركم ليعلمه مشاهدة، كما علمه غيبا لأن المجازاة إنما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي أولياء الله ما في صدوركم فأضاف الابتلاء إليه تعظيما لشأن أوليائه المؤمنين وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة أي يطهرها من الشك **والارتياب** بما يريكم من عجائب صنعه في إلقاء الأمنة وصرف العدو وإظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمؤمنين خاصة. وقيل معناه وليبين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢١٩/١

ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالأشياء الموجودة في الصدور وهي الأسرار والضمائر لأنه عالم بجميع المعلومات. قوله عز وجل:

[سورة آل عمران (٣): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦]

إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (١٥٥) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦)

إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أي انهزموا وهربوا منكم يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين يوم أحد بأحد وكان قد انهزم أكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة عشر رجلا وقيل أربعة عشر من المهاجرين سبعة ومن الأنصار سبعة، فمن المهاجرين أبو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم إنما استزلهم الشيطان أي طلب زلتهم كما يقال استعجله أي طلب عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وذلك بإلقاء الوسوسة في قلوبهم." [1]

"قلت: إن الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة.

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم (٤٩) ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠)

قوله عز وجل: إذ يقول المنافقون يعني من أهل المدينة والذين في قلوبهم مرض أي شك **وارتياب** وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يقو الإسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم إلى بدر فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني أن هؤلاء نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الإسلام على ذلك وحملهم على قتل أنفسهم رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر. وقال مجاهد: إن فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكة وهم على **الارتياب**، فحبسهم **ارتيابهم** فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى: ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم أمره إلى الله ويثق بفضله ويعول على إحسانه فإن الله حافظه وناصره لأنه عزيز لا يغلبه شيء حكيم فيما قضى وحكم فيوصل الثواب إلى أوليائه والعقاب إلى أعدائه.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣١٠/١

قوله عز وجل: ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يعني: ولو عاينت يا محمد وشهدت إذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم وأدبارهم اختلفوا في وقت هذا الضرب، فقيل: هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار. وقيل: إن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم. وقال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم. وقال ابن جريج: يريد، ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعني يضربون جميع أجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل: ذوقوا عذاب الحريق. قيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم. وقال ابن عباس: تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت. وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق.

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٥١ الى ٥٤]

ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (٥١) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب (٥٢) ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم (٥٣) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (٥٤)

ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت أيديكم يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي.." (١)

"والأكمل لا سيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعتذارهم وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به. قال ابن عباس: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة.

قوله سبحانه وتعالى: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم أي في أن يجاهدوا وإنما حسن هذا الحذف لظهوره والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون لمخالفته ويسارعون إلى طاعته إنما يستأذنك يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الإيمان وإنما أضاف الشك **والارتياب** إلى القلب لأنه محل المعرفة والإيمان أيضا فإذا داخله الشك كان ذلك نفاقا فهم في ريبهم يترددون يعني أن المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية. فقيل: إنها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله سبحانه وتعالى إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم وقيل إنها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات أن المؤمنين كانوا يسارعون إلى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فإذا عرض لأحدهم عذرا استأذن في

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٣١٩

التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الإذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر.

[سورة التوبة (٩): الآيات ٤٦ الى ٤٨]

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨)

ولو أرادوا الخروج يعني إلى الغزو معكم لأعدوا له عدة لتهيئوا له بإعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم إلى الغزو معكم فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى أن الله سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وهاهنا يتوجه سؤال وهو أن خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فإن كان فيه مصلحة فلم قال:

ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم، وإن كان فيه مفسدة. فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في أذنه لهم بالقعود والجواب عن السؤال أن خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل أنه تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا، بقي فلم عاتب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فنقول إنه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص وإكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال الله تعالى: لم أذنت لهم؟ وقيل إنما عاتبه لأجل أنه أذن لهم قبل أن يوحي إليه في أمرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه أنهم لما استأذنوه في القعود.

قيل لهم: اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى وأهل الأعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل، قال بعضهم لبعض: اقعدوا مع القاعدين. وقيل: القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل إن القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى بأن ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين إلى الجهاد ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا يعني لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو ما زادوكم إلا فسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة:." (١)

"وقيل: المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لأن المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أنه مكتوب عندهم صفته ونعته فإذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والأول أصح. وقال الضحاك يعني أهل التقوى وأهل الإيمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٦٨/٢

يعلمون صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما أنزلنا إليك ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله يعني بدلائله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني الذين خسروا أنفسهم.

واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك **وارتياب** فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت بهذا أن المراد به غيره والله أعلم.

قوله سبحانه وتعالى إن الذين حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمت ربك يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى: وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة: سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الأزل لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية فإنهم لا يؤمنون بها حتى يروا العذاب الأليم فحينئذ لا ينفعهم شيء قوله سبحانه وتعالى: فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لأن في الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية آمنت يعني عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها يعني في حال اليأس إلا قوم يونس هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فإنهم آمنوا فنفعهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله لما آمنوا يعني لما أخلصوا الإيمان كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين يعني إلى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الأكثرون إنهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون إلا بعد الوقوع أو إذا قرب وقوعه.

((ذكر القصة في ذلك)) على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا: إن قوم يونس كانوا بقرية نينوى من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فإن بات فيكم الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤوسهم. قال ابن عباس: إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك.

وقال مقاتل: قدر ميل، وقال سعيد بن جبير: غشي قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر، وقال وهب: غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فقذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم فلبسوا المسوح وأظهروا الإسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض إلى البعض فحن الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد وعلت الأصوات وعجوا جميعا إلى الله وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة.." (١)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٤٦٥

"على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة، وتعلم علم إنما حصل له ذلك بالوحي السماوي، فازدادوا بذلك إيمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم. ولا يرتاب أي ولا يشك الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون يعني في عددهم وإنما قال ولا يرتاب وإن كان الاستيقان يدل على نفي **الارتياب** ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفي الشك، وذلك أبلغ وآكد لأن فيه تعريضا بحال غيرهم كأنه قال: وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر، والنفاق وليقول الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق والكافرون أي مشركو مكة.

فإن قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال، وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية.

قلت لأنه كان في علم الله تعالى أن النفاق سيحدث فأخبره عما سيكون وهو كسائر الإخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه إخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر، وقيل يحتمل أن يراد بالذين في قلوبهم مرض أهل مكة لأن فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ماذا أراد الله بهذا مثلا يعني أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب، وإنما سموه مثلا لأنه استعارة من المثل المضروب لأنه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العقد واستبعادا له، والمعنى أي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشرة لا عشرين ومرادهم بذلك إنكار هذا من أصله وإنه ليس من عند الله فلهذا سموه مثلا كذلك أي كما أضل من أنكر عدد الخزنة وهدى من صدق به كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء لأن الله تعالى بيده الهداية والإضلال وما يعلم جنود ربك إلا هو هذا جواب لأبي جهل حين قال: أما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر، والمعنى أن الخزنة تسعة عشر، ولهم أعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى خلقوا لتعذيب أهل النار وقيل كما أن مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية، وما هي يعني النار إلا ذكرى للبشر أي إلا تذكرة وموعظة للناس، وقيل ما هي يعني آيات القرآن ومواعظه إلا تذكرة للناس يتعظون بها كلا أي لا يتعظون ولا يتذكرون، وقيل معناه ليس الأمر كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا والقمر.

[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٣٣ الى ٤١]

والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥) نذيرا للبشر (٣٦) لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧)

كل نفس بما كسبت رهينة (٣٨) إلا أصحاب اليمين (٣٩) في جنات يتساءلون (٤٠) عن المجرمين (٤١)

والليل إذ أدبر أي ولى ذاهبا، وقيل دبر بمعنى أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار والصبح إذا أسفر أي أضاء وتبين وهذا قسم وجوابه إنها لإحدى الكبر يعني إن سقر لإحدى الأمور العظام، وقيل أراد بالكبر دركات النار وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نذيرا للبشر قيل يحتمل أن يكون نذيرا صفة للنار، والمعنى أن النار نذير للبشر قال الحسن: والله ما أنذر بشيء أدهى من النار، وقيل يجوز أن يكون نذيرا صفة لله تعالى، والمعنى أنا لكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر أي يتقدم في الخير والطاعة أو يتأخر عنهما فيقع في الشر والمعصية، والمعنى أن الإنذار

قد حصل لكل واحد ممن آمن أو كفر، وقد تمسك بهذه الآية من يرى أن العبد غير مجبور على الفعل وأنه متمكن من فعل نفسه.

وأجيب عنه بأن مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل إضافة المشيئة إلى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى، والمعنى لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر.

قوله تعالى: كل نفس بما كسبت رهينة أي مرتهنة في النار بكسبها ومأخوذة بعملها إلا أصحاب." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العلم العلامة، فريد دهره، ووحيد عصره، أبو عبد الله محمد المدعو بالقاسم بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه، بحرمة النبي الأواه:

الحمد لله العزيز الوهاب، مالك الملوك ورب الأرباب، هو الذي أنزل على عبده الكتاب [الكهف: ١] ، هدى وذكرى لأولي الألباب [المؤمن: ٥٤] ، وأودعه من العلوم النافعة، والبراهين القاطعة: غاية الحكمة وفصل الخطاب وخصصه من الخصائص العلية، واللطائف الخفية، والدلائل الجلية، والأسرار الربانية، العجب بكل عجب عجاب وجعله في الطبقة العليا من البيان، حتى أعجز الإنسان والجان، واعترف علماء أرباب اللسان بما تضمنه من الفصاحة والبراعة والبلاغة والإعراب والإغراب ويسر حفظه في الصدور، وضمن حفظه من التبديل والتغيير، فلم يتغير ولا يتغير على طول الدهور وتوالي الأحقاب وجعله قولا فصلا، وحكما عدلا، وآية بادية، ومعجزة باقية: يشاهدها من شهد الوحي ومن غاب وتقوم بها الحجة للمؤمن الأواب، والحجة على الكافر المرتاب وهدى الخلق بما شرع فيه من الأحكام، وبين الحلال والحرام، وعلم من شعائر الإسلام، وصرف من النواهي والأوامر والمواعظ والزواجر، والبشارة بالثواب، والنذارة بالعقاب، وجعل أهل القرآن أهل الله وخاصته، واصطفاهم من عباده، وأورثهم الجنة وحسن المآب.

فسبحان مولانا الكريم الذي خصنا بكتابه، وشرفنا بخطابه، فيا له من نعمة سابغة، وحجة بالغة، أوزعنا الله الكريم القيام بواجب شكرها، وتوفية حقها، ومعرفة قدرها، وما توفيقي إلا بالله [هود: ٨٨] ، هو ربي لا إله إلا هو، عليه توكلت وإليه متاب [الرعد: ٣٠] .

وصلاة الله وسلامه، وتحياته وبركاته وإكرامه، على من دلنا على الله، وبلغنا رسالة الله، وجاءنا بالقرآن العظيم، وبالآيات والذكر الحكيم، وجاهد في الله حق الجهاد، وبذل جهده في الحرص على نجاة العباد، وعلم ونصح وبين وأوضح حتى قامت الحجة، ولاحت المحجة، وتبين الرشد من الغي، وظهر طريق الحق والصواب، وانقشعت ظلمات الشك **والارتياب**. ذلك: سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي، القرشي الهاشمي، المختار من لباب اللباب، والمصطفى من أطهر الأنساب، وأشرف الأحساب، الذي أيده الله بالمعجزات الظاهرة والجنود القاهرة، والسيوف الباترة الغضاب، وجمع له بين شرف الدنيا والآخرة، وجعله قائدا للغر المحجلين والوجوه الناضرة، فهو أول من يشفع يوم الحساب، وأول من يدخل الجنة ويقرع الباب، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وأصحابه الأكرمين، خير أهل." (٢)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٦٦/٤

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٩/١

"بضم الهاء، وكذلك إليه وعليه وبه ونصله ونوله وما أشبه ذلك حيث وقع على الأصل. وقرأ ابن أبي إسحاق: فهو بضم الهاء ووصلها بواو، وجوزوا في قوله: أن يكون خبرا للا على مذهب الأخفش، وخبرا لها مع اسمها على مذهب سيبويه، أن يكون صفة والخبر محذوف، وأن يكون من صلة ريب بمعنى أنه يضمر عامل من لفظ ريب فيتعلق به، إلا أنه يكون متعلقا بنفس لا ريب، إذ يلزم إذ ذاك إعرابه، لأنه يصير اسم لا مطولا بمعموله نحو لا ضاربا زيدا عندنا، والذي نختاره أن الخبر محذوف لأن الخبر في باب لا العاملة عمل إن إذا علم لم تلفظ به بنو تميم، وكثر حذفه عند أهل الحجاز، وهو هنا معلوم، فأحمله على أحسن الوجوه في الإعراب، وإدغام الباء من لا ريب في فاء فيه مروي عن أبي عمرو، والمشهور عنه الإظهار، وهي رواية اليزيدي عنه. وقد قرأته بالوجهين على الأستاذ أبي جعفر بن الطباع بالأندلس، ونفي الريب يدل على نفي الماهية، أي ليس مما يحله الريب ولا يكون فيه، ولا يدل ذلك على نفي **الارتياب** لأنه قد وقع **ارتياب** من ناس كثيرين. فعلى ما قلناه لا يحتاج إلى حمله على نفي التعليق والمظنة، كما حمله الزمخشري، ولا يرد علينا قوله تعالى: وإن كنتم في ريب «١»

لاختلاف الحال والمحل، فالحال هناك المخاطبون، والريب هو المحل، والحال هنا منفي، والمحل الكتاب، فلا تنافي بين كونهم في ريب من القرآن وكون الريب منفيا عن القرآن.

وقد قيد بعضهم الريب فقال: لا ريب فيه عند المتكلم به، وقيل هو عموم يراد به الخصوص، أي عند المؤمنين، وبعضهم جعله على حذف مضاف، أي لا سبب فيه لوضوح آياته وإحكام معانيه وصدق أخباره. وهذه التقادير لا يحتاج إليها. واختيار الزمخشري أن فيه خبر، وبذلك بنى عليه سؤالا وهو أن قال: هلا قدم الظرف على الريب كما قدم على القول في قوله تعالى: لا فيها غول «٢» ؟ وأجاب: بأن التقديم يشعر بما يبعد عن المراد، وهو أن كتابا غيره فيه الريب، كما قصد في قوله: لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي، كأنه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة. وقد انتقل الزمخشري من دعوى الاختصاص بتقديم المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر، ولا نعلم أحدا يفرق بين: ليس في الدار رجل، وليس رجل في الدار، وعلى ما ذكر من أن خمر الجنة لا يغتال، وقد وصفت بذلك العرب خمر الدنيا، قال علقمة بن عبدة:

---

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٣.

(٢) سورة الصافات: ٣٧/ ٤٧.." [1]

"بالفاعل، نحو: أنزل المطر، وبناؤهما للفاعل في قراءة النخعي، وأبي حيوة، ويزيد بن قطيب، فاعله مضمر، قيل: الله أو جبريل. قالوا: وقوة الكلام تدل على ذلك وهو عندي من الالتفات لأنه تقدم قوله: ومما رزقناهم، فخرج من ضمير المتكلم إلى ضمير الغيبة، إذ لو جرى على الأول لجاء بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، وجعل صلة ما الأولى ماضية لأن أكثره كان نزل بمكة والمدينة، فأقام الأكثر مقام الجميع، أو غلب الموجود لأن الإيمان بالمتقدم الماضي يقتضي الإيمان

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦٣/١

بالمتأخر، لأن موجب الإيمان واحد. وأما صلة الثانية فمتحققة المضي ولم يعد حرف الجر فيما الثانية ليدل أنه إيمان واحد، إذ لو أعاد لأشعر بأنهما إيمانان.

وبالآخرة: تقدم أن المعني بها الدار الآخرة للتصريح بالموصوف في بعض الآي، وحمله بعضهم على النشأة الآخرة، إذ قد جاء أيضا مصرحا بهذا الموصوف، وكلاهما يدل على البعث. وأكد أمر الآخرة بتعلق الإيقان بها الذي هو أجلى وآكد مراتب العلم والتصديق، وإن كان في الحقيقة لا تفاوت في العلم والتصديق دفعا لمجاز إطلاق العلم، ويراد به الظن، فذكر أن الإيمان والعلم بالآخرة لا يكون إلا إيقانا لا يخالطه شيء من الشك **والارتياب**. وغاير بين الإيمان بالمنزل والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة التكرار، وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحابها على خلاف النشأة الدنيوية ورؤية الله تعالى. فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل، فلذلك خص بلفظ الإيقان، ولأن المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهد أو كالمشاهد، والآخرة غيب صرف، فناسب تعليق اليقين بما كان غيبا صرفا. قالوا: والإيقان هو العلم الحادث سواء كان ضروريا أو استدلاليا، فلذلك لا يوصف به الباري تعالى، ليس من صفاته الموقن وقدم المجرور اعتناء به ولتطابق الأواخر. وإيراد هذه الجملة اسمية وإن كانت الجملة معطوفة على جملة فعلية آكد في الإخبار عن هؤلاء بالإيقان، لأن قولك: زيد فعل آكد من فعل زيد لتكرار الاسم في الكلام بكونه مضمرا، وتصديره مبتدأ يشعر بالاهتمام بالمحكوم عليه، كما أن التقديم للفعل مشعر بالاهتمام بالمحكوم به. وذكر لفظة هم في قوله: هم يوقنون، ولم يذكر لفظة هم في قوله: ومما رزقناهم ينفقون لأن وصف إيقانهم بالآخرة أعلى من وصفهم بالإنفاق، فاحتاج هذا إلى التوكيد ولم يحتج ذلك إلى تأكيد، ولأنه لو ذكرهم هناك لكان فيه قلق لفظي، إذ كان يكون ومما رزقناهم هم." (١)

"من المعاني السببية التي تحصل في القلب سبعة وعشرون مرضا، وهي: الرين، والزيغ، والطبع، والصرف، والضيق، والحرج، والختم، والإقفال، والإشراب، والرعب، والقساوة، والإصرار، وعدم التطهير، والنفور، والاشمئزاز، والإنكار، والشكوك، والعمى، والإبعاد بصيغة اللعن، والتأبي، والحمية، والبغضاء، والغفلة، والغمزة، واللهو، **والارتياب**، والنفاق. وظاهر آيات القرآن تدل على أن هذه الأمراض معان تحصل في القلب فتغلب عليه، وللقلب أمراض غير هذه من الغل والحقد والحسد، ذكرها الله تعالى مضافة إلى جملة الكفار. والزيادة تجاوز المقدار المعلوم، وعلم الله محيط بما أضمروه من سوء الاعتقاد والبغض والمخادعة، فهو معلوم عنده، كما قال تعالى: وكل شيء عنده بمقدار «١» ، وفي كل وقت يقذف في قلوبهم من ذلك القدر المعلوم شيئا معلوم المقدار عنده، ثم يقذف بعد ذلك شيئا آخر، فيصير الثاني زيادة على الأول، إذا لو لم يكن الأول معلوم المقدار لما تحققت الزيادة، وعلى هذا المعنى يحمل: فزادتهم رجسا إلى رجسهم «٢» . وزيادة المرض إما من حيث أن ظلمات كفرهم تحل في قلوبهم شيئا فشيئا، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: ظلمات بعضها فوق بعض «٣» ، أو من حيث أن المرض حصل في قلوبهم بطريق الحسد أو الهم، بما يجدد الله سبحانه لدينه من علو الكلمة ولرسوله وللمؤمنين من النصر ونفاذ الأمر، أو لما يحصل في قلوبهم من الرعب، وإسناد الزيادة إلى الله تعالى إسناد حقيقي بخلاف

---

(١) البحر المحيط في التفسير   أبو حيّان الأندلسي ٧١/١

الإسناد في قوله تعالى: فزادتهم رجسا إلى رجسهم، أيكم زادته هذه إيمانا «٤» .

وقالت المعتزلة: لا يجوز أن تكون زيادة المرض من جنس المزيد عليه، إذ المزيد عليه هو الكفر، فتأولوا ذلك على أن يحمل المرض على الغم لأنهم كانوا يغتمون بعلو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على منع زيادة الألطاف، أو على ألم القلب، أو على فتور النية في المحاربة لأنهم كانت أولا قلوبهم قوية على ذلك، أو على أن كفرهم كان يزداد بسبب ازدياد التكليف من الله تعالى. وهذه التأويلات كلها إنما تكون إذا كان قوله: فزادهم الله مرضا خبرا، وأما إذا كان دعاء فلا، بل يحتمل أن يكون الدعاء حقيقة فيكون دعاء بوقوع زيادة المرض، أو مجازا فلا تقصد به الإجابة لكون المدعو به واقعا، بل المراد به السب

---

(١) سورة الرعد: ١٣/ ٨.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ١٢٥.

(٣) سورة النور: ٢٤/ ٤٠.

(٤) سورة التوبة: ٩/ ١٢٤.." [1]

"العبودية، ورفع محله وإضافته إلى نفسه تعالى، واسم العبد عام وخاص، وهذا من الخاص:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... لأنه أشرف أسمائي

ومن قرأ: على عبادنا بالجمع، فقيل: يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته، قاله الزمخشري، وصار نظير قوله تعالى: أن يقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا «١» ، لأن جدوى المنزل والهداية الحاصلة به من امتثال التكاليف، والموعود على ذلك لا يختص بل يشترك فيه المتبوعون والتباع، فجعل كأنه نزل عليهم. وذلك نوع من المجاز يجعل فيه من لم يباشر الشيء إذا كان مكلفا به منزلة من باشر، ويحتمل أن يريد به النبيين الذين أنزل عليهم الوحي، والكتب والرسول أول مقصود بذلك، وأسبق داخل في العموم، لأنه هو الذي طلب معاندوه بالتحدي في كتابه، ويكون ذلك خطابا لمنكري النبوات، كما قال تعالى، حكاية عن بعضهم: وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء «٢» . ويحتمل أن يراد بالمفرد الجمع. وتبينه هذه القراءة كقوله تعالى: واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار «٣» ، في قراءة من أفرد، فيكون إذ ذاك للجنس.

فأتوا بسورة: طلب منهم الإتيان بمطلق سورة، وهي القطعة من القرآن التي أقلها ثلاث آيات، فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فتعنتوا في ذلك، بل سهل عليهم وأراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ما، وهذا هو غاية التبكيت والتخجيل لهم. فإذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدوكم بالإتيان بسورة من مثله، فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم؟ وكيف يلحقكم في ذلك ارتياب أنه من عند الله؟

وقد تعرض الزمخشري هنا لذكر فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا، وليس ذلك من علم التفسير، وإنما هو من فوائد التفصيل

---

(١) البحر المحيط في التفسير   أبو حيّان الأندلسي ٩٦/١

والتسوير. من مثله: الهاء عائدة على ما، أو على عبدنا، والراجح الأول وهو قول أكثر المفسرين ورجحانه من وجوه: أحدها: أن الارتياب أولا إنما جيء به منصبا على المنزل لا على المنزل عليه، وإن كان الريب في المنزل ريبا في المنزل عليه بالالتزام، فكان عود الضمير عليه أولى. الثاني: أنه قد جاء في نظير هذه

---

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١٥٦.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ٩١.

(٣) سورة ص: ٣٨/ ٤٥.." [1]

"عيسى بنفخه، ورباه في جميع الأحوال، وكان يسير معه حيث سار، وكان معه حيث صعد إلى السماء.

أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم: الهمزة أصلها للاستفهام، وهي هنا للتوبيخ والتقريع. والفاء لعطف الجملة على ما قبلها، واعتني بحرف الاستفهام فقدم، والأصل فأكلما. ويحتمل أن لا يقدر قبلها محذوف، بل يكون العطف على الجمل التي قبلها، كأنه قال: ولقد آتينا يا بني إسرائيل، آتيناكم ما آتيناكم. فكلما جاءكم رسول.

ويحتمل أن يقدر قبلها محذوف، أي فعلتم ما فعلتم من تكذيب فريق وقتل فريق. وقد تقدم الكلام على كلما في قوله تعالى: كلما رزقوا منها «١» ، فأغنى عن إعادته. والناصب لها قوله: استكبرتم. والخطاب في جاءكم يجوز أن يكون عاما لجميع بني إسرائيل، إذ كانوا على طبع واحد من سوء الأخلاق، وتكذيب الرسل، وكثرة سؤالهم لأنبيائهم، والشك والارتياب فيما أتوهم به، أو يكون عائدا إلى أسلافهم الذين فعلوا ذلك. وسياق الآيات يدل عليه أو إلى من بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبنائهم، لأنهم راضون بفعلهم، والراضي كالفاعل. وقد كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وسقوه السم ليقتلوه، وسحروه. وبما:

متعلق بقوله: جاءكم، وما موصولة، والعائد محذوف، أي لا تهواه. وأكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق، ومنه هذه الآية. وأسند الهوى إلى النفس، ولم يسند إلى ضمير المخاطب، فكان يكون بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة، إن النفس لأمارة بالسوء «٢» ، فطوعت له نفسه قتل أخيه «٣» ، قال بل سولت لكم أنفسكم «٤» .

استكبرتم: استفعل هنا: بمعنى تفعل، وهو أحد معاني استفعل.

وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بأنه سفه الحق وغمط الناس.

والمعنى قيل: استكبرتم عن إجابته احتقارا للرسول. أو استبعادا للرسالة، وفي ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذي هو محل النقائص ونتيجة الإعجاب. وهو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق، وإن ذلك كان يتكرر منهم بتكرر مجيء الرسل إليهم، وهو كما ذكرنا استكبار بمعنى التكبر، وهو مشعر بالتكلف والتفعل، لذلك لا أنهم يصيرون بذلك كبراء عظماء، بل يتفعلون ذلك ولا يبلغون حقيقته، لأن الكبرياء إنما هي لله تعالى، فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٦٩/١

(١) سورة البقرة: ٢/ ٢٥.

(٢) سورة يوسف: ١٢/ ٥٣.

(٣) سورة المائدة: ٥/ ٣٠.

(٤) سورة يوسف: ١٢/ ١٨.." [١]

"قد بينا الآيات لقوم يوقنون: أي أوضحنا الآيات، فاقتراح آية مع تقدم مجيء آيات وإيضاحها، إنما هو على سبيل التعنت. هذا، وهي آيات مبينات، لا لبس فيها، ولا شبهة، لشدة إيضاحها. لكن لا يظهر كونها آيات إلا لمن كان موقنا، أما من كان في **ارتياب**، أو شك، أو تغافل، أو جهل، فلا ينفع فيه الآيات، ولو كانت في غاية الوضوح.

ألا ترى إلى قولهم: إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون «١» ؟ وقول أبي جهل، وقد سأل أهل البوادي الوافدين إلى مكة عن انشقاق القمر، فأخبروه به، فقال بعد ذلك:

هذا سحر مستمر. ولما ذكر أن اقتراح ما تقدم إنما هو من أهواء الذين لا يعلمون، قال في آخرها: لقوم يوقنون. والإيقان: وصف في العلم يبلغ به نهاية الوثاقة في العلم، أي من كان موقنا، فقد أوضحنا له الآيات، فآمن بها، ووضحت عنده، وقامت به الحجة على غيره. وفي جمع الآيات رد على من اقترح آية، إذ الآيات قد بينت، فلم يكن آية واحدة، فيمكن أن يدعى الالتباس فيها، بل ذلك جمع آيات بينات، لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم والتبصر واليقين.

إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا: بشيرا لمن آمن، ونذيرا لمن كفر. وهذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر أنه بين الآيات، ذكر من بينت على يديه، فأقبل عليه وخاطبه صلى الله عليه وسلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال: إنا أرسلناك بالحق، أي بالآيات الواضحة، وفسر الحق هنا بالصدق وبالقرآن وبالإسلام. وبالحق في موضع الحال، أي أرسلناك ومعك الحق لا يزايلك. وانتصاب بشيرا ونذيرا على الحال من الكاف، ويحتمل أن يكون حالا من الحق، لأن ما جاء به من الحق يتصف أيضا بالبشارة والنذارة. والأظهر الأول. وعدل إلى فعيل للمبالغة، لأن فعيلا من صفات السجايا، والعدل في بشير للمبالغة، مقيس عند سيبويه، إذا جعلناه من بشر لأنهم قالوا بشر مخففا، وليس مقيسا في نذير لأنه من أنذر، ولعل محسن العدل فيه كونه معطوفا على ما يجوز ذلك فيه، لأنه قد يسوغ في الكلمة مع الاجتماع مع ما يقابلها ما لا يسوغ فيها لو انفردت، كما قالوا: أخذه ما قدم وما حدث وشبهه.

ولا تسئل عن أصحاب الجحيم: قراءة الجمهور: بضم التاء واللام. وقرأ أبي:

---

(١) سورة الحجر: ١٥/ ١٥. [.....]."[٢]

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٨٢/١

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٨٨/١

"أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين، فما وجه صحة ذلك؟

قلت: ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك، وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا، وذلك أن المراد بقوله: وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا: وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر، لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين، أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزىء ولا يذعن إذعان المؤمن، وإن خفي عليه وجه الحكمة، كأنه قيل: ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين. انتهى، وهو سؤال عجيب وجواب فيه تحريف كتاب الله تعالى، إذ زعم أن معنى إلا فتنة للذين كفروا: إلا تسعة عشر، وهذا لا يذهب إليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وكفى ردا عليه تحريف كتاب الله ووضع ألفاظ مخالفة لألفاظ ومعنى مخالف لمعنى.

وقيل: ليستيقن متعلق بفعل مضمر، أي فعلنا ذلك ليستيقن. ولا يرتاب: توكيد لقوله ليستيقن، إذ إثبات اليقين ونفي **الارتياب** أبلغ وآكد في الوصف لسكون النفس السكون التام.

والذين في قلوبهم مرض، قال الحسين بن الفضل: السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما المرض في الآية: الاضطراب وضعف الإيمان. وقيل: هو إخبار بالغيب، أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة: ماذا أراد الله بهذا مثلا. لما سمعوا هذا العدد لم يهتدوا وحاروا، فاستفهم بعضهم بعضا عن ذلك استبعادا أن يكون هذا من عند الله، وسموه مثلا استعارة من المثل المضروب استغرابا منهم لهذا العدد، والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله، وتقدم إعراب مثل هذه الجملة في أوائل البقرة.

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر، كلا والقمر، والليل إذ أدبر، والصبح إذا أسفر، إنها لإحدى الكبر، نذيرا للبشر، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر، كل نفس بما كسبت رهينة، إلا أصحاب اليمين، في جنات يتساءلون، عن المجرمين، ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين، فما تنفعهم شفاعة الشافعين، فما لهم عن التذكرة معرضين، كأنهم حمر مستنفرة، فرت من قسورة، بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة، كلا بل." (١)

"الشريف الذي هو الإيمان، ولم يأت، حتى يقول الرسول وهم، وهذا يدل على حذف ذلك الموصوف الذي قدرناه قبل مثل محنة المؤمنين الذين خلوا.

قال ابن عطية: وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول، والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر، لا على شك ولا **ارتياب**، والرسول اسم الجنس، وذكره الله تعظيما للنازلة التي دعت الرسول إلى هذا القول. انتهى كلامه.

واللائق بأحوال الرسل هو القول الذي ذكرنا أنه يقتضيه النظر، والرسول كما ذكر ابن عطية اسم الجنس لا واحد بعينه، وقيل: هو اليسع، وقيل: هو شعيبا، وعلى هذا يكون الذين خلوا قوما بأعيانهم، وهم أتباع هؤلاء الرسل.

وحكى بعض المفسرين أن الرسول هنا هو محمد صلى الله عليه وسلم، وأن: الزلزلة، هنا مضافة لأمته، ولا يدل على ما ذكر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٣٤/١٠

سياق الكلام، وعلى هذا القول قال بعضهم، وفي هذا الكلام إجمال، وتفصيله أن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: متى نصر الله؟ فقال الرسول: ألا إن نصر الله قريب.

فتلخص من هذه النقول أن مجموع الجملتين من كلام الرسول والمؤمنين على سبيل التفصيل، أو على سبيل أن: الرسول والمؤمنون قال كل منهما الجملتين، فكأنهم قالوا: قد صبرنا ثقة بوعدك، أو: على أن الجملة الأولى من كلام الرسول والمؤمنين، والثانية من كلام الله تعالى.

ولما كان السؤال بمتى يشير إلى استعلام القرب، تضمن الجواب القرب، وظاهر هذا الإخبار أن قرب النصر هو: ينصرون في الدنيا على أعدائهم ويظفرون بهم، كقوله تعالى: جاءهم نصرنا «١» وإذا جاء نصر الله والفتح «٢» .

وقال ابن عباس: النصر في الآخرة لأن المؤمن لا ينفك عن الابتلاء، ومتى انقضى حرب جاءه آخر، فلا يزال في جهاد العدو، والأمر بالمعروف، وجهاد النفس إلى الموت.

وفي وصف أحوال هؤلاء الذين خلوا ما يدل على أنا يجري لنا ما جرى لهم، فنتأسى بهم، وننتظر الفرج من الله والنصر، فإنهم أجيبوا لذلك قريبا.

---

(١) سورة يوسف: ١٢/ ١١.

(٢) سورة النصر: ١١٠/ ١..." [١]

"أبو السمال: لعلمه بسكون اللام. قال ابن عطية: وذلك مثل شجر بينهم انتهى. وليس مثله لأن تسكين علم قياس مطرد في لغة تميم، وشجر ليس قياسا مطردا، إنما هو على سبيل الشذوذ. وتسكين علم مثل التسكين في قوله:

فإن تبله يضجر كما ضجر بازل ... من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا هذا خطاب للمؤمنين باتفاق من المتأولين قاله: ابن عطية. قال: والمعنى لولا هداية الله لكم وإرشاده لبقيتم على كفركم وهو اتباع الشيطان. وقيل: الفضل الرسول. وقيل: الإسلام. وقيل: القرآن.

وقيل: في الرحمة أنها الوحي. وقيل: اللطف. وقيل: النعمة. وقيل: التوفيق. والظاهر أن الاستثناء هو من فاعل اتبعتم. قال الضحاك: هدى الكل منهم للإيمان، فمنهم من تمكن فيه حتى لم يخطر له قط خاطر شك، ولا عنت له شبهة **ارتياب**، وذلك هو القليل، وسائر من أسلم من العرب لم يخل من الخواطر، فلولا فضل الله بتجريد الهداية لهم لضلوا واتبعوا الشيطان، ويكون الفضل معينا أي: رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، لأن الكل إنما هدي بفضل الله على الإطلاق.

وقال قوم: إلا قليلا إشارة إلى من كان قبل الإسلام غير متبع للشيطان على ملة إبراهيم، أدركوا بعقولهم معرفة الله ووحدوه قبل أن يبعث الرسول، كزيد بن عمرو بن نفيل أدرك فساد ما عليه اليهود والنصارى والعرب، فوحد الله وآمن به، فعلى هذا يكون استثناء منقطعا إذ ليس مندرجا في المخاطبين بقوله: لاتبعتم.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٧٥/٢

وقال قوم: الاستثناء إنما هو من الاتباع، فقدره الزمخشري: إلا اتباعا قليلا، فجعله مستثنى من المصدر الدال عليه الفعل وهو لاتبعتم. وقال ابن عطية: في تقدير أن يكون استثناء من الاتباع قال: أي لاتبعتم الشيطان كلكم إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها، ففسره في الاستثناء بالمتبع فيه، فيكون استثناء من المتبع فيه المحذوف لا من الاتباع، ويكون استثناء مفرعا، والتقدير: لا تبعتم الشيطان في كل شيء إلا قليلا من الأشياء فلا تتبعونه فيه. فإن كان ابن عطية شرح من حيث المعنى فهو صحيح، لأنه يلزم من الاستثناء الاتباع القليل أن يكون المتبع فيه قليلا، وإن كان شرح من حيث الصناعة النحوية فليس بجيد، لأن قوله: إلا اتباعا قليلا، لا يرادف إلا قليلا من الأمور كنتم لا تتبعونه فيها. وقال قوم: قوله إلا قليلا عبارة عن العدم، يريد: لاتبعتم الشيطان كلكم. قال ابن عطية: وهذا." (١)

"والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لما ذكر مأوى الكفار، ذكر مأوى المؤمنين، وأسند الفعل إلى نون العظمة، اعتناء بأنه تعالى هو الذي يتولى إدخالهم الجنة وتشريفا لهم. وقرئ: سيدخلهم بالياء. ولما رتب تعالى مصير من كان تابعا لإبليس إلى النار لإشراكه وكفره وتغيير أحكام الله تعالى، رتب هنا دخول الجنة على الإيمان وعمل الصالحات.

وعد الله حقا لما ذكر أن وعد الشيطان هو غرور باطل، ذكر أن هذا الوعد منه تعالى هو الحق الذي لا **ارتياب** فيه، ولا شك في إنجازه. والذين مبتدأ، وسيدخلهم الخبر. ويجوز أن يكون من باب الاشتغال أي: وسندخل الذين آمنوا سندخلهم. وانتصب وعد الله حقا على أنه مصدر مؤكد لغيره، فوعد الله مؤكدا لقوله: سيدخلهم، وحقا مؤكد لوعد الله.

ومن أصدق من الله قيلا القيل والقول واحد، أي: لا أحد أصدق قولا من الله.

وهي جملة مؤكدة أيضا لما قبلها. وفائدة هذه التواكيد المبالغة فيما أخبر به تعالى عباده المؤمنين، بخلاف مواعيد الشيطان وأمانيه الكاذبة المخلفة لأمانيه.

ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قال ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح، ومسروق، وقتادة، والسدي، وغيرهم: الخطاب للأمة. قال بعضهم: اختلفوا مع قوم من أهل الكتاب فقالوا: ديننا أقدم من دينكم. وأفضل، فنبينا قبل نبيكم. وقال المؤمنون: كتابنا يقضي على الكتب، ونبينا خاتم الأنبياء، ونحو هذا من المحاورة فنزلت. وقال مجاهد وابن زيد: الخطاب لكفار قريش، وذلك أنهم قالوا: لن نبعث ولن نعذب، وإنما هي حياتنا لنا فيها النعيم، ثم لا عذاب. وقالت اليهود: نحن أبناء الله وأحباؤه. إلى نحو هذا من الأقوال كقولهم:

لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى «١» فرد الله تعالى على الفريقين.

وقال الزمخشري في ليس: ضمير وعد الله، أي: ليس ينال ما وعد الله من الثواب بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب. والخطاب للمسلمين، لأنه لا يتمنى وعد الله إلا من آمن به، ولذلك ذكر أهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الإيمان. وعن الحسن: ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل. إن قوما ألهتهم أماني المغفرة

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٧٢٩

(١) سورة البقرة: ٢/ ١١١.." (١)

"العدول إلى آخرين من غير الملة أو القرابة إنما يكون مع ضرورة السفر وحلول الموت فيه إلى آخر كلامه، فظهر منه أن تقدير جواب الشرط هو إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فاستشهدوا آخرين من غيركم أو فالشاهدان آخران من غيركم، والظاهر أن الشرط قيد في شهادة اثنين ذوي عدل من المؤمنين أو آخرين من غير المؤمنين فيكون مشروعية الوصية للضارب في الأرض المشارف على الموت أن يشهد اثنين، ويكون تقدير الجواب: إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت فاستشهدوا اثنين إما منكم وإما من غيركم، ولا يكون الشرط إذ ذاك قيدا في آخرين من غيرنا فقط، بل هو قيد فيمن ضرب في الأرض وشارف الموت فيشهد اثنان منا أو من غيرنا.

وقال ابن عباس في الكلام محذوف تقديره فأصابتكم مصيبة الموت وقد استشهدتموهما على الإيصاء، وقال ابن جبير تقديره وقد أوصيتم. قيل وهذا أولى لأن الشاهد لا يحلف والموصى يحلف. ومعنى تحبسونهما تستوثقونهما لليمين والخطاب لمن يلي ذلك من ولاة الإسلام، وضمير المفعول عائد في قول على آخرين من غير المؤمنين وظاهر عوده على اثنين منا أو من غيرنا سواء كانا وصيين أو شاهدين، وظاهر قوله من بعد الصلاة أن الألف واللام للجنس أو من بعد أي صلاة، وقد قيل بهذا الظاهر وخص ذلك ابن عباس بصلاة دينهما وذلك تغليظ في اليمين، وقال الحسن بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما، وقال الجمهور هي صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا وتميما بعد العصر عند المنبر ورجح هذا القول بفعله صلى الله عليه وسلم

وبقوله في الصحيح: «من حلف على يمين كاذبة بعد العصر لقي الله وهو عليه غضبان» .

وبأن التحليف كان معروفا بعدهما فالتقييد بالمعروف يغني عن التقييد باللفظ وبأن جميع الأديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله فيه فتكون الألف واللام في هذا القول للعهد وكذا في قول الحسن.

فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ظاهره تقييد حلفهما بوجود **الارتياب** فمتى لم توجد الريبة فلا تحليف.

وينبغي أن يحمل تحليف أبي موسى لليهوديين اللذين استشهدهما مسلم توفي على وصيته على أنه وقعت ريبة وإن لم يذكر ذلك في قصة ذلك المسلم، والفاء في قوله فيقسمان عاطفة هذه الجملة على قوله تحبسونهما هذا هو الظاهر. وقال أبو علي وإن شئت لم تقدر الفاء لعطف جملة ولكن تجعله جزاء كقول ذي الرمة:

وإنسان عيني يحسر الماء تارة ... فيبدو وتارات يجم فيغرق." (٢)

"النفاق. وقال أبو عبد الله الرازي: جعل نفس البنيان ريبة لكونه سببا لها أنه لما أمر بتخريب ما فرحوا ببنائه ثقل ذلك عليهم، وازداد بعضهم له، **وارتيابهم** في نبوته، أو اعتقدوا هدمه من أجل الحسد، فارتفع إيمانهم وخافوا الإيقاع بهم قتلا

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٤/٤

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٩٥/٤

ونهبا، أو بقوا شاكين: أيغفر الله لهم تلك المعصية؟ انتهى، وفيه تلخيص.
وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص: إلا أن تقطع قلوبهم بفتح التاء أي: يتقطع، وباقي السبعة بالضم، مضارع قطع مبنيا للمفعول. وقرىء يقطع بالتخفيف. وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، ويعقوب: إلى أن نقطع، وأبو حيوة إلى أن تقطع بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة، ونصب قلوبهم خطابا للرسول أي: تقتلهم، أو فيه ضمير الريبة. وفي مصحف عبد الله: ولو قطعت قلوبهم، وكذلك قرأها أصحابه. وحكى أبو عمرو هذه القراءة: إن قطعت بتخفيف الطاء. وقرأ طلحة: ولو قطعت قلوبهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم، أو كل مخاطب. وفي مصحف أبي: حتى الممات، وفيه حتى تقطع. فمن قرأ بضم التاء وكسر الطاء ونصب القلوب فالمعنى: بالقتل. وأما على من قرأه مبنيا للمفعول، فقال ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم: بالموت أي: إلى أن يموتوا. وقال عكرمة: إلى أن يبعث من في القبور. وقال سفيان: إلى أن يتوبوا عما فعلوا، فيكونون بمنزلة من قطع قلبه. قال ابن عطية: وليس هذا بظاهر، إلا أن يتأول أن يتوبوا توبة نصوحا يكون معها من الندم والحسرة ما يقطع القلوب هما. وقال الزمخشري: لا يزال بيديه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم، لا يزال وسمه في قلوبهم ولا يضمحل أمره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء، فحينئذ يسألون عنه، وأما ما دامت سليمة مجتمعة فالريبة قائمة فيها متمكنة. ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم، أو في القبور، أو في النار. وقيل: معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم. والله عليم بأحوالهم، حكيم فيما يجري عليهم من الأحكام، أو عليم بنياتهم، حكيم في عقوباتهم.
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم:
نزلت في البيعة الثانية وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وكان أصغرهم سنا عقبة بن عمرو.
وذلك أنهم اجتمعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"محذوف تقديره أعثرنا عليهم أهل مدينتهم، والكاف في وكذلك للتشبيه والتقدير وكما أنمناهم بعثناهم لما في ذلك الحكمة أطلعنا عليهم، والضمير في ليعلموا عائد على مفعول أعثرنا وإليه ذهب الطبري.
ووعد الله هو البعث لأن حالتهم في نومهم وانتباهتهم بعد المدة المتطاولة كحال من يموت ثم يبعث ولا ريب فيها أي لا شك ولا **ارتياب** في قيامها والمجازاة فيها، وكان الذين أعثروا على أهل الكهف قد دخلتهم فتنة في أمر الحشر وبعث الأجساد من القبور، فشك في ذلك بعض الناس واستبعدوه. وقالوا: تحشر الأرواح فشق على ملكهم وبقي حيران لا يدري كيف يبين أمره لهم حتى لبس المسوح وقعد على الرماد، وتضرع إلى الله في حجة وبيان، فأعثر الله على أهل الكهف، فلما بعثهم الله تعالى وتبين الناس أمرهم سر الملك ورجع من كان شك في أمر بعث الأجساد إلى اليقين، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله إذ يتنازعون بينهم أمرهم وإذ معمولة لأعثرنا أو ليعلموا. وقيل: يحتمل أن يعود الضمير في وليعلموا على أصحاب الكهف،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥/٥٠٨

أي جعل الله أمرهم آية لهم دالة على بعث الأجساد من القبور. وقوله إذ يتنازعون على هذا القول ابتداء خبر عن القوم الذين بعثوا على عهدهم، والتنازع إذ ذاك في أمر البناء والمسجد لا في أمر القيامة.
وقيل: التنازع إنما هو في أن اطلعوا عليهم. فقال بعض: هم أموات. وقال بعض:
هم أحياء. وروي أن الملك وأهل المدينة انطلقوا مع تمليخا إلى الكهف وأبصروهم ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم، وتوفى الله أنفسهم وألقى الملك عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج، وبني على باب الكهف.
والظاهر أن قوله ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين داخل تحت القول أي أمروا بالبناء وأخبروا بمضمون هذه الجملة كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم، ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا ربهم أعلم بهم. وقيل: يحتمل أن يكون من كلام الله تعالى رد القول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، والذين غلبوا. قال قتادة: هم الولاة.
روي أن طائفة ذهبت إلى أن يطمس الكهف عليهم ويتركوا فيه مغيبين، وقالت الطائفة الغالبة: لنتخذن عليهم مسجدا فاتخذوه.
وروي أن التي دعت إلى البنيان كانت كافرة أرادت بناء بيعة أو مصنع لكفرهم." (١)

"وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»
.

وكذلك: أي مثل ذلك الإنزال الذي للكتب السابقة، أنزلنا إليك الكتاب: أي القرآن. فالذين آتيناهم الكتاب هم: عبد الله بن سلام ومن آمن معه. ومن هؤلاء: أي من أهل مكة. وقيل: فالذين آتيناهم الكتاب: أي الذين تقدموا عهد الرسول، يؤمنون به: أي بالقرآن، إذ هو مذكور في كتبهم أنه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن هؤلاء: أي ممن في عهده منهم. وما يجحد بآياتنا، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها، إلا الكافرون: أي من بني إسرائيل وغيرهم.
قال مجاهد: كان أهل الكتاب يقرأون في كتبهم أن محمدا عليه السلام، لا يخط ولا يقرأ كتابا، فنزلت
: وما كنت تتلوا من قبله: أي من قبل نزوله عليك، من كتاب:
أي كتابا، ومن زائدة لأنها في متعلق النفي، ولا تخطه: أي لا تقرأ ولا تكتب، بيمينك: وهي الجارحة التي يكتب بها، وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة، لما ذكر إنزال الكتاب عليه، متضمنا من البلاغة والفصاحة والإخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر أن يأتوا بسورة مثله. أخذ يحقق، كونه نازلا من عند الله، بأنه ظهر عن رجل أمي، لا يقرأ ولا يكتب، ولا يخالط أهل العلم. وظهور هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه، وأكثر المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب قط، ولم يقرأ بالنظر في كتاب.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٥٨/٧

وروي عن الشعبي أنه قال: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى كتب وأسند النقاش.

حديث أبي كبشة السلولي: أنه صلى الله عليه وسلم، قرأ صحيفة لعيينة ابن حصن وأخبر بمعناها.

وفي صحيح مسلم ما ظاهره: أنه كتب مباشرة

، وقد ذهب إلى ذلك جماعة، منهم أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي، والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهما. واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجي، حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر. وتأول أكثر العلماء ما ورد من أنه كتب على أن معناه: أمر بالكتابة، كما تقول: كتب السلطان لفلان بكذا، أي أمر بالكتب. إذا لارتاب المبطلون: أي لو كان يقرأ كتبا قبل نزول القرآن عليه، أو يكتب، لحصلت الريبة للمبطلين، إذ كانوا يقولون: حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه، قيل: وخطه واستحفظه فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة، وأما." (١)

"ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده. والمبطلون: أهل الكتاب، قاله قتادة أو كفار قريش، قاله مجاهد. وسموا مبطلين، لأنهم كفروا به، وهو أمي بعيد من الريب. ولما لم يكن قارئا ولا كاتبا، كان ارتيابهم لا وجه له.

بل هو: أي القرآن: آيات بينات: واضحات الإعجاز، في صدور الذين أوتوا العلم: أي مستقرة، مؤمن بها، محفوظة في صدورهم، يتلوها أكثر الأمة ظاهرا، بخلاف غيره من الكتب، فليس بمعجز، ولا يقرأ إلا من الصحف. وجاء في صفة هذه الأمة: صدورهم أناجيلهم، وكونه القرآن، يؤيده قراءة عبد الله، بل هي آيات.

وقيل: بل هو، أي النبي وأموره، آيات بينات، قاله قتادة. وقرأ: بل هو آية بينة على التوحيد وقيل: بل هو، أي كونه لا يقرأ ولا يكتب. ويقال: جحدته وجحدت به، وكفرته وكفرت به، قيل: والجحود الأول معلق بالواحدنية، والثاني معلق بالنبوة، وختمت تلك بالكافر. ولأنه قسيم المؤمنين في قوله: يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن، وهذه بالظالمين، لأنه جحد بعد إقامة الدليل على كونه الرسول صدر منه القرآن منزل عليه، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، فهم الظالمون بعد ظهور المعجزة.

وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه: أي قريش، وبعض اليهود كانوا يعلمون قريشا مثل هذا الاقتراح يقولون له: ألا يأتيكم بآية مثل آيات موسى من العصا وغيرها؟ وقرأ العربيان، ونافع، وحفص: آيات، على الجمع، وباقي السبعة: على التوحيد. قل إنما الآيات عند الله، ينزل أيتها شاء، ولو شاء أن ينزل ما يقترحونه لفعل. وإنما أنا نذير بما أعطيت من الآيات.

وذكر يحي بن جعدة أن ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: «كفر بها جماعة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم» ، فنزلت

: أولم يكفهم.

والذي يظهر أنه رد على الذين قالوا: لولا أنزل عليه آيات من ربه: أي أو لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق، غير متعنتين هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان؟ فلا تزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٦١/٨

تضمحل، كما تزول كل آية بعد وجودها، ويكون في مكان دون مكان. أن في هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لا تنكر وتذكر. وقيل: أولم يكفهم: يعني اليهود، أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك،

وروي." (١)

"أهل ملكته قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان، فيكون فزعه على فساد السيرة، لا من الداخلين. وقال أبو الأحوص: فزع منهم لأنهما دخلا عليه، وكل منهما آخذ برأس صاحبه. وقيل: فزع منهم لما رأى من تسورهم على موضع مرتفع جدا لا يمكن أن يرتقي إليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد. وقيل: إنهما قالا: لم نتوصل إليك إلا بالتسور لمنع الحجاب، وخفنا تفاقم الأمر بيننا، فقبل داود عذرهم. ولما أدركوا منه الفزع قالوا: لا تخف، أي لسنا ممن جاء إلا لأجل التحاكم. خصمان: يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهما: لا تخف، بادرا بإخبار ما جاءا إليه. ويحتمل أن يكون سألهم: ما أمركم؟ فقالوا: خصمان، أي نحن خصمان. بغى: أي جار، بعضنا على بعض، كما قال الشاعر:

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم

وقرأ أبو يزيد الجراد، عن الكسائي: خصمان، بكسر الخاء وفي أمرهم له ونهيهم ببعض فظاظة على الحكام، حمل على ذلك ما هم فيه من التخاصم والتشاجر، واستدعوا عدله من غير **ارتياب** في أنه يحكم بالعدل. وقرأ الجمهور: ولا تشطط، مفكوكا من أشط رباعيا وأبو رجاء، وابن أبي عبلة، وقتادة، والحسن، وأبو حيوة: تشطط، من شط ثلاثيا. وقرأ قتادة أيضا: تشط، مدغما من أشط. وقرأ زر: تشاطط، بضم التاء وبالألف على وزن تفاعل، مفكوكا، وعن قتادة أيضا: تشطط من شطط، وسواء الصراط: وسط طريق الحق، لا ميل فيه من هنا ولا هنا.

إن هذا أخي: هو قول المدعي منهما، وأخي عطف بيان عند ابن عطية، وبدل أو خبر لإن عند الزمخشري. والأخوة هنا مستعارة، إذ هما ملكان، لكنهما لما ظهرا في صورة إنسانين تكلما بالأخوة، ومجازها أنها إخوة في الدين والإيمان، أو على معنى الصحبة والمرافقة، أو على معنى الشركة والخلطة لقوله: وإن كثيرا من الخلطاء، وكل واحدة من هذه الأخوات تقتضي منع الاعتداء، ويندب إلى العدل. وقرأ الجمهور: تسع وتسعون، بكسر التاء فيهما. وقرأ الحسن، وزيد بن علي: بفتحها. وقرأ الجمهور:

نعجة، بفتح النون والحسن، وابن هرمز: بكسر النون، وهي لغة لبعض بني تميم.

قيل: وكنى بالنعجة عن الزوجة. فقال أكفلنيها: أي ردها في كفالتي. وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي، أي نصيبي. وقال ابن عباس: أعطنيها وعنه، وعن ابن مسعود:

تحول لي عنها وعن أبي العالية: ضمها إلي حتى أكفلها. وعزني في الخطاب، قال." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٦٢/٨

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٤٨/٩

"ولما كانت الأودية مجاري السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل، فيحتمله السيل، فيطفو على وجه الماء زبدا عاليا يمر عليه متراكما، ولكن تحته الماء الفرات الذي به حياة الأرض، فيقذف الوادي ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى ذلك منه شيء، ويبقى الماء الذي تحت الغثاء يسقي الله تعالى به الأرض فيحيي به البلاد والعباد والشجر والدواب والغثاء يذهب جفاء يجفى ويطرح على شفير الوادي، فكذلك العلم والإيمان، الذي أنزله في القلوب، فاحتملته، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة. فيطفو في أعلاها. واستقر العلم والإيمان والهدى في جذر القلوب. فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئا فشيئا حتى يزول كله. ويبقى العلم النافع، والإيمان الخالص في هذا القلب، يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون.

[سورة الرعد (١٣) : آية ٢٨]

الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨)

الطمأنينة: سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه. ومنه الأثر المعروف «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» أي الصدق يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونا إليه. والكذب يوجب اضطرابا **وارتيابا**. ومنه

قوله صلى الله عليه وسلم «البر ما اطمأن إليه القلب»

أي سكن إليه وزال عنه اضطرابه وقلقه.

وفي «ذكر الله» هاهنا قولان.

أحدهما: أنه ذكر العبد ربه، فإنه يطمئن إليه قلبه، ويسكن. فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله.

ثم اختلف أصحاب هذا القول فيه. فمنهم من قال: هذا في الحلف واليمين، إذا حلف المؤمن على شيء سكنت قلوب المؤمنين إليه، واطمأنت. ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.." (١)

"والجملة خبر الأول، والشرط معترض، وجوابه محذوف. ويجوز أن يكون «إن ارتبتم» جوابه ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ ، والجملة الشرطية خبر المبتدأ، ومتعلق **الارتياب** محذوف فقيل: تقديره: إن ارتبتم في أنها يئست أم لا لإمكان ظهور حمل. وإن كان انقطع دمها. وقيل: إن ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس: أهو دم حيض أم استحاضة؟ وإذا كان هذا عدة المرتاب فيها فغير المرتاب فيها أولى، وأغرب ما قيل: إن «إن ارتبتم» بمعنى تيقنتم فهو من الأضداد.

قوله: ﴿واللائي لم يحضن﴾ مبتدأ، خبره محذوف. فقدروه جملة كالأول، أي: فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا، والأولى أن يقدر مفردا، أي: فكذلك، أو مثلهن ولو قيل: بأنه معطوف على «اللائي يئسن» عطف المفردات، وأخبر عن الجميع بقوله «فعدتهن» لكان وجها حسنا. وأكثر ما فيه توسط الخبر بين المبتدأ وما عطف عليه، وهذا ظاهر قول الشيخ: ﴿واللائي لم يحضن﴾ معطوف على قوله «واللائي يئسن» فإعرابه مبتدأ كإعراب «واللائي» .

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم   ابن القيم ص/٣٣٦

قوله: ﴿وأولات الأحمال﴾ متبدأ و «أجلهن» مبتدأ ثان و «أن يضعن» خبره والجملة خبر الأول، أي: وضع حملهن. ويجوز أن يكون «أجلهن» بدل اشتمال من أولات و «أن يضعن» خبر المبتدأ. والعامة على إفراد «حملهن» والضحاك «آجالهن» جمع تكسير.." (١)

"أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها. وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة (١) .

وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله وإبلاغه؛ لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء، والله أعلم.

ولما وقع هذا حصل لبعض الناس -من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود **-ارتياب** وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالوا: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، وحيثما تولوا فثم وجه الله، و ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله﴾ [البقرة: ١٧٧] أي: الشأن كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصريفه وخدامه، حيثما وجهنا توجهنا، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه (٢) -وأمته عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم، خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل، عليه السلام، ولهذا قال: ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ .

وقد روى الإمام أحمد، عن علي بن عاصم، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمر (٣) بن قيس، عن محمد بن الأشعث، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني في أهل الكتاب -:"إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين" (٤) .

وقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة (٥) إبراهيم، عليه السلام، واخترناها لكم (٦) لنجعلكم خيار الأمم، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم؛ لأن الجميع (٧) معترفون (٨) لكم بالفضل. والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا، أي: خيرها. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، أي: أشرفهم نسبا، ومنه الصلاة الوسطى، التي هي أفضل الصلوات، وهي العصر، كما ثبت في الصحاح وغيرها، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح (٩) المذاهب، كما قال تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ [الحج: ٧٨]

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٠٣) وصحيح مسلم برقم (٥٢٦) .

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٥٥/١٠

(٢) في ط: "صلى الله عليه وسلم".

(٣) في ط، أ، و: "عن عمرو".

(٤) المسند (١٣٤/٦) .

(٥) في ط: "ملة".

(٦) في أ: "واحترفناها لكم"، وفي و: "واخترناكم لها".

(٧) في أ: "الأمم".

(٨) في ط: "معترفين" وهو خطأ..

(٩) في جـ: "وأصح".." [1]

"وقال ابن جريج في قوله: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ هم قوم كانوا من المنافقين بمكة، قالوه يوم بدر.

وقال عامر الشعبي: كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام، فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾

وقال مجاهد في قوله، عز وجل: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾ قال: فئة من قريش: [أبو] (١) قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ حتى قدموا على ما قدموا عليه، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم.

وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار، سواء.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن الحسن في هذه الآية، قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر، فسموا منافقين –قال معمر: وقال بعضهم: هم قوم كانوا أقروا بالإسلام، وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ (٢)

وقوله: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ أي: يعتمد على جنابه، ﴿فإن الله عزيز﴾ أي: لا يضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب، عظيم السلطان، حكيم في أفعاله، لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠) ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد (٥١) ﴾

يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيعا منكرا؛ إذ يضربون

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٤/١

وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾

قال ابن جريج، عن مجاهد: ﴿وأدبارهم﴾ أستاههم، قال: يوم بدر.

قال ابن جريج، قال ابن عباس: إذا أقبل المشركون (٣) بوجوههم إلى المسلمين، ضربوا وجوههم بالسيوف، وإذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم.

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾

---

(١) زيادة من د، ك، أ، وابن هشام والطبري.

(٢) تفسير الطبري (١٤/١٣) .

(٣) في ك: "المشركين" وهو خطأ.." [1]

"فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر: ٤٨] ، كما قال تعالى هاهنا: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا﴾ أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله، ما قبل منه.

وقوله: ﴿مأواكم النار﴾ أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم.

وقوله: ﴿هي مولاكم﴾ أي: هي أولى بكم من كل منزل على كفركم **وارتيابكم**، وبئس المصير.

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧) ﴾

يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقاد له وتسمع له وتطيعه.

قال عبد الله بن المبارك: حدثنا صالح المري، عن قتادة، عن ابن عباس أنه قال: إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن، فقال: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم، عن الحسن بن محمد بن الصباح، عن حسين المروزي، عن ابن المبارك، به.

ثم قال هو ومسلم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال- يعني الليث-عن عون بن عبد الله، عن أبيه، عن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ [الآية] (١) إلا أربع سنين (٢)

كذا رواه مسلم في آخر الكتاب. وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية، عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب، به (٣) وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي (٤) عن أبي حزم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه،

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤/٧٦

مثله (٥) فجعله من مسند بن الزبير. لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب، عن أبي حازم، عن عامر، عن بن الزبير،

---

(١) زيادة من م.

(٢) صحيح مسلم برقم (٣٠٢٧) .

(٣) سنن النسائي الكبري برقم (١١٥٦٨)

(٤) في أ: "الربعي".

(٥) سنن ابن ماجة برقم (٤١٩٢) .." [١]

"٢٨٤٩ - متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

فصل

في كونه سببا للريبة وجوه: الأول: أن المنافقين فرحوا ببناء مسجد الضرار، فلما أمر الرسول بتخريبة ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد **ارتيابهم** في نبوته.

وثانيها: أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما أمر بتخريبه، ظنوا أنه إنما أمر بتخريبه حسداص، فارتفع أمانهم عنه، وعظم خوفهم منه، وصاروا مرتابين في أنه هل يتركهم على ما هم فيه أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم؟

وثالثها: أنهم اعتقدوا كونهم محسنين في بناء ذلك المسجد، كما حبب العجل إلى قوم موسى، فلما أمر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بتخريبه بقوا شاكين مرتابين في أنه لأي سبب أمر بتخريبه؟ قاله ابن عباس. وقال الكلبي: «ريبة» أي: حسرة وندامة، لأنهم ندموا على بنائه. وقال السدي: لا يزال هدم بنيانهم ريبة، أي: حزازة وغيظا في قلوبهم.

قوله: «إلا أن تقطع» المستثنى منه محذوف، والتقدير: لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال إلا حال تقطيعها.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص «تقطع» بفتح التاء، والأصل تتقطع بتاءين، فحذفت إحداهما.

وعن ابن كثير «تقطع» بفتح الياء وتسكين القاف «قلوبهم» بالنصب، أي: تفعل أنت بقلوبهم هذا الفعل. وقرأ الباقون «تقطع» بضمها، وهو مبني للمفعول، مضارع «قطع» بالتشديد. وقرأ أبي «تقطع» مخففا من «قطع» . وقرأ الحسن، ومجاهد وقتادة، ويعقوب «إلى أن» ب «إلى» الجارة. وأبو حيوة كذلك، وهي قراءة واضحة في المعنى، إلا أنا أبا حيوة قرأ «تقطع» بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة والفاعل ضمير الرسول، «قلوبهم» نصبا على المفعول به، والمعنى بذلك أنه يقتلهم ويتمكن منهم." [٢]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة   ابن كثير ١٩/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب   ابن عادل ٢١٤/١٠

"أي هم كذلك، ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ أي: يظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ ، لأنفسهم بإعراضهم عن الحق.

قال الحسن بن أبي الحسن: من دعا خصمه إلى حكم من أحكام المسلمين فلم يجب، فهو ظالم فإن قيل: إذا خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدين، وإذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض، فالكل واحد، فأي فائدة في التعديد؟

فالجواب: قوله: ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ إشارة إلى النفاق، وقوله: «أم ارتابوا» إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا إلى حيث يتركون الدين بسببه. فإن قيل: هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة، فكيف أدخل عليها كلمة «أم» ؟

فالجواب الأقرب أنه تعالى أنبههم على كل واحدة من هذه الأوصاف، فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق، وكان فيها شك **وارتياب**، وكانوا يخافون الحيف من الرسول، وكل واحد من ذلك كفر ونفاق، ثم بين تعالى بقوله: ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ بطلان ما هم عليه، لأن الظلم يتناول كل معصية، كما قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] .." (١)

"قوله: ﴿واللائي يئسن﴾ .

تقدم الخلاف فيه.

وأبو عمرو يقرأ هنا: «واللائي يئسن» بالإظهار.

وقاعدته في [مثله] الإدغام، إلا أن الياء لما كانت عنده عارضة لكونها بدلا من همزة، فكأنه لم يجتمع مثلان، وأيضا فإن سكونها عارض، فكأن ياء «اللائي» متحركة، والحرف ما دام متحركا لا يدغم في غيره، وقرىء: «يئسن» فعلا ماضيا.

وقرىء: «ييئسن» مضارع.

و ﴿من المحيض من نسآئكم﴾ .

«من» الأولى لابتداء الغاية، وهي متعلقة بالفعل قبلها، والثانية للبيان متعلقة بمحذوف.

و «اللائي» مبتدأ، و «فعدتهن» مبتدأ ثان، و «ثلاثة أشهر» خبره، والجملة خبر الأول، والشرط معترض، وجوابه محذوف. ويجوز أن يكون «إن ارتبتم» جوابه ﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾ ، والجملة الشرطية خبر المبتدأ، ومتعلق **الارتياب** محذوف، تقديره: إن ارتبتم في أنها يئست أم لا لإمكان ظهور حمل وإن كان انقطع دمها.." (٢)

"قال القرطبي: «وهو أصح ما قيل فيه» .

فصل في المرتابة في عدتها

المرتابة في عدتها لم تنكح حتى تستبرىء نفسها من ريبتها، ولا تخرج من العدة إلا بارتفاع الريبة، وقد قيل في المرتابة التي ارتفع حيضها، لا تدري ما رفعه إنها تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها، منها تسعة أشهر استبراء، وثلاثة عدة، فإن طلقها فحاضت حيضة، أو حيضتين، ثم ارتفع حيضها بغير يأس منها انتظرت تسعة أشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضها ثم حلت [للأزواج] . وهذا قول الشافعي بالعراق.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٤/٤٢٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/١٦١

فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرأة بعد التسعة أشهر [أربعة أشهر وعشرا، والأمة شهرين وخمس ليال بعد التسعة أشهر] .

وروي عن الشافعي أيضا: أن أقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن اليائسات.

وهو قول النخعي والثوري وغيرهما، وحكاه أبو عبيدة عن أهل العراق.

فصل في ارتياب المرأة الشابة

إذا ارتابت المرأة الشابة هل هي حامل أم لا؟ .

فإن استبان حملها فأجلها وضعه، وإن لم يستبن، فقال مالك: عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة، وبه قال أحمد وإسحاق وروي عن عمر بن الخطاب وغيره.

وأهل «العراق» يرون أن عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وإن مكثت عشرين سنة، إلا أن تبلغ من الكبر سنا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الإياس ثلاثة أشهر.

قال الثعلبي: وهذا الأصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء، وروي ذلك عن ابن مسعود وأصحابه.

قال إلكيا: وهو الحق، لأن الله تعالى جعل عدة الآيسة ثلاثة أشهر. والمرتابة ليست آيسة.

فصل فيمن تأخر حيضها لمرض

فأما من تأخر حيضها لمرض، فقال مالك وبعض أصحابه: تعتد تسعة أشهر ثم ثلاثة كما تقدم.." (١)

"فالجواب: نحمله على ثمرات الإيمان، وعلى آثاره ولوازمه.

قوله تعالى: ﴿ولا يرتاب﴾ ، أي: ولا يشك ﴿الذين أوتوا﴾ أي: أعطوا ﴿الكتاب والمؤمنون﴾ أي: المصدقون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن خزنة جهنم تسعة عشر.

فإن قيل: لما أثبت الاستيقان لأهل الكتاب، وأثبت زيادة الإيمان للمؤمنين، فما الفائدة في قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ ؟ .

فالجواب: أن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه، فحصل له اليقين، فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق، فيعود الشرك، فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك، ففائدة هذه الإعادة نفي ذلك الشك، وأنه حصل له يقين جازم، لا يحصل عقيبه شك ألبتة.

قوله تعالى: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ ، أي: في صدورهم شك ونفاق من منافقي أهل «المدينة» الذين يجيئون في مستقبل الزمان بعد الهجرة، وهذا إخبار عما سيكون، ففيه معجزة ﴿والكافرون﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿ماذآ أراد الله بهذا مثلا﴾ يعني: بعدد خزنة جهنم، وهذا قول أكثر المفسرين.

وقال الحسن بن الفضل: السورة مكية، ولم يكن ب «مكة» نفاق، فالمرض في هذه الآية الخلاف، والمراد بالكافرين: مشركو العرب، ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل «مكة» كان أكثرهم مشركين، وبعضهم قاطعين بالكذب، وقوله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦٤/١٩

تعالى إخبارا عنهم: ﴿ماذآ أراد الله بهذا مثلا﴾ ؟ أي: هذا العدد الذي ذكره حديثا، أي ما هذا من الحديث.

قال الليث رحمه الله: المثل الحديث، ومنه:

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ [محمد: ١٥] ، أي حديثها والخبر عنها.

وقال ابن الخطيب: إنما سموه مثلا؛ لأنه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم أنه ربما لم يكن مرادا لله منه ما أشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر تنبيها على مقصود آخر - لا جرم سموه مثلا - لأنهم لما استغربوه ظنوا أنه ضرب مثلا لغيره، و «مثلا» تمييز أو حال، وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته.

فصل في لام: «وليقول»

«اللام» في قوله تعالى: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ جار على أصول أهل السنة؛ لأن ذلك مراد، وعند المعتزلة: هي لام العاقبة، ونسبوه إلى الله - عز وجل - مع أنهم ينكرون ذلك، إما على سبيل التهكم، وإما على ما يقولونه.." (١)

"والمفضل عليه محذوف لفهم المعنى، أي: أقسط وأقوم، وأدنى لكذا من عدم الكتب، وحسن الحذف كون أفعل خبرا للمبتدأ بخلاف كونه صفة، أو حالا. وقرأ السلمي:» ألا يرتابوا «بياء الغيبة كقراءة:» ولا يسأموا أن يكتبوه «وتقدم توجيهه.

فصل في فوائد الإشهاد والكتابة

اعلم أن الكتابة، والاستشهاد تشتمل على ثلاث فوائد:

الأولى: قوله: ﴿أقسط عند الله﴾ ، أي: أعدل عند الله وأقرب إلى الحق.

والثانية: قوله: ﴿أقوم للشهادة﴾ ، أي: أبلغ في استقامته التي هي ذد الاعوجاج؛ لأن المنتصب القائم ضد المنحني المعوج، وإنما كانت أقوم للشهادة؛ لأنها سبب للحفظ والذكر، فكانت أقرب إلى الاستقامة.

والفرق بين الفائدة الأولى والثانية أن الأولى تتعلق بتحصيل مرضاة الله، والثانية تتعلق بتحصيل مصلحة الدنيا، ولهذا قدمت الأولى عليها؛ لأن تقديم مصلحة الدين على مصلحة الدنيا واجب.

الفائدة الثالثة: قوله: ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ يعني أقرب إلى زوال الشك **والارتياب** عن قلوب المتداينين، فالفائدة الأولى إشارة إلى تحصيل مصلحة الدين.

والثانية: إشارة إلى تحصيل مصلحة الدنيا.

والثالثة: إشارة إلى دفع الضرر عن النفس وعن الغير، أما عن النفس فلأنه يبقى في الفكران، أن هذا الأمر كيف كان، وهذا الذي قلت: هل كان صدقا، أو كذبا، أما عن الغير، فلأن ذلك الغير ربما نسبه إلى الكذب، فيقع في عقاب الغيبة.

قوله: ﴿إلا أن تكون تجارة﴾ في هذا الاستثناء قولان:

أحدهما: أنه متصل قال أبو البقاء:» والجملة المستثناة في موضع نصب؛ لأنه استثناء [من الجنس] لأنه أمر بالاستشهاد في كل معاملة، فالمستثنى منها التجارة الحاضرة، والتقدير: إلا في حال حضور التجارة «.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩/٥٢٤

والثاني: أنه منقطع، قال مكي بن أبي طالب: و» أن «في موضع نصب على الاستثناء المنقطع» وهذا هو الظاهر، كأنه قيل: لكن التجارة الحاضرة، فإنه يجوز عدم الاستشهاد والكتب فيها.." (١)

"الموعوظ فعليك حينئذ بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت.

وعن الحسن: أنه كان إذا تلا هذه الآية، قال: يا لها من ثقة ما أوثقها!

ومن سعة ما أوسعها!.

وهذا كله قد يحمل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف، أوخاف

الضرر، سقط عنه، وكلام ابن عمر يدل على أن من علم أنه لا يقبل منه، لم يجب عليه، كما حكي رواية عن أحمد، وكذا قال الأوزاعي: " من ترى

أن يقبل منك.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين (١٠٦) فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين (١٠٧) ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين (١٠٨)

وقد دل القرآن على استحلاف الشهود عند **الارتياب** بشهادتهم في الوصية

في السفر في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم." (٢)

"بتأويل البيان والبرهان، والمراد بالشاهد القرآن ومنه أي من الله أو من القرآن المتقدم ذكره في قوله: أم يقولون افتراه، ومن قبله كتاب موسى أي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة حال كونها إماما أو أعني إماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل إليهم. والحاصل أن المعارف اليقينية المكتسبة إما أن يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان، وإما أن يكون بالوحي والإلهام، وإذا اجتمع على بعض المطالب هذان الأمران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب أوثق. ثم إذا توافقت كلمة الأنبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق، ثم إنه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الأمور الثلاثة جميعا: البينة. وهي الدلائل العقلية اليقينية، والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي، وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به، وعند اجتماع هذه الأمور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك **وارتياب**. وقيل: أفمن كان محمد صلى الله عليه وسلم، والبينة القرآن،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٠١/٤

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي ابن رجب الحنبلي ٤٦٣/١

ويتلوه يقرؤه شاهد هو جبرائيل نزل بأمر الله وقرأ القرآن على محمد أو شاهد من محمد هو لسانه، أو شاهد هو بعض محمد يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أو يتلوه أي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي صلى الله عليه وسلم هو صورته ومخايله، فإن من نظر إليه بعقله تفرس أنه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن. وقيل: الكائن على البينة هم المؤمنون، والبينة القرآن، ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أو الإنجيل لأنه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وإن كان موجودا قبله، أو ذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتأمل فيه إعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة إلى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها إلا الذوق السليم. ثم مدح الكائن على البينة بقوله: أولئك يؤمنون به أي بالقرآن. ثم أوعد غيرهم بقوله: ومن يكفر به من الأحزاب يعني أهل مكة ومن انحاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده فلا تك في مرية في شك منه من القرآن أو من الموعد، ولما أبطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله: من كان يريد الحياة الدنيا ومن إنكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله: أفمن كان على بينة أراد أن يبطل ما كانوا يعتقدون في أصنامهم أنها شفعاء تشفع لهم فقال: ومن أظلم. ثم قال: أولئك يعرضون لم يحمل عليهم العرض لأنهم مخصوصون بالعرض فإن العرض عام، ولكن فائدة الحمل ترجع إلى المعطوف. أراد أنهم يعرضون فيفضحون بقول الأشهاد. ومعنى عرضهم على ربهم أنهم يعرضون على الأماكن المعدة للحساب. والسؤال أو المراد عرضهم على من." (١)

"من نفاقهم وشقاقهم وإضمارهم الغدر والخديعة وإلا فمن حلف على فعل البر لا يجوز أن ينهى عنه. وقوله طاعة معروفة

مبتدأ محذوف الخبر أي طاعة معلومة لا شك فيها ولا نفاق أمثل وأولى بكم من هذه الأيمان الكاذبة، أو خبر محذوف المبتدأ أي أمركم الذي يطلب منكم طاعة معروفة لا **ارتياب** فيها كطاعة الخلص من المؤمنين، أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل. ثم صرف الكلام من الغيبة إلى الخطاب لمزيد التبكيت والعتاب. ومعنى فإن تولوا فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين. وما حمل الرسول هو أداء الرسالة، وما حمل على الأمة هو الطاعة والانقياد، والبلاغ المبين كون التبليغ مقرونا بالآيات والمعجزات أو كونه واقعا على سبيل المجاهرة لا المداهنة. وهاهنا شبه إضمار والتقدير: بلغ أيها الرسول وأطيعوه أيها المؤمنون فقد وعد الله الذين آمنوا منكم أي جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. وفي الوعد معنى القسم لأن وعد الله محقق الوقوع ولذلك قال في جوابه ليستخلفنهم أو القسم محذوف أي أقسم ليجعلنكم خلفاء في الأرض كما فعل ببني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة. وليمكنن لأجلهم الدين المرتضى وهو دين الإسلام. وتمكين الدين تثبيته وإشادة قواعده،

كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه فسئموا وشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة،

فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وورثوا ملك الأكاسرة وخزائنهم، وهذا إخبار بالغيب فيكون معجزا. ومحل

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤/١٢

يعبدونني نصب على الحال أي وعدهم ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم أو هو استئناف كأن قائلا قال: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يعبدونني وعلى الوجهين فقوله لا يشركون بدل من يعبدونني أو بيان لها. وفيه دليل على أن المقصود من الكل هو عبادة الله تعالى والإخلاص له. ومن كفر بهذه النعم الجسام وهي الاستخلاف والتمكين والأمن بعد الخوف بعد حصول ذلك أو بعد ما ذكر فأولئك هم الكاملون في الفسق. قال أهل السنة: في الآية دلالة على إمامة الخلفاء الراشدين لأن قوله منكم للتبعيض وذلك البعض يجب أن يكون من الحاضرين في وقت الخطاب، ومعلوم أن الأئمة الأربعة كانوا من أهل الإيمان والعمل الصالح، وكانوا حاضرين وقتئذ وقد حصل لهم الاستخلاف والفتوح، فوجب أن يكونوا مرادين من الآية. واعترض بأن قوله منكم لم لا يجوز أن يكون للبيان، ولم لا يجوز أن يراد بالاستخلاف في الأرض هو إمكان التصرف والتوطن فيها كما في حق بني إسرائيل؟ سلمنا لكن لم لا يجوز أن يراد به خلافة علي عليه السلام؟ والجمع للتعظيم أو يراد هو وأولاده الأحد عشر بعده؟ وقيل: إن في قوله ومن كفر بعد ذلك إشارة إلى الخلفاء المتغلبين بعد الراشدين يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم «الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم." (١)

"الزبانية كذلك. يروى أنه لما نزلت الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال المسلمون: ويحكم أتقاس الملائكة بالحدادين أي السجانين؟ وجرى هذا مثلا في كل شيئين لا يسوى بينهما وأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون ويرحمون فإن الجنسية مظنة الرأفة ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم من جنس الأمة ليكون بهم رؤفا رحيما. ولا استبعاد في كون الملائكة في النار غير معذبين بناء على القول بالفاعل المختار، ولعلهم غلبت عليهم النارية فصارت لهم طبعا كالحيوانات المائية. وقوله وما جعلنا عدتهم إلا فتنة الآية. هو على مذهب أهل السنة ظاهر، وأما على أصول المعتزلة فقال الجبائي: المراد بالفتنة تشديد التعبد، استدلوا به على كمال قدرة الله تعالى وقال الكعبي: هي الامتحان فيؤمن المؤمن بالمتشابه ويفوض حكمة التخصيص بهذا العدد إلى الخالق، والكافر يعترض عليه. وقال:

بعضهم: أراد ما وقعوا فيه من الكفر بسبب إنكارهم والتقدير إلا فتنة على الذين كفروا، وحاصله يرجع إلى ترك الألطاف.

وأجيب عن هذه التأويلات بأن تنزيل المتشابهات لا بد أن يكون له أثر في تقوية داعية الكفر وإلا كان إنزالها كلا إنزال.

ومع هذا الترجيح لا يحصل الإيمان البتة وهو المعنى بالإضلال.

واعلم أن في الآية دلالة على أنه سبحانه جعل افتتان الكافر بعدد الزبانية سببا لأمور أربعة: أولها ليستيقن ثانيها ويزداد ثالثها ولا يرتاب رابعها وليقول وفيه إشكال.

قال جار الله: ما جعل افتتانهم بالعدد سببا ولكنه وضع فتنة موضع تسعة عشر تعبيرا عن المؤثر باللفظ الدال على الأثر تنبيها على أن هذا الأثر من لوازم ذلك المأثر. وقال آخرون:

تقديره وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للكافرين وإلا ليستيقن كما يقال: فعلت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك. قالوا: والعاطف يذكر في هذا الموضع تارة ويحذف أخرى. وأما سبب استيقان أهل الكتاب فهو أنهم قرؤا هذا العدد في كتابهم ولكنهم ما

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٠٩/٥

كانوا واثقين لتطرق التحريف إلى كتابهم. فلما سمعوا ذلك في القرآن تيقنوا بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أخبرهم بما في كتابهم من غير سابقة دراسة وتعلم. ولأنه أخبر كفار قريش بهذا الأمر الغريب من غير مبالاة باستهزائهم وتكذيبهم فعرفوا أنه من قبيل الوحي وإلا لم يجترئ على التكلم به خوفا من السخرية. وأما زيادة إيمان المؤمنين فحمل على آثاره ولوازمه ونتائجه. وأما نفي **الارتياب** عن أهل الكتاب والمؤمنين بعد إثبات الاستيقان وزيادة الإيمان لهم فمن باب التوكيد كأنه قيل: حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل بعده شك وريب. فإن الذي حصل له اليقين قد يغفل عن مقدمة من مقدمات الدليل فيعود له الشك. وفيه أيضا تعريض." (١)

"أنها نزلت في قصة الأحزاب حين حصروا المدينة، وقالت فرقة: نزلت تسلية للمهاجرين، حين أصيبت أموالهم بعدهم، وفيما نالهم من أذاية الكافرين لهم.

وخلوا: معناه: انقرضوا، أي: صاروا في خلاء من الأرض، والبأساء في المال، والضراء في البدن، ومثل: معناه شبه، والزلزلة: شدة التحريك، تكون في الأشخاص والأحوال.

وقرأ نافع «١»

: «يقول» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب، وحتى: غاية مجردة تنصب الفعل بتقدير «إلى أن» وعلى قراءة نافع، كأنها اقترن بها تسبيب، فهي حرف ابتداء ترفع الفعل.

وأكثر المتأولين على أن الكلام إلى آخر الآية من قول الرسول والمؤمنين، ويكون ذلك من قول الرسول على طلب استعجال النصر، لا على شك ولا **ارتياب**، والرسول اسم الجنس، وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا: متى نصر الله، فيقول الرسول: ألا إن نصر الله قريب، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته، ثم قدم قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان.

قال ع «٢»

: وهذا تحكم، وحمل الكلام على وجهه غير متعذر، ويحتمل أن يكون: ألا إن نصر الله قريب إخبارا من الله تعالى مؤتنفا بعد تمام ذكر القول.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢١٥ الى ٢١٦]

يسئلونك ماذا ينفقون قل مآ أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم (٢١٥) كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٢١٦)

قوله تعالى: يسئلونك ماذا ينفقون قل مآ أنفقتم من خير ... الآية: السائلون: هم المؤمنون، والمعنى: يسألونك، ما هي الوجوه التي ينفقون فيها؟ و «ما» يصح أن تكون في موضع رفع على الابتداء، و «ذا» : خبرها بمعنى «الذي» و «ينفقون»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٩٣/٦

: صلة، و «فيه» عائد على «ذا» تقديره: ينفقونه، ويصح أن تكون «ماذا» اسما واحدا مركبا في موضع نصب.

---

(١) وحجته أنها بمعنى «قال» ، وليست على الاستقبال، وإنما ينصب من هذا الباب ما كان مستقبلا.

وحجة الباقين أنها بمعنى الانتظار.

ينظر: «حجة القراءات» (١٣١- ١٣٢) ، و «السبعة» (١٨١) ، و «النشر» (٢/ ٢٢٧) ، و «الحجة» للفارسي (٢/ ٣٠٥) ، و «الزجاج» (١/ ٢٧٧) .

(٢) «المحرر الوجيز» (١/ ٢٨٨) .." [١]

"وقيل: القرن الزمن نفسه، وهو على حذف مضاف، تقديره: من أهل قرن. قال عياض في «الإكمال» : واختلف في لفظ القرن، وذكر الحربي «١» فيه الاختلاف من عشر سنين إلى مائة وعشرين، ثم قال يعني الحربي: وليس منه شيء واضح، وأرى القرن كل أمة هلكت، فلم يبق منها أحد. انتهى.

والضمير في مكناهم عائد على القرن، والمخاطبة في لكم هي للمؤمنين، ولجميع المعاصرين لهم من سائر الناس، والسماء هنا المطر، ومدرارا بناء تكثير، ومعناه: يدر عليهم بحسب المنفعة.

وقوله سبحانه: وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين.

أنشأنا: اخترعنا، وخلقنا، ويظهر من الآية أن القرن إنما هو وفاة الأشياخ، ثم ولادة الأطفال.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٧ الى ٩]

ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين (٧) وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون (٨) ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (٩)

وقوله تعالى: ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية.

لما أخبر عنهم- سبحانه- بأنهم كذبوا بكل ما جاءهم من آية أتبع ذلك بإخبار فيه مبالغة، والمعنى: ولو نزلنا بمرأى منهم عليك كتابا أي: كلاما مكتوبا في قرطاس، أي:

في صحيفة.

فلمسوه بأيديهم يريد: أنهم بالغوا في ميزه وتقليبه ليرتفع كل ارتياب لعاندوا فيه، وتابعوا كفرهم وقالوا: هذا سحر مبين.

وقوله سبحانه: وقالوا لولا أنزل عليه ملك أي: يصدق محمدا في نبوءته، ثم رد

---

(١) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق، من أعلام المحدثين. أصله من مرو، واشتهر وتوفي ببغداد، ونسبته إلى محلة فيها. كان حافظا للحديث عارفا بالفقه بصيرا بالأحكام، قيما بالأدب، زاهدا، أرسل إليه

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٣٣/١

المعتضد ألف دينار فردها. تفقه على الإمام أحمد، وصنف كتبا كثيرة منها «غريب الحديث» و «سجود القرآن» و «الهدايا والسنة فيها» و «الحمام وآدابه» و «دلائل النبوة» وكان عنده اثنا عشر ألف جزء، في اللغة وغريب الحديث، كتبها بخطه. ينظر: «الأعلام» (١/ ٣٢) ، «تذكرة الحفاظ» (٢/ ١٤٧) ، و «إرشاد الأريب» (١/ ٣٧) ، و «صفوة الصفوة» (٢/ ٢٢٨) .." (١)

"قال ابن العربي في «أحكامه» «١» وفي قوله تعالى: فانهار به في نار جهنم، مع قوله: فأمه هاوية [القارعة: ٩] إشارة إلى أن النار تحت كما أن الجنة فوق. انتهى.

والريبة: الشك، وقد يسمى ريبة فساد المعتقد، ومعنى الريبة، في هذه الآية: أمر يعم الغيظ والحنق، ويعم اعتقاد صواب فعلهم ونحو هذا مما يؤدي كله إلى **الارتياب** في الإسلام، فمقصد الكلام: لا يزال هذا البنيان الذي هدم لهم، يبقي في قلوبهم حزازة وأثر سوء، وبالشك فسر ابن عباس الريبة هنا «٢» .

وبالجملة إن الريبة هنا تعم معاني كثيرة يأخذ كل منافق منها بحسب قدره من النفاق.

وقوله: «ألا أن تقطع قلوبهم» - بضم التاء- يعني: بالموت، قاله ابن عباس وغيره «٣» وفي مصحف «٤» أبي: «حتى الممات» ، وفيه: «حتى تقطع» .

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١١١ الى ١١٢]

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (١١١) التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)

وقوله عز وجل: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... الآية: هذه الآية نزلت في البيعة الثالثة، وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين وذلك أنهم اجتمعوا مع النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة، فقالوا: اشترط لك، ولربك، والمتكلم بذلك عبد الله بن رواحة «٥» فاشترط نبي الله

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٢/ ١٠١٨) .

(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨٠) برقم: (١٧٢٦٥) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٨٦) ، والبغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٢٩) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٠) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة» .

(٣) أخرجه الطبري (٦/ ٤٨٠) برقم: (١٧٢٦٥) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٨٦) ، وابن كثير (٢/ ٣٩١) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٠٠) ، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «دلائل النبوة» .

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣/ ٨٦) ، و «البحر المحيط» (٥/ ١٠٥) .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٤٦/٢

(٥) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر ... أبو محمد الأنصاري، الخزرجي.

كان ممن شهد العقبة، وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق،." [1]

"غريب، انتهى وهما في «مصابيح البغوي» . وروى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال، أو الناس- لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا» «١» انتهى.

وقوله تعالى: وقولوا آمنا الآية، قال أبو هريرة: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم «٢» » ، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» وروى ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا: إما أن تكذبوا بحق، وإما أن تصدقوا بباطل» «٣» .

وقوله تعالى: فالذين آتيناهم الكتاب يريد: التوراة والإنجيل كانوا في وقت نزول الكتاب عليهم يؤمنون بالقرآن. ثم أخبر عن معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن منهم أيضا من يؤمن به ولم يكونوا آمنوا بعد، ففي هذا إخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك.

قوله تعالى: وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون يشبه أن يراد بهذا الانحاء كفار قريش. ثم بين تعالى الحجة وأوضح البرهان: أن مما يقوى أن نزول هذا القرآن من عند الله أن محمدا- عليه السلام- جاء به في غاية الإعجاز والطول والتضمن للغيوب، وغير ذلك؟ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا/ ولا يخط حروفا ولا سبيل له إلى ٦٣ ب التعلم، ولو كان ممن يقرأ أو يخط، لارتاب المبطلون، وكان لهم في ارتيابهم معلق، وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده.

قوله تعالى: بل هو آيات بينات يعني: القرآن، ويحتمل أن يعود على أمر محمد صلى الله عليه وسلم والظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكن عظم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٢٠) كتاب الأدب: باب ما جاء في المتشدق في الكلام، حديث (٥٠٠٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٤٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» ، حديث (٧٣٦٢) وفي (١٣/ ٥٢٥) كتاب التوحيد: باب ما يجوز من تفسير التوراة، حديث (٧٥٤٢) ، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٥١) رقم (٢٧٨٢٣) من حديث أبي هريرة.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٨٢) ، وزاد نسبته إلى النسائي، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «الشعب» .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٢١٦

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٥١) رقم (٢٧٨٢٥) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٨٢) ، وزاد نسبته إلى عبد الرزاق.." [1]

"التوبيخ لهم، أي: إنكم لا تجدونه، ثم أعلم تعالى أنه يضرب بينهم في هذه الحال بسور حاجز، فيبقى المنافقون في ظلمة وعذاب.

وقوله تعالى: باطنه فيه الرحمة أي: جهة المؤمنين وظاهره: جهة المنافقين، والظاهر هنا: البادي ومنه قول الكتاب: من ظاهر مدينة كذا، وعبارة الثعلبي: فضرب بينهم بسور: وهو حاجز بين الجنة والنار، قال أبو أمامة الباهلي «١» : فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم، وقد ضرب بينهم/ بسور، قال قتادة «٢» : حائط بين الجنة والنار، له باب باطنه فيه الرحمة، يعني: الجنة، وظاهره من قبله العذاب يعني النار، انتهى، قال- ص-: قال أبو البقاء: الباء في بسور زائدة، وقيل: ليست بزائدة، قال أبو حيان «٣» : والضمير في باطنه عائد على الباب، وهو الأظهر لأنه الأقرب، وقيل: على سور، أبو البقاء: والجملة صفة ل «باب» أو ل «سور» ، انتهى.

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ١٤ الى ١٥]

ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور (١٤) فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير (١٥)

وقوله تعالى: ينادونهم معناه: ينادي المنافقون المؤمنين: ألم نكن معكم: في الدنيا، فيرد المؤمنون عليهم: بلى: كنتم معنا، ولكن عرضتم أنفسكم للفتنة، وهي حب العاجل والقتال عليه، قال مجاهد «٤» : فتنتم أنفسكم بالنفاق وتربصتم معناه هنا:

بإيمانكم فأبطأتم به، حتى متم، وقال قتادة «٥» : معناه: تربصتم بنا وبمحمد صلى الله عليه وسلم الدوائر، وشككتم، **والارتياب**: التشكك، والأماني التي غرتهم هي قولهم: سيهلك محمد هذا العام، ستهزمه قريش، ستأخذه الأحزاب ... إلى غير ذلك من أمانيهم، وطول الأمل:

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠) ، وعزاه لابن المبارك، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي إمامة الباهلي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٨) ، برقم: (٣٣٦٢١) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٢) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٢) ، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢١) .

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩) ، برقم: (٣٣٦٢٩) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣) .

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤/٢٩٩

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩) ، برقم: (٣٣٦٣١) ، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩) .." [(1)]

"فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر «١» ، فنزلت هذه الآية، فقال قائل منهم: فما عدة الحامل فنزلت: وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وهو لفظ يعم الحوامل المطلقات والمعتدات من الوفاة، **والارتياب** المذكور قيل: هو بأمر الحمل.

وقوله سبحانه: أسكنوهن من حيث سكنتم ... الآية، أمر بإسكان المطلقات ولا خلاف في ذلك في التي لم تبت وأما المبتوتة فمالك يرى لها السكنى لمكان حفظ النسب، ولا يرى لها نفقة لأن النفقة بإزاء الاستمتاع، وقال الثعلبي: من حيث سكنتم أي: في مساكنكم التي طلقتموهن فيها، انتهى، والوجد السعة في المال، وأما الحامل فلا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بتت أو لم تبت لأنها مبينة في الآية، وأنما اختلفوا في نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها، هل ينفق عليها من التركة، أم لا، وكذلك النفقة على المرضع المطلقة واجبة، وبسط ذلك في كتب الفقه.

وقوله سبحانه: وأتمروا بينكم بمعروف أي ليأمر كل واحد صاحبه بخير، وليقبل كل أحد ما أمر به من المعروف.

وقوله سبحانه: وإن تعاسرتم أي: تشططت «٢» المرأة في الحد الذي يكون أجرة على الرضاع، فللزوج أن يسترضع/ بما فيه رفقه ألا يقبل المولود غير أمه، فتجبر هي حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج في حالهما وغناهما.

ت: وهذا كله في المطلقة البائن، قال ابن عبد السلام من أصحابنا: الضمير في قوله تعالى: فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن عائد على المطلقات وكذلك قوله تعالى: والوالدات يرضعن أولادهن [البقرة: ٢٣٣] وأما ذات الزوج أو الرجعية، فيجب عليها أن ترضع من غير أجر إلا أن تكون شريفة فلا يلزمها ذلك، انتهى.

[سورة الطلاق (٦٥) : الآيات ٧ الى ١١]

لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧) وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا (١١)

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٨) ، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر من طريق الثوري.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٣٨٤

(٢) الشطط: مجاوزة القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء.

ينظر: «لسان العرب» (٢٢٦٣) .." [(١)]

"٢- أعلام الموقعين عن رب العالمين لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) طبعة الكليات الأزهرية ٣٣- أعلام النساء لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة- بيروت ٣٤- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق علي النجدي ناصف دار الكتب المصرية ٣٥- الإقناع للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية- بيروت ٣٦- الإكمال في رفع **الارتياب** عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لعلي بن هبة الله أبي نصر بن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) ، دار الكتب العلمية- طبعة أولى ٣٧- الأم لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة ٣٨- أمالي ابن الشجري ليحيى الشجري، عالم الكتب، طبعة ثالثة ٣٩- أمالي المرتضى للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥- ٤٣٦ هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي- القاهرة ٤٠- إمتاع الأسماع للمقريزي، طبع في القاهرة ١٩٤١ م.

٤١- إنباء الغمر بأبناء العمر للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، دائرة المعارف العثمانية- الهند، دار الكتب العلمية طبعة ثانية ٤٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير جمال الدين أبي الحسن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت ٤٣- الأنساب للسمعاني- أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ) ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيي- طبعة مجلس المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن- الهند سنة (١٣٨٥ هـ)

٤٤- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٥١٣- ٥٧٧ هـ) ومعه كتاب «الانتصاف من الإنصاف» للمرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الجيل سنة ١٩٨٢ م.

٤٥- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى سنة (١٣٧٤ هـ) / (١٩٥٥ م) مطبعة السنة المحمدية- ١٧ شارع شريف باشا بالقاهرة ٤٦- أنيس الفقهاء لقاسم القونوي (ت ٩٧٨ هـ) ، تحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكبسي، دار الوفاء- جدة- طبعة ثانية ٤٧- الأوسط في السنن لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت ٣١٨ هـ) ، تحقيق د. أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة.

٤٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت سنة ٧٦١ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار." [(٢)]

"وساق ذلك على وجه يعلمون به أنه الحق بما هتك من سرائرهم وكشف من ضمائرهم، فلما تم ذلك وكان المقصود منه الدعاء إلى الله انتهزت تلك الفلبرصة بقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) [البقرة: ٢١] لما أسس لها من الترغيب بالترهيب، ثم أقيم الدليل على حقية نظمه بتقصيرهم عن مدى سهمه، فرجع حاصل ذلك إلى إثباته بعجزهم عن معارضته في معناه بإيجاد من أخبر بنفيه وفي نظمه بالإتيان بمثله، فلما ثبت ذلك ثبت أنه من عند الله فثبت تأهله لتعليم الشرائع

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٤٧/٥

(٢) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٦٤٩٣٢/٥

فجعلها ضمن مجادلة أهل الكتاب بما يعلمون حقيته بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخمس التي بني عليها الإسلام." (١)

"و ﴿يا أيها المدثر﴾ [المدثر: ١] الذي هو أول منزل الرسالة فكان أول الأمر نذارة وآخره موعظة تبعث النفس على الخوف وتبعث القلب على الشوق من معنى ما اختم به أمر خطاب الله سبحانه وتعالى في آية ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] انتهى - فقال تعالى: ﴿واتقوا يوما﴾ أي في غاية العظم ﴿ترجعون فيه﴾ حسا بذواتكم كما أنتم في الدنيا ومعنى بجميع أموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شيء من الأسباب ولا يحول دونه عارض ارتياب ﴿إلى الله﴾ الذي لا يحصر عظمته وصف ولا يحيط بها حد، فيكون حالكم بعد النقلة من الدنيا كحالكم قبل البروز إليها من البطن لا تصرف لكم أصلا ولا متصرف فيكم إلا الله ويكون حالكم في ذلك اليوم الإعسار، لأنه لا يمكن أحد أن يكافىء ما لله سبحانه وتعالى عليه من نعمه، فمن نوقش الحساب عذب؛ فإن كنتم تحبون المجاوزة عنكم هنالك." (٢)

"ذلك صدق الرسول وحقيقة ما يقول: فأذعنت النفوس، فكان أنسب الأشياء أن عمم سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل ونهوض الدليل، فقال مرغبا مرهبا ﴿يا أيها الناس﴾ أي كافة ﴿قد جاءكم الرسول﴾ أي الكامل في الرسلية الذي كان ينتظره أهل الكتاب لرفع الارتياب ملتبسا ﴿بالحق﴾ أي الذي يطابقه الواقع، وستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق من الأخبار، كائنا ذلك الحق ﴿من ربكم﴾ أي المحسن إليكم، فإن اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه، فتمت نعمته عليكم، ولهذا سبب عن ذلك قوله: ﴿فآمنوا﴾ .
ولما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم: إن تؤمنوا يكن الإيمان ﴿خيرا لكم﴾ ، عطف عليه قوله: ﴿وإن تكفروا﴾ أي تستمروا على كفرانكم، أو تجددوا كفرا، يكن الكفران شرا لكم، أي خاصا ذلك الشر بكم، ولا يضره من ذلك شيء، ولا ينقصه من ملكه شيئا، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا ولا زاد في ملكه شيئا لأن له الغنى المطلق، وهذا معنى قوله: ﴿فإن الله﴾ أي الكامل العظمة ﴿ما في السماوات والأرض﴾ فإنه من إقامة العلة مقام المعلول، ولم يؤكد بتكرير «ما» وإن كان الخطاب مع المضطربين، لأن." (٣)

"فضول، وأن السبب الثالث مما يذم به ما يذم من العلوم أنه مما لا تبلغه عقول أكثر الناس ولا يستقل به، ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع - انتهى. وروى أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» وقال صاحب كتاب الزينة في آخر كتابه بعد أن ذكر العيافة والزجر ونحوهما، ويأتي أكثره عنه في سورة الصافات: وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والنجوم! فإنها تدعو إلى الكهانة» ، قال: هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم والخط وغير ذلك، ولولا الأنبياء الذين أدركوا علم النجوم وعرفوا مجاري الكواكب في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٧٩/١
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٤٤/٤
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥١٧/٥

البروج وما لها من السير في استقامتها ورجوعها، وما قد ثبت وصح من الحساب في ذلك بما لا **ارتياب** فيه، لما قدر الناس على إدراكه، وذلك كله بوحي من الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام، وقد روي أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم، وروي في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء، ولولا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف ولا عرفوها.

ولما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا علا عن." (١)

"ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع وما يجتنب، قال معللا لهذا الإخبار: ﴿إن ربك﴾ أي المحسن إليك بإنزال هذا الكتاب الكاشف **للارتياب** الهادي إلى الصواب ﴿هو﴾ أي وحده ﴿أعلم﴾ ولكون الحال شديد الاقتضاء للعلم، قطعه عما بعده ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال: ﴿من﴾ أي يعلم من ﴿يضل﴾ أي يقع منه ضلال يوما ما ﴿عن سبيله﴾ أي الذي بينه بعلمه ﴿وهو﴾ أي وحده ﴿أعلم بالمهتدين *﴾ كما أنه أعلم بالضالين، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه، ومن نهاكم عنه فاجتنبوه، فمن ضل أرداه، ومن اهتدى أنجاه، فاستمسكوا بأسبابه حذرا من وبيل عقابه يوم حسابه.

ولما قدم سبحانه ما مضى من السوائب وما معها وفي المائدة مما يدين به أهل الجاهلية في أكل الحيوان الذي جر إليه الشرك، وأتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا اهتدوا، وأتبع ذلك ما لاءمه، وانتظم في سلكه ولاحمه، حتى ظهر أي ظهور أن الكل ملكه وملكه، وأنه لا شريك له، فوجب شكره وحده، وكانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تتعالى فاتخذوا معه شركاء ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا." (٢)

"بالتحانية، ولنؤوله على قراءة الجماعة بالنون - من الميرة ما وظفه العزيز، وهو لكل واحد حمل، وأكدوا لما تقدم من فعلهم بيوسف عليه الصلاة والسلام مما يوجب **الارتياب** بهم، فقالوا: ﴿وإنا له﴾ أي خاصة ﴿لحافظون *﴾ أي عن أن يناله مكروه حتى نرده إليك، عريقون في هذا الوصف، فكأنه قيل: ما فعل في هذا بعد ما فعلوا إذ أرسل معهم يوسف عليه الصلاة والسلام؟ قيل: عزم على إرساله معهم، ولكنه أظهر اللجاء إلى الله تعالى في أمره غير قانع بوعدهم المؤكد في حفظه، لما سبق منهم من مثله في يوسف عليه الصلاة والسلام بأن ﴿قال هل آمنكم﴾ أي أقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه مما يسوءني تأمينا مستعليا ﴿عليه﴾ أي بنيامين ﴿إلا كما آمنتكم﴾ أي في الماضي ﴿على أخيه﴾ أي يوسف عليه الصلاة والسلام.

ولما كان لم يطلع يوسف عليه الصلاة والسلام على خيانة قبل ما فعلوا به، وكان ائتمانه لهم عليه إنما هو زمان يسير، أثبت الجار فقال: ﴿من قبل﴾ فإنكم أكدتم غاية التأكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه إلي - والأمن: اطمئنان القلب إلى سلامة النفس - فأنا في هذا لا آمن عليه إلا الله ﴿فالله﴾ أي المحيط علما وقدرة ﴿خير حافظا﴾ منكم ومن كل أحد ﴿وهو﴾ أي باطنا وظاهرا ﴿أرحم الراحمين *﴾." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٠٥/٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٤٠/٧

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٥٣/١٠

"فقال: ﴿له﴾ أي الله سبحانه ﴿دعوة الحق﴾ إن دعاه أحد سمعه فأجابه – إن شاء – بما يشاء، وإن دعا هو أحدا دعوة أمر، بين الصواب بما يكشف **الارتياب**، أو دعوة حكم لبى صاغرا وأجاب ﴿والذين يدعون﴾ أي يدعو الكافرون، وبين سفول رتبتهم بقوله: ﴿من دونه﴾ أي الله ﴿لا يستجيبون﴾ أي لا يوجدون الإجابة ﴿لهم﴾ أي الكافرين ﴿بشيء﴾ والاستجابة: متابعة الداعي فيما دعا إليه بموافقة إرادته ﴿إلا كباسط﴾ أي إلا إجابة كإجابة الماء لباسط ﴿كفيه﴾ تثنيه كف، وهو موضع القبض باليد، وأصله من كفه – إذا جمع أطرافه ﴿إلى الماء ليبلغ﴾ أي الماء ﴿فاه﴾ دون أن يصل كفاه إلى الماء– بما يدل عليه التعدية ب «إلى» ، فما الماء بمجيب دعاءه في بلوغ فيه ﴿وما هو﴾ أي الماء ﴿ببالغه﴾ أي فيه، فللكافرين بذلك دعوة الباطل كما أن الماء جماد لا يحس بدعوة هذا فلا يجيبه، فأصنامهم كذلك.

ولما كان دعاؤهم منحصرا في الباطل، قال في موضع «وما دعاؤهم» مظهرا تعميما وتعليقا للحكم بالوصف: ﴿وما دعاء الكافرين﴾." (١)

"كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف جر: ﴿قبلك﴾ أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع طوائف البشر ﴿إلا رجالا نوحي إليهم﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع على ذلك الملك غيرهم كما اقتضته العظمة من التخصيص والاختيار والإسرار عن الأغيار، وذلك من نعم الله على خلقه، لأن جعل الرسل من البشر أمكن للتلقي منهم والأخذ عنهم.

ولما لم يكن لهم طريق في علم هذا إن يقبلوا خبره عن القرآن إلا سؤال من كانوا يفزعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعوهم على ما هم عليه من الشك **والارتياب**، قال: ﴿فسألوا أهل الذكر﴾ ثم نبه على أنهم غير محتاجين فيه إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من أحوال موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم عليهم الصلاة والسلام بقوله، معبرا بأداة الشكك محركا لهم إلى المعالي: ﴿إن كنتم﴾ أي بجبلاتكم ﴿لا تعلمون*﴾ أي لا أهلية لك في اقتناص علم، بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف.

ولما بين أنه على سنة من مضى من الرسل في كونه رجلا، بين." (٢)

"﴿من همزات الشياطين*﴾ أي أن يصلوا إلي بوساوسهم التي هي كالنخس بالمهماز في الإقحام في السيئات البعد عن مطلق الحسنات، فكيف بالأحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم إلى القبائح أزا ﴿وأعوذ بك رب﴾ أي أيها المربي لي ﴿أن يحضرون*﴾ أي ولو لم تصل إلي وساوسهم فإن حضورهم هلكة، وبعدهم بركة، لأنهم مطبوعون على الفساد لا ينفكون عنه.

ولما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت، وحالة الفوت، فإنه وقت كشف الغطاء، عما كتب من القضاء، وآن اللقاء، وتحتم السفول أو الارتقاء، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد في الدعاء والتضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى: ﴿بل لا يشعرون﴾ أو يمبلسون، منبها بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد في أزمانهم استدراجا لهم: ﴿حتى﴾ أو يكون

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٠١/١٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٩٠/١٢

التقدير كما يرشد إليه السياق: فلا أكون من الكافرين المطيعين للشياطين حتى ﴿إذا جاء﴾ وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال: ﴿أحدهم الموت﴾ فكشف له الغطاء، وظهر له الحق، ولاحت له بوارق العذاب، ولم يبق في شيء من ذلك **ارتياب** ﴿قال﴾ مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس." (١)

"وارتكبوا من لذة قليلة أعقبتهم بؤسا لا آخر له – هذا على قراءة الجماعة، وبين سبحانه بقراءة ابن كثير وحمزة والكسائي أن القول بواسطة بعض عباده الذين أقامهم لتعذيبهم إعراضا عنهم تحقيقا لما أشار إليه ﴿ولا تكلمون﴾ فقال: ﴿قل﴾ أي يا من أقمناه للانتقام ممن أردنا أي لهؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها ولعبها بأهلها فكفروا بنا واستهزؤوا بعبادنا: ﴿كم لبثتم في الأرض﴾ على تلك الحال التي كنتم تعدونها فوزا ﴿عدد سنين*﴾ أنتم فيها ظافرون ولأعدائكم قاهرون، ولعله عبر بما منه الإسنات الذي معناه القحط إشارة إلى أن أيام الدنيا ضيقة حرجة وإن كان فيها سعة، ولا سيما للكفرة بكفرهم وخبثهم ومكرهم الذي جرهم إلى أضيق الضيق وأسوأ العيش ﴿قالوا﴾ استقصارا له في جنب ما رأوا من العذاب واستنقاذا لأنفسهم ظنا أن مدة لبثهم في النار تكون بمقدار مكثهم في الدنيا: ﴿لبثنا يوما﴾ ولعلهم ذكروا العامل تلذذا بطول الخطاب، أو تصريحا بالمراد دفعا للبس **والارتياب**، ثم زادوا في التقليل فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾ .

ولما كان المكرة في الدنيا إذا أرادوا تمشية كذبهم قالوا لمن." (٢)

"ونفى الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام، وفيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة، ولا التفات إلى من قال: إن الرازي والبرهان النسفي نقلا الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الملائكة، فإن عبارة الرازي في بعض نسخ تفسيره: لكنا أجمعنا على أنه لم يرسل إلى الملائكة، وفي أكثر النسخ: بينا – بدل: أجمعنا، على أنه لو اتفقت جميع النسخ عليها لم تضر، لأنها غير صريحة في إرادة الإجماع، ولأن الإجماع لا يثبت بنقل واحد لا سيما في مثل هذا الذي تظافرت الظواهر على خلافه، ولم يرد مانع منه، وأما البرهان النسفي فمن الرازي أخذ، وعبر بعبارته، فصارا واحدا، وقد بينت ذلك عند قوله تعالى في سورة الأنعام

﴿لأنذركم به ومن بلغ﴾ [الأنعام: ١٩] بيانا شافيا لا **ارتياب** معه، بل ولو قيل: إن الآية على ظاهرها، لا خصوص فيها بالعقلاء، وتكليف كل شيء بحسبه، لكان وجها، وبذلك صرح الإمام تاج الدين السبكي في أول الترشيح في قوله: «وأصلي على نبيه محمد المصطفى المبعوث إلى كل شيء» وكذلك المحب الطبري في آخر «القرى لقاصدي أم القرى» وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم ما دعا جامدا." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٣/١٨٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٣/١٩٣

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٣/٣٣٢

"ولما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده، ولا أحد يكيده، مالت إلى المسالمة، فاستأنف سبحانه وتعالى الإخبار عنها بقوله: ﴿قالت﴾ جوابا لما أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن الصواب من غير **ارتياب** أن نحتال في عدم قصد هذا الملك المطاع؛ ثم عللت هذا الذي أفهمه سياق كلامها بقولها." (١)

"﴿وجعل خلالها﴾ أي في الأماكن المنفرجة بين جبالها ﴿أنهارا﴾ أي جارية على حالة واحدة، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب، لتغيرت مجاري المياه بلا **ارتياب**.

ولما ذكر الدليل، ذكر سبب القرار فقال: ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي كمراسي السفن، كانت أسبابا في ثباتها على ميزان دبره سبحانه في مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب.

ولما أثبت القرار وسببه، وكان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تتصرف فيها ولو حبسها عن الجري شيء لأوشك أن تستبحر، فيصير أكثر الأرض لا ينتفع به في سير ولا نبات، أو أن تخرق ذلك الحابس بما لها من قوة الجري وشدة النفوذ بلطافة السريان، لأن من عادة المياه التخلل بين أطباق التراب والتغلغل بما لها من اللطافة والرقة، والثقل في الأعماق ولو قليلا قليلا، وكان سبحانه قد سد ما بين البحرين: الرومي والفارسي، وكان ما بينهما من الأرض إنما هو يسير جدا في بعض المواضع، وكان بعض مياه الأرض عذبا، وبعضه ملحا، مع." (٢)

"في الباطل، فكانوا يجدون مطعنا، فتقول العرب: لعله أخذه من كتب الأقدمين، ويقول الكتابيون: المبشر به عندنا أمي. ولكنه لم يكن شيء من قراءة ولا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن المواظبة لشيء منهما، فلا ريبة في صدقك في نسبته إلى الله تعالى، وإذا انتفت الريبة من أصلها صح نفي ما عندهم منها، لأنه لما لم يكن لهم في الواقع شبهة، عدت ريبتهم عدما، وسموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة، لقيام بقية المعجزات القاطعة بالرسالة، القاضية بالصدق، كما قضت بصدق أنبيائهم مع أنهم يكتبون ويقرؤون، وكتبهم لم تنزل للإعجاز، فصح أنهم يلزمهم الاتصاف بالإبطال **بالارتياب** على كل تقدير من تقديري الكتابة والقرءة وعدمهما، لأن العمدة على المعجزات.

ولما كان التقدير: ولكنهم لا ريبة لهم أصلا ولا شبهة، لقولهم: إنه باطل، قال: ﴿بل هو﴾ أي القرآن الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير ﴿آيات﴾ أي دلالات ﴿بينات﴾ أي واضحات جدا في الدلالة على صدقك ﴿في صدور الذين﴾ ولما كان المقصود المبالغة في تعظيم العلم، بني للمفعول، أظهر ما كان أصله الإضمار فقال: ﴿أوتوا العلم﴾ دلالة على أنه العلم الكامل النافع، فلا يقدر أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم، وفي ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له، ولما كان المراد بالعلم النافع، قال." (٣)

"أعمالهم لا يخشى كما يخشى إذا علم منه أن يستعرضهم قال: ﴿واخشوا يوما﴾ لا يشبه الأيام، ولا يعد هول البحر ولا غيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٤/١٥٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٤/١٨٩

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٤/٤٥٤

ولما كان المجرم إذا علم أن له عند الملك من يدفع عنه فتر ذلك من خوفه، وكان ما بين الوالد والولد من الحنو والشفقة والعطف والرحمة الداعية إلى المحاماة والنصرة والفداء بالنفس والمال أعظم مما بين غيرهما، فإذا انتفى إغناء أحدهما عن الآخر انتفى غيرهما بطريق الأولى قال: ﴿لا يجزي﴾ أي يغني فيه، ولعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام في هذه الدار أسبابا ستر قدرته بها، فصار الجاهل يحيل الأمر ويسنده إليها، وأما هناك فتزول الأسباب، وينجلي غمام **الارتياب**، ويظهر اختصاص العظمة برب الأرباب.

ولما كانت شفقة الوالد – مع شمولها لجميع أيام حياته – أعظم فهو يؤثر حياة ولده على حياته ويؤثر أن يحمل بنفسه الآلام والأموال بدأ به فقال: ﴿والد﴾ كائنا من كان ﴿عن ولده﴾ أي لا يوجد منه ولا يتجدد في وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء." (١)

"الكتاب، وأعلم بجلالته وجزالته وشدته وشجاعته أنه ليس فيه نوع **ارتياب**، وأيضا فأولها في التذكيب بتنزيله، وآخرها في الاستهزاء بتأويله، ﴿يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل﴾ [الأعراف: ٥٣]- الآية، وأيضا فالأول في التكذيب بإنزال الروح المعنوي، والآخر في التكذيب بإعادة الروح العيني الحسي الذي ابتدأه أول مرة والله الهادي إلى الصواب.." (٢)

"راجع إلى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب، وعلى ما أشير إليه يخرج ما ورد من هذا. ولما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه من إعلامه عليه السلام من هذا الأمر بعلي حاله ومزية قدره، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه في مواضع منها إعلامه تعالى بأن أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم أمهات للمؤمنين فنزهن عن أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن وتخصيصا وإجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومنها قوله تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ – الآية، فنزههم عن تطرق سوء أو دخول **ارتياب** على مصون معتقداتهم وجليل إيمانهم ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ والآية بعد ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا﴾ – الآية، ومنها ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ فنزههن سبحانه وبين شرفهن على من عداهن، ومنها تنزيه أهل البيت وتكرمتهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾ الآية، ومنها الأمر بالحجاب ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج وعدم الحجاب، وصانهن عن التبذل والامتهان، ومنها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا." (٣)

"أي بما أباح لكم من الاستمتاع بهن من جهة الزوجية؛ ثم أشار إلى الجهة الأخرى بقوله: ﴿اللائي تظاهرون منهن﴾ أي كما يقول الإنسان للواحدة منهن: أنت علي كظهر أمي ﴿أمهاتكم﴾ بما حرم عليكم من الاستمتاع بهن حتى تجعلوا ذلك على التأبيد وترتبوا على ذلك أحكام الأمهات كلها، لأنه لا يكون لرجل أمان، ولو جعل ذلك لضاق الأمر، واتسع الخرق، وامتنع الرتق ﴿وما جعل أدعياءكم﴾ بما جعل لهم من النسبة والانتساب إلى غيركم ﴿أبناءكم﴾ بما جعلتم لهم من

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٥/٢١١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٥/٢٧٢

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٥/٢٧٩

الانتساب إليكم ليحل لهم إرثكم، وتحرم عليكم حلائلهم وغير ذلك من أحكام الأبناء، ولا يكون لابن أبوان، ولو جعل ذلك لضاعت الأنساب، وعم **الارتياب**، وانقلب كثير من الحقائق أي انقلاب، فانفتح بذلك من الفساد أبواب أي أبواب، فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الذي تبنيته ابنا لك أيها النبي بتبنيك له جزاء له باختياره لك على أبيه وأهله، وهذا توطئة لما يأتي من قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوي وغيره: تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك، فأنزل الله هذه الآية، وبين أن التبني إنما هو مجاز، وأن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيقي وما ألحق به من الرضاع، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان تبنى زيدا بن حارثة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم." (١)

"الخلائق تشريفا له به وتعليقا للحكم بالوصف، لأنه لو قال «لك» كان ربما وقع في بعض الأوهام - كما قال الزجاج - أنه غير خاص به صلى الله عليه وسلم، كرره بيانا لمزيد شرفه في سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول فقال: ﴿إن أراد النبي﴾ أي الذي أعلينا قدره بما اختصصناه به من الإنباء بالأمور العظمية من عالم الغيب والشهادة ﴿أن يستنكحها﴾ أي يوجد نكاحه لها يجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين، فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود.

ولما كان ربما فهم أن غيره يشاركه في هذا المعنى، قال مبينا لخصوصيته واصفا لمصدر ﴿أحللنا﴾ مفخما للأمر بهاء المبالغة ملتفتا إلى الخطاب لأنه معين للمراد رافع **للارتياب**: ﴿خالصة لك﴾ وزاد المعنى بيانا بقوله: ﴿من دون المؤمنين﴾ أي من الأنبياء وغيرهم، وأطلق الوصف المفهم للرسوخ فشمل من قيد بالإحسان والإيقان، وغير ذلك من الألوان، دخل من نزل عن رتبتهم من الذين يؤمنون والذين آمنوا وسائر الناس من باب الأولى مفهوم موافقة، وقد كان الواهبات عدة ولم يكن عنده منهن شيء. روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"لأجل ما كانوا في الدنيا يفطمون أنفسهم عن الشهوات عزوفا عما يفنى، وطموحا إلى ما عندنا من الباقيات الصالحات، ثم فسر الذي يدعونه - أي يطلبونه - بغاية الاشتياق إليه أو استأنف الإخبار عنه بقوله: ﴿سلام﴾ أي عظيم جدا لا يكتنه وصفه، عليكم يا أهل الجنة، كائن هو أو مقول هو، والسلام يجمع جميع النعم، ثم بين حال هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله: ﴿قولا من رب﴾ أي دائم الإحسان ﴿رحيم *﴾ أي عظيم الإكرام بما ترضاه الألهية، كما كانوا في الدنيا يفعلون كل ما فيه الرضا، فيرحمهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش والصعق لعظيم الأمر وبالتأهيل لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه، وقد أوضح هذا السياق أنه من الله تعالى بلا واسطة، فإنه أكده بالقول وحرف الابتداء، وذكر صفات الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: ولا **ارتياب** في أنه لا شيء يعدل هذا في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٥/٢٨٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٥/٣٨٢

النعيم وقرة العين والشرف وعلو القدر، ولا شك أن هذا هو المقصود بالحقيقة، فهو قلب النعيم في ذلك اليوم الذي هو قلب الوجود حقا خفاء وصلاحا وفسادا، فصح أن هذه." (١)

"وصحة النذارة وإثبات المجد، فكان الوعيد في ذلك كافيا.

ولما كان التقدير: فلقد أعقبنا كلا من أولئك الأحزاب لما حق عليهم العقاب بنوع من الأنواع لا شك فيه عند أحد ولا ارتياب، عطف عليه قوله: ﴿وما﴾ ولما كانت قريش في شدة العناد والتصميم على الكفر والاستكبار عن الإذعان للحق وتعاطي جميع أسباب العذاب كأنهم ينتظرونه ويستعجلونه، عبر بما يدل على الانتظار. ولما كانوا لمعرفتهم بصدق الآتي إليهم والقطع بصحة ما يقول كأنهم يرون العذاب ولا يرجعون، جرد فعل الانتظار فقال: ﴿ينظر﴾ وحقرهم بقوله: ﴿هؤلاء﴾ أي الذين أدبروا عنك في عزة وشقاق، وغاية جهدهم أن يكونوا من الأحزاب الذين تحزبوا على جندنا فأخذناهم بما هو مشهور من وقائعنا ومعروف من أيامنا بأصناف العذاب، ولم تغن عنهم كثرتهم ولا قوتهم شيئا ولم يضر جندنا ضعفهم ولا قلتهم ﴿إلا صيحة﴾ وحقر أمرهم بالإشارة إلى أن أقل شيء من عذابه كاف في إهلاكهم فقال ﴿واحدة﴾ ولما كان السياق للتهديد فعلم به أن الوصف بالوحدة للتعظيم، بينه بقوله: ﴿ما لها﴾ أي الصيحة ﴿من فواق *﴾ أي مزيد أي شيء من جنسها يكون فوقها، يقال: فاق أصحابه فوقا وفواقا، علاهم، وقرأه." (٢)

"أي يشك فيما لا يقبل الشك ويتهم غيره بما لا حظ للتهمة فيه، أي ديدنه التذبذب في الأمور الدينية، فلا يكاد يحقق أمرا من الأمور، ولا إسراف ولا ارتياب أعظم من حال المشرك فإنه منع الحق أهله وبذله لمن لا يستحقه بوجه، وهذه الآية دليل على أن القبط طول الدهر على ما نشاهده من أنه لا ثقة بدخولهم في الدين الحق، ولا ثبات لهم في الأعمال الصالحة.." (٣)

"أو شريك، ثم وصفه بما يبين تباركه واختصاصه بالإلهية فقال: ﴿الذي له ملك السماوات﴾ أي كلها ﴿والأرض﴾ كذلك ﴿وما بينهما﴾ وبين كل اثنين منها، والدليل على هذا الإجماع القائم على توحيده عند الاضطرار.

لما ثبت اختصاصه بالملك وكان الملك لا يكون إلا عالما بملكه وكان ربما ادعى مدع وتكذب معاند في الملك أو العلم، قطع الأطماع بقوله: ﴿وعنده﴾ أي وحده ﴿علم الساعة﴾ سائقا له مساق ما هو معلوم الكون، لا مجال للخلاف فيه إشارة إلى ما عليها من الأدلة القطعية المركوزة في الفطرة الأولى فكيف بما يؤدي إليه الفكر من الذكر المنبه عليه السمع، ولأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته، وخوفا من سطواته، ورجاء في بركاته ﴿وإليه﴾ أي وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿ترجعون﴾ بأيسر أمر تحقيقا لملكه وقطعا للنزاع في وحدانيته، وقراءة الجماعة وهم من عدا ابن كثير وحمزة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦/١٤٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦/٣٤٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٧/٦٦

والكسائي وورش عن يعقوب بالخطاب أشد تهديدا من قراءة الباقين بالغيب، وأدل على تناهي الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه **ارتياب**.." (١)

"السماء كما رويناه في جزء العيشي من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه تمثيلا بما نعرفه من حال الملوك في أن أحدهم يكون نزوله عن سريره أدنى في إتيان خواصه إليه، وفتح بابه أدنى لمن يليهم، وكلما نزل درجة كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات، وأما من هو غني عن كل شيء فله سبحانه المثل الأعلى ولا يشبه شيئا، ولا يشبهه شيء، وفي ﴿قرآن الفجر﴾ من سورة سبحان لهذا مزيد بيان، وقال القاضي عياض في الشفاء ما حاصله أن تلك الضمائر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: قال جعفر بن محمد - يعني الصادق بن الباقر: أدناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين، وقال أيضا: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة والإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه وزال عن قلبه الشك **والارتياب**، وقال جعفر أيضا: والدنو من الله تعالى لا حد له، ومن العباد بالحدود - انتهى.

وحينئذ يكون ضمير «استوى» له صلى الله عليه وسلم، ويكون المعنى: فتسبب عن تعليم جبريل له استواوه - أي اعتدال علمه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما وكسبا بالملك والملكوت والحال أنه بالأفق الأعلى ليلة الإسراء، وتدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل السبب للمتدلي، وعبر به وهو ظاهر في النزول من علو مع عدم الانفصال منه لئلا يوهم اختصاص." (٢)

"لما نهى سبحانه في الممتحنة عن اتخاذ عدوه وليا، وذم في الصف على المخالفة بين القول والفعل، وحذر آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم على حال من الأحوال ولو مع الوفاق، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق، قبح في أول هذه حال من أقبل عليه على حال النفاق، لأنه يكون كاليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، واستمرت السورة كلها في ذمهم بأقبح الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق، فقال تعالى: ﴿إذا جاءك﴾ أي يا أيها الرسول المبشر به في التوراة والإنجيل ﴿المنافقون﴾ أي العريقون في وصف النفاق وهو إسلام الظاهر وكفر الباطن، وأغلبهم من اليهود ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم لما عندهم من **الارتياب**: ﴿نشهد﴾ قال الحسن: هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا: نقسم ﴿إنك﴾ - التأكيد لذلك وإيهاما لأن قوة تأكيدهم لشدة رغبتهم في مضمون ما يقولونه ﴿لرسول الله﴾ أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة، فوافقوا الحق بظاهر أحوالهم، وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم.." (٣)

"بذلوا جميع الجهد في تحسين القول لأنه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لأنهم لا يحسبون للآخرة حسابا فقال: ﴿كأنهم﴾ أي في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم وفي الجبن والخور وعدم الانتفاع بهم في شيء من فهم أو ثبات فإنهم لا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٧/٤٩٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ١٩/٤٩

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٢٠/٧٤

حقيقة لهم ﴿خشب﴾ جمع كثرة لخشبة وهو دليل على كثرتهم. ولما كان الخشب ربما أطلق على المغروس، نفى ذلك بقوله منبها بالتشديد على الكثرة: ﴿مسندة﴾ أي قد قطعت من مغارسها وقشرت وأسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب، فهي بيض تلوح تعجب ناظرها ولا ثبات لها ولا باطن بثمرة ولا سقي فلا مدد سماوي لها أصلا يزكيها نوع زكاء فقد فقدت روح الإثبات الذي به كمالها كما فقد المنافق روح الإيمان الذي به كمال الناطق وبقاؤه، فهم في تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام.

ولما كان من يقول ما لا يفعل يصير متهما لكل من يكلمه، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن، وذلك هو السبب الأعظم في تحسين قوله، قال: ﴿يحسبون﴾ أي لضعف عقولهم وكثرة **ارتيابهم** لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم." (١)

"أي أنا ومن آمن بي لهذا البرهان القاطع بأنه لا يكافئه شيء فهو كاف في الإيمان به ﴿وعليه﴾ أي وحده ﴿توكلنا﴾ لأنه لا شيء في يد غيره وإلا لرحم من يريد عذابه أو عذاب من يريد رحمته، فكل ما جرى على أيدي خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذي أجراه لأنه الفاعل بالذات، المستجمع لما يليق به من الصفات، فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره، وقد أقررنا له بهذه العبارة على وجه الحصر بالألوهية والربوبية فلا نحتج في السلوك إليه إلى معوق عن ذكره والتفكر في آلائه ولو كان المعوق نفيسا في ظاهر الحياة الدنيا ولو كان مخوفا فإنه لا خوف معه سبحانه، فالتوكل عليه منجاة من كل هلكة مجلبة لكل ملكة، ولم يفعل كما تفعلون أنتم في توكلكم على رجالكم وجاهكم وأموالكم.

ولما أبان هذا طريق الصواب، وجلى كل **ارتياب**، وكان لا بد من الرجوع إليه والانقلاب، لإتمام الرحمة بالثواب والعقاب، سبب عنه قوله: ﴿فستعلمون﴾ أي عند التجلي عليكم بصفة القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه ﴿من هو﴾ أي منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا." (٢)

"على اعظم صواب دون شك ولا **ارتياب**، وجلى عليه أوانسه وعرائسه وحباه جواهره ونفائسه، وحلاه به، فكان ملكه وسائسه، كما كان المدثر (صلى الله عليه وسلم) حين كان خلقه القرآن، واسمها القيامة واضح في ذلك جدا، وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه " لا " النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها في الوضوح في حد لا يحتاج إلى الأقسام عليه لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض، ويتصرفون فيما خولهم فيه منه غير حساب، فكيف بأحكم الحاكمين الذي وكل عبيده أضعافهم من الملائكة فهم يديرون كل لحظة فيهم كؤوس المنايا، ويأخذون من أمرهم به سبحانه إلى داره البرزخ للتهيئة للعرض ويسوقونهم زمرا بعد زمر إلى العود في الأرض حتى ينتهي الجمع في القبور، ويقيمهم بالنقر في الناقور، والنفخ في الصور، إلى ساحة الحساب للثواب والعقاب، ولم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة في الشر شديدة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٨١/٢٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٧٠/٢٠

اللوم عن الإقصار عن شيء منه كمت أن ما جلاه لنبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى كان خلقه، ولمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه." (١)

"إشارة إلى طريق من كان في الطرف الآخر من حال أولئك الفريق إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [التغابن: ٢] والسالكون طريق السلامة فأعلى درجاتهم مقامات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم يليهم أتباعهم من صالحي العباد وعلمائهم العاملين وعبادهم وأهل الخصوص منهم والقرب من أحوال من تنسك منهم، ورتبتهم مختلفة وإن جمعهم جامع وهو قوله: ﴿فريق في الجنة﴾ وأما أهل التنكب عن هذا الطريق وهم الهالكون فعلى طبقات أيضا، ويضم جميعهم طريق واحد فكيفما تشعبت الطرق فإلى ما ذكر من الطريقين مرجعهما، وباختلاف سبل الجميع عرفت آي الكتاب وفصلت، ذكر كله تفصيلا لا يبقى معه **ارتياب** لمن وفق، فلما انتهى ذلك كله بما يتعلق به، وتداولت بيانه الآي من لدن قوله بعد أم القرآن ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] إلى قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ أتبع ذلك بالتفاصيل والتسجيل فقال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فبين سبحانه أن من قضي عليه بالكفر والوفاة عليه لا سبيل له إلى خروجه عن ذلك، ولا يقع منه الإيمان أبدا ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا." (٢)

"من الكتاب، على غاية من السداد والصواب، وكأنه اكتفى أولا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفي في أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم الختمة جوزي بتعوذ من القرآن، ترقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر بالأول أي اتصال بلا **ارتياب**، واتحد به كل اتحاد – إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها وجملها، بالنسبة إلى مفهوماتها وعللها، وبقي النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها، بلطائف رموزها وإشاراتها، فهي عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من أول النبوة سنة عمرة القضاء وهي السابعة من الهجرة، بها تبين الأمن مما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم لدخول البيت والطواف به، فإذا ضممت إليها الضمائر الثلاث كانت ثلاثا وعشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة وهي سنة حجة الوداع وهي القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذي كان في أول السنة الحادية عشرة عند موت النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب بأمر الردة، فأعاذ الله من شره بهمة الصديق رضي الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين وأنزل به وسواس الشياطين المفسدين، فانتظمت كلمة المسلمين." (٣)

"وألبوا علي رعاع الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، وصوبوا طريق الإلحاد، وبالغوا في الرفع من أهل الاتحاد، ولجوا بالخصام في العناد، وأفتوا بمحض الباطل، وبثوا السم القاتل، إلا ناسا قليلا كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا، فسألتهم سؤالا، جعلهم ضلالا جهالا، فتداولوه فيما بينهم وتناقلوه وعجزوا عن جوابه بعد أن راموه أشد الروم، وحاولوه فظهر لأكثر الناس حالهم، واشتهر بينهم ضلالهم، وغيهم الواضح ومحالهم، وصنفت في ذلك عدة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٨٣/٢١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٠٣/٢٢

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٤١/٢٢

مصنفات، بانت فيها مخازيهم وظهرت المخبآت، منها «صواب الجواب للسائل المرتاب» ومنها «القارض لتكفير ابن الفارض» ومنها «تدمير المعارض في تكفير ابن الفارض» ومنها «تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي» ومنها «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد» أنفقت فيها عمرا مديدا، وبددوا فيها أوقاتي – بددهم الله تبديدا، وهدد أركانهم وأعضادهم تهديدا، وقرعتهم بالعجز عن الجواب، الكاشف **للارتياب**، صباحا ومساء، وإعادة وإبداء، فحملهم التقريع، والتوبيخ والتبخيع، على كتابة جواب، لم يخل من ارتجاج واضطراب، وشك." (١)

"**وارتياب**، بينت أن جامعه أخطأ في جميعه الصواب، وكفر في أربعة مواضع كفرا صريحا، وكذب في ثمانية فصار بذلك جريحا، بل هالكا طريحا، فأطلت بذلك التقريع، والتوبيخ والتبشيع، فذلت أعناقهم، وضعف شقاقهم، وخفي نفاقهم، غير أنه حصل في كل واحدة من هذه الوقائع، من الشرور وعجائب المقدور، ما غطى ظلامه الشموس الطوالع.

وطال الأمر في ذلك سنين، وعم الكرب حتى كثر الأنين، والتضرع في الدعاء والحنين، وثبت الله ورزق الصبر والأناة حتى أكمل هذا الكتاب، على ماتراه من الحسن والصواب.

وقد قلت مادحا للكتاب المذكور، بماابان عنه من عجائب المقدور، وغرائب الأمور، شارحا لحالي، وحالهم وظفر آمالي، وخيبة آمالهم من مجزوء الرجز، وضربه مقطوع، والقافية متواتر مطلق مجرد، مسميا له ب (كتاب لما) لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة ما أمامها متصلة بها، وذلك هو المظهر المقصود من الكلام وسره ولبابه، الذي هو للكلام بمنزلة الروح وبيان معاني المفردات، وكل جملة على حيالها بمنزلة الجسد، فالوح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق." (٢)

"**ارتياب** فيهما أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت أيضا، فإن اطلع بأمارة، ومظنة على كذبهما أقسم آخران من أولياء الميت، هكذا قرر هذا الحكم على مقتضى هذه الآيات غير واحد من أئمة السلف والتابعين، وهو مذهب الإمام أحمد، والقاضي شريح في خاصة مثل هذه الواقعة، وقال بعضهم حكم الآية منسوخ إن أريد من الغير الكافرون فإن شهادة الكافر كانت في بدأ الإسلام ثم نسخت، وقال بعضهم المراد من الشهادة الوصاية وكون الوصي اثنين للتأكيد فإنهم قالوا: لا نعلم حكما يحلف فيه الشاهد وهو خلاف الظاهر المتبادر، وسبب نزول الآية أن رجلا من المسلمين خرج مسافرا معه رجلان من أهل الكتاب، ومات بأرض ليس فيها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاما من فضة مموها بالذهب، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأحلفهما بعد صلاة العصر فحلفا على أنهما ما اطلعا على الإناء، ثم وجد الإناء عند من اشترى منهما، فقام رجلان من أوليائه فحلفا أن الإناء لنا وأخذا.

* * *

(يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩) إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٢٢/٤٤٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٢٢/٤٤٦

والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا." (١)

"قال الراغب: الكتب ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض في الخط، وقد يقال ذلك للمضموم بعضها إلى بعض في اللفظ، ولهذا سمي كتاب الله – وإن لم يكتب – كتابا (١)

* * *

قوله: (لا ريب فيه) معناه أنه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل) إلى آخره.

قال الطيبي: يعني ما نفى الريب بحيث ينتفي به المرتابون، وإنما نفى بطريق يرشد إلى أنه لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه، فإذن الكلام مع المرتابين، ويدل عليه أيضا تصدير الكلام بأسامي حروف التهجي؛ لأنها كالتنبيه وقرع العصا لهم، كأنه قيل: أيها المرتابون تنبهوا من رقدة الجهالة، واعلموا أن القرآن من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه، فينطبق على هذا استشهاده بقوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) [سورة البقرة ٢٢] وتفسيره حتى إذا عجزوا عنها تحقق لهم أن ليس فيه مجال للشبهة (٢)

قوله: (فإنه ما أبعد عنهم الريب) إلى آخره

قال الطيبي: أي خاطب المصرين على الريب الجازمين فيه بما يدل على خلوهم عنه، ولم يقصد به أنهم غير مرتابين، وإنما قصد به إرشادهم وتعريفهم الطريق إلى مزيل الريب على سبيل الاستدراج، يعني أن **الارتياب** من العاقل في مثل هذا المقام واجب الانتفاء، فلا يفرض إلا كما يفرض المحالات، وأنتم عقلاء ألباء تفكروا فيه، وجربوا نفوسكم، وانظروا هل تجدون فيه مجالا للريب (٣).

قوله: (و (هدى) حال من الضمير المجرور، والعامل فيه الظرف)

قال أبو حيان: هذا مشكل؛ لأن الحال تقييد، فيكون انتفاء الريب مقيدا بالحال، أي لا ريب يستقر فيه في حال كونه هدى للمتقين، لكن يزيل الإشكال أنها حال لازمة (٤).

قوله: (سمي به الشك).

ظاهره ترادفهما، وليس كذلك، بل الريب أخص.." (٢)

"قال بعضهم: الريب شك مع تهمة.

وقال الإمام: الريب قريب من الشك، وفيه زيادة كأنه ظن سوء (١).

وقال الراغب: الفرق بين الشك والمرية والريب أن الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٠٧/١

(٢) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي السيوطي ٢٧٤/١

الآخر بأمارة، والمرية التردد في المتقابلين وطلب الأمارة، مأخوذ من مرى الضرع، أي مسحه للدر، فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن، والريب أن يتوهم في الشيء أمر ما، ثم ينكشف عما توهم فيه (٢).

وقال الخويي: الشك لما استوى فيه الاعتقادان، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما درجة الظهور الذي يبني عليه العاقل الأمور المعتبرة، والريب لما لم يبلغ درجة اليقين وإن ظهر نوع ظهور، ولهذا حسن (لا ريب فيه) هنا، فإنه بيان لكون الأمر ظاهرا بالغا درجة اليقين بحيث لا يحصل فيه ريب فضلا عن شك.

قوله: (وفي الحديث " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشك ريبة، والصدق طمأنينة ")

أخرجه الترمذي من حديث الحسن بن علي، وصححه بلفظ " فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة " (٣).

قال الطيبي: دع ما اعترض لك الشك فيه منقلبا إلى ما لا شك فيه، فإذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه، فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتاب من الكذب، فارتيابك في الشيء منبئ عن كونه باطلا، فاحذره، واطمئنانك إلى الشيء مشعر بكون حقا، فاستمسك به، وهذا مخصوص بذوي النفوس الشريفة." (١)

"قال الطيبي: والتركيب حينئذ من باب: أنا أبو النجم وشعري شعري. اهـ

قوله: (و (علام) منصوب على الاختصاص).

قال الحلبي: يعني بالاختصاص النصب على المدح، لا الاختصاص الذي هو شبيه بالنداء فإن شرطه أن يكون حشوا. اهـ

قوله: (أو النداء).

زاد في الكشاف: أو هو صفة لاسم إن. اهـ

قال الطيبي: قيل: وفيه نظر لأن اسم إن ضمير، والضمير لا يوصف.

قال: وأجيب بأن النظر مدفوع لأنه يذكر الأقوال المذكورة وبعضهم جوز وصف الضمير، وهذا بناء على ذلك المذهب. اهـ

وقال أبو حيان: أجمعوا على أن ضمير المتكلم والمخاطب لا يجوز أن يوصف، وإنما جرى الخلاف في ضمير الغائب. اهـ

وقال الحلبي: يمكن أن يقال: أراد بالصفة البدل، وهي عبارة سيبويه، يطلق الصفة ويريد البدل، فله أسوة بإمامه، ولكن يبقى فيه البدل بالمشتق وهو أسهل من الأول.

قال: ولم أرهم خرجوه على لغة من ينصب الجزأين بـ (إن) ولو قيل به لكان جوابا. اهـ

قال الطيبي: لا ارتياب أن الكلام إذا انقطع عند قوله (أنت) كما صرح به لم يكن لقوله تعالى (علام الغيوب) تعلق إعراب به، فلا وجه لجعله صفة نحوية، فيكون التقدير: يا علام الغيوب، على النداء، أو اذكر علام الغيوب على المدح، أو أعني علام الغيوب على الوصف والتفسير، فإن الجملة الثانية بيان للجملة الأولى من حيث الصفة التي يستند عليها المقام على طريقة: أنا أبو النجم، وأنت تعلم أن نحو هذا التركيب لا يفيد معنى بنفسه ما لم يستند إلى ما ينبيء عن وصف خاص، وههنا لما قيل: إنك أنت الموصوف بأوصافك لم يعلم أن الصفة التي يقتضيها المقام ما هي فقيل:." (٢)

---

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي   السيوطي ١/٢٧٥

(٢) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي   السيوطي ٣/٣١٦

"وضع الظاهر موضع المضمر؟ قلت: لا ارتياب أن القائلين لقوله (إن هي إلا حياتنا الدنيا) هم الناهون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كفار قريش، وإن قوله (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) إلى قوله (أفلا تعقلون) كالاعتراض والتوكيد لما يتضمن معنى الكلام السابق واللاحق من التهديد والوعيد لاشتماله على جميع من أنكر الحشر وسوء مغبتهم وإظهار حسرتهم وندامتهم ووخامة أمر حياة الدنيا، وليس المقام من مجاز وضع المظهر موضع المضمر لأن الاعتراض مستقل بنفسه ولا تعلق له بالسابق إلا من حيث المعنى. اهـ

قوله: ((وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) تمثيل لاستحقاق آصار الآثام).

قلت: بل هو على حقيقته كما وردت به الآثار.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي في قوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) قال: ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره إلا جاءه رجل قبيح الوجه أسود اللون منتن الريح عليه ثياب دنسه حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك؟ قال: كذلك كان عملك قبيحا.

قال: ما أنتن ريحك؟ قال: كذلك كان عملك منتنا.

قال: ما أدنس ثيابك؟ فيقول: إن عملك كان دنسا.

قال: من أنت؟ قال: أنا عملك.

قال فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذات والشهوات فأنت اليوم تحملني، فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار، فذلك قوله عز وجل (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عمرو بن قيس الملائي: أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيبه ريحا، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد طيب ريحك وحسن صورتك.

فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم، وتلا (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا).." (١)

"زاد أبو البقاء: أو بقوله (ليقضي).

قال الطيبي: والبدل أولى، لأن المراد بالحياة: الإيمان، وبالهلاك: الكفر، وبالبينة: إظهار كمال القدرة الدالة على الحجة الدامغة، أي: فعلنا ذلك لتظهر حجة من أسلم، ويدحض باطل من كفر، ولا ارتياب في أن هذه المعاني في هذا التركيب أوضح منها في قوله تعالى (ليقضي الله أمرا كان مفعولا). اهـ

قوله: (وقرئ (ليهلك) بالفتح).

قال ابن جني في المحتسب: هي شاذة مرغوب عنها لأن ماضيه هلك بالفتح ولا يأتي فعل يفعل إلا إذا كان حرف الحلق في العين أو اللام فهو من اللغة المتداخلة.

قوله: (أكله جزور).

---

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي السيوطي ٣٤٧/٣

جمع آكل، أي: قليل يشبعهم جزور واحد، يضرب مثلا في العد والأمر الذي لا يعبء به. قاله الطيبي.

قوله: (ولم يصفها).

قال الشيخ سعد الدين: أي لم يقل فيه كافرة مع أنه المقصود. اهـ

قوله: (والريح مستعارة للدولة).

قال الطيبي: شبهت الدولة في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح، ثم أدخل المشبه في جنس المشبه به إدعاء، وأطلق المشبه به وهو الريح على المشبه المتروك. اهـ

قوله: (وقيل: المراد بها الحقيقة).

قال الطيبي: ويجوز أن يكون كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد. اهـ

قوله: (فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله).

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو وإذا كان كذلك لم يكن لهم قوام.

وأخرج ابن أبي شيبة عن النعمان بن مقرن قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا." [1]

"وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن الشعبي رضي الله عنه في الآية قال: كان أناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا وفد المسلمين قالوا ﴿غر هؤلاء دينهم﴾

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن إسحق رضي الله عنه في قوله ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ قال: هم الفئة الذين خرجوا مع قريش احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على **الارتياب** فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ﴿غر هؤلاء دينهم﴾ حين قدموا على ما قدموا عليه من قلة عددهم وكثرة عدوهم وهم فئة من قريش مسمون خمسة قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان والحارث بن زمعة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه

الآيات ٥٠ - ٥٤." [2]

"فلا إثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه ﴿إن ارتبتم﴾ أي: شككتم فيما أخبرا به عن الواقعة ثم ذكر المقسم عليه بقوله: ﴿لا نشتري به ثمنا﴾ أي: بهذا الذي ذكرناه ثمنا أي: لم نذكره ليحصل لنا به غرض دنيوي وإن كان في نهاية الجلالة وليس قصدنا به إلا إقامة الحق ﴿ولو كان﴾ أي: القسم له ﴿ذا قربى﴾ أي: لنا ﴿ولا نكتم شهادة الله﴾ أي: التي أمرنا بإقامتها ﴿إنا إذا﴾ أي: إذا كتمناها ﴿لمن الآثمين﴾ .

﴿فإن عثر﴾ أي: اطلع بعد حلفهما ﴿على أنهما استحقا إثما﴾ أي: فعلا ما يوحيه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن

---

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي السيوطي ٣/٤٧٥

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٤/٨٠

وجد عندها مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به ﴿فآخران﴾ أي: فشاهدان آخران ﴿يقومان مقامهما﴾ أي: في توجيه اليمين عليهما ﴿من الذين استحق عليهم﴾ الوصية وهم الورثة على قراءة غير حفص بضم التاء وكسر الحاء على البناء للمفعول وعلى البناء للفاعل فهو الأوليان ويبدل من آخران ﴿الأوليان﴾ بالميت أي: الأقربان إليه، وقرأ حمزة وشعبة بتشديد الواو وكسر اللام وبسكون الياء وفتح النون على الجمع على أنه صفة للذين أو بدل منه أي: من الأولين الذين استحق عليهم والباقون بسكون الواو وفتح اللام والياء وألف بعد الياء وكسر النون على التثنية على أنه بدل من آخران كما مر أو خبر محذوف أي: هما الأوليان ﴿فيقسمان﴾ أي: هذان الآخران ﴿بالله﴾ ويقولان ﴿لشهادتنا﴾ أي: يميننا ﴿أحق﴾ أي: أصدق ﴿من شهادتهما﴾ أي: يمينهما ﴿وما اعتدينا﴾ أي: تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إنا إذا﴾ أي: إذا وقع منا اعتداء ﴿لمن الظالمين﴾ أي: الواضعين الشيء في غير موضعه.

ومعنى الآيتين: أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت، فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة أو مظنة حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإن الشاهد لا يحلف ولا تعارض يمينه بيمين الوارث، وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة إما لظهور خيانة الوصيين فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته أو لتغيير الدعوى وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي ما روي أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن زيد إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما بها وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ثم قضيا حاجتهما وانصرفا إلى المدينة ودفعا المتاع إلى أهل الميت ففتشوا فأصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فجاءوا تميما وعديا فقالوا: هل باع صاحبنا شيئا؟ قالا: لا قالوا: هل اتجر تجارة قالا: لا قالوا: فهل طال مرضه فأنفق على نفسه؟ قالا لا قالوا: فإنا وجدنا في متاعه صحيفة فيها تسمية ما معه وإنا فقدنا منها إناء من فضة مموها بالذهب ثلثمائة مثقال من فضة قالا: ما ندري إنما أوصى لنا بشيء وأمرنا أن ندفعه لكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجترآ على الإنكار وحلفا فأنزل تعالى الله: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ الآية فلما نزلت هذه." (١)

"من يوم بدر.

﴿إذ﴾ أي: واذكر إذ ﴿يقول المنافقون﴾ أي: من أهل المدينة، والمنافق هو من يظهر الإسلام ويخفي الكفر كما أن المرائي هو من يظهر الطاعة ويخفي المعصية ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك وارتياب، وهم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يقع الإسلام في قلوبهم ولم يتمكن، فلما خرج قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم إلى بدر، فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا: ﴿غر هؤلاء﴾ المسلمين ﴿دينهم﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه، فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعدي بن أمية بن خلف الجمحي

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٠٣/١

والعاص بن أمية بن الحجاج، قال تعالى في جوابهم: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ أي: يثق به يغلب ﴿فإن الله عزيز﴾ أي: غالب على أمره ﴿حكيم﴾ أي: في صنعه يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل، ويعجز عن إدراكه.
ولما شرح تعالى أحوال هؤلاء الكفار شرح أحوال موتهم، والعذاب الذي يصل إليهم في ذلك الوقت بقوله تعالى:
﴿ولو ترى﴾ أي: عاينت وشاهدت يا محمد ﴿إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ أي: بقبض أرواحهم عند الموت ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ أي: ظهورهم وأستاههم، قال البيضاوي: ولعل المراد تعميم الضرب أي: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ أي: النار.
قال ابن عباس: كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف، وإذا ولوا ضربوا أدبارهم، فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت نزع الروح، وجواب لو محذوف، والتقدير لرأيت منظرا هائلا وأمرا فظيعا وعقابا شديدا، والملائكة مرفوع بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز أن يكون في قوله: يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر.

﴿ذلك﴾ أي: الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق ﴿بما﴾ أي: بسبب ما ﴿قدمت﴾ أي: كسبت ﴿أيديكم﴾ من الكفر والمعاصي، وإنما عبر بالأيدي دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها والتحقيق إن الإنسان جوهر واحد وهو الفعال وهو الدراك وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصي وهذه الأعضاء آلة له وأدوات في الفعل فأضيف الفعل في الظاهر إلى الآلة وهو في الحقيقة مضاف إلى جوهر ذات الإنسان ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ فلا يعذب أحدا من خلقه بغير ذنب وظلام للتكثير لأجل العبيد أي: أنه بمعنى ذي ظلم.
﴿كدأب﴾ أي: دأب هؤلاء الكفار بكفرهم مثل دأب ﴿آل فرعون﴾ وهو عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي: داموا عليه فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالإغراق، وأصل الدأب في اللغة إدامة العمل يقال: فلان دأب في كذا أي: داوم عليه وسميت العادة دأبا لأن الإنسان مداوم على عادته مواظب عليها ﴿والذين من قبلهم﴾ أي: من قبل آل فرعون وقوله تعالى: ﴿كفروا بآيات الله﴾ تفسير لدأب آل فرعون ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ أي: بسبب كفرهم كما أخذ هؤلاء ﴿الله الله قوي﴾ أي: على ما يريده فينتقم ممن كفر وكذب رسله ﴿شديد العقاب﴾ ممن كفر وكذب رسله وقوله تعالى:

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما حل بهم من العقاب ﴿بأن﴾ أي:." (١)

"وسلم لم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما تسمعون، وقال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ الله تعالى بالعفو قبل أن يعيره، وقال القاضي عياض في الشفاء: إن هذا أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولأعده الله تعالى معصية عليه بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك وليس عفا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق»

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٧٦/١

ولم تجب عليهم قط أي: لم يكن يلزمكم ذلك. ونحوه للقشيري قال: وإنما يقول: العفو لا يكون إلا عن ذنب، من لا يعرف كلام العرب. وقال مكي: هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك. وقال السمرقندي: إن معناه عافاك الله، وقال الرازي: إن ذلك يدل على مبالغة الله في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره إذا كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضي الله عنك ما صنعت في أمري فلا يكون غرضه من هذا الكلام إلا مزيد التمجيد والتعظيم أي: كما كانت عادة العرب في مخاطبتهم لأكابرهم بأن يقولوا: أصلح الله الأمير والملك ونحو ذلك. ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ أي: في اعتذارهم ﴿وتعلم الكاذبين﴾ أي: فيما أظهروا من الإيمان باللسان لو لم يؤذن لهم لقعدوا بلا إذن غير مراعين ميثاقهم الذي واثقوك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ابن عباس: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يؤمئذ حتى نزلت براءة.

﴿لا يستأذنك﴾ أي: لا يطلب إذنك بغاية الرغبة فيه ﴿الذين يؤمنون با واليوم الآخر﴾ أي: الذي يكون فيه الجزاء بالثواب والعقاب ﴿أن﴾ أي: في أن ﴿يجاهدوا﴾ وإنما حسن هذا الحذف لظهوره ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه وبعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف عنه فإن الخلص من المهاجرين والأنصار كانوا يقولون لا نستأذنه صلى الله عليه وسلم في الجهاد فإن ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأي فائدة في الاستئذان ولنجاهد معه بأموالنا وأنفسنا وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه وسلم بالقعود لشق عليهم كما وقع لعلي رضي الله عنه في غزوة تبوك لما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبقى في المدينة شق عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» ﴿وا عليم بالمتقين﴾ أي: الذين يتقون مخالفته ويسارعون إلى طاعته.

﴿إنما يستأذنك﴾ يا محمد في التخلف عن الجهاد معك من غير عذر ﴿الذين لا يؤمنون با واليوم الآخر﴾ وهم المنافقون لأنهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا ﴿وارتابت﴾ أي: شكت ﴿قلوبهم﴾ في الدين وإنما أضاف الشك **والارتياب** إلى القلب لأنه محل المعرفة والإيمان فإذا داخله الشك كان ذلك نفاقا ﴿فهم﴾ أي: فتسبب عن ذلك أنهم ﴿في ريبهم يترددون﴾ أي: المنافقون ويتحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين.

تنبيه: اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل إنها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى: ﴿إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون با ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ (النو، ٦٢)

وقيل: إنها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات أن المؤمنين كانوا يسارعون إلى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير." (١)

"عند معاينة الموت بقوله تعالى: ﴿حتى﴾ وهي هنا كما قال الجلال المحلي ابتدائية أو متعلقة بيصفون أو بكاذبون كما قال الزمخشري، وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال:

﴿إذا جاء أحدهم الموت﴾ فكشف له الغطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب، ولم يبق في شيء من ذلك **ارتياب**

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٦١٨/١

﴿قال﴾ متحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة مخاطبا لملائكة العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس من دأب البهائم ﴿رب ارجعون﴾ أي: ردوني إلى الدنيا دار العمل، ويجوز أن يكون الجمع له تعالى وللملائكة أو للتعظيم على عادة مخاطبات الأكابر سيما الملوك كقوله:

*ألا فارحموني يا إله محمد

وقوله:

*فإن شئت حرمت النساء سواكم

أو القصد تكرير الفعل للتأكيد؛ لأنه في معنى أرجعني كما قيل في قفا واطرقا فإنهما بمعنى قف قف واطرق اطرق، ولما كان في تلك الحالة مع وصوله إلى الغرغرة ليس على القطع من اليأس قال:

﴿لعلي أعمل﴾ أي: لأن كون على رجاء من أن اعمل ﴿صالحا فيما تركت﴾ أي: ضيعت من الإيمان بالله وتوابعه فيدخل في الأعمال الأعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بلى قدوما على الله، وأما الكافر فيقول: رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت» قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله ولا عشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر إذا رأى العذاب، وقال ابن كثير: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت واستقال ربه، فأقاله فليعمل بطاعة الله تعالى، ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولو رجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون، قال الله تعالى له ردعا وردا لكلامه: ﴿كلا﴾ أي: لا يكون شيء من ذلك وكأنه قيل: فما حكم ما قال؟ فقيل: ﴿إنها كلمة﴾ والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون إلى آخره ﴿هو قائلها﴾ وقد عرف منه الخداع والكذب فهي كما عهد منه لا حقيقة لها، فلا يجاب إليها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يخليها، ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه، وتسلط الندم ﴿ومن ورائهم﴾ أي: أمامهم والضمير للجماعة ﴿برزخ﴾ أي: حاجز حائل بينهم وبين الرجعة، واختلف في معناه فقال مجاهد: حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا، وقال قتادة: بقية الدنيا، وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث، وقيل: هو الموت، وقيل: هو القبر هم فيه ﴿إلى يوم يبعثون﴾ وهو يوم القيامة، وفي هذا إقناط كلي من الرجوع إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا، وإنما الرجوع فيه إلى حياة تكون في الآخرة.

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ أي: القرن، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها النفخة الأولى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ثم نفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون، وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال: يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رؤوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان، فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له." (١)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٥٩١/٢

"عندهم أو متوقعا، وكل منهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أمانته تمنعه فتعين الأول فظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف وضمير الفصل لنفي ذلك عن غيرهم فإن قيل: إذا خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا، وإذا ارتابوا ففي قلوبهم مرض والكل واحد فأي فائدة في التعديد؟

أجيب: بأن قوله تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ أشار به إلى النفاق، وقوله تعالى: ﴿أم ارتابوا﴾ إشارة إلى أنهم بلغوا في حب الدنيا حيث يتركون الدين بسببه فإن قيل: هذه الثلاثة متغايرة ولكنها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة أم؟ أجييب بأنه تعالى نبههم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتياب وكانوا يخافون الحيف من الرسول، وكل واحد من ذلك كفر ونفاق، واختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فقال مقاتل: نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فإن محمدا يحيف علينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية وقد مضت قصتها في سورة النساء.

وقال الضحاك: نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض تقاسماها فوقع إلى علي ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة فقال المغيرة: بعني أرضك فباعه إياها وتقابضا، فقيل للمغيرة: أخذت سبخة لا ينالها الماء، فقال لعلي: اقبض أرضك فإنما أشتريتها إن رضيتها ولم أرضها، فقال علي: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك، ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة: أما محمد فلا نأتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي، فنزلت الآية.

وقال الحسن: نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، ولما نفى تعالى عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم به كان كأنه سئل عن حال المؤمنين، فقال تعالى:

﴿إنما كان﴾ أي: دائما ﴿قول المؤمنين﴾ أي: العريقين في ذلك الوصف ﴿إذا دعوا﴾ أي: من أي داع كان ﴿إلى الله﴾ أي: إلى ما أنزل الملك الذي لا كفء له من أحكامه ﴿ورسوله﴾ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ليحكم﴾ أي: الرسول ﴿بينهم﴾ بما أراه الله تعالى أي حكومة من الحكومات لهم أو عليهم ﴿أن يقولوا سمعنا﴾ أي: الدعاء ﴿وأطعنا﴾ أي: بالإجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا ﴿وأولئك﴾ أي: العالوا الرتبة ﴿هم المفلحون﴾ الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين، وهذا يدل على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد إنكاره لما لا ينبغي، ولما رتب تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى:

﴿ومن يطع الله﴾ أي: الذي له الأمر كله ﴿ورسوله﴾ أي: فيما ساءه وسره ﴿ويخش الله﴾ أي: فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي ليحمله ذلك على كل خير ﴿ويتقه﴾ أي: الله فيما بقي من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية من المباحات فيتركها ورعا ﴿فأولئك﴾ أي: العالوا الرتبة ﴿هم الفائزون﴾ بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

بشر من النعيم المقيم، وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل، وعن بعض." (١)

"مكة وأهل الكتابين ﴿وما يجحد﴾ أي: ينكر، قال قتادة: والجحود: إنما يكون بعد المعرفة ﴿بآياتنا﴾ أي: التي جاوزت أقصى غايات العظمة حتى إنها استحقت الإضافة إلينا ﴿إلا الكافرون﴾ أي: اليهود ظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني أنكم آمنتم بكل شيء وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة إلا هذه المسألة الواحدة وبإنكارها تلحقون بهم وتعطلون مزاياكم فإن الجاحد بآية يصير كافرا.

﴿وما﴾ أي: وأنزلنا إليك الكتاب والحال أنك ما ﴿كنت تتلو﴾ أي: تقرأ أصلا ﴿من قبله﴾ أي: هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك، وأكد استغراق الكتب بقوله تعالى: ﴿من كتاب﴾ أصلا ﴿ولا تخطه﴾ أي: تجدد وتلازم خطه وصور الخط، وأكده بقوله: ﴿بيمينك﴾ فإن قيل ما فائدة قوله بيمينك؟ أجيب: بأنه ذكر اليمين التي هي أقوى الجارحتين وهي التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا، ألا ترى أنك إذا قلت في الإثبات رأيت الأمير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لإثباتك أنه تولى كتبه فكذلك النفي، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الريبة في أمره لعاقل إلا بالمواظبة القوية التي ينشأ عنها ملكه فكيف إذا لم يحصل أصل الفعل ولذلك قال تعالى: ﴿إذا﴾ أي: لو كنت ممن يخط ويقرأ ﴿لارتاب﴾ أي: شك ﴿المبطلون﴾ أي: اليهود فيك وقالوا: الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأولين وكتبه بيده.

فإن قيل: لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق في قولهم لعله تعلمه أو كتبه بيده فإنه رجل كاتب قارئ؟ أجيب: بأنه سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال: هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحينئذ ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه لارتيابهم، وأيضا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا أميين ووجب الإيمان بهم وما جاؤوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات، فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزل إليهم معجز وهذا المنزل معجز فإذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو أمي ومبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير أمي، ولما كان التقدير ولكنه لا ريب لهم أصلا ولا شبهة لقولهم أنه باطل قال تعالى:

﴿بل هو﴾ أي: القرآن الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير ﴿آيات﴾ أي: دلالات ﴿بينات﴾ أي: واضحات جدا في الدلالة على صدقك ﴿في صدور الذين أوتوا العلم﴾ أي: المؤمنين يحفظونه فلا يقدر أحد على تحريف شيء منه لبيان الحق لديهم، وفي ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم، وقال ابن عباس وقتادة: بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته ووصفه في كتبهم ﴿وما يجحد﴾ وكان الأصل به ولكنه أشار إلى عظمته بقوله تعالى: ﴿بآياتنا﴾ أي: ينكرها بعد المعرفة على ما لها من

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٦٣٤/٢

العظمة بإضافتها إلينا والبيان الذي لا يجهله أحد ﴿إلا الظالمون﴾ أي: المتوغلون في الظلم المكابرون.

فإن قيل: ما الحكمة في قوله تعالى." (١)

"إذا استأذن رجل من المسلمين قام المنافق إلى جنبه مستترا به حتى يخرج فأنزل الله تعالى: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا﴾ (النور: ٦٣)

الآية» . قال السهيلي: وهذا الخبر وإن لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا وقال قتادة: وبلغنا أنهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام، وكل ذلك يوافق يوم الجمعة.

وقيل: إن خروجهم لقدوم دحية بتجارته ونظرهم إلى العير، وهي تمر لهو لا فائدة فيه إلا أنه كان مما لا إثم فيه لو وقع على ذلك الوجه، ولكنه لما اتصل به الإعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر، ونزل فيه من القرآن وتهجينه باسم اللهو ما نزل. وقوله تعالى: ﴿وتركوك﴾ أي: تخطب حتى بقيت في اثني عشر رجلا، قال جابر: أنا أحدهم ﴿قائما﴾ جملة حالية من فاعل انفضوا، وقد مقدرة عند بعضهم.

تنبيه: في قوله تعالى: ﴿قائما﴾ تنبيه على مشروعيته في الخطبتين، وهو من الشروط للقادر على القيام، وأما أركانهما فخمسة: حمد الله تعالى، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما، ووصية بتقوى الله، وهذه الثلاثة في كل من الخطبتين، وقراءة آية مفهمة ولو في إحداهما والأولى أولى، ودعاء للمؤمنين والمؤمنات في ثانية، ومن الشروط كونهما عربيتين، وكونهما في الوقت، وولاء، وطهر، وستر كالصلاة ﴿قل﴾ يا أشرف الخلق للمؤمنين ﴿ما عند الله﴾ أي: المحيط بجميع صفات الكمال ﴿خير﴾ ما موصولة مبتدأ وخير خبرها ﴿من اللهو ومن التجارة﴾ والمعنى: ما عند الله تعالى من ثواب صلاتكم خير من لذة لهوكم، وفائدة تجارتكم. وقيل: ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم خير مما اقتسمتموه من لهوكم وتجارتكم ﴿والله﴾ أي: ذو الجلال والإكرام وحده ﴿خير الرازقين﴾ أي: خير من رزق وأعطى فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة. وما قاله البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة الجمعة أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين» حديث موضوع.

سورة المنافقين

مدنية وهي إحدى عشرة آية، ومائة وثمانون كلمةوسبعمائة وستة وسبعون حرفا

﴿بسم الله﴾ الذي له الإحاطة العظمى علما وقدرة ﴿الرحمن﴾ الذي ستر بعموم رحمته من أراد من عباده ﴿الرحيم﴾ الذي وفق أهل وده لما يحبه ويرضاه.

﴿إذا جاءك﴾ يا أيها الرسول المبشر بك في التوراة والإنجيل، وقرأ حمزة وابن ذكوان بالإمالة والباقون بالفتح، وإذا وقف حمزة سهل الهمزة مع المد والقصر، وله أيضا إبدالها ألفا مع المد والقصر ﴿المنافقون﴾ أي: الغريقون في وصف النفاق، وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم بتكذيب من يسمعهم لما عندهم من الارتياب

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٤٥/٣

﴿نشهد﴾ قال الحسن: هو بمنزلة اليمين كأنهم قالوا نقسم ﴿إنك لرسول الله﴾ أي: الملك الذي له الإحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر." (١)

"والمعنى المؤمن الكامل ﴿فصدوا﴾ أي: فسبب لهم اتخاذهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم مع سوء البواطن وحرارة ما في الصدور، وحملوا غيرهم على الإعراض ﴿عن سبيل الله﴾ أي: عن طريق الملك الأعظم الذي شرعه لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه، ووصلوا إلى ذلك بخداعهم ومكرهم بجراءتهم على الأيمان الخائنة ﴿إنهم ساء ما كانوا﴾ أي: جبلة وطبعا ﴿يعملون﴾ أي: يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جراءتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده بالأيمان الخائنة.

ولما كانت المعاصي تعمي القلوب فكيف بأعظمها علله بقوله تعالى:
﴿ذلك﴾ أي: سوء عملهم ﴿بأنهم آمنوا ثم كفروا﴾ .
فإن قيل: إن المنافقين لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم، فما معنى قوله تعالى: ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ ؟ أجيب: بثلاثة أوجه:
أحدها: آمنوا، أي: نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام، ثم كفروا أي: ثم ظهر كفرهم بعد ذلك، وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقول محمد حقا، فنحن حمير، وقولهم في غزوة تبوك: أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات، ونحوه قوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾ (التوبة: ٧٤)
أي: وظهر كفرهم بعد أن أسلموا، ونحوه ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ (التوبة: ٦٦)
والثاني: آمنوا أي: نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالإسلام بقوله تعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾ إلى قوله ﴿إنما نحن مستهزؤن﴾ (البقرة: ١٤)
وهذا إعلام من الله تعالى بأن المنافقين كفار.
الثالث: أن يراد أن ذلك في قوم آمنوا ثم ارتدوا ﴿فطبع﴾ أي: فحصل الطبع وهو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ذلك غيره سبحانه ﴿على قلوبهم﴾ أي: لأجل اجترائهم على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق ﴿فهم﴾ أي: فتسبب عن ذلك أنهم ﴿لا يفقهون﴾ أي: لا يقع لهم فقه في شيء من الأشياء، فهم لا يميزون صوابا من خطأ، ولا حقا من باطل.
﴿وإذا رأيتهم﴾ أي: أيها الرسول على ما لك من الفطنة ونفوذ الفراسة، أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر ﴿تعجبك أجسامهم﴾ لضخامتها وصباحتها، فإن عنايتهم كلها بصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم، فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق.
قال ابن عباس: كان ابن أبي جسيما صحيحا فصيحا ذلق اللسان، وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة،

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤/٢٩١

وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه، ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ﴿وإن يقولوا﴾ أي: يوجد منهم قول في وقت من الأوقات ﴿تسمع لقولهم﴾ أي: لفصاحته فيلذذ السمع ويروق الفكر ﴿كأنهم﴾ أي: في حسن ظواهرهم وسوء بواطنهم، وفي عدم الانتفاع بهم في شيء ﴿خشب﴾ جمع كثرة لخشبة، وهو دليل على كثرتهم ﴿مسندة﴾ أي: قطعت من مغارسها ممالة إلى الجدار. وقرأ أبو عمرو والكسائي بسكون الشين، والباقون بضمها ﴿يحسبون﴾ أي: لضعف عقولهم وكثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ﴿كل صيحة﴾ أي: من نداء مناد في إنشاد ضالة، أو انفلات دابة، أو نحو ذلك واقعة ﴿عليهم﴾ وضارة لهم لجبنهم وهلعهم لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم. ومنه أخذ الأخطل:." (١)

"فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر.

وقوله تعالى: ﴿ليستيقن الذين﴾ متعلق بجعلنا لا بفتنة. وقيل: بفعل مضمر أي: فعلنا ذلك ليستيقن الذين ﴿أوتوا الكتاب﴾ أي: أعطوا التوراة والإنجيل، فإنه مكتوب فيهما إنه تسعة عشر، فذلك موافقة لما عندهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ أي: من أهل الكتاب ﴿إيمانا﴾ أي: تصديقا لموافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم ﴿ولا يرتاب﴾ أي: يشك ﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ في عددهم.

فإن قيل: قد أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وزيادة الإيمان للمؤمنين فما فائدة ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ ؟ أجيب: بأن الإنسان إذا اجتهد في أمر غامض دقيق الحجة كثير الشبه، فحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل الدقيق فيعود الشك فإثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك، ففائدة هذه الجملة نفي ذلك الشك، وإنه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة.

﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق وإن قل ونزول هذه السورة قبل وجود المنافقين فهو علم من أعلام النبوة فإنه إخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الأمور علة إصلاح ناس وفساد آخرين؛ لأنه لا يسأل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشيء بالقصد الأول ثم يترتب عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من البلد لمخافة الشر ومخافة الشر لا يتعلق بها الغرض.

﴿والكافرون﴾ أي: ويقول الراسخون في الكفر الجازمون بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الأدلة من الحق ﴿ماذا﴾ أي: أي شيء ﴿أراد الله﴾ أي: الملك الذي له جميع العظمة ﴿بهذا﴾ أي: العدد القليل في جنب عظمته ﴿مثلا﴾ قال الجلال المحلي: سموه لغرابته بذلك، وأعرب حالا. وقال الليث: المثل الحديث ومنه ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ (الرعد: ٣٥)

أي: حديثها والخبر عنها. وقال الرازي: إنما سموه مثلا لأنه لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظن القوم أنه ربما لم يكن مراد الله تعالى منه ما أشعر به ظاهره، بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر لا جرم سموه مثلا على سبيل الاستعارة

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢٩٤/٤

لأنهم لما استغربوه ظنوا أنه ضرب مثلا لغيره، ومثلا تمييز أو حال وتسمية هذا مثلا على سبيل الاستعارة لغرابته.
ولما كان التقدير أراد بهذا إضلال من ضل وهو لا يبالي وهداية من اهتدى وهو لا يبالي كان كأنه قيل: هل يفعل مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: مثل هذا المذكور من الإضلال والهداية ﴿يضل الله﴾ أي: الذي له مجامع العظمة ومعاقد العز ﴿من يشاء﴾ بأي كلام شاء، كإضلال الله تعالى أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم ﴿ويهدي﴾ بقدرته التامة ﴿من يشاء﴾ بنفس ذلك الكلام أو بغيره كهداية أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة لأنه تعالى قال في أول الآية ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾ الخ، ثم قال تعالى: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ .
﴿وما يعلم جنود ربك﴾ أي: المحسن إليك بأنواع الإحسان المدبر لأمرك ﴿إلا هو﴾ أي: الله سبحانه وتعالى. قال مقاتل رضي الله عنه: وهذا جواب لأبي جهل حيث قال: ما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر. وقال مجاهد رضي الله عنه: ﴿وما يعلم جنود ربك﴾ يعني: من الملائكة الذين خلقهم." (١)

"﴿وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ شروع في تحقيق أن الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما أن ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن أن يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى إن كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوك الوقوع وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها وإنما لم يقل وإن ارتبتم فما نزلنا الخ لما أشير إليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار بأن ذلك إن وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه ليس معنى كونهم." (٢)

"في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه إرخاء للعنان وتوسيعا للميدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة إلى إنكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير   الخطيب الشربيني ٤/٤٣٤

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم   أبو السعود ٦٣/١

مهل وتدريج فهاتوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت وإزاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقيادة لأوامره تعالى مالا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو صلى الله عليه وسلم وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيذان بأن **الارتياب** فيه **ارتياب** فيما أنزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والأمر في قوله تعالى ﴿فأتوا بسورة﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر كما في قوله تعالى ﴿فأت بها من المغرب﴾ والفاء للجواب وسببية **الارتياب** للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على مافيها أو من السورة التي هي الرتبة قال

ولرهط حراب وقذ سورة ... في المجد ليس غرابها بمطار

فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب يرتقى إليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشئ ولا يخفى ما فيه ومن في قوله ﴿من مثله﴾ بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوهم أن له مثلا محققا قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهكم بهم يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الأخفش بدليل قوله تعالى ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ ﴿بعشر سور مثله﴾ وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما أن رجوعه إلى المنزل يوهم أن له مثلا محققا قد ورد الأمر التعجيزي بالإتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه إلى المنزل عليه فإن تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والأمية يهون الخطب في الجملة خلا أن تخصيص التحدى بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإيتان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى أو مجتمعين مع أنه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فأين هذا من تحدي أمة جمة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة." (١)

"المائدة آية ١٠٦

والتنوين على أن عاملها مضمر هو العامل في اثنان أيضا أي ليقم شهادة بينكم اثنان ﴿ذوا عدل منكم﴾ أي من أقاربكم

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦٤/١

لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان ﴿أو آخران﴾ عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى ﴿من غيركم﴾ صفة لآخران أي كائنان من غيركم أي من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم ﴿إن أنتم﴾ مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز وقوع المبتدأ بعد إن الشرطية كجواز وقوعه بعد إذا فقوله تعالى ﴿ضربتم فى الارض﴾ أي سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فأصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرطية وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه أي إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا آخرين أو فالشاهدان آخران كذا قيل والأنسب أن يقدر عين ماسبق أي فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد آخران على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى ﴿تحبسونهما﴾ استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي تقفونهما وتصبرونهما للتحليف ﴿من بعد الصلاة﴾ وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن اللائق إشهاد الأقارب أو أهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة إليه وأنت خبير بأنه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للأولين أيضا قطعا على أن اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الأمر بإشهادهماإذ مآله فآخران شأنهما الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد **الارتياب** بهما كما يفيده الاعتراض الآتي والمراد بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنه وقت اجتماع الناس ووقت تصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وقتئذ حلف من حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ﴿إن ارتبتم﴾ شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال **الارتياب** أي إن ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله تعالى ﴿لا نشترى به ثمنا﴾ جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فإن ذلك إنما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما." (١)

"المائدة آية ١٠٧

بأيديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي ﴿فآخران﴾ أي رجلان آخران وهو مبتدأ خبره ﴿يقومان مقامهما﴾ ولا محظور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨٩/٣

والمجرور بعده أي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي توليا ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لإظهار الحق وإبراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما لما في أيديهما ﴿من الذين استحق﴾ على البناء للفاعل على قراءة علي وابن عباس وأبي رضي الله عنهم أي من أهل الميت الذين استحق ﴿عليهم الاوليان﴾ من بينهم أي الأقربان إلى الميت الوارثان له الأحقان بالشهادة أي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف أي استحقا عليهم أن يجردوهما للقيام بها لأنها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر أي من الذين استحق عليهم الإثم أي جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته فالأوليان مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل ومن هما فقيل الأوليان أو هو بدل من الضمير في يقومان أو من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف أي استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة وقرىء الأولين على أنهم صفة للذين الخ مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم على الأجانب في الشهادة لكونهم أحق بها وقرىء الأوليين على التثنية وانتصابه على المدح وقرىء الأولان ﴿فيقسمان بالله﴾ عطف على يقومان ﴿لشهادتنا﴾ المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله أي ليميننا على أنهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها ﴿أحق﴾ بالقبول ﴿من شهادتهما﴾ أي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما أنه قد ظهر للناس استحقاقهما للإثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع أنه لا حقية في يمينهما رأسا إنما هي لإمكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في أيديهما ﴿وما اعتدينا﴾ عطف على جواب القسم أي ما تجاوزنا فيها الحق أو ما اعتدينا عليهما بإبطال حقهما ﴿إنا إذا لمن الظالمين﴾ استئناف مقرر لما قبله أي إنا إن اعتدينا في يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى أو لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم أن المحتضر ينبغي أن يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه أو دينه فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران من غيرهم ثم إن وقع ارتياب بهما أقسما على أنهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فإن اطلع بعد ذلك على كذبهما بأن ظهر بأيديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بأيمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فإنه روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن يزيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه فوجدا فيه إناء من فضة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع إلى أهله فأصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الإناء فقالا ما ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم." (١)

"﴿فإن كنت في شك﴾ أي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فإن مضمون الشرطية إنما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لإمكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣/٩١

العابدين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ونظائرهما

﴿مما أنزلنا إليك﴾ من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل

﴿فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ فإن ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما ألقينا إليك والمراد إظهار نبوته صلى الله عليه وسلم بشهادة الأحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وإن لم يكن إليه حاجة أصلا أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته صلى الله عليه وسلم أو تهييجه صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب وأضرابهم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو لكل من يسمع أي إن كنت أيها السامع في شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى أهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرءون الكتب

﴿لقد جاءك الحق﴾ الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته

﴿من ربك﴾ وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من التشريف ما لا يخفى

﴿فلا تكونن من الممترين﴾ بالتنزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل." [١]

"﴿أفي قلوبهم مرض﴾ إنكار واستقباح لإعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ما وليته الهمزة وأم من الأمور الثلاثة بل هو منشئيتها له كأنه قيل أذلك أي إعراضهم المذكور لأنهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ﴿أم﴾ لأنهم ﴿ارتابوا﴾ في أمر نبوته صلى الله عليه وسلم مع ظهور حقيتها ﴿أم﴾ لأنهم ﴿يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشيته وحكم بأن المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ أي ليس ذلك لشيء مما ذكر أما الأولان فلأنه لو كان لشيء منها لأعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم عند كون الحق لهم ولما أتوا إليه صلى الله عليه وسلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا وأما الثالث فلا نتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله صلى الله عليه وسلم في الأمانة والثبات على الحق بل لأنهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة إليه صلى الله عليه وسلم لعلمهم بأنه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الإضراب في الأولين هو وصف منشئيتهما للإعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم في الجملة والمعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه صلى الله عليه وسلم تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به صلى الله عليه وسلم فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب ومنشيته معا فتأمل فيما

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤/١٧٥

ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما

٥١ - يقتضيه النظر الجليل." (١)

"﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ أي ما كنت قبل إنزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئا من كتاب ﴿ولا تخطه﴾ أي ولا تقدر على أن تخطه ﴿بيمينك﴾ حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته صلى الله عليه وسلم عن ذلك." (٢)

"﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ بدل من الموصول الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين ﴿بغير سلطان﴾ متعلق يجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة ﴿آتاهم﴾ صفة سلطان ﴿كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا﴾ فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود إلى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل إلى الجدال المستفاد من يجادلون ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الطبع الفظيع ﴿يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرىء بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منعهما." (٣)

"﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء

﴿ثم يميتكم﴾ عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر

﴿ثم يجمعكم﴾ بعد الموت

﴿إلى يوم القيامة﴾ للجزاء

﴿لا ريب فيه﴾ أي في جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات الدال على وقوعها حتما والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه

﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما." (٤)

"﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله﴾ في طاعته

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٨٧/٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٤٣/٧

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٧٦/٧

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧٤/٨

على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معا كالحج والجهاد ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الحميلة ﴿هم الصادقون﴾ أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم روي أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى." (١)

"٧٤ سورة المدثر (٣٢ ٣٥) وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل

ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون

تأكيد لما قبله من الاستقيان وإزدياد الإيمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وإنما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي **الارتياب** حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فإن انتفاء **الارتياب** من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك

وليقول الذين فى قلوبهم مرض

شك أو نفاق فيكون اخبترا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة

والكافرون

المصرون على التكذيب

ماذا أراد الله بهذا مثلا

أي أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشناعة

كذلك يضل الله من يشاء

ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء

ويهدى من يشاء

إضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات إلى جانب الهدى لا إضلالا وهداية أدنى منهما

وما يلعم جنود ربك

أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون

إلا هو

إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٢٤/٨

من كم وكيف ونسبة

وما هي

أي سقر أو عدة خزنتها او الآيات الناطقة بأحوالها

إلا ذكرى للبشر

إلا تذكرة لهم." (١)

"والمصنف رحمه الله لم يتعرض له لما فيه من الخفاء والإبهام، وقوله: بمعنى المفعول ظاهر، وفي بعض النسخ بني للمفعول، وهو إن صح فبنى معناه صيغ لبيان معنى المفعول، وهو أحد معاني البناء المارة. وقوله: (ثم أطلق على النظوم إلخ) ولم ينظر حينئذ إلى أنه حروف مجموعة وأصله الجمع مطلقا لأنه أصل مهجور هنا فلا يقال إنه مضي إلى المجاز بلا ضرورة كما توهم. قوله: (معناه أنه لوضوحه إلخ (جواب عن أنه كيف نفى الريب استغراقا مع كثرة المرتابين والريب، أي هو لوضوح شأنه، ونير برهانه لا يرتاب فيه ذو نظر صحيح فتعين أنه وحي معجز وما سواه بمنزلة العدم لا يعتد به، ولا **بارتيابه** فمعنى نفيه عنه أنه ليس محلا له، ولا مظنة عند العاقل المنصف ولذا قيل إنه لنفي اللياقة، والسطوع ظهور النار والنور، وارتفاعهما استعير لغاية الظهور وقوله بحيث خبر أن وما بينهما اعتراض، وحد الإعجاز له معنياه نهايته ومرتبته والإضافة بيانية أي النهاية التي هي الإعجاز، أو مرتبة هي الإعجاز، وسيأتي تنويره في تفسير قوله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢] وقد قيل عليه: إن بلوغه حذ الإعجاز هو برهانه الساطع، فالأولى أن يقتصر على كونه وحيا، ولا يذكر قوله بالغا حد الإعجاز، وقيل السطوع إجمال والبلوغ المذكور تفصيل له، والإجمال لا يغني عن التفصيل، على ان قوله بالغا إلخ من تتمة بيان محل **الارتياب** المنفي بعد النظر الصحيح وتلخيصه أن ظهور برهانه بحسب نفس الأمر يوجب نفي **الارتياب** بعد النظر الصحيح في كونه بالغا حذ الإعجاز، فهذا كالعلة لعدم **الارتياب** في كونه وحيا، فليس في الكلام ما يستغنى عنه حتى يقال: إن الأولى تركه والأحسن أن يقال: إن قوله لوضوحه أي لظهور أحواله المخصوصة به علة لكونه وحيا وسطوع برهانه أي كونه في القوة والنور المبين غير خفي علة لبلوغه حد الإعجاز، ففيه لف ونشر. قوله: (لا أن أحدا لا يرتاب فيه إلخ) عطف على معناه أي المعنى هذا لا هذا، وقوله: ألا ترى بتاء الخطاب تأييد للنفي وعبر بما ذكر للدلالة على أنه لغاية وضوحه كالمحسوس الذي يرى وبعض الطلبة يقرؤه بالياء التحتية المضمومة تأدبا، والرواية بخلافه أو عدل عن قوله في الكشاف ما نفى أن أحدا لا

يرتاب فيه وإنما المنفي كونه متعلقا للريب، ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة، وسطوع البرهان، بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه إلخ. فغير العبارة وقدم وأخر إشارة إلى ما فيه مما لا يرتضيه لأنه كما اتفق عليه شراحه كان الظاهر أن يترك لا من قوله إن أحدا لا يرتاب إلخ لئلا يفسد المعنى لأن نفي نفي الريب إثبات له، وقد وجه بما لم يصف من الكدر فقيل: لا زائدة وليس بشيء، وقيل: في نفي ضمير مستتر راجع للريب بقرينة السؤال وقيل: إن قبل أن حرف جر مفدر، لأنها مفتوحة رواية ودراية، فكسرها توهم فارغ وتقديره ما نفى الريب بأن أحدا، أو لأن أحدا، أو على معنى أن أحدا لا يرتاب

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٩/٦٠

فيه، ورد بأن المنفي حينئذ العلة، والتفسير فلا يقابله قوله وإنما المنفي إلخ. فالواجب أن يقال: وإنما نفي لعلة، أو على معنى آخر، وفيه نظر والأحسن ما قاله المحقق من أن في الكلام نقصا نوه عنه لما أشار إليه بعض الفضلاء من أن المقابلة نظرا لمآل المعنى، ومحصله أو هو وارد على خلاف مقتضى الظاهر مثلا بل المعنى ومثله أكثر من أن يحصر، وقيل: معناه ليست القضية المائي بها سالبة هي هذه فالنفي بمعنى الإتيان بالخبر سالبا لا بمعنى الإعدام، فتصح المقابلة لا أن الكلام في استعمال النفي بهذا المعنى مع أن الحكم بزيادة لا أقل تكلفا منه كما قال قدس سره: والظاهر أن النفي بهذا المعنى في كلام المصنف، وعرف التخاطب غير عزيز، وما ذكره من المقابلة غير مسلم، فإن المنفي في قوله: إنما المنفي ليس بذلك المعنى، فلا تصح المقابلة ظاهرا والتكلف في تصحيح الأولين أقل من التكلف في هذا، ثم قال قدس سره: وفي مبالغته في الحصر بقوله وإنما إلخ إشارة إلى أنه ليس المنفي ههنا إلا كون القرآن محلا صالحا في نفسه لتعلق الريب به، ومظنة له بل هو لوضوح الدلالة وسطوع البرهان على كونه حقا منزلا من عند الله بحيث لا ينبغي لأحد أن يرتاب فيه، وهذا معنى صحيح لا يقدح في صدقه ارتياب جميع الناس فضلا عن ارتياب بعضهم "، وفي اختيار إنما إشعار بأن كون المنفي ما ذكره أمر مكشوف، كما تقول بعد تلخيص مسئلة على وجه صواب هذا مما لا شك، ولا شبهة فيه مع تردد المخاطب فيها تريد أنها يقينية لا يليق بأحد أن يشك فيها." (١)

"وتقول لمن ينكر أمرا لا إنكار فيه أي ليس هو محلا للإنكار وخليقا به هذا زبدة ما حققه السيد السند وفيه مؤاخذات مفصلة في حواشي المطول لا حاجة لإيرادها هنا، والحق كما قاله بعض الفضلاء أن في عبارة الكشاف تعسفا على سائر الوجوه فلذا عدل عنها المصنف رحمه الله، فلفه دره. قوله: (﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ [البقرة: ٢٣]) قيل: إن مراد المصنف أن وجود الريب وان تحقق إلا أنه منزل منزلة العدم لأنه لا يصدر عن عاقل تدبره، وما يصدر عن غيره لا عبرة به، فكأنه غير موجود رأسا فنفيه عنه نفي لكونه محلا له، ومظنة لثبوته والدليل على أنه أراد هذا تأييده ما مر بقوله ألا ترى إلخ، فليس حاصل جوابه تخصيصا لنفي الريب، كما توهم بل يثير إلى ما نقل هنا عن بعض الفضلاء من أن ما في الكشاف معناه ليس القرآن مظنة للريب، ولا ينبغي أن يرتاب فيه، فقيل

عليه: إنه مثنة لريب المرتابين ومع تحقق المئنة كيف يصح نفي المظنة وقول المصنف لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح تخصيص لنفي الريب العام، ولو صح هذا ما أشكل على أحد، وقد استشكله مهرة المفسرين، فالأصح أن معنى ما في الكشاف أن الريب بمعنى جنسه منفي على عمومه، وإن كان المتقي في الحقيقة استحقاق الريب ولياقته به لا هو نفسه، وليس المراد تقدير الاستحقاق فيه، ولا أن المنفي وجوده بل تعلقه بالقرآن تعلق الوقوع من غير نظر إلى تعلقه بالمرتاب فضلا عن أن يكون المنفي هو التعلق الثاني، وذلك أن الارتياب له نسبة إلى الطرفين، وكل ما هو كذلك يجوز أن يكون مناط إيجابه، وسلبه تعلقه بأحد الطرفين ليس إلا كما بين في محله، فإن قلت إنهم قالوا قراءة لا ريب بالفتح نص في الاستغراق لأن نفي الجنس مستلزم له قطعا، فكيف يتأتى ادعاء التخصيص قلت: هذا غير مسلم لما قاله بعض المدققين: من أن الموجبة الجزئية والسالبة الجزئية لا يتناقضان، فيجوز أن ينتفي الجنس في ضمن فرد ويثبت في ضمن فرد آخر، إلا أن يقال

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١/١٨٦

المفهوم بحسب العرف من نفي الجنس بلا تقييد نفيه بالكلية، وأيضا لا يظهر الكلام على رأي من جعل اسم الجنس موضوعا بازاء فرد، ومن ههنا تبين لك أنه لا فرق بين كلام الشيخين لمن كان صادق النظر. قوله: (فإنه ما أبعد عنهم الريب إلخ) أي لم يجعل الريب بعيدا عنهم فما نافية لا تعجبية وقد أورد عليه أن قوله ما أبعد إلخ لا يناسب ما قبله بل المناسب له أن يقول إن إن الشرطية هنا بمعنى إذا إلا أنه قصد توبيخهم على **الإرتياب**، فصور بصورة ما لا يثبت إلا على سبيل الفرض والتردد لوجود ما يقلعه من أصله، أو على من لم يقطع **بارتيابه** على المرتابين وأيضا إن ظاهر قوله: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ [البقرة: ٢٣] الآية لا يفيد القطع بوجود الريب فلا يلائم قوله: لا أن أحدا لا يرتاب إلخ ليحصل التأييد، فالمناسب أن يؤيد بقوله: ﴿ما هذا إلا إفك مفترى﴾ [سبأ: ٤٣] ونحوه وأجيب بأن القطع بوجود الريب كما أنه ينافي القطع بانتفائه كذلك تجويز الريب ينافي القطع بانتفائه واختيار هذه الآية لوجود لفظ الريب فيها وليس بشيء لمن تدبر السياق، لأن المصنف رحمه الله قصد بما ذكر. تنوير أمرين أحدهما إن معناه نفي **ارتياب** العاقل بعد النظر الصحيح. والثاني عدم إرادة نفي **الإرتياب** مطلقا بقوله ما أبعد الريب إلخ أي جوزه بكلمة الشك وان كان تجويزه لا يستلزم نفي إبعاده لجواز أن يجوز أمر بعيد لأنه إنما يتأتى إذا كانت كلمة الشك على حقيقتها، وليس كذلك فإنه عبر هنا بصورة الشك عن ريب محقق قطعا إشعارا بأنه ليس في محله لسطوع برهانه، وبقوله بل عرفهم الطريق المزيح إلخ فإنه يفيد نفي **الارتياب** بعد الإزاحة، فظهر أن لا ريب نفي لجنس الريب، رآلمراد منه نفي الريب الخاص، كما مر للعلم بوجود جنس الريب بدليل العقل والنقل، وتعيين هذا المعنى المجازي بسطوع البرهان، فلا وجه لما تكلف من البيان. قوله: (عرفهم الطريق المزيح الخ) المزيح بضم الميم وكسر الزاي المعجمة والياء المثناة التحتية، ثم حاء مهملة كالمزيل لفظا ومعنى وضمير له

للريب وهو للطريق، لأنه يذكر ويؤنث أو للمزيح، لأنه ففسر له، والاجتهاد في الأمر أن يأتي به على أبلغ ما في وسعه وطاقته، ومنه الاجتهاد في الأمور الشرعية، والنجم المقدار عنه الذي يحصل به التحدي، والنجوم المقادير المفرقة والقرآن نزل نجوما، ونجم عليه الك ين نجعله نجوما أي مقادير معينة يقال: نجمت المال إذا وزعته، كأنك فرضت أن تدفع إليه عند طلوع كل نجم نصيبا، – ثم صار." (١)

"متعارفا في تقدير دفعه بأي شيء قدرت ذلك كما قاله الراغب والجهد بالضم الطاقة وما يقدرون عليه. وقوله: (أن ليس فيه مجال للشبهة) هذا ناظر لقوله لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح، وأصل المجال محل الجولان، وهو الحركة في الجوانب، وهو كناية عن نفي الشبهة على أبلغ وجه كما يقال لا محل له. قوله: (وقيل معناه إلخ) هذا معطوف على معناه السابق، وهو جواب آخر عن السؤال السابق في توجيه نفي الريب والمرتابين كما مر، وعلى هذا فيه صفة لاسم لا وللمتقين خبر لا، ومرضه المصنف رحمه الله الما قيل عليه من أن المعروف في الظرف الواقع بعد لا أن يكون خبرا لا صفة، والمناسب لمقام المدح نفي الريب مطلقا مع أنه ينبو عن وصل المتقين بالذين إذ المعنى حينئذ لا شك في حقيته للمتقين المصدقين بحقيته، ولا يخفى ما فيه، والظاهر توجه النفي إلى القيد حينئذ فيختل المعنى إذ يلزمه وجود الريب إذا لم يكن هاديا مع تنافي القيد، والمقيد ظاهرا وما قيل: من أنه قيد للنفي لا للمنفي حتى لا يرد ما مر لا يدفعه، لأنه إثبات لما هو منشأ الإشكال،

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٨٧/١

ونفي لما لم- يصدر عن صاحب هذا المقال، فإن أريد الرد على غيره، فلا مشاحة ولا جدال.

(أقول) ما توهمه من أن منشأ الإشكال كونه قيدا للنفي ليس بصحيح إنما منشؤه أنه إذا لم

يكن هديا اقتضى ثبوت الريب فيه للمتقين، وهو فاسد لأن المتقي لا يرتاب أصلا، ولذا قيل إن الحال على هذا الأزمة، فلا يبقى للإشكال مجال، وأما جعله قيدا للنفي، كما في قوله تعالى: ﴿فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون﴾ [الطور: ٢٩] وقوله ونجي التلخيص لم أبالغ في اختصاره تقريبا فهو مستقيم لكنه لا يدفع الإشكال، وكونه لا يقول به صاحب هذا المقال دعوى غير مسموعة نعم تمريض المصنف له ظاهر لعدم املاءمته للسياق، وقلة جدواه، فإن المتقي لا يتصور منه الريب حتى ينفي. قوله: (وهدي حال من الضمير المجرور) نفي الراجع على القرآن والمصدر يقع حالا مبالغة بجعله عين الهدي أو مؤولا بالتأويل المشهور. وقوله: (والعامل فيه) أي في الحال، لأنها تذكر وتؤنث والمراد بالظرف لفظ فيه لأن الظرف يطلق على أسماء الظروف نحو عند وحيث، وعلى الجار والمجرور لا سيما وفي الجارة هنا ظرفية وفيه تسامح لأنه أراد بالظرف متعلقه وهو حاصل أو استقر، لأنه هو الصفة والعامل حقيقة في الضمير محلا فلا يرد عليه أن العامل في الحال، وهو متعلق الظرف غير العامل في ذيها، وهو في الجارة حتى يقال إنه على رأي من لم يثترط إتحاد عاملهما قيل: وهذا هو السر في إطناب

المصنف هنا بقوله والعامل إلخ وأما تعلق فيه بريب، فرد بأنه يكون مطولا، فيتعين نصبه على اللغة الفصيحة، وإن وجه بأن المراد أنه معمول لما دل عليه الريب لا له نفسه كما في الدر المصون. قوله: (والريب في الأصل) أي هذا معناه في أصل اللغة ثم استعمل في الشك والكذب والتهمة، وهو مصدر أيضا لكنه بحسب أصل اللغة مجاز من استعمال المسبب في السبب كما أيثحار إليه بقوله: لأنه يقلق قال أبو زيد: يقال رابني من فلان أمر إذا كنت مستيقنا منه بالريب، فإذا أسأت به الظن ولم تستيقن منه بالريب قلت: أرابني من فلان أمر هو فيه إرابة وقد أبان الفرق بين راب وأراب بشار في قوله:

أخوك الذي إن ربته قال إنما أراب وان عاتبته لان جانبه

والارتياب يجري مجرى الإرابة كما قاله الراغب. وقوله. حصل بتشديد الصاد المهملة

من التحصيل، والريبة بكسر الراء، وقلق النفس أصله عدم السكون والقرار كتقلب المريض على فراشه، والإضطراب بمعناه لأنه افتعال من الضرب ويقابله الإطمئنان، ثم عم الحركات الحسية والمعنوية. قوله: (سمي به الشك إلخ (ظاهر قوله سمي أنه حقيقة في معنى الشك ويشهد له ظاهر كلام الأساس وغبره من كتب اللغة إلا أن سياقه. وقوله. (لأنه يقلق إلخ (يأباه، ولذا قال: أرباب الحواشي إن المصنف رحمه الله أراد أنه عدل به عن معناه المصدري واستعمل في معنى الشك مجازا بعلاقة السببية بذكر المسبب وإرادة السبب، ولو أريد معناه الأصلي لقيل لا ريب له فسمي هنا بمعنى استعمل وهو كثيرا ما يستعمل بهذا المعنى، وان كان الأكثر أنه بمعنى وضع الاسم العلم أو مطلق الوضع، وقيل عليه: إن القرآن لا يتوهم أن يكون رائبا حتى يقال: لا ريب له بل لو كان مصدرا كان الواجب لا ريب فيه، وهو على كل حال مصدر لأنه تجوز في فعله أيضا، وهذا من عدم." (١)

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي   الشهاب الخفاجي ١٨٨/١

"الوقوف على مراده فإن مراده بالمصدر المصدر الحقيقي أي القلق، وهو يتعدى باللام يقال قلق له وان تعدى الشك بقي، وفيه إشارة إلى أنه مجاز في الأصل صار حقيقة في الاستعمال، وعوف اللغة وظاهر. ترادف الشك والريب إلا أنه قيل عليه أنه ليس كذلك لأن الريب شك مع تهمة، ولذا قال الإمام: الريب قريب من الشك وفيه زيادة كأنه ظن سيء وقال الراغب الشك وقوف النفس بين شيئين متقابلين بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر بأمارة، والمرية التردد في المتقابلين، وطلب الإمارة مأخوذ من مري الضرع إذا مسحه للدر، فكأنه يحصل مع الشك تردد في طلب ما يقتضي غلبة الظن، والريب أن يتوهم في الشيء أمر ما ثم ينكشف عما توهم فيه، وقال الحوي: يقال الشك لما استوى فيه الاعتقادان، أو لم يستويا ولكن لم ينته أحدهما لدرجة الظهور الذي تنبني عليه الأمور، والريب لما لم يبلغ درجة اليقين، وان ظهر نوع ظهور ولذا حسن هنا لا ريب فيه للإشارة إلى أنه لا يحصل فيه ريب فضلا عن شك، وعلى هذا ينبني ما في كتب الأصول من الفرق بين الشك

والظن إلا أن المصنفين يفسرون بالأعم ونحوه كثيرا من غير مبالاة منهم ومثله تعاريف لفظية مبنية على التسامح. وقوله: (لأنه) أي الشك إشارة للعلاقة والطمأنينة السكون ويقابلها القلق وهو الحركة يقال: اطمأن القلب إذا سكن، ولم يقلق والاسم الطمأنينة، وأطمأن بالموضع أقام به واتخذه وطنا وقال بعضهم: الأصل في اطمأن القلب إذا سكن، ولم يقلق والاسم الطمأنينة، واطمأن بالموضع أقام به واتخذه وطنا وقال بعضهم: الأصل في اطمأن الألف مثل احمار واسواد، فهمزوه فرارا من الساكنين وقيل الأصل همزة متقدمة على الميم، فقلب على غير القياس بدليل قولهم طأ من الرجل ظهره إذا حناه، والهمزة يجوز تسهيلها. قوله: (وفي الحديث دع ما يريبك الخ (١)) استشهد به على أن الريب له معنى غير الشك، وهو القلق كما مر إذ لو اتحدا لكان قوله فإن الشك بمنزلة قولك فإن الأسد غضنفر، وهو من لغو الحديث وقد قالوا: إن هذا الحديث رواه الترمذي، والنسائي وحسناه، وصححه الحاكم هكذا: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) ٢ (والمعنى دع ذلك إلى ذلك أي استبدله به أو دع ذلك ذاهبا إلى غيره على التقدير أو التضمين. وقوله: (فإق إلخ) معلل، وممهد لما تقدمه. قيل: والمعنى إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه فإن نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق، وترتاب في الكذب، فارتيابك في الشيء ينبيء عن كونه باطلأ، فاحذره واطمئنانك إلى الشيء يشعر بكونه حقا فاستمسك به، وهذا خاص بذوي النفوس القدسية الطاهرة من وسخ الطبائع، فظهر أن قوله: فإن الشك ريبة لا يستقيم رواية ودراية، ورد بأنهما ممنوعان أما الدراية، فلأن الشيخين بيناه بما لا مزيد عليه، وأما الرواية فإن إحدى الروايتين لا تبطل الأخرى وكان عليه أن يبين الأخرى التي ادعاها فإن مثله لا يقال بالتشهي، وقد صحح الحافظ ابن حجر ما في الكتاب بعينه وقال: إنه رواه الطبراني، وروى البيهقي " فإن الشر ريبة والخير طمأنينة " (٣ (فاستشهد به كما مر على أن الريبة غير الشك، والا لم يفد الكلام وبمقابلتها للطمأنيثة علم أنها موضوعة للقلق، فانطبق الاستشهاد على تمام المدعى ويريبك في الحديث روي بضم الياء وفتحها والثاني هو المناسب هنا.

(بقي) إن الظاهر أنه ليس معنى الحديث ما قاله وتبعه فيه الشراح بل معنا. كما قاله

المحدثون خذ ما تيقنت حله وحسنه، واترك ما شككت في حله وحسته، كما ورد في الحديث الصحيح " اتقوا الشبهات

فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه " (١) ومما هو صريح في ذلك ما روي أن وابصة بن معبد رضي الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " جئت تسال عن البر والإثم ". فقال: نعم فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال له: " استفت نفسك يا وابصة ثلاثا، البر مات اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (٢) فلا وجه لما زعموه من اختصاصه بالأنفس القدسية فتدبر. قوله: (ومنه ريب الزمان) أي مما نقل من القلق إلى ما هو سببه من الشدائد وفصله بقوله: ومنه والضمير للريب المتجوز فيه مطلقا، لأنه ليس بمعنى الشك وإنما شاركه فإن أصله القلق فسمي به ما هو سبب له كما قال الهذلي:

أمن المنون وريبه تتوجع

وقال الرازي: إن هذا قد يرجع إلى معنى الشك، لأن ما يخاف من الحوادث محتمل،

فهو كالمشكوك فيه وكذا ما يختلج بالقلب وفيه نظر، والنوائب جمع نائبة، وهي الحادثة من حوادث." [١]

"متصل بالسحاب كالشخص في جزء من البلد وهذا أقرب إلى المثال وذاك إلى عبارة الكتاب، وقد تبع فيه الشارح المحقز،، وترك ما فيه من أن من الناس من ذهب إلى أن المراد بالبلد جزؤه، وزعم أن الأعلى والمصب جزء من المطر وليس بذاك، ومنهم من جعله من إطلاق أحد المجاورين على الآخر والأعلى والمصب سحاب والتمثيل لمجرد التلبس، ولمجاورة ورد بأنه يكون المعنى حيحئذ في السحاب رعد وبرق لا في المطر على ما هو المطلوب.

ثم قال ردا لما في الكشف: فإن قلت الظلمة والرعد أي الصت والبرق أي النارية واللمعان كلها أعراض، والعرض لا يتمكن في المكان إلا بنوع توسع من غير فرق بين المطر والسحاب، وبين الظلمة والرعد غاية ما في الباب أن وجه التلبس يكون في البعض أوضح كالرعد بالنسبة إلى السحاب.

قك: معنى الظرفية التي تفيدها في أعم من أن يكون على وجه التمكن في المكان كالجسم في الحيز أو على وجه الحلول في المحل كالعرض في الموضوع أو على وجه الاختصاص بالزمان كالضرب في وقت كذا، وظلمة السحمة والتطبيق في السحاب حقيقة بخلاف ظلمة الليل، وكذا تمكن الجسم الذي يقوم به صوت الرعد وبريق البرق حقيقة في السحاب لا في المطر فاحتيج للتأويل، وما ذكره من أن ظرفية الزمان والمكان حقيقة تدل عليها في بالوضع مسلم عند الأدباء وأما كون ظرفية العرض في الموضوع كذلك فغير مسلم،

والظاهر أن إطلاق في على ما ذكره بطريق الاشتراك اللفظي أو المعنوفي لا الحقيقة والمجاز كما قيل، والذي في الكشف أن الظرفية الحقيقية أي كون الشيء مكانا لآخر لا تراد هنا فإنهما عرضاه والتمكن من خواص الأجسام وإنما يضاف للعرض بواسطة معروضة، وهو وإن لم يرتضه الفاضل فهو الظاهر الموافق لكلام النحاة، وليس قصره الظرفية الحقيقية على المكانية لنفي الزمانية بل لأنه محل النزاع، ثم إن الذي أوقعهم في النزإع قوله أعلاه ومصبه فإن ضميريه للمطر وأصل إضافة اسم التفضيل أن يكون لما هو بعض منه فمنهم من أبقاه على ظاهره فجعل الظرف والمظروف قطرا ومنهم من صرفه عنه، وجعله غير مضاف لبعضه وهو الحق وكأنه استعمله ظرفا بمعنى فوق كما أن أسفل يكون بمعنى تحت من غير تفضيل أي إذا كانا

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١/١٨٩

في شيء فوقه وهو منشؤه ومصبه والمراد بمصبه محل ينصب منه لا فيه وإليه كما توهم، وفي حواشي ابن الصائغ حكى الشيخ عز الدين عن أبي علي فيه أي في وقته، وقال غيره في مصبه، وهو ضعيف لأن الرعد والبرق لا يكونان في الأرض وهو وهم لما عرفت.

وأعلم أن ألمصنف رحمه الله أتى بعبارة أوجز من عبارة الزمخشري، وقصد في تغييرها

مقاصد حسنة فعدل عن قوله مصبه إلى منحدره بضم الميم وفتح الدال المهملة، وهو اسم مكان أيضا لما في عبارة الكشاف من الغموض واحتمال إرادة الأرض! وهو فاسد كما مر، وحذف قوله في الجملة إذ لا طائلى تحتة، وترك قوله ألا تراك إلخ لأن المتبادر منه أن فلانا في البلد مجاز كما صرح به بعض شراحه، وهو مخالف لما يفهم من العرف، وقد صرحوا بأن صمت في الشهر حقيقة في صوم يوم منه كما صرحوا به وقياسه يقتضي أن هذا حقيقة أيضا كما صرح به في التلويح فقال في للظرف بأن يشتمل المجرور على ما قبلها اشتمالا مكانيا أو زمانيا تحقيقا ن! حو الماء في الكوز وزيد في البلد، أو تشبيها نحو زيد في نعمة، وفي الرضى الظرفية الشحقيقية نحو زيد في الدار وهو مما لا خفاء فيه، وقد يقال إنه تنظير بقطع النظر عن الحقيقة والمجاز فإن الكائن في بقعة من البلد يجعل في جميعها لما بينهما من الملابسة إلا أنه يرد حينئذ ما ذكر على شراحه فتدبر، وقد أطلنا هنا تحريرا وتقريرا إلا أن فيما أبدعناه ما يجعل ذنب الإسهاب (١) مغفورا، ويبدي لعين الإنصاف نضرة وسرورا. قوله: (وإن أريد به السحاب إلخ) ما مر كله على أن المراد بالصيب المطر وقدمه لأنه المعروف في اللغة والاستعمال، وسحمته بضم السين سواده وظلمته، وتطبيقه كون بعضه فوق بعض، وفيه تسامح ولم يقل وظلمة الليل لما مر وظلمة الليل مستفادة من التظلم كما مر وما قيل من أنه يجوز أن يعتبر ظلمات حصلت من إحاطة الغمام، بآفاق السماء على التمام فإن كل أفق إذا استتر بسحاب تتراكم الظلمات بلا **ارتياب.**

قلت: لم يزد شيئا على ما ذكروه، فإن ما تصلف به هو معنى تطبيقه بعينه غايته أنه جعل

جزء الوجه وجها مستقلا، وقوله وارتفاعها فضمير المؤنث لظلمات، وفي نسخة وارتفاعه بتذكيره لأنه لفظ والمراد أن." (١)

"المذكور ليس بصريح وإنما أخذوه من مفهومه وانمفهوم غير معتبر فهو اكتفاء لا خصيص قبعياء عن السياق بمراحل.

قوله: (لأنه المطابق لقوله الخ) أيد رجوع الضمير للمنزل بوجوه منها أته الموافق لنظائره من آيات التحدي لأن المماثلة فيها صفة للمأتي به فكذا هنا إذا

جعل الظرف صفة للسورة والضمير للمنزل ومن بيانية كما عرفت، ومنها أن الكلام فيه لا في المنزل عليه فارتباط آخر الكلام بأوله وترتب الجزاء على الشرط إنما يحسن كل الحسن إذا كان الضمير للمنزل فإنه الذي سيق له الكلام وفرض! فيه **الارتياب** قصدا وذكر القيد وقع تبعا فلذا صح عود الضميم- له في الجملة مع أنه لو عاد الضمير له ترك التصريح بمماثلة السورة له في البلاغة وهو عمدة التحدي وان فهم من السياق ومعونة المقام، فسقط ما قيل هنا من أنه إذا رجع الضمير إلى العبد لا ينفك الكلام عن المنزل لأن المراد بالعبد العبد المنزل عليه وحاصله كون المنزل بحيث يعجز كل من طولب بالإتيان بما يداني سورة من سورة ممن هو على حال من أنزل عليه ولا حاجة إلى ما أجاب به من أنه أراد بالانفكاك انفكاك

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١/٣٩٤

الضمير فإن الضمير المقدر في صلة الموصول راجع إلى المنزل. قوله: (ولأن مخاطبة الجتم الفقير الخ) ووجه الأبلغية ظاهر مما قرره المصنف لأن أمرهم بجملتهم بأن يأتوا بشيء من مثل ما أتى به واحد من جنسهم أبلغ من أمرهم بأن يجدوا واحدا يأتي بمثل ما أتى به رجل آخر، والجم الغفير بمعنى الناس الكثير جدا من الغفر وهو الستر كأنهم يسترون وجه الأرض! لكثرتهم واستعمله المصنف مجرورا بالإضافة والمعروف في كلام العرب استعماله منصوبا على الحال يقولون جاؤوا الجماء الغفير وجاء الغفير أي بجملتهم، ومثله مما يأباه الأدباء ويعدونه لحنا كما بيناه في شرح الدرة، وفيه لغات مذكورة في القاموس وقوله بنحو الخ إشارة إلى أن المثلية ملحوظة فيه وان رجع الضمير للعبد وكونه من أبناء جلدتهم معناه من جنسهم ونوعهم في البلاغة وأصله أن كل نوع متشابه البنية وظاهر البدن وهو المراد بالجلدة كما مر، وقيل إن صفة المرء بمنزلة جلده في التلبس والتزي وليس المقصود أنهم من قوم واحد بحسب النسب فإنه لا دخل له في هذا المقام وفيه نظر. قوله: (ولأنه معجز في نفسه الخ) هذا رابع الوجوه في كلام المصنف يعني لو أرجع الضمير إليه أوهم أن إعجازه لكونه من أمي لم يدرس ولم يكتب ولم يتعلم من غيره علما ومعرفة، وقوله ولأن رده الخ أي رد الضمير إلى عبدنا يوهم أنه يمكن صدوره من غيره من الخطباء والشعراء وأهل الدراسة وليس بين هذا وما قبله كثير فرق فالظاهر إدراجه فيه وعدهما وجها واحدا إلا وجها خامسا كما قيل، فقوله ولا يلائمه الخ وجه آخر مستقل وقد عده بعضهم وجها سادسا والأمر فيه سهل. قوله: (ولا يلائمه قوله ﴿وادعوا شهداءكم﴾ الخ) ادعوا أمر من الدعاء، وله معان ذكرها الراغب وهي النداء والتسمية في نحو دعوت ابني محمدا والاستعانة كقوله تعالى: ﴿أغير الله تدعون﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٠] والدعاء إلى الشيء الحث على قصده وقيل إنه فسر هنا بالإحضار والاستعانة والمصنف أشار بقوله استعينوا إلى أن الثاني

هو المختار عنده، والظاهر أنه مجازا أو كناية مبنية على النداء لأن الشخص إنما ينادي للحضور ليستعان به، وفي الأساس دعا بالكتاب استحضره يدعون فيها بفاكهة والمتبادر منه اختصاصه بالمتعدي بالباء، ويلائمه بهمزة بعد الألف وتبدل ياء كثيرا أي يوافقه ويناسبه وأصله من لأم الصاع والشق بي الإناء ونحوه إذا أصلحه ووجه عدم موافقة رجوع الضمير للعبد لما بعده كما قرره الشراح مما يحتاج إلى فضل تأمل كما ذكر. المدقق في الكشف لأن المراد أنه إن أريد دعاء الشهداء للاستعانة بهم في المعارضة إما حقيقة كما، ي الوجه الأخير من الوجوه الستة واما تهكما كما في الوجهين الأولين فلأنه إنما يلائم الأمر بالإتيان بسورة من مثل القرآن " لا الأمر بالإتيان بسورة من واحد عربي أمي إذ لا معنى للاستمداد بطائفة فيما هو فعل واحد كيف ولو استعين بالشهداء في ذلك لم يكن المأتي به ما كان مطلوبا منهم وأما إذا أريد به دعاؤهم ليشهدوا لهم بأن ما يدعونه حق كما في الوجوه الباقية فلأن إضافة الشهداء إليهم إنما تقع موقعها إذا كان الإتيان بالمثل منهم لا من واحد والا كانوا شهداء له فحقهم أن يضافوا إليه وان كان للإضافة إليهم وجه صحة، ورجوع الضصير للعبد يوهم أن دعاءهم." (١)

"بغاية الصفاء وأنها تريك القذى قدامها والحال أنها قدام القذى والضمير في ذاقها باعتبار ما فيها على قياس قولك شربت كأسا والأول باعتبار نفسها حذوا فيه حذوا لكشف وهو تبع الأزهري في قوله: لا يريد أن هنالك قذى وإنما يريد

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٧/٢

أن يصف صفاء الزجاجة ويبالغ فيه وعليه ففيه تجوزوا استخدام لطيف لكن يأباه أنه لم يسبق للزجاجة ذكر في هذا الشعر، وإنما الضمير فيهما للصهباء بمعنى الخمر وهو وصف لها أيضا بغاية الرقة والصفاء-ضى كات ما تحتها فوقها وما خلفها قدامها والتبكيت التقريع والغلبة بالحجة وقريب منه ما قيل إنه الإسكات والتهكم الاستهزاء وهو المراد وله معان أخر وهو في قول الحماسي:

سرى الليلة الظلماء لم يتهكم

بمعنى لم يخطئ والتهكم في غير هذا التندم وقيل معنى لم يتهكم لم يتميز عليهم والتهكم التكذب على ما فصل في شروح الحماسة وقد مر بيان ما هنا فتذكر. قوله: (وقيل من دون الله الخ) بتقدير مضاف ليقابل أولياء الأصنام كما يقابل الله أصنامهم والأمر كما مر لإرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت أي تركنا إلزامكم بشهداء لا يميلون لأحد الجانبين كما هو العادة واكتفينا بشهدائكم المعروفين بمعاونتكم من الفصحاء والرؤساء فإن شهدوا لكم قبلنا شهادتهم مع أنهم لا يفعلون ما يشهد العقل بخلافه لبلوغ أمر الإعجاز إلى حد لا يخفى فالشهداء بمعنى الرؤساء وهو ناظر لتفسيره بالإمام والظرف حاله معلوم والوجوه مستعار من الجارحة للرؤساء والمشاهد جمع مشهد وهو المجلس الذي يشهده الناس ويحضره الكبار. قيل ولما لم تقم قرينة على هذا التقدير ولا ضرورة فيه ضعفه المصنف رحمه الله تعالى وقيل: لأنه يؤذن بعدم شمول! التحدي لأولئك الرؤساء وليس بشيء، وقد قيل أن تخصيص التمريض بهذا الوجه مع ظهور ضعف غيره من الوجوه لا وجه له وهذا الوجه مشترك بين التعلق بادعوا وبالشهداء عند الزمخشري وبما قصصناه عرفت استيفاء المصنف لجميع الوجوه وأن قيل إنه ترك سادسها فتنبه. قوله: (إنه من كلام البشر الخ) أي في أنه والجار يطرد تقديره مع أن وأن كما لا يخفى أي إن كنتم صادقين في أنه من كلام البشر أو في أنكم تقدرون على معارضته فافعلوا أو فأتوا بمقدار أقصر سورة منه وهذا معنى قوله إن جواب أن الشرطية محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو جواب الشرط الأول وليس الجواب المقدم جوابا لهما ولا متنازعا فيه كما لا يخفى وذكر التنازع هنا لغو من القول. فإن قلت لم يذكر فيما سبق ادعاؤهم أنه من كلام البثر بل ارتيابهم وشكهم فيه والشك من قبيل التصور الذي لا يجري فيه صدق وكذب بلا شك

والقول بأن المراد إن كنتم صادقين في احتمال كونه من كلام البشر لا يدفع السؤال لأن الاحتمال شك مع ما فيه من التكلف وكذا ما قيل من أنهم كانوا منكرين لأنه من كلام الله لكن نزل إنكارهم منزلة الشك لأنه لا مستند له فلذا صدر بكلمة الشك وكذا القول بأنهم عالمون بأنه كلام الله لكنهم يظهرون الريب فقيل لهم إن كنتم صادقين في دعوى الريب فهاتوا ما يصلح الريب كأقصر سورة قلت المراد من النظم الكريم والله أعلم الترقي في إلزام الحجة وتوضيح الحجة فالمعنى إن ارتبتم فاتوا بنظيره ليزول ريبكم ويظهر لكم أنكم أصبتم فيما خطر على بالكم وحينئذ فإن صدقت مقالتكم في أنه مفتري فأظهروها ولا تخافوا فإن قلت لم لم يقل فإن ارتبتم وهو أظهر وأخصر. قلت عدل عنه لابلغيته بدلالنه على تمكنهم وانغماسهم فيه. وما قيل من أن تقدير الجواب كلام نحوي لا يرضاه أهل المعاني وقد جعلوا نحو قوله:

كأنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتاى عنك واسع

من المساواة كلام واه وغفلة عن أن الممنوع تقدير جوابه أن الوصلية وهي لا تكون بدون

وأو ولأن الجواب بعينه فيما ذكر تقدم فلا يحتاج لجواب وما هنا ليس كذلك. قوله: (والصدق الإخبار المطابق) أي الصدق الواقع صفة للمتكلم وفي الصدق والكذب مطلقا ثلاثة مذاهب مشهورة كما بين في كتب المعاني وثبوت الواسطة بينهما وعدمها المبني على الخلاف ظاهر وأصحها أنه مطابقة الواقع وهو نفس الأمر وقد يعبر عنه بالخارج وان كان تد يخص بالمحسوس والمراد بقوله: الإخبار المطابق للمخبر." (١)

"والشرط لزمها الفاء ولصوق الاسم إقامة للازم مقام الملزوم وابقاء لأثره في الجملة ومن أراد تفصيله فلينظر حواشي المطول والرضي، وقوله كرهوا الخ أي وقوع الفاء بعد حرف في معنى الشرط من غير فاصل والمعروف تخلل جملة الشرط بينهما ولذ قال: فادخلوا الخ وعدى أدخل إلى مفعولين بنفسه وقد يتعدى إلى الثاني بعلى فيقال: مثلا أدخلوها على الخبر والمراد بتعويضه شغل خبره به وكون ما يلي أما مبتدأ ليس بلازم لكنه كثير فيه وفي الرضي أنه يقدم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به نحو فأما اليتيم فلا تقهر والظرف والحال وعذد أمورا يفصل بها وفيه كلام ذكرنا. في حواشي الرضي وشرح التسهيل. قوله: (وفي تصدير الجملتين به الخ) ضمير به لا ما باعتبار أنه لفظ وحرف والإحماد هنا بمعنى الحمد والمدح العظيم المتضمن لأنه بموقع مرضي منه كما قال في الأساس من المجاز أحمدت صنيعه رضيته والأرض! رضيت سكناها وفي بعض شروح الكشاف الاحماد الحكم بلزوم كونهم محمودين كالأكفار للحكم بالكفر وقال السعد: أحمدت فلانا وجدته محمودا وجاورته فأحمدت جواره والحمد والذم مفهوم من نفس الجملتين ولكن لما أفادت أما تأكيده وتحقيقه علم منها ذلك أيضا من أول الأمر وهي تفصيل لما دل عليه قوله إن الله لا يستحي الخ من أنه وقع فيه اختلاف بين التحقيق **والارتياب**. قوله: (والضمير في أنه للمثل أو لأن يضرب الخ) أي ضمير أنه في قوا، تعالى: ﴿يعلمون أنه الحق﴾ للمثل أو لضربه المفهوم من أنه يضرب لأنه مؤول به وعود الضمير للمثل أقرب ولذا قدمه المصنف رحمه الله وجوز فيه أيضا أن يعود لترك الاستحياء المفهوم مما مر وللقرآن. قوله: (والحق الثابت الخ) الحق خلاف الباطل وهو في الأصل مصدر حتى يحق من بابي ضرب وقتل إذا وجب وثبت وقال الراغب أصل الحق المطابقة والموافقة ويقال على أوجه فالأول: الموجد للشيء بحسب مقتضى الحكمة ومنه الله هو الحق، والثاني الموجد بالفتح على وفق الحكمة ومنه فعل الله حق، والثالث الاعتقاد المطابق للواقع، والرابع الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب وليس بين هذا وبين ما قبله فرق غير التعميم فلو تركه كان أحسن والى ما ذكر أثار المصنف رحمه الله بقوله الثابت الخ، وقوله لا يسوغ إنكاره بمعنى لا يصح

ويجوز من ساغ الشيء إذا سهل تناوله ودخوله في الحلق فاستعير للصحة والجواز وشاع حتى صار حقيقة فيه، والأعيان الذوات والجواهر، والثابتة بمعنى المقررة المحسوسة، والصائبة بمعنى المصيبة إلا أن فعله مزيد من أصاب الرأي فهو مصيب والأفعال مصيبة لا صائبة، ولذا فسره في بعض الحواشي بالموافقة للغرض يثير إلى أنه استعارة من قولهم أصاب السهم الهدف وصابه إذا وصل إليه وفيه نظر وفي الأساس من المجاز أصاب في رأيه ورأي مصيب وصائب وتعريف الحق للمبالغة كأنه تلك الحقيقة والجنس أو للحصر الاضافي لما قالوه، وأخكامه يقتضي الثبوت فلذا قالوا ثوب محقق أي محكم النسج كما في الأساس والعامة تقول ثوب محقق بمعنى منقوش وفي الفصول القصار فيض فضله محقق وبرد مجده محقق. قوله: (كان من

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٤٥/٢

حقه الخ) القرين المقارن وعطف يقابل قسيمه على يطابق قرينه تفسيري لأن القرين والقسيم بمعنى والمطابقة المراد بها المقابلة بالمعنى اللغوي أو البديعي وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كقوله. قوله: ﴿يحيي ويميت﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٨] وهو هنا يعلمون ولا يعلمون لتقابل السلب والايجاب فيه أي لم يقل أما الذين كفروا فلا يعلمون حتى يقابل قسميه بل عدل عنه لما ذكر من المبالغة في المدح والذم المذكورين لأن هذا يدل على أن قولهم هذا لفرط جهلهم على طريق الكناية التي هي أبلغ من التصريح لإثبات المدعي ببينة بينة كما أشار إليه لأن الاستفهام إما لعدم العلم أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة ومن لقل للمسك أين الشذا كذبه رائحة الطيب ولذا قال المصنف: رحمه الله دليلا واضحا قيل ولم يقل فأما الذين آمنوا فيقولون الخ إشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الاسرار لأنه كإخفاء الجمر في الحلفاء، أو يقال يقولون لا يدل صريحا على العلم وهو المقصود، والكافرون منهم الجاهل." (١)

"لنفسك أو للمؤمنين فهو يهدي لأصل الإيمان وللثبات عليه من يشاء فلا يضر كيدهم. قوله: (أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى الخ) تحقيق ذلك وتفصيله ما أفاده المدقق في الكشف أن فيها أوجهآ.

أحدها: أن التقدير ولا تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهم المسلمون أوتوا كتابا سماويا كالتوراة، ونبيا مرسلا كموسى صلى الله عليه وسلم وبأن يحاجوكم ويغلبوكم بالحجة يوم القيامة! لأ لأتباعكم، نحوهم عن الإظهار للمسلمين فيزدادون تصلبا ولمشركي العرب فيبعثهم على الإسلام، وأتي بأو على وزان ولا تطع منهم آثما الخ وهو أبلغ والحمل على معنى حتى صحيح مرجوح، وفائدة الاعتراض أن كيدهم غير ضحار لمن لطف الله به بالدخول في الإسلام أو زيادة التصلب فيه، ويفيد أيضا أن الهدى هداه فهو الذي يتولى ظهوره فلا يطفا نوره فالمراد بالإيمان إظهره كما ذكره الزمخشرفي أو الإقرار اللساني كما ذكره الواحدفي، والمراد التصلب من التابعين لإلا وقع ما فروا منه.

وثانيها: ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر الذي أتيتم به وجه النهار إلا لمن كان تابعا لدينكم أوّلا وهم الذين أسلموا منهم أي لأجل رجوعهم لأنه كان عندهم أهتم وأوقع، وهم فيه أرغب وأطمع، ثم قيل: إن الهدى هدى الله من يهده الله فلا مضل له، وقوله: أن يؤتى أحد على هذا معللة لمحذوف أي لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، وما يتصل به من الغلبة بالحجة يوم القيامة دبرتم ما دبرتم، والمعنى أن داعيكم إليه ليس إلا الحسد، وإنما أتي بأو تنبيها على استقلال كل منهما في غيظهم وحملهم على الحسد حتى دبروا ما دبروا، ولو أتي بالواو لم تقع هذا الموقع للعلم بلزوم الثاني للأول لأنه إذا كان ما أوتوا حقا غلبوا يوم القيامة مخالفهم فلا لاندة فيه، وأما أو فتشعر بأن كلا مستقل في بعثهم على الحسد والتدبير، وحملها على معنى حتى وإن كان ظاهرا لا يروع السامع ويؤيد هذا قراءة آن يؤتى بالاستفهام للدلالة على انقطاعه، الاستقلال بالإنكار، وفيه تقييد الإيمان بالصادر أول النهار بقرينة أن الكلام فيه وتخصيص من سع بمسلميهم بقرينة المعنى ولأن غيرهم متبع دينهم الآن، وعن المصنف إنه من جملة المقول ثانه قيل قل لهم هذين القولين، ومعناه أكد عليهم أن الهدى ما فعل الله من إيتاء اليهاب غيركم، أنكر عليهم أن يمتغصوا من أن يؤتى أحد مثله كأنه قيل قل إن الهدى هدى الله، وقل لأن لؤتى أحد مثل

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٩٢/٢

ما أوتيتم قلتم ما قلتم وكذبتم ما كذبتم، وثالثها أن يقرر ولا تؤمنوا على ما قرر علبه الثاني ويجعل أن يؤتى خبر ان وهدى الله بدل من اسمها وأو بمعنى حتى على أنها غاية سببية وحينئذ لا يخص عند ربكم بيوم القيامة بل بالمحاجة المحققة كما مر في البقرة، ولو حملت على العطف لم يلتئم الكلام، ورابعها: أن قوله ولا تؤمنوا إلا لمن الخ على إطلاقه أي

، أثفروا آخره واستمروا على اليهودية ولا تقروا لأحد إلا لمن هو على دينكم وهو من جملة ٤. فرل الطائفة فقيل قل إن الهدى هدى الله فلا تنكروا أن يؤتى حتى تحاجوا وقرينة الإضمار أن مر له ولا تؤمنوا تقرير على اليهودية وأنه لا دين يساويها فماذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم علم أن ااجراب أن ما أنكروه غير منكر وأنه كائن، وحمل أو على معناها الأصلي حسن لأنه تأييد الإبتاء وتعريض بأن من أوتي مثل ما أوتوا هم الغالبون لا هم، وأما على قراءة إن بالكسر فهو من مقول الطائفة وقدره بقولوا لهم توضيحا وبيانا لأنه ليس استئنافا تعليلا بل خطابا لمن أسلم منهم رجاء العود، والمعنى لا إيتاء فلا محاجة وذكر عقيب الثالث لتساويهما في أن أو بمعنى حتى، وقوله: إن الهدى هدى الله اعتراض ذكر قبل تمام كلامهم للاهتمام ببيان فساد ما ذهبوا إليه، وأرجح الوجوه الثاني انتهى محصله.

(وههنا بحث) ذكره صاحب الانتصاف على قطع آن يؤتى أحد عن لا تؤمنوا وهو أنه

يلزمه وقوع أحد في الإثبات لأن الاستفهام هنا إنكار وهو في مثله إثبات إذ حاصله أنه وبخهم على ما وقع منهم، وهو إخفاء الإيمان بأن النبوة لا تخص بني إسرائيل، وأجاب عنه بأنه روعي فيه صيغة الاستفهام وان لم يرد حقيقته فحسن دخول أحد في سياقه، وترك التعرض له الناظرون فيه لأنهم لم يروه واردا لأن التوبيخ لا ينبغي، ولا يليق فهو نفي معنى بلا ارتياب واحتياج إلى جوابه الساقط، وقوله: من كلام الطائفة أي المذكور في الآية واحتمال أن يكون خطابا من الله للمسلمين أي لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أيها المسلمون حتى يحاجوكم لأنه." (١)

"يقتضي الإتيان لمصدر الفعل المجهول بنائب فاعل، وهو اسم ظاهر مرفوع، وهذا وأن جوزه البصريون كما في شرح التسهيل للمرادي في باب المصدر فقد منعه الكوفيون، وقالوا إنه هو الصحيح لأن حذف فاعل المصدر سائغ شائع فلا يحتاج إلى ما يسد مسد فاعله كفاعل الفعل الصريح، وحذف المضاف إما من المبتدأ أو الخبر كما مر، ووقع في النسخ هنا اختلاف ففي نسخة الأشهاد في الوصية، وفي أخرى بالوصية، وفي أخرى أو الوصية فيكون المراد بالشهادة الوصية، وسيأتي ما يتعلق به، والأخيرة ليست معتمدة، ولا تناسب الكلام فتأمل. قوله: (من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان الخ) التفسيران مبنيان على ما سيأتي. قوله: (ومن فسر الغير بأهل الذفة) بناء على أن منكم معناه من المسلمين، وفي كونه منسوخا، واجماعا نظر أما الأول فلأنه قد سبق من المصنف رحمه الله تعالى في آية الوضوء أن القول بالنسخ في هذه السورة ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها، وأما الثاني فلأن ابن حنبل رضي الله تعالى عنه أجاز شهادة الكافر على المسلم في الوصية، وأبو حنيفة رحمه الله تعالى أجازها في بعض الصور المذكورة في الفقه فتأمل. قوله: (أي سافرتم فيها) لأن ضرب في الأرض! معناه سافر كما بين في كتب اللغة، وقوله أي قاربتم الأجل إشارة إلى أنه من مجاز المشارفة لأن الوصية قبل إصابته. قوله: (تقفونهما الخ) وقف يكون لازما ومتعديا قال الراغب: يقال

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٦/٣

وقفت القوم أقفهم وقفا، ووقفواهم وقوفا، وتصبرونهما من الصبر بالصاد المهملة بمعنى الحبس قال في النهاية في الحديث: " من حلف على يمين صبر " أي ألزم بها، وحبس عليها، وكانت لازمة له من جهة الحكم. قوله: (صفة لآخران الخ) على الوصفية جملة الشرط معترضة فلا يضر الفصل بها، واختلف في الشرط هل هو قيد في أصل الشهادة أو قيد في آخران من غيركم فقط بمعنى أنه لا يجوز العدول في الشهادة على الوصية إلى أهل الذمة إلا بشرط الضرب في الأرض، وهو السفر فإن قيل هو شرط في اصل الشهادة فتقدير الجواب إن ضربتم في الأرض! فليشهد اثنان منكم أو من غيركم وان كان شرطا في العدول إلى آخرين من غير الملة فالتقدير فأشهدوا آخرين من غيركم أو فالشاهدان آخران من غيركم فقد ظهر أن الدال على جواب الشرط أما مجموع قوله اثنان ذوا عدل الخ، وأما آخران من غيركم فقص، وجملة أصابتكم معطوفة على الشرط، والى الثاني ذهب المصنف لظهوره. قوله: (صلاة العصر الخ (فالتعريف للعهد أو للجنس، وتصادم ملائكة الليل الخ لأنه يوكل بالمرء من يحفظه، ويكتب أعماله في النهار، وآخروه في الليل، وملائكة النهار يصعدون بعد العصر، وملائكة الليل تهبط بعده أيضا فيتلاقون حي! سذ فالتصادم مجاز عن التلاقي، وهذا ورد مصرحا به في الحديث، واجتماع طائفتي الملائكة فيه تكثير للشهود منهم على صدقه، وكذبه فيكون أقوى من غيره، وأخوف. قوله: (إن ارتاب الوارث منكم الخ) قدر المض، ف أي ارتاب وارثكم لأن المخاطب الموصون والمرتاب الموصى له وجعله وارثا لأنه الأغلب، والمذكور في سبب النزول، والا فقد يكون الموصى له غير الوارث، ولو قدر الموصي كان أسلم، وليس المراد بالوصية هنا الوصية التي لا تكون للوارث، وهو ظاهر، وقيل نزل ارتياب الموصى له منزلة ارتياب الموصي. قوله:) وإن ارتبتم اعتراض الخ (في الكشاف إن ارتبتم في شأنهما، واتهمتموهما فحلفوهما فالشرط مع جوابه المحذوف معترض لا الشرط وحده قيل قدر جواب الشرط ليكون الاعتراض هو الجملة الشرطية، ولو كان هو الشرط فقد لكان الجزاء مضمون القسم فلم يحسن توسيطه بين القسم، والجواب بل التقديم عليه أو التأخير، والمصنف رحمه الله تعالى لا بد له من ذلك أيضا لأنه لا يخلو أن يكون للشرط جواب أو لا فإن لم يكن له جواب تكون أن وصلية، وهي مع أن الواو

لازمة لها ليس المعنى عليها، ولو قدر فإما مقدما أو مؤخرا، وكلاهما ينافيان الاعتراض إلا أن يريد أنها مستغنية عن الجواب لسد ما أكدته مسده، وفي قوله اختصاص القسم بحال الارتياب، وقوله بعد ذلك وجوابه أيضا محذوف ما يشعر بموافقة الكشاف فتأمل فما تيل إنه رأى اعتراض! الشرط، ومنع عدم." (١)

"عليه، وثالثها أن يكون استعارة تمثيلية بتشبيه حالة تقليلهم في أعينهم الحامل لهم على هلاكهم بمعاملة الماكر المحتال! اظهار خلاف ما يضمر واليه الإشارة بقوله أو بمعاملة الخ أو إنه مشاكلة صرفة فالوجوه أربعة. قوله: (إذ لا يؤبه بمكرهم الخ) يؤبه ويعبأ به بمعنى يعتد به، وقوله دون مكره أي عند مكره والمزاوجة بمعنى المشاكلة كالازدواج، وقوله لأن مكره أنفذ من مكرهم وأبلغ تأثيرا، وهذا معنى الخيرية والتفضيل في النظم قال النحرير إطلاق خير الماكرين عليه تعالى إذا جعل باعتبار أن مكره أنفذ وأبلغ تأثيرا فالإضافة للتفضيل على المضاف لأن لمكر الغير أيضا نفوذا وتأثيرا في الجملة، وهذا معنى أصل فعل الخير فتحصل المشاركة فيه وإذا جعل باعتبار أنه لا ينزل إلا الحق، ولا يصيب إلا بما استوجبه الممكور به فلا شركة

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٩٢/٣

لمكر الغير فيه فالإضافة حينئذ للاختصاص كما في أعد لابني مروان لانتفاء المشاركة، وقيل هو من قبيل الصيف أحر من الشتاء بمعنى أن مكره في خيريته أبلغ من مكر الغير في شريته وكلام المصنف رحمه الله يمكن تنزيله على هذا فتدبر. قوله: (وإسنادا مثال هذا إنما يحسن للمزاوجة الخ) قد سبق مثله في سورة آل عمران، وهو يقتضي أن المكر لا يطلق عليه تعالى دود مشاكلة، واعترض عليه بقوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٩] وقد أجيب عنه بأن المشاكلة إما تحقيقية أو تقديرية والآية التي أوردوها من قبيل الثاني على ما ذكر في قوله تعالى: ﴿صبغة الله﴾ لأن ما قبله يدل على

معاملتهم بالحيلة والمكر وفيه نظر. قوله: (هو قول النضر بن الحرث الخ) النضر بن الحرث كان معروفا بينهم بالفطنة والدهاء فكانوا يتبعون ما يقوله وأشار إلى أنه من إسناد فعل البعض إلى الجميع لأن القائل واحد منهم، وأشار إلى أن وجه التجوز في إسناده أنه كان كبيرهم الذي يعلمهم الباطل إذ علم منه، ومما مر في أماكن أن إسناد فعل البعض إلى الكل إما لكثرة من صدر منه، أو لرضا الباقين به أو لأن القائل رئي! متبع أو لغير ذلك من النكت وأنه لا ينحصر في الرضا كما توهم، والقاص بتشديد الصاد المهملة من يقص لهم القصص ووقع في بعض النسخ قاضيهم بضاد معجمة بعدها ياء أي حاكمهم الذي يفصل القضايا فيهم ولها وجه وليست بأولى كما قيل، وأتمروا بمعنى تشاوروا، والمكابرة أصل معناها فاعلة من الكبر، والمراد بها فرط العناد فعطفه عليها تفسري.

قوله: (أن يشاؤوا) بتقدير حرف الجر أي من أن يشاؤوا أو عن أن يشاؤوا، والأنفة بفتحتين، والاستنكاف الامتناع عن شيء تكبرا، والتحدي طلب المعارضة، وأصله في الحاديين يتناظران في الحد إثم عم والتقريع والتعبير والتوبيخ وبين قرعهم وقارعهم تجنيس، وقوله: (فلم يعار! وا سواه) أي اختاروا معارضة السيف على معارضة الكلام لفرط عجزهم عنه، ووقع في نسخة فلم يعارضوه بسورة وهي ظاهرة، وقوله خصوصا في باب البيان لأنهم فرسانه المالكون لازمته وغاية ابتهاجهم به، ومن قال: حتى علقوا السبعة على باب الكعبة متحذين بها لم يدر أنه لا أصل له دمان اشتهر. قوله: (ما سطره الأولون من القصص) أصل معنى السطر الصف من الكتابة والشجر ونحوه، وكذا السطر بالفتح إلا أن جمع سطر بالسكون أسطر وسطور وجمع سطر أسطار وأساطير، وقال المبرد: أساطير جمع أسطورة كأحدوثة وأحاديث ومعناه ما سطر وكتب، والقصص بكسر القاف جمع قصة وبفتحها القصة نفسها والمصدر. قوله: (هذا أيضا في كلام ذاك القائل أبلغ في الجحود الخ) وجه أبلغيته أنه عذ حقيته محالا فلذا علق عليه طلب العذاب الذي لا يطلبه عاقل، ولو كان ممكنا لفر من تعليقه عليه، وهذا أسلوب من الجحود بليغ قال العلامة فإن قلت إن للخلو عن الجزم فكيف استعمل في صورة الجزم قلت إن لعدم الجزم بوقوع الشرط، ومتى جزم بعدم وقوعه عدم الجزم بوقوعه وهذا كقوله: ﴿وإن كنتم في ريب﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣، والخطاب مع المرتابين إبراز لارتيابهم

في صورة المحال للأدلة القاطعة للارتياب ففرض كما يفرض المحال، وقيل عليه إنه تعليق بالمحال كأن كان الباطل حقا على فرض المحال غير قطعي ليصح تعليق شيء به بكلمة، إن الموضوعة للشك الخالية عن الجزم بالوقوع وعدمه فيصير كالتنبيه

على انتفاء ذلك الشيء، وأما ما قاله هذا القائل فإنما نشأ توهمه من الاقتصار في بعض الكتب على أنها لعدم الجزم بالوقوع من غير تعرض! لجانب اللاوقوع تصدا إلى التفرقة." (١)

"الكناية القبول عن إعطاء الثواب وحذف أداة التعليلى لأنه قياسي، وتقديمه على ما ذكر في تعليل قبوله للتقريب بين التعليل والمعلل مهما أمكن وقيل عليه إنه لا حاجة إلى الاعتذار عن حذف أداة التعليل لإمكان تقديرها في المعطوف عليه المقدر وكل ذلك من ضيق العطن. قوله: (فإنه لا يخفى عليه الخ) يعني المراد بالرؤية الاطلاع عليه، وعلمه علما جليا مكشوفا له وعلمه كناية عن مجازاته، وأما جعل الرؤية حقيقية وأنه يرى المعاني فلا حاجة إليه لتكلفه، وإن كان بالنسبة إليه غير بعيد وقوله فإنه تعالى لا يخفى من الإخفاء أي لا يخفى ذلك عنهم بل يعلمهم به كما تبين لهم من تفضيح بعض وتصديق آخرين، وفي هذه الآية وعد ووعيد، ولذلك قيل إنها أجمع آية في بابها، وقوله بالمجازاة إشارة إلى أن الأنباء مجاز عن المجازاة أو كناية. قوله تعالى: (وستردون إلى عالم الغيب والشهادة) قال بعض المفسرين: الغيب ما يسرونه من الأعمال والشهادة يظهرونه كقوله تعالى: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ [سرة البقرة، الآية: ٧٧] فالتقديم لتحقيق أن نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحدة على أبلغ وجه وآكده لا لإيهام أن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن أن يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى، وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأمور البارزة والكامنة، ورده بعض فضلاء العصر فقال: لا يخفى عليك ان هذا قول يكون علمه تعالى حضوريا لا انطباعيا وحصولياً وقد زيفوه وأبطلوه لشمول علمه تعالى للممتنعات، والمعدومات الممكنة والعلم الحضوري يختص بالموجودات العينية لأنه حصول المعلوم بصورته العينية عند العالم فكيف لا يختلف الحال فيه بين الأمور البارزة والكامنة مع أن الكامنة تشمل المعدومات ممكنة كانت أو ممتنعة ولا يتصور فيها التحقق في نفسها حتى تكون علما له تعالى، وتحقيق علمه الواجب بالأشياء من المباحث المشكلة والمسائل المعضلة، ولو أمسك هذا القائل عن أمثال هذه المطالب لكان خيرا له إذ بالتفوه بأمثال هذه المزيفات، تبين أنه لم يحم حول ما تقرر عندهم من التحقيقات، وقد حققناه في بعض تعليقاتنا بما لا مزيد عليه انتهى، وهذا ذهول عن مراده والذي أوهمه ما أوهمه قعاقع ألفاظه وتطويله بلا طائل كما هو عادته في التشبه بالحرائر. قوله: (وآخرون من المتخلفين الخ) اختلف في المراد بآخرين هنا فقيل هم هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهو المروي في الصحيحين، والمنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وكبار الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن تخلفهم عن نفاق ولا شك **وارتياب** كما في السير وإنما كان لأمر مع الهم باللحاق بهم فلم يتيسر ذلك فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ما مر من المعذرين قال: هؤلاء لا عذر لنا إلا الخطيئة، ولم يعتذروا له صلى الله عليه وسلم فأمر المسلمين باجتنابهم فاجتنبوهم واعتزلوا نساءهم فنزلت يعني آية العفو عنهم وتعذيبهم إلى الله، وإنما اشتد الغضب عليه مع إخلاصهم والجهاد فرض! كفاية لما نقل عن ابن بطال في الروض الأنف وارتضاه أنه كان على الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه ألا ترى قول راجزهم في الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا أبدا

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٤/٢٦٩

وهؤلاء من أجلهم فكان تخلف هؤلاء كبيرة فإذا عرفت أن هؤلاء من كبار الصحابة رضوان الله عليهم وأنهم من المخلصين كما صرحوا به فقول المصنف رحمه الله إن أصروا على النفاق لا ينبغي أن يصدر مثله عن مثله ومن قال: إن هذه الآية في المنافقين كما هو قول للحسن وغيره لم يفسره بهؤلاء، وما قيل إن كلامه محمول على ما يشبه النفاق فهو بعيد ودعوى بلا دليل. قوله: (مرجون بالواو الخ) قرىء في السبعة مرجؤون بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة وقرىء مرجون بدون همزة كما قرىء ترجى من تشاء بهما، وهما لغتان يقال أرجأته وأرجيته كأعطيته، ويحتمل أن تكون الياء بدلا من الهمزة كقولهم قرأت وقربت وتوضأت وتوضيت وهو في كلامهم كثير وعلى كونه لغة أصلية فهو يائي، وقيل إنه واوي. قوله: (والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة الله تعالى) يعني إما كأو لوقوع أحد الأمرين." (١)

"أنه لو كان جمعا لوصف باللاتي ونحوه لا بالذين لاختصاصه بالعقلا، وأما احتمال تقدير المضاف وجعله صفة له وكذا الخبر فخلاف الظاهر، ويكفي مثله في أدلة النحاة وفي المثل أضعف من حجة نحوي. قوله: (شكا ونفاقا الخ (أصل معنى الريب الشك وقد فسر به هنا، والمراد شكهم في بنوته ع! يرو الذي أضمروه وهو عين النفاق فلذا عطفه عليه للتفسير، ولما كان الحامل على البناء هو النفاق زادهم ذلك بهدمه نفاقا لشدة غيظهم قال الإمام رحمه الله: لما صار بناء ذلك البنيان سببا لحصول الريبة في قلوبهم جعل نفس ذلك البنيان ريبة، وفيه وجوه أحدها أن المنافقين عظم فرحهم ببنيانه فلما أمر بتخريبه ثقل عليهم وازداد غيظهم وارتيابهم في نبوته لمجيرو، وثانيها أنه لما أمر بتخريبه خافوا فارتابوا هل يتركون على حالهم أو يقتلون، وثالثها أنهم اعتقدوا أنهم احسنوا بنيانه فلما هدم بقوا مرتابين في سبب تخريبه والصحيح هو الأول ورجح الطيبي الثاني بأنه أوفق للغة وريبتهم بالبناء كأنه سبب لهدمه فليس في الكلام مضاف مقدر والوسم السمة والعلامة وأصل معناه الكي. قوله:) بحيث لا يبقى لها قابلية الإدراك الخ (أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطيع قلوبهم أو في كل حال إلا حال تقطيعها وهو كناية عن تمكن الريبة في قلوبهم التي هي محل الإدراك، وإضمار الشك بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء إلا إذا قطعت ومزقت فحينئذ تخرج الريبد منها وتزول

والمبالغة في الريبة واضحة، وهذا على التصوير والفرض فلا تقطيع فيه، وعلى الوجه الذي بعد. فالتقطيع والتمزيق بالموت وتفريق أجزاء البدن فهو حقيقي، ويفيد لزوم الريبة ما دإموا أحياء، وعلى الثالث المراد إلا أن يتوبوا ويندموا ندامة عظيمة تفتت قلوبهم وأكبادهم فتقطيع القلب مجاز أو كناية عن شدة الأسف، والفرق بين الوجوه ظاهر لكنه قيل إياك أن تتوهم أن مراده بالأول ما في الكشاف من أنه تصوير لحال زوال الريبة عنها إذ لي في كلامه ما يدل عليه، وكأنه لم يرض! به لأن احتمال الحقيقة في الوجه الثاني يمنع الحمل على التمثيل لأن المجاز مشروط بالقرينة وقد دفع بأن جعل الكلام محتملا للحقيقة، والمجاز في كلامهم كثير ومبناه على أن القرينة لا يجب أن تكون قطعية بل قد تكون احتمالية فإن اعتبرت جعل مجازآ

– والا جعل حقيقة وكناية ومن لا يسلمه قال يتعين هنا أنه كناية ولا يخفى أنه ليس في كلام المصنف رحمه الله ما يخالف كلام الكشاف حتى يقال إنه لم يرتضه ومثله من التكلفات الباردة. قوله: (تقطع) أي في هذه القراءة بفتح التاء وأصله

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٦١/٤

تتقطع فحذفت إحدى التاءين وقراءة الياء لإسناده إلى الظاهر وتقطع بالتخفيف، وهو مجهول الثلاثي وتقطع بالتاء ونصب قلوبهم، والضمير للخطاب أو للريبة وقطعت بفتح القاف والتاء في المبني للفاعل وبضم القاف وسكون التاء في المجهول. قوله: (تمثيل لإثابة الله إياهم الخ (في الكشاف ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن، ولا أبلغ من هذه الآية لأنه أبرزه في صورة عقد عاقده رب العزة، وثمنه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط بل إذا كانوا قاتلين أيضاً لإعلاء كلمته ونصر دينه، وجعله مسجلا في الكتب السماوية، وناهيك به من صك وجعل وعده حقا، ولا أحد أوفى من واعده فنسيئته أقوى من نقد غيره وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم، وهو استعارة تمثيلية صور جهاد المؤمنين وبذل أموالهم وأنفسهم فيه، واثابة الله لهم على ذلك الجنة بالبيع والشراء وأتى بقوله يقاتلون الخ بيانا لمكان التسليم، وهو المعركة هاليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: " الجنة تحت ظلال السيوف ") ١ (ثم أمضاه بقوله ذلك هو الفوز العظيم، ولما في هذا من البلاغة واللطائف المناسبة للمقام لم يلتفتوا إلى جعل
اشترى وحده استعارة أو مجازا عن الاستبدال، وان ذكروه في غير هذا الموضع لأن قوله: ﴿فاستبشروا ببيعكم﴾ يقتضي إنه شراء وبيع وهذا لا يكون إلا بالتمثيل ومن غفل عنه، قال إنه تركه وهو جائز أيضا، ومنهم من جوز أن يكون معنى اشترى منهم أنفسهم بصرفها في العمل الصالح وأموالهم بالبذل فيها، وجعل قوله يقاتلون مستأنفا لذكر بعض ما شمله الكلام اهتماما به. قوله: (استئناف ببيان ما لأجله الشراء) يعني لما قال اشترى الخ كأنه قيل لماذا فقيل ليقاتلوا في سبيله، وليست المقاتلة." (١)

"والآخر مبين ورد بأن الفعل إنما يطلب المؤكد وإذا عمل في المبين فقد عمل في المؤكد لأنه بعض ما يعطيه وزيادة فلا يعمل في المبين إلا عند عدم المؤكد أو يؤتى به وأنا نحو دكا دكا فليس منه. قوله: (فإنه المنتفع به (ذكره لأن القرآن تذكير للخاشي وغيره فأشار إلى أن التخصيص به على الوجهين لتنزيل غيره منزلة العدم والجار والمجرور متعلق بتذكرة أو صفة له وليس فيه إشارة إلى أن اللام للعاقبة، كما قيل: بناء على أن يخشى بمعنى يؤول أمره إلى الخشية كما في هدى للمتقين وكذا ليس المراد من شأنه الخشية فإنه لا يلائم كلامه. قوله: (بإضمار فعله (فهو مفعول مطلق أي نزله تنزيلآ، وقوله: أو بيخشى، والمعنى إلا تذكرة لمن يخشى المنزل الذي هو من قادر قاهر فإن من لم يخش غير مؤمن، فيقدم على **الارتياب** والتكذيب والنصب على المدح بتقدير أعني والبدل بدل اشتمال، وقوله: أو معنى يعني إذا كان استثناء منقطعا فإنه يفيد
التعليل. قوله: الأن الشيء لا يعلل بنفسه (إن كان التنزيل والإنزال، بمعنى بحسب الوضع ولا بنوعه إن كان الإنزال عاما والتنزيل بالتدريجي فإن البدل هو المقصود فيصير المعنى أنزلناه لأجل التنزيل وعلى الحالية فهي حال مؤكدة لا موطئة كما في بعض شروح الكشاف وان وجه بأن مراد قائله أنها كالموطئة لأنه لو اكتفى بقوله: ممن خلق الخ كفى. قوله: (مع ما بعده (خبر مبتدأ محذوف أي هذا مع ما بعده، والتفخيم لشأن المنزل وهو الله جل وعلا أي تعظيمه بذكر مخلوقاته العظيمة ولذا وصف السموات بالعلى وقوله: بعرض الظاهر أنه بضم فسكون بمعنى التعريض به على طريق الكناية كما في بعض الحواشي

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٦٦/٤

والباء فيه للمصاحبة أو السببية ومن فسره بإظهار تعظيمه جعله بفتح العين وسكون الراء والظاهر الأول، وقوله: الذي هو عند العقل لأنه يدرك أفعاله أولا ثم يستدل بها على سائر صفاته ولذا قدم الخلق وثنى بالرحمة التي تنال الموجودات قبل كل شيء لأن الخلق منها وليس الترتيب بحسب الوجود فإنه بعكسه ولذا قدم الأرض كما أشار إليه والعليا بضم العين والقصر كالكبرى وقوله: بأن قصد الخ إن كان المعنى بأن ذكر قصده لذلك فهو متعلق بأشار هالا فهو خبر مبتدأ محدوف أي وهو بأن قصد الخ واجراء الكلام والتقادير بناء على أن قوله: على العرش استوى تمثيل لإجرائه ذلك، كالملك إذا جلس على سرير ملكه لتنفيذ أوامره ونواهيه، وقيل: إنه من إطلاق العرش على المحيط تشبيها له بسرير ملك يصدر أمره ونهيه عليه. قوله: اليدل بذلك محلى كمال قدرته الخ (كمال القدرة والإرادة مأخوذ من قصد ما ذكر كما مر بيانه، وقوله: ولما كانت القدرة الخ قيل عليه إنه لا مدخل لتبعية القدرة لإرادة في ترتيب الجزاء على الشرط بل يكفي فيه وجود الإرادة المعلوم مما سبق وكان وجهه أن ما في النظم يدل بصريحه على كمال القدرة كما يدل عليه قوله: أولا حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فتأمل، وقوله: بجليات الأمور وخفياتها إشارة إلى أن قوله: السز وأخفى كناية عما ذكر، وقوله: عقب ذلك أي القول المذكور ببيان إحاطة علمه. قوله: (أي وأن تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم الخ (أشار بقوله: فاعلم إلى أن ما ذكر لا يصلح
لأن يكون جوابا للشرط لأن علمه للسز، وأخفى ثابت قبل جهره وبعده وبدونه فهو يقام مقام الجواب وهو أمر الله له بعلمه لترتبه عليه والمقصود منه ترك ملازمته له لا فائدة الخبر وسيأتي بيانه وتخصيص القول بذكر الله مع إطلاقه لأن التعريف للعهد بقرينة الجواب فإن استواء الجهر والسز عنده يقتضي أن الجهر المذكور في خطابه، وهو الدعاء كما لا يخفى. قوله: (وأخفى منه وهو ضمير النفس (فالسز ما أسر به إلى الغير وأخفى منه ما أضمره في نفسه ولم يظهره، وقيل: السز ما أسررته في نفسك وأخفى منه ما ستسره فيها، وأخفى أفعل تفضيل من الخفاء، وقيل: فعل ماض يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه وقد قال الزمخشري: إنه ليس بذاك. قوله: (وفيه تنبيه على أن شرع الذكر الخ (ذكر في الكشاف بعد تقدير الجواب بما مر إنه إنا نهى عن الجهر كقوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٢٥٥] ، لماتا تعليم للعباد أن الجهر ليس لإسماع الله بل لغرض آخر كما ذكره المصنف رحمه الله هنا واختاره لأن الجهر ليس بمنهيئ عنه بل هو لحكمة، وتصوير النفس." (١)

"شامل لصورة الشك لا يناسب سبب النزول وسوق الكلام ومقابلته لقوله لهم الحق ولا ما سيأتي من نفي ريبهم والنكتة في اختيار بينهم دون عليهم لأن المتعارف قول المتخاصمين اذهب لتحكم بيننا لا علينا وهو الطريق المنصف. وقوله: لا عليهم من تقديم الخبر وقوله: أو لمذعنين وإلى بمعنى اللام أو هو متضمن معنى الإسراع وتقديم صلته لما ذكر أو للفاصلة أو لهما. قوله: (بأن رأوا الخ الم يفسره بالشك في نبوته كما في
الكشاف لدخوله في مرض القلب. وتقديم عليهم على الرسول في النظم قيل إنه لإظهار أنه لو وقع منه لكان من الله لأنه مظهر لا مثبت. وأورد عليه أنه لا يناسب قوله لأن منصب نبوته الخ وأيضا هم يخافون حيفة نفسه فلا يتم الحصر فهو

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٨٩/٦

لتأكيد أن حكمه حكم الله ولا يخفى عدم ورود. وأن مآل ما ارتضاه إلى ما أنكر. فتأمل. قوله: (إضراب عن القسمين الآخيرين) ذهب الإمام إلى أن أم منقطعة والمصنف والزمخشري: إلى أنها متصلة والمقصود التقشم لكنهما اختلفا في إضراب بل فذهب الزمخشري إلى أنه عن الأخير والمصنف إلى أنه عن الأخيرين والطيبي إلى أنه عن الجميع والتقسيم والأول أدل على ما كانوا عليه وأدخل في الإنكار من حيث إنه يناقض شرعهم إليه إذا كان الحق لهم على الغيرة وحصر الظلم فيهم ناطق به وأما أنه لا يدل على تعين الأول والمقام يقتضيه ولذا خالفه المصنف كما قيل، ففيه أنه إذا أبطل خوفهم الحيف استلزم إبطال **الارتياب**، وتعين الأول ليس بلازم إذ نفى الإيمان عنهم قبله مغن عنه وعلى الأخير فالإضراب انتقالي والمعنى ح هذا كله فإنهم هم الكاملون في الظلم الجامعون لتلك الأوصاف فلذا أعرضوا عن حكمك بدليل اسم الإشارة والخطاب وتعريف الخبر وتوسط الفصل لأنه لو كان للأولين لأعرضوا عنه والحق لهم ولو كان للثالث لم يناسب لعلمهم بأمانته وثباته على الحق فتامل. قوله: (منصب نبوته) أي شرفها وعلوها كما مر وكذا شرعهم إليه والحق لهم. وقوله: وظلمهم الخ الظاهر أنه دفع لما يقال من أنه إذا بطل الأخيران كان الأول مثبتا والمثبت هنا الظلم وهو غيره فهو لإبطال الأخير بإثبات الظلم والحيف لهم دون غيرهم بأن المرض فسر بالكفر والميل إلى الظلم والكافرون هم الظالمون. قوله: (والفصل) أي الإتيان بضمير الفصل المفيد للحصر على معنى أنهم الكاملون في الظلم. وقوله: سيما الخ ربما يشعر بأنه إضافي والمدعو لحكمه هو الرسول صلى الله عليه وسلم. قوله: (تعالى إنما الخ) الحصر لأن هذا شأن من آمن وكان بمعنى لاق به وانبغى له كما صرح به المصنف فلا حاجة إلى تفسير المؤمنين بالخاص منهم كما قيل وان صح أيضا نعم قولهم أطعنا مفسر بالثبوت أو الإخلاص لصدور مثله عمن قبلهم أيضا. قوله: (وقرئ قول بالرفع) في الكشاف وقراءة النصب أقوى لأن
أن يقولوا أوغل في التعريف فهو أولى بكونه مبتدأ ويجوز خلافه أيضا وذلك لأنه لا يكون إلا في تاويل مصدر معرف وأما كون الفعل لا يوصف بتعريف ولا تنكير فلا يضر كما توهم وأما كونه لا يوصف كالضمير فلا دخل له في الأعرفية وهذا بناء على أن المصدر المسبوك معرفة أبدا قال الدماميني: ولا يظهر له دليل فإن المصدر المؤول به يجوز أن لا يقدر مضافا كما جعل قوله: ﴿وما كان هذا القرآن﴾ أن يفتري بمعنى افتراء. وقد ذكر في باب النعت أن جواز تنكيره مذهب الفارسي مع أنه قد يقدر إضحافته لنكرة كما يؤول أن يقوم رجل بقيام رجل مثلا ففي ما ذكره شراح الكشاف هنا نظر وقد تناقض كلام المغني في هذه المسألة وقد قيل إن قراءة الرفع أقعد لأن جعل ما هو أكثر فائدة مصب الفائدة أولى وفيه نظر. وقراءة ليحكم مجهولا مناسبة لدعوا معنى لعدم ذكر الداعي والحاكم. قوله: (في الفرائض والسنن) هذا منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل اللف والنشر وقوله: على ما صدر الخ تعليلية كقوله: (اذكروا الله على ما هداكم) لا علاوة لفساده. وقوله: فيما بقي من عمره لأن الاتقاء يكون في الآتي بخلاف الخشية. قوله: (وقرأ يعقوب الخ) والباقون بخلافه بكسر القاف وياء وصل بعدها الضمير وقوله بلا ياء أي ياء وصل والهاء ضمير لأن قبله ساكنا تقديرا فجعل كمنه وعنه إذ لو كان تحركا كبه وله لم يحذف فجعل المحذوف للجزم في حكم الباقي. وقوله: بسكون الهاء قيل وهي للسكت وقوله بسكوت القاف الخ فأعطى تقه حكم كتف لكونه على وزنه فخفف بتسكين وسطه لجعله ككلمة." (١)

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٩٤/٦

"المذكور مجادلة لأنه كناية عن أنا لا نصدق نقلكم ما لم نعلم به، والتكذيب والتصديق ليسا نقيضين فيجوز ارتفاعهما كما في حال السكوت والحديث المذكور صحيح وأصله مروي في الببخاري وقوله مطيعون له خاصة التخصيص من تقدم له وهو المفيد للتعريض أيضا والآية المذكورة تقدم تفسيرها. قوله: (ومثل ذلك الإنزال) المذكور بعده، وقد مر تحقيقه وأنه يفيد أنه أمر عجيب الشأن أو هو إشارة إلى ما سبق من إنزال الكتب على ما ارتضاه المصنف هناك فتذكره، وقوله وحيا مصدقا مؤيد للأول لأنه كالبيان له وكون المراد ما ذكر بقرينة ما بعده مع التصريح به في محل آخر. قوله: (وهو تحقيق الخ) أي تقرير له كالدليل عليه فإن تصديقه للكتب الإلهية التي قبله يقتضي إيمان أهل الكتاب لأنه يدل على أنه مثلها في كونه وحيا إلهيا لا من حيث إنه إجمال ذلك التفصيل لأن التفصيل يحقق الإجمال بدون العكس، ولا من حيث أنه توطئة لما بعده، وأما كون المراد بقوله لقوله ما سبق فتعمية والغاز، وقوله عبد الذ بن سلام بتخفيف اللام، وأضرابه بمعنى أمثاله ممن أسلم من الأحبار، وصار من كبار الصحابة وضي الله عنهم، وقوله من أهل الكتابين في نسخة من الكتابيين، وهذا يؤيد ما مر من أن المصنف يرى أن هذه الآية مدنية إذ كونها مكية وعبد الفه ممن أسلم بعد الهجرة بناء على أنه إعلام من الله بإسلامقم في المستقبل، والتفصيل باعتبار

الإعلام بعيد جدا، واذا كان لمن مضى فالمضارع لاستحضار تلك الصورة في الحكاية. قوله تعالى: (﴿ومن هؤلاء من يؤمن به﴾) قيل الظاهر أن من التبعيضية هنا واقعة موقع المبتدأ كما مر في سورة البقرة ميلا مع المعنى، وقد مر ما فيه والكلام عليه وأن المعنى شاهد له ونحوه ومنهم المؤمنون، وقول الحماسي:

منهم ليوث لاترام وبعضهم مما قمشت وضم حبل الحاطب

قيل إنه مؤيد بقوله: ﴿منهم المؤمنون﴾ فمنهم مهتد وبهذه الآية وقد غفل عن هذا السعد

فأيده بهذا البيت (قلت الم يغفل وإنما دعاه له ذكر بعض صريحا. قوله: (أو من تقدم عهد الرسول) فإنه ورد في الحديث إيمان بعض المتقدمين به لما رأوا نعته في كتبهم، وقوله أو ممن في عهد الرسول هذا على تفسيره الثاني، ولذا أخره ففيه لف ونشر، وقوله المتوغلون في الكفر إن كان الجحد الإنكار عن علم فهو ظاهر والا وهو ظاهر كلام المصنف رحمه الله كما مر في سورة النمل فهو من فحوى الكلام لأن الكفر به مع ظهوره يدل عليه، وقوله كما أشار إليه أي إلى كونه معجزة الخ لكونه أميا. قوله تعالى: (﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾) قال ابن حجر في تخريج الرافعي قال البغوي في التهذيب: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله الأصح أنه كان لا يحسنهما ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه وادعى بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها، وعدم معرفته سبب المعجزة لهذه الآية فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر **الارتياب** تعرف الكتابة حينئذ، وروى ابن أبي شيبة وغيره ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ ونقل هذا للشعبي فصدقه وقال سمعت أقواما يذكرونه وليس في الآية ما ينافيه، وروى ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " رأيت ليلة أسرى بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض! بثمانية عشر " والقدرة على القراءة فرع الكتابة ورد باحتمال أقدار الله له عليها بدونها معجزة، أو فيه مقدر وهو فسألت عن المكتوب فقيل الخ، ويشهد للكتابة أحاديث في البخاري

وغيره

كما ورد في صلح الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم كتب ولم يكن يحسن الكتابة وممن ذهب إليه أبو ذز الهروي وأبو الفتح النيسابوري وأبو الوليد الباجي من المغاربة وصنف فيه كتابا وسبقه إليه ابن منية، ولما قال أبو الوليد ذلك طعن فيه ورمى بالزندقة وسب على المنابر، ثم عقد له مجلس فأقام الحجة على مدعاه وكتب به إلى علماء الأطراف فأجابوا بما يوافقه ومعرفة الكتابة بعد أمية لا تنافي المعجزة بل هي معجزة أخرى لكونها من غير تعليم ورد الإمام محمد بن مفوز كتاب الباجي لما في الحديث الصحيح: " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب " وقال كل ما ورد في الحديث من قوله كتب فمعناه أمر بالكتابة، وتقديم قوله من قبله على قوله ولا تخطه كالصريح فيه، وكون القيد." (١)

"المتوسط راجعا لما بعده غير مطرد مع أنه مفهوم ليس بحجة عندنا فمن استدل به لم يصب، وقوله على أمي أي من أمي والأمي من لا يكتب ولا يقرأ ولما كان بعض الأميين قد يتعلم القرآن ونحوه بأخذه من أفواه الرجال وهو لم يقع أيضا ذكر قوله والتعلم ليكون خارقا للعادة ولأن الخط إنما يعرف بالتعلم، وقد قيل إنه مأخوذ من تنكير الكتاب في سياق النفي، وقوله لم يعرف إشارة إلى ما مر وقوله زيادة تصوير لأن الخط باليمين فهو مثل نظرت بعيني في تحقيق الحقيقة، وتأكيدها حتى لا يبقى للمجاز مجاز. قوله: (أي لو كنت ممن يخط ويقرأ) هو من قوله إذا فالمراد بالمبطلين كفار قريش، وقوله سماهم مبطلين الخ أي على هذا التفسير وعلى تقدير كفرهم بنبوته لو لم يكن أميا لإبطالهم حينئذ إذ كفروا أو ارتابوا وشكوا بمجرد كونه غير أمي مع أن انتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز لا ينفي غيره مع كثرته وظهوره، فمدعي مثله مبطل سواء أكان أميا أم لا لأنهم لم يؤمنوا به ولم ينظروا لما جاء به من المعجزات المثبتة لرسالته صلى الله عليه وسلم فالتعريف في المبطلين للعهد كما في شرح الكشاف وأما احتمال تعلمه فغير متوجه لأن مثله من الكتاب المفصل الطويل لا يتلقن ويتعلم إلا في زمان طويل بمدارسة لا يخفى مثلها.

قوله: (وقيل لارتاب الخ) فالمراد بالمبطلين أهل الكتاب وهم على تقدير كونه صلى الله عليه وسلم ولم

غير أمي يشكون في كونه النبي المنعوت في كتبهم لأنه أمي، ولما ورد على هذا التفسير أنهم لا يكونون حينئذ مبطلين بل محقين في مدعاهم لم! لفة نعته لما نعت به في الكتب المنزلة أشار إلى دفعه بقوله فيكون إبطالهم يعني على هذا الوجه دون الأول كما توهم، وقوله باعتبار

الواقع دون المقدر المراد بالواقع كونه أميا، وبالمقدر كونه قارئا كاتبا لأنهم على فرض تقديره لا يكونون مبطلين كما في الوجه الأول فانهم فيه مبطلون على الحالين، ومرضه لمخالفته لظاهر النظم إلا بتكلف وهو أن يقال أصله لارتابوا لكنه عدل عنه للإشارة إلى أنه غير واقع فهم مبطلون في نفس الأمر لا على هذا التقدير أو المراد أنه على هذا الوجه يكون إبطالهم أي إبطال أهل الكتاب لكونه النبي المنعوت في كتبهم باعتبار الواقع يتحقق من كونه غير أمي فإنه حينئذ إبطال محقق فلذا نفى، وأما إبطال المشركين فباعتبار أمر مقدر، وهو قولهم أخذه من كتب المتقدمين فلشى كونه مقدرا بالنظر للثاني كما قيل فتامل. قوله: (بل هو الخ) إضراب عن ارتيابهم أي ليس مما يرتاب فيه لوضوح أمره، والمراد بكونه في الصدور كونه محفوظا

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٠٤/٧

بخلاف غيره من الكتب، ولذا جاء في وصف هذه الأمة صدورهم أنا جيلهم كما أشار إليه بقوله يحفظونه، وقوله لا يقدر أحد تحريفه أي على تحريفه وعداه بنفسه لتضميته معنى يطيق، وقوله المتوغلون بمعنى البالغين، وأصل معنى التوغل الدخول وقد تقدم توجيهه، وقوله وقالوا أي كفار قريش لتعليم أهل الكتاب لهم اقتراحه، أو أهل الكتاب مطلقا لا بعض اليهودا إذ هم لا يقرون بمعجزة عيسى عليه الصلاة والسلام وكونه مجرد تشه، واقتراح وأن لم يؤمنوا بمثله بعيد، والبصريان أبو عمرو وعاصم وحفص ووابة فكان تركه أولى. قوله: (ليس من شأني إلا الإفذار) أي لا الإتيان بما اقترحتموه فهو قصر قلب وابانته بما أعطيت تفسير لقوله مبين، وقوله تدوم الخ من صيغة المضارع الدالة على الاستمرار، وقوله متحدين لأن التلاوة على الكفرة إنما هي للتحذي ويجوز في آية الرفع والنصب، وتضمحل بمعنى تفني وتذهب وقوله يعني اليهود إشارة إلى أن الضمير على هذا مخصوص بهم بخلافه على الأول، وخص اليهود لأنه بين أظهرهم دون النصارى، وإن كان ما ذكر جاريا فيهم والباء في قوله بتحقيق للملابسة، وقوله آية مستمرة على التفسير الأول وما بعده على التفسير الثاني، وقوله لنعمة تفسير للرحمة وعظيمة من تنوينها. قوله: (وتذكرة لمن همه الإيمان) إشارة إلى أن ذكرى بمعنى تذكوة والجار والمجرور متعلق به لا برحمة وأن يؤمنون المرإد به إلاستقبالد لا الحال لأن التذكير نافع ومشوق لهم، والكلام مع الكفار، وقيل إن يؤمنون مجاز عن يهمون بالإيمان ولا حاجة إليه، ويجوز أن يكون من التنازع- والهم بمعنى التقيد. قوله: (وقيل إن ناسا من المسلمين الخ) فيكون يؤمنون على ظاهره، وهذا الحديث رواه أبو داود والطبري مرسلا مع زيادة واختلاف فيه وهو سبب النزول، والكتف عظمه لأنهم كانوا في الصدر الأول يكتبون على الخشب." (١)

"وهذا تفسير لكريما لأن معناه الكثير الخير والنفع. قوله: (أصل أحد وحد بمعنى الواخد ثم وضع في النفي العام الخ) قيل عليه الموضوع في النفي العام همزته أصلية غير منقلبة عن الواو كما نص عليه النحاة، وأجيب بأن المذكور في النحو إن ما همزته أصلية يختص بالنفي ولا يمنعون اسنعمال ما همزته واو في النفي أيضا وتعقب بأن السؤال عن وجه جعل همزته منقلبة باق مع أن الذي همزته غير منقلبة هو المختص بالعقلاء، والمشهور باستواء الواحد والكثير فيه وهو أنسب هنا على ما ذكره من المعنى، وقيل أيضا كيف يتأتى الجواب المذكور أولا وهو معنى آخر إلا أن يستعمل لمعنى آخر غير النفي العام، وقد قاك أبو علي همزة أحد المستعمل في النفي للاستغراق أصلية لا بدل من الواو فالأولى أن يقال هـ، ذكر قول لبعض النحاة، وقد قال الرضى إن همزته في كل مكان بدل من الواو وكل هذا لاث. ي الغليل كما قاله القرافي في كتابه المسمى بالعقد المنظوم في ألفاظ العموم يستشكلون هذا بأن اللفظين صورتهما واحدة ومعنى الوحدة يتناولهما والواو فيها أصلية فيلزم قطعا انقلاب ألفه عنها وجعل أحدهما منقلبا دون الآخر تحكم، وقد أشكل هذا على كثير من الفضلاء حتى أطلعني الله على جوابه، وهو أن أحدا الذي لا يستعمل إلا في النفي معناه إنسان بإجماع أهل اللغة وأحد الذي يستعمل في الإثبات معناه الفرد من العدد فإذا تغاير مسماهما تغاير اشتقاقهما لأنه لا بد فيه من المناسبة بين اللفظ، والمعنى ولا يكفي فيه أحدهما فإذا كان المقصود به الإنسان فهو الذي لا يستعمل إلا في النفي وهمزته أصلية وان قصد به العدد ونصف الاثنين فهو الصالح للإثبات والنفي وألفه منقلبة عن واو اهـ، إذا عرفت هذا فما وقع للمصنف تبعا للزمخشري هنا ليس كما ينبغي

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٠٥/٧

فإنه على تسليم الفرق المذكور ينبغي أن تكون الهمزة هنا أصلية كما قاله أبو حيان رحمه الله

وجواب الطيبي لا يجدي نفعا وكل ما ذكر بعده خبط عشواء فتأمل. قوله: (والمعنى لستن كجماعة واحدة الخ) في الانتصاف أراد المطابقة بين المتفاضلين فإن نساء النبي جماعة ولو حمل على الواحدة كان أبلغ أي ليست واحدة منكن كواحدة من آحاد النساء فيلزم تفضيل الجماعة على الجماعة دون عكس، ورد بأنه لا شك أن اسم ليس ضمير الجماعة وقد حمل عليه كأحد وبين بقوله من النساء وتعريفه للجنس فيجب حمل أحد بمقتضى السياق على الجماعة كقوله فما منكم من أحد عنه حاجزين، ولو حمل على الواحد لزم التفضيل بحسب الوحدات ويرجع المعنى إلى تفضيل كلهن على واحدة واحدة من النساء ولا **ارتياب** في بطلانه أما تأويله بليست واحدة منكن فخلاف الظاهر وأما قوله يلزم الخ فجوابه أن تفضيل كل واحدة منهن يعلم من دليل آخر كقوله: ﴿وأزواجه أمهاتكم﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٦٠] ونحوه فما قيل على هذا يكون الأحد بمعنى الواحد لا موضوعا في النفي العام، والأولى أن يفسر بجماعة واحدة كانت أو أكثر ليعم النفي، ويناسب مقام تفضيلهن، ثم هذا يفيد بحسب عرف الاستعمال تفضيل كل منها على سائر النساء لأن فضلها يكون عاليا لفضل كل منها فلا حاجة إلى تقدير ليست إحداكن كامرأة لأنه خلاف الظاهر، أو يقال المقصود تفضيل الجماعة لا كل منها إذ لا شك أن بعضهن ليست بأفضل من فاطمة رضي الله عنها فليس التقدير أولى كما توهم، اهـ ليس بصحيح أوله لأنه شامل للقليل والكثير فلا يكون بمعنى الواحد نعم ما ذكره بعده كلام حسن فتأمله، وقد اغتر بعضهم بما في الانتصاف فقال ما قال. قوله: (مخالفة حكم الله ورضا رسوله (صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه من التقوى بمعناها المعروف في لسان الشرع وجعله بمعنى استقبلتن الرجال، وان كان صحيحا لغة وقد ورد بمعنى الاستقبال في القرآن كثيرا كقوله: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٤] كما أشار إليه الراغب لا يتأتى هنا لأنه لا يستعمل في مثله إلا مع المتعلق الذي يحصل به الوقاية كقوله بوجهه في الآية وباليد في قول النابغة: فتناولته واتقينا باليد

ليكون قرينة على إرادة غير المعنى الشرعي، فالقول بأنه غير معروف في اللغة فلا يناسب الفصاحة خطأ، وأما تمسك من فسره به هنا بأنه أبلغ في المدح لأنهن متقيات فليس بشيء لأن المراد دوامهن على التقوى مع أن المقصود به التهييج بجعل طلب الدنيا، والميل إلى ما تميل إليه النساء لبعده من مقامهن بمنزلة الخروج من التقوى. قوله: (مثل قول المريبات (أي الموقعات في الريب في طهارتهن، وهذا هو الصحيح ووقع في بعض النسخ المزينات أي الزانيات." (١)

"مقيد بحال عدم دخول الإيمان في قلوبهم أي قولوا: أسلمنا ما دمتم على هذه الصفة فأفاد هنا فائدة زائدة، وهيئ توقيت القول المأمور به وتوقعه منهم بخلاف نفيه السابق فلا تكرار فيه، ولذا اختار كون الجملة حالا لا مستأنفة إخبارا منه تعالى فإنه غير مفيد لما ذكر كما أشار إليه. قوله: (من لات ليتا إذا نقص الخ) نقص يكون متعديا ولازما، والمراد الأول هنا فلا حاجة لشديد قافه، وإن صح وهو على هذه اللغة أجوف وفي لغة غطفان وأسد مهموز الفاء وبهما قرئ في السبعة. قوله: (إذا أوقعه في الشك مع التهمة) قال الراغب: أن يتوهم بالشيء أمرا فينكشف عما يتوهمه والإرابة أن يتوهم فيه أمرا فلا يكشف عما يتوهمه **والارتياب** يجري مجرى الإرابة، وهو ما أشار إليه المصنف، وقيل الشك في الخبر والتهمة في المخبر

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٦٩/٧

فتأمل وقوله: وفيه الخ يعني قوله: لم يرتابوا تعريض لمن نفى عنه الإيمان سابقا بأن نفيه لكونهم مرتابين في الله ورسوله. قوله: (وثم للأشعار الخ (توجيه لما في النظم من أن عدم **الارتياب** لا ينفك عن الإيمان فكيف جعل متراخيا عنه وله طريقتان في الكشاف إحداهما أن من وجد منه الإيمان ربما يعترضه ما يوقعه في الشك فيستمر عليه فوصف المؤمن حقا بالبعد عن هذه الموبقات كقوله تعالى: ﴿ثم استقاموا﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٠، والثانية أن زوال الريب لما كان ملاك الإيمان أفرد بالذكر بعده تنبيها على مكانه وعطف بثم إشعارا باستمراره في الأزمنة المتراخية غضا طريا يعني أنه لنفي الشك عنهم فيما بعد فدل على أنهم كما لم يرتابوا، أولا لم تحدث لهم ريبة فالتراخي زمانيئ لا رتبي على ما مر في قوله ثم استقاموا أو عطفه عليه عطف جبريل على الملائكة تنبيها على أصالته في الإيمان حتى كأنه شيء آخر فثم دلالة على استمراره قديما وحديثا، والفرق بين الاستمرارين أنه على الأول

استمرار المجموع كما في قوله: ثم استقاموا أي استمر إيمانهم مع عدم **الارتياب** وعلى الثاني الاسنمرار معتبر في الجزء الأخير فالتنظير بقوله: ثم استقاموا من جهة أخرى غير التراخي الرتبي السابق ذكره فليس إشارة لجريان هذا الوجه فيه كما توهم، وقيل إنه على الأول ثم فيه للتراخي الرتبي إذ المعنى لم يرتابوا بعد تشكيك المشكك والثبات على الشيء أعلى رتبة من إيجاده فتنظيره على ظاهره وعلى الثاني في **الارتياب** يبقى في الأزمنة المتراخية فثم للتراخي الزماني باعتبار النهاية فتدبر. قوله: (في طاعتة) يعني ليس المراد بسبيل الله الغزو بخصوصه بل ما يعم العبادات والطاعات كلها لأنها في سبيله وجهته، ولذا قال والمجاهدة الخ فالمجاهدة بالأموال عبارة عن العبادة المالية كالزكاة والمجاهدة بالأنفس البدنية كالصلاة والصوم وقدم الأموال لحرص الإنسان عليها فإن ماله شقيق روحه وجاهدوا بمعنى بذلوا الجهد أو مفعوله مقدر أي العدو أو النفس والهوى. قوله: (الذين صدقوا في ادعاء الإيمان) إشارة إلى أنه تعريض بكذب الإعراب في ادعاءهم الإيمان وأنه يفيد الحصر أي هم الصادقون لا هؤلاء، وإيمانهم إيمان صدق وجد. قوله: (أتخبرونه به بقولكم آمنا) فهو من قولهم علمت به فلذا تعدى بالتضعيف لواحد بنفسه، والى الثاني بحرف الجر لأنه بمعنى الإعلام والإخبار، وقيل: إنه تعدى بها لتضمين معنى الإحاطة أو الشعور ففيه مبالغة لإجرائه مجرى المحسوس فتأمل. قوله: (تجهيل لهم وتوبيخ الأنهم كيف يعلمونه، وهو العالم بكل شيء وقوله: وهي أي المنة النعمة التي لا يستثيب أي يطلب الثواب والجزاء عليها ومعنى وقوله: ممن يزلها متعلق بيستثيب أي يوصلها إليه، قال في القاموس: أزل إليه نعمه أسداها واليه من حقه شيئا أعطاه اهـ، وقوله: الثقيلة ثقل المنة عظمها أو المشقة في تحملها، وقوله: من المن وهو الرطل الذي يوزن به. قوله: (أو تضمين الفعل معنى الاعتداد) أي يعذون إسلامهم منة ونعمة كما أشار إليه أولا والاعتداد بالشيء الاعتبار به، وقوله: على ما زعمتم في قوله قالت الأعراب: آمنا فلا ينافي هذا قوله لم تؤمنوا حيث نفى الإيمان عنهم، وقوله: مع أن الهداية الخ

فالهداية مطلق الدلالة فلا يلزم إيمانهم، وينافي نفي الإيمان السابق فإن قلت: الهداية هنا ما يلازم الإيمان لقوله: إن كنتم صادقين فكيف يتجه ما ذكره في هذه المعية قلت: الإضراب يقتضي أن ما من به عليهم واقع، وهو الدلالة لا الاهتداء ولا يلزم تقدير الجواب من لفظ ما قبله بعينه، ومتعلق الصدق ادعاء الإيمان لا الهداية حتى ينافيه كما توهم. قوله:." [١]

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٨/٨٢

"بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن لهم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيرا) وانما يقال لهم ذلك لان عملهم في الدنيا كان على وجه الخداع فيعاملون في الآخرة على وجه الخداع كذا في تنبيه الغافلين: قال السعدي

چه قدر آورد بنده نزد رئيس ... كه زير قبا دارد أندام پيس

وفي التأويلات النجمية الاشارة ان الله تعالى لما قدر لبعض الناس الشقاوة في الأزل اثمر بذر سر القدر المستور في اعماله ثمرة مخادعة الله في الظاهر ولا يشعر ان المخادعة نتيجة بذر سر القدر بطريق تزيين الدنيا في نظره وحب شهواتها في قلبه كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات الآية فانخدع بزينة الدنيا وطلب شهواتها عن الله وطلب السعادة الاخروية فعلى الحقيقة هو المخادع الممكور كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم

فعلى هذا وما يخدعون إلا أنفسهم حقيقة في صورة مخادعتهم الله والذين آمنوا لانهم كانوا قبل مخادعتهم الله مستوجبين النار بكفرهم مع إمكان ظهور الايمان منهم فلما شرعوا في اظهار النفاق بطريق المخادعة نزلوا بقدم النفاق الدرك الأسفل من النار فابطلوا استعداد قبول الايمان وإمكانه عن أنفسهم فكانت مفسدة خداعهم ومكرهم راجعة الى أنفسهم وما يشعرون اى ليس لهم الشعور بسر القدر الأزلي وان معاملتهم في المكر والخداع من نتايجه لان في قلوبهم مرضا ومرض القلب ما يفهم من شعور سر القدر في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا زاد يجيئ متعديا كما فى هذه الآية ولازما كما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون والمرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في أفاعيله ويؤدى الى الموت ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الروحاني لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقة الابدية والآية الكريمة تحتملها فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول عليه السلام واستعلاء شأنه يوما فيوما فزاد الله غمهم بما زاد في إعلاء امره ورفع قدره وان نفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه السلام ونحوها فزاد الله ذلك بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وبازدياد التكاليف الشرعية وتكرير الوحى وتضاعف النصر لانهم كلما ازداد التكاليف بنزول الوحى يزدادون كفرا وقد كان يشق عليهم التكلم بالشهادة فكيف وقد لحقتهم الزيادات وهي وظائف الطاعات ثم العقوبة على الجنايات فازدادوا بذلك اضطرابا على اضطراب **وارتيابا** على **ارتياب** ويزدادون بذلك في الآخرة عذابا على عذاب قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب والمؤمنون لهم في الدنيا ما قال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وفي العقبى ما قال ويزيدهم من فضله قال القطب العلامة امراض القلب اما متعلقة بالدين وهو سوء الاعتقاد والكفر او بالأخلاق وهي اما رذائل فعلية كالغل والحسد واما رذائل انفعالية كالضعف والجبن فحمل المرض اولا على الكفر ثم على الهيآت الفعلية ثم على الهيآت الانفعالية ويحتمل ان يكون قوله تعالى." (١)

"عن الدنيا ويسر له امره فى الإقبال عليه والتزين بخدمته وجعله اماما لخلقه يقتدى به اهل الارادة فيحملهم على أوضح السنن وأوضح المناهج وهو الاعراض عن الدنيا والإقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله من

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥٥/١

يكل أموره الى ربه فان الله يكفيه هم الدارين اجمع قال الربيع رحمه الله ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه ومن وثق به أنجاه ومن دعاه أتاه وتصديق ذلك فى كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم أجيب دعوة الداع إذا دعان واللائي من الموصولات جمع التي يعنى آن زنان كه يئسن من المحيض من نسائكم اللاتي دخلتم بهن لكبرهن وييسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضا قوله يئسن فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال يئس من مراده ييأس يأسا وفى معناه أيس يأيس يأسا وإياسا لا ايسا وفاعلهما آيس لا يائس يقال امرأة آيس إذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لان التاء انما زيدت فى المؤنث إذا استعملت الكلمة للمذكر ايضا فرقا بينهما وإذا لم تستعمل له فأى حاجة الى الزيادة ومن ذلك يقال امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء إذا كان حملها من الولد واما إذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفى المغرب اليأس انقطاع الرجاء واما الا ياس فى مصدر الآيسة من الحيض فهو فى الأصل ائياس على افعال حذفت منه الهمزة التي هى عين الكلمة تخفيفا والمحيض الحيض وهو فى اللغة مصدر حاضت الأنثى فهى حائض وحائضة اى خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفى القاموس حاضت المرأة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا فهى حائض وحائضا من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لان الماء يسيل اليه والحيضة المرة انتهى وفى الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا إياس لها اى يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف إن ارتبتم من **الارتياب** بالفارسية بشك شدن.

اى شككتم وأشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر فقوله واللائي يئسن إلخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله ان ارتبتم اعتراض وجواب الشرط محذوف اى ارتبتم فيها فاعلموا انها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة باهلال الهلال او باعتبار جزء من اثنى عشر جزأ من دوران الشمس من نقطة الى تلك النقطة قال فى القاموس الشهر العدد المعروف من الأيام لانه يشهر بالقمر واللائي وآن زنان كه لم يحضن اى مار أين الدم لصغرهن اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الاعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبى حنيفة والشافعي لا تنقضى عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة." (١)

"اثنين فنزلت اى وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون فمن ذا الذي يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة ما يقلب الأرض فيجعل عاليها سافلها. وتمام آدميان طاقت ديدار يك فرشته ندارند تا بمقاومت كجا بسر آيند وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا اى وما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم ووقوعهم فى الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر أي بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيها على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من دواخل المبتدأ والخبر فوجب حمل مفعوله الثاني على الاول ولا يصح حمل افتتان الكفار

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٥/١٠

على عدد الزبانية الا بالتوجيه المذكور فان عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العدد القليل امر الجم الغفير واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى

من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب اى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم وفى عين المعاني سأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة النار وعددهم فأجاب عليه السلام بانهم تسعة عشر. يعنى دو بار بأصابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم إبهام يمنى را إمساك فرمود ويزداد الذين آمنوا إيمانا اى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان فان نفى ضد الشيء بعد اثبات وقوعه ابلع فى الإثبات ونفى لما قد يعترى المستيقن والمؤمن من شبهة ما فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وانما لم ينظم المؤمنين فى سلك اهل الكتاب فى نفى **الارتياب** حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء **الارتياب** من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فان كلامنهما من الأمراض الباطنة فيكون أحبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة إذ النفاق انما حدث بالمدينة وكان اهل مكة اما مؤمنا حقا واما مكذبا واما شاكا والكافرون المصرون على التكذيب فان قلت كيف يجوز أن يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى قلت اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا إشكال ماذا أراد الله بهذا مثلا تمييز لهذا او حال منه بمعنى ممثلا به كقوله هذه ناقة الله لكم آية اى اى شيء أراد بهذا العدد المستغرب استعراب المثل فاطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر فى الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما كعشرين او ثلاثين والاستفهام لانكار أنه من عند." (١)

"وفى سائر البلدان فى اشرف المساجد وقال ابو حنيفة لا يختص الحلف بزمان ولا مكان فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما إن ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال **الارتياب** اى ان ارتاب فيهما الوارث منكم بخيانة وأخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله لا نشتري به ثمنا جواب القسم اى مقسم عليه فان قوله فيقسمان يتضمن قسما مضمرا فيه. والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى أخذها بدلا منه ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة فى المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر فى المستعار منه والضمير فى به لله. والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وطمع الدنيا ولو كان اى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام وهو الميت ذا قربى اى قريبا منافى الرحم تأكيد لتبرئهم من الحلف

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٣٤/١٠

كاذبا ومبالغة فى التنزه كأنهما قالا لا نأخذ لا نفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الأقرباء فقد انضم إليها ما هو أقوى منها وادعى الى الحلف كاذبا وهى صيانة حظ أنفسهما فلا يتحقق ما قصداه من المبالغة فى التنزه عنه والتبري منه. قلت صيانة أنفسهما وان كانت أهم من رعاية الأقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة اليه ولا نكتم شهادة الله معطوف على لا نشترى به داخل معه فى حكم القسم وشهادة الله منصوب على انها مفعول بها أضيفت اليه تعالى لانه هو الآمر بها وبحفظها وعدم كتمانها وتضييعها إنا إذا اى إذ كتمناها لمن الآثمين اى العاصين فإن عثر اى اطلع بعد التحليف على أنهما استحقا إثما اى فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه فآخران اى رجلان آخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما اى مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام أداء الشهادة التي توليها ولم يؤدياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق من الذين حال من فاعل يقومان اى من اهل الميت الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين ومفعول استحق محذوف اى استحق عليهم ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الآخران القائمان مقام الأولين على وضع المظهر مقام المضمر فاستحق مبنى للفاعل والاوليان فاعله وهو تثنية الاولى بالفتح بمعنى الأقرب. وقرىء على البناء للمفعول وهو الأظهر اى من الذين استحق عليهم الإثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هم فقيل الاوليان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة فى نفسها أحق بالقبول من شهادتهما اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع انه لا حقيقة." (١)

"فى يمينهما رأسا انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء تملكهما لما ظهر فى أيديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها شهادة الحق وما اعتدينا عليهما بابطال حقهما إنا إذا اى إذا اعتدينا فى يميننا لمن الظالمين أنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيأ بالتغليظ فى الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر يا يديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة وعمل بايمانهم وانما انتقل اليمين الى الأولياء لان الوصيين ادعيا انهما ابتاعاه والوصي إذا أخذ شيأ من مال الميت وقال انه اوصى به حلف الوارث إذا أنكر ذلك وتحليف المنكر ليس بمنسوخ ذلك اى الحكم الذي تقدم تفصيله أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها اى اقرب الى ان تؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الأخروي هذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٤٥٦

بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجوا عن الخيانة المؤدية اليه فأى الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الإتيان بالشهادة على وجهها واتقوا الله فى شهادتكم فلا تحرفوها وفى ايمانكم فلا تحلفوا ايمانا كاذبة وفى أماناتكم فلا تخونوها وفيما بينه الله من الاحكام فلا تخالفوا حكمه واسمعوا ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم واعلم ان الشهادة فى الشرع الاخبار عن امر حضره الشهود وشاهدوه اما معاينة كالافعال نحو القتل والزنى او سماعا كالعقود والاقرارات فلا يجوز له ان يشهد الا بما حضره وعلمه وسمعه ولهذا لا يجوز له أداء الشهادة حتى تذكر الحادثة وفى الحديث (إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع) وفى الشهادة احياء حقوق الناس وصون العقود عن التجاحد وحفظ الأموال على أربابها وفى الحديث (أكرموا شهودكم فان الله يستخرج بهم الحقوق) ومن تعين للتحمل لا يسعه ان يمتنع إذا طلب لما فيه من تضييع الحقوق الا ان يقوم الحق بغيره بان يكون فى الصك سواه ممن يقوم الحق به فيجوز له الامتناع لان الحق لا يضيع بامتناعه وهو مخير فى الحدود بين الشهادة والستر لأن اقامة الحدود حسبة والستر على المسلم حسبة والستر أفضل وفى الحديث (من ستر على مسلم ستره الله عليه فى الدنيا والآخرة) ثم اعلم ان اليمين الفاجرة تبقى الديار بلاقع فينبغى لطالب الآخرة ان يجتنب عن الكذب لطمع الدنيا وان يختار الصدق فى كل قول وفعل: قال الحافظ

طريق صدق بياموز از آب صافى دل ... براستى طلب آزادگى چوسرو چمن." (١)

"وحصول ذلك كحال موسى فى طلب الرؤية على وجه مخصوص فلما اخبر بتعذر ذلك ناب وآمن انتهى قال الله تعالى وهو استئناف بيانى لن تراني لم يقل لن تنظر الى كقوله انظر إليك لان المطلوب هى الرؤية التي معها ادراك لا النظر الذي هو عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي لانه قد بتخلف عنه الإدراك فى بعض الصور قال فى التفسير لن تراني [نتوانى ديد مرا در دنيا چه حكم ازلى بر آن وجه واقع شده كه هر بشرى كه در دنيا بمن نظر كند بميرد] وفى المدارك لن تراني بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية [صاحب كشف الاسرار كويد كه مقام موسى در ان ساعت كه خطاب لن ترانى شنيد عالى بود از ان وقت كه كفت أرني زيرا اين ساعت در عين مراد حق بود وآن وقت در عين مراد خود قائم بمراد حق بود كاملترست ار قيام بمراد خود]

لن ترانى ميرسد از طور موسى را جواب ... هر چه آن از دوست آيد سر إكردن متاب

وهو دليل لنا ايضا لانه لم يقل لن ارى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لا خبر بانه ليس بمرئى إذا لحالة حالة الحاجة الى البيان فهو لا يدل على امتناع رؤيته فى نفس الأمر بل يدل على قصور الطالب عن رؤيته لتوقف الرؤية على حصول ما يستعد به الطالب لرؤيته وعدم حصول ذلك المعد فيه بعد فانه يجوز ان يبقى فيه حينئذ شيء من الحجاب المانع لرؤيته إياه لم يرتفع ذلك الحجاب بعد يقول الفقير هذا ما عليه اكثر اهل التفسير وهو ليس بمرضى عندى لان إتيان الطور لم يكن

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٥٧/٢

فى أوائل حاله عليه السلام بل كان ذلك نظير المعراج المحمدي بالنسبة الى مرتبته والتحقيق بعيد عن درك اهل التقليد وقد سألت حضرة شيخى العلامة أبقاه الله بالسلامة عن قولهم فى قوله تعالى لن تراني اى ببشريتك ووجودك فقال ان البشرية تنافى الرؤية وموسى عليه السلام انما سأل الرؤية بالنسبة الى ظاهر البشرية والوجود الكونى وهى لا تمكن ابدا بل لو تعلقت الرؤية بذات الله تعالى لتعلقت حالة الفناء فى الله واضمحلال حال البشرية فقلت يرد عليه ما وقع ليلة المعراج من الرؤية بعين الرأس فقال انه حبيب الله رأى ربه فى تلك الليلة بالسر والروح فى صورة الجسم ولا جسم هناك لانه تجاوز فى سيره عن عالم الأجسام كلها بل عن عالم الأرواح حتى وصل الى عالم الأمر فقلت يرد عليه ان الأنبياء والأولياء مشتركون فى الرؤية بالبصيرة حالة الفناء الكلى فلا فرق بين موسى ومحمد عليهما السلام فأى فائدة فى قوله لن تراني وايضا فى عروجه عليه السلام الى ما فوق العرش فان تلك الرؤية انما تحصل فى مقام العينية الجمعية
القلبية لا فى مقام الغيرية الفرقية القالبية فقال ان امر الرؤية وان كان محتاجا الى الانسلاخ التام عن الأكوان مطلقا الا ان الانسلاخ بالقلب والقالب مختص بنبينا عليه السلام فان موسى وكذا غيره من الأنبياء عليهم السلام انما يرون بالانسلاخ حين كون قوالبهم فى عالم العناصر. واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد تجاوز عن عالم العناصر ثم عن عالم الطبيعة وذلك بالقلب والقالب جميعا فأنى يكون هذا لغيره فافهم جدا انتهى ما جرى بيني وبين حضرة الشيخ من السؤال والجواب وما تحاورناه فى المجلس الخاص المفتوح بابه للاحباب لا للاغيار واهل الإنكار **والارتياب** وقد كان ذلك كالقطرة من البحر الزاخر بالنسبة الى ما يحويه قلبه الحاضر قدس الله." (١)

"روزى ميدهد] من السماء [از آسمانكه باران مى باراند] والأرض [واز زمين كه كياه مى روياند] أمن أم منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية وتقدر هنابيل وحده دون الهمزة بعدها كما فى سائر المواضع لانها وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فلا حاجة الى الهمزة وبل إضراب انتقال من الاستفهام الاول الى استفهام آخر لا إضراب ابطال إذ ليس فى القرآن ذلك. والمعنى بالفارسية [آيا كيست كه] يملك السمع والأبصار اى يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما. وكان على رضى الله عنه يقول سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما كانت حاجة الإنسان الى السمع والبصر اكثر من حاجته الى الكلام خلق الله له أذنين وعينين ولسانا واحدا ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اى من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان وكذا من يخرج الطائر من البيضة ويخرج البيضة من الطائر ومن يدبر الأمر اى امر جميع العالم علويا كان او سفليا روحانيا او جسمانيا فسيقولون بلا تأخير الله يفعل ما ذكر من الأفاعيل لا غيره إذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه فقل عند ذلك تبكيتا لهم أفلا تتقون اى أتعلمون ذلك فلا تتقون عقابه باشراككم به الأصنام فذلكم الله الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق اى الثابت ربوبيته لا ما أشركتم معه. فقوله فذلكم مبتدأ والجلالة صفته وربكم الحق خبره ويجوز ان يكون الجلالة خبره وربكم بدل منه والاشارة محمولة على التجوز لاستحالة تعلق الاحساس به تعالى فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون موصولا بمعنى الذي اى ما الذي

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣/٢٣٢

بعد الحق اى غيره بطريق الاستعارة اى ليس غير التوحيد وعبادة الله تعالى إلا الضلال الذي لا يختاره أحد وهو عبادة الأصنام وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الخوارج باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى فأنى تصرفون استفهام إنكاري بمعنى انكار الوقوع واستبعاده والتعجب اى كيف تصرفون من التوحيد وعبادة الله الى الإشراك وعبادة الأصنام الذي هو ضلال عن الطريق الواضح: قال السعدي قدس سره

ترسم نرسى بكعبه اى أعرابي ... كين ره كه تو ميروى بتركستانست

فقد نبه الله على ضلالهم على لسان رسوله عليه السلام وهو الهادي الى طريق الحق والصواب والفارق بين اهل التصديق **والارتياب**: قال الصائب

اقف نميشوند كه كم كرده اند راه ... تا رهروان برهنمايي نمى رسند

كذلك الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق فى قوله ربكم الحق اى كما حقت الربوبية لله تعالى حقت كلمة ربك حكمه وقضاؤه. يعنى [واجب شد عذاب الهى] على الذين فسقوا اى تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح أنهم تعليل لحقية تلك الكلمة والأصل لانهم لا يؤمنون." (١)

"بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان الحكم حكم الله حقيقة وذكر الله لتفخيمه عليه السلام والإيذان بجلالة محله عنده تعالى والحكم بالشيء ان تقضى بانه كذا وليس بكذا سواء ألزمت بذلك غيرك او لم تلزمه إذا فريق منهم معرضون اى فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم ولا يقبل الرشوة وهو شرح للتولى ومبالغة فيه واعرض اظهر عرضه اى ناحيته وإن يكن لهم الحق اى الحكم لا عليهم يأتوا إليه الى صلة يأتوا فان الإتيان والمجيء يعديان بالى مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم أفي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشأه اى أذلك الاعراض لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم لانهم ارتابوا اى شكوا فى امر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيقتها أم لانهم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله فى الحكومة. والحيف الجور والظلم الميل فى الحكم الى أحد الجانبين يقال حاف فى قضيته اى جار فيما حكم ثم اضرب عن الكل وأبطل منشئيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل أولئك هم الظالمون اى ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا اليه مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم **وارتيابهم** حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم أمانته عليه السلام وثباته على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام لعلهم بانه يقضى عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من الاضراب فى الأولين هو وصف منشئيتهما فى الاعراض فقط مع تحققهما فى نفسهما وفى الثالث هو الوصف مع عدم تحققه فى نفسه وفى الرابع هو الأصل والوصف جميعا إنما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما فى حيزها اسمها إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم اى الرسول بينهم وبين خصومهم سواء كانوا منهم او من غيرهم أن يقولوا سمعنا الدعاء وأطعنا بالاجابة والقبول والطاعة موافقة الأمر طوعا وهى تجوز لله ولغيره كما فى فتح

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٣

الرحمن [بهر چه‌كنى در ميان حكمى] وأولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور قال فى المفردات الفلاح الظفر وادراك البغية ومن [وهر كه] يطع الله ورسوله اى من يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ان يكون مأخوذا بها ويتقه فيما بقي من عمره وأصله يتقيه فحذف الياء للجزم فصار يتقه بكسر القاف والهاء ثم سكن القاف تخفيفا على خلاف القياس لان ما هو على صيغة فعل انما يسكن عينه إذا كانت كلمة واحدة نحو كتف فى كتف ثم اجرى ما أشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل فان تقه فى قولنا يتقه بمنزلة كتف فسكن وسطه كما سكن وسط كتف فأولئك الموصوفون بالطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم. والفوز الظفر مع حصول السلامة كما فى المفردات." (١)

"يتوهم بالشيء امرا ينكشف عما يتوهمه ولهذا قال تعالى (لا ريب فيه) والارابة ان يتوهم فيه امرا فلا ينكشف عما يتوهمه **والارتياب** يجرى مجرى الارابة ونفى عن المؤمنين **الارتياب** كما قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والمبطل من يأتى بالباطل وهو نقيض المحق وهو من يأتى بالحق لما ان الباطل نقيض الحق قال فى المفردات الابطال يقال فى إفساد الشيء وإزالته حقا كان ذلك الشيء او باطلا قال تعالى (ليحق الحق ويبطل الباطل) وقد يقال فيمن يقول شيأ لا حقيقة له. والمعنى لارتابوا وقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شأنك منشأ ريب أصلا قال الكاشفى [در شك افتادندى تباه كاران وكچروان يعنى مشركان عرب كفتندى كه چون مى خواند ومى نويسد پس قرآنرا از كتب پيشينيان التقاط كرده وبر ما مى خواند يا جهودان در شك افتادند كه در كتب خود خوانده ايم كه پيغمبر آخر زمان أمي باشد واين كس قارى وكاتب است] فان قلت لم سماهم المبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده فى كتبنا لكانوا محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق فى قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب قلت لانهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب فكأنه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا أشد الريب فحيث انه ليس بقارئ ولا كاتب فلا وجه **لارتيابهم** قال فى الاسئلة المقحمة كيف من الله على نبيه بانه أمي ولا يعرف الخط والكتابة وهما من قبيل الكمال لا من قبيل النقص والجواب انما وصفه بعدم الخط والكتابة لان اهل الكتاب كانوا يجدون من نعته فى التوراة والإنجيل انه أمي لا يقرأ ولا يكتب فاراد تحقيق ما وعدهم به على نعته إياه ولان الكتابة من قبيل الصناعات فلا توصف بالمدح ولا بالذم ولان المقصود من الكتابة والخط هو الاحتراز عن الغفلة والنسيان وقد خصه الله تعالى بما فيه غنية عن ذلك كالعين بها غنية عن العصا والقائد انتهى وقال فى اسئلة الحكم كان عليه السلام يعلم الخطوط ويخبر عنها فلماذا لم يكتب والجواب انه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الأولين وقال النيسابورى انما لم يكتب لانه إذا كتب وعقد الخنصر يقع ظل قلمه وإصبعه على اسم الله تعالى وذكره فلما كان ذلك قال الله تعالى لا جرم يا حبيبي لما لم ترد ان يكون قلمك فوق اسمى ولم ترد ان يكون ظل القلم على اسمى أمرت الناس ان لا يرفعوا أصواتهم فوق صوتك تشريفا لك وتعظيما ولا ادع بسبب ذلك ظلك يقع على الأرض صيانة له ان يوطأ ظله بالاقدام قيل انه نور محض وليس للنور ظل وفيه اشارة الى انه أفنى الوجود الكونى الظلي وهو نور متجسد فى صورة البشر وكذلك الملك إذا تجسد بصورة البشر لا يكون له ظل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٦/١٧٠

وبذلك علم بعض العارفين تجسد الأرواح القدسية وإذا تجسدت الأرواح الخبيثة وقعت كثافة ظلها وظلمته على الأرض اكثر من سائر الاظلال الكونية فليحفظ ذلك قال الكاشفى [در تيسير آورده كه خط

وقرائت فضيلت بوده است مر غير پيغمبر ما را وعدم آن فضل معجزه آن حضرت بوده و چون معجزه ظاهر شده ودر أميت او شك وشبه نماند حق سبحانه در آخر عمر اين فضيلت نيز بوى ارزانى داشته تا معجزه ديكر باشد وابن ابى شيبه در مصنف خود از طريق عون بن عبد الله نقل ميكند كه «مامات رسول الله حتى كتب وقرأ» واين صورت منافئ قرآن نيست زيرا كه در آيت نفى كتابت مقرر ساخته بزمانى قبل از نزول قرآن ومذهب آنانكه ويرا أمي دانند از أول عمر تا آخر بصواب اقربست." (١)

"الذنب ولكن بانى قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب. والغيلة بالكسر هو ان يخدع شخصا فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله وآتيناه الحكمة اى العلم بالأشياء على ماهى عليه والعمل بمقتضاه ان كان متعلقا بكيفية العمل واعلم ان الحكمة نوعان. أحدهما الحكمة المنطوق بها وهى علم الشريعة والطريقة. والثاني الحكمة المسكوت عنها وهى اسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها عوام العلماء على ما ينبغى فيضرهم او يهلكهم كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجتاز فى بعض سكك المدينة مع أصحابه فاقسمت عليه امرأة ان يدخلوا منزلها فدخلوا فرأوا نارا موقدة وأولاد المرأة يلعبون حولها فقالت يا نبى الله ارحم بعباده أم انا با ولادى فقال عليه السلام (بل الله ارحم فانه ارحم الراحمين) فقالت يا رسول الله أتراني أحب ان القى ولدي فى النار فقال (لا) فقالت فكيف يلقى الله عبيده فيها وهو ارحم بهم قال الراوي فبكى رسول الله عليه السلام فقال (هكذا اوحى الى) وفصل الخطاب لبيان تلك الحكمة على الوجه المفهم كما فى شرح الفصوص للمولى الجامى رحمه الله فيكون بمعنى الخطاب الفاصل اى المميز والمبين او الخطاب المفصول اى الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب

على المرام من غير التباس وفى شرح الجندي يعنى الإفصاح بحقيقة الأمر وقطع القضايا والاحكام باليقين من غير **ارتياب** ولا شك ولا توقف فيكون بمعنى فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل فالفصل على حقيقته وأريد بالخطاب المخاصمة لاشتمالها عليه وفى التأويلات النجمية (وشددنا ملكه) فى الظاهر بان جعلناه أشد ملوك الأرض (و) فى الباطن بان (آتيناه الحكمة وفصل الخطاب) والحكمة هى انواع المعارف من المواهب وفصل الخطاب بيان تلك المعارف با دل دليل واتل قليل انتهى وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له من الحمد والصلاة وقال زياد أول من قال فى كلامه اما بعد داود عليه السلام فهو فصل الخطاب ورد بانه لم يثبت عنه انه تكلم بغير لغته واما بعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه داود هو فصل الخصومة كما فى انسان العيون اللهم الا ان يقال ان صح هذا القول لم يكن ذلك بالعربية على هذا النظم وانما كان بلسانه عليه السلام وقال على رضى الله عنه فصل الخطاب ان يطلب البينة من المدعى ويكلف اليمين من أنكر لان كلام الخصوم لا ينقطع ولا ينفصل الا بهذا الحكم قالوا كان قبل ذلك قد علق الله سلسلة من السماء وامره بان يقضى بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة وتصل يده إليها ومن كان ظالما لا يقدر على أخذ السلسلة

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٨٠/٦

فاتفق ان رجلا غصب من رجل آخر لؤلؤا فجعل اللؤلؤ فى جوف عصاه ثم خاصم المدعى الى داود عليه السلام فقال ان هذا قد أخذ لؤلؤا وانى صادق فى مقالتى فجاء وأخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه خذ منى العصا فاخذ عصاه فقال انى دفعت اللؤلؤ اليه وانى صادق فى مقالتى فجاء وأخذ السلسلة فتحير داود فى ذلك ورفعت السلسلة وامر عليه السلام بان يقضى بالبينات والايمان فذلك قوله (وآتيناه الحكمة) يعنى العلم والفهم وفصل الخطاب يعنى القضاء بالبينات والايمان على الطالبين والمدعى عليهم كذا فى تفسير الامام ابى الليث رحمه الله وكان." (١)

"مى نهد خداى تعالى واز هدى محجوب ميكند على كل قلب متكبر جبار بر هر دل شخص متكبر كه سركش انداز فرمان بردارى خودكامه كه خود را از ديكران برتر دانند فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف **والارتياب** والمجالة بالباطل قال الراغب الجبار فى صفة الإنسان يقال لمن جبر نقيصته اى أصلحها بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها وهذا لا يقال الأعلى طريقة الذم ويسمى السلطان جبار القهره الناس على ما يريده او لاصلاح أمورهم فاجبر تارة يقال فى الإصلاح المجرد وتارة فى القهر المجرد وقال ابو الليث على قلب كل متكبر جبار ومثله فى كشف الاسرار حيث قال بالفارسية بر دل هر كردن كشى. فقوله قلب بغير تنوين بإضافته الى متكبر لأن المتكبر هو الإنسان وقرأ بعضهم بالتنوين بنسبة الكبر الى القلب على أن المراد صاحبه لأنه متى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس والخبر زنى العينين النظر يعنى زنى صاحبهما قال فى الكواشي وكل على القراءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب.

يقول الفقير اعلم أن الطابع هو الله تعالى والمطبوع هو القلب وسبب الطبع هو التكبر والجبارية وحكمه ان لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال فلا يدخل فيه ما فى الخارج من الايمان والإخلاص والسداد والهدى وهو أعظم عقوبة من الله عليه فعلى العاقل ان يتشبث بالأسباب المؤدية الى شرح الصدر لا الى طبع القلب قال ابراهيم الخواص قدس سره دوآء القلب خمسة قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع الى الله عند السحر ومجالسة الصالحين وقال الحسن البصري حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور وهو بالفارسية ژنك افكندن كارد وشمشير والمحادثة بزدودن. وهذا بالنسبة الى القلب القابل للمحادثة إذ رب قلب لا يقبل ذلك

آهنى را كه موريانه بخورد ... نتوان برد ازو بصيقل ژنك

با سيه دل چه سود كفتن وعظ ... نرود ميخ آهنين در سنك

وفى الحديث انى ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة وقد تكلموا فى تأويله عن الجنيد البغدادي قدس سره ان العبد قد ينتقل من حال الى ارفع منها وقد يبقى من الاولى بقية يشرف عليها من الثانية فيصححها ويقال بين العبد والحق ألف مقام او مائة من نور وظلمة فعلى هذا كان عليه السلام كلما جاز عن مقام استغفر فهو يقطع جميع الحجب كل يوم وذلك يدل على نهاية بلوغه الى حد الكمال وجلالة قدره عند الملك المتعال. يقول الفقير لعل الغين اشارة الى لباس البشرية والماهية الامكانية الساتر للقلب عن شهود حضرة الاحدية ولما كان عليه السلام بحيث يحصل له الانكشاف العظيم كل يوم من مائة مرتبة وهى مراتب الأسماء الحسنى باحديتها لم يكن على قلبه اللطيف غين أصلا وأشار بالاستغفار

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٥/٨

الى مرتبة التبديل اى تبديل الغين بالمعجمة عينا بالمهملة والعلم شهودا فصار المقام بحيث كان له غين فازا له بالاستغفار إرشادا للامة والا فلا غين فى هذا المقام والاستغفار وان وهمه العامي قليل الاستبصار وفى الآية ذم للمتكبر والجبار وقال عليه السلام يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة فى صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله وذلك لان الصورة المناسبة لحال المتكبر الجبار صورة الذر كما لا يخفى على اهل القلب." (١)

"على المصدرية وقرءانا عربيا مفعول لأوحينا اى ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك ايحاء لا ليس فيه عليك وعلى قومك (وقال الكاشفى) وهمچنانكه وحي كرديم بهر پيغمبر بزبان قوم او ووحي كرديم بتو قرآنى بلغت عرب كه قوم تواند تا كه فهم حاصل شود لتنذر أم القرى اى لتخوف اهل مكة بعذاب الله على تقدير إصرارهم على الكفر والعرب تسمى اصل كل شيء بالأم وسميت مكة أم القرى تشريفا لها وإجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام إبراهيم ولما روى من أن الأرض دحيت من تحتها فمحل القرى منها محل البنات من الأمهات ومن حولها من العرب وهذا اى التبيين بالعرب لا ينافى عموم رسالته لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافى حكم ما عداه وقيل من اهل الأرض كلها وبذلك فسره البغوي فقال قرى الأرض كلها وكذا القشيري حيث قال العالم محدق بالكعبة ومكة لأنهما سرة الأرض پس همه اهالى بلاد بر حوالى ويند قال فى التأويلات النجمية يشير الى إنذار نفسه الشريفة لانها أم قرى نفوس آدم وأولاده لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي تعلقت القدرة بايجاده قبل كل شيء كما قال أول ما خلق الله روحى ومنه تنشأ الأرواح والنفوس ولهذا المعنى قال آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة فالمعنى كما يوحى إليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم لينذروا الأمم كذلك أوحينا قرءانا عربيا لتنذر نفسك الشريفة بالقرءان العربي لأن نفسك عربية ومن حولها من نفوس اهل العالم لأنها محدقة بنفسك الشريفة ولذلك قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال عليه السلام بعثت الى الخلق كافة

مه طلعتى كه بر قد قدرش بريده اند ... ديباى قم فانذر وإستبرق دنا

وتنذر اهل مكة ومن حولها يوم الجمع اى بيوم القيامة وما فيه من العذاب لأنه يجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين واهل السموات واهل الأرض والأرواح والأشباح والأعمال والعمال فالباء محذوف من اليوم كما قال لتنذر بأسا شديدا اى ببأس شديد كما قاله ابو الليث فيكون مفعولا به لا ظرفا كما فى كشف الاسرار وقد سبق غير ذلك فى حم المؤمن عند قوله تعالى لتنذر يوم التلاق لا ريب فيه اعتراض لا محل له اى لا بد من مجيء ذلك اليوم وليس بمرتاب فيه فى نفسه وذاته لانه لا بد من جزاء العاملين من المنذرين والمنذرين واهل الجنة واهل النار **وارتياب** الكفار فيه لا يعتد به او لا شك فى الجمع انه كائن ولا بد من تحققه فريق وهم المؤمنون في الجنة وفريق وهم الكافرون في السعير اى النار سميت بها لالتها بها وذلك بعد جمعهم فى الموقف لأنهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق على أن فريق مبتدأ حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأمرين تقديم خبرها وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله فى الجنة والضمير المجرور فى منهم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٨٢/٨

للمجموعين لدلالة لفظ الجمع عليه فان المعنى يوم يجمع الخلائق فى موقف الحساب وفى التأويلات النجمية وتنذر يوم الجمع بين الأرواح والأجساد لا شك فى كونه وكما أنهم اليوم فريقان فريق فى جنة القلوب وراحات." (١)

"فليقلد ربه فيما اخبر ولا يؤول فانه اولى من تقليد العقل إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق معه من ارتاب مطاوع را به إذا أوقعه في الشك في الخبر مع التهمة للمخبر فظهر الفرق بين الريب والشك فان الشك تردد بين نقبضين لا تهمة فيه وفيه اشارة الى أن فيهم ما يوجب نفى الايمان عنهم وهو **الارتياب** وثم للاشعار بأن اشتراط عدم **الارتياب** فى اعتبار الايمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله فى طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة هم الصادقون اى الذين صدقوا في دعوى الايمان لا غيرهم فهو قصر افراد وتكذيب لأعراب بنى اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا أنهم صادقون ايضا في دعوى الايمان واعلم ان الآية الكريمة شاملة لمجامع القوى التي وجب على كل أحد تهذيبها وإصلاحها تطهيرا لنفسه الحاصل به الفوز بالفلاح والسعادة كلها كما قال تعالى قد أفلح من زكاها وهى قوة التفكر وقوة الشهوة وقوة الغضب اللاتي إذا أصلحت ثلاثتهما وضبطت حصل العدل الذي قامت به السموات والأرض فانها جميع مكارم الشريعة وتزكية النفس وحسن الخلق المحمود ولاصالة الاولى وجلالتها قدمت على الأخيرتين فدل بالايمان بالله ورسوله مع نفى **الارتياب** على العلم اليقيني والحكمة الحقيقية التي لا يتصور حصولها الا بإصلاح قوة التفكر ودل بالمجاهدة بالأموال على العفة والجود التابعين بالضرورة لاصلاح قوة الشهوة وبالمجاهدة بالأنفس على الشجاعة والحلم التابعين لاصلاح قوة الحمية الغضبية وقهرها وإسلامها للدين وعليه دل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فان العفو عمن ظلم هو كمال الحلم والشجاعة وإعطاء من حرم كمال العفة والجود ووصل من قطع كمال الفضل والإحسان واعلم ايضا ان جميع كمالات النفس الانسانية محصورة في القوى الثلاث وفضائلها الأربع إذ العقل كماله العلم والعفة كمالها الورع والشجاعة كمالها المجاهدة والعدل كماله الانصاف وهى اصول الدين على التحقيق وفي الآية رد للدعوى وحث على الاتصاف بالصدق قال بعضهم لولا الدعاوى ما خلقت المهاوى فمن ادعى فقد هوى فيها وان كان صادقا ألا تراه يطالب بالبرهان ولو لم يدع ما طولب بدليل (قال الحافظ)

حديث مدعيان وخيال همكاران ... همان حكايت زردوز و بوريا بافست

وفي الحديث يا أبا بكر عليك بصدق الحديث والوفاء بالعهد وحفظ الامانة فانها وصية الأنبياء (قال الحافظ)

طريق صدق بياموز از آب صافى دل ... براستى طلب آزادگى چوسرو چمن

وأتى رسول الله التجار فقال يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجارا الا من صدق ووصل وأدى الامانة وفي

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢٨٩/٨

الحديث التجار هم الفجار قيل ولم يا رسول الله وقد أحل الله البيع فقال لانهم يحلفون فيأثمون ويتحدثون فيكذبون (قال الصائب)." (١)

"الشهود الاسمائى والصفاتى فله السلامة من اسمه السلام على لسان إخوانه الاسمائية نسأل الله لى ولكم السلامة والنجاة والانس والحضور والشهود في أعلى المقامات والدرجات وأما إن كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون ذمالهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب وهو تكذيب البعث ونحوه والضلال عن الحق والهدى فنزل اى فله نزل كائن من حميم يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل وبالفارسية پس مر او راست پيشكش در قبر از آب كرم كرده در دوزخ با دود آتش دوزخ وتصلية جحيم اى إدخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها يقال أصلاه النار وصلاه اى جعله يصلاها والمصدر هنا مضاف الى المفعول إن هذا اى الذي ذكر في هذه السورة الكريمة لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فهو من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة على الاتساع والمجاز وقيل الحق الثابت من اليقين اى الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه التبدل والتغير وقال ابو الليث اى يقين حق اليقين انتهى واليقين علم يحصل به ثلج الصدور ويسمى برد اليقين فهو العلم الذي يحصل به اطمئنان النفس ويزول ارتيابها واضطرابها والمراد هنا المعلوم المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم فيجب أن يكون الخبر ايضا كذلك التقدير ان هذا لهو ثابت الخبر المتيقن به اى الثابت منه على ان الاضافة بمعنى من وفي فتح الرحمن هذه عبارة فيها مبالغة لانها بمعنى واحد كما تقول في امر توكده هذا يقين اليقين وصواب الصواب بمعنى انه نهاية الصواب فهى عبارة مبالغة وتأكيد معناه ان هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته انتهى قال ابن الملك اضافة العلم الى اليقين اضافة الشيء الى مرادفه كما فعلوا مثل ذلك في العطف وفي شرح النصوص بالنون العلم اليقيني هو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالكفر الصائب والاستدلال وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية الا بمناسبة الأرواح القدسية فاذا يكون العلم عينا ولا مرتبة للعين الا اليقين الحاصل من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة الا بزوال حجاب الا ثنينية فاذا يكون العين حقا ولا مرتبة للحق الا الإدراك بأحدية جمعك اى بحقيقتك المشتملة على المدركات الظاهرة والباطنة والجامعة بين روحانيتك وجسمانيتك اى يدركها بها إدراكا يستوعب معرفة كل ما اشتملت عليه حقيقة المدرك من الأمور الظاهرة والباطنة وهو حال الكامل وصفة من صار قلبه مستوى الحق الذي قد وسعه كما أخبره لانه حال جمع الجمع وزيادة هذه المرتبة اى حق اليقين عدم ورود الحجاب بعده وعينه للاولياء وحقه للانبياء واما حقيقة اليقين وهو باطن حق اليقين فهو لنبينا عليه السلام وهذه الدرجات والمراتب لا تحصل الا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الاكل والذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السموات والأرض وبأداء السنن والفرائض وترك ما سوى الحق والغرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال والمراقبة بقلبه الى الله تعالى فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة انتهى." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٩/٩٥

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٩/٣٤٢

"خشبة كأكم واكمة او جمع خشب محركة كأسد واسد وهو ما غلظ من العيدان والاسناد الامالة ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اى كأنها أسندت الى مواضع والمعنى بالفارسية كويا ايشان چوبهاى خشك شده اند بديوار باز نهاده شبهوا فى جلوسهم في مجالس رسول الله مستندين فيها بأخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير والانتفاع ولذا اعتبر في الخشب التسنيد لان الخشب إذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع فكما ان مثل هذا الخشب لا نفع فيه فكذا هم لانفع فيهم وكما ان الروح النامية قد زالت عنهم فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقية والروح الإنساني بمثابتها يقول الفقير فيه اشارة الى ان الاستناد فى مجالس الأكابر او في مجالس العلم من ترك الأدب ولذا منع الامام مالك رحمه الله هرون الرشيد من الاستناد حين سمع منه الموطأ (حكى) ان ابراهيم بن أدهم قدس سره كان يصلى ليلة فأعيي فجلس ومدرجليه فهتف به هاتف أهكذا تجالس الملوك وكان الحريري لا يمد رجليه في الخلوة ويقول حفظ الأدب

مع الله أحق وهذا من أدب من عرف معنى الاسم المهيمن فان من عرف معناه يكون مستحييا من اطلاعه تعالى عليه ورؤيته له وهو المراقبة عند اهل الحقيقة ومعناه علم القلب باطلاع الرب ودلت الآية وكذا قوله عليه السلام انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة على ان العبرة في الكمال والنقصان بالاصغرين اللسان والقلب لا بالاكبرين الرأس والجلد فان الله تعالى لا ينظر الى الصور والأموال بل الى القلوب والأعمال فرب صورة مصغرة عند الله بمثابة الذهب والمؤمن لا يخلو من قلة او علة او ذلة ولا شك ان بالقلة يكثر اللهم الذي يذيب اللحم والشحم وكذا بالعلة يذوب البدن ويطرأ عليه الذبول وفي الحديث مثل المؤمن مثل السنبلة يحركها الريح فتقوم مرة وتقع اخرى ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تنقعر قوله الأرزة بفتح الهمزة وبراء مهملة ساكنة ثم زاى شجر يشبه الصنوبر يكون بالشأم وبلاد الأرمن وقيل هو شجر الصنوبر والانقعار از بن بر كنده شدن يعنى مثل منافق مثل صنوبر است كه بلند واستوار بر زمين تا كه افتادن واز بيخ بر آمدن وفيه اشارة الى ان المؤمن كثير الابتلاء في بدنه وماله غالبا فيكفر عن سيئاته والكافر ليس كذلك فيأتي بسيئاته كاملة يوم القيامة يحسبون يظنون كل صيحة كل صوت ارتفع فان الصيحة رفع الصوت وفي القاموس الصوت بأقصى الطاقة وهو مفعول أول ليحسبون والمفعول الثاني قوله عليهم اى واقعة عليهم ضارة لهم ومراد از صيحه هر فريادى كه بر آيد وهر آوازى كه در مدينه بر كشند وقال بعضهم إذا نادى مناد في العسكر لمصلحة او انفلتت دابة او أنشدت ضالة او وقعت جلبة بين الناس ظنوه إيقاعا بهم لجنبهم واستقرار الرعب في قلوبهم والخائن خائف وقال القاشاني لان الشجاعة انما تكون من اليقين من نور الفطرة وصفاء القلب وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس محتجبون باللذات والشهوات كأهل الشكوك **والارتياب** فلذلك غلب عليهم الجبن والخور انتهى وفي هذا زيادة تحقر لهم وتخفيف لقدرهم." (١)

"فالأولى لمقام الإسلام، وإليه توجه الخطاب بقوله: فاتقوا الله ما استطعتم، والثانية لمقام الإيمان، وإليه توجه الخطاب بقوله: فاتقوا الله يا أولي الألباب، والثالثة لمقام الإحسان، وإليه توجه الخطاب بقوله: اتقوا الله حق تقاته.

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥٣٣/٩

يقول الحق جل جلاله: ذلك الكتاب الذي لا يقرب ساحته شك ولا **ارتياب**، هو عين الهداية لأهل التقى من ذوي الألباب، فلا يزالون يترقون به في المقامات والأحوال حتى يسمعوه من الكبير المتعال، بلا واسطة تبليغ ولا إرسال، قد انمحت في حقهم الرسوم والأشكال، وهذه غاية الهداية، وتحقيق سابق العناية.

قال جعفر الصادق: (والله لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يشعرون) وقال أيضا- وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه، فلما سري عنه، قيل له في ذلك فقال-: (ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته) .

فدرجات القراءة ثلاث:

أدناها: أن يقرأ العبد كأنه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه، وهو ناظر له ومستمع منه، فيكون حاله السؤال والتملق والتضرع والابتهال.

والثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يخاطبه بألفاظه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم، والإصغاء والفهم.

والثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته، بل يكون فانيا عن نفسه، غائبا في شهود ربه، لم يبق له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار.

فالأولى لأهل الفناء في الأفعال، والثانية لأهل الفناء في الصفات، والثالثة لأهل الفناء في شهود الذات، رضى الله عنهم، وحشرنا على منهاجهم.. آمين.

ثم وصف المتقين، الذين خصوا بهداية كتابه المبين، بثلاثة أوصاف، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٣]

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣)

قلت: هذه الأوصاف تتضمن ثلاثة أعمال: الأول: عمل قلبي وهو الإيمان، والثاني: عمل بدني، وهو الصلاة، والثالث: عمل مالي، وهو الإنفاق في سبيل الله، وهذه الأعمال هي أساس التقوى التي تدور عليها.." (١)

"بكم عن النطق به عمي عن رؤية نوره، فهم لا يرجعون عن غيهم، ولا يقصرون عن ضلالتهم.

الإشارة: مثل من كان في ظلمات الحجاب قد أحاطت به الشكوك **والارتياب**، وهو يطلب من يأخذ بيده ويهديه إلى طريق رشده، فلما ظهرت أنوار العارفين، وأحدقت به أسرار المقربين، حتى أشرقت من نورهم أقطار البلاد، وحيي بهم جل العباد، أنكرهم وبعد منهم، فتصامم عن سماع وعظهم، وتباكم عن تصديقهم، وعمي عن شهود خصوصيتهم، فلا رجوع له عن حظوظه وهواه، ولا انزجار له عن العكوف على متابعة دنياه، مثله كمن كان في ظلمات الليل ضالا عن الطريق، فاستوقد نارا لتظهر له الطريق، فلما اشتعلت وأضاءت ما حوله أذهب الله نورها، وبقي جمرها وحرها، وهذه سنة ماضية:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٧٣/١

لا ينتفع بالولي إلا من كان بعيدا منه. وفي الحديث: «أزهد الناس في العالم جيرانه» ، وقد مثلوا الولي بالنهر الجاري كلما بعد جريه عم الانتفاع به، ومثلوه أيضا بالنخلة لا تظل إلا عن بعد. والله تعالى أعلم.
ثم ضرب لهم مثلا آخر، فقال:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٩ الى ٢٠]
أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين (١٩) يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير (٢٠)
قلت: (أو) للتنويع، أو بمعنى الواو، و (الصيب) : المطر، فيعل، من صاب المطر إذا نزل، وهو على حذف مضاف، أي: أو كذي صيب، وأصله: صيوب، كسيد، قلبت الواو ياء وأدغمت، ولا يوجد هذا إلا في المعتل كميت وهين وضيق وطيب.
و (الرعد) : الصوت الذي يخرج من السحاب، و (البرق) : النور الذي يخرج منه. قال ابن عزيز: روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله عز وجل ينشئ السحاب فتنطق أحسن النطق، وتضحك أحسن الضحك، فنطقها الرعد، وضحكها البرق» . وقال ابن عباس: (الرعد ملك يسوق السحاب، والبرق سوط من نور يزجر به السحاب) . هـ.
والصواعق: قطعة من نار تسقط من المخراق الذي بيد سائق السحاب، وقيل: تسقط من نار بين السماء والأرض، والله تعالى أعلم.." (١)

"وينخرط في سلك أهل الشهود والنظرة، فيكون من المحسنين المقربين، فلا جرم أن الله يزيده ترقيا في العلوم والأسرار، في هذه الدار، وفي تلك الدار، بخلاف من خالف ما أمر به من سلوك طريق السفليات، وتعاطي الأمور العلويات، قبل كمال التربية فإنه يرجع إلى غم الحجاب، وسوء الحساب بسبب خروجه عن طريق الأحباب، وسلوكه طريق أهل الغفلة **والارتياب**. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.
ثم ذكرهم بنعمة الماء الذي سقاهم في التيه، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٦٠]
وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠)
قلت: استسقى: طلب السقي، و «ال» في الحجر للعهد، وهو الحجر الذي فر بثوبه، أو حجر خفيف مربع مثل رأس الرجل، أمر أن يحمله معه، فكان يضعه في مخلاته، فإذا احتاج الماء ضربه، قيل: كان من رخام، وقيل: كان كذان «١» ، كان فيه اثنتا عشرة حفرة، تنبع من كل حفرة عين ماء عذب، على عدد الأسباط، فإذا أراد حمله ضربه فجف الماء منه،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٤/١

وقيل: للجنس، فكان يضرب أي حجر وجد، فتنفجر منه عيونا، ثم تسير كل عين في جدول إلى سبط، فقالوا: إن أفضينا إلى أرض لا حجارة فيها عطشنا، فأوحى إليه: أن كلمه يطعك لعلهم يعتبرون.

وفانفجرت: معطوف على محذوف أي: فضرب فانفجرت، والعثو: أشد الفساد، عثا يعثو عثوا، وعثى يعثي عثيا، وعاث يعيث عيثا، ومفسدين: حال مؤكدة لعاملها، أو مقيدة، إن قلنا: إن العثو أعم من الفساد، لصدقه على القصاص، فإنه عثو غير فساد. انظر البيضاوي.

يقول الحق جل جلاله: واذكروا يا بني إسرائيل حين عطشتم في التيه، فطلبتم من موسى السقي، فاستسقى لكم، فقلنا له: اضرب بعصاك التي أخذتها من شعيب عليه السلام، وكانت من آس الجنة، وورثت عن آدم عليه السلام، فيها عشرة أذرع، فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا على عدد أسباطكم، فكل عين تجري إلى سبط قد علم كل أناس مشربهم معينا، لا يعدو أحد على أحد، فقلنا لهم: كلوا من المن والسلوى، واشربوا من الماء الذي رزقناكم، ولا تطغوا بالنعم فتفسدوا في الأرض بالمعاصي والذنوب، فيكون ذلك كفرا مستوجبا للسلب بعد العطاء، روي أنهم كانوا ستمائة ألف، وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا. والله تعالى أعلم.

---

(١) الكذان: جمع كذانة، وهي حجارة فيها رخاوة، وربما كانت نخرة. قلت: لا يبنى على تعيين هذا الحجر أمر ديني. والأسلم تفويض علمه إلى الله تعالى.." (١)

"من يشاء من عباده، فباءوا بغضب الحجاب على غضب البعد **والارتياب**، أو بغضب سقم القلوب على غضب الإصرار على المساوئ والعيوب. (من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر) كما قال الشاذلي رضي الله عنه، ولا يصح التغلغل فيه إلا بصحبة أهله. وللكافرين بالخصوصية عذاب الطمع وسجن الأكوان، وهما شجرة الذل والهوان.

وإذا قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله من أسرار الحقيقة وأنوار الطريقة، قالوا: نؤمن بما أنزل علينا من ظواهر الشريعة، ويكفرون بما وراءه من أسرار الحقيقة، ككشف أسرار الذات وأنوار الصفات، وهو- أي: علم الحقيقة- الحق لأنه خالص لب الشريعة، ولله در صاحب المباحث الأصلية حيث قال:

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن ... إلا كجسم فيه روح ساكن؟

وقال أيضا:

ما مثل المعقول والمنقول ... إلا كدر زاخر مجهول

حتى إذا أخرجه الغواص ... لم يك للدر إذن خلاص

وإنما خلاصه في الكشف ... عن الغطاء حيث لا يستخفي

فالصدف الظاهر ثم الدر ... معقوله والجهل ذاك البحر

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١١٢/١

وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: (هل ثم شيء غير ما فهمناه من الكتاب والسنة؟) ، كان يقول ذلك إذا قيل له: إن الشيخ الشاذلي فاض اليوم بعلوم وأسرار، فلما التقى بالشيخ وأخذ بيده، قال: (أي والله.. ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية) . ويقال لمن ادعى التمسك بالشريعة وأنكر ما وراءها: فلم تشتغل بجمع الدنيا واحتكارها وتخاف من الفقر، وتهتم بأمر الرزق وتجزع من المصائب، والشريعة تنادي عليك بذم ذلك كله إن كنت مؤمنا؟!! وبالله التوفيق.

ثم نعى عليهم عبادة العجل بعد ما رأوا من الآيات البينات، إبطالا لدعواهم الإيمان بالتوراة، فقال:

[سورة البقرة (٢) : آية ٩٢]

ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون (٩٢)

قلت: جملة: وأنتم ظالمون حال من (اتخذتم) .." (١)

"يا أهل الكتاب لم تصدون عن طريق الله من آمن بها، وتبع من جاء بها، تبغونها عوجا أي: طالبين لها اعوجاجا، بأن تلبسوا على الناس، وتوهموا أن فيها عوجا عن الحق، بزعمكم أن التوراة لا تنسخ، وبتغيير صفة الرسول- عليه الصلاة والسلام، أو بأن تحرشوا بين المسلمين لتختلف كلمتهم، ويختل أمر دينهم، وأنتم شهداء على أنها حق، وأن الصد عنها ضلال، أو: وأنتم عدول عند أهل ملتكم، يثقون بأقوالكم، ويستشهدونكم في القضايا، وما الله بغافل عما تعملون فلا بد ان يجازيكم على أعمالكم، فإنه يمهل ولا يهمل.

كرر الخطاب والاستفهام مرتين مبالغة في التقريع ونفي العذر، وإشعارا بأن كل واحد من الأمرين مستقبح في نفسه، مستقل باستجلاب العذاب. ولما كان المنكر عليهم في الآية الأولى: كفرهم، وهم يجهرون به، ختم بقوله:

والله شهيد على ما تعملون، ولما كان في هذه الآية: صدهم المؤمنين عن الإسلام، وكانوا يخفونه ويحتالون فيه، قال: وما الله بغافل عما تعملون. قاله البيضاوي.

الإشارة: كل من جحد وجود الخصوصية عند أهلها، وصد القاصدين للدخول فيها، استحق هذا العتاب بلا شك ولا **ارتياب**. والله تعالى أعلم.

ثم حذر المؤمنين من الاستماع لهم، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين (١٠٠) وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم (١٠١) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٣٥/١

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا، الخطاب عام، والمراد: نفر من الأوس والخزرج، إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب، وهو شاس بن قيس اليهودي، كان شيخا كبيرا، وكان عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين، مر بنفر من الأوس والخزرج، جلوسا يتحدثون، وكان بينهما عداوة في الجاهلية، فغاظه تآلفهم واجتماعهم، وقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، فما لنا معهم قرار، فأمر شابا من اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم يوم بعاث- وهو يوم حرب كان بينهم في الجاهلية- وينشدهم بعض ما قيل فيه، وكان الظفر في ذلك اليوم للأوس، ففعل، وتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا، وقالوا: السلاح السلاح، واجتمع من القبيلتين خلق عظيم، فتوجه إليهم رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بينكم؟» فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح، واستغفروا، وعانق بعضهم بعضا، وانصرفوا مع الرسول- صلوات الله عليه وسلامه- فنزلت الآية.." (١)

"قال البيضاوي: في الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن فيه الرجل من إقامة دينه، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «من فر بدينه من أرض، ولو كان شبرا من الأرض، استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد- عليهما الصلاة والسلام» . «١» قلت: ويدخل فيه- على طريق الخصوص- من فر من موضع تكثر فيه الشهوات والعوائد، أو تكثر فيه العلائق والشواغل، إلى موضع يقل فيه ذلك، طلبا لصفاء قلبه ومعرفة ربه، بل هو أولى، ويكون رفيقا لهما في حضرة القدس عند مليك مقتدر. والله تعالى أعلم.

ثم استثنى من تحقق إسلامه وحبسه العذر، فقال: إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان أي:

المماليك والصبيان، وفيه إشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة، فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة، فلا محيص عنها، وأن قومهم يجب أن يهاجروا بهم متى أمكنت الهجرة. قال ابن عباس- رضى الله عنهما-: «كنت أنا وأبى وأمي ممن استثنى الله بهذه الآية» .

ثم وصفهم بقوله: لا يستطيعون حيلة أي: قوة على ما يتوقف عليه السفر، من ركوب أو غيره، ولا يهتدون سبيلا أي: لا يعرفون طريقا، ولا يجدون دليلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم. وعبر بحرف الرجاء إيذانا بأن ترك الهجرة أمر خطير، حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن، ويترصد الفرصة، ويعلق بها قلبه، وكان الله غفورا رحيما فيعفو ويغفر لمن غلبه العذر. وبالله التوفيق.

الإشارة: كل من لم يتغلغل في علم الباطن، مات ظالما لنفسه، أي: باخسا لها لما فوتها من لذيذ الشهود، ومعرفة الملك المعبود، ولا يخلو باطنه من الإصرار على أمراض القلوب، التي هي من أكبر الذنوب، فإذا توفته الملائكة على هذه الحالة، قالت له: فيم كنت حتى لم تهاجر إلى من يطهرك من العيوب، ويوصلك إلى حضرة علام الغيوب؟ فيقول: كنت من المستضعفين في علم اليقين، ولم أقدر على صحبة أهل عين اليقين وحق اليقين حبسني عنهم حب الأوطان، ومرافقة النساء والولدان. فيقال له: ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجر فيها إلى من يخلصك من الحجاب، وينفي عنك الشك **والارتياب؟**

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٦/١

فلا جرم أن مأواه سجن الأكوان، وحرمان الشهود والعيان، إلا من أقر بوجود ضعفه، واضطر إلى مولاه في تخليصه من نفسه، فعسى ربه أن يعطف عليه، فيوصله إلى عارف من أوليائه، حتى يلتحق بأحبابه وأصفيائه. وما ذلك على الله بعزيز.
ثم رغب فى الهجرة، فقال:

[سورة النساء (٤) : آية ١٠٠]
ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما (١٠٠)

---

(١) أخرجه الثعلبي فى التفسير من حديث الحسن مرسلا. انظر الفتح السماوي ٢/ ٥١٥.." [١]

"لاثنان، أو (آخران) : عطف على (اثنان) ، (إن أنتم) : شرط حذف جوابه، دل عليه ما تقدم، أي: إن سافرتم، فأصابتكم مصيبة الموت في السفر، فشهادة بينكم اثنان.
و (تحبسونهما) : قال أبو علي الفارسي: هو صفة لآخران، واعترض بين الصفة والموصوف قوله: (إن أنتم) إلى قوله: (الموت) ، ليفيدا العد، لأن (آخران) من غير الملة، إنما يجوز لضرورة الضرب في الأرض وحلول الموت في السفر. وقال الزمخشري: هو استئناف كلام، (إن ارتبتم) : شرطية، وجوابها محذوف، دل عليه (يقسمان) ، و (لا نشتري) هو المقسم عليه، وجملة الشرط معترضة بين القسم والمقسم عليه، والتقدير: إن ارتبتم في صدقهما فأقسما بالله لا نشتري به، أي: بالقسم، ثمنا قليلا من الدنيا، و (الأوليان) : خبر، فيمن قرأ بالبناء للمفعول، أو فاعل، فيمن قرأ بالبناء للفاعل، ومن قرأ (الأولين) - تثنية أول- فبدل من الذين، أو صفة له. قال مكي: (هذه الآية أشكل آية في القرآن إعرابا ومعنى) .
وسبب نزولها: أن تميما الداري وعدي بن بداء- وكانا أخوين-، خرجا إلى الشام للتجارة- وهما حينئذ نصرانيان- ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلما، فلما قدما الشام مرض بديل، فدون ما معه في صحيفة، وطرحها في متاعه، وشد عليها، ولم يخبرهما بها، وأوصى إليهما بان يدفعا متاعه إلى أهله، ومات، ففتشاه، وأخذا منه إناء من فضة، قيمته: ثلاثمائة مثقال، منقوشا بالذهب، فجنباه ودفعا المتاع إلى أهله، فأصابوا الصحيفة، فطالبوهما بالإناء، فجحدا، فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت: يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إلى قوله: لمن الآثمين فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد صلاة العصر، عند المنبر، وخلا سبيلهما، ثم عثر بعد مدة على الإناء بمكة، فقيل لمن وجد عنده: من أين لك هذا؟ قال: اشتريته من تميم الداري وعدي بن بداء، فرفع بنو سهم الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما، فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان، فحلفا واستحقا الإناء «١» .
ومعنى الآية: يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا، مما نأمركم به: أن تقع شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت، وأراد

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/٥٥٠

الوصية فيحضر عدلان منكم، فإن كنتم في سفر وتعذر العدلان منكم، فليشهد آخران من غيركم ممن ليس على دينكم، ثم إن وقع ارتياب في شهادتهما، تحبسونهما بعد صلاة العصر فيقسمان بالله ما كتمنا، ولا خنا، ولا نشتري بالقسم أو بالله عرضا قليلا من الدنيا، ولو كان المحلوف له قريبا منا، ولا نكتم شهادة الله إنا إذا، إن كتمنا، لمن الآثمين.

---

(١) أخرجه الترمذي فى: (التفسير، سورة المائدة) عن ابن عباس عن تميم الداري، وقال الترمذي: ليس إسناده بصحيحه. وأخرجه مختصرا البخاري فى (الوصايا، باب قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم) عن ابن عباس قال: خرج رجل من بنى سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء. وذكره مختصرا.." (١)

"وهذا كله إنما يكون في البدايات، كما قال الشاذلى رضى الله عنه: (اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا) .. فإذا تمت أنوارهم وتطهرت من البقايا أسرارهم، حكمهم في العباد، وأذلهم لهم، فيكون العبد المجتبى سيفا من سيوف الله، ينتصر الله به لنفسه كما نبه على ذلك في لطائف المنن. وذلك من أسرار عدم مشروعية الجهاد من أول الإسلام تشريعا لما ذكرنا، وتحذيرا من الانتصار للنفس، وعدم تمحض النصرة للحق. وعند الرسوخ في اليقين، والأمن من مزاحمة الصدق غيره، وقع الإذن في الجهاد، هذا بالنسبة إلى الصحابة الكرام، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكامل من أول نشأته، وإنما ذلك تشريع لغيره، وترفيع لرتبته. والله تعالى أعلم.

ولما طلبوا من يحكم بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم، أنزل الله:

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١١٤ الى ١١٥]

أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (١١٤) وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم (١١٥)

قلت: (غير) : مفعول، و (حكما) : حال، وهو أبلغ من حاكم، ولذلك لا يوصف به غير العادل، و (صدقا وعدلا) : تمييز، أو حال، أو مفعول له.

يقول الحق جل جلاله: قل يا محمد: أفغير الله أطلب حكما يحكم بيني وبينكم، ويفصل المحق منا من المبطل، وهو الذي أنزل إليكم الكتاب أي: القرآن المعجز، مفصلا مبينا، قد بين فيه الحق من الباطل، بحيث انتفى به الالتباس، فهو الحاكم بيني وبينكم، فلا أطلب حاكما غيره، وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه مغن عن سائر الآيات. والذين آتيناهم الكتاب كأحبار اليهود، يعلمون أنه منزل من ربك بالحق لتصديقه ما عندهم، وموافقته له في كثير من الأخبار، فلا تكونن من الممترين في أنهم يعلمون ذلك، أو في أنه منزل من ربك، والمراد غيره- عليه الصلاة والسلام- ممن يطرقه ارتياب، والمعنى: أن الأدلة تعاضدت على صحته، فلا ينبغي لأحد أن يمتري فيه.

وتمت كلمة ربك آيات القرآن، بلغت الغاية في التمام والكمال، صدقا وعدلا أي: من جهة الصدق والعدل، صدقا في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٨٦

الأخبار والمواعيد، وعدلا في الأقضية والأحكام، فلا أصدق منها فيما أخبرت، ولا أعدل منها فيما حكمت، لا مبدل لكلماته أي: لا أحد يقدر أن يبدل منها شيئا بما هو أصدق وأعدل، ولا أن يحرف شيئا منها، كما فعل بالتوراة، فهو ضمان من الحق لحفظ القرآن، كما قال: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون «١»

---

(١) الآية ٩ من سورة الحجر.." [1]

"قاله، أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي: يلحقهم نصيبهم مما كتب في اللوح المحفوظ من الأرزاق والآجال، حتى إذا انقضت أعمارهم وجاءتهم رسلنا يتوفونهم أي: يتوفون أرواحهم، قالوا لهم توبيخا: أين ما كنتم تدعون من دون الله أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله لتدفع عنكم العذاب؟ قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه، وندموا حيث لم ينفع الندم، وقد زلت بهم القدم.

الإشارة: كل من أعرض عن خصوص أهل زمانه، واشتغل بمتابعة حظوظه وهواه، ينال نصيبه من الدنيا الفانية وما قسم له فيها فإذا جاءت منيته ندم وتحسر، وقيل له: أين ما تمتعت به وشغلك عن مولاك؟ فيقول: قد غاب ذلك وفنى وانقضى، وكأنما كان برقا سرى، أو طيف كرى، والدهر كله هكذا لمن سدد نظرا، وعند الصباح يحمد القوم السرى، وستعلم، إذا انجلى الغبار، أفرس تحتك أم حمار.

وقد قال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه: «لا تخدعنكم زخارف دنيا دنية، عن مراتب جنات عالية فكأن قد كشف القناع، وارتفع الارتياب، ولا قى كل امرئ مستقره، وعرف مثواه ومنقلبه» . وفي حديث آخر: «من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة، ولم يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة، وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد» .

ثم ذكر عذاب أهل التكذيب، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (٣٨) وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩)

يقول الحق جل جلاله: قال الله تعالى أي: يوم القيامة للكفار، بواسطة ملك، أو بغيرها: ادخلوا في جملة أمم كانوا من قبلكم من الجن والإنس متفقين معكم في الكفر والضلال، فادخلوا مصاحبين معهم في النار. قال تعالى، مخبرا عن حالهم: كلما دخلت أمة منهم في النار لعنت أختها التي ضلت." [2]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/١٦١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢١٤

"الذين يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم النبي الأمي وهو نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، وكونه أميا شرف له، إذ الكتابة وسيلة للعلوم، وقد أعطي منها ما لم يعط أحد من العالمين، من غير تعب تعلمها، ولارتفاع **الارتياب** في نبوته صلى الله عليه وسلم، فهي من جملة معجزاته قال تعالى: وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ... الآية «١» . قال بعضهم: لما قال الله تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء طمع فيها كل أحد، حتى إبليس، فلما قال: فسأكتبها للذين يتقون يئس إبليس، وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال: الذين يتبعون الرسول النبي الأمي يئس اليهود والنصارى. هـ.

الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل اسما وصفة، ونص ما في التوراة على ما في صحيح البخاري، عن عبد الله بن سلام: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجازي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا» «٢» .

ومما في التوراة أيضا، وهو مما أجمع عليه أهل الكتاب، وهو باق في أيديهم إلى الآن أن الملك قد نزل على إبراهيم، فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق، فقال إبراهيم: يا رب ليت إسماعيل يعيش يخدمك، فقال الله لإبراهيم: ذلك لك، قد استجيب لك في إسماعيل، وأنا أباركه، وأنميه، وأكثره، وأعظمه بماذماذ، وتفسيره:

محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك مما في التوراة أيضا: أن الرب- تعالى- جاء من طور سيناء، وطلع على «ساغين» ، وظهر من جبل فاران، ويعنى بطور سيناء: موضع مناجاة موسى، وساغين موضع عيسى، وفاران هي مكة، موضع مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي التوراة أيضا: أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة، تراءى لها ملك، فقال لها: يا هاجر، أين تريدين، ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: يا هاجر، ارجعي إلى سارة، وستحملين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل، وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، وتكون يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع. هـ.

وهذا الذي وعدها الملك إنما ظهر بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو مكانه، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره من أولاده، لكن الأصل يشرف بشرف فرعه، وفي التوراة أيضا: أن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: قد أجبت دعاءك في إسماعيل، وباركت عليه، وسيلد اثني عشر عظيما، وأجعله لأمة عظيمة. وفي بعض كتبهم: لقد

---

(١) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت.

(٢) أخرجه البخاري فى (تفسير سورة الفتح، باب: «إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا») من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.." (١)

"حصد من أصله، كأن لم تغن: كأن لم تقم بالأمس، أو كأن لم يغن زرعها، أي: لم ينبت. والمراد:

تشبيه الدنيا في سرعة انقضائها بنبات اخضر ثم صار هشيما، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ويتدبرون عواقب الأمور،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٦٧/٢

فيعلمون أن الدنيا سريعة الزوال، وشيكة التغير والانتقال، فيزهدون فيها ويجعلونها مزرعة لدار السلام، التي هي دار البقاء. وهي التي دعا إليها عبادة بقوله: والله يدعوا إلى دار السلام أي: السلامة من الفناء وجميع الآفات، أو دار الله الذي هو السلام. وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك، أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها، وهي الجنة، ويهدي من يشاء توفيقه إلى صراط مستقيم، التي توصل إليها وإلى رضوانه فيها، وهو الإسلام والتدرع بلباس التقوى، وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الأمر غير الإرادة، وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده. قاله البيضاوي.

الإشارة: ما ذكره الحق تعالى في هذه الآية هو مثال لمن صرف همته إلى الدنيا، وأتعب نفسه في جمعها، فبنى وشيد وزخرف وغرس، فلما أشرف على التمتع بذلك اختطفته المنية، فلا ما كان أمل أدرك، ولا إلى ما فاته من العمل الصالح رجع.

وفي بعض خطبه- عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «أما رأيتم المؤاخذين على الغرة، المزعجين بعد الطمأنينة، الذين أقاموا على الشبهات، وجنحوا إلى الشهوات، حتى أتتهم رسل ربهم، فلا ما كانوا أملوا أدركوا، ولا ما فاتهم رجعوا، قدموا على ما قدموا، وندموا على ما خلفوا، ولم ينفع الندم وقد جف القلم» . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم:

«لا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية، فكأن قد كشف القناع، وارتفع **الارتياب** ولا فى كل امرئ مستقره، وعرف مثواه ومنقلبه» .

وروي عن جابر رضى الله عنه أنه قال: شهدت مجلسا من مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أتاه رجل أبيض، حسن الشعر واللون، فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وعليك السلام. قال: يا رسول الله، ما الدنيا؟ فقال: حلم النائم، وأهلها مجازون ومعاقبون. قال: يا رسول الله، فما الآخرة؟. قال: الأبد، فريق في الجنة، وفريق في السعير، قال: يا رسول الله، فما الجنة؟ قال: ترك الدنيا بنعيمها أبدا، ثم قال: فما خير هذه الأمة؟ قال: الذي يعجل بطاعة الله، قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ - أي في الدنيا- قال: متشمرا كطالب قافلة، قال: وكم القرار بها؟ قال: كقدر المتخلف عن القافلة، قال: فكم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال كغمضة عين. ثم ذهب الرجل فلم ير، فقال صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل، أتاكم يزهدكم في الدنيا» .." (١)

"لما سلف قبله من الكتب الإلهية، المشهود على صدقها لأنه مطابق لها، فلا يكون كذبا، كيف وهو لكونه معجزا عيار عليها، شاهد على صحتها؟ وتفصيل الكتاب أي: وأنزله تفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع، التي تضمنها الكتاب، لا ريب فيه: لا ينبغي أن يرتاب فيه لما احتفت به من شواهد الحق، **وارتياب** الكفار فيه كلا ريب. كائنا من رب العالمين، أو نزل منه.

أم: بل يقولون افتراه محمد من عند نفسه؟ قل فأتوا أنتم بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم، وجودة المعنى، فإنكم مثلي في العربية والفصاحة، وادعوا من استطعتم: من قدرتم عليه من الجن والإنس، يعينكم على ذلك، من دون الله فإنه وحده قادر على ذلك، إن كنتم صادقين أنه مفترى.

بل كذبوا أي: سارعوا إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن، بحيث لم يستمعوه، ولم يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤٦٤

بشأنه، حتى يعلموا أحق هو أم لا، أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما، من ذكر البعث والجزاء، وسائر ما يخالف دينهم، ولما يأتهم تأويله أي: ولم يقفوا بعد على تأويله، ولم تبلغ أذهانهم معانيه، أو لم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب، حتى يتبين لهم أنه صدق أو كذب، والمعنى: أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى، ثم إنهم فاجئوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه، ويتصفحوا معناه.

ومعنى التوقع في لما: أنه قد ظهر بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فزادوا أذهانهم في معارضته فتضاءلت دونها، أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبق ما أخبر مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا. قاله البيضاوي. قال ابن جزي: لما يأتهم ما فيه من الوعيد لهم، أي: وسيأتيهم يوم القيامة أو قبله.

كذلك كذب الذين من قبلهم أنبياءهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين، فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم.

ومنهم من المكذبين من يؤمن به أي: يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند، أو من يؤمن به ويتوب عن كفره، ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره، أولا يؤمن فيما يستقبل فيموت على كفره، وربك أعلم بالمفسدين: بالمعاندين أو المصرين.

الإشارة: إذا تطهرت القلوب من الأغيار، وتصفت من الأكدار، أوحى إليها بدقائق العلوم والأسرار، وما كان لتلك العلوم أن تفترى من دون الله ولكن تكون تصديقا لما قبلها من علوم القوم وأسرارها، التي يهبها الله لأوليائه، وفيها تفصيل طريق السير، وما أوجبه الله على المريدين من الآداب، وشروط المعاملة، فمن طعن في ذلك فليأت بشيء من ذلك من عند نفسه، ويستعن على ذلك بأبناء جنسه، بل كذب بما لم يحط به علمه، ولم يبلغه عقله." (١)

"الإشارة: يا أيها الناس قد جاءكم من يعرفكم بالحق من ربكم، فمن اهتدى بمعرفته واتباعه نفع نفسه، حيث أخرجها من غم الحجاب، وشفاها من سقم الشك **والارتياب**، ومن ضل عن معرفته فوباله عليه، حيث ترك نفسه في أودية الخواطر تجول، وحرمها من الله حقيقة الوصول. ويقال للعارف إذا اعرض الخلق عنه، ولم ينفع فيهم تذكيره ووعظه: اتبع ما يوحى إليك من وحي الإلهام، فإنه حق في حق الخصوص إذ لا يتجلى في قلوبهم إلا ما هو حق، حيث تطهرت من خواطر الخلق. واصبر حتى يحكم الله بإرسال ريح الهداية، وهو خير الحاكمين. وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.." (٢)

"أفي قلوبهم مرض كفر ونفاق، أم ارتابوا في نبوته صلى الله عليه وسلم، أم يخافون أن يحيف أن يجور الله عليهم ورسوله فيحكم بينهم بغير الحق. قسم الحق تعالى الأمر في صدود المنافقين عن حكومته- عليه الصلاة والسلام- إذا كان الحق عليهم إلى ثلاث: بأن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته، أو خائفين الحيف في قضائه، ثم أبطل الكل بقوله: بل أولئك هم الظالمون، أما الأولان فلأنه لو كان شيء منهما لأعرضوا عنه، عند كون الحق لهم لتحقق نفاقهم **وارتيابهم**، وأما الثالث فلمعرفتهم بأحواله صلى الله عليه وسلم في الأمان والثبات على الحق، فهم لا يشكون أنه لا يحيف بل لأنهم هم الظالمون، يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم، ويتم لهم جحودهم، فيأبون المحاكمة إليه- عليه الصلاة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٧٣/٢

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٠٥/٢

والسلام- لأنه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق الصريح، المؤيد بالوحي الصحيح.
الإشارة: ترى فريقا من الناس يدعون الإيمان والطاعة والمحبة، ونفوسهم غالبة عليهم، فإذا دعوا إلى من يحكم بينهم وبينها، بأن يأمرهم بمجاهدتها أو قتلها إذا فريق منهم معرضون، وإن يكن لهم الحق، بأن وجدوا من يدلهم على البقاء مع عوائدها وشهواتها، يأتوا إليه مذعنين. أفي قلوبهم شك ووهم، أم ارتابوا في وجود الطبيب، أم يخافون أن يحيف الله عليهم؟ بأن يدلهم على من يتعبهم ولا يبرئهم، حيث حسنوا الظن به والتجئوا إليه، فلا يدلهم إلا على من يوصلهم إليه، بل أولئك هم الظالمون لنفوسهم، حيث حرموها الوصول، وتركوها في أودية الشكوك والخواطر تجول. قال الورتجبي: وإذا دعوا إلى الله ورسوله أي: دعوا إلى مشاهدة الله بنعت المحبة والمعرفة، وعبودية بنعت الإخلاص، ودعوا إلى رسوله بالمتابعة والموافقة في الشريعة والطريقة. هـ.

ثم ذكر الفريق الثاني، وهم المخلصون، فقال:

[سورة النور (٢٤) : الآيات ٥١ الى ٥٢]
إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (٥٢)

قلت: (قول) : خبر «كان» مقدم، و (أن يقولوا) : اسمها مؤخر، وقرأ الحسن: بالرفع على الاسمية، والأول: أرجح صناعة، والثاني: أظهر دلالة، وأكثر إفادة. انظر أبا السعود.." (١)

"الذين أدركوا زمانك من يؤمن به. وإذا قلنا: إن السورة كلها مكية، يكون إخبارا بغيب تحقق وقوعه، وما يجحد بآياتنا، مع ظهورها وزوال الشبهة عنها، إلا الكافرون إلا المتوغلون في الكفر، المصممون عليه، ككعب بن الأشرف وأضرابه، أو كفار قريش، إذا قلنا: الآية مكية.
وما كنت تتلوا من قبله من قبل القرآن من كتاب ولا تخطه بيمينك، بل كنت أميا، لم تقرأ ولم تكتب، فظهور هذا الكتاب، الجامع لأنواع العلوم الشريفة والأخبار السالفة، على يد أمي لم يعرف بالقراءة والتعلم، خرق عادة، قاطعة لبغيته. وذكر اليمين لأن الكتابة، غالبا، تكون به، أي: ما كنت قارئا كتابا من الكتب، ولا كاتبا إذا لارتاب المبطلون أي: لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا: تعلمه، والتقطه من كتب الأقدمين، وكتبه بيده. أو: يقول أهل الكتاب: الذي نجده في كتابنا أمي لا يكتب ولا يقرأ، وليس به. وسماهم مبطلين، لإنكارهم النبوة، أو: **لارتيابهم** فيها، مع تواتر حججها ودلائلها.
هذا، وكونه صلى الله عليه وسلم أميا كمال في حقه صلى الله عليه وسلم، مع كونه أميا أحاط بعلوم الأولين والآخرين، وأخبر بقصص القرون الخالية والأمم الماضية، من غير مدارسة ولا مطالعة، وهو، مع ذلك، يخبر بما مضى، وبما يأتي إلى قيام الساعة، وسرد علم الأولين والآخرين مما لا يعلم القصة الواحدة منها إلا الفاذ من أحبارهم، الذي يقطع عمره في مدارسته وتعلمه، وهذا كله في جاهلية جهلاء، بعد فيها العهد بالأنبياء، وبدل الناس، وغيروا في كتب الله تعالى بالزيادة والنقصان،

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٥٦

ففضحهم صلى الله عليه وسلم وقرر الشرائع الماضية، فهذا كله كاف في صحة نبوته، فكانت أميته صلى الله عليه وسلم وصف كمال في حقه، ومعجزة دالة على نبوته لأنه صلى الله عليه وسلم، مع كونه أميا، ظهر عليه من العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، ما يعجز عنه العقول، ولا تحيط به النقول، مع إحكامه لسياسة الخلق، ومعالجتهم مع تنوعهم، وتدبير أمر الحروب، وإمامته في كل علم وحكمة.

وأيضا: المقصود من القراءة والكتابة: ما ينتج عنهما من العلم لأنهما آلة، فإذا حصلت الثمرة استغنى عنهما.

والمشهور أنه صلى الله عليه وسلم لم يكتب قط. وقال الباجي وغيره: إنه كتب، لظاهر حديث الحديبية. وقال مجاهد والشعبي:

مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ. وهذا كله ضعيف.

قال تعالى: بل هو أي: القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم اي: في صدور العلماء وحفاظه، وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الإعجاز، وكونه محفوظا في الصدور، بخلاف سائر الكتب، فإنها لم تكن معجزات، ولم تكن تقرأ إلا بالمصاحف. قال ابن عباس: بل هو أي: محمد، والعلم بأنه أمي، آيات بينات في صدور أهل العلم من أهل الكتاب، يجدونه في كتبهم. هـ «١» . و (بل) : للإضراب عن

---

(١) ذكر الطبري القولين (٢١/ ٥- ٦) ورجح القول الثاني لأن قوله تعالى: بل هو آيات بينات بين خبرين من إخبار الله عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فهو بأن يكون خبرا عنه أولى من أن يكون خبرا عن الكتاب.." [1]

"محذوف، ينساق إليه الكلام، أي: ليس الأمر مما يمكن الارتياب فيه، بل هو آيات واضحات. و (في صدور) : متعلق ببينات، أو: خبر ثان لهو. وما يجحد بآياتنا الواضحة إلا الظالمون المتوغلون في الظلم. قال ابن عطية: الظالمون والمبطلون هم كل مكذب للنبى صلى الله عليه وسلم، ولكن عظم الإشارة بهما إلى قريش لأنهم الأهم. قاله مجاهد. هـ.

الإشارة: كم من ولي يكون أميا، وتجد عنده من العلوم والحكم والتوحيد ما لا يوجد عند نحارير العلماء.

ما اتخذه الله وليا جاهلا إلا علمه. ولقد سمعت من شيخنا البوزيدى رضي الله عنه علوما وأسرارا، ما رأيتها في كتاب، وكان يتكلم في تفسير آيات من كتاب الله على طريق أهل الإشارة، قل أن تجدها عند غيره، وسمعته يقول: والله ما جلست بين يدى عالم قط، ولا قرأت شيئا من العلم الظاهر. قال القشيري: قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب، فيها أودع براهين حقه، وبينات سره، ودلائل توحيده، وشواهد ربوبيته، فقانون الحقائق في قلوبهم، وكل شيء يطلب من موطنه ومحله، فالدر يطلب من الصدف لأنه مسكنه، كذلك المعرفة، ووصف الحق يطلب من قلوب خواصه «١» لأن ذلك قانون معرفته، ومنها ترفع نسخة توحيده. هـ.

ثم رد اقتراحهم للآيات، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٣١١

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٥٠ الى ٥٢]

وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين (٥٠) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢)

---

(١) إنما يرجع إلى وصف الله فى قلوب خواصه، لأنهم عرفوا الله بالرجوع إلى وحيه، (الكتاب والسنة) فلا طريق لمعرفة الله، إلا ما أوحاه الله، ابتداء، وانتهاء.

ثم اعلم رحمك الله: أن معرفة القراءة والكتابة ليست شرطا فى الولاية، وحفظ كلام الله تعالى، ومعرفة أسرار التوحيد والإيمان،، والإسلام.. وهاك مثلا واحدا: وهو سيدنا «حماد بن مسلم الدباس» ، أستاذ الشيخ القدوة، عارف زمانه، الإمام عبد القادر الجيلاني، وهو حماد بن مسلم بن ددوه، الشيخ القدم، علم السالكين، أبو عبد الله الدباس، الرحبي- نسبة إلى رحبة مالك بن طوق، «نشأ ببغداد، وكان من أولياء الله، أولى الكرامات، انتفع بصحبته خلق، وكان يتكلم على الأحوال، وكتبوا من كلامه نحوا من مئة جزء، وكان أميا، وكان يتكلم على آفات الأعمال، والإخلاص، والورع، قد جاهد نفسه بأنواع المجاهدات، وزوال أكثر المهن والصنائع، فى طلب الحلال، وكان مكاشفا. فعنه قال: إذا أحب الله عبدا أكثر همه فيما فرط، وإذا أبغض عبدا أكثر همه فيما قسمه له. وقال: العلم محجة، فإذا طلبته لغير الله، صار حجة.. مات سنة ٥٢٥ هـ. وكان الشيخ عبد القادر من تلامذته:

«انظر: شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء: (١٩/ ٥٩٤- ٥٩٦) تحقيق وتعليق: شعيب الأرنؤوط، ط ١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م. وراجع أيضا فى هذه القضية: الفتوحات الإلهية للشيخ المفسر/ ٢٠١- ٢٠٤.." (١)

"ثم قال في قوله: وإن يكذبوك ... الآية: وفي هذا إشارة للحكماء، وأرباب القلوب، مع العوام والأجانب عن هذه الطريقة، فإنهم لا يقبلون منهم إلا القليل، وأهل الحقائق منهم أبدا في مقاساة الأذية، إلا بستر حالهم عنهم، والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتعمقين، والعلماء المتجمدين، الذين هم لهذه الأصول منكرون. هـ.

ثم حذر من الدنيا لأنها تنسى النعم والشكر، فقال:

[سورة فاطر (٣٥) : الآيات ٥ الى ٧]

يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٥) إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٦) الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير (٧)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد   ابن عجيبة ٣١٢/٤

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق، أي: كائن لا محالة، فاستعدوا للقائه، فلا تغرنكم الحياة الدنيا لا تخدعنكم زخارف الدنيا الغرارة، ولا يذهلنكم التمتع بها، والتلذذ بملاذها، والاشتغال بجمعها واحتكارها، عن التأهب للقاء الله، وطلب ما عنده. وفي الحديث: «فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية، عن مراتب جنات علية، فكأن قد كشف القناع، وارتفع **الارتياب**، ولاقى كل امرئ مستقره، وعرف مثواه ومنقلبه» . ولا يغرنكم بالله الغرور أي: الشيطان، فإنه يمنيكم الأماني الكاذبة، ويقول: إن الله غني عن عبادتك وعن تكذيبك. أو: إن الله غفور لمن عصاه.

إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة، فعل بأبيكم ما فعل، وأنتم تعاملونه معاملة الحبيب الناصح، فاتخذوه عدوا فلا تقبلوا غروره في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم إذ لا يوجد منه إلا ما يدل على عداوته في سركم وجهركم.

قال الورتجبي: إنه عدو لأنه من عالم القهر خلق، ونحن من عالم اللطف خلقنا. والطبعان متخالفان أبدا، لأن القهر واللطف تسابقا في الأزل، فسبق اللطف القهر، فعداوته من جهة الطبع الأول، والجهل بالعصمة، وأنوار التأييد والنصرة، ومن لا يعرفه بما وصفنا، كيف يتخذه عدوا؟ وهو لا يعرف مكائده، ولا يعرف مكائده إلا ولي أو صديق. هـ.." (١)

"قال القشيري: يقال: إن تكذيبهم وتكذيب سلفهم للأنبياء- عليهم السلام- كان قديما حتى أهلكهم، كذلك يفعل بهؤلاء «١» . هـ.

كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب أي: مثل ذلك الإضلال الفظيع يضل الله من هو مسرف في عصيانه، شاك في دينه، لم يتفكر فيما شهدت البينات بصحته لغلبة الوهم، والانهماك في التقليد.

ثم فسره فقال: الذين يجادلون في آيات الله بالرد والإبطال بغير سلطان بغير حجة واضحة، تصلح للتمسك بها في الجملة، أتاهم: صفة لسلطان، أي: بغير برهان جاءهم بصحة ذلك، كبر مقتا أي: عظم بغضا عند الله وعند الذين آمنوا، وفيه ضرب من التعجب والاستعظام. وفي «كبر» ضمير يعود على «من» وتذكيره باعتبار اللفظ. كذلك أي: مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر منه أمثال ما ذكر من الإسراف، **والارتياب**، والمجادلة بالباطل. ومن قرأ بالتنوين «٢» فوصف لقلب، وإنما وصف بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما، كما تقول: سمعت الأذن، كقوله: فإنه آثم قلبه «٣» وإن كان الإثم للجملة. والله تعالى أعلم.

الإشارة: يقال لأهل كل عصر: ولقد جاءكم فلان- لولي تقدم قلبهم- بالآيات الدالة على صحة ولايته، فما زلتم، أي: ما زال أسلافكم من أهل عصره- في شك منه، حتى إذا مات ظهرت ولايته، وأقررتم بها، وقلتم: لن يبعث الله من بعده وليا، وهذه عادة العامة، يقرون الأموات من الأولياء، وينكرون الأحياء. وهي نزعة أهل الكفر والضلال، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب، كالذين يخاصمون في ثبوت الخصوصية عند أربابها، من غير برهان، وهو شأن المنكرين، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار.

ثم ذكر عتو فرعون وطغيانه، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد   ابن عجيبة ٤/٥١٨

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧)

---

(١) بالمعنى.

(٢) قرأ أبو عمر (قلب) بالتنوين فى الباء على قطع «قلب» عن الإضافة، وجعل التكبر والجبروت صفته، وقرأ الباقون بغير تنوين بإضافة «قلب» إلى ما بعده. واختلف عن ابن عامر. انظر الإتحاف (٢/ ٤٣٧) .

(٣) من الآية ٣٨٣ من سورة البقرة.." [1]

"وقوله تعالى: الله لطيف بعباده، اعلم أن لطفه سبحانه بعباده لا ينحصر ولا ينفك عنه مخلوق، من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره، فمن لطفه سبحانه بخلقه: أنه أعطاهم فوق الكفاية، وكلفهم دون الطاقة. ومن لطفه سبحانه: تسهيله الأرزاق، وتيسير الارتفاق، فلو تفكر الإنسان في اللقمة التي توضع بين يديه، ماذا عمل فيها من العوالم العلوية والسفلية لتحقق بغاية عجزه، وتيقن بوجود لطفه، وكذا ما يحتاج إليه من مشروب، وملبوس، ومطعوم. ومن لطفه سبحانه: توفيق الطاعات، وتسهيل العبادات، وتيسير الموافقات. ومن لطفه سبحانه: حفظ التوحيد في القلوب، واطلاعها على مكاشفة الغيوب، وصيانة العقائد عن **الارتياب**، وسلامة القلوب عن الاضطراب. ومن لطفه سبحانه: إبهام العاقبة لئلا يتكلوا أو ييأسوا. ومن لطفه سبحانه بالعبد: إخفاء أجله عليه لئلا يستوحش إن كان قد دنا أجله. ومن لطفه سبحانه بخواصه: ستر عيوبهم، ومحو ذنوبهم، حتى وصلهم بما منه إليهم، لا بما منهم إليه، فكشف لهم عن أسرار ذاته، وأنوار صفاته، فشاهدوه جهرا، وعبدوه شكرا.

وقوله تعالى: يرزق من يشاء إما رزق الأرواح، أو رزق الأشباح، وإلى هذا القسمين أشار قوله:

[سورة الشورى (٤٢) : آية ٢٠]

من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب (٢٠)

يقول الحق جل جلاله: من كان يريد حرث الآخرة، سمي ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة المستقبلة حرثا، مجازا لأن الحرث: إلقاء البذر في الأرض لننظر نتاجه، فأطلقه على العمل، لجامع حصول النتاج، أي: من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه نضاعف له ثوابه، الواحدة بعشر إلى سبعمائة فما فوقها، أو: نزد له في توفيقه وإعانته، وتسهيل سبيل الخيرات والطاعات عليه. ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها أي: شيئا منها، حسبما قسمناه له، لا ما يريده ويبتغيه، وما له في الآخرة من نصيب إذا كانت همته مقصورة على الدنيا. ولم يذكر في عامل الآخرة

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٣٣/٥

أن رزقه المقسوم يصل إليه، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده، من زكاء أعماله، وفوزه في المآب لأن ما يعطى في الآخرة يستحقر أن يذكر معه غيره من الدنيا.

الإشارة: قد مر مرارا ذم الدنيا وصرف الهمة إليها، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض خطبه: «أيها الناس، أقبلوا على ما كلفتموه من صالح آخرتكم، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر." (١)

"قلت: (ويوم) : منصوب بيخسر، و «يومئذ» بدل منه، و «كل أمة تدعى» : مبتدأ وخبر، ومن نصب «١» فبدل من «كل أمة» ، (والساعة لا ريب فيها) من رفعها فمبتدأ «٢» ، ومن نصبها فعطف على (وعد الله) .

يقول الحق جل جلاله: قل الله يحييكم في الدنيا ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر، ثم يجمعكم بعد الموت إلى يوم القيامة للجزاء، لا ريب فيه أي: في جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة، وتأخيره ليوم معلوم، والرد لآبائهم كما اقترحوا، حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية، امتنع إيقاعه لرفع الإيمان بالغيب حينئذ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث، وحكمة إمهاله، لإعراضهم عن التفكر بالانهماك في الغفلة، وهو استدراك من قوله: (لا ريب) ، إما من تمام الكلام المأمور به، أو مستأنف من جهته تعالى، تحقيقا للحق، وتنبيها على أن ارتيابهم إنما هو لجهلهم وتقصيرهم في التفكر والنظر، لا لأن فيه شائبة ريب ما.

ولله ملك السماوات والأرض أي: له التصرف فيهما وفيما بينهما، وهو بيان لاختصاص الملك المطلق بالله، إثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالإحياء والإماتة، والبعث والجمع والجزاء، وكأنه دليل لما قبله، ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون الداخلون في الباطل، وهو الكفر، وترى كل أمة من الأمم المجموعة جاثية باركة على الركب، مستوفزة من هول ذلك اليوم، يقال: جثا فلان يجثو: إذا جلس على ركبتيه، قال سلمان رضي الله عنه: في القيامة ساعة هي عشر سنين، يخر الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى إن إبراهيم ينادي: نفسي نفسي «٣» . هـ. وروي: أن جهنم حين يؤمر بها أن تساق إلى الموقف، تنفلت من أيدي الزبانية، حتى تهم أن تأتي على أهل الموقف جميعا، وتزفر زفرة تذهب بحاسة الآذان، فيجثوا الكل على الركب، حتى المرسلين، وكل واحد يقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم غيرها، ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول: «أمتي أمتي» . نقله الغزالي، وعن ابن عباس: جاثية: مجتمعة، وقيل: جماعات، من: الجثوة، وهي الجماعة.

كل أمة تدعى إلى كتابها صحيفة أعمالها، والمراد الجنس، أي: صحائف أعمالها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا، ثم يقال لهم: هذا كتابنا، أضيف الكتاب إليهم أولا لملابسته إياهم، لأن أعمالهم مثبتة فيه، وإلى الله ثانيا لأنه مالكه، والآمر للملائكة بكتبه، وأضيف لنون العظمة تفخيما لشأنه، وتهويلا

---

(١) قرأ يعقوب بنصب «كل» وقرأ الباقون برفعها.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٢٠٨

(٢) قرأ حمزة «والساعة» بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) ذكره البغوي فى تفسيره (٧/ ٢٤٦) والقرطبي (٧/ ٦١٨٠) .." (١)

"الذين يقولون: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ . وقد تقدم: أن من المقربين من تقرب لهم غرف الجنات، فيركبون فيها، ويسرحون إلى الجنة، ومنهم من يطير في الهواء إلى باب الجنة، فيقول الخزنة: من أنتم؟ فيقولون: وحن المتحابون في الله، فيقول: اذهبوا فنعم أجر العاملين، ويقول بعضهم لبعض: أين الصراط الذي وعدنه، فيقال لهم: جزتموه ولم تشعروا. والله تعالى أعلم.

الإشارة: توبة العامة من الذنوب، وتوبة الخاصة من العيوب، وتوبة خاصة الخاصة من الغيبة عن حضرة علام الغيوب، فهؤلاء أشد الناس افتقارا إلى التوبة؛ إذ لا بد للعبد من سهو وسنة حتى يجول بقلبه في الأكوان، أو يميل عن الاعتدال، فيجب في حقهم الاستغفار منها، ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يستغفر في المجلس الواحد سبعين أو مائة مرة. وقد تكلم السلف عن التوبة النصوح دون ما تقدم، فقال ابن جبير: هي التوبة المقبولة، ولا تقبل إلا بثلاثة شروط: خوف ألا تقبل منه، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعة. وقال ابن المسيب: توبة تنصحون بها أنفسكم، وقال القرظي: يجمعها أربعة: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وترك العود بالجنان، ومهاجرة سيىء الخلان. وقال الثوري: علامتها أربعة: القلة، والعلة، والذلة، والغربة. وقال الفضيل: هو أن يكون الذنب نصب عينيه. وقال الواسطي: تكون لا لعرض دنيوي ولا أخروي. وقال أبو بكر الوراق: هي أن تضيق عليك الدنيا بما رحبت، كحالة الذين خلفوا. وقال رويم: أن تكون لله وجها بلا قفا، كما كنت عند المعصية قفا بلا وجه، وقالت رابعة: توبة لا ارتياب فيها، وقال السري: لا تصلح التوبة النصوح إلا بنصيحة النفس والمؤمنين؛ لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله، وقال الجنيد: هي أن تنسى الذنب فلا تذكره أبدا؛ لأن من أحب الله نسي ما دونه. هـ.

يقول الحق جل جلاله: ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار﴾ بالسيف ﴿والمنافقين﴾ بالحجة، أو: بالقول الغليظ والوعظ البليغ، أو: بإقامة الحدود، ولم يؤمر بقتالهم لتستر ظاهرهم بالإسلام، " أمرت أن أحكم بالظواهر، والله يتولى السرائر "، ﴿واغلظ." (٢)

"﴿وما جعلنا عدتهم﴾ تسعة عشر ﴿إلا فتنة﴾ أي: ابتلاء واختبارا ﴿للذين كفروا﴾ حتى قال أبو جهل ما قال، أي: وما جعلنا هذا العدد إلا سبب افتتانهم، فعبر بالأثر عن المؤثر، وليس المراد جعل ذلك العدد في نفس الأمر فتنة؛ بل جعله في القرآن أيضا كذلك، وهو الحكم بان عليها تسعة عشر، إذ بذلك يتحقق افتتانهم، وعليه يدور ما سيأتي من استيقان أهل الكتاب، وازدياد المؤمنين إيمانا. انظر أبا السعود. وقالوا في تخصيص الخزنة بهذا العدد ـ مع أنه لا يطلب في الأعداد العلل: أن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار، وستة منهم يسوقونهم، وستة يضربونهم بمقامع من الحديد، والآخر خازن جهنم، وهو مالك، وهو الأكبر. وقيل: في النار تسعة عشر دركا، قد سلط على كل درك ملك، وقيل يعذبون فيها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣١٨/٥

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٨٧/٧

بتسعة عشر لونا من العذاب، وعلى كل لون ملك موكل، وقيل غير ذلك.

﴿

ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ، لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين، فإذا سمعوا مثلها في القرآن تيقنوا أنه منزل من عند الله، وهو متعلق بالجعل المذكور، أي: جعلناهم كذلك ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم، وصدق القرآن، لموافقته لما في كتبهم، ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إيمانا﴾ لتصديقهم بذلك، كما صدقوا بسائر ما أنزل، فيزيدون إيمانا مع إيمانهم الحاصل، أو: يزداد إيمانهم تيقنا؛ لما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم، ﴿ولا يرتاب الذي أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ ، تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما، وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في **الارتياب**، حيث لم يقل: ولا يرتابوا؛ للتنبيه على تباين النفيين حالا، فإن انتفاء **الارتياب** عن أهل الكتاب مما ينافيه لما فيه من الجحود، وعن المؤمنين لما يقتضيه من الإيمان، وكم بينهما؟ والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدث؛ للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك. قاله أبو السعود.

وعطف على ﴿يستيقن﴾ ايضا قوله: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ ؛ شك؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين، أو: نفاق، فيكون إخبارا بما سيكون بالمدينة بعد الهجرة، ﴿والكافرون﴾ ؛ المشركون بمكة، المصرون على الكفر: ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ ؟ أي: أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل؟ وقيل: لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مكذوب، أو: أي حكمة في جعل الملائكة تسعة عشر، لا أكثر أو أقل؟ وإيراد قولهم هذا بالتعليل، مع كونه من باب فتنتهم؛ للإشعار باستقلاله بالبشاعة. و " مثلا ": تمييز، أو حال، كقوله: ﴿هذه ناقة الله لكم ءاية﴾ [الأعراف: ٧٣] . ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ أي: مثل ذلك الضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله، بصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق،." (١)

"فشهادة أحدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين وما اعتدينا اى ما تجاوزنا الحق فى أيماننا إنا إذا اى إذا اعتدينا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق فلما نزلت هذه الاية قام رجلان من اولياء السهمي فحلفا هكذا فى رواية البخاري وفى رواية الترمذي فقام عمرو بن العاص ورجل اخر منهم فحلفا وسمى البغوي الاخر المطلب بن وداعة السهمي حلفا بالله بعد العصر ولعل حلف السهميان على عدم علمهما ببيع بديل الإناء من الوصيين وروى الترمذي وضعفه غيره من حديث ابن عباس عن تميم الداري فى هذه الاية قال يرى الناس منها غيرى وغير عدى بن بدا كنا نصرانيين يختلفان الى الشام قبل الإسلام فاتينا الشام لتجارتنا وقدم علينا مولى لبنى سهم يقال له بديل بن ابى مريم بتجارة ومعه جام من فضة فمرض فاوصى إلينا وأمرنا ان تبلغا ما ترك اهله فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم ثم اقتسمناه انا وعدى بن بدا فلما قدمنا الى اهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا غير هذا ما دفع إلينا فلما أسلمت وتاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر وأديت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم ان عند صاحبى مثلها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٧٩/٧

وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فامرهم ان يستحلفوه فحلف فانزل الله تعالى يا ايها الذين أمنوا شهادة بينكم الى قوله ان ترد ايمان بعد ايمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسمائة درهم من عدى بن بدا.

ذلك الحكم بتحليف الوصيين عند **ارتياب** الورثة وتحليف الورثة عند دعوى الوصيين بالشراء ونحوه. أدنى اى اقرب من أن يأتوا اى يأتي الأوصياء بالشهادة اى بإظهار الحق وبيان ما اوصى إليهم الميت على وجهها على نحو ما حملوها من غير خيانة فيها أو يخافوا عطف على يأتوا اى او ادنى ان يخافوا أن ترد على الورثة أيمان على انكار ما ادعاه الوصي بعد أيمانهم واتقوا الله عطف على محذوف اى احفظوا احكام الله واتقوا الله واسمعوا ما أمركم الله سماع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين الى حجة او الى طريق الجنة وعلى هذا التفسير الذي ذكرت تطابق الاية." (١)

"عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم روى احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن عمر بن الخطاب قال خرجنا الى تبوك فى يوم قيظ شديد فنزلنا منزلا وأصابنا فيه عطش حتى ظننا ان رقابنا سينقطع حتى إذا كان الرجل ليذهب فيلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن ان رقبته سينقطع وحتى ان كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه «١» فيشربه ويجعل ما بقي على كبده فقال ابو بكر يا رسول الله ان الله عز وجل قد عود لك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى جالت «٢» السماء فاظلت ثم سكبت فملاؤا ما معهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر وروى ابن ابى حاتم عن ابى حرزة الأنصاري قال نزلوا الحجر فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين ثم دعا فارسل الله سحابة فامطرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه متهم بالنفاق ويحك قد ترى ما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامطر الله علينا السماء قال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون من بعد ما كاد يزيغ قرأ حفص وحمزة بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية لان الفاعل مونث غير حقيقى قلوب فريق منهم اى قلوب بعضهم ولم يرد الميل عن الدين بل أراد الميل الى التخلف والانصراف لاجل الشدة التي كانت عليهم قال الكلبي هم ناس بالتخلف ثم لحقوه وقال ابن إسحاق ومحمد عمر كان نقر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا **ارتياب** منهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة ابن الربيع وابو حيثمة وابو ذر الغفاري وكانوا نفر صدق لا يتهمون فى إسلامهم روى ابن إسحاق عن ابن مسعود قال لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد ارى حكم الله فيه حتى قيل يا رسول الله تخلف ابو ذر

و

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣/٢٠٠

(١) الفرث الرجين فى الكرش ١٢.

(٢) اى دارت السحاب يعنى برخاست ابر پس سايه كرد پس ريخت آب ١٢.." [١]

"النبي صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء اى من اهل مكة او من العرب او ممن فى عهد النبي صلى الله عليه واله وسلم من الكتابين من يؤمن به اى بالقران وما يجحد بآياتنا الاضافة للعهد يعنى بايات القران إلا الكافرون يعنى الكافرون بالله وبالكتب كلها يعنى من كذب بالقران فقد كذب بالتوراة والإنجيل ايضا لانهما مصدقان للقران فتكذيبه تكذيب بهما فمن أنكر القران وادعى الايمان بالتورية فدعواه باطل قال قتادة الجحود انما يكون بعد المعرفة عرفوا ان محمدا حق والقران حق فجحدوا.

وما كنت تتلوا يا محمد ص عطف على كذلك أنزلنا إليك الكتاب من قبله اى من قبل ما انزل إليك الكتاب من كتاب ولا تخطه ولا تكتبه بيمينك ذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد إذا يعنى إذا كنت قاريا للكتب المتقدمة كاتبا لها لارتاب المبطلون اى الكافرون يعنى اهل مكة وقالوا لعله التقطه من كتب الأقدمين كذا قال قتادة وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد مع وجود المعجزات المتكاثرة وقيل معناه لا ارتياب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك فى كتبهم بالامى كذا قال مقاتل فيكون على هذا ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر.

بل هو اى القران آيات بينات واضحة الدلالة على صدقها إضراب عما فهم فيما سبق يعنى ما هذا القران مختلقا من عندك ولا مخطوطا بيمينك بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم يعنى المؤمنين الذين حملوا القران يحفظونه لا يقدر أحد على تحريفه وهى من خصائص القران كونه آيات بينات الاعجاز وكونه محفوظا عن التحريف والاسقاط لقوله تعالى وإنا له لحافظون وكونه محفوظا فى الصدور بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزة فكانوا يحرفون الكلم منها عن مواضعها وما كانت تقرا الا من مصحف وقال ابن عباس بل هو يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ذوايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدون نعته ووصفه فى كتبهم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون الظلم وضع الشيء فى غير موضعه يعنى آياتنا معجزة واضحة الدلالة على صدقها لظما ومعنى فمن جحد بها بعد وضوح اعجازها فهو الظالم المكاير للحق. وقالوا عطف على قال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا وما بينهما معترضات لولا هلا أنزل عليه آيات من ربه." [٢]

"إن في ذلك الأحداث والتغير لذكرى اى لتذكيرا على وجود الصانع القديم القادر الحكيم الذي دبره وسواه على انه مثل الحيوة الدنيا فلا ينبغى ان يغتر بها لأولي الألباب (٢١) إذ لا يتذكر بها غيره ومن لم يتذكر فليس من اولى الألباب بل كالانعام بل أضل منها..

أفمن شرح الله صدره للإسلام يعنى أفاض فى قلبه نورا أدرك به الحق حقا والباطل باطلا فاذعن بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم بلا ارتياب عبر عن تلك الحالة بشرح الصدر لان الصدر محل القلب والروح القابل للاسلام فاذا كان قلبه قابلا لاحكام الإسلام صار كظرف انشرح وتفسح حتى حال فيه المظروف فهو اى ذلك الشخص على نور اى بصيرة من

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣١١/٤

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢٠٩/٧

ربه الهمزة للانكار والفاء للعطف على ما فهم مما سبق من قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم فانه يفهم منه الفرق بين المؤمن والكافر والموصول مبتدا وخبره محذوف يدل عليه ما بعده والإنكار راجع الى مضمون الفاء كانه قال لما ثبت الفرق بين المؤمن والكافر فليس من شرح الله صدره للاسلام وترتب عليه كونه على نور من ربه فامن واهتدى كمن طبع الله على قلبه فقسى عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشرح صدره قال إذا دخل النور القلب انشرح صدره وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله. رواه البغوي والحاكم والبيهقي فى شعب الايمان فويل للقاسية قلوبهم الفاء للسببية من ذكر الله متعلق بالقاسية والمعنى من أجل ذكر الله اى إذا ذكر الله عندهم او تليت عليهم آياته اشتدت قساوتهم وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسية من أجل الشيء أشد تأبيا من القبول من القاسي عنه بسبب اخر وللمبالغة فى وصف أولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر وأسنده الى الله وقابله بقساوة القلب وأسنده الى القلب فهذه الاية فى معنى قوله تعالى والذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون وقيل بحذف المضاف تقديره من ترك ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) قال." (١)

"ابى حنيفة وعند صاحبيه يكمل الاول ثلثين يوما والأخيران المتوسطان بالاهلة (مسئلة:) ليس حكم هذه الاية فى المتوفى عنها زوجها فان عدتها إذا لم تكن حاملا اربعة أشهر وعشر سواء كانت صغيرة او آيسة او شابة والداعي الى تخصيص حكم هذه الاية بالمطلقات دون المتوفى عنهن أزواجهن مع كون اللفظ عاما الإجماع وسند الإجماع ما ذكرنا فى سبب النزول من حديث ابى بن كعب قالوا قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغائر والكبائر وأولات الأحمال فانزلت هذه الاية وقوله تعالى ان ارتبتم ولا شك ان عدة النساء لم يبق الا من قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء بخلاف قوله تعالى والذين يتوفون منكم فانه عام شامل لجميع اقسام المتوفى عنهن أزواجهن لم يشذ منها شيء وايضا لا يحتمل تلك الاية **الارتياب**

فان **الارتياب** انما يتصور فى ما ثبت بدليل ظنى وتلك الاية لعمومه يشتمل جميع اقسام المتوفى عنها زوجها قطعا يقينا فان قيل هذا الدليل كما يقتضى اختصاص هذه الاية بالمطلقات يقتضى ايضا ان يختص به ايضا قوله تعالى وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن مع انه لم يقل به أحد فكيف ترك دليل الاختصاص هناك مع كون الجمل الثلث فى نسق واحد قلنا كان دليل التخصيص هاهنا الإجماع والا فحديث الآحاد ما لم يعتقد بالإجماع لا يصلح مخصصا للقطع عندنا والإجماع هناك على خلاف ذلك يعنى على شمول الأحمال أولات الأحمال المطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن لابن علية وابن عباس رض قالا لا بد للمتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملة من الوضع والاربعة الأشهر وعشرا جمعا بين الآيتين احتياطا والجمهور على انه تنقضى عدتها بالوضع كذا روى مالك فى الموطأ عن ابن عمرو عن عمر بن الخطاب ولم يقل أحد ان الوضع فى حقها غير معتبر أصلا وفى موطاء مالك عن سليمان بن يسار ان عبد الله بن عباس وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢٠٦/٨

اختلفوا فى المرأة متنفس بعد زوجها بليال فقال ابو سلمة إذا وضعت ما فى بطنها فقد حلت وقال ابن عباس اخر اجلين فقال ابو هريرة انا مع ابن أخي يعنى أبا سلمة فارسلوا كريبا مولى ابن عباس الى أم سلمة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – يسالها عن ذلك فاخبرهم انها قالت ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك للنبى – صلى الله عليه وسلم – فقال قد حللت فانكحى من شئت وفى الصحيحين حديث عمر بن عبد الله بن أرقم انه دخل على سبيعة بنت الحارث الاسلمية فسالها عن حديثها فاخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة." (١)

"أي أنا هذا، ومنه قوله تعالى: ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم «١» – وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم «٢» – تلك آيات الله نتلوها عليك «٣» – ذلكم حكم الله يحكم بينكم «٤» وقيل إن الإشارة إلى غائب واختلف في ذلك الغائب، فقيل: هو الكتاب الذي كتب على الخلائق بالسعادة والشقاوة والأجل والرزق لا ريب فيه أي لا مبدل له، وقيل ذلك الكتاب الذي كتبه الله على نفسه في الأزل أن رحمته سبقت غضبه، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي» . وفي رواية «سبقت» .

وقيل الإشارة إلى ما قد نزل بمكة، وقيل إلى ما في التوراة والإنجيل، وقيل إشارة إلى قوله قبله الم، ورجحه الزمخشري، وقد وقع الاختلاف في ذلك إلى تمام عشرة أقوال حسبما حكاه القرطبي وأرجحها ما صدرناه، واسم الإشارة مبتدأ، والكتاب صفته، والخبر لا ريب فيه، ومن جوز الابتداء بالم جعل ذلك مبتدأ ثانيا، وخبره الكتاب أو هو صفته، والخبر لا ريب فيه، والجملة خبر المبتدأ. ويجوز أن يكون المبتدأ مقدرا وخبره الم وما بعده. والريب مصدر، وهو قلق النفس واضطرابها، وقيل إن الريب: الشك. قال ابن أبي حاتم:

لا أعلم في هذا خلافا. وقد يستعمل الريب في التهمة والحاجة، حكى ذلك القرطبي. ومعنى هذا النفي العام أن الكتاب ليس بمظنة للريب لوضوح دلالته وضوحا يقوم مقام البرهان المقتضي، لكونه لا ينبغي **الارتياب** فيه بوجه من الوجوه، والوقف على فيه هو المشهور. وقد روي عن نافع وعاصم الوقف على لا ريب. قال في الكشاف: ولا بد للواقف من أن ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى: قالوا لا ضير «٥» وقول العرب: لا بأس، وهي كثيرة في لسان أهل الحجاز، والتقدير: لا ريب فيه، فيه هدى. والهدى مصدر.

قال الزمخشري: وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلال في مقابلته انتهى. ومحله الرفع على الابتداء وخبره الظرف المذكور قبله على ما سبق. قال القرطبي: الهدى هديان: هدى دلالة وهو الذي يقدر عليه الرسل وأتباعهم قال الله تعالى: ولكل قوم هاد «٦» وقال: وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم «٧» فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه، وتفرد سبحانه بالهدى الذي معناه التأييد والتوفيق، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنك لا تهدي من أحببت «٨» فالهدى على هذا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب، ومنه قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم «٩» وقوله ولكن الله يهدي من يشاء «١٠» انتهى. والمتقين من ثبتت لهم التقوى. قال ابن فارس: وأصلها في اللغة قلة الكلام. وقال في الكشاف: المتقي

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٢٤/٩

في اللغة: اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى، والوقاية: الصيانة، ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقي من وجاها: إذا أصابها ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه. وهو في الشريعة: الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك انتهى. وأخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود أن الكتاب: القرآن، لا ريب فيه: لا شك فيه. وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: لا ريب فيه قال: لا شك فيه. وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال:

الريب: الشك. وأخرج عبد بن حميد عن قتادة مثله، وكذا ابن جرير عن مجاهد. وأخرج ابن جرير عن

---

(١) . السجدة: ٦.

(٢) . الأنعام: ٨٣.

(٣) . البقرة: ٢٥٢.

(٤) . الممتحنة: ١٠.

(٥) . الشعراء: ٥٠. [.....]

(٦) . الرعد: ٧.

(٧) . الشورى: ٥٢.

(٨) . القصص: ٥٦.

(٩) . البقرة: ٥.

(١٠) . القصص: ٥٦.." [١]

"ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم. ويقال: فلان أوسط قومه وواسطتهم، أي: خيارهم. وقوله:

لتكونوا شهداء على الناس أي: يوم القيامة تشهدون للأنبياء على أممهم أنهم قد بلغوهم ما أمرهم الله بتبليغه إليهم، ويكون الرسول شهيدا على أمته بأنهم قد فعلوا ما أمره بتبليغه إليهم، ومثله قوله تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا «١» قيل: إن قوله: عليكم يعني: لكم، أي: يشهد لهم بالإيمان وقيل: معناه: يشهد عليكم بالتبليغ لكم. قال في الكشاف: لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء، ومنه قوله تعالى: والله على كل شيء شهيد «٢» كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد «٣» انتهى. وقالت طائفة: معنى الآية: يشهد بعضكم على بعض بعد الموت وقيل: المراد: لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول. وسيأتي من المرفوع ما يبين معنى الآية إن شاء الله وإنما أخر لفظ على في شهادة الأمة على الناس، وقدمها في شهادة الرسول عليهم، لأن الغرض كما قال صاحب الكشاف في الأول: إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الآخر: اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم. وقوله: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قيل:

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٩/١

المراد بهذه القبلة هي بيت المقدس أي: ما جعلناها إلا لنعلم المتبع والمنقلب، ويؤيده هذا قوله: كنت عليها إذا كان نزول هذه الآية بعد صرف القبلة إلى الكعبة وقيل: المراد: الكعبة، أي: ما جعلنا القبلة التي أنت عليها الآن بعد أن كانت إلى بيت المقدس إلا لذلك الغرض، ويكون كنت بمعنى الحال وقيل:

المراد بذلك: القبلة التي كان عليها قبل استقبال بيت المقدس، فإنه كان يستقبل في مكة الكعبة، ثم لما هاجر توجه إلى بيت المقدس تألفا لليهود ثم صرف إلى الكعبة. وقوله: إلا لنعلم قيل: المراد بالعلم هنا:

الرؤية وقيل: المراد: إلا لتعلموا أنا نعلم بأن المنافقين كانوا في شك وقيل: ليعلم النبي، وقيل: المراد:

لنعلم ذلك موجودا حاصلا، وهكذا ما ورد معللا بعلم الله سبحانه لا بد أن يؤول بمثل هذا، كقوله:

وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء «٤» وقوله: وإن كانت لكبيرة أي: ما كانت إلا كبيرة، كما قال الفراء في أن وإن: أنهما بمعنى ما وإلا. وقال البصريون: هي الثقيلة خففت، والضمير في كانت:

راجع إلى ما يدل عليه قوله: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من التحويلة، أو التولية، أو الجعلة، أو الردة، ذكر معنى ذلك الأخفش، ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة، أي: وإن كانت القبلة المتصفة بأنك كنت عليها لكبيرة إلا على الذين هداهم الله للإيمان، فانشرحت صدورهم لتصديقك، وقبلت ما جئت به عقولهم، وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي، أي: أنها لا تخف ولا تسهل إلا على الذين هدى الله. وقوله: وما كان الله ليضيع إيمانكم قال القرطبي: اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، ثم قال: فسمى الصلاة إيمانا لاجتماعها على نية وقول وعمل وقيل: المراد: المؤمنين على الإيمان عند تحويل القبلة، وعدم **ارتيابهم** كما ارتاب غيرهم. والأول يتعين القول به، والمصير إليه لما سيأتي من تفسيره صلى الله عليه وسلم للآية بذلك. والرؤوف: كثير الرأفة، وهي أشد من الرحمة.

قال أبو عمرو بن العلاء: الرأفة أكبر من الرحمة والمعنى متقارب. وقرأ أبو جعفر بن القعقاع «لروف» بغير

---

(١) . النساء: ٤١.

(٢) . المائدة: ١١٧.

(٣) . المجادلة: ٦.

(٤) . آل عمران: ١٤٠.." [1]

"[سورة البقرة (٢) : آية ٢١٤]

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب (٢١٤)

أم هنا منقطعة بمعنى: بل. وحكى بعض اللغويين أنها قد تجيء بمثابة همزة الاستفهام يبتدأ بها الكلام، فعلى هذا معنى الاستفهام هنا: التقرير والإنكار، أي: أحسبتم دخولكم الجنة واقعا، ولم تمتحنوا بمثل ما امتحن به من كان قبلكم، فتصبروا

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ١٧٥/١

كما صبروا، ذكر الله سبحانه هذه التسلية بعد أن ذكر اختلاف الأمم على أنبيائهم، تثبيتا للمؤمنين، وتقوية لقلوبهم، ومثل هذه الآية قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم «١» وقوله تعالى: الم- أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون «٢» وقوله: مستهم بيان لقوله: مثل الذين خلوا والبأساء والضراء قد تقدم تفسيرهما، والزلزلة: شدة التحريك يكون في الأشخاص وفي الأحوال، يقال: زلزل الله الأرض زلزلة وزلزالا بالكسر، فتزلزلت: إذا تحركت واضطربت فمعنى زلزلوا: خوفوا وأزعجوا إزعاجا شديدا. وقال الزجاج: أصل الزلزلة: نقل الشيء من مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فمعناه: كررت زلله من مكانه. وقوله:

حتى يقول أي: استمر ذلك إلى غاية، هي: قول الرسول ومن معه: متى نصر الله والرسول هنا: قيل: هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: هو شعياء وقيل: هو كل رسول بعث إلى أمته. وقرأ مجاهد، والأعرج، ونافع، وابن محيصن: بالرفع في قوله: حتى يقول وقرأ غيرهم: بالنصب، فالرفع على أنه حكاية لحال ماضية، والنصب بإضمار أن على أنه غاية لما قبله. وقرأ الأعمش: وزلزلوا ويقول الرسول بالواو بدل حتى، ومعنى ذلك: أن الرسول ومن معه بلغ بهم الضجر إلى أن قالوا هذه المقالة المقتضية، لطلب النصر، واستبطاء حصوله، واستطالة تأخره، فبشرهم الله سبحانه بقوله: ألا إن نصر الله قريب.

وقالت طائفة: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا: متى نصر الله، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ألا إن نصر الله قريب، ولا ملجئ لهذا التكلف، لأن قول الرسول ومن معه: متى نصر الله ليس فيها إلا استعجال النصر من الله سبحانه، وليس فيه ما زعموه من الشك **والارتياب** حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف.

وقد أخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة: أن هذه الآية نزلت في يوم الأحزاب، أصاب النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وأصحابه بلاء وحصر. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أخبر الله المؤمنين: أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأخبرهم: أنه هكذا فعل بأنبيائه وصفوته لتطيب أنفسهم فقال: مستهم البأساء والضراء فالبأساء: الفتن والضراء: السقم، وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي في قوله: ولما يأتكم مثل الذين خلوا قال:

أصابهم هذا يوم الأحزاب حتى قال قائلهم: ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا «٣» ولعله يعني بقوله حتى قال قائلهم: يعني قائل المنافقين كما يفيد ذلك قوله تعالى: إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا.

---

(١) . آل عمران: ١٤٢.
(٢) . العنكبوت: ١- ٢.
(٣) . الأحزاب: ١٢. [.....]."[١]

---

(١) فتح القدير للشوكاني   الشوكاني ١/٢٤٧

"التصديق، والشك **والارتياب** موضع اليقين والاطمئنان إلا خسارا أي: هلاكا لأن سماع القرآن يغيظهم ويحنقهم ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردا وعنادا، فعند ذلك يهلكون وقيل: الخسار:
النقص، كقوله: فزادتهم رجسا إلى رجسهم «١» ثم نبه سبحانه على فتح بعض ما جبل عليه الإنسان من الطبائع المذمومة فقال: وإذا أنعمنا على الإنسان أي: على هذا الجنس بالنعم التي توجب الشكر كالصحة والغنى أعرض عن الشكر لله والذكر له ونأى بجانبه النأي: البعد، والباء للتعدية أو للمصاحبة، وهو تأكيد للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء هو أن يوليه عرض وجهه، أي: ناحيته، والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره، ولا يبعد أن يراد بالإعراض هنا الإعراض عن الدعاء والابتهال الذي كان يفعله عند نزول البلوى والمحنة به، ويراد بالنأي بجانبه التكبر والبعد بنفسه عن القيام بحقوق النعم. وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان وأبو جعفر «ناء» مثل با غ بتأخير الهمزة على القلب، وقرأ حمزة «نئي» بإمالة الفتحتين، ووافقه الكسائي، وأمال شعبة والسوسي الهمزة فقط. وقرأ الباقون بالفتح فيهما. وإذا مسه الشر من مرض أو فقر كان يؤسا شديد اليأس من رحمة الله والمعنى: أنه إن فاز بالمطلوب الدنيوي، وظفر بالمقصود نسي المعبود، وإن فاته شيء من ذلك استولى عليه الأسف، وغلب عليه القنوط، وكلتا الخصلتين قبيحة مذمومة، ولا ينافي ما في هذه الآية قوله تعالى: وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض «٢» ونظائره، فإن ذلك شأن بعض آخر منهم غير البعض المذكور في هذه الآية، ولا يبعد أن يقال لا منافاة بين الآيتين فقد يكون مع شدة يأسه وكثرة قنوطه كثير الدعاء بلسانه قل كل يعمل على شاكلته الشاكلة قال الفراء: الطريقة، وقيل: الناحية، وقيل: الطبيعة، وقيل: الدين، وقيل: النية، وقيل: الجبلة، وهي مأخوذة من الشكل، يقال: لست على شكلي ولا على شاكلتي، والشكل: هو المثل والنظير. والمعنى:
أن كل إنسان يعمل على ما يشاكل أخلاقه التي ألفها، وهذا ذم للكافر ومدح للمؤمن فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا لأنه الخالق لكم العالم بما جبلتم عليه من الطبائع وما تباينتم فيه من الطرائق، فهو الذي يميز بين المؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة، وبين الكافر الذي شأنه البطر للنعم والقنوط عند النقم. ثم لما انجر الكلام إلى ذكر الإنسان وما جبل عليه، ذكر سبحانه سؤال السائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح فقال: ويسئلونك عن الروح قد اختلف الناس في الروح المسؤول عنه، فقيل: هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته، وبهذا قال أكثر المفسرين. قال الفراء: الروح الذي يعيش به الإنسان لم يخبر الله سبحانه به أحدا من خلقه، ولم يعط علمه أحدا من عباده، فقال: قل الروح من أمر ربي أي: إنكم لا تعلمونه، وقيل: الروح المسؤول عنه جبريل، وقيل: عيسى، وقيل: القرآن، وقيل: ملك من الملائكة عظيم الخلق، وقيل: خلق كخلق بني آدم، وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته ولا فائدة في إيراده، والظاهر القول الأول، وسيأتي ذكر سبب نزول هذه الآية، وبيان السائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح، ثم الظاهر أن السؤال عن حقيقة الروح، لأن معرفة حقيقة الشيء أهم وأقدم من معرفة حال من أحواله، ثم

---

(١) . التوبة: ١٢٥ .

(٢) . فصلت: ٥١ . [.....]."[١]

"قوله: وكذلك أنزلنا إليك الكتاب هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والإشارة إلى مصدر الفعل كما بيناه في مواضع كثيرة، أي: ومثل ذلك الإنزال البديع أنزلنا إليك الكتاب، وهو القرآن، وقيل المعنى:
كما أنزلنا الكتاب عليهم أنزلنا عليك القرآن فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به يعني: مؤمني أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وخصهم بإيتائهم الكتاب لكونهم العاملين به، وكأن غيرهم لم يؤتوه لعدم عملهم بما فيه، وجحدهم لصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكورة فيه ومن هؤلاء من يؤمن به الإشارة إلى أهل مكة، والمراد أن منهم وهو من قد أسلم. من يؤمن به، أي: بالقرآن، وقيل: الإشارة إلى جميع العرب وما يجحد بآياتنا أي: آيات القرآن إلا الكافرون المصممون على كفرهم من المشركين وأهل الكتاب وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الضمير في قبله راجع إلى القرآن لأنه المراد بقوله: أنزلنا إليك الكتاب أي: ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا، ولا تقدر على ذلك لأنك أمي لا تقرأ، ولا تكتب ولا تخطه بيمينك أي: ولا تكتبه لأنك لا تقدر على الكتابة. قال مجاهد: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمد صلى الله عليه وسلم لا يخط، ولا يقرأ، فنزلت هذه الآية. قال النحاس: وذلك دليل على نبوته لأنه لا يكتب، ولا يخالط أهل الكتاب، ولم يكن بمكة أهل كتاب، فجاءهم بأخبار الأنبياء والأمم إذا لارتاب المبطلون أي: لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط لقالوا لعله وجد ما يتلوه علينا من كتب الله السابقة، أو من الكتب المدونة في أخبار الأمم، فلما كنت أميا لا تقرأ، ولا تكتب لم يكن هناك موضع للريبة، ولا محل للشك أبدا، بل إنكار من أنكر، وكفر من كفر مجرد عناد، وجحود بلا شبهة، وسماهم مبطلين لأن ارتيابهم على تقدير أنه صلى الله عليه وسلم يقرأ ويكتب ظلم منهم لظهور نزاهته، ووضوح معجزاته بل هو آيات بينات يعني: القرآن في صدور الذين أوتوا العلم يعني: المؤمنين الذين حفظوا القرآن على عهده صلى الله عليه وسلم، وحفظوا بعده، وقال قتادة ومقاتل: إن الضمير يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي: بل محمد آيات بينات، أي: ذو آيات. وقرأ ابن مسعود «بل هي آيات بينات» قال الفراء: معنى هذه القراءة: بل آيات القرآن آيات بينات ... واختار ابن جرير ما قاله قتادة ومقاتل، وقد استدل لما قالاه بقراءة ابن السميقع «بل هذا آيات بينات» ولا دليل في هذه القراءة على ذلك، لأن الإشارة يجوز أن تكون إلى القراءة كما جاز أن تكون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل رجوعها إلى القرآن أظهر لعدم احتياج ذلك إلى التأويل، والتقدير. وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون أي: المجاوزون للحد في الظلم وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه أي: قال المشركون هذا القول، والمعنى: هلا أنزلت عليه آيات كآيات الأنبياء، وذلك كآيات موسى، وناقة صالح، وإحياء المسيح للموتى، ثم أمره الله سبحانه أن يجيب عليهم فقال: قل إنما الآيات عند الله ينزلها على من يشاء من عباده، ولا قدرة لأحد على ذلك وإنما أنا نذير مبين أنذركم كما أمرت، وأبين لكم كما." [٢]

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٠١/٣

(٢) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٢٣٩/٤

"[سورة المدثر (٧٤) : الآيات ٣١ الى ٣٧]

وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر (٣١) كلا والقمر (٣٢) والليل إذ أدبر (٣٣) والصبح إذا أسفر (٣٤) إنها لإحدى الكبر (٣٥)

نذيرا للبشر (٣٦) لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر (٣٧)

لما نزل قوله سبحانه: عليها تسعة عشر قال أبو جهل: أما لمحمد من الأعوان إلا تسعة عشر يخوفكم محمد بتسعة عشر وأنتم الدهم «١» ، أفيعجز كل مائة رجل منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار؟

فقال أبو الأشد، وهو رجل من بني جمح: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة، فأنا أمشي بين أيديكم، فأدفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر ونمضي ندخل الجنة، فأنزل الله: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة يعني: ما جعلنا المدبرين لأمر النار القائمين بعذاب من فيها إلا ملائكة، فمن يطيق الملائكة؟

ومن يغلبهم؟ فكيف تتعاطون أيها الكفار مغالبتهم؟ وقيل: جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المخلوقين من الجن والإنس، فلا يأخذهم ما يأخذ المجالس من الرقة والرأفة، وقيل: لأنهم أقوم خلق الله بحقه والغضب له، وأشدهم بأسا وأقواهم بطشا وما جعلنا عدتهم إلا فتنة أي: ضلالة للذين استقلوا عددهم، ومحنة لهم، والمعنى: ما جعلنا عددهم هذا العدد المذكور في القرآن إلا ضلالة ومحنة لهم، حتى قالوا ما قالوا ليتضاعف عذابهم، ويكثر غضب الله عليهم. وقيل: معنى إلا فتنة إلا عذابا كما في قوله: يوم هم على النار يفتنون «٢» أي: يعذبون، واللام في قوله: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب متعلق بجعلنا، والمراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى لموافقة ما نزل من القرآن بأن عدة خزنة جهنم تسعة عشر لما عندهم.

قاله قتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم، والمعنى: أن الله جعل عدة الخزنة هذه العدة ليحصل اليقين لليهود والنصارى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لموافقة ما في القرآن لما في كتبهم ويزداد الذين آمنوا إيمانا وقيل: المراد الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وقيل: أراد بالذين آمنوا: المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: ليزدادوا يقينا إلى يقينهم لما رأوا من موافقة أهل الكتاب لهم، وجملة: ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون مقررة لما تقدم من الاستيقان وازدياد الإيمان، والمعنى: نفي **الارتياب** عنهم في الدين، أو: في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر، ولا **ارتياب** في الحقيقة من المؤمنين، ولكنه من باب التعريض لغيرهم ممن في قلبه شك وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا المراد بالذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والسورة وإن كانت مكية ولم يكن إذ ذاك نفاق، فهو إخبار بما سيكون في المدينة، أو المراد بالمرض مجرد حصول الشك والريب، وهو كائن في الكفار. قال الحسين بن الفضل: السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق، فالمرض في هذه الآية الخلاف، والمراد بقوله: والكافرون كفار العرب من أهل

---

(١) . «الدهم» : العدد الكثير.

(٢) . الذاريات: ١٣.." [1]

"المسجد فيه أي في هذا المسجد رجال يحبون أن يتطهروا من الأحداث والجنابات والنجاسات، وسائر النجاسات وهم: بنو عامر بن عوف الذين بنوه والله يحب المطهرين (١٠٨) أي يرضى عنهم.

روى ابن خزيمة عن عويمر ابن ساعدة أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء فقال: «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به» «١» ؟ أي الذي تحصلون الطهارة بسببه. قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا.

وفي حديث رواه البزار فقالوا: في جواب سؤاله لهم: نتبع الحجارة بالماء فقال: «هو ذاك فعليكموه»

«٢» . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان أي أبعد ما علم حالهم من أسس بنيان دينه على قاعدة قوية هي الخوف من عقاب الله والرغبة في ثوابه خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار أي أم من أسس بنيان دينه على طرف مسيل متصدع وهو كفر بالله وإضرار بعباد الله فانهار به في نار جهنم أي فسقط المسيل مصاحبا له أي للمؤسس في قعر نار جهنم أي مثل الضلال مثل شفا جرف هار من أودية جهنم فكان قريب السقوط ولكونه على طرف جهنم كان إذا انهار فإنما ينهار في قعر جهنم.

وقرأ نافع وابن عامر «أسس» مبنيا للمفعول، وبنيانه بالرفع نائب الفاعل والله لا يهدي القوم الظالمين (١٠٩) أي لا يغفر للمنافقين ولا ينجيهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم أي لا يزال مسجدهم سبب شك في الدين لأن المنافقين عظم فرحهم ببناء مسجد الضرار فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازداد بغضهم له وازداد ارتيابهم في نبوته، وعظم خوفهم منه في جميع الأوقات، وصاروا مرتابين في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يخلي سبيلهم أو يأمر بقتلهم ونهب أموالهم؟! إلا أن تقطع قلوبهم.

وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة بفتح التاء والطاء المشددة. والباقون بضم التاء مبني للمجهول. وعن ابن كثير بفتح الطاء وسكون القاف على الخطاب وقلوبهم بالنصب أي إلا أن تجعل قلوبهم قطعا بالسيف. وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة ويعقوب «إلى أن تقطع» ، وأبو حيوة كذلك إلا أنه قرأ بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء مشددة على الخطاب للرسول، و «قلوبهم» بالنصب، وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم بالبناء للمجهول وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على الخطاب.

والمعنى أن هذه الريبة باقية في قلوبهم أبدا ويموتون على هذا النفاق، و «إلا» بمعنى إلى بدليل القراءة الشاذة والله عليم بأحوالهم حكيم (١١٠) في

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٩٦/٥

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة، باب: الاستنجاء بالماء، وأحمد في (م ٣/ ص ٤٢٢) .

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة، باب: الاستنجاء بالماء، والدارقطني في (ج ١/ ص ٦٢) .." [١]

"ومنها: إعظام أجور هذه الأمة- من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم- في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم والأحكام: من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين أسراره، وخفي إشاراته بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم، والأجر على قدر المشقة. ومنها: بيان فضل هذه الأمة وشرفه على سائر الأمم من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وتحرير تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، وحفظوه من الطغيان والتطفيف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا ولا تفخيما ولا ترقيقا، حتى ضبطوا مقادير المدات، وتفاوت الإمالات، وميزوا بين الحروف بالصفات، مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم، ولا يوصل إليه إلا بإلهام بارئ النسم. ومنها: ما ذخره الله تعالى من المنقبة العظيمة، والنعمة الجليلة الجسيمة لهذه الأمة، من إسنادها كتاب ربها واتصال هذا السبب الإلهي بسببها، فكل قارئ يوصل حرفه بالنقل إلى أصله، ويرفع ارتياب الملحد قطعا بوصله. ومنها: ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإنه تعالى لم يخل عصرا من الأعصار، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى وإتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوهه وقراءاته، يكون وجوده سببا لوجود هذا السبب القويم على ممر الدهور، وبقاؤه دليلا على بقاء القرآن العظيم في المصحف والصدور» انتهى.

إجمال المباحث المتقدمة في تواتر القراءات وعدمها

قال السيد محمد الطباطبائي- أحد أعلام الإمامية- في كتابه «مفاتيح الأصول» في: باب أدلة الأحكام في القول في الكتاب الكريم. ما مثاله:

اختلفوا في أن القراءات السبع المشهورة، هل هي متواترة، أو لا؟ على أقوال:

الأول: إنها متواترة مطلقا، وإن الكل مما نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين. هو للعلامة ابن المطهر، وابن فهد، والمحقق الثاني في المعالم، والشهيد الثاني في المقاصد العلية، والمحدث الحر العاملي، والمحكي عن الفاضل الجواد، وفي شرح الوافية للسيد صدر الدين، معظم المجتهدين من أصحابنا حكموا بتواتر القراءات السبع. وفي التفسير الكبير للرازي: ذهب إليه الأكثرون.

الثاني: إن القراءات السبع منها ما هو من قبيل الهيئة كالمدة واللين وتخفيف." [٢]

"محمد صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله تعالى، والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب- مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر- كما يعرب عنه قوله تعالى: إن كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم- وإن كانوا في

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٤٦٩/١

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٩٦/١

غاية ما يكون من المكابرة والعناد- هو **الارتياب** في شأنه (وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال، كما أن تنكيره وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفا مشكوك الوقوع) وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز، ونهاية قوتها. وإنما لم يقل: (وإن ارتبتم فيما نزلنا....)

إلخ، لما أشير إليه- فيما سلف- من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه- حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه- والإشعار بأن ذلك- إن وقع- فمن جهتهم لا من جهته العالية. واعتبار استقرارهم فيه، وإحاطته بهم، لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته: لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به، لا قلته ولا كثرته. وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية، مع الإضافة إلى ضمير الجلالة- من التشريف، والتنويه، والتنبيه على اختصاصه به عز وجل، وانقياده لأوامره تعالى- ما لا يخفى. والأمر في قوله تعالى: فأتوا بسورة من باب التعجيز وإلقام الحجر، كما في قوله تعالى: فأت بها من المغرب [البقرة: ٢٥٨] ، أو من باب المجاراة معهم- بحسب حسبانهم- حيث كانوا يقولون: لو نشاء لقلنا مثل هذا. و «السورة» الطائفة من القرآن العظيم المترجمة، وأقلها ثلاث آيات، وواوها أصلية، منقولة من سور البلد- لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة، محوزة. أو محتوية على فنون رائقة من العلوم، احتواء سور المدينة على ما فيها. أو من السورة التي هي الرتبة.

فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتبا- من حيث الفضل والشرف، أو من حيث الطول والقصر- فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف: مراتب يرتقي إليها القارئ شيئا فشيئا. و «من» في قوله تعالى: من مثله بيانية متعلقة بمحذوف صفة لسورة، والضمير «لما نزلنا» أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة، وسمو الطبقة، والنظم الرائق، والبيان البديع، وحيازة سائر نعوت الإعجاز، وقيل «من» زائدة- على ما هو رأي الأخفش- بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله [يونس: ٣٨] بعشر سور مثله [هود: ١٣] .

وقوله تعالى: وادعوا شهداءكم من دون الله إرشاد لهم إلى إنهاض أمة جمة ليحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم، ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما أتى بجملته واحد من أبناء جنسهم. وهذا كقوله." (١)

"إلى صبيحة الأحد، ثم انبعث حيا وتراءى للنسوة اللائي جئن إلى قبره زائرات. وقد استندوا في هذا الزعم إلى شهادة أنا جيلهم الأربع، وشهادة تلاميذه الشفاهية في العالم، ثم أتباعهم وكذا شهادة اليهود بوقوع الصلب على المسيح ذاتيا. ووجه سقوط زعمهم الفاسد المذكور ما بيناه في معنى الآية مما لا يبقى معه أدنى **ارتياب**.

وقد بين علماؤنا بطلان معتقدهم هذا في تآليف وتحارير فانظره في (حواشي تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب) تأليف الشيخ عبد الله بك.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ٥٩]

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (٥٩)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٦٨/١

إن مثل عيسى أي شأنه العجيب في إنشائه بالقدرة من غير أب عند الله أي في تقديره وحكمه كمثل آدم أي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون جملة مفسرة للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما. وحسم لمادة شبه الخصوم، فإن إنكار خلق عيسى عليه السلام بلا أب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير أب وأم، مما لا يكاد يصح- قاله أبو السعود- وقوله خلقه أي صور جسد آدم من تراب ثم قال له كن أي بشرا كاملا روحا وجسدا فإن أمره تعالى يفيد قوة التكون. قال البقاعي: وعبر بصيغة المضارع المقترن بالفاء في فيكون دون الماضي، وإن كان المتبادر إلى الذهن أن المعنى عليه حكاية للحال وتصويرا لها إشارة إلى أنه كان الأمر من غير تخلف، وتنبيها على أن هذا هو الشأن دائما بتجدد مع كل مراد، لا يتخلف عن مراد الآمر أصلا كما تقدم التصريح به في آية. إذا قضى أمرا.

لطيفة:

قال الرازي: الحكماء قالوا: إنما خلق آدم عليه السلام من تراب لوجوه:

الأول- ليكون متواضعا، الثاني- ليكون ستارا، الثالث- ليكون أشد التصاقا بالأرض. وذلك لأنه إنما خلق لخلافة أهل الأرض. قال تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة [البقرة: ٣٠] ، الرابع- أراد الحق إظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي أضوأ الأجرام وابتلاهم بظلمات الضلالة، وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الأجرام ثم أعطاه المحبة والمعرفة والنور والهداية، الخامس- خلق الإنسان من تراب ليكون مطفئا لنار الشهوة والغضب- انتهى ملخصا.." (١)

"كفاك بالعلم في الأمي معجزة

كما أن صفة التكبر لله مادحة، وفي غيره ذامة، كذا في (العناية) .

الخامس- في قوله تعالى: الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل إشارة إلى بشائر الأنبياء عليهم السلام، بنبوته صلى الله عليه وسلم.

قال الماوردي في (إعلام النبوة) في الباب الخامس عشر في بشائر الأنبياء بنبوته عليه الصلاة والسلام:

إن لله تعالى عونا على أوامره، وإغناء عن نواهيه، فكأن أنبياء الله تعالى معانون على تأسيس النبوة، بما تقدمه من بشائره، وتبديه من أعلامها وشعائرها، ليكون السابق مبشرا ونذيرا، واللاحق مصدقا وظهيرا، فتدوم بهم طاعة الخلق، وينتظم بهم استمرار الحق. وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء، بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مما هو حجة على أممهم ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله تعالى على غيبه، ليكون عونا للرسول، وحثا على القبول. فمنهم من عينه باسمه، ومنهم من ذكره بصفته، ومنهم من عزاه إلى قومه، ومنهم من أضافه إلى بلده، ومنهم من خصه بأفعاله، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره. وقد حقق الله تعالى جميعها فيه، حتى صار جليا بعد الاحتمال ويقينا بعد **الارتياب**، ثم سرد الماوردي البشائر من نصوص كتبهم.

وجاء في (إظهار الحق) ما نصه: إن الإخبارات الواقعة في حق محمد صلى الله عليه وسلم، توجد كثيرة إلى الآن أيضا، مع

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢/٣٢٦

وقوع التحريفات في هذه الكتب، ومن عرف أولا طريق إخبار النبي المتقدم، عن النبي المتأخر، على ما عرفت في الأمر الثاني- يعني في كلامه- ثم نظر ثانيا بنظر الإنصاف إلى هذه الإخبارات، وقابلها بالإخبارات التي نقلها الإنجيليون في حق عيسى عليه السلام، جزم بأن الإخبارات المحمدية في غاية القوة.

وجاء في (منية الأذكياء في قصص الأنبياء) ما نصه: إن نبينا عليه الصلاة والسلام قد بشرت به الأنبياء السالفون، وشهدوا بصدق نبوته، ووصفوه وصفا رفع كل احتمال، حيث صرحت باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته. غير أن أهل الكتاب حذفوا اسمه- يعني من نسخهم الأخيرة- إلا أن ذلك لم يجدهم نفعا، لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة وهي أظهر دلالة." (١)

"وثبطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإيمان بالقرآن. وكلتا القراءتين متقاربة المعنى.

وذلك أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله. ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه، وخلاف أمره. وكان من صفة القوم الذين نزلت فيهم الآيات أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله واتباع رسوله. ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه. وقد ضمن الله له نصره عليهم. فكان ذلك معاجزتهم الله. كذا في الشهاب وابن جرير. ثم أشار تعالى إلى تسلية رسوله صلوات الله عليه، عما كان يلاقيه من صد شياطين قومه عن سبيل الله، بأن تلك سنة كل رسول وأن العاقبة له، فقال سبحانه:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٥٢]

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم (٥٢)

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى أي رغب في انتشار دعوته، وسرعة علو شرعته ألقى الشيطان في أمنيته أي بما يصد عنها، ويصرف المدعوين عن إجابتها فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يبطله ويمحقه ثم يحكم الله آياته أي يثبتها فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض [الرعد: ١٧] ، والله عليم يعلم الإلقاءات الشيطانية، وطريق نسخها من وجه وحيه. حكيم يحكم آياته بحكمته. ثم أشار إلى أن من مقتضيات حكمته أنه يجعل الإلقاء الشيطاني فتنة للشاكين المنافقين والقاسية قلوبهم عن قبول الحق، ابتلاء لهم ليزدادوا إثما. ورحمة للمؤمنين ليزدادوا ثباتا واستقامة، فقال تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٥٣]

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣)

ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض أي شك **وارتياب** والقاسية قلوبهم وهم العتاة المتمردون وإن الظالمين

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٩٧/٥

لفي شقاق أي خلاف للحق بعيد عن موافقته جدا، بسبب ظلمهم وشركهم.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحج (٢٢) : آية ٥٤]
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم (٥٤)."
(١)
"يومئذ المستقر
[القيامة: ١١- ١٢] ، ما لكم من الله من عاصم أي من عذابه، من مانع، لتقرر الحجة عليكم ومن يضلل الله أي بزيغه عن صراط ربه فما له من هاد أي من حجة ولا مرشد إلى النجاة.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : آية ٣٤]
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤)
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات أي من قبل مجيء موسى بالحجج البينة والبراهين النيرة، على وجوب عبادته تعالى وحده. كقوله: أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار [يوسف: ٣٩] ، فما زلتم في شك مما جاءكم به أي مع ظهور استقامته الكافية في الدلالة على صحة ما جاءكم به، فلم يزل يقررها حتى إذا هلك أي مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي يقرر حججه. فقطعتم من عند أنفسكم، بعدم إرسال الله الرسول، مع الشك في إرسال من أعطاه البينات، من فرط ضلالكم كذلك يضل الله من هو مسرف أي في التشكيك عند ظهور البراهين القطيعة مرتاب أي شاك مع ظهور لوائح اليقين.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : آية ٣٥]
الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)
الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أي برهان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار أي بطر للحق، لا يقبل الحجة. جبار في المجادلة. ألد فيصدر عنه أمثال ما ذكر، من الإسراف والارتياب والمجادلة في الباطل لطمس بصيرته، فلا يكاد يظهر له الحق.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٥٤/٧

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧)." (١)

"وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا أي قصرا عاليا ظاهرا لكل أحد لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات أي طرقها فأطلع إلى إله موسى أي لأسأله عن إرساله، أو لأقف على كنهه وإني لأظنه كاذبا قال ابن جرير: أي لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدعي، من أن له في السماء ربا أرسله إلينا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل أي سبيل الرشاد لما طبع على قلبه، من كبره وتجبره وإسرافه **وارتيابه** وما كيد فرعون إلا في تباب أي خسار وهلاك، لذهاب نفقته على الصرح سدى، وعدم نيله، مما أراده من الاطلاع، شيئا.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : آية ٣٨]

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨)

وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد أي طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه. ثم أشار إلى تفصيل ما أجمله بقوله:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : آية ٣٩]

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩)

يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي تمتع يسير، لسرعة زوالها وإن الآخرة التي يوصل إليها سبيلي هي دار القرار أي الاستقرار والخلود.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : آية ٤٠]

من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٤٠)

من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي بغير تقدير وموازنة بالعمل. بل أضعافا مضاعفة. قال الزمخشري: قوله: بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير، لئلا يزيد على الاستحقاق. فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب، بل ما شئت من الزيادة والكثرة.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٣٠٩

ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢)." (١)

"الإيمان المعتبر الحقيقي، وهو اليقين الثابت في القلب المستقر الذي لا **ارتياب** معه، لا الذي يكون على سبيل الخطرات، فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت ملكة اليقين قلوبهم على نفوسهم، ونورتها بأنوارها، فتأصلت فيها ملكة القلوب حتى تأثرت بها الجوارح، فلم يمكنها إلا الجري بحكمها، والتسخر لهيأتها، وذلك معنى قوله: وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله بعد نفي **الارتياب** عنهم، لأن بذل المال والنفس في طريق الحق هو مقتضى اليقين الراسخ، وأثره في الظاهر. انتهى.

الثالث- قال في (الكشاف) : فإن قلت: ما معنى (ثم) هاهنا، وهي للتراخي.

وعدم **الارتياب** يجب أن يكون مقارنا للإيمان، لأنه وصف فيه، لما بينت من إفادة الإيمان معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب؟ قلت: الجواب على طريقين:

أحدهما- أن من وجد منه الإيمان ربما اعترضه الشيطان، أو بعض المضلين، بعد ثلج الصدر، فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه. أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك، ثم يستمر على ذلك، راكبا رأسه، لا يطلب له مخرجا.

فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات. ونظيره قوله: ثم استقاموا.

والثاني- أن الإيقان وزوال الريب، لما كان ملاك الإيمان، أفرد بالذكر بعد تقدم الإيمان تنبيها على مكانه. وعطف على الإيمان بكلمة التراخي، إشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا. انتهى.

يعني: أنه إما لنفي الشك عنهم فيما بعد، فدل على أنهم كما لم يرتابوا أولا لم تحدث لهم ريبة، فالتراخي زماني لا رتبي على ما مر في قوله: ثم استقاموا.

أو عطفه عليه عطف جبريل على الملائكة، تنبيها على أصالته في الإيمان، حتى كأنه شيء آخر. فثم دلالة على استمراره قديما وحديثا.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٦]

قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦)

قل أي لهؤلاء الأعراب القائلين بأفواههم آمنا. أتعلمون الله بدينكم أي أتخبرونه بقولكم آمنا، بطاعتكم إياه لتكونوا مع المؤمنين عنده، ولا تبالون بعلمه بما أنتم عليه، من التعليم، بمعنى الإعلام والإخبار، فلذا تعدى." (٢)

"ثالثها- أن هذه الجملة تفيد عظمة حالهم، كما يقال: فلان ناهيك به، وحسبك أنه فلان. إشارة إلى أنه ممدوح فوق حد الفضل. انتهى.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٣١٠/٨

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٥٤٤/٨

ثم قال الرازي: والخطاب بقوله: لك يحتمل أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم. وحينئذ فيه وجه. وهو ما ذكرنا أن ذلك تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم غير محتاجين إلى شيء من الشفاعة وغيرها. فسلام لك يا محمد منهم، فإنهم في سلامة وعافية، لا يهمك أمرهم. أو فسلام لك يا محمد منهم، وكونهم ممن يسلم على محمد صلى الله عليه وسلم دليل العظمة، فإن العظيم لا يسلم عليه إلا عظيم. انتهى.

وأما إن كان من المكذبين أي بآيات الله الضالين أي الجائرين عن سبيله. فنزل من حميم أي ماء انتهى حره. فهو شرابه وتصلية جحيم أي إحراق بالنار إن هذا أي المذكور من أحوال الفرق الثلاثة وعواقبهم لهو حق اليقين أي حقيقة الأمر، وجلية الحال، لا لبس فيه ولا ارتياب. والإضافة إما من إضافة الموصوف إلى الصفة، أي الحق اليقين: كما يقال: دار الآخرة. والدار الآخرة أو بالعكس، أي اليقين الحق. أو من إضافة العام للخاص، أي كعلم الأمر اليقين. فالإضافة حينئذ لامية، أو بمعنى (من) .

تنبيه:

في (الإكليل) : استدل بالآيات هذه على أن الروح بعد مفارقة البدن، منعمة أو معذبة، وعلى أن مقر أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.

فسبح باسم ربك العظيم أي نزهه عما يصفونه به من الأباطيل، وما يتفوهون به من الأضاليل، قولا وعملا.." [١]

"حكما. ألا ترى أنه لو قال: أحلف، ولم يقل: بالله، ولا بغيره، فهو من محال الخلاف في وجوب الكفارة به، وإن كان حلفا لغة باتفاق، لأنه فعل مشتق منه. انتهى.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المنافقون (٦٣) : الآيات ٣ الى ٤]

ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (٣) وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (٤)

ذلك أي ما نعي عليهم من مساوئهم بأنهم آمنوا أي ظاهرا ثم كفروا أي سرا فطبع على قلوبهم أي ختم عليها بما مرنوا عليه من التلون والتذبذب ورسوخ الهيئات المنكرة، فحجبوا عن الحق فهم لا يفقهون أي حقية الإيمان، وحكمة الرسالة والدين وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم أي لتناسب أشكالهم، وحسن مناظرهم وروائهم وإن يقولوا تسمع لقولهم أي للين كلامهم بما يدهنون فيه كأنهم خشب مسندة أي في الخلو عن الفائدة، لأن الخشب إنما تكون مسندة إذا لم تكن في بناء، أو دعامة لشيء آخر.

قال القاشاني: روي عن بعض الحكماء أنه رأى غلاما حسنا وجهه، فاستنطقه لظنه ذكاءه وفطنته، فما وجد عنده معنى، فقال: ما أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن! وهذا معنى قوله: كأنهم خشب مسندة أي أجرام خالية عن الأرواح، لا

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ١٣٥/٩

نفع فيه ولا ثمر، كالأخشاب المسندة إلى الجدران عند الجفاف، وزوال الروح النامية عنها، فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقية، والروح الإنساني، بمثابتها، يحسبون كل صيحة عليهم قال ابن جرير: أي يحسب هؤلاء المنافقون، من خبثهم، وسوء ظنهم، وقلة يقينهم، كل صيحة عليهم، لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمرا يهتك به أستارهم ويفضحهم، ويبيح للمؤمنين قتلهم، وسبي ذراريهم، وأخذ أموالهم فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل فيهم من الله وحي على رسوله، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم.

وقال القاشاني: لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين من نور الفطرة، وصفاء القلب، وهم منغمسون في ظلمات النفوس، محتجبون باللذات والشهوات، أهل الشك، **والارتياب**، فلذلك غلبهم الجبن والخور.

هم العدو فاحذرهم قال القاشاني: فقد بطل استعدادهم، فلا يهتدون بنورك." (١)

"قال القاشاني: لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله، وبما في أيديهم عما في خزائن الله، فيتوهمون الإنفاق منهم، لجهلهم.

ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون أي: من بيده خزائنهما، رازقهم منها، وإن بخل المنافقون.

لطيفة:

قال الشهاب: قوله تعالى: هم الذين يقولون ... إلخ تعليل لرسوخهم في الفسق، لا لعدم المغفرة. لأنه معلل بما قبله. وقوله: على من عند رسول الله الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه، لأنهم منافقون مقرون برسالته ظاهرا، ولا حاجة إلى أنهم قالوه تهكما، أو لغلبة عليه، حتى صار كالعلم، كما قيل. ويحتمل أنهم عبروا بغير هذه العبارة، فغيرها الله إجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم وإكراما. انتهى.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة المنافقون (٦٣) : آية ٨]

يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (٨)

يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون أي: لمكان غرورهم وجهلهم وشدة **ارتيابهم**.

تنبيهان:

الأول-

قال ابن جرير: عني بهذه الآيات كلها- فيما ذكر- عبد الله بن أبي ابن سلول. وذلك أنه قال لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا. وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فسمع بذلك زيد بن أرقم فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عما أخبر به عنه،

---

(١) تفسير القاشمي = محاسن التأويل القاسمي ٩/٢٣٥

فحلف أنه ما قال! وقيل له: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يستغفر لك. فجعل يلوي رأسه ويحركه استهزاء، ويعني بذلك أنه غير فاعل ما أشاروا به عليه، فأنزل الله عز وجل فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها.
ثم أورد ابن جرير الروايات في ذلك. وتقدمه الإمام البخاري، فأسندها من طرق. ويجمعها كلها ما
رواه ابن إسحاق في غزوة بني المصطلق: أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم على ماء لهم يقال له (المريسيع) وأظفره الله بهم. قال: فبينا الناس على ذلك." (١)

"على أن يقوي هؤلاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مائة ألف ملك أقوياء.

وقال الكعبي: المراد من الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين إلى علم الخالق سبحانه. قال: وهذا من المتشابه الذي أمروا بالإيمان به. ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أي رسالة النبي صلوات الله عليه لإنبائه من وعيد الجاحدين المفسدين ما لديهم مصداقه. واللام متعلقة ب جعلنا الثانية.

فإن قيل: كيف يصح جعلهم في نفس الأمر على هذا العدد، معللا باستيقان أهل الكتاب، وازدياد المؤمنين، واستبعاد أهل الشك والنفاق، وليس إيجادهم تسعة عشر سببا لشيء من ذلك، وإنما السبب لما ذكر، هو الإخبار عن عددهم بأنه تسعة عشر؟

والجواب: أن الجعل يطلق على معنيين:

أحدهما- جعل الشيء متصفا بصفة في نفس الأمر.

وثانيهما- الإخبار باتصافه بها، ويقال له: الجعل بالقول. أي وما جعلنا عدتهم بالإخبار عنها إلا عددا يقتضي فتنتهم، لاستيقان أهل الكتاب ... إلخ. أي وقلنا ذلك وأخبرنا به لاستيقان ... إلخ. وعبر عن الإخبار بالجعل، لمشاكلة قوله وما جعلنا أصحاب النار ... إلخ- هذا ما قرره شراح القاضي-.

ويزداد الذين آمنوا إيمانا أي تصديقا إلى تصديقهم بالله ورسوله. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا أي حتى يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر.

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون، والسورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، وإنما نجم بالمدينة؟

قلت: معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة، والكافرون بمكة، ماذا أراد الله بهذا مثلا. وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون، كسائر الإخبارات بالغيوب. وذلك لا يخالف كون السورة مكية. ويجوز أن يراد بالمرض الشك **والارتياب**، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين، وبعضهم قاطعين بالكذب. انتهى.

وقال الرازي: إن قيل: لم سموه مثلا؟." (٢)

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٣٧/٩

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٣٥٧/٩

"(سورة البقرة ٢)

جميعها مدنية بالإجماع، ومنها آية نزلت على ما قيل في حجة الوداع، وروي أنها آخر آي القرآن نزولا وهي (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) (٢٨١) إلخ ومعظمها نزل في أول الهجرة، وهي أطول جميع سور القرآن، فآياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، أو ست، وعليه عد المصاحف المشهورة الآن، ولا حاجة إلى بيان التناسب بينها وبين الفاتحة، وإن كان التناسب ظاهرا، فإنها لم توضع بعدها لأجله، وإنما وضعت في أول القرآن بعد فاتحته (التي كانت فاتحته بما لها من الخصائص التي بيناها في تفسيرها) لأنها أطول سورة وتليها بقية السبع الطوال بتقديم المدني منها على المكي، لا الطولى فالطولى، فإن الأنعام أطول من المائدة وهي بعدها، والأعراف أطول من الأنعام وقد أخرت عنها، وقدمت الأنفال على التوبة وهي أقصر منها، وكلتاهما مدنيتان، وإنما روعي الطول في ترتيب سور القرآن في الجملة لا في كل الأفراد، وروعي التناسب أي ترتيب ذلك، ويراه القارئ في محله من كل منها، ثم مزج المدني بالمكي في سائر السور؛ لأن اختلاف أسلوبهما ومسائلهما أدنى إلى تنشيط القارئ، وأنأى به عن الملل من التلاوة، وهذا من خصائص القرآن.

وقد رأينا أن نستدرك قبل الشروع في تفسيرها ما فاتنا من آخره من تلخيص ما اشتملت عليه من الدعوة إلى الإسلام، وما فيها من العقائد والأحكام، وقواعد الدين وأصول التشريع، فنقول:

(خلاصة سورة البقرة وما فيها من دعوة الإسلام وأحكامه وقواعده)

دعوة الإسلام العامة:

بدأ الله – عز وجل – سورة البقرة بدعوة القرآن، وكونه حقا لا مجال فيه لشك ولا ارتياب، وجعل الناس تجاه هدايته ثلاثة أقسام:

١ – المؤمنون وهم قسمان: الذين يؤمنون بالغيب بمجرد الفطرة ويقيمون ركني الدين: البدني الروحي، والمالي الاجتماعي، والذين يؤمنون به بتأثير إيمانهم بما أنزل من قبله من كتب الرسل، إذ يرونه أكمل منها هداية وأصح رواية، وأقوى دلالة. ثم فصل هذه الأصول للإيمان في آية (ليس البر) (١٧٧) إلخ. وآية (لله ما في السماوات وما في الأرض) (٢٨٤) إلخ. وكذلك الآية ٢٨٥.

٢ – الكافرون الراسخون في الكفر وطاعة الهوى، والذين فقدوا الاستعداد للإيمان والهدى.

_." (١)

"قال الأستاذ الإمام ما معناه: ولضعف العقل أسباب:

منها: ما هو فطري كما هو حال أهل البله والعته، وهو الذي لا يكلف صاحبه ولا يلام.

ومنها: ما يكون من فساد التربية العقلية كما هو حال المقلدين الذين لا يستعملون عقولهم، وإنما يكتفون بما عليه قومهم من الأوهام والخيالات، ويرين على قلوبهم ما يكسبونه من السيئات، وما يكونون عليه من التقاليد والعادات، ولا يعتنون بما أمر الله به من تمزيق هذه الحجب وإزالة هذه السحب، للوقوف على ما وراءها من مخدرات العرفان ونجوم الفرقان وشموس

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٨٨/١

الإيمان، بل يكتفون بما حكى الله عنهم في قوله: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (٤٣: ٢٣) حتى يجيء اليوم الذي يقولون فيه:

(ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل) (٣٣: ٦٧) .

وأقول: إن المرض في أصل اللغة: خروج البدن عن اعتدال مزاجه وصحة أعضائه فيختل به بعض وظائفها وأعمالها، وتعرض الآلام لها، ويطلق مجازا

على اختلال مزاج النفس، وما يخل بكمالها من نفاق وجهل، **وارتياب** وشك، وغير ذلك من فساد الاعتقاد الحق، واضطراب حكم العقل وفساد الخلق، والمرض هنا من النوع الثاني كما تقدم آنفا، وخصه شيخنا بمنافقي اليهود، فقال ما معناه: كان في قلوبهم مرض قبل مجيء النذير وبيان الرشد من الغي عندما كانوا في فترة حظهم من الكتب قراءة ألفاظها، ومن الأعمال إقامة صورها.

(فزادهم الله مرضا) بعد ما جاءهم البرهان المنير ببعثة البشير النذير، ووجدوا منه زعزعة في أنفسهم، ولكن أخذتهم العزة بالإثم فأبوا الإيمان، ونبوا عن القرآن (وزاد تمسكهم بما كانوا عليه واشتد حرصهم عليه) فكان شعاع النور الذي جاء به الرسول عمى في أعينهم، ومرضا على مرضهم.

(ولهم عذاب أليم) أي عذاب مؤلم فوق هذه الأمراض، و " أليم " صيغة فعيل من ألم يألم فهو أليم، وصف به العذاب نفسه.

(بما كانوا يكذبون) (في دعواهم الإيمان بالله واليوم الآخر، فإنهم لم يصدقوا بأعمالهم ما يزعمونه من حالهم) .

أقول: وأما مرض منافقي المدينة من العرب فهو الشك في نبوته – صلى الله عليه وسلم – كما روي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما، وعن الأول: أنه النفاق، وعن بعض تلاميذه: الرياء، وحسبك في زيادة مرضهم قوله تعالى: (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) إلى قوله (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) (٩: ١٢٤ – ١٢٥) .

أقول: قرأ عاصم وحمزة والكسائي (يكذبون) بالتخفيف أي بسبب كذبهم." (١)

"لما بين تعالى في الآية السابقة ما أعده للكافرين الذين قامت عليهم الحجة فجحدوا بها، أراد أن يبين في هذه الآية نصيب مقابل هؤلاء، وهم الذين ظهر لهم الدليل فآمنوا، ولاح لهم نور الهداية فاهتدوا، فالكلام متصل بعضه ببعض. ولذلك عطف الجملة على ما قبلها؛ لأنها متممة لفائدتها، إذ لا بد بعد بيان جزاء الكافرين، من بيان جزاء المؤمنين، والإرشاد ترهيب وترغيب، والخطاب يصح أن يكون للنبي – صلى الله عليه وسلم – خاصة، وأن يكون عاما لكل من يسمع الأمر من أهله، وقالوا: إن الأخير هو المعروف في لسان العرب، والمفهوم عندهم من أمثال هذا الخطاب، كقوله تعالى: (نبئ عبادي) (١٥: ٤٩) وقوله: (واضرب لهم مثلا) (٣٦: ١٣) فهو في عمومه جار مجرى الأمثال، والمخاطب الأول به هو الرسول على كل حال.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١/١٣٠

قال تعالى: (وبشر الذين آمنوا) ولم يذكر بماذا آمنوا؛ لأن متعلق الإيمان كان معروفا عند المخاطبين، وهو الله تعالى وصفاته التي ورد بها النقل الصريح، وأثبتها العقل الصحيح، والوحي ومن جاء به، والبعث والجزاء، فهذه هي الأصول التي كان يدعو إليها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فمن صدقهم فيها كان مؤمنا ويصدق بما يتبع ذلك من التفصيل.

(قال الأستاذ) : ولا بد في تحقيق الإيمان من اليقين، ولا يقين إلا ببرهان قطعي لا يقبل الشك **والارتياب**، ولا بد أن يكون البرهان على الألوهية والنبوة عقليا، وإن كان الإرشاد إليها سمعيا، ولكن (لا ينحصر البرهان العقلي المؤدي إلى اليقين في تلك الأدلة التي وضعها المتكلمون وسبقهم إلى كثير منها الفلاسفة الأقدمون، وقلما تخلص مقدماتها من خلل، أو تصح طرقها من علل، بل قد يبلغ أمي علم اليقين بنظرة صادقة في ذلك الكون الذي بين يديه، أو في نفسه إذا تجلت بغرائبها عليه، وقد رأينا من أولئك الأميين ما لا يلحقه في يقينه آلاف من أولئك المتفننين، الذين أفنوا أوقاتهم في تنقيح المقدمات وبناء البراهين، وهم أسوأ حالا من أدنى المقلدين) .

(وأقول) : كان الأستاذ قد أطلق اشتراط البرهان العقلي هنا كما أطلقه في مواضع أخرى تقدم بعضها والبحث فيه، ثم قيده هنا بما بين به خطأ بعض المتكلمين في اشتراطهم البراهين المنطقية التي سموها قطعية على ما فيها من خلل وعلل، والحق أن اطمئنان القلب بما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غير تردد ولا اضطراب كاف في النجاة في الآخرة، وأن أفضل الأدلة ما أرشد إليه القرآن من النظر في آيات الله تعالى في الأنفس والآفاق، فبداهة العقل فيه كافية عند سليم الفطرة الذي لم يبتل بشكوك الفلاسفة وجدليات المتكلمين ولا بتقليد المبطلين.

هذا وإن إطلاق الإيمان وذكر المؤمنين وما أعد لهم من غير وصله بذكر متعلقاته معهود." (١)

"الكفر، و " والذين في قلوبهم مرض " هم ضعاف الإيمان تثور بهم الشكوك والشبهات تارة فتزلزل اعتقادهم، وتسكن تارة فيكونون كسائر المسلمين، وهل يميز أهل اليقين من الضعفاء إلا الامتحان بمثل هذه الشدائد؟ لم ير المنافقون ومن هم على مقربة منهم من مرضى القلوب علة يعللون بها هذا الإقدام من المؤمنين الصادقين إلا الغرور بالدين، ولعمر الإنصاف إن هذا لأقرب تعليل معقول لأمثالهم المحرومين من كمال الإيمان بالله، والثقة به، والتوكل عليه.

ومن المعلوم مما ورد في " أهل بدر " من آيات هذه السورة، ومن الأحاديث الصحيحة والحسنة أنه لم يكن فيهم أحد من أولئك المنافقين، ولا من الذين في قلوبهم مرض، فإن ضعفاءهم قد محصهم الله بما كان من جدالهم للنبي . صلى الله عليه وسلم .

ومصارحتهم له في كراهة القتال قبل وقوعه، وباقتناعهم بجوابه لهم كما تقدم - ثم أتم تمحيصهم بخوضهم المعركة، فهم من الذين وصفهم المنافقون، والذين في قلوبهم مرض بأنه غرهم دينهم، وهل يعقل أن يقول أحد منهم في المؤمنين: " غرهم دينهم " وهو تبرؤ من عند أنفسهم من أهل هذا الدين؟ فإن صح ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: " هم يومئذ في المسلمين " يكون أراد به أنهم كانوا معدودين في جملتهم لا أنهم كانوا في الغزاة، وإلا كان خطأ مردودا، وابن عباس لم يكن في سنة يوم بدر يميز هذه المسائل بنفسه، والرواية عنه فيها كما علمت آنفا.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٩٢/١

وروي عن مجاهد وابن جريج والشعبي وابن إسحاق ومعمر أن هؤلاء المنافقين كانوا بمكة. قال مجاهد: فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب، وعلي بن أمية، والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على **الارتياب** فحبسهم **ارتيابهم**، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا: غر هؤلاء دينهم، حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، قال ابن كثير بعد نقله: وهكذا قال محمد بن إسحاق بن سيار سواء.

ومن يتوكل على الله أي: يكل إليه أمره مؤمنا إيمان إذعان واطمئنان بأنه هو حسبه وكافيه وناصره ومعينه، وأنه قادر لا يعجزه شيء، عزيز لا يغلبه، ولا يمتنع عليه شيء أراده فإن الله عزيز حكيم أي: فهو تعالى بمقتضى عزته وحكمته عند إيمانهم به، وتوكلهم عليه: يكفيهم ما أهمهم، وينصرهم على أعدائهم، وإن كثر عددهم، وعظم استعدادهم؛ لأنه عزيز غالب على أمره، حكيم يضع كل أمر في موضعه على ما جرى عليه النظام والتقدير في سننه، ومنه نصر الحق على الباطل، بل كثيرا ما تدخل عنايته بالمتوكلين عليه في باب الآيات، وخوارق العادات (كما حصل في غزوة بدر وآيات الله لا نهاية لها) وإن أجمع المحققون على أن

التوكل لا يقتضي ترك الأسباب من العبد، ولا الخروج عن السنن العامة في أفعال الرب، كما سبق تحقيقه مفصلا من قبل.." (١)

"الأشخاص يكون على حسب استعداد أممهم ودرجاتها في الحضارة، وأنه لا يزال يظهر إلى عصرنا هذا (يعني في شخصه) .

فبمثل هذه التأويلات والآراء يدين أهل العقل والعلم في أوربة لا بدين الكنيسة كما يزعم دعاة النصرانية (المبشرون) الكذابون الخداعون ليغشوا عوام المسلمين بعظمة الإفرنج الدنيوية، وبتسميتهم حضارة أوربة مسيحية.

وقد كان للفيلسوف تولستوي الروسي الشهير تأويل للإنجيل قريب مما قلناه في بيان حقيقته بهداية الإسلام، وخلاصته أن إنجيل المسيح الصحيح هو عبارة عن حكمه ومواعظه التي كانت جواهر ألقيت في مزابل من الخرافات والأوهام،

وإنه هو قد عني باستخراجها وتنظيفها مما علق بها، وشبهها بتمثال مكسر ملقى فيها، فعثر هو عليه قطعة بعد أخرى حتى إذا تم وكمل، علم أن عمله حق صحيح، وألف في ذلك كتابا كبيرا سماه الأناجيل، وسمى ما استخلصه منها الإنجيل الصحيح، وقد سبق لنا تلخيص مقدمته التي بين فيها ما حققه في الموضوع (ص١٣١ و٢٢٦ و٢٥٩ م ٦ منار) .

ومما قاله فيها: " إن القارئ لا ينبغي له أن ينسى أن من الخطأ الفاحش والكذب الصراح أن يقال: إن الأناجيل الأربعة هي كتب مقدسة في جميع آياتها " وأيد ذلك بما هو مسلم عندهم من " أن المسيح لم يؤلف كتابا قط كما فعل أفلاطون وغيره من الفلاسفة، وأنه لم يلق تعاليمه مثل سقراط على رجال من أهل العلم والأدب، وإنما عرضها على قوم من الجهال قد خشنت طباعهم كان يصادفهم في طريقه " أي فلم يحفظوها ولم يكتبوها، وفي هذه الأناجيل نصوص صريحة بأنهم لم يكونوا يفهمون كل كلام المسيح ولا سيما أمثاله التي كان يضربها لهم.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٨/١٠

ثم ذكر تولستوي أنه جاء بعده بزهاء مائة عام رجال أدركوا مكانة كلماته فخطر في بالهم أن يدونوها بالكتابة، فكانت مدوناتهم كثيرة، ومنها ما كان محشوا بالخطأ والغلط، وأن الكنيسة اختارت بعد ذلك من ألوف المصنفات ما رأته أقرب إلى الكمال " وأن الغلط في الأناجيل القانونية هو بقدر الغلط في الأناجيل المهملة لاعتبارها محلا للشك **والارتياب**، وأن هذه الأناجيل المتروكة تشتمل أشياء جميلة، قد تعادل ما تضمنته الأناجيل الرسمية " إلخ ومما حققه في هذه المقدمة أن دين المسيح الصحيح أجنبي عن العقيدة العبرانية، وعقيدة الكنائس النصرانية وأن بولس لم يفهم دين المسيح ألبتة.

فهذه نصرانية هذا الفيلسوف الكبير، وتلك عقيدة ذلك العاهل الكبير، وما أتعب الأول في التفكير، والآخر في التأويل، إلا سلطان الدين الفطري

على النفس، ومشاقة." (١)

"يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين

هذه الآيات في بيان شأن آخر من شئون المنافقين التي كشفت سوأتهم فيها غزوة تبوك أخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قال:

يقولون القول فيما بينهم، ثم يقولون عسى ألا يفشى علينا هذا. وأخرجوا إلا الأول منهم عن قتادة قال: كانت هذه السورة تسمى الفاضحة فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المنبئة أنبأت بمثالبهم وعوراتهم.

الجمهور على أن جملة (يحذر) خبر على ظاهرها. وعن الزجاج أنها إنشائية في المعنى أي ليحذروا ذلك. وهو ضعيف، فالحذر كالتعب: الاحتراز والتحفظ مما يخشى ويخاف منه كما يؤخذ من مفردات الراغب وأساس البلاغة (في مادتي ح ذ ر، وح ر ز) ويستعمل في الخوف الذي هو سببه، وقد استشكل هذا الحذر منهم، وهم غير مؤمنين بالوحي، وأجاب أبو مسلم عن هذا الإشكال بأنهم أظهروا الحذر استهزاء، وأجاب الجمهور بما حاصله أن أكثر المنافقين كانوا شاكين مرتابين في الوحي ورسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولم يكونوا موقنين بشيء من الإيمان ولا من الكفر، فهم مذبذبون بين المؤمنين الموقنين والكافرين الجازمين بالكفر، ومنهم من كان شكه قويا، ومن كان شكه ضعيفا. وتقدم شرح حالهم وبيان أصنافهم في أول سورة البقرة فراجع تفسيره وما فيه من بلاغة المثلين اللذين ضربهما الله تعالى لهم. وهذا الحذر والإشفاق أثر طبيعي للشك **والارتياب**، فلو كانوا موقنين بتكذيب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما خطر لهم هذا الخوف على بال. ولو كانوا موقنين بتصديقه لما كان هناك محل لهذا الخوف والحذر؛ لأن قلوبهم مطمئنة بالإيمان.

واختلف المفسرون في ضمير (عليهم) قال بعضهم: هو للمنافقين المذكورين، والمراد بنزوله عليهم نزوله في شأنهم، وبيان كنه حالهم، كقوله تعالى: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٠٦/١٠

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٥٣/١٠

"(٢: ١٠٢) أي: في شأن ملكه. ويقال: كان كذا على عهد الخلفاء أي: في عهدهم وزمنهم. والمراد بإنبائهم بما في قلوبهم لازمه، وهو فضيحتهم وكشف عوارهم وإنذارهم ما قد يترتب عليه من عقابهم، وقال آخرون: هو للمؤمنين، أي: يحذر المنافقون أن ينزل على المؤمنين آية تنبئهم بما في

قلوبهم أي قلوب المنافقين الحذرين من الشك **والارتياب** وتربص الدوائر بهم أي بالمؤمنين، وغير ذلك من الشر الذي يسرونه في أنفسهم، والأضغان التي يخفونها في قلوبهم. قيل: فيه تفكيك للضمائر وأجيب بأن تفكيك الضمائر غير ممنوع، ولا ينافي البلاغة إلا إذا كان المعنى به غير مفهوم.

ولنا في هذا المقام بحثان: (أحدهما) أنه ليس هاهنا تفكيك للضمائر؛ فإنه قد سبق أن المنافقين يحلفون للمؤمنين ليرضوهم، وقد وبخهم الله تعالى على اهتمامهم بإرضاء المؤمنين دون إرضاء الله ورسوله، وهما أحق بالإرضاء، وأوعدهم على ذلك بأنه محادة لله ورسوله يستحقون بها الخلود في النار ثم بين بطريقة الاستئناف سبب حلفهم للمؤمنين، واهتمامهم بإرضائهم بأنهم يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، فتبطل ثقتهم بهم، فأعيد الضمير على المؤمنين؛ لأن سياق الكلام فيهم. (والبحث الآخر) أن إنزال الوحي يعدى بـ " إلى " وبـ " على " إلى الرسول الذي يتلقاه عن الله تعالى – ويعدى بهما إلى قومه المنزل ليتلى عليهم لأجل هدايتهم، وكلا الاستعمالين مكرر في القرآن، قال تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا (٢: ١٣٦) إلخ. وقال: قل آمنا بالله وما أنزل علينا (٣: ٨٤) إلخ. وقال: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم (٧: ٣) وقال: واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (٢: ٢٣١) وقال: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون (٢١: ١٠) ؟ .

قال تعالى لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون استدل أبو مسلم الأصفهاني بهذا الجواب على أن المنافقين أظهروا الحذر مما ذكر استهزاء، ولم يكونوا يحذرون ذلك بالفعل؛ لعدم إيمانهم، ويرده إسناد الحذر إليهم في أول الآية وآخرها، ولو صح هذا لذكر ذلك عنهم بالحكاية فأسند الحذر إلى قولهم، ولم يسنده إليهم، كما أسند إليهم كثيرا من الأقوال في هذه السورة وغيرها،

ومنها قوله تعالى في أوائل سورة البقرة: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون (٢: ١٤) ويؤيد وقوع الحذر منهم قوله تعالى في السورة المضافة إلى اسمهم: يحسبون كل صيحة عليهم (٦٣: ٤) وفي الآية التالية لهذه الآية بيان لضرب آخر من استهزائهم في." (١)

"وفي سيرة الخنساء ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تحرض أبناءها على القتال بشعرها كلما قتل واحد، حتى إذا ما قتل الثالث قالت: الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم. هذا شأن الخنساء في الإسلام، وكانت من أرق النساء قلبا، وأكمدهن حزنا، ورثاؤها لأخويها ملأ أندية الأدب شجوا وشجنا. ونكتة الفرق بين المؤمنين والمنافقين في الوصف المتقابل هنا أن المنافقين لا ولاية بينهم بأخوة تبلغ فضيلة الإيثار، ولا تناصر يبلغ الإقدام على القتال ؛ لأن النفاق شكوك وذبذبة من لوازمهما الجبن والبخل وهما الخلقان المانعان من التناصر، ببذل النفس والمال، بل قصاراه التعاون بالكلام وما لا يشق من

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٥٤/١٠

الأعمال، وإنما تكون ولاية التناصر بالقتال لأصحاب العقائد الثابتة، والملة الراسخة، سواء كانت حقا أو باطلة ؛ ولذلك أثبتها القرآن لليهود

والنصارى بعض كل منهما لبعض وللكفار على الإطلاق، ولم يثبتها للمنافقين الخلص بعضهم مع بعض، بل كذب منافقي المدينة في وعدهم لليهود حلفائهم بنصرهم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين إذا قاتلوهم في قوله: ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون (٥٩: ١١، ١٢) فهذا ما يتعلق بالمقابلة بين المؤمنين والمنافقين في علاقة بعضهم ببعض، وخلاصته: أن المنافقين يشبه بعضهم بعضا في شكهم وارتيابهم ونفاقهم وآثاره من قول وعمل، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض في الولاية العامة من أخوة ومودة وتعاون وتراحم، حتى شبه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جماعتهم بالجسد الواحد، وبالبنيان يشد بعضه بعضا، وولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل، والملة والوطن، وإعلاء كلمة الله عز وجل، وفي آثار ذلك من القول والعمل المضاد لما عليه المنافقون وهو ما يبينه بيانا مستأنفا بقوله: يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كما أن المنافقين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، وهاتان الصفتان من أخص صفات المؤمنين التي يمتازون بها على المنافقين وعلى غيرهم من الكفار، هما سياج حفظ الفضائل، ومنع فشو الرذائل، فراجع مزاياهما في تفسير: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٣: ١٠٤) وقد فضل الله تعالى بهما أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على سائر الأمم في قوله: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (٣: ١١٠) الآية وورد في فرضيتهما وفوائدهما آيات أخرى وأحاديث حكيمة.." (١)

"صدق الله العظيم، فقد ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت، وهداهم بإيمانهم إلى العمل الصالح، ففتحوا البلاد، وأقاموا الحق والعدل في العباد، وأهلك الله المنافقين فلم يكن لهم من أثر صالح في العالمين وهكذا كان وهكذا يكون ولكن المنافقين لا يفقهون ولا يعتبرون وشر النفاق وأضره نفاق العلماء للملوك والأمراء.

(والله لا يهدي القوم الظالمين) أي مضت سنته في ارتباط العقائد والأخلاق بالأعمال بأن الظالم لا يكون مهتديا في أعماله إلى الحق والعدل، فضلا عن الرحمة والفضل، ولا أظلم في الناس من المنافق: كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين (٣: ٨٦) .

(لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) الريبة: اسم من الريب، وهو: ما

تضطرب فيه النفس، ويتردد الوهم ويسوءِ الظن، فيكون صاحبه منه في شك وحيرة إن لم يكن مثاره الشك. قال قوم صالح عليه السلام له، منكرين دعوته إياهم إلى عبادة الله وحده (وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب) (١١:٦٢) ولهذا الاستعمال أمثال في التنزيل، وهو صريح في أن الشك مثار للريب، وموقع فيه لا أنه عينه وقد يفسر به باعتبار لزومه وإيقاعه فيه. قال الشاعر:

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٦٧/١٠

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... وقد رابني منها الغداة سفورها

والظاهر أن ارتيابهم فيه كان منذ بنوه إلى أن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهدمه فهدم، ذلك أنهم لسوء نيتهم في بنائه كانوا يخافون أن يطلع الله ورسوله على مقاصدهم السوأى فيه، وكان ذلك شأن سائر إخوانهم كما تقدم في قوله تعالى: (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) (٩: ٦٤) وذكرنا في تفسيرها قوله تعالى: (يحسبون كل صيحة عليهم) (٦٣: ٤) (راجع ج ١٠) وأجدر بهم أن يكونوا بعد هدمه أشد ارتيابا، وأكثر اضطرابا، بما يحذرون من عقابهم في الدنيا كما أنذرتهم هذه السورة مرارا، وأن يستمر ذلك ملازما لهم (إلا أن تقطع قلوبهم) قرأ ابن عامر وحفص عن نافع وحمزة (تقطع) بفتح وتشديد الطاء من التقطع، وقرأ الباقون بضم التاء من التقطيع، أي إلا أن تقطع الريبة قلوبهم أفلاذا فتقطع بها وتكون جذاذا، وقرأ يعقوب (إلى) بدل (إلا) وفسر ذلك بالموت والهلاك والحسرة والندم المقتضي للتوبة، وقال الزمخشري وتبعه معتادو الأخذ عنه: لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم، ولا يضمحل أثره (إلا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق أجزاء، فحينئذ يسلون." (١)

"(وإذا ما أنزلت سورة) ، كلمة ((ما)) بعد ((إذا)) تفيد التأكيد لمضمون شرطها، يعني وإذا تحقق إنزال الله تعالى على رسوله سورة من القرآن (فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أي فمن المنافقين من يتساءل مع إخوانه للاختبار أو مع من يلقاه من المسلمين كافة للتشكيك، قائلا: أيكم زادته هذه السورة إيمانا؟ أي يقينا بحقية القرآن والإسلام، وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن في كل سورة من القرآن آيات على صدقه - صلى الله عليه وسلم - بما فيها من ضروب الإعجاز العامة الدالة على أنها من عند الله تعالى، وكون محمد - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يأتي بمثلها من تلقاء نفسه، فالسؤال عن الإيمان بأصل الإسلام وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - في تبليغه عن الله عز وجل وهو التصديق الجازم المقترن بإذعان النفس وخضوع الوجدان الذي يستلزم العمل،

لا مجرد اعتقاد صدق الخبر، الذي يقابله اعتقاد كذبه، فإن أشد الناس كفرا أولئك المصدقون الجاحدون الذين قال الله لرسوله فيهم: (فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) (٦: ٣٣) ومثله قوله: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) (٢٧: ١٤) ولا شك أن الإيمان بمعناه الذي قلناه يزيد بنزول القرآن في عهد الرسول وناهيك بمن يحضر نزوله عليه ويسمعه منه، وكذا يزيد بتلاوته وبسماعه من غيره أيضا ثباتا في قلب المؤمن وقوة إذعان، وصدق وجدان، ورغبة في العمل والقرب من الله. قال الله تعالى في جواب هذا السؤال وهو العليم الخبير: (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا) فأثبت تعالى للمؤمن زيادة الإيمان بزيادة نزول القرآن، وهو يشمل الزيادة في حقيقته وصفته من اليقين والإذعان واطمئنان القلب. وفي متعلقه وهو ما في السورة من مسائل العلم، وفي أثره من العمل والتقرب إلى الرب. وإنما يتساءل المنافقون عن الأول وهو الذي يفقدونه، وإنما غيره تابع له. (وهم يستبشرون) أي والحال أنهم يسرون بنزولها وتستدعي زيادة الإيمان في قلوبهم البشرى والارتياح بما يرجون من خير هذه الزيادة بتزكية أنفسهم، وأثر ذلك في أعمالهم في الدنيا والآخرة.

(وأما الذين في قلوبهم مرض) أي شك وارتياب. يدعو إلى النفاق بإسرار الكفر وإظهار الإسلام (فزادتهم رجسا إلى

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٨/١١

رجسهم) أي كفرا ونفاقا مضموما إلى كفرهم ونفاقهم السابق الذي هو أقذر الرجس النفسي وشر أنواعه (وماتوا وهم كافرون) أي واستحوذ ذلك عليهم ورسخ فيهم. فكان مقتضى سنة الله تعالى في تأثير الأعمال في صفات النفس أن من مات منهم مات على كفره. وسيموت من بقي منهم وهم متلبسون بالكفر. وهاك الدليل على ذلك.

(أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين) الاستفهام لتقرير مضمون الحكم عليهم والحجة عليه. وهو داخل على فعل محذوف للعلم به من المقام. والمعنى: أيجهلون." (١)

"مجيب لدعاء من دعاه مؤمنا مخلصا له الدين كما قال في سورة البقرة: - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ٢: ١٨٦ فيراجع تفسيرها المفصل هنالك.

- قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا - أي: قد كنت موضع رجائنا لمهمات أمورنا، لما لك من المكانة في بيتك وفي صفاتك الشخصية من العقل والرأي، قبل هذا الذي تدعونا إليه من تبديل ديننا بما تزعم من بطلانه فانقطع رجاؤنا منك - أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا -؟ الاستفهام للإنكار والتعجب، أي: أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا من قبلنا واستمر فينا لا ينكره ولا يستقبحه أحد؟ فالآباء يشمل الغابرين والحاضرين، ولو قالوا: ما عبد آباؤنا لما أفاد هذا، فلا حاجة إلى القول بأن التعبير بالمضارع حكاية مصورة للحال الماضية في صورة الحاضرة - وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب - أي: وإنا لواقعون في شك مما تدعونا إليه من عبادة الله وحده لا نتوسل إليه بأحد من أوليائه وأحبائه الشفعاء لنا عنده المقربين لنا إليه، ولا بتعظيم ما وضعه آباؤنا لهم من الصور والتماثيل المذكرة بهم، لا ندري مرادك وغرضك منه، فإنه موجب للريب وسوء الظن. قال في المصباح المنير: الريب: الظن والشك، ورابني الشيء يريبني إذا جعلك شاكا، قال أبو زيد: رابني من فلان أمر يريبني ريبا: إذا استيقنت منه الريبة، فإذا أسأت به الظن

ولم تستيقن منه الريبة، قلت: أرابني منه أمر هو فيه إرابة، وأرابني فلان إرابة فهو مريب: إذا بلغك عنه شيء أو توهمته اهـ.

- قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة - تقدم مثل هذا حكاية عن نوح في الآية ٢٨ إلا أنه قال: - رحمة من عنده - أي: أخبروني عن حالي معكم إن كنت على حجة واضحة قطعية من ربي فيما أدعوكم إليه، ووهبني رحمة خاصة منه جعلني بها نبيا مرسلا إليكم - فمن ينصرني من الله إن عصيته - بكتمان الرسالة أو ما يسوءكم من بطلان عبادة أصنامكم وأوثانكم تقليدا لآبائكم؟ أي لا أحد ينصرني من الله ويدفع عني عقابه في هذه الحالة، وإذن لا أبالي بفقد رجائكم في، ولا بما أنتم فيه من شك **وارتياب** في أمري - فما تزيدونني غير تخسير - أي ما تزيدونني بحرصي على رجائكم في واتقاء سوء ظنكم **وارتيابكم**، غير إيقاع في الخسران بإيثار ما عندكم على ما عند الله، واشتراء رضاكم بسخط الله - تعالى -، أو غير إيقاع في الهلاك، قال في مجاز الأساس: وخسره سوء عمله: أهلكه، وفي المصباح المنير: وخسرت فلانا بالتثقيل أبعدته، وخسرته: نسبته إلى الخسران، مثل كذبته بالتثقيل إذا نسبته إلى الكذب، مثله فسقته وفجرته إذا نسبته إلى

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٦٧/١١

هذه الأفعال، وقال الفراء في الجملة: فما تزيدونني غير تضليل وإبعاد من الخير، وقال مجاهد وعطاء الخراساني: ما تزدادون أنتم إلا خسارا. انتهى. . . ولعل مرادهما: ما تزيدونني بقولكم إلا علما بخساركم باستبدال الشرك بالتوحيد.." (١)

"ووضح هذا بضربه المثل لهم وللمؤمنين بقوله فيهما: مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع.

(المسألة الثالثة: الشك والارتياب في دعوة الرسل) :

وصف القرآن الكفار بهذا الجهل في قوله - تعالى - حكاية عن قوم صالح: - أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب - ٦٢ ومثله في قوم موسى الذين اختلفوا في كتابه قال: - وإنهم لفي شك منه مريب - ١١٠ أكد شك قوم موسى في كتابهم بعد إيمانهم، ولكنه قال في قوم محمد قبل إيمانهم - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا - إلى قوله: - إن كنتم صادقين - ٢: ٢٣ إنكم في ريب منه، فكذبهم في دعوى الريب. وفي سائر السور كثير من هذا في الكفار كوصفهم باتباع الظن وبالخرص ونفيه العلم عنهم، فهذه شواهد في وصف حالهم العقلية وردت في سياق قصصهم دالة على مطالبة الإسلام الناس بالعلم وفقه الشرائع وبراهين العقائد، وأنى لهم به والتقليد يصدهم عن النظر العقلي الموصل إليه؟ !

(المسألة الرابعة: التقليد) :

المراد منه اتباع بعض الناس لمن يعظمه أو يثق به أو يحسن به الظن فيما لا يعرف أحق هو أم باطل، وخير هو أم شر، ومصلحة أم مفسدة، وأصل التقليد في اللغة تحلية المرأة بالقلادة، أو الرجل بالسيف، أو الهدي بما يعرف به (وهو بالفتح ما يهديه مريد النسك إلى الحرم من الأنعام) وتقليده: أن يعلق عليه جلدة أو غيرها ليعرف أنه هدي فلا يتعرض له، ومنه تقليد الولايات والمناصب، يقال: قلده السيف أو العمل فتقلده، وقولهم: قلد فلان الإمام الشافعي مثلا. معناه: جعل رأيه وظنه الاجتهادي في الدين قلادة له، والأصل أن يقال: تقلد مذهب الشافعي. وعرف

الفقهاء التقليد بأنه العمل بقول من لا يعرف دليله، وقد نهى الأئمة المعروفون الناس عن تقليدهم في دينهم، وقالوا: لا يجوز لأحد أن يتبع أحدا إلا فيما عرف دليله وظهر له أنه حق، فالعالم مبين للحكم لا شارع له، والتقليد بهذا المعنى شأن الطفل مع والديه والتلميذ مع أستاذه، وهو لا يليق بالراشد المستقل، ولكن المرءوسين مع الرؤساء، والعامة مع الزعماء والأمراء، كالأطفال مع الأمراء المستبدين، وأما تلقي النصوص القطعية والسنن العملية عن ناقليها فهو ليس بتقليدهم، وكذا أخذ الفنون والصناعات عن متقنيها. وأما تشبه الشرقيين بالإفرنج فيما لا باعث عليه إلا تعظيمهم لأنهم أقوى منهم ولا سيما أزياء النساء والعادات فكله من التقليد الضار، الدال على الصغار.

ولما كان الإسلام دين الرشد والاستقلال، أنكر على العقلاء البالغين المكلفين جمود التقليد على ما كان عليه آباؤهم من أمر دينهم ودنياهم، لا لأجل أن يقلدوا آخرين من أهل." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٠٢/١٢

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٨٢/١٢

"التفريط أو التقصير، أكدوا هذه الدعوى بالجملة الاسمية المصدرة بـ ((إن)) وتقديم (له) على خبرها واقترانه باللام، ولولا شعورهم بارتيابه فيهم لما احتاجوا إلى كل هذا التأكيد، (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) أي أرسله معنا غداة غد إذ نخرج كعادتنا إلى مراعينا في الصحراء يرتع معنا ويلعب.

وقرئ في المتواتر أيضا ((نرتع ونلعب)) . بنون الجماعة، وهي مفهومة من قراءة الياء؛ فإن المراد من خروجه معهم مشاركته إياهم في رياضتهم وأنسهم وسرورهم بحرية الأكل واللعب والرتوع، وهو

أكل ما يطيب لهم من الفاكهة والبقول، وأصله رتع الماشية حيث تشاء. قال الزمخشري في الكشاف: (نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرتعة الخصب والسعة، اهـ.

وأما لعب أهل البادية فأكثره السباق والصراع والرمي بالعصي والسهام إن وجدت.

وسيأتي أن لعبهم كان الاستباق بالعدو على الأرجل (وإنا له لحافظون) ما دام معنا نقيه من كل سوء وأذى، أكدوا هذا الوعد كسابقه مبالغة في الكيد.

وفي التفسير المأثور عن ابن عباس – رضي الله عنه –: ((أرسله معنا غدا نرتع ونلعب)) قال: نسعى وننشط ونلهو، وعن ابن زيد: (يرتعي بالياء وكسر العين قال: يرعى غنمه وينظر ويعقل ويعرف ما يعرف الرجل) وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن هارون قال: كان أبو عمرو يقرأ (نرتع ونلعب) بالنون. فقلت لأبي عمرو: كيف يقولون: (نرتع ونلعب) وهم أنبياء؟ قال: لم يكونوا يومئذ أنبياء. قد توسع بعض المفسرين في هذه المسألة وعدوها مشكلة لظنهم أن اللعب غير جائز وقوعه من الأنبياء. والتحقيق أن من اللعب ما هو نافع فهو مباح أو مستحب، ومنه ملاعبة الرجل لزوجه وملاعبتها له كما ورد في الحديث الصحيح، وأن إخوة يوسف لم يكونوا أنبياء يومئذ ولا بعده كما حققناه في محله، وأن من التنطع والغفلة استشكال اللعب المباح في نفسه ممن شهد الله عليهم بالكيد لأخيهم والائتمار بقتله وتعمد إيذائه، وفجيعة أبيهم به وكذبهم عليه وغير ذلك من كبائر المعاصي!

(قال إني ليحزنني أن تذهبوا به) أي قال أبوهم جوابا لهم: إني ليحزنني ذهابكم به بمجرد وقوعه، والحزن ألم النفس من فقد محبوب أو وقوع مكروه، وفعله من باب قفل في لغة قريش، وتعديه تميم بالهمزة واللام في قوله: ليحزنني للابتداء (وأخاف أن يأكله الذئب) والخوف ألم النفس مما يتوقع من مكروه قبل أن يقع (وأنتم عنه غافلون) أي في حال غفلة منكم عنه واشتغال عن مراقبته وحفظه بلعبكم، قيل: لو لم يذكر خوفه هذا لهم لما خطر ببالهم أن يقع، ولعله قاله من باب الاحتياط أو الاعتذار بالظواهر، وإن كان يعلم حسن عاقبته في الباطن، على

أن علمه هذا كان مجملا منهما ومقيدا بالأقدار المجهولة كما أشرنا إليه من قبل.." (١)

"تعتبر عند استيفاء شرطها، أقول: وهو دليل أيضا على أن الكتابة واجبة في القليل والكثير، ولذلك قدم ذكر الصغير الذي يتهاون فيه الناس لعدم مبالاتهم بضياعه، ومن لا يحرص على الصغير والقليل أن يضيع فقلما يتقن حفظ الكبير والكثير، ففي الآية إرشاد إلى عدم التهاون بشيء من الحقوق أن يذهب

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢١٨/١٢

سدى، وهي قاعدة عظيمة من قواعد الاقتصاد، والعمل بها آية الكياسة والعقل، وكم من حريص على الدرهم والدانق يجود بالدنانير والبدر.

ثم قال تعالى: ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا الخطاب للمؤمنين والإشارة إلى جميع ما ذكر من الأحكام لا الواحد منها وتلك سنة القرآن في بيان حكمة الحكم، وعلة الأمر والنهي بعد ذكرهما، وقيل: إن الإشارة للإشهاد وقيل: للكتاب ؛ أي الكتابة؛ لأنه الأقرب في الذكر، وعزاه الأستاذ إلى الجمهور، وقال: إنه من دلائل العمل بالكتابة، ومعنى كونه أقسط عند الله أنه أعدل في حكمه، أي أحرى بإقامة العدل بين العاملين. ومعنى كونه أقوم للشهادة أنه أعون على إقامتها على وجهها، قال الأستاذ الإمام، وفي هذا دليل على أن للشاهد أن يطلب وثيقة العقد المكتوب ليتذكر ما كان على وجهه، وقد يقال: إن كون المشار إليه أقوم للشهادة دليل على أن المراد به الكتابة التي تعين على الشهادة فتكون الإشارة إلى الكتابة حتما ويجاب عنه بأن ما ذكر من أحكام الشهادة مما يعين على إقامتها على وجهها أيضا، وكذلك ما ذكر من أحكام الإملاء، فالمختار عندي أن الإشارة إلى جميع ما ذكر كما تقدم. وقوله: وأدنى ألا ترتابوا معناه وأقرب إلى انتفاء ارتياب بعضكم ببعض، فإن هذا الاحتياط في كتابة الحقوق والإشهاد عليها وتقوى الله والعدل من المتعاملين والكتاب والشهداء يمنع كل ريبة وكل ما يترتب على الارتياب من المفاسد والعداوات والمخاصمات. وقال ابن جرير: المراد انتفاء الريب في الشهادة، وقال غيره: في جنس الدين وقدره وأجله ونحو ذلك، والأول هو ما تبادر إلى فهمنا، ولعله الصواب إن شاء الله. قال الأستاذ الإمام: وهذه مزية ثالثة للكتابة تؤكد القول بالأخذ بها والاعتماد عليها وجعلها مذكرة للشهود والاحتجاج بها إذا استوفيت شروطها.

[١١] إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها قرأ عاصم تجارة بالنصب والباقون بالضم، والإعراب ظاهر على الحالين، والاستثناء من الكتابة وهو المختار، وقيل: الإشهاد، وقيل هما. والمعنى أن ذلك مطلوب واجب إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة، أو إلا أن توجد تجارة

حاضرة تدار بين المتعاملين بالتعاطي بأن يأخذ المشتري المبيع أو البائع الثمن، فلا حرج في ترك كتابتها ولا إثم ؛ إذ لا يترتب عليه شيء من الارتياب الذي يجر إلى التنازع والتخاصم، وما وراء ذلك من المفاسد." (١)

"الله عليه وسلم – ببيان أن لله – تعالى – أن يصطفي من عباده من يشاء لرسالته، وأنه مستقل في أفعاله، فلا وجه لإنكار اصطفائه محمدا، وقد اصطفى قبله آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران، ثم جاء في السياق ذكر قصة عيسى وأمه وما جاء به، وما كان من كفر بعض قومه به ورمي أمه بالزنا، وإيمان بعض، وهناك قسم ثالث لم يكفر بعيسى ولم يؤمن به إيمانا صحيحا بل افتتن به افتتانا لكونه ولد من غير أب، وزعموا أن معنى كونه ولد بكلمة من الله وكونه من روح الله أن الله – تعالى – حل في أمه، وأن كلمة الله تجسدت فيه فصار إلها وإنسانا، فضرب

للكافرين وللمفتونين مثل خلق آدم من تراب، وهو حجة على الفريقين من اليهود والنصارى، ولا شك أن خلق آدم أعجب من خلق عيسى ؛ لأن هذا خلق من حيوان من نوعه وذاك قد خلق من التراب، وفي الكلام إرشاده إلى أن أمر الخليقة

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٠٥/٣

يشبه بعضه بعضا، فكله غريب بالنسبة إلينا إذا تفكرنا في حقيقتها وعللها، ولا شيء منه بغريب عند الموجد المبدع، أما القوانين المعروفة في علم الخليقة فهي قد استخرجت مما نعهده ونشاهده، وليست قوانين عقلية قامت البراهين على استحالة ما عداها، كيف وإننا نرى في كل يوم ما يخالفها كالحيوانات التي لها أعضاء زائدة والتي تولد من غير جنسها، وترون ذكر ذلك في الجرائد ويعبرون عنه بفلتات الطبيعة، وهو إنما خالف ما نعرف لا ما يعلم الله – تعالى –، وما يدرينا أن لكل هذه الشواذ والفلتات سننا مطردة محكمة لم تظهر لنا، وكذلك شأن خلق عيسى، فكونه على غير المعهود ليس مزية تقتضي تفضيله عليهم، فكيف تقتضي أن يكون إلها؟ وإذا كان عيسى قد خلق من بعض جنسه فآدم قد خلق من غير جنسه، فهو أولى بالمزية لو كانت، وبالإنكار إن صح، على أن ما نعرف من أمر الخلقة ليس لنا منه إلا الظاهر، نصفه ونقول به وإن لم نعقله، وماذا نعقل من الرابطة بين الحس والنطق في الإنسان مثلا؟ بل ماذا نعقل من أمر حبة الحنطة في نبتها واستوائها على سوقها وتناسب أوراقها وغير ذلك؟ ذلك الحق من ربك الذي خلق عيسى وغيره وبيده ملكوت كل شيء فلا تكن من الممترين في أمره، القائلين فيه بغير علم، فقد جاءك علم اليقين.

فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل لهم قولا يظهر علمك الحق وارتيابهم الباطل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل يقال: ابتهل الرجل دعا وتضرع، والقوم تلاعنوا، وفسر الابتهال هنا بقوله: فنجعل لعنة الله على الكاذبين وتسمى هذه الآية آية المباهلة، وقد ورد من عدة طرق: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا نصارى نجران للمباهلة فأبوا. أخرج البخاري ومسلم: " أن العاقب والسيد أتيا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأراد أن يلاعنهما، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح أبدا ولا عقبنا من بعدنا. فقال له: نعطيك ما سألت،." (١)

"(والوجه الثاني) أن الآية بيان لسنة إلهية عامة وهو الحق، وبيانه يتوقف على فهم المعنى المراد من لفظ " المؤمنين " ولفظ " الكافرين " وهو ما كان عليه المؤمنون والكافرون في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآيات، فأما أولئك المؤمنون فهم الذين كانوا في مرتبة من اليقين والإذعان قد صدقها العمل الذي كان منه بذل الأنفس والأموال في سبيل الإيمان، الذين عاتبهم الله ووبخهم على تلك الهفوة التي وقعت من بعضهم بما تقدم وما يأتي في هذا السياق من الآيات، وأما أولئك الكافرون فهم الذين دعوا إلى الإيمان، وأقيم لهم على الدعوة الدليل والبرهان، فجحدوا وعاندوا وكابروا الحق، وآثروا مقارعة الداعي ومن استجاب له بالسيف، وقعدوا له ولهم كل مرصد، فإذا نظرنا في شرك هؤلاء الكافرين، وفي حالهم مع أولئك المؤمنين نجد أن شأنهم معهم كشأن من يرى نور الحق مع خصمه فيحمله البغي والعدوان على مجاحدته من غير حجة ولا دليل، يرتاب فيما هو فيه ويتزلزل، فإذا شاهد الذين دعوه ثابتين مطمئنين يعظم ارتيابه ويهاب خصمه حتى يمتلئ قلبه رعبا منهم. هذا هو شأن الكافرين المعاندين مع المؤمنين الصادقين، كأنه – تعالى – يقول: هذه هي الطبيعة في المشركين، إذا قاوموا المؤمنين فلا تخافوهم ولا تبالوا بقول من يدعوكم إلى موالاتهم والالتجاء إليهم.

قال: بهذا يندفع قول من يقول: ما بالنا نجد الرعب كثيرا ما يقع في قلوب المسلمين ولا يقع في قلوب الكافرين؟ فإن الذين

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣/٢٦٤

يسمون أنفسهم مسلمين قد يكونون على غير ما كان عليه أولئك الذين خوطبوا بهذا الوعد من قوة اليقين والإذعان والثبات والصبر، وبذل النفس والمال في سبيل الله وتمني الموت في الدفاع عن الحق، فمعنى المؤمنين غير متحقق فيهم، وإنما رعب المشركين مرتبط بإيمان المؤمنين وما يكون له من الآثار، فحال المسلمين اليوم لا يقوم حجة على القرآن ؛ لأن أكثرهم قد انصرفوا عن الاجتماع على ما جاء به الإسلام من الحق، وما كان عليه سلفهم من الإيمان والصفات والأعمال، فالقرآن باق على وعده؟ ، ولكن هات لنا المؤمنين الذين ينطق إيمانهم على آياته ولك من إنجاز وعده في هذه الآية وغيرها ما تشاء. وتلا قوله – تعالى –: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم [٢٤: ٥٥] الآية. قال: وعلى هذا يكون الإشراك سببا للرعب كسائر الأسباب العادية التي ربط الله بها المسببات كالشرب للري والأكل للشبع، فمن وصل إليه الحق تزلزل الباطل في

نفسه لا محالة.

أقول: ومن تمام التشبيه أن تكون بعض الوقائع التي لا يقع فيها الرعب في قلوب المشركين، كالوقائع التي يشرب فيها المرء ولا يروى لعارض مرضي، فسنن الاجتماع كسنن الأجسام الطبيعية لها عوارض وشروط وموانع.." (١)

"أم غيره! فبعض المختلفين في أمره الشاكين فيه يقول: إنه هو، وبعضهم يقول: إنه غيره، وما لأحد منهما علم يقيني بذلك، وإنما يتبعون الظن.

وقوله تعالى: إلا اتباع الظن استثناء منقطع كما علم من تفسيرنا له. وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى، أن المسيح قال لتلاميذه: (كلكم تشكون، في، في هذه الليلة) أي التي يطلب فيها للقتل (متى ٢٦: ٣١ ومرقس ١٤: ٢٧) .

فإذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة بأنه أخبر أن تلاميذه وأعرف الناس به يشكون فيه في ذلك الوقت، وخبره صادق قطعا، فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك من دونهم في أمره، وقد صارت قصته رواية تاريخية منقطعة الإسناد؟ !

وما قتلوه يقينا أي وما قتلوا عيسى ابن مريم قتلا يقينا، أو متيقنين أنه هو بعينه ؛ لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة، وهذه الأناجيل المعتمدة، عند النصارى، تصرح بأن الذي أسلمه إلى الجند هو يهوذا الإسخريوطي، وأنه جعل لهم علامة: أن من قبله يكون هو يسوع المسيح، فلما قبله قبضوا عليه. وأما إنجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الإسخريوطي نفسه ظنا أنه المسيح ؛ لأنه ألقي عليه شبهه. فالذي لا خلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية. وقيل: إن الضمير في قوله تعالى: وما قتلوه يقينا للعلم الذي نفاه عنهم، والمعنى: ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن، وما قتلوا العلم يقينا وتثبيتا به. بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون بها، يقال: قتلت الشيء علما وخبرا، كما في الأساس، إذا أحطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا

ارتياب.

وروي عن ابن عباس أنه راجع إلى الظن الذي يتبعونه قال: (لم يقتلوا ظنهم يقينا) رواه ابن جرير ؛ أي أنهم يتبعون ظنا غير ممحص، ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل إلى العلم، وقد اختلفت رواية المفسرين بالمأثور في هذه المسألة ؛ لأن

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٤٧/٤

عمدتهم فيها النقل عمن أسلم من اليهود والنصارى، وهؤلاء كانوا مختلفين ما لهم به من علم يقيني. ولكن الروايات عنهم تشتمل على نحو ما عند النصارى من مقدمات القصة ؛ كجمع المسيح لحوارييه (أو تلاميذه) وخدمته إياهم، وغسله لأرجلهم، وقوله لبعضهم: إنه ينكره قبل صياح الديك ثلاث مرات. ومن بيعه بدلالة أعدائه عليه، في مقابلة مال قليل، وكون الدلالة عليه كانت بتقبيل الدال عليه.

ولكن بعضهم قال: إن شبهه ألقي على من دلهم عليه، وبعضهم قال: بل ألقي شبهه على جميع من كانوا معه، وروى ابن جرير القولين عن وهب بن منبه، والحاصل أن جميع روايات المسلمين متفقة على أن عيسى، عليه السلام، نجا من أيدي مريدي قتله، فقتلوا آخر ظانين أنه هو.

وأما قوله، تعالى: بل رفعه الله إليه فقد سبق نظيره في سورة آل عمران." (١)

"وهو مشروع أيضا، ومما ورد في السنة في ذلك ما رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وصححه وابن ماجه بسند رجاله ثقات وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححوه عن جابر مرفوعا: " لا يحلف أحد عند منبري كاذبا إلا تبوأ مقعده من النار " وعن أبي هريرة حديث بمعناه عند أحمد وابن ماجه، وروى النسائي بإسناد رجاله ثقات عن أبي أمامة بن ثعلبة رفعه: " من حلف عند منبري هذا بيمين كاذبة يستحل بها مال امرئ مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا " واستدل بالآية وبهذه الأحاديث جماهير الفقهاء على جواز التغليظ على الحالف بمكان معين ثبتت حرمته شرعا كالمسجد الحرام، وخاصة ما بين الركن ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والمسجد النبوي وخاصة ما كان منه عند منبره صلى الله عليه وسلم، وبالزمان كيوم الجمعة وبعد صلاة العصر، وقال بعضهم ومنهم الحنفية إن ما ذكر من النصوص لا يدل على ذلك، ولعله لا ينكر أحد التغليظ بما ورد فيها، وإنما الخلاف في القياس عليها أو الأخذ بفحواها.

وقال الرازي في تفسير الآية: قال الشافعي رحمه الله: الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم في الزمان والمكان فيحلف بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر، وفي بيت المقدس عند الصخرة. وفي سائر البلدان في أشرف المساجد، وقال أبو حنيفة رحمه الله: يحلف من غير أن يختص الحلف بزمان ومكان وهذا على خلاف الآية، ولأن المقصود منه التهويل والتعظيم ولا شك أن الذي قاله الشافعي رضي الله عنه أقوى اهـ.

هذه العبارة تشهد على نفسها بالتعصب فلا يقال إن أبا حنيفة خالف الآية إلا إذا أجاز ترك العمل بمنطوقها في هذا الموضوع نفسه.

(٧) التغليظ على الحالف بصيغة اليمين بأن يقول فيه ما يرجى أن يكون رادعا للحالف عن الكذب كالألفاظ التي وردت في الآية، وأشد منها ما ورد في شهادة اللعان، وقد جرى على هذا أصحاب الجمعيات السياسية في الإسلام وغيره، فاخترعوا أيمانا وأقساما قد يتحامى أفسق الناس وأجرؤهم على الإجرام أن يحنث بها وقد

بينا ما يجب البر به وما يجب الحنث به من الأيمان وسائر مهمات أحكامها في تفسير آية كفارتها من هذه السورة.

(٨) أن الأصل في أخبار الناس وشهاداتهم التي هي أخبار مؤكدة صادرة عن علم صحيح أن تكون مقبولة مصدقة؛ ولهذا

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٧/٦

شرط في حكم تحليف الشاهدين الارتياب في خبرهما. وصدر هذا الشرط بأن التي لا تدل على تحقق الوقوع؛ إشارة إلى أن الأصل في وقوعها أن يكون شاذا.." (١)

"وقال: إن والده أخذ هذا الرجل مرة وطاف في ضواحي البلد مدة طويلة انتهوا في آخرها إلى المقبرة التي دفن فيها أجدادهم فزاروا قبورهم واستراحوا هنالك وشكوا ما عرض لهم من الجوع بطول المشي، فأظهر والد محدثي للشيخ الغريب أنه يمكنهم أن يستضيفوا أجداده السادة الكرام، ثم نادى أحدهم واستجداه ودس

يده في تراب قبره فأخرج منه صحفة فيها عدة مكرشات (كروش غنم مطبوخة وهي محشوة بالرز واللحم والصنوبر) فأكلوا منها فإذا هي حارة، وقد استطابها الرجل الغريب جدا حتى توهم أنها ليست من طعام الدنيا، ولا أذكر أكان اختيار هذه الأكلة وإخراجها باقتراح الرجل نفسه أم باقتراح غيره وإنما أظن ظنا قويا أنها اقترحت.

قال محدثي: وسر هذه المسألة أن والدي أمر قبل خروجه بأن تطبخ عندنا هذه المكرشات ويأخذها أحد الخدم أو المريين (الشك مني) فيدفنها في ذلك القبر في صحفة مغطاة بحيث تبقى سخنة ولا يصيبها تراب، وإنما فعل ذلك لاختبار الرجل وحمله إياه على مكاشفته بحقيقة ما يعمله من الغرائب في مقابلة إخباره إياه بسر هذه المسألة، ولا أتذكر ما كان من أمرهما بعد ذلك فإنني سمعت هذه القصة في أوائل العهد بطلب العلم.

فأمثال هذه الوقائع التي يعهدها الناس في كل زمان ويعلمون أن منها ما هو حيل أو صناعة تتلقى بالتعليم والتمرين هي التي حملت بعض الناس على الشك والارتياب في آيات الأنبياء، وبعضهم على تسميتها سحرا مبينا، وبعضهم على التثبت فيها للتفرقة بين الحق والباطل، وهو ما طلبه الحواريون لأجل تحصيل العلم اليقيني الذي تطمئن به قلوبهم وتقوم به حجتهم على غيرهم، على ما اخترناه مع الجمهور من صحة إيمانهم قبل طلب المائدة، أو لأجل تحصيل اليقين في الإيمان بعد التسليم في الظاهر كما اختار الزمخشري وغيره؛ ولهذه الحكمة جعل الله تعالى الآية الكبرى لرسالة خاتم رسله صلى الله عليه وسلم علمية حتى لا يبقى مجال لارتياب أحد من طلاب الحق المخلصين فيها، وهي إتيان رجل أمي عاش بين الأميين إلى سن الكهولة بكتاب فيه أعلى العلوم الإلهية والأدبية والاجتماعية والشرعية وأخبار الأمم والأنبياء السابقين الذين لم يقرأ هو ولا قومه عنهم شيئا، وغير ذلك من أخبار الغيب التي ظهر صدقها في زمنه وبعد زمنه ببلاغة عجز البلغاء عن مثلها، وأسلوب أشد إعجابا كما تقدم شرحه في تفسير سورة البقرة.

وأما قوله عليه السلام: (وارزقنا وأنت خير الرازقين) فمعناه وارزقنا منها أو من غيرها مما تتغذى به أجسامنا أيضا، وأنت خير الرازقين ترزق من تشاء بحساب وترزق من تشاء بغير حساب. ومن محاسنه أنه أخر فائدة المائدة المادية عن ذكر فائدتها الدينية." (٢)

"الرسول رسولا. وذكروا أن منه رسل أصحاب القرية في أوائل سورة " يس " (٣٦: ١٣ - ٢٠) وذكر ابن جرير أن المسألة خلافية، وروي أن الضحاك سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل أن يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فقال

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٩٠/٧

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢١٣/٧

للسائل: ألم تسمع إلى قول الله: (يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) فقالوا: بلى؟ وذكر أن الذين يقولون بقول الضحاك يردون التأويل السابق بأنه خلاف المتبادر من اللفظ، ولو صدق في رسل الجن لصدق في رسل الإنس لعدم الفرق. وذكر غيره أن الضحاك استدل على ذلك بقوله تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (٣٥: ٢٤) ومثله قوله: (ولكل أمة رسول) (١٠: ٤٧) وقوله: (ولقد بعثنا في
كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (١٦: ٣٦) مع ضميمة إطلاق لفظ الأمة على جميع أنواع الأحياء لقوله تعالى: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) (٦: ٣٨) وتقدم في تفسيره أن بعض الصوفية قال بتكليف الحيوانات واستدلوا بآية (٣٥: ٢٤) وأن الشعراني ذكر في الجواهر أنه يجوز أن يكون نذرها منها وأن يكونوا من غيرها، واستدل أيضا بقوله تعالى: (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) (٦: ٩) أي بناء على استئناس الجنس بالجنس وفهمه عنه، وقد يرد هذا بأنه ثبت في القرآن أن الجن يفهمون من رسل الإنس. وجملة القول في الخلاف أنه ليس في المسألة نص قطعي، والظواهر التي استدل بها الجمهور يحتمل أن تكون خاصة برسل الإنس لأن الكلام معهم، وليست أقوى من ظاهر الآيات التي استدل بها على كون الرسل من الفريقين والجن عالم غيبي لا نعرف عنه إلا ما ورد به النص، وقد دل القرآن - وكذا الحديث الصحيح - على رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم إليهم، وحكى تعالى عن الذين استمعوا القرآن منهم أنهم قالوا: (إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) (٤٦: ٣٠) فظاهره أنه كان مرسلا إليهم. فنحن نؤمن بما ورد ونفوض الأمر فيما عدا ذلك إلى الله تعالى، ثم إنه تعالى وصف الرسل الذين أرسلهم إلى الفريقين منهم بقوله: (يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي يتلون عليكم آياتي التي أنزلتها عليكم المبينة لأصول الإيمان، ومكارم الأخلاق وحسنات الأعمال التي يترتب عليها صلاح الأحوال وسلامة المآل وينذرونكم لقاء يومكم هذا بإعلامكم ما يقع فيه من الحساب والعقاب على من كفر عن جحود أو **ارتياب**.

(قالوا شهدنا على أنفسنا) هذا ما حكاه تعالى من جوابهم عن السؤال عندما يؤذن لهم في مواقف القيامة بالكلام، وثم مواقف أخرى لا ينطقون فيها ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ومواقف يكذبون فيها على أنفسهم بما ينكرون من كفرهم وأعمالهم، وتقدم شيء." (١)

"ولا مانع من جعله استفهاما حقيقيا إذ سألوهم عن العلم بأنه مرسل **لارتيابهم** في اتباعهم إياه عن علم برهاني، وتجويزهم أن يكون عن استحسان ما وتفضيل له عليهم. واختيار لرياسته على رياستهم.

(قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون) أي إنا بما أرسل به دون ما يخالفه من الشرك والفساد مصدقون بأنه جاء به من عند الله تعالى ومذعنون له بالفعل. فإن الإيمان هو التصديق الذي يجزم به العقل. ويطمئن به القلب. وتخضع له الإرادة، وتعمل بهديه الجوارح، وكان مقتضى مطابقة الجواب للسؤال أن يقولوا نعم، أو نعلم أنه مرسل من ربه، أو إنا برسالته عالمون، ولكنهم أجابوا بما يستلزم هذا المعنى ويزيد عليه، وهو أنهم علموا بذلك علما يقينيا إذعانيا له السلطان على عقولهم وقلوبهم، إذ آمنوا به إيمانا صادقا كاملا صار صفة من صفاتهم الراسخة التي تصدر عنها أعمالهم، وما كل من يعلم شيئا يصل علمه

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩٣/٨

إلى هذه الدرجة. بل من الناس من يعلم الشيء بالبرهان وهو ينفر منه بالوجدان. فيجحده ويحاربه وهو موقن به. استكبارا عنه أو حسدا لأهله (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) (٢٧: ١٤) .

(قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) ولم يقولوا إنا بما أرسل به كافرون لأنه يتضمن إثبات أصل الرسالة له، ولو قالوه لكان شهادة منهم على أنفسهم بأنهم جاحدون للحق على علم لمحض الاستكبار.

(فعقروا الناقة) أصل العقر الجرح، وعقر الإبل قطع قوائمها، وكانوا يعقرون البعير قبل نحره ليموت في مكانه ولا يند، ثم صار يستعمل بمعنى النحر، وهو طعنه في المكان المعروف من حلقه بالمنحر. أسند العقر إلى هؤلاء المستكبرين الكافرين، وقيل: إلى جميع الكفار من القبيلة – والمتعاطي له

واحد منهم – لأنه بتواطئهم ورضاهم كما قال في آية القمر: (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) (٥٤: ٢٩) وفي حديث البخاري مرفوعا " فانتدب لها رجل ذو عز ومنعة في قومه كأبي زمعة " ومثل هذا من أعمال الأمم ينسب إليها في جملتها، كما أنها تعاقب عليه في جملتها، ولو بقي الصالحون فيها لأصابهم العذاب (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) (٨: ٢٥) وقد روي عن قتادة أن عاقر الناقة قال: لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون: أترضين؟ فتقول: نعم، وعلى الصبي. . . حتى رضوا أجمعين فعقروها.

(وعتوا عن أمر ربهم) أي تمردوا مستكبرين عن امتثال أمر ربهم، ضمن العتو معنى الاستكبار، والعتو في اللغة: التمرد والامتناع، ويكون عن ضعف وعجز ومنه عتا الشيخ وبلغ من الكبر عتيا: إذا أسن فامتنع من المواتاة على ما يراد منه – وعن قوة وعتو كوصف الريح." (١)

"(٨ فأجاب يسوع: لا يأتي بعده أنبياء صادقون مرسلون من الله ٩ ولكن يأتي عدد غفير من الأنبياء الكذبة وهو ما يحزنني ١٠ ؛ لأن الشيطان سيثيرهم بحكم الله العادل فيتسترون بدعوى إنجيلي.

(١١ أجاب هيدروس: كيف أن مجيء هؤلاء الكافرين يكون بحكم الله العادل؟ .

(١٢ أجاب يسوع: من العدل أن من لا يؤمن بالحق لخلاصه يؤمن بالكذب للعنته ١٣ لذلك أقول لكم: إن العالم كان يمتهن الأنبياء الصادقين دائما وأحب الكاذبين كما يشاهد في أيام ميشع وأرميا ؛ لأن الشبيه يحب شبيهه) .

(١٣ فقال الكاهن حينئذ: ماذا يسمى مسيا؟ وما هي العلامة التي تعلن مجيئه ١٤ أجاب يسوع: إن اسم مسيا عجيب ؛ لأن الله نفسه سماه لما خلق نفسه ووضعها في بهاء سماوي ١٥ قال الله: اصبر يا محمد ؛ لأني لأجلك أريد أن أخلق الجنة والعالم وجما غفيرا من الخلائق التي أهبها لك، حتى إن من يباركك يكون مباركا، ومن يلعنك يكون ملعونا ١٦ ومتى أرسلتك إلى العالم أجعلك رسولي للخلاص وتكون كلمتك صادقة، حتى إن السماء والأرض تهنان، ولكن إيمانك لا يهن أبدا ١٧ إن اسمه المبارك محمد.

(١٨ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم!) اهـ.

وأما البشارة التي نقلها الشيخ رحمه الله في إظهار الحق فهي من الفصل العشرين بعد المائتين، وليس بعده غير فصلين من

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤٤٩/٨

هذا الإنجيل، وترجمتها قريبة من الترجمة الأخيرة للإنجيل كله.

تنبيه

لقد كان من مواضع **ارتياب** الباحثين من علماء أوربة في هذا الإنجيل ذكره لخاتم النبيين . صلى الله عليه وسلم . باسمه العلم عند المسلمين (محمد) وقد ذهب بعضهم إلى أن بعض

المسلمين قد دسوا فيه ذلك، وقوى شبهتهم ما وجد من التعليقات العربية على حواشي النسخة الطليانية الموجودة منه إلى هذا العهد.

وقد فندنا هذه الشبهة في مقدمتنا لطبعة هذا الإنجيل العربية بما بيناه من استحالة صدور هذه الحواشي عن مسلم، فإنها على فساد لغتها وعجمتها مخالفة لما يعرفه كل مسلم عربيا كان أو عجميا ؛ لأنه من أذكار الدين ككلمة سبحان الله فهي تذكر في هذه الحواشي بتقديم المضاف." (١)

"لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، والإنذار إنما يناط بالإعلام بالساعة وأهوالها، والنار وسلاسلها وأغلالها، ولا تتم الفائدة منه إلا بإبهام وقتها ؛ ليخشى أهل كل زمن إتيانها فيه، والإعلام بوقت إتيانها وتحديد تاريخها ينافي هذه الفائدة بل فيه مفاسد أخرى، فلو قال الرسول للناس: إن الساعة تأتي بعد ألفي سنة من يومنا هذا، مثلا – وألفا سنة في تاريخ العالم وآلاف السنين تعد أجلا قريبا – لرأى المكذبين يستهزئون بهذا الخبر، ويلحون في تكذيبه، والمرتابين يزدادون **ارتيابا**، حتى إذا ما قرب الأجل وقع المؤمنون في رعب عظيم ينغص عليهم حياتهم، ويوقع الشلل في أعضائهم، والتشنج في أعصابهم، حتى لا يستطيعون عملا ولا يسيغون طعاما ولا شرابا، ومنهم من يخرج من ماله وما يملكه، من حيث يكون الكافرون آمنين، يسخرون من المؤمنين، وقد وقع في أوربة أن أخبر بعض رجال الكنيسة الذين كان يقلدهم الجمهور بأن القيامة تقوم في سنة كذا، فهلعت القلوب، واختلت الأعمال، وأهمل أمر العيال، ووقف المصدقون ما يملكون على الكنائس والأديار، ولم تهدأ الأنفس، ويثب إليها رشدها إلا بعد ظهور كذب النبأ بمجيء أجله دون وقوعه، فالحكمة البالغة إذا في إبهام أمر الساعة العامة للعالم، وكذا الساعة الخاصة بأفراد الناس، أو بالأمم والأجيال، وجعلها من الغيب الذي استأثر الله تعالى به، على ما سنذكر في إيضاحه، فلذلك قال بعد حصر أمرها في علمه:.

لا يجليها لوقتها إلا هو هذا جواب عن طلب معرفة الوقت الذي يكون إرساؤها فيه، يقال: جلا لي الأمر وانجلى، وجلاه فلان تجلية بمعنى: كشفه وأظهره أتم الإظهار. واللام الداخلة على وقتها تسمى لام التوقيت كقولهم: وكتب هذا الكتاب لغرة المحرم أو لعشر مضين أو بقين من صفر. والمعنى: لا يكشف حجاب الخفاء عنها، ولا يظهرها في وقتها المحدود عند الرب تعالى إلا هو، فلا

وساطة بينه وبين عباده في إظهارها، ولا الإعلام بميقاتها، وإنما وساطة الرسل عليهم السلام في الإنذار بها.

وقفى على هذا الإيئاس من علم أمرها، والإنباء بوقت وقوعها بقوله في تعظيم شأنها وسر إخفاء وقتها: ثقلت في السماوات والأرض أي: ثقل وقعها وعظم أمرها في السماوات والأرض على أهلها من الملائكة والإنس والجن ؛ لأن الله تعالى نبأهم

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٥٢/٩

بأهوالها، ولم يشعرهم بميقاتها، فهم يتوقعون أمرا عظيما لا يدرون متى يفجؤهم وقوعه.

روي عن قتادة في تفسير الجملة أنه قال: ثقل علمها على أهل السماوات والأرض أنهم لا يعلمون. وقال السدي: خفيت في السماوات والأرض فلا يعلم قيامها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فهذان القولان تفسير لثقلها بفقد العلم بها، فإن المجهول ثقيل على النفس، ولا سيما إذا كان عظيما، وروي عن ابن معمر وابن جريج أن ثقلها يكون يوم مجيئها إذا الشمس كورت." (١)

"(لا ريب فيه) الريب والريبة: الشك، وحقيقته قلق النفس واضطرابها، سمى به الشك لأنه يقلق النفس ويزيل منها الطمأنينة،

وقد جاء في الحديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الشك ريبة والصدق طمأنينة» .

والمعنى- إن هذا الكتاب لا يعتريه ريب فى كونه من عند الله، ولا فى هدايته وإرشاده، ولا فى أسلوبه وبلاغته، فلا يستطيع أحد أن يأتى بكلام يقرب منه بلاغة وفصاحة- وإلى هذا أشار بقوله: (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) .

وارتياب كثير من الناس فيه، إنما نشأ عن جهل بحقيقته، أو عن عمى بصيرتهم، أو عن التعنت عنادا واستكبارا واتباعا للهوى أو تقليدا لسواهم.

(هدى للمتقين) الهدى بالنظر إلى المتقين: هو الدلالة على الصراط المستقيم مع المعونة والتوفيق للعمل بأحكامه، إذ هم قد اقتبسوا من أنواره وجنوا من ثماره، وهو لغيرهم هدى ودلالة على الخير وإن لم يأخذوا بهديه وينتفعوا بإرشاده.

وكون بعض الناس لم يهتدوا بهديه لا يخرجه عن كونه هدى، فالشمس شمس وإن لم يرها الأعمى، والعسل عسل وإن لم يجد طعمه ذو المرة.

والمتقين: واحدهم متق، من الاتقاء وهو الحجز بين الشيئين، ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه ومن يقصده، فكأن المتقى يجعل امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه- حاجزا بينه وبين العقاب الإلهى.

والعقاب الذي يتقى ضربان: دنيوى وأخروى وكل منهما يتقى باتقاء أسبابه.

فعقاب الدنيا يستعان على اتقائه بالعلم بسنن الله فى الخليقة، وعدم مخالفة النظم التي وضعها فى الكون، فاتقاء الفشل والخذلان فى القتال مثلا يتوقف على معرفة نظم الحرب وفنونها وآلاتها كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) كما يتوقف على القوة المعنوية من اجتماع الكلمة واتحاد الأمة، والصبر والثبات والتوكل على الله واحتساب الأجر عنده.." (٢)

"والمشاهد أن الإنسان إذا هم بعمل وناجى نفسه، وجد كأن في قلبه خصمين مختصمين، أحدهما يميل به إلى اللذة ويسير به في طريق الضلال والغواية، وثانيهما يأمره بالسير في الطريق القويم وينهاه عن اتباع النفس والهوى، ولقد جاء في

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩/٣٩٠

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١/٤٠

كلامهم عن المتردد «فلان يشاور نفسيه» .

ولا يترجح عنده جانب الشر إلا إذا خدع نفسه وصرفها عن الحق، وزين لها اتباع الباطل، وإنما يكون ذلك بعد مشاورة ومذاكرة تجول في الخاطر وتهجس فى النفس، ربما لا يلتفت إليها الإنسان ولا يشعر بما يجول بين جنبيه.

(في قلوبهم مرض) القلوب هنا العقول، وهو تعبير معروف عند العرب، كأنهم لاحظوا أن القلب يظهر فيه أثر الوجدان الذي هو السائق إلى الأعمال كاضطرا به حين الخوف أو اشتداد الفرح.

ومرضها ما يطرأ عليها مما يضعف إدراكها وتعقلها لفهم الدين ومعرفة أسراره وحكمه، وفقدان هذا الإدراك هو الذي عبر عنه القرآن بقوله: (لهم قلوب لا يفقهون بها) .

ومن أسباب ذلك الجهل والنفاق والشك **والارتياب** والحسد والضغينة إلى غير ذلك مما يفسد الاعتقاد والأخلاق ويجعل أحكام العقل في اضطراب.

وقد وجد هذا المرض عند هؤلاء المنافقين حين كانوا في فترة من الرسل فلم يكن لهم حظ من قراءة كتب الدين إلا تلاوتها، ولا من أعماله إلا إقامة صورها دون أن تنفذ أسرارها إلى القلوب، فتهذب النفوس وتسمو بها إلى فضائل الأخلاق والتفقه فى الدين.

(فزادهم الله مرضا) بعد أن جاء النذير البشير ومعه البرهان القاطع، والنور الساطع، وأبوا أن يتبعوه، وزاد تمسكهم بما كانوا عليه، فكان ذلك النور عمى في أعينهم، ومرضا في قلوبهم، وتحرقت قلوبهم حسرة على ما فاتهم من الرياسة، وحسدا على ما يرونه من ثبات أمر الرسول وعلو شأنه يوما بعد يوم.." (١)

"الإيمان إلا باطمئنان القلب وقيام البرهان الذي لا يقبل الشك **والارتياب**، وأفضل البراهين ما أرشد إليه القرآن من النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس، فقد يبلغ الإنسان علم اليقين بنظرة صادقة في هذا الكون الذي بين يديه، أو في نفسه إذا تجلت له بغرائب خلقها وبدائع صنعها.

(وعملوا الصالحات) العمل الصالح معروف عند الناس، فقد أودع في فطرتهم ما يميزون به بين الخير والشر، ولكن بعضهم يضل بما يطرأ على نفسه من زيغ يحيد به عن الهدى، ويتبعه آخرون في ضلاله فتتولد التقاليد الضارة، وتكون هى ميزان الخير والصلاح لدى الضالين، وإن كانت مخالفة لأصل الفطرة كما

ورد في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» .

وقد بين الكتاب الأعمال الصالحة في آي كثيرة كقوله: (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) .

(أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) قال الفراء: الجنة البستان فيه النخيل، والفردوس البستان فيه الكرم، والمراد بها هنا

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٥١/١

دار الخلود في الحياة الآخرة أعدها الله للمتقين كما أعد النار للكافرين، ونحن نؤمن بهما ولا نبحث عن حقيقتهما. والأنهار واحدها نهر (بفتح الهاء وسكونها) وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كنيل مصر، وجرى الأنهار من تحتها هو كما نشاهد في الأشجار التي على شواطئ الأنهار الجارية.." (١)

"بملابستهم لأرواحهم الطيبة ما يثبتون به قلوبهم ويزيدهم ثقة بوعد الله بنصرهم، فلما تراءت الفئتان وأوشكا أن يتلاحما فر الشيطان بجنوده من بين المشركين، لئلا تصل إليهم الملائكة الملابسة للمؤمنين (وهما ضدان لا يجتمعان، ولو اجتمعا لقضى أقواهما وهم الملائكة على أضعفهما وهم الشياطين) .

فخوف الشيطان إنما كان من إحراق الملائكة لجنوده لا على المشركين، كما يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق متلاش أمامه لا يبقى منه شيء.

(إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) أي وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم حين يقول المنافقون ومن فى حكمهم من مرضى القلوب: ما حمل هؤلاء المؤمنين على الإقدام على ما أقدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم- إلا غرورهم بدينهم، ولا غرو أن تصدر هذه المقالة ممن حرم الإيمان الكامل والثقة بالله والتوكل عليه.

روى عن مجاهد أنه قال: هم فئة من قريش، قيس بن الوليد بن المغيرة والحارث ابن زمعة بن الأسود بن المطلب ويعلى بن أمية والعاص بن منبه، خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: غر هؤلاء دينهم حتى أقدموا على ما أقدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم.

(ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) أي ومن يكل أمره إلى الله ويؤمن إيمان اطمئنان بأنه ناصره ومعينه، وأنه لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء أراده- يكفه ما يهمه وينصره على أعدائه وإن كثر عددهم وعظم استعدادهم، لأنه العزيز الغالب على أمره، الحكيم الذي يضع كل أمر فى موضعه بمقتضى سننه فى نظام العالم، ومن ذلك أن ينصر الحق على الباطل.." (٢)

"الإيضاح

(يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم) أي يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما فى قلوبهم أي قلوب المنافقين وتهتك عليهم أستارهم وتفشى أسرارهم.

وهذا الحذر والإشفاق أثر طبيعى للشك والارتياب، إذ هم كانوا شاكين مرتابين فى الوحى ورسالة الرسول ولم يكونوا موقنين بشيء من الإيمان ولا من الكفر، فهم مذبذبون لا هم بالمؤمنين الموقنين، ولا بالكافرين الجازمين بالكفر، ولو كانوا على واحد منهما لما خطر لهم الخوف على بال، إذ تكون قلوبهم مطمئنة بأحد الأمرين.

والخلاصة- إنهم يحذرون أن تنزل سورة فى شأنهم وبيان حالهم، فتكون فى ذلك فضيحتهم وكشف عوراتهم وإنذارهم ما قد يترتب عليه من عقابهم.

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٦٨/١

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤/١٠

(قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون) أي قل لهم: استهزئوا فإن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به ويبين أمركم.
ونحو الآية قوله: «أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم» .
ولا يخفى ما فى هذا من التهديد والوعيد على فعلهم، وكونه سببا لإخراجه تعالى ما يحذرون ظهوره من مخبئات سرائرهم.
(ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) أي إنك إن سألتهم عن أقوالهم هذه يعتذرون عنها بأنهم لم يكونوا فيها جادين ولا منكرين، بل هازلين لاعبين للتسلي والتلهي، وكانوا يظنون أن هذا عذر مقبول لجهلهم أن اتخاذ الدين هزوا ولعبا كفر محض كما قال تعالى: «فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون» وقال: «فويل يومئذ للمكذبين. الذين هم في خوض يلعبون» .." (١)

"والأساس على شفا الجرف الهارى، مثل يضرب لما يكون فى منتهى الوهي والانحلال والإشراف على الزوال، أي أفمن أسس بنيانه الذي يتخذه موطنا لراحته وهناء معيشته ويتقى به العوامل الجوية، وعدوان الكائنات الحية على أمتن الأسس وأقواها على مصابرة العواصف والسيول وصد الهوام والوحوش- خير بنيانا، أم من أسس بنيانه على أوهى القواعد وأقلها بقاء واستمساكا فكانت عرضة للانهيار فى كل حين من ليل أو نهار؟.
وقد ضرب الله مثل البنيان على تينك الصفتين لبيان حال الفريقين المتقدمين من صدق الإيمان، والنفاق **والارتياب**، أي أفمن كان مؤمنا صادقا يتقى الله فى جميع أحواله ويبتغى مرضاته فى جميع أعماله، قاصدا تزكية نفسه وإصلاح سريرته- خير أم من هو منافق مرتاب، يبتغى بأعماله الضرر والضرار وتقوية أعمال الكفر وموالاة الكفار وتفريق جماعة المؤمنين والإرصاد لمساعدة من حارب الله ورسوله مع ما يكون لعمله فى الدنيا من العار والفضيحة والخزي والبوار، وفى الآخرة من الانهيار فى النار.
وخلاصة المثل- بيان ثبات الإسلام وقوته وسعادة أهله به وثمرته فى أعمالهم وجزائهم عليه برضوان الله عنهم، وبيان ضعف الباطل واضمحلاله ووهيه وقرب زواله وخيبة صاحبه وسرعة انقطاع آماله، وبيان أن شر أعمال أهله المنافقين، ما اتخذوه من مسجد الضرار لمفاسده الأربع المتقدمة.
فالإيمان وما يلزمه من صالح العمل هو الثابت، والنفاق وما يستلزمه من فاسد العمل هو الباطل الزاهق بحكم ناموس الاجتماع وبقاء الأصلح فى الوجود، وقد صدق الله وعده وثبت المؤمنين بالقول الثابت، وهداهم إلى العمل الصالح ففتحوا البلاد وأقاموا سبل الحق والعدل، وأهلك المنافقين، وقد جرت سنته فى كل زمان ومكان أن يكون الفوز حليف أهل الحق، والخيبة لأهل الباطل ما استمسكوا به، ولم يقلعوا عنه.." (٢)

"المعنى الجملي
بعد أن ذكر سبحانه ضروبا من مخازى المنافقين كتخلفهم عن غزوة تبوك وتعلقهم لذلك بالأيمان الفاجرة- ذكر هنا ضروبا أخرى من تلك المثالب كتهكمهم بالقرآن وتسللهم لو إذا حين سماعه، وهذا آخر ما نزل مما يبين تأثير القرآن فيهم وفى

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥٢/١٠
(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٢٨/١١

المؤمنين.

الإيضاح

(وإذا ما أنزلت سورة) أي وإذا أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم سورة من سور كتابه الكريم، فمن المنافقين من يقول لإخوانه على سبيل الاستهزاء هذه المقالة ليثبتوا على النفاق، أو يقول لمن يلقاه من المؤمنين مشككا لهم: (أيكم زادته هذه) السورة (إيمانا) أي يقينا بحقية القرآن والإسلام وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، أي أيكم زادته تصديقا جازما مقترنا بإذعان النفس وخضوعها، وأشعرته بلزوم العمل بها لتيقنه بصدق الرسول الذي أنزلت عليه.

والإيمان على هذا النحو يزيد بنزول القرآن فى عهد الرسول ولا سيما من يحضر نزوله ويسمعه منه، وكذا يزيد بسماعه من غيره فى قلب المؤمن قوة إذعان ورغبة فى العمل والقرب من الله.

قال تعالى مجيبا عن هذا السؤال مبينا حالهم وحال المؤمنين فقال:

(فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) أي فأما المؤمنون فيزيدهم نزول القرآن زيادة اليقين واطمئنان القلب، ويزيدهم قوة فى العمل به والتقرب إلى ربهم، وهم يستبشرون بنزولها لما يرجون من خير هذه الزيادة، بتزكية أنفسهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة.

(وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) أي وأما الذين فى قلوبهم شك وارتياب دعاهم إلى النفاق بإسرار الكفر وإظهار." (١)

"(فمن ينصرني من الله إن عصيته؟) أي فمن يمنعنى من عذابه إذا أنا كتمت الرسالة، أو كتمت ما يسوءكم من بطلان عبادة الأصنام والأوثان تقليدا لآبائكم- أي لا أحد يدفع ذلك عنى فى هذه الحال فلا أبالى إذا بقطع رجائكم فى ولا بما أنتم فيه من شك وريب فى أمرى.

ثم ذكر مآل أمره إذا هو اتبعهم فقال:

(فما تزيدونني غير تخسير) أي فما تزيدوننى باتقاء سوء ظنكم وارتيابكم غير إيقاعى فى الخسران بإيثار ما عندكم على ما عند الله واشتراء رضاكم بسخطه تعالى.

[سورة هود (١١) : الآيات ٦٤ الى ٦٨]

ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب (٦٤) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب (٦٥) فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز (٦٦) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين (٦٧) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (٦٨)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٥١/١١

تفسير المفردات

الآية: المعجزة الدالة على صدق نبوته، وذروها: اتركوها، وعقر الناقة بالسيف:

قطع قوائمها به أو نحرها، والتمتع: التلذذ بالمنافع، والدار: البلد كما يقال ديار بكر:

أي بلادهم، وكذب فلانا حديثا وكذبه الحديث: أي كذب عليه فيه، والوعد:

خبر موقوت كأن الواعد قال للموعود إنني أفي به فى وقته، فإن وفى فقد صدق ولم يكذبه، وأصل الأخذ: التناول باليد، ثم استعمل فى الأشياء المعنوية كأخذ الميثاق." (١)

"وعلمهم به، مما يخفف من غلوائهم، ويكبح جماح إنكارهم ويردهم إلى رشدهم.

ذاك أن حال هؤلاء الفتية فى تلك الحقبة الطويلة، وقد حبست عن التصرف نفوسهم، وعطلت مشاعرهم وحواسهم، وحفظت من التحلل والتفتت أبدانهم، وبقيت على ما كانت عليه من الطراوة والشباب، ثم رجعت بعدئذ تلك المشاعر والحواس إلى حالها، وأطلقت النفوس من عقالها، وأرسلت إلى تدبير أبدانها، فرأت الأمور كما كانت، والأعوان هم الأعوان، ولم تنكر شيئا عهدته فى مدينتها، ولم تتذكر حبسها المدى الطويل عن التصرف فى شؤونها- وحال الذين يقومون من قبورهم بعد ما تعطلت مشاعرهم وحبست نفوسهم- من واد واحد فى الغرابة، ولا ينكر ذلك إلا جاهل أو معاند، ووقوع الأول يزيل **الارتياب** فى إمكان وقوع الثاني، ولا يبقى بعد ذلك شك فى أن وعد الله حق، وأن الله سيبعث من فى القبور، فيرد عليهم أرواحهم، ويجازيهم جزاء وفاقا بحسب أعمالهم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وهو الحكم العدل، اللطيف الخبير.

(إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي وكذلك أطلعنا عليهم بيدروس وقومه حين ينازع بعضهم بعضا فى أمر البعث، فمن مقر به، وجاحد له، وقائل تبعث الأرواح دون الأجساد- ففرح الملك وفرحوا بآية الله على البعث، وزال ما بينهم من الخلاف فى أمر القيامة، وحمدوا الله إذا رأوا ما رأوا مما يثبتها، ويزيل كل ريب فيها.

ثم حكى آراء القوم فى شأنهم بعد اطلاعهم عليهم فقال:

(فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) أي إنهم انقسموا فى شأنهم فريقين، فريق يقول: نسد عليهم باب الكهف ونذرهم حيث هم، وفريق يقول: نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس، وقد غلب هذا الفريق الفريق الأول فى الرأى.

وقوله (ربهم أعلم بهم) جملة معترضة من كلامه تعالى ردا للخائضين فى أمرهم." (٢)

"المعنى الجملي

لما حكى سبحانه عن المشركين الجدل بغير علم فى البعث والحشر وذمهم على ذلك- قفى على هذا بإثباته من وجهين:

(١) الاستدلال بخلق الحيوان وهو ما أشار إليه فى الآية الأخرى: «قل يحييها الذي أنشأها أول مرة» وقوله «فسيقولون من يعيدنا؟ قل الذي فطركم أول مرة» .

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٢/٥٥

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥/١٣٣

(٢) الاستدلال بحال خلق النبات فى قوله «وترى الأرض هامدة» إلخ.

الإيضاح

(يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث) أي إن كنتم فى شك من مجىء البعث فانظروا إلى مبدإ خلقكم ليزول ريبكم وتعلموا أن القادر على خلقكم أول مرة قادر على إعادة خلقكم ثانيا.

وعبر سبحانه بالريب مع أنهم موقنون بعدم حصوله، إيذانا بأن أقصى ما يمكن صدوره منهم وإن بلغوا غاية المكابرة والعناد- هو **الارتياب** فى شأنه، أما الجزم بعدم إمكانه فلا يدور بخلد عاقل على حال.

ثم ذكر سبحانه من مراتب الخلق أمورا سبعة:

(١) (فإنا خلقناكم من تراب) إذ خلق الإنسان من المنى المتولد من الأغذية، والأغذية تنتهى إلى النبات، وهو يتولد من الأرض والماء.

(٢) (ثم من نطفة) أي ثم من منى مكون من الدم المتولد من الغذاء المنتهى إلى التراب:

(٣) (ثم من علقة) أي ثم من دم جامد غليظ، ولا يخفى ما بين الماء والدم من المباينة والمخالفة.." (١)

"الجزء الحادي والعشرون

[تتمة سورة العنكبوت]

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٩]

ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩)

تفسير المفردات

الجدل: الحجاج والمناظرة، مسلمون: أي خاضعون مطيعون، والجحد: نفى ما فى القلب ثبوته أو إثبات ما فى القلب نفيه والمراد به هنا الإنكار عن علم، **والارتياب:**

الشك، الظالمون: أي الذين ظلموا أنفسهم وجحدوا وجه الحق.." (٢)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٨٨/١٧

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٣/٢١

"وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»
وروى عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق، وإما أن تصدقوا بباطل»
وفى البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب.
ثم بين أنه لا عجب فى إنزال القرآن على الرسول فهو على مثال ما أنزل من الكتب من قبل فقال:
(وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به) أي كما أنزلنا الكتب على من قبلك أيها الرسول- أنزلنا إليك هذا الكتاب، فالذين آتيناهم الكتب ممن تقدم عهدك من اليهود والنصارى يؤمنون به، إذ كانوا مصدقين بنزوله بحسب ما علموا عندهم من الكتاب، ومن كفار قريش وغيرهم من يؤمن به.
(وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) أي وما يكذب بآياتنا ويجحد حقها إلا من يستر الحق بالباطل، ويغطى ضوء الشمس بالوصائل، ويغمط حق النعمة عليه، وينكر التوحيد عنادا واستكبارا.
ثم ذكر ما يؤيد إنزاله ويزيل الشبهة فى افترائه فقال:
(وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) أي وما كنت من قبل إنزال الكتاب إليك تقدر أن تتلو كتابا ولا تخطه بيمينك: أي ليس من دأبك وعادتك ذلك، إذ لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتاب المشركون وقالوا لعله التقط ذلك من كتب الأوائل، ولما لم يكن أمرك هكذا لم يكن **لارتيابهم** وجه.." [1]
"ثم بين أن هذه سنة الله فيهم وفي أمثالهم فقال:
(كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) أي كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين أبوا أن يوحدوا الله ويصدقوا رسله، واستعظموا عن اتباع الحق، فيصدر عنهم أمثال ما ذكر من الإسراف **والارتياب** والجدل بغير الحق.
ونسب التكبر إلى القلب، لأنه هو الذي يتكبر وسائر الأعضاء تبع له، ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب» .
قال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق.

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]
وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧)

---
(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٢١/٦

تفسير المفردات

هامان: وزير فرعون، الصرح: القصر الشامخ المنيف، الأسباب: واحدها سبب، وهو ما يتوصل به إلى شىء من حبل وسلم وطريق، والمراد هنا الأبواب.

قال زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم." (١)

"أما كنا معكم فى الدار الدنيا نصلى معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات، ونحضر معكم الغزوات، ونؤدى معكم سائر الواجبات؟ فيجيبهم المؤمنون قائلين لهم: بلى كنتم معنا، ولكنكم أهلكتم أنفسكم باللذات والمعاصي، وأخرتم التوبة، وشككتم فى أمر البعث بعد الموت، وغرتكم الأمانى، فقلتم سيغفر لنا، وما زلتم كذلك حتى حضركم الموت، وغركم الشيطان فقال لكم: إن الله عفو كريم لا يعذبكم.

والخلاصة- إنكم كنتم معنا بأبدانكم لا بقلوبكم، وكنتم فى حيرة من أمركم، فلا تذكرون الله إلا قليلا.

ثم أيأسوهم من عاقبة أمرهم، وأنهم هالكون لا محالة ولا سبيل إلى الخلاص من النار فقال:

(فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا، مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير) أي فاليوم لو جاء أحدكم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدى به من عذاب الله ما قبل منه، فمصيركم إلى النار، وإليها متقلبكم ومثواكم، وهى أولى بكم من كل منزل آخر، لكفركم **وارتيابكم**، وساءت مصيرا ومآلا.

والخلاصة- إنه لا مناص من النار، فلا فداء ولا فكاك منها.

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ١٦ الى ١٧]

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧)

تفسير المفردات

ألم يأن: ألم يجىء وقت ذلك من قولهم أنى الأمر أنيا وأناء وإناء إذا جاء أناه أي وقته، والخشوع: الخشية والخوف، وذكر الله: مواعظه، والحق: هو القرآن، والذين أوتوا الكتاب: هم اليهود والنصارى، والأمد: الزمان، وطال عليهم الأمد:." (٢)

"(ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أي وليزداد إيمان المؤمنين حين يرون تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أن العدد كما قال:

ثم أكد الاستيقان وزيادة الإيمان فقال:

(ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي ولا يشك أهل التوراة والإنجيل والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٧٠/٢٤

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٧١/٢٧

وسلم فى حقيقة ذلك العدد.

ولا ارتياب فى الحقيقة من المؤمنين، ولكنه تعريض بغيرهم ممن فى قلبه شك من المنافقين.

(وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي وليقول الذين فى قلوبهم شك فى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، والقاطعون بكذبه:

ما الذي أراد الله بهذا العدد القليل المستغرب استغراب المثل؟

ثم بين أن الاختلاف فى الدين سنة من سنن الله تعالى فقال:

(كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين عن عدة خزنة جهنم: أى شىء أراد الله بهذا الخبر حتى يخوفنا بعدتهم؟ - يضل الله من خلقه من يشاء، فيخذله عن إصابة الحق، ويهدى من يشاء منهم، فيوفقه لإصابة الصواب.

والخلاصة- إن مثل هذا الإضلال يضل من يشاء إضلاله لسوء استعداده، وتدسيته نفسه، وتوجيهها إلى سيىء الأعمال، واجتراح السيئات حين مشاهدة الآيات الناطقة بالهدى- ويهدى من يشاء لتوجيه اختياره إلى الحسن من الأعمال، وتزكيته نفسه كلما لاح له سبيل الهدى.

(وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي وما يعلم عدد خلقه، ومقدار جموعه التي من جملتها الملائكة على ما هم عليه إلا الله عز وجل.." (١)

"ثم بين الحكمة في الأوامر والنواهي المتقدمة بعد ذكرها، وتلك سنة القرآن يذكر الأحكام، ثم يذكر أسرارها وفوائدها لتكون أثبت في النفس، وأثلج للقلب قال:

(ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا) أي ذلك الحكم أحرى بإقامة العدل بين المتعاملين، وأعون على إقامة الشهادة على وجهها.

وفي هذا إيماء إلى أن للشاهد أن يطلب وثيقة العقد المكتوب ليتذكر ما كان من الأحوال حين كتابتها وإملائها.

وقوله: أدنى ألا ترتابوا أي إنه أقرب إلى نفى ارتياب بعضكم من بعض، إذ هذا الاحتياط في كتابة الحقوق والإشهاد عليها، ومراعاة العدل من المتعاملين والكتاب والشهداء يدفع الارتياب وما ينشأ منه من مفاسد كالعداوات والمخاصمات- وهذه ميزة ثالثة تؤكد الأخذ بها والاعتماد عليها وجعلها مذكرة للشهود.

(إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها) أي إن الكتابة مطلوبة إلا أن توجد تجارة حاضرة تدار بين المتعاملين بالتعاطى بأن يأخذ المشترى المبيع والبائع الثمن، فلا حرج حينئذ في ترك الكتابة ولا إثم في ذلك، إذ لا يترتب عليه شىء من التنازع والتخاصم.

وفي هذا إشارة إلى ما يجب على المرء في ضبط أمواله وإحصاء ما يرد إليه وما يصدر عنه، وهذا منتهى الرقى المدني، هدى إليه الإسلام قبل أن يعرفه الغربيون ذوو الحضارة والمدنية بعدة قرون، ولم يجعل ذلك أمرا محتوما لما فيه من المشقة على غير

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٧/٢٩

الأمم ذات التقدم والحضارة.

(وأشهدوا إذا تبايعتم) أي وأشهدوا في التبايع في التجارة الحاضرة، إذ قد يحصل التنازع والخلاف في بعض العقود الحاضرة بعد تمام العقد، فاكتفى بالإشهاد.

أما الديون المؤجلة فربما يقع التنازع فيها بعد موت الشهود، إذ هى مما يطول زمنها ومن ثم وجبت كتابتها.." (١)

"ألوهيتها، وكونها واسطة بين الله وخلقه، وإنما قلدوا فى ذلك آباءهم الذين ضلوا من قبل، ومن ثم كانوا عرضة لاضطراب القلب، واتباع خطوات الوهم، فهم يعدون الوساوس أسبابا، والهواجس مؤثرات وعللا، ويرجون الخير مما لا يرجى منه الخير، ويخافون مما لا يخاف منه الضير.

وفى الآية إيماء إلى بطلان الشرك، وسوء أثره فى النفوس، إذ طبيعته تورث القلوب الرعب، باعتقاد أن لبعض المخلوقات تأثيرا غيبيا وراء السنن الإلهية، والأسباب العادية، فالمشركون الذين جاهدوا الحق، وآثروا مقارعة الداعي ومن استجاب له بالسيف، بغيا وعدوانا- يرتابون فيما هم فيه ويتزلزلون إذا شاهدوا الذين دعوهم ثابتين مطمئنين، ولا يزال ارتيابهم يزيد حتى تمتلىء قلوبهم رعبا.

والخلاصة- إن طبيعة المشركين إذا قاوموكم أيها المؤمنون، أن تكون نفوسهم مضطربة، وقلوبهم ممتلئة رعبا وهلعا منكم فلا تخافوهم، ولا تبالوا بقول من يدعوكم إلى موالاتهم والالتجاء إليهم.

وبعد أن بين أحوال هؤلاء المشركين فى الدنيا من وقوع الخوف والهلع فى قلوبهم- ذكر أحوالهم فى الآخرة فقال:

(ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) أي إن مسكنهم النار بسبب ظلمهم لأنفسهم بالكفر والجحود ومعاندة الحق ومقاومة أهله، وظلمهم للناس بسوء المعاملة وفى التعبير بالمثوى المنبئ عن المكث الطويل دليل على الخلود فيها.." (٢)

"وقد استنبط العلماء من هاتين الآيتين فوائد وأحكاما نذكر أهمها فيما يلى:

(١) الحديث على الوصية وعدم التهاون فى أمرها فى سفر أو حضر.

(٢) الإشهاد عليها لتثبيت أمرها والرجاء فى تنفيذها.

(٣) بيان أن الأصل فى الشاهدين عليها أن يكونا مؤمنين موثوقا بعدالتهما.

(٤) بيان أن إشهاد غير المسلمين على الوصية جائز مشروع، لأن مقصد الشارع منها إذا لم يمكن أداؤه على وجه الكمال فلا يترك البتة.

(٥) شرعية اختيار الأوقات التي تؤثر فى قلوب الشهود ومقسمى الأيمان رجاء أن يصدقوا ويبروا فيها.

(٦) التغليظ على الحالف بصيغة اليمين بأن يقول فيه ما يرجى أن يكون رادعا للحالف عن الكذب.

(٧) إن الأصل فى أخبار الناس وشهاداتهم أن تكون مصدقة مقبولة، ومن ثم شرط فى تحليف الشاهدين الارتياب فى خبرهما.

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٣/٧٦

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٤/٩٧

(٨) شرعية تحليف الشهود إذا ارتاب الحكام والخصوم فى شهادتهم، وهو الذي عليه العمل الآن فى أكثر الأمم وقد حتمته القوانين الوضعية لكثرة ما يقع من شهادة الزور.

(٩) شرعية رد اليمين إلى من قام الدليل على ضياع حق له بيمين صار حالفها خصما له.

(١٠) إذا احتيج إلى قيام بعض الورثة فى أمر يتعلق بالتركة فأولاهم بذلك أقربهم إليه.

[سورة المائدة (٥) : الآيات ١٠٩ الى ١١٥]

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب (١٠٩) إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين (١١٠) وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون (١١١) إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين (١١٢) قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين (١١٣)

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (١١٤) قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين (١١٥)." [(١)]

"فى مكة أحد من اليهود، وسؤالهم عن هذا الوقت استبعاد منهم لوقوعه وتكذيب بوجوده كما جاء حكاية عنهم: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» وقال تعالى: «يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق، ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد» .

وفى التعبير عن زمن وقوعها بالإرساء الدال على استقرار ما شأنه الحركة والاضطراب إيماء إلى أن قيام الساعة هو انتهاء أمر هذا العالم وانقضاء عمر هذه الأرض التي تدور بما فيها من العوالم المتحركة المضطربة.

(قل إنما علمها عند ربي) أي قل لهم إن علم الساعة عند ربى وحده لا عندى ولا عند غيرى من الخلق، وقد جاء بمعنى الآية قوله: إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها» وقوله «يسئلونك عن الساعة أيان مرساها. فيم أنت من ذكراها؟ إلى ربك منتهاها» .

وفى قوله عند ربى إشارة إلى أن ما هو من شأن الرب لا يكون للعبد، فالله قد أعد نبيه ليكون منذرا ومبشرا، والإنذار إنما يكون بالساعة وأهوالها، لا للإخبار عن الغيوب بأعيانها وأوقاتها، إذ تحديد ذلك ينافى هذه الفائدة بل فيه مفاسد، إذ لو وقت الرسول ميعاد الساعة بتاريخ معين لاستهزأ به المكذبون، ولألحوا فى تكذيبه وازدادوا **ارتيابا**، حتى إذا ما وقع الأجل وقع المؤمنون فى رعب عظيم ينغص عليهم حياتهم ويشنج أعصابهم، فلا يستطيعون عملا ولا يسيغون طعاما ولا شرابا،

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٥٢/٧

وسخر الكافرون من المؤمنين، وقد حدث أن أخبر بعض رجال الكنيسة فى أوربة أن القيامة ستكون فى سنة كذا فهلعت القلوب، واختلت الأعمال، وأهمل أمر العيال، ولم تهدأ النفوس إلا بعد أن ظهر كذب النبأ.." (١)

"وبعدها ينكشف الأمر، فماذا لو ظلت الحال على ما هى عليه، فلم تقع حرب بين الروم والفرس خلال هذه السنوات المعدودات؟ وماذا لو وقعت حرب بينهما ثم دارت الدائرة فيها على الروم مرة أخرى؟ أيكون لمحمد وجه يلقى به الناس بعد هذا؟ أو يجد محمد بعد هذا أذنا تسمع له، أو إنسانا يصدق له قولا؟

والحق أن هذا صحيح.. فلو أنه لم تقع حرب بين الفرس والروم خلال هذه المدة المحدودة، المحصورة في بضع سنين، ثم لو وقعت هذه الحرب ولم يكن النصر والغلب للروم على الفرس فيها- لو أنه لم يحدث هذا، لما كان لمحمد ولا لدعوة محمد مكان في هذه الدنيا، ولذهب كل شيء، ولا ختفى كل أثر لمحمد، ولدعوة محمد إلى الأبد!.

إنها دعوة قائمة على أنها من عند الله، وأن محمدا، يتلقى آياتها وكلماتها من ربه ... وهذا يعنى أنها الصدق الذي لا تعلق به شائبة من كذب، وأنها الحق الذي لا يلم به الباطل أبدا.. فإذا طاف بهذا الكلام طائف من الكذب، أو علق به ولو ذرة من شك **وارتياب-** كان ذلك واقعا بين أمرين، لا ثالث لهما:

إما أن يكون هذا الكلام من عمل محمد، ومن مقولاته التي يتصيدها من هنا وهناك.. وإذن فهو كاذب فيما يدعيه من أنه رسول الله، وأنه يتلقى هذا القرآن، وحيا من ربه.. وإذن فقد بطلت دعواه بأنه رسول من عند الله ...

وإما أن يكون هذا الكلام، وحيا كما يقول محمد، ولكنه ليس وحيا من عند الله، وإنما هو مما تلقيه الشياطين، على بعض الناس، كالعرافين،." (٢)

"وتجنب السيء، إلى مباشرة الإحسان، والتلبس به، فكان من أعمالهم إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة..

وفي قوله تعالى: «وبالآخرة هم يوقنون» - إشارة إلى أن إقامتهم الصلاة وإيتاءهم الزكاة، ليس عملا تلقائيا، وإنما هو عمل مرتكز إلى عقيدة، هى الإيمان باليوم الآخر، بعد الإيمان بالله، إيمانا محققا، مستيقنا، لا يتلبس به شك أو **ارتياب**. وبهذا الإيمان الوثيق الذي يقوم في ظله العمل، يجيء العمل على صفة كاملة، حيث يعطيه المرء كل مشاعره، فلا يلحقه ضعف أو فتور.

وقصر الإشارة هنا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من بين جميع الأعمال الحسنة، للدلالة على أنهما رأس الأعمال الحسنة كلها، والقطب الذي يدور عليه كل حسن..

فالصلاة رياضة للنفس، وإعداد لها لتقبل الأعمال الصالحة، والزكاة تطبيق عملى لكل عمل صالح.. إذ كان المال والتصرفات الدائرة حوله، هو المحك الذي تظهر به أخلاق الناس، لما للمال من سلطان على النفوس، فى جمعه، وفي إنفاقه.

قوله تعالى:

«أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون» .

---

(١) تفسير المراغي   المراغي، أحمد بن مصطفى ١٢٨/٩

(٢) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٤٧٧/١١

الإشارة هنا إلى هؤلاء المحسنين، الذين ذكرتهم الآية السابقة، ووصفتهم بأنهم هم الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون باليوم الآخر، إيمانا مستيقنا..

وهؤلاء المحسنون، إنما أحسنوا، لأنهم على هدى من ربهم، إذ أنهم أقبلوا على الله طالبين الهدى، فأقبل الله سبحانه عليهم، وأمدهم بما طلبوا." (١)

"على الجملة الابتدائية فى قوله تعالى: «فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء» وذلك مثل قوله تعالى: «أن الله بريء من المشركين ورسوله» ..

والتقدير: إن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء، وهو سبحانه الذي أرسل الرياح فتثير سحابا» واختلاف النظم فى «يهدي» (بالفعل المتجدد) «وأرسل» (بالفعل الماضي) .. إشارة إلى أن الإرسال يسبق الآثار المترتبة عليه، وهى الإهداء، أو الإضلال، والإحياء أو الإماتة.. فالإرسال سابق، ولهذا عبر عنه بالفعل الماضي.. والآثار المترتبة عليه، مستمرة، لا تنقطع، ولهذا عبر عنه بفعل المستقبل «يهدى» .

- وفى قوله تعالى «كذلك النشور» .. إشارة إلى قضية البعث، التي هى مبعث **ارتياب** المشركين، وتكذيبهم للرسول فى كل ما يدعوهم إليه..

وفى هذه الإشارة دليل مادى محسوس يشهد لإمكانية البعث، وأنه إذا كانت الأرض الميتة المجدبة، ينزل عليها الماء، فتلد هذه المواليد العجيبة، من النبات، والزهر، والثمر، فإن هذه الأرض التي أودع فى ترابها الناس، ليس ببعيد أن ينفخ الله فيها نفخة الحياة، فتخرج ما فى بطنها من آدميين! ..

قوله تعالى:

«من كان يريد العزة فلله العزة جميعا.. إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور» .

أي أن هؤلاء المشركين إنما يتخذون هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، ليكونوا لهم شفعاء عند الله، ولينالوا بهم عزا وجاها، كما يقول سبحانه." (٢)

"هذه المعجزة التي كشف بها عن حلم فرعون، والتي قرأ عليهم فيها من صحف الغيب ما سيطلع عليهم من أحداث..

ثم رأوا منه هذه الآيات المعجزة فى هذه التدبير المحكم الذي ساس به البلاد، وقاد به سفينتها إلى شاطىء الأمن والسلام، وهى فى متلاطم الأمواج العاتية، وقد كانت وشيكة أن يبتلعها اليم..

ذلك هو يوسف، وتلك هى آياته البينات التي رآها آباؤهم منه..

ومع هذا فقد كانوا فى شك منه.. بين مصدق بدينه الذي يدعو إليه من عبادة الله الواحد القهار، وبين مكذب متهم له فيما عنده من علم، لا يتجاوز به فى تقديرهم أن يكون ساحرا عليما.. وهكذا يمضى القوم مع يوسف، حتى يهلك، دون

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٥٥٦/١١

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٨٥٨/١١

أن يجتمعوا على رأى فيه.. فلما هلك يوسف، وأفلت من أيديهم هذا الخير الذي كان ينبغى أن ينالوه على يديه، تطلعوا إلى هذه الشمس الغاربة من أفقهم فى أسى وحسرة.. وانتظرا أن تطلع عليهم شمس أخرى فى صورة يوسف جديد.. فلما طال انتظارهم جيلا بعد جيل، استيأسوا وصرفوا أبصارهم عن ترقبه، وقالوا فى يأس وحسرة: «لن يبعث الله من بعده رسولا» ! وها هو ذا قد جاء الرسول، الذي كانوا يتطلعون إليه.. أفلا يرون فى موسى وجها كوجه يوسف، فيما يدعو إليه من عبادة إله واحد، وفيما بين يديه من آيات بينات؟ وأ يقفون من موسى موقف الشك **والارتياب** الذي وقفه آباؤهم من يوسف؟ ثم هل ينتظرون رسولا آخر بعد أن يمضى موسى؟.

ذلك هو الواقع الذي هم فيه الآن.. فماذا هم فاعلون؟ وإلى أى متجه يتجهون؟ أإلى الشك **والارتياب؟** أم إلى التصديق والإيمان؟ ذلك لهم..

ولهم ما يشتهون!." [1]

"وقوله تعالى: «كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم.. كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا.. كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» .. هو تعقيب على هذا الموقف الذي بين الرجل وبين القوم.. وهو حكم على فرعون وملائه أنهم لن يهتدوا، ولن يخرجوا عما هم فيه من عمى وضلال.. إنهم فى **ارتياب** شديد مسرف، فأسلمهم الله سبحانه إلى **ارتيابهم**، وتركهم فى ظلمات يعمهون.. وإنهم ليجادلون فى آيات الله، وليس بين أيديهم سلطان من حق يجادلون به، وكل ما معهم هو باطل وضلال، يلقون به آيات الله..!

وقوله تعالى: «كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا» .. أي كبر مقتا وبغضا هذا الجدل بالباطل، عند الله سبحانه الذي يكره الباطل ويمقت المبطلين، وكذلك المؤمنون، يمقتون الباطل وأهله..

وقوله تعالى: «كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار» .

أي بمثل هذا الطبع والختم على قلب المتكبرين والجبارين، من فرعون وقومه- يطبع الله على قلب كل متكبر جبار من أهل الشرك، الذين يلقون محمدا بالشك **والارتياب** والتكذيب! وهكذا ينفض المجلس، دون أن ينتهى القوم إلى رأى فى موسى، بعد أن لبستهم حال من البلبلة والاضطراب، من هذا النذير الذي طلع عليهم به الرجل المؤمن.. الذي يكتم إيمانه!!

الآيات: (٣٦- ٤٦) [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٦ الى ٤٦]

وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧) وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٤٠)

ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم

---

(١) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ١٢٣٣/١٢

إلى العزيز الغفار (٤٢) لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (٤٤) فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥)

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (٤٦)." (١)

"الهدى»

(٣٥: الأنعام) .. ثم لا يحزن النبي إذا وقع الخلاف بين المؤمنين، فكانوا فرقا فيما بعد..

فتلك هى سنة الله فى خلقه..

قوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربك» تلك الكلمة هى ما وعد الله تعالى به النبي صلى الله عليه وسلم ألا يعذب قومه وهو فيهم، كما يقول الله تعالى: «وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» (٣٣: الأنفال) .

وقوله تعالى: «لقضي بينهم» أي لولا هذه الكلمة لأخذهم الله بعاجل عذابه، ولأوقع بالظالمين المكذبين بأسه الذي حل بالمكذبين من قبلهم.

وقوله تعالى: «وإنهم لفي شك منه مريب» أي أن هؤلاء المشركين فى شك **وارتياب** من أمر هذا القرآن، فلم تقع آياته وكلماته موقع اليقين منهم، لأنهم لم يفتحوا آذانهم له، ولم يوجهوا عقولهم وقلوبهم إليه، فلم يستمعوا إليه إلا بآذان صماء، ولم يلقوه إلا بقلوب مريضة، وعقول سقيمة، فكان حكمهم عليه هذا الحكم الفاسد، الذي ملأ قلوبهم شكا **وارتيابا**..

قوله تعالى:

«من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد» ..

هو عزاء بعد عزاء من الله سبحانه وتعالى لنبيه الكريم، ودعوة إليه من ربه سبحانه أن يتخفف من هذا الحزن الذي يجده فى نفسه من خلاف قومه عليه، ومن تهافتهم على موارد الهلاك وهو يمسك بحجزهم، ويشدهم إليه، ليأخذ بهم إلى طريق النجاة، وهم يتفلتون منه، ويلقون بأنفسهم بالنار، ويتساقطون فيها تساقط الفراش.. فلا على النبي من بأس، إذا هو بلغ دعوته فلم يستجب لها هؤلاء المشركون.. «من عمل صالحا." (٢)

"هو رد على تلك الأمانى الباطلة، التي يعيش فيها أهل الغواية والضلال، ممن يقيمون أمرهم فى الإيمان باليوم الآخر- على حرف.. فيقولون إن كانت هناك آخرة- ولا نظن- فإن لنا عند الله هناك ما كان لنا فى الدنيا، من مال وجاه وسلطان.. وإن لم تكن آخرة- وهو ما نظن- فقد أخذنا أمرنا على هذا، فلا يضيرنا أنه لم يجىء هذا اليوم، فليس لنا شىء فيه، ولا متعلق لنا به.

وهنا فى هذه الآية يكشف الله سبحانه وتعالى للمشركين عن موقفهم من رسول الله، ومن كتاب الله الذي بين يديه.. فهم فى شك من رسول الله، وفى حيرة من أمرهم فيه، بين التصديق والتكذيب، أشبه بهذه الظنون التي تدور فى رءوس المشركين

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٢/١٢٣٤

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٢/١٣٣٣

عن يوم البعث، وقد جاءهم القرآن، وهم على هذا الشعور، يحاسبهم به، ويسفه منطقهم فيه.

فهم قد وقفوا من الرسول موقف الشك **والارتياب**، بين التصديق والتكذيب، كما كان ذلك شأنهم مع اليوم الآخر.. فليكن هذا.!

ولكن لماذا يرجحون جانب التكذيب على جانب التصديق؟ هذا هو الذي لا يقبله منطق! فهل يقبلون مثلا إذا جاءهم من يخبرهم أنه رأى جيشا مغيرا وراء هذا الجبل، يريد الهجوم عليهم- هل يقبلون أن يقيموا أمرهم على الشك، فى هذا الخبر، ولو كان كاذبا من كاذب؟ وهل يقبلون أن يخلو شعورهم من كل حذر وحيطة؟ إن منطق الحياة يدعوهم إلى الأخذ بالأحوط، وإلى أن يعدوا العدة كاملة للقاء هذا العدو.. فإن كان هناك عدو، كانوا قد أعدوا العدة للقائه، فلم يبغتهم بخيله ورجله.. وإن لم يكن هناك عدو، فلا خسران عليهم فيما فعلوا..

وهنا، إنسان يقول لهم: إنه رسول الله، وإنه يحمل إليهم كتابا من ربهم." (١)

"٤٢- سورة الشورى

نزولها: مكية.. بإجماع.

عدد آياتها: ثلاث وخمسون آية.

عدد كلماتها: ثمانمائة وست وستون كلمة..

عدد حروفها: ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون حرفا.

مناسبتها لما قبلها

تكاد سور الحواميم تكون سورة واحدة فى نظمها وفى مضمونها..

فهى جميعها مكية النزول، وقد خلت من القصص، ومن التشريع، وجاءت مساقاتها كلها فى مواجهة المشركين بشركهم وضلالهم، وتكذيبهم لرسول الله، وشكهم فى البعث، وفى لقاء ربهم.. ولقد لقيهم القرآن الكريم فى هذه السور بكل طريق، ودخل على مشاعرهم وتصوراتهم من كل باب، فلم يدع خاطرة تدور فى رءوسهم من خواطر الشك **والارتياب** إلا كشف لهم عنها، وأراهم باطلها وضلالها.. ثم نصب لهم معالم الهدى، ودعاهم إلى أخذ الطريق القاصد إليه.. وإلا فالنار موعدهم..

وهذه السورة- سورة الشورى- تتصل بسورة فصلت التي سبقتها اتصالا وثيقا، فتعيد على أسماع المشركين عرض تلك القضايا التي عرضتها السورة السابقة من شركهم بالله، وتكذيبهم لرسول الله، **وارتيابهم** فى البعث، والحساب والجزاء.. وفى هذا العرض المتجدد، يرى المشركون تلك القضايا، وقد طلعت عليهم بمعاول جديدة، تهدم تلك الجدر المتداعية من بناء معتقداتهم الفاسدة، حتى لتكاد تسقط عليهم، وتدفنهم تحت أنقاضها..." (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠/١٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٤/١٣

"وقوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم» ..

أي ولولا ما سبق من قضاء الله، فى أن يؤخر حساب هؤلاء المختلفين من أهل الكتاب، إلى أجل مسمى، موقوت لهم، وهو يوم القيامة- لولا هذا الذي سبق من قضاء الله «لقضي بينهم» ، أي لفصل بينهم، وأخذ كل منهم بما يستحق من جزاء فى هذه الدنيا، فنجى الذين آمنوا، ووقع بأس الله بالقوم الظالمين.

وقوله تعالى: «وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» - الضمير فى «منه» يعود إلى «الدين» فى قوله تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا» وهو دين الإسلام، الذي يدعو إليه رسول الله بالكتاب الذي أنزل إليه من ربه..

والذين أورثوا الكتاب من بعدهم، هم أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين عاصروا الدعوة الإسلامية، فهؤلاء الذين يدينون باليهودية والنصرانية، هم الذين أوتوا الكتاب من بعد آبائهم الذين أورثوهم- مع هذا الكتاب الذي فى أيديهم- فرقة فيه، واختلافا عليه، وهم لما ورثوا من فرقة وخلاف فى دينهم- فى شك وارتياب من هذا الدين الإسلامى الذي يدعون إليه، إذ كان دينهم الذي هو من هذا الدين، قد تغيرت معالمه، وطمست وجوهه، فلما التقى بدين الله الذي يرد أصل دينهم إليه- لم يجدوه ملتئما معه، ولا آخذا سبيله، فكان ذلك الشك المريب منهم فى دين الله! قوله تعالى:

«فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل." [(١)]

"الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير» .

«الفاء» فى قوله تعالى: «فلذلك» - للسببية، والإشارة إلى هذا الخلاف الذي وقع بين أهل الكتاب فى دينهم، والذي أدى بهم إلى الشك والارتياب فى النبي وفيما يدعو إليه من دين الله..

أي فلأجل هذا فلا تلتفت إلى أهل الكتاب، ولا تقف طويلا معهم، إذ كانوا وتلك حالهم من الشك والارتياب.. «فادع واستقم كما أمرت» أي فقم بدعوتك، واصدع بما تؤمر، مستقيما عليه، غير ناظر إلى ما يجىء إليك من القوم من جدل ومراء.. «ولا تتبع أهواءهم» فإن ما يجادلون به، هو أهواء وضلالات.. «وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب» أي قل آمنت بهذا الكتاب، وبما أنزل الله من كتاب سماوى سابق لهذا الكتاب الذي بين يدى.

كما يقول الله تعالى لنبيه الكريم: «قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (٨٤: آل عمران) .

وتنكير الكتاب فى قوله تعالى: «من كتاب» وجره بمن الدالة على الاستغراق- للإشارة إلى أن النبي مؤمن بكل كتاب نزل من عند الله.

قوله تعالى: «وأمرت لأعدل بينكم» أي أمرت لأدعوكم إلى دين الله، بالعدل والإحسان، لا أكرهكم عليه، ولا أجادلكم إلا بالتي هى أحسن.

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٣٣/١٣

وقوله تعالى: «الله ربنا وربكم» أي أن الرب الذي أدعوكم إليه ليس ربى وحدى، حتى يكون لى مصلحة خاصة فى دعوتكم إليه، فهو سبحانه ربكم كما هو ربى.. وفى هذا تعريض باليهود الذين يجعلون الله سبحانه وتعالى ربا لهم وحدهم، يؤثرهم بما عنده من خير وإحسان، فيسمونه رب إسرائيل،." (١)

"ولقد كانوا يعرفون صدق النبي، ويعرفون صدق الدين الذي جاء به،.

ولكنهم جحدوا هذا، حسدا وبغيا، فأوردوا أنفسهم موارد الهلاك، وماتوا ظمأ دون أن يردوا الماء الحاضر بين أيديهم.. وفى هذا يقول الله تعالى فيهم: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤ بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين» (٨٩- ٩٠ البقرة) .

وفى إسناد الفعل: «استجيب له» إلى غير فاعله، ولم يسند إلى الفاعل هكذا: «من بعد ما استجابوا» - إشارة إلى أن استجابتهم لم تكن استجابة خالصة من الشك **والارتياب**، ولهذا لم يسند فعل الاستجابة إليهم.

وقوله تعالى: «حجتهم داحضة عند ربهم» أي هذا الجدل الذي يجادل به أهل الكتاب من اليهود، وهذه الحجج التي يوردونها للاحتجاج على الرسول بها- هى حجج داحضة، أي باطلة، توقع الممسك بها فى مزالق الكفر والضلال.. والدحض من الأرض: الزلق، الذي تزل به الأقدام.. وعليهم غضب فى الدنيا، ولهم عذاب شديد فى الآخرة

الآيات: (١٧- ٢٠) [سورة الشورى (٤٢) : الآيات ١٧ الى ٢٠]

الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (١٧) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد (١٨) الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز (١٩) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب (٢٠)." (٢)

"وقوعه فى المستقبل أشبه بوقوعه فى الماضي، فإن لم يكن وقع، فكأنه قد وقع، لتحقق وقوعه.

والقرآن الكريم يستخدم هذا الأسلوب كثيرا فى الأمور ذات الخطر، التي يقف كثير من الناس إزاءها موقف الشك **والارتياب**، فى إصرار وعناد، فلا يلقاهم القرآن حينئذ، اللقاء الذي ينتظرونه فى شأن هذا الأمر الخطير، ولا يجعل لقاءهم معه معلقا بالمستقبل، بل يجذبهم إليه جذبا قويا، فإذا هم فى مواجهة هذا الأمر، وجها لوجه، وقد أصبح خبرا بعد أن وقع! ..

يقول سبحانه وتعالى فى شأن البعث: «ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض» (٦٨: الزمر) ويقول سبحانه عن يوم القيامة:

«وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٣٤/١٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٣٦/١٣

ما عملت» (٦٩- ٧٠ الزمر) ..

وأكثر ما ورد فى القرآن عن البعث، والحساب والجزاء، قد جاء فى صورة الماضي، الذي وقع فعلا، وعاش فى الناس، وعاش الناس فيه.. وذلك لتحقق وقوع هذه الأحداث..

وعلى هذا، فإن الحديث عن انشقاق القمر بالفعل الماضي، لا تقوم منه حجة على وقوع هذا الانشقاق، بل إنه إذا نظر إليه باعتبار أنه من أحداث يوم القيامة، كان التعبير عنه بالماضي دليلا على أنه مراد به الإخبار عن المستقبل الذي لم يقع..

فإذا نظرنا إلى انشقاق القمر، مع قوله تعالى: «اقتربت الساعة» ومع ما يقع يوم القيامة من تبدل وتحول فى العوالم السفلية والعلوية، رأينا أن انشقاق القمر لا يعدو أن يكون حدثا من الأحداث التي تقع يوم القيامة..

للقمر، ولغيره من العوالم الأخرى.. كما يقول سبحانه عن القمر يوم القيامة." (١)

"النفى، وذلك حين يكون المقسم هو الله سبحانه وتعالى، والمقسم به، ذات من ذوات المخلوقات العظيمة المكرمة عند الله، وحين يكون المقسم عليه أمرا جليا، بينا لا يحتاج إلى بيان..

ومن ذلك قوله تعالى: «فلا أقسم بالشفق، والليل وما وسق، والقمر إذا اتسق، لتركبن طبقا عن طبق» (١٦- ١٩ الانشقاق) وقوله سبحانه: «لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة، أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوي بنانه» (١- ٤: القيامة) وقوله جل شأنه: «فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين» (١٥- ٢٠ التكوير) فهذه الأقسام واقعة على أمور عظيمة، محققة الوقوع على الصورة المعروضة فيها، وعلى الصفة الموصوفة بها، بحيث لا يصح أن تقع موقع الإنكار، من ذى مسكة من عقل أو فهم.. فإذا كان هناك من يشك أو يرتاب، فإنه لا معتبر لشكه أو **ارتيابه**، ولا جدوى من وراء القسم له بأى مقسم به، إذ كان لا يجدى معه- فى هذا الصبح المشرق بين يديه- أن تضاء له المصابيح، وتقام له الحجج والبراهين. «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» (٤٠: النور) .

فالأقسام هنا- كما ترى- واقعة على أحوال الإنسان، وتنقله من حال إلى حال، ومن وجود إلى وجود، أو على قدرة الله سبحانه وتعالى، على بعث الموتى من القبور، وعلى إعادة هذه العظام البالية، وإلباسها لباس الحياة من جديد، أو على قول الله سبحانه، وما تحمل كلماته من أخبار صادقة، محققة الوقوع..

وهذه كلها أمور لا تحتاج إلى قسم، وفى القسم لها- كما قلنا- تشكيك فيها، وفتح لباب الجدل والمماراة فى شأنها..

أما هذا التلويح بتلك الأقسام، فيما يبدو من نفى القسم- فهو وضع." (٢)

"«إن هذا لهو حق اليقين. فسبح باسم ربك العظيم» .

بهذا الحكم تختم السورة الكريمة، وبهذا التنزيه لله سبحانه، والحمد لله، يعقب على هذا الحكم، ويلفت إلى ما ينبغى أن يستقبل به من النبي، ومن المؤمنين..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٦٣٢/١٤

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٣٤/١٤

وحق اليقين، أي الحق المطلق، الذي لا يعلق به شيء من دخان الباطل وسحبه..

فهو الحق الذي ينبغى أن ينزل من القلوب والعقول منزلة اليقين، فتطمئن به القلوب، وتسكن إليه العقول..

واليقين المشار إليه، هو اليقين الوارد من تلك الآيات، التي تحدث عن قدرة الله، وعن البعث، والحساب، والجزاء.. فهذا الحديث هو حديث حق مستيقن، لا شك فيه..

وفى إضافة الحق إلى اليقين، إشارة إلى أن هذا الحق، هو الحق الذي يقيم اليقين فى النفوس، لأنه حق خالص من كل شائبة.. أما غيره فقد يكون حقا، ولكنه قد يتلبس به ما يحجبه عن الأبصار، فيثير حوله سحبا من ضباب الشك **والارتياب**.. أما هذا الحق، فهو حق صراح، ونور مبين..

لا يحجبه شيء.

وقوله تعالى «فسبح باسم ربك العظيم» - هو كما قلنا- تعقيب على هذه الحكم، واستقبال لهذا الحق المشرق، الذي يملأ القلوب طمأنينة وأمنا- استقبال له، بتنزيه الله سبحانه والتسبيح بحمده، شكرا له على هذا الهدى الذي يهدى به من يشاء من عباده..

والمراد بالتسبيح باسم الله، تسبيح لذات الله، وحمد لذات الله، ولهذا إذا." (١)

"الخبر يواجه المنافقين الذين لا يقدرون الله حق قدره، فكان توكيده إشارة إلى ما فى قلوبهم من مرض، وأن أخبار الله سبحانه تقع من نفوسهم موقع الشك **والارتياب**.

وهذه الآيات من أنباء الغيب، التي كشفت الأيام فيما بعد عن تأويلها على الوجه الذي أخبرت به، والتي سجل بها التاريخ معجزة ناطقة بأن هذا القرآن من لدن عليم خبير..

فلقد نزلت هذه الآيات عقب إجلاء بنى النضير، ولم يكن هناك ما يشير إلى أن شيئا ما سيحدث بين النبي وبين من بقي من اليهود فى المدينة، وأنه إن حدث شيء فلم يكن أحد يتصور الصورة التي سيكون عليها..

وقد قلنا إن فى قوله تعالى فى أول السورة: «هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر» - إرهاصا بأن هذا الحشر الذي بدىء به بإخراج بنى النضير، سيتبعه مثله من الحشر، لغيرهم من إخوانهم اليهود..

ولكن ما فى هذه الآيات لم يكن مجرد إرهاص، وإنما كان عرضا لأحداث تجرى، وإخبارا مسبقه بما ستتمخض عنه هذه الأحداث من وقائع محددة، كأنها قد وقعت فعلا..

ففى الوقت الذي نزلت فيه هذه الآيات، كان المنافقون- وعلى رأسهم عبد الله بن أبى بن سلول- قد مشوا إلى بنى قريظة وغيرهم من يهود المدينة، وأنذروهم بما يمكن أن يفعل بهم محمد، كما فعل ببني النضير، وأعطوهم هذا العهد بأنهم لن يقفوا معهم هذا الموقف الذي وقفوه من بنى النضير، والذي أخذوا فيه على غرة، دون أن تكون هناك فسحة من." (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٤/٧٤٣

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٤/٨٦٩

"وأما اللائي يئسن من المحيض، وهن اللائي بلغن سن اليأس، حتى انقطع الحيض عنهن.. فهؤلاء عدتهن ثلاثة أشهر..

وأما اللاتي لم يحضن أصلا، لصغرهن، أو لأنهن من الممتدات الطهر أبدا، فلا يحضن- هؤلاء عدتهن ثلاثة أشهر كذلك..

وأما ذوات الحمل، فعدتهن وضع حملهن..

وأما قوله تعالى: «إن ارتبتم» فهو اعتراض بين المبتدأ والخبر، للإشارة إلى الحال الداعية إلى هذا الحكم الذي تضمنته الجملة، وهو أن يكون ذلك عن شك وارتياب، فى حال المرأة التي بلغت السن الميئوس فيها من الحيض، ثم ترى الدم، لا تدرى إن كان دم حيض، أو استحاضة.. فهذه عدتها ثلاثة أشهر، أي أنها تعتد بالأشهر، ولا تعتد بالقروء..

قوله تعالى: «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا» .. أي من يلتزم حدود الله، فيما أمر ونهى، جعل الله له يسرا فى كل أمر يعالجه، فإنه من هدى الله على نور من ربه، «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» . (٤٠: النور) قوله تعالى: «ذلك أمر الله أنزله إليكم» أي هذه الأحكام التي بينها الله سبحانه فى هذه الآيات، هى أمر من الله سبحانه وتعالى، يجب الوفاء به، حيث يحاسب المقصر، ويجازى المطيع..

وقوله تعالى: «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا» .. هو دعوة عامة إلى تقوى الله والتزام حدوده.. وأن من يتق الله يكفر الله عنه سيئاته، بما فعل من إحسان كما يقول سبحانه: «إن الحسنات يذهبن السيئات» «ويعظم له أجرا» أي ويضاعف له الثواب.

قوله تعالى:

«أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضآروهن لتضيقوا." (١)

"أرأيت إلى الناس فى ساحة القضاء، وقد نطق القاضي ببراءة بعض الناس، وإدانة البعض؟ إنه صورة مصغرة إلى أبعد حدود الصفر، لحال الناس يوم القيامة، فى موقف الحساب والجزاء.

والظن هنا، ظن يقين، وليس ظن شك وتردد.

وفى التعبير عن الإيمان بالآخرة بلفظ «الظن» ، الذي يغلب على معناه التوقع والاحتمال، لا اليقين- فى هذا ما يشير إلى أن الإيمان بالغيب- وإن وقع فى قلب المؤمن موقع اليقين، فإنه يظل فى منطقة الظن من عقله، حيث لا يسلم العقل السليم إلا بما يقع فى دائرة إدراكه، وتلك الدائرة لا يدخل فى محيطها ما كان من الغيبيات، وإنما يقع ذلك الغيب فى محيط القلب، وبقدر ما يكون فى القلب من اطمئنان، بقدر ما يقع فى العقل من إدراك، والعكس صحيح أيضا..

وليس الظن الغالب فى مقام الإيمان بالشيء، بالذي ينقص من قيمة هذا الإيمان، والعمل بمقتضاه، فإن أغلب معارفنا ومدركاتنا مبنى على الظن الغالب، لا اليقين المحقق، ومع هذا فإننا نقيم وجودنا على هذه المعارف، وتلك المدركات..

ومثل هذا الظن ما جاء فى قوله تعالى: «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين» (١٢: النور) .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٠٠٩/١٤

فهذا الظن الحسن الذي يدعى المؤمنون إليه، فى نظرتهم إلى ما يقع من إخوانهم المؤمنين، مما قد يكون موضع ريبة واتهام- هو كاف فى إمساك الألسنة عن قول السوء، والمسارعة إلى الاتهام.. فهو ظن عامل موجه، لا ظن توقف **وارتياب**.." (١)

"وقوله تعالى: «وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا» أي ما ذكر الله عدة هؤلاء الجند، وحصرهم فى تسعة عشر، دون أن يبلغوا العشرين، مثلا، ليكونوا عددا كاملا- ما ذكرهم الله، وحصر عددهم فى هذا العدد، إلا ليمتحن بذلك إيمان المؤمنين، وضلال الضالين، وقد كشف هذا الامتحان عن فتنة المشركين الذين اتخذوا من هذا العدد سبيلا إلى التفكه، والتندر، والاستهزاء..

وقوله تعالى: «ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا» إشارة إلى أن أهل الكتاب قد وجدوا أن ما أخبر به القرآن عن عدة أصحاب النار، من الملائكة مطابق لما عندهم من كتب الله.. كما أن المؤمنين سيزدادون إيمانا بما جاءهم من عند الله مصدقا لما فى الكتب السابقة..

وفى التعبير بالاستيقان فى جانب أهل الكتاب، وبازدياد الإيمان فى جانب المؤمنين، مراعاة لمقتضى الحال فى كل من الفريقين.. فأهل الكتاب- والمقصود به من أهل الكتاب هنا، هم أولو العلم منهم، الذين سلموا من الهوى المضل، الذي أفسد على كثير من علمائهم دينهم- فأهل الكتاب هؤلاء، يبعث فيهم هذا الخبر الجديد الذي جاء به القرآن- يقينا بأن ما يتلقاه محمد، هو وحي من عند الله.. هذا إلى ما كان عندهم من علم، بهذا النبي، المبشر به فى كتبهم، والمبينة صفاته فيها..

وأما المؤمنون، فهم مؤمنون بصدق الرسول، من قبل نزول هذه الآيات، ومن بعد نزولها.. ولكنهم يزدادون إيمانا كلما تلقوا من آيات الله جديدا، يثبت إيمانهم ويزيدهم قوة استبصار لمعالم الحق.. وهؤلاء المؤمنون، هم الذين آمنوا إيمانا خالصا من شوائب الشك **والارتياب**..

وقوله تعالى: «ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون» .

والذين أوتوا الكتاب هنا، هم مطلق اليهود والنصارى، وليس الذين." (٢)

"ذكره فى القرآن أنه إيمان على صفة غير ما عليه إيمان المؤمنين من أهل الكتاب!.

والإيمان بالله الذي عليه الأمة الإسلامية، هو إيمان برىء من كل شائبة من شوائب الشرك، وخلص من كل نزغة من نزغات الشك.. إنه إيمان مصفى، يرى فيه المؤمن وجه الحق واضحا مشرقا، إذ لا يتكلف له المؤمن جهدا فى الوصول إليه، ولا تنقطع أنفاسه فى الدوران حوله، لأنه قريب، قريب، يراه العامة والفلاسفة على السواء.. إنه: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير» ذلكم الله رب العالمين، وهو ما يقوم به وعليه إيمان المسلمين.. بلا فلسفه، ولا كهنة، ولا أحبار، ولا رهبان.. إيمان يطمئن إليه قلب الراعى بين غنمه، والزارع وراء محراثه، كما يطمئن إليه قلب العالم فى معمله، والفيلسوف فى محراب فلسفته! إيمان بديهة.. لا تكد ذهنا، ولا تشتت خاطرا، ولا تزعج

---

(١) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ١١٣٩/١٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ١٢٩٧/١٥

وجدانا.

وليس كذلك إيمان المؤمنين من أهل الكتاب.. إنه إيمان مرهق معقد، مركب على قضايا من المقولات الفلسفية والمنطقية، المبنية على معطيات مما وراء الطبيعة، التي تدور بها رءوس العامة، وتضطرب لها عقول العلماء.. فإذا آمن مؤمنهم بالله كان بينه وبين الله حجب كثيفة من هذه المقولات، التي لا يستطيع أن يرى الله من خلالها إلا محاطا بضباب كثير من الشك **والارتياب**! فإيمان المسلمين بالله، إيمان.. وإيمان أهل الكتاب بالله إيمان.. وبين الإيمانين بعد بعيد، وبون شاسع.. ومن هنا كان ذكر إيمان المسلمين فى هذا المقام تنويها بهذا الإيمان، وعزلا له عن إيمان المؤمنين من أهل الكتاب،." [1]

"جاءهم به الشاهدان من عند صاحبهم، ثم ارتقى هذا الشك **والارتياب** إلى التهمة، ثم النزاع والخصام، فإن للقضية وجها آخر.. بل وجهين آخرين:

والوجه الأول، هو أن يدعى الشاهدان إلى الحلف على ما أشهدهما عليه الميت، وما حملهما من مال ومتاع..

وحلف الشاهدين مشروط بشرط، وهو أن يدعيا بعد الصلاة مباشرة، وهما خارجان من بين يدى الله، قبل أن يتلبسا بشىء من أمور الدنيا، وذلك ليكون لهذا الموقف أثره فى إقامة شهادتهما على الحق والعدل، أو على ما هو أقرب إلى الحق والعدل..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين» .

فحبسهما من بعد الصلاة، هو إمساكهما قبل أن يتصلا بالحياة العامة، ويباشرا شئونا مختلفة فيها.. حتى يكونا أقرب إلى الخير، وأبعد من الضلال.

وقد اختلف فى الصلاة التي يحبسان بعدها، أهي صلاة العصر، أو صلاة الظهر؟ ..

والرأى، أنها أي صلاة، حيث أطلق القرآن ذلك، ولم يقيده.

وقوله تعالى: «إن ارتبتم» هو جملة اعتراضية، أريد بها بيان الحال الداعية إلى حلف الشاهدين، وهى الشك والريبة فى شهادتهما..

وقوله تعالى: «لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين» هو بيان لنص الحلفة التي يحلف بها الشاهدان.. وفيها من التوكيد والتحذير والتخويف، ما يجعل لهذه الحلفة أثرا واقعا فى نفس الشاهدين..." [2]

"والذي كان يرصد المعركة فى تلك اللحظة ما كان يشك أبدا فى أن الدائرة على المسلمين، وأن الهزيمة واقعة بهم، لا محالة..

لقد تبدد جيش المسلمين، وتناثرت جموعهم، وذهبت ريحهم، وما كان لقوة فى الأرض أن تجمع هذا الكيان الممزق، وأن تبعث فيه الحياة والقوة من جديد..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٢/٥٥١

(٢) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٤/٦٨

ولكن أمداد السماء، ونفحات الحق، جاءت فى وقتها، فأحالت الهزيمة نصرا حاسما.. «ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين» وفى هذا يرى المسلمون أن القوة لله، وأن النصر والعزة للمؤمنين، وأن البلاء والخزي على الكافرين..

فمن أراد النصر والعزة.. فلا مبتغى لهما، ولا سبيل إليهما، إلا بالإيمان، ومع المؤمنين.

ومن رغب عن الإيمان، وآثر عليه الأهل والمال، فلن يلق إلا الذلة والهوان..

وفى قوله تعالى: «ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم» استدعاء لمن خذلتهم عزائمهم، وتخلى عنهم السداده والتوفيق، فمالوا إلى جانب الضالين والمشركين.. فهؤلاء لا يزال الطريق إلى الله مفتوحا لهم، ولا زالت رحمة الله ومغفرته تنتظرهم على أول الطريق، إن هم راجعوا أنفسهم، ونزعوا عما هم فيه من تردد **وارتياب**! وهنا وقفة لا بد منها مع «ثم» وهو حرف عطف للترتيب والتراخي..." [1]

"ما يشير إليه قوله تعالى: «ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون» .

أما الذين فى قلوبهم مرض ونفاق، فإنهم لا يعجزهم العثور على العلل والمعاذير التي يقدمونها للنبى والمسلمين، لتكون مبررا لتخلفهم عن الجهاد.

فهؤلاء هم الذين يجيئون إلى النبى بأعذارهم الكاذبة، ويستأذنونه فى التخلف، كما يقول سبحانه «إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون» .. والريب، هو الشك **والارتياب**، ورابه الأمر، فارتاب فيه، أي شك، ووقع فى حيرة وتردد بين الإقدام والإحجام.

الآيات: (٤٦- ٥٢) [سورة التوبة (٩) : الآيات ٤٦ الى ٥٢]

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨) ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠)

قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون (٥٢)." [2]

---

(١) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٥/٧٢٧

(٢) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٥/٧٨٣

"هو بيان من الله سبحانه للنبى، فى موقفه من المنافقين، إذا هو رجع من غزوته تلك.. فإن من هؤلاء المتخلفين من تخلف لا عن شك فى دينه، أو ارتياب فى عقيدته، ولكن قعد به فتور همته أن يلحق بالركب، وأن يجمع عزمه المشتت، ليقطع حبال التردد العالقة به، فلما أن فاتته الفرصة، ولم يعد فى استطاعته أن يلحق بالجيش المجاهد، استبد به الندم، واستولت عليه الحسرة، وضاقت عليه الأرض بما رحبت.. ومن هؤلاء المتخلفين من تخلفوا عن نية فاسدة، وعقيدة منافقة، ودين مريض.. فهؤلاء هم المنافقون حقا، وهم الطائفة التي أشار إليها قوله تعالى: «فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين» .. إنهم يريدون أن يحتفظوا بمكانهم فى المسلمين، وأن يأخذوا موقفهم مع المجاهدين، وذلك بأن يتخيروا الزمان والمكان اللذين يخرجون فيهما مع المجاهدين.. فإذا كانت الشقة بعيدة، والحر شديدا أو البرد قارصا، تبطئوا، وجاءوا بالمعاذير والعلل، وإن كانت الشقة قريبة، والمغانم دانية، أخذوا مكانهم فى صفوف المسلمين.

وفيهم يقول الله تعالى: «لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون» (٤٢: التوبة) .. وليست هذه سبيل المؤمنين المجاهدين، وإنما سبيلهم قائمة على نية منعقدة أبدا على الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله، ومن كانت تلك سبيله، وهذه غايته، فإنه لا ينظر إلى نفسه، ولا يعمل حسابا لمغنم أو مغرم، وإنما حسابه كله مضاف إلى الانتصار لدين الله، والإعزاز لكلمة الله.

ولهذا رد الله سبحانه هؤلاء المنافقين، ومحا اسمهم من ديوان المجاهدين، وأمر نبيه الكريم أن يبعدهم عنه، وأن يعزلهم عن مجتمع المسلمين المجاهدين." (١)

"الوجه الذي قام عليه، والغاية التي بنى من أجلها.. فهو الآن «بنيان» مجرد بناء من حجر وطين.. لا يناله حتى شرف هذا الاسم الزائف الذي أعطوه إياه.

وسيظل هذا البناء ريبة فى قلوب الذين بنوه، أي مبعث شك، وارتياب ونفاق، قد علق ذلك كله بقلوبهم، وتمكن منها، لا يستطيعون فكاكا منه، إلا بعد أن تتقطع قلوبهم.. وهذا لا يكون إلا إذا ماتوا، وماتت الريبة معهم! ..

- وفى قوله تعالى: «في قلوبهم» إشارة إلى أن الريبة قد استقرت فى قلوبهم، فاحتوتها هذه القلوب، وصارت ظرفا حاويا لها.

الآيتان: (١١١- ١١٢) [سورة التوبة (٩) : الآيات ١١١ الى ١١٢]

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (١١١) التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١١٢)

التفسير: ليس الإيمان مجرد نطق باللسان، وتصديق بالقلب، وإنما هو- مع هذا- عمل بالجوارح، وابتلاء فى الأموال

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٨٥٨/٥

والأنفس.. فمن صدق قلبه ما نطق به، ومن صدق عمله ما صدق به قلبه، فذلك هو المؤمن، الذي يقبله الله فى المؤمنين..." (١)

"وفى قوله تعالى: «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون» .

بيان لما يحصله المنافقون والذين فى قلوبهم مرض، من آيات الله التي تنزل من السماء هدى ورحمة للعالمين، فهى إنما تزيدهم عمى إلى عمى، وضلالا إلى ضلال، وفسادا إلى فساد.. إنهم أشبه بالهوام والحشرات التي يجرفها الغيث الهاطل، ويغرقها السيل المندفع، على حين يحيا به كل كائن حى، ويهش له ويهنأ به كل ذى حياة.. وإنهم لأشبه بالخفافيش يأخذ ضوء الشمس على أبصارها، فتكتحل منه بالعمى، على حين تكتحل الأشياء كلها بهذه الآية المبصرة من آيات الله بالهدى والنور! قوله تعالى: «أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون» هو تقريع وتوبيخ لهؤلاء المنافقين الذين يقفون مواقف الخزي والفضيحة بين يدى آيات الله، مرة أو مرتين كل عام، حيث يفضح القرآن منهم فى كل مرة، مخزية من مخزياتهم، ويكشف المسلمون موقفا لئيما من مواقفهم.. ثم لا يأخذون من هذا عبرة أو عظة، ولا يجدون فيما فضح الله من أسرارهم، وما أخرج مما فى صدورهم- آية على علم الله، وعلى وجود الله، فيؤمنوا به، ويتوبوا إليه.. بل إنهم على ما هم عليه، من كفر وضلال: «لا يتوبون ولا هم يذكرون» .

وقوله تعالى: «وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون» .

وهذه حال أخرى من أحوال المنافقين مع آيات الله، حين يستمعون إليها مع من يستمع إلى آيات الله من المؤمنين.. إنهم يلقونها بالشك والارتياب، حتى لتكاد تفضحهم ألسنتهم بما يدور." (٢)

"والخير.. وفى هذا يقول الله تعالى: «لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة» .

المرية: الشك والارتياب.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنها تعرض صورة لأهل الإيمان، وما فى نفوسهم من استعداد لتقبله، والاستجابة له، بعد أن عرضت الآيات السابقة صورة لأهل الزيغ والضلال، ومن فى قلوبهم مرض..

والبينة هنا هى الاستبصار الذي يتعرف به الإنسان إلى الحق، مستهديا إليه بعقله، فيتعرف إلى الله، ويؤمن به، ولا دليل معه، سوى عقله، الذي ينظر به فى هذا الوجود، فيطلعه على أن لهذا الكون وللنظام الممسك به، إلها قديرا، عليما حكيما.. وكثير من الناس تعرفوا على الله، وآمنوا به، عن هذا الطريق، طريق النظر الشخصي، المنقطع عن دعوات الأنبياء، وتوجيهات الرسل.. ففى الإنسان فطرة، ومعه عقل من شأنهما أن يهدياه إلى الله، وأن يكشفا له الطريق إليه، لو أنه ظل محتفظا بسلامة فطرته، حارسا عقله من دوافع الهوى، ونزغات الشيطان..

---

(١) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٨٩٨/٦

(٢) التفسير القرآني للقرآن   عبد الكريم يونس الخطيب ٩٢٣/٦

– وفى قوله تعالى: «ويتلوه شاهد منه» – ضميران:

الضمير الأول، فى «يتلوه» وهو يعود إلى البينة، بمعنى أنها برهان ودليل، أو بمعنى أنها نور من عند الله، يضيء القلوب، وينير البصائر..

وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه» (٢٢: الزمر) ..

ويكون معنى «يتلوه» : أي يجيء بعده، أي بعد هذا النور، أو هذا." (١)

"التفسير:

بعد هذا العرض الذي حشرت فيه الآيات القرآنية الكريمة الناس إلى ربهم، وساقتهم إلى موقف الحساب والجزاء بين يديه، وسيق أهل النار إلى النار، وعذابها وبلائها، وزف أهل الجنة إلى الجنة، وطيباتها ونعيمها– عادت الآيات لتلقى النبي الكريم، بما وجد فى مشاعره من تلك المشاهد التي شهدها ليوم القيامة، وهو أن للظالمين يوما عبوسا قمطريرا، وأن العاقبة للمتقين..

فيقول له الحق تبارك وتعالى:

«فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء.. ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص» ..

والمرية: الشك **والارتياب**.. وما بالنبي الكريم شك ولا **ارتياب**، فى أن ما يعبده قومه هو الضلال المودي بأهله، والمورد لهم موارد الهلاك والبلاء..

ولكن هذا النهى، هو تأكيد لما فى قلب النبي من إيمان بربه، وتثبيت له على الطريق الذي هو قائم عليه، وإن لقى فيه مالقى من ضر وأذى! وفى الإشارة إلى المشركين من قريش بقوله تعالى: «هؤلاء» دون ذكرهم، هو تهوين لشأنهم، واستخفاف بقدرهم، إذ كانوا على هذا السخف والضلال، وإذ كانوا بحيث يعطون مقودهم لأحجار ينحتونها بأيديهم، ثم يقيمونها آلهة وأربابا عليهم! والآباء المذكورون فى قوله تعالى: «ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم» ..." (٢)

"الكلمة هى كلمة الله بأن يؤخرهم إلى أجل مسمى، وألا يعجل لهم العذاب فى الدنيا، وهذا ما يسير إليه قوله تعالى: «وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» (١٤: الشورى) فلولا هذه الكلمة «لقضي بينهم» وأخذ الله الظالمين منهم بما أخذ به الظالمين من الأمم السالفة قبلهم، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، يلقون عنده جزاء الظالمين.

– وفى قوله تعالى: «وإنهم لفي شك منه مريب» .. الضمير فى:

«إنهم» يعود إلى أهل الكتاب المعاصرين للنبى، وهم الذين أوتوا الكتاب من بعد آبائهم الذين اختلفوا فيه، وقد أشار إليهم قوله تعالى: «وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب» فآباؤهم قد اختلفوا فى كتابهم هذا، وتفرقوا شيعا وأحزابا، وأبناؤهم الذين أورثوا هذا الكتاب من بعدهم، فى ريب منه وفى شك فيه، إذ أورثهم هذا الخلاف الذي وقع بين آبائهم فى الكتاب– حيرة، وقلقا، واضطرابا، حيث يجدون لكل أمر جاءهم به الكتاب أكثر من وجه من وجوه الرأى،

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١١١٧/٦

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٢٠٤/٦

وأكثر من مذهب من مذاهب الخلاف، فتتفرق بهم السبل، وتزيغ الأبصار، وتضل العقول.. فلا يكون لهم من نظرهم فى الكتاب إلا الارتياب والشك.

«وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير» .. أي وإن كلا من الآباء الذين اختلفوا فى الكتاب، والأبناء الذين ورثوا هذا الكتاب وارتابوا فيه- إن كلا من هؤلاء وأولئك ليوفينهم ربك أعمالهم، ويجزى كلا ما هو أهل له.. «إنه بما يعملون خبير» .. يزن عمل كل واحد بميزان العليم الخبير، ويجازيه عليه جزاء القادر القاهر.." (١)

"وفى الحديث الشريف كما روى البخاري: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون.. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟» .

والمراد بمخاطبة الناس بما يعرفون، أي بما تبلغه مدركاتهم، ويقع منها موقع الفهم.. والمراد بتكذيب الله، هو اختلاط الأمر على الناس، حين يتحدث إليهم علماؤهم أحاديث لا يفهمونها على وجهها الصحيح، فيتلقون منهم وجوها من الكلام، فيتصورونها تصورا خاطئا، وإذا كل وجه يبدو لهم منها ينكر وجه صاحبه، فيقع التضارب والاختلاف، وتنشأ من هذا مفاهيم خاطئة، يناقض بعضها بعضها، وكلها تحدث عن الله، فيقع لذلك الشك، والارتياب ثم التكذيب، والكفر!! ومن تمام البيان فى الرسالة الإسلامية أن صرف الله الرسول عن قول الشعر وعن أن يكون شاعرا.. فقال تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» (٦٩: يس) وذلك أن الشعر يحمل فى أسلوبه مضامين كثيرة، لما يعتمد عليه من تصورات وتخيلات، ولما يقوم عليه نظمه من صور الكنايات والرمز، والإيماء، وغير ذلك، مما تتولد من الصورة الواحدة منه.. صور.. الأمر الذي لا يستقيم مع رسالة سماوية، غايتها إقامة الناس على طريق واحد مستقيم لا عوج فيه، ولا خلاف عليه.. وهذا ما يشير إليه ويؤكده قوله تعالى فى التعقيب على قوله سبحانه: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له» ..

إذ يقول جل شأنه: «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» أي إن هذا القرآن ذكر، ومن شأن الذكر أن يلقى العقل لقاء صريحا واضحا، حتى يأخذ عنه العبرة والموعظة، صريحة واضحة.. وهذا القرآن هو قرآن مبين.. أي واضح البيان لا لبس فيه ولا خفاء.

«نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين» .." (٢)

"وهكذا ينظر الإسلام إلى الأسرة، ويعدها «البوتقة» الأولى، التي تنصب فيها مبادئه، وتختبر أحكامه، وتثمر شريعته..

فإنه إذا ظهرت آثار هذه الشريعة فى مجتمع الأسرة، وقامت منها تلك «الخلية» السليمة، القوية، المحصنة من آفات الانحلال والتفكك- كان المجتمع الذي يقوم من اجتماع هذه الخلايا، مجتمعا سليما قويا.. أشبه بالجسد السليم القوى، الذي لا تنال منه الآفات والعلل.. إذا عرضت له..

وسلامة الرباط الذي يقوم بين الزوجين، وقيام الرابطة الزوجية فى ضمان من التحلل والتفكك، وفى أمان من الشك

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٢٠٦/٦

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٢٣٢/٦

والارتياب- هو الأساس الذي تقوم عليه الصلات الروحية، والنفسية، والمادية بين أعضاء هذه الأسرة، التي يبنيها الزوج والزوجة معا..

من أجل هذا وقفت شريعة الإسلام هذه الوقفة الحكيمة الحازمة، من أمر الزنا، وعدته آفة مهلكة إذا لم يأخذ المجتمع كله السبيل عليها، وينكل بالذين يعتدون على حرمته ويهددون أمنه وسلامته، ويدكون صرح بنيانه، باقتراف هذا المنكر..

وقد فرق الإسلام فى العقوبة بين المحصنين وغير المحصنين، لما بين الفريقين من اختلاف فى الحاجة، وفى الدافع إليها.

فالحد الذي فرضه الإسلام، هو مائة جلدة لغير المحصن، من النساء والرجال:

«الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» ..

أما المحصن من الرجال والنساء، فحده الموت.. رجما بالحجارة.

فإذا توافرت أركان هذه الجريمة بما يوجب الحد، وجب الحد، ولزم.

ثم إنه إذا أقيم الحد- جلدا أو رجما- وجب أن يكون علنا، يشهده طائفة." (١)

"قوله تعالى:

«وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين» - أي إن هؤلاء المنافقين، إذا كان حكم الإسلام فى أمر من الأمور العارضة لهم، مما يتفق مع مصلحتهم، جاءوا إلى الرسول مذعنين، أي مطيعين، معلنين الولاء لله، ولرسوله، يطلبون أن يأخذهم بحكم الإسلام، لأنه يجرى مع مصلحتهم، ويلتقى مع حاجتهم..

قوله تعالى:

«أفي قلوبهم مرض؟ أم ارتابوا؟ أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله؟ .. بل أولئك هم الظالمون» .

الاستفهام هنا هو تقريرى، يكشف عن العلل، التي تموج بها صدور أولئك المنافقين.. فليس داء واحدا هو الذي يخامر المنافق.. وإنما هو يعيش فى أكثر من داء، مما فى قلبه من مرض.

وهذا المرض الذي فى قلبه، من شأنه أن يفسد كل معتقد.. فلا يعتقد المنافق فى صحة رأى أو فساده إلا بالقدر الذي يجنى منه نفعا عاجلا.. إنه لا ميزان عنده لخلق، أو رأى. أو دين.. إنه يدين بالدين الذي يمشى مع هواه.. ومن هنا، فهو فى **ارتياب** من كل شىء.. يلقاه مترددا متشككا، ويقلبه، كأنما يراه لأول مرة، ولو كان قد مر به ألف مرة.. لأن له فى كل مرة حالا معه، ورأيا فيه..

ومن هنا جاءت العلة الثالثة التي تسكن فى قلوب المنافقين، وهى تخوفهم من أن يحيف الله عليهم ورسوله، إذا هم احتكموا إلى كتاب الله.. فكتاب الله ميزان واحد.. وهم إنما يجرون أمورهم على موازين لا حصر لها.. وكل حكم لا يتفق مع أهوائهم، هو عندهم جور وحيف.. فهم يضعون أحكام الله موضع الاختبار والامتحان، ولا يجيئون إليها مستسلمين راضين بما يقضى." (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٩/١٢٠٤

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٩/١٣٠٩

"به الله، سواء أكان لهم أم عليهم.. بل إنهم إن وجدوا فى حكم الله، ما هو لهم، أخذوا به ورضوا عنه، وإن وجدوه على غير ما يريدون، أعرضوا عنه، وتنكروا له..

– وفى قوله تعالى: «بل أولئك هم الظالمون» .. إشارة إلى أن هذه الأمراض الخبيثة التي يعيش فيها المنافقون، إنما تنتهى بهم إلى أخسر صفقة، وهى الظلم الذي هم أول ضحاياه.. إنهم ظلموا أنفسهم، وساقوها إلى هذا المرعى الوبيل، الذي لن يطعموا منه إلا الخزي والخسران فى الدنيا، والعذاب الأليم فى الآخرة، وحسبهم أنهم كفروا بآيات الله.. وللكافرين عذاب مهين..

قوله تعالى:

«إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون» ..

هذه هى الصورة المشرقة لإيمان المؤمنين، وما فى قلوبهم من صدق ويقين..

إنهم إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم، أجابوا بالسمع والطاعة، ورضوا بما يقضى به الله ورسوله فيهم، سواء أكان ذلك لهم، أم عليهم.. هكذا الإيمان، وهكذا شأن المؤمنين: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم.. ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا» (٣٦: الأحزاب) إنه السمع والطاعة لما يأمر به الله ورسوله، دون تردد أو **ارتياب**.. إذ لا إيمان مع تردد فى أمر من أمر الله أو شك فى حكم من أحكامه..

قوله تعالى:

«ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» .

هذا هو جزاء المؤمنين حقا.. الفوز برضوان الله، بعد أن أفلحوا حين." (١)

"﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ قد يظن ظان

-[٥٣]- من هذه القالة - أن إبراهيم عليه السلام كان شاكا في البعث، أو كان مرتابا في قدرة ربه تعالى - وهو صفيه وخليله ومصطفاه - ولا يجوز بحال نسبة الشك، أو **الارتياب** إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ خصوصا في أهم المعتقدات التي يتوقف عليها صحة الإيمان: كالبعث والإحياء. وأمامنا الكهرباء واللاسلكي وأمثالهما؛ فما من أحد إلا ويؤمن بهما إيمانا يقينيا وهو لا يعرف كيفيتهما أو كنههما؛ ويود لو توصل إلى عرفانهما. ولا يقال: إنه بطلبه هذه المعرفة شاك فيهما، غير مؤمن بوجودهما ﴿فصرهن﴾ اضممهن ﴿ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا﴾

قيل: إنه أخذ أربعة أصناف من الطيور؛ فذبحها وخلط بين لحمها وعظمها ودمها وريشها، وجعل على كل جبل جزءا منها؛ ثم نادى: تعالين بإذنالله؛ فصار كل جزء منهن يتضام إلى الآخر ويتماسك، وجئن إليه طائرات كما كن." (٢)

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٩/١٣١٠

(٢) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٥٢

"﴿ذلك﴾ الذي مر ذكره؛ من ترتيب الشهادة، ودفعها عند **الارتياب** ووقوع الإثم ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يأتوا﴾ أي الشهداء ﴿بالشهادة على وجهها﴾ الصحيح؛ كما حملوها بلا خيانة فيها
﴿أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم﴾ فيفتضحوا بظهور كذبهم الذين أرسلهم لهداية خلقه." (١)

"﴿إلا من أكره﴾ على الكفر: بالسيف والبغي؛ فله أن يتظاهر به اتقاء الموت والعذاب ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ لا يعتريه أدنى شك أو **ارتياب** ﴿ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ وطابت به نفسه، واتسع له صدره ﴿فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ بالغ الإيلام." (٢)

"﴿وما كنت تتلو﴾ تقرأ ﴿من قبله﴾ أي قبل نزول القرآن ﴿من كتاب﴾ أي مكتوب ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ لأنك أمي: لا تقرأ ولا تكتب؛ وهي معجزة لك؛ دالة على صدقك. ولو كنت تكتب وتقرأ ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ أي لو كنت تتلو الكتب المتقدمة - قبل نزول القرآن - وتكتب بيمينك ما نزل عليك: لشك المبطلون في رسالتك، وحق لهم أن يشكوا وقتذاك. ولكنك أمي لم تقرأ كتابا، ولم تخط بيدك سطرا؛ فلم إذن الشك **والارتياب؟**." (٣)

"﴿ولقد جآءكم يوسف من قبل بالبينات﴾ بالحجج القاطعة الظاهرة؛ كقوله عليه السلام: ﴿متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه﴾ ﴿حتى إذا هلك﴾ مات ﴿كذلك﴾ أي مثل الإضلال الذي وقع على الكافرين بالأنبياء، وما أنزل عليهم من آيات بينات ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ في الكفر والعصيان ﴿مرتاب﴾ شاك فيما جاءه من المعجزات. فالكفر، **والارتياب**: سابقان للإضلال؛ وإضلال الله تعالى لا يكون إلا نتيجة للإصرار على الكفر، والتمسك بالتكذيب، وطرح تفهم الآيات، والنظر في الدلالات جانبا؛ و ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾.." (٤)

"﴿يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم﴾ وهو ما يبدو كثيرا من نشوز بعض الأزواج وجهلهن، وعقوق بعض الأولاد وطيشهم ﴿فاحذروهم﴾ أي فاحذروا عداوتهم. والحذر: الاحتراز، والاستعداد، والتأهب. والاحتراز من الأعداء: دفعهم، والتأهب للقائهم وقتالهم. أما الحذر والاحتراز من الأحباء: فهو إزالة أسباب العداء. كيف لا؛ والزوج: قد أوصى بها الرب، وهي الصاحب بالجنب. وقد أمرنا ببسط المودة لها، والرحمة بها أما الأولاد: فهم فلذات الأكباد؛ وزينة الحياة الدنيا وقد أمرنا إلهنا، وهدانا إلى دفع أعدائنا بالإحسان: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فمن باب أولى يكون دفع الأزواج والأبناء؛ وهم من خير الأحباء فوجب ألا يكون دفع عداوتهم، والحذر منهم: إلا بالإحسان إليهم، ومزيد برهم والعطف عليهم؛ فينقلب بغضهم محبة، وعداوتهم مودة يدل على ذلك قول الحكيم العليم ﴿وإن تعفوا﴾ عنهم ﴿وتصفحوا﴾ عن عداوتهم ﴿وتغفروا﴾ ذنوبهم ﴿فإن الله غفور﴾ لكم ولهم ﴿رحيم﴾ بكم وبهم

هذا وقد سار جل الناس، وأغلب المفسرين على وتيرة واحدة في فهم هذه الآية بأوسع معاني العداء: حتى لقد زعم بعض

---

(١) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/١٤٩
(٢) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٣٣٣
(٣) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٤٨٨
(٤) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٥٧٥

المفسرين أن «من» بيانية، لا تبعيضية؛ فتبلبلت الخواطر، وحل الإزعاج مكان الطمأنينة؛ ونظر كل والد إلى أولاده بعين **الارتياب**، وكل زوج إلى زوجته بعين التوجس والاحتياط ألم يقل الله تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ ألم نر بعض شرار الأبناء يقتلون." (١)

"(فأماته الله مائة عام) الفاء عاطفة وأماته الله فعل ومفعول به وفاعل ومائة ظرف زمان متعلق بأماته وعام مضاف اليه (ثم بعثه) عطف على أماته، وعطف بثم للإشعار بالتراخي وطول المدة (قال: كم لبثت) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال قد يساور الخاطر كأنه قيل:

فماذا قال الله تعالى له حين بعثه بعد الموت؟ وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بلبثت ومميزها محذوف كأنه قيل:

كم وقتا لبثت؟ ولبثت فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (قال: لبثت يوما أو بعض يوم) جملة القول مستأنفة لتكون بمثابة الرد على السؤال وجملة لبثت في محل نصب مقول القول ويوما ظرف زمان متعلق بلبثت وأو حرف عطف وبعض يوم عطف على يوما، منتظم في سلك الظرف الزمني (قال: بل لبثت مائة عام) جملة قال استئنافية، بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة، لا بد من تقديرها، والتقدير:

ما لبثت؟ يوما أو بعض يوم؟ بل لبثت مائة عام ومائة عام ظرف.

والجملة مقول القول (فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) الفاء الفصيحة، وهي هنا جواب لشرط مقدر تقديره: إذا حصل لك **ارتياب** وعدم طمأنينة في أمر البعث فانظر. وانظر فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى طعامك جار ومجرور متعلقان بانظر وشرابك عطف على طعامك ولم حرف نفي وقلب وجزم ويتسنه فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون إذا كانت الهاء أصلية، وإذا كانت الهاء للسكت كان الفعل مجزوما بحذف حرف العلة، وعندئذ تثبت هاء السكت في الوقف لا في الوصل وسيأتي حكمها. وإذا كان الفعل من التسنن الذي هو التغير كان مجزوما بالسكون المقدر على حرف العلة المحذوف الذي أبدلت النون الثانية منه وجملة لم يتسنه حال.

(وانظر إلى حمارك) عطف على ما تقدم، وإنما خصه بالذكر لأن المار." (٢)

"الثالث: أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف أي اعلم أن الله يبسط الرزق إلخ قاله الأخفش وهذا يناسب الوقف على ويك وقد فعله أبو عمرو.

الرابع: أن أصلها ويلك فحذفت اللام وهذا يناسب الوقف على الكاف أيضا كما فعل أبو عمرو.

الخامس: أن ويكأن كلها كلمة مستقلة بسيطة ومعناها ألم تر وربما نقل ذلك عن ابن عباس ونقل الفراء والكسائي أنها بمعنى أما ترى الى صنع الله، وحكى ابن قتيبة أنها بمعنى رحمة لك في لغة حمير ولم يرسم في القرآن إلا ويكأن وويكأنه متصلة في الموضعين فعامة القراء اتبعوا الرسم والكسائي وقف على وي وأبو عمرو على ويك» .

---

(١) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٦٩١

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١/٣٩٥

وقال ابن هشام في أوضح المسالك وشرحه للشيخ خالد الأزهري: «ووا ووي وواها الثلاثة كلها بمعنى أعجب كقوله تعالى «وي كأنه لا يفلح الكافرون» فوي اسم فعل مضارع بمعنى أعجب والكاف حرف تعليل وأن مصدرية مؤكدة أي أعجب لعدم فلاح الكافرين» وهذا ما اخترناه في الاعراب ورأيناه أبعد من **الارتياب** وأدنى الى الصواب.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٨٣ الى ٨٨]

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (٨٤) إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين (٨٥) وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين (٨٦) ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين (٨٧) ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون (٨٨)." (١)

"ومسلمون خبر نحن وفي هذا القول منتهى المناصحة والنصفة والاقناع.

(وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) الكاف نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك الانزال أنزلنا، وأنزلنا فعل وفاعل وإليك متعلقان بأنزلنا والكتاب مفعول به. (فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) الفاء تفريعية والذين مبتدأ وجملة آتيناهم صلة وهو فعل وفاعل ومفعول به والكتاب مفعول به ثان وجملة يؤمنون به خبر الذين. (ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) الواو عاطفة ومن هؤلاء خبر مقدم ومن مبتدأ مؤخر وجملة يؤمن به صلة وهذا من قبيل الاخبار بالمغيبات وهي إحدى ميزات القرآن الكريم والواو حالية وما نافية ويجحد فعل مضارع مرفوع وبآياتنا متعلقان به وإلا أداة حصر والكافرون فاعل يجحد. (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) كلام مستأنف للشروع في إيراد الدليل على إعجاز القرآن، وما نافية وكنت كان واسمها وجملة تتلو خبرها وفاعل تتلو مستتر تقديره أنت ومن قبله حال لأنه كان صفة لكتاب ويجوز تعليقه بتتلو ومن حرف جر زائد وكتاب مجرور بمن لفظا منصوب محلا على أنه مفعول تتلو والواو حرف عطف ولا نافية وتخطه فعل مضارع معطوف على تتلو وبيمينك متعلقان بتخطه وإذن حرف جواب وجزاء مهمل وقد تضمن معنى الجواب لشرط محذوف أي لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط، ولارتاب اللام واقعة في جواب إذن وارتاب المبطلون فعل ماض وفاعل.

(بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) بل إضراب عن **ارتيابهم** أي ليس فيه ما يدعو الى **الارتياب** فيه وهو محفوظ في الصدور وهو مبتدأ وآيات خبر وبينات صفة لآيات وفي صدور." (٢)

"بني إسرائيل

طه: ٩٤، فكلمة «بنى» مركبة من حروف «بين» وهى مفرقة، إلا أن الباقى بعضها فى الكلمتين، وهو أولها.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٧/٣٩٠

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٧/٤٤٢

(٧٠) الكلام:

١- إخراجه مخرج الشك فى اللفظ دون الحقيقة. لضرب من المسامحة وحسم العناد كقوله تعالى: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين سبأ: ٢٤، وهو يعلم أنه على الهدى وأنهم على الضلال، ولكنه أخرج الكلام مخرج الشك، تقاضيا ومسامحة، ولا شك عنده ولا **ارتياب**.

٢- خروج الواجب فى صورة الممكن، كقوله تعالى: عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا الإسراء: ٧٩.

٣- خروج الإطلاق فى صورة التقييد، كقوله تعالى: حتى يلج الجمل في سم الخياط الأعراف ٤٠.

(٧١) الكلمة:

١- الزيادة فى بنيتها.

إذا كان اللفظ على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعانى، فإذا زيدت فى الألفاظ وجب زيادة المعانى ضرورة، ومنه قوله تعالى: فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر القمر: ٤٢، فإن مقتدر أبلغ من قادر.

والزيادة أنواع:

(أ) زيادة بالتكرير، ومنه قوله تعالى: فكبكبوا فيها الشعراء: ٩٤،." [1]

"الناس قد علموا أن لا بقاء لهم ... لو أنهم علموا مقدار ما علموا

ومثله:

أمن المنون وريبها تتوجع؟

وقال تعالى: لفي شك منه مريب- معتد مريب **والارتياب** يجرى مجرى الإرابة، قال: أم ارتابوا أم يخافون- وتربصتم وارتبتم ونفى من المؤمنين **الارتياب** فقال: ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وقال:

ثم لم يرتابوا وقيل: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وريب الدهر صروفه، وإنما قيل ريب لما يتوهم فيه من المكر، والريبة اسم من الريب قال: بنوا ريبة في قلوبهم أي تدل على دغل وقلة يقين.

(روح) : الروح والروح فى الأصل واحد، وجعل الروح اسما للنفس، قال الشاعر فى صفة النار:

فقلت له ارفعها إليك وأحيها ... بروحك واجعلها لها فيئة قدرا

وذلك لكون النفس بعض الروح كتسمية النوع باسم الجنس نحو تسمية الإنسان بالحيوان، وجعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار وهو المذكور فى قوله: ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي- ونفخت فيه من روحي وإضافته إلى نفسه إضافة ملك وتخصيصه بالإضافة تشريفا له وتعظيما كقوله: وطهر بيتي- يا عبادي وسمى أشراف الملائكة أرواحا نحو: يوم يقوم الروح والملائكة صفا- تعرج الملائكة والروح- نزل به الروح الأمين سمى به

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٥٠/٣

جبريل وسماه بروح القدس فى قوله: قل نزله روح القدس- وأيدناه بروح القدس وسمى عيسى عليه السلام روحا فى قوله: وروح منه وذلك لما كان له من إحياء الأموات، وسمى القرآن روحا فى قوله: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وذلك لكون القرآن سببا للحياة الأخروية الموصوفة فى قوله: وإن الدار الآخرة لهي الحيوان والروح التنفس وقد أراح الإنسان إذا تنفس. وقوله: فروح وريحان فالريحان ماله رائحة وقيل رزق، ثم يقال للحب المأكول ريحان فى قوله: والحب ذو العصف والريحان وقيل لأعرابى: إلى أين؟ فقال:." (١)

"والضلال: الذهاب عن سنن القصد وطريق الحق.

والأصل فى الضالين الضالين، حذفت حركة اللام الأولى، ثم أدغمت اللام فى اللام.

وقرأ أيوب السختياني (الضألين) بهمز غير ممدود، كأنه فر من التقاء الساكنين، وهى لغة.

(٢) سورة البقرة

سورة البقرة مدنية، نزلت فى مدد شتى.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١ الى ٢]

بسم الله الرحمن الرحيم

الم (١) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين (٢)

١-، ٢- الم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين:

الم الحروف التي فى أوائل السور فيها أقوال:

قيل: هى سر الله فى القرآن.

وقيل: هى من التشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه.

وقيل: هى من المكتوم الذي لا يفسر.

وقيل: هى أسماء للسور.

وقيل: هى أقسام أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها، وموضع القسم لا ريب فيه، وتكون لا جواب القسم.

ذلك الكتاب: أي هذا الكتاب، وذلك قد تستعمل فى الاشارة الى حاضر، وإن كان موضوعا للاشارة الى غائب، فالاسم ذلك اشارة الى القرآن، موضوع موضع: هذا. وقد جاء هذا بمعنى ذلك.

وقيل: هو على بابه، اشارة الى غائب.

الكتاب أي القرآن.

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢٣١/٨

لا ريب فيه نفى عام، ولذلك نصب الريب به.

والريب: الشك والارتياب." [1]

"إن كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٧٩ الى ٢٨٠]

فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون (٢٧٩) وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون (٢٨٠)

٢٧٩- فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون:

فأذنوا بحرب أي: فاعلموا بها، يقال: أذن بالشيء، إذا علم به.

وقرىء: فآذنوا، بالمد، أي: فأعلموا بها غيركم.

وإن تبتم من الارتياب.

لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها.

ولا تظلمون بالنقصان منها.

وهذا حكمهم ان تابوا، أما حكمهم إذا لم يتوبوا فيكون ما لهم فيئا للمسلمين.

٢٨٠- وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون:

وإن كان ذو عسرة أي وان وقع غريم من غرماءكم ذو عسرة أو ذو إعسار.

فنظرة أي: فالحكم، أو الأمر، نظرة، وهى الانظار.

إلى ميسرة أي الى يسار.

وأن تصدقوا خير لكم ندب الى أن يتصدقوا برءوس أموالهم على من أعسر من غرمائهم أو ببعضها.

وقيل: أراد بالتصديق: الانظار.

إن كنتم تعلمون: أنه خير لكم فتعملوا به. جعل من لا يعلم به وان علمه كأنه لا يعلمه.." [2]

"بعد قتله، ونطق باسم القاتل، وكان ذلك معجزة جديدة لموسى الكليم.

وفي معرض الحديث عن هاتين المعجزتين، تناولت الآيات بالوصف الدقيق ما كان عليه بنو إسرائيل من شك وتردد وعناد، وإغراق في الجدل الفارغ، وتضييع للوقت في المناقشات الجزئية والجانبية بالمرة.

فها هم أولاء يعربون عن سخطهم وعدم رضاهم بما رزقهم الله، ويلحون على موسى أن يدعو ربه، لتنبت لهم الأرض نباتات

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٩/٥١

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٩/١٩٨

أخرى ترضي شهوتهم، وتكفي نهمهم ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد﴾.

وها هم أولاء يجادلون موسى في شأن البقرة التي أمرهم الله بذبحها جدالا عنيفا، فيلقون عليه وابلا من الأسئلة التي لا داعي إليها، مما يعبر عن شكهم، ويعرب عن ارتيابهم، في أمر بسيط لا يستحق كل هذا التردد، ولا كل هذه الحيرة ﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا﴾. - ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾. - ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾. ثم كرروا مرة أخرى: ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾. -وأخيرا قالوا: ﴿قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون﴾.

ويلاحظ فيما جرت حكايته على لسان بني إسرائيل أنهم بدلا من أن يقولوا ادع لنا "ربنا" يفضلون أن يقولوا "ادع لنا ربك"،." (١)

"ثم اتجه الخطاب الإلهي إلى الرسول الأعظم، مذكرا إياه بأنه كما من على الأنبياء السابقين بإنزال الكتب إليهم، ها هو يكرمه ويمن عليه بالكتاب الذي أنزل إليه، مؤكدا، لمن لا يزال في شك من أمره، أن منصب النبوة والرسالة وتلقي الوحي الذي رشحته له العناية الإلهية، لم يكن يدور من قبل في خلده، ولم يكن له يد في اكتسابه، ولا تشوف إلى تلقي مدده، وإنما هو هبة من الله منحه إياها، ليثبت صدق رسالته إلى الخلق، حتى يقلعوا عن الباطل ويؤمنوا بالحق، وذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد ب آياتنا إلا الكافرون﴾ أي الموغلون في الكفر والراسخون فيه، ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ أي: وكان لهم في ارتيابهم متعلق.

ثم قال تعالى في وصف كتابه العزيز: ﴿بل هو آيات بينات﴾، أي: آيات الكتاب العزيز بلغت الغاية في قوة الدلالة ووضوح المعنى وبلاغة القول، بحيث يكفي أن يسمعها الإنسان لينشرح صدره، ويطمئن قلبه، ويقتنع بها فكره ولبه: ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ ومن ثم كان لا يجحدها ولا يتنكر لها إلا الإنسان الذي قضى على نفسه بالظلم والحرمان: ﴿وما يجحد ب آياتنا إلا الظالمون﴾.

وقد يسر الله آيات الذكر الحكيم، فجعلها في متناول العقول والأذهان، وحفظها لفظا ومعنى، نصا وروحا، في صدور." (٢)

"بنفسه التي بين جنبيه، ويتساءل بمنتهى الاستغراب كيف ينسى الإنسان أن الله هو الذي أوجده من العدم، وأنه خلقه من ماء مهين، ثم صوره في أحسن صورة، وجعله في أحسن تقويم، وزوده بالعقل والنطق واللسان، إلى أن أصبح فصيحا بليغا يحسن الجدل والقول والبيان، وبدلا من أن يعترف بفضل الله عليه، ها هو يجادل في الحق ويكابر، ولا يتورع

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤٩/١

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ١٢/٥

عن المجاهرة بأسخف سؤال يوجهه المخلوق إلى الخالق، وإلى هذه المعاني يشير قوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾، أي: يتولى مخاصمة مبدعه وخالقه، ويتشدق بتحدي ممده ورازقه، ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم﴾، لكن لم يلبث أن جاءه الجواب المفحم القاطع: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾، قال القشيري: " وما دامت الإعادة في معنى الإبداء، فأي إشكال يبقى في جواز الإعادة في الانتهاء ".

وأضاف كتاب الله إلى هذا الجواب، الذي لا يدخله الشك **والارتياب**، ظاهرة باهرة أخرى هي ظاهرة انقداح النار من الشجر الأخضر، مع ما بين الماء والنار من تضاد في المخبر والمظهر، وهي ظاهرة معترف بها في القديم والحديث، وذلك قوله تعالى في نفس السياق: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾.

وليقضي كتاب الله على جحود المتنطعين وعنادهم، وعلى شك المتحذلقين واستبعادهم، ألقى عليهم الحق سبحانه وتعالى." (١)

"وقل منا – نحن أساتذة العربية في الجامعات – من حاول أن يجعل من النص القرآني موضوعا لدراسة منهجية، على غرار ما نفعل بنصوص أخرى لا سبيل إلى مقارنتها بالقرآن الكريم في إعجازه البياني. وقد حرصت لمدى ربع قرن قضيته في الجامعة، على أن أتتبع أسئلة الامتحان في مواد اللغة والأدب، في أقسام اللغة العربية بمختلف الكليات، فلم أجد من بينها سؤالا في البيان القرآني، فدل هذا على أن الفكرة لم تأخذ حظها الكافي من الوضوح والتمثل.

والدراسات القرآنية، في المجال العام، تسير على غير منهج، ويتصدى لها من المؤلفين من ليسوا أهلا لها. ولم أنس محاولة الأستاذ "مصطفى صادق الرافعي" – رحمه الله – في إعجاز القرآن، والحديث عن قيمتها يأتي في مدخل كتابي (الإعجاز البياني) .

* * *

ومنذ سنين وأنا أقوم بهذه المحاولة في دراسة النص القرآني لغة وبيانا، تطبيقا للمنهج الذي تلقيته ... وعلى كثرة ما اشتغلت به من روائع النصوص الأخرى، فإني لا أستطيع بحال، أن أعبر عما كان يبهرني من جلال هذه المحاولة، وما راضتني به، عقلا وذوقا ووجدانا، إلى الحد الذي جعلني أتساءل في **ارتياب**: هل كنت قبلها، قد صح لي فقه لغتي العربية، وإدراك أسرار بيانها؟

ذلك لأني بحكم نشأتي في بيت علم ودين، ألفت منذ الصغر أن أصغي بكل وجداني إلى هذا القرآن، وأن أتلو آياته في تأثر وخشوع، لكني لم أع بيانه حق الوعي، إلا بعد تخصصي في دراسة النصوص، واتصالي بأصيل ما للعربية من تراث

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٥/٢٨١

أدبي، فكنت كلما ازددت تعمقا في الدرس، وفقها للعربية، وقفت مبهورة أمام جلال هذا النص المحكم، وعدت أتلو من معجز آياته ما أدركت معه لماذا أعيا العرب – وهم أصحاب الفن القولى، واللغة." (١)

"لا يشير من قريب ـأو بعيد، إلى أن الموقف كان **ارتيابا** من المشركين في ربوبية الله وحكمته ورحمته، وإنما كان – على قول المفسرين في سبب النزول – كلاما في أن الله قد ودع محمدا – صلى الله عليه وسلم – وقلاه. ونص عبارة إبن القيم: "أقسم بآيتين عظيمتين من آياته، دالتين على ربوبيته، وهما الليل والنهار.... فتأمل مطابقة هذا القسم، وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل، للمقسم عله وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه".

* * *

ومن المفسرين من وقف طويلا عند تقديم الضحى هنا، وأبعد في تأويله فقال: "إنه إشارة أن الحياة أولى للمؤمن من الموت إلى أن تحصل كمالاته الممكنة. وأيضا أنه ذكر الضحى حتى لا يحصل اليأس من روحه – تعالى – ثم عقبة بالليل حتى يحصل الأمن من مكره! ".

ولم يتعرض "إبن جرير الطبري" لبيان ارتباط المقسم به بالمقسم عليه، ومثله "الزمخشري" في الكشاف، وإنما اقتصرا على بيان كل من طرفي القسم. وكذلك سكت "أبو حيان" في (البحر) عن هذه الصلة المعنوية بينهما، وشغل عنها ببيان أوجه الصناعة النحوية.

كما لم تعرض أي مفسر – فيما قرأت – لمقابلة هذا القسم الإلهي بالواو، على ظاهرة نفي القسم الصريح حيثما جاء في القرآن الكريم مسندا إلى الله تعالى.

* * *

ونعرض بعد هذا، لأقوالهم في تفسير: الضحى، والليل إذا سجا، فنقرأ في "الطبري" اختلاف أهل التأويل في الضحى: فهم النهار كله، وهو ساعة من ساعات النهار.

كما نقرأ أختلافهم في الليل إذا سجا: فهو الليل إذا أقبل، أو إذا جاء. وهو." (٢)

"وهم هما قد الهاهم التكاثر فناسب هذا الإلهاء أن ينذرهم بما بعده من تلقف المقابر لكل ما يتكاثرون به، وأن يردعهم بمصير لابد آت، يعلمون فيه حقيقة ما طالما ألهاهم عنه التكاثر: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ ق٢٢.

ولا حاجة بنا إلى الوقوف لنسأل عما سوف يعلمونه، على نحو ما فعل الطبري والزمخشري والرازي، والآيات التالية تعفينا من تأويل، وتغنينا عن تحديد ما سوف يعلمون:

* * *

﴿كلا لو تعلمون علم اليقين (٥) لترون الجحيم﴾ .

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ١٤/١

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٢٨/١

هو علم اليقين، حين لا مجال لشك فيه أو ارتياب، ولا موضع لغفلة ولهو بما طالما تكاثروا فيه.

واليقين لغة: إزاحة الشك، وقد يقن الأمر، كفرح، وأيقنه وأيقن به وتيقنه واستيقنه واستيقن به: علمه وتحققه.

ويبدو أن جمهرة المفسرين متفقون على أن معنى علم اليقين في آية التكاثر "هو علم يقين، أضف إلى الصفة، نحو: ولدار الآخرة" – الرازي، النيسابورى، أبو حيان.

وإنما اختلفوا في تحديد المقصود باليقين: فقيل هو الموت، ونظيره عندهم قوله تعالى:

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ . الحجر ٩٩.

وقيل هو البعث، يزول به كل شك.

والطبير يختار البعث، على حين سكت الرازي وأبو حيان فلم يرجحا قولا على آخر.

والخلاف ليس بذي بال، فالأمر بينهما قريب. على أنا لا نطمئن إلى." (١)

"تفسير اليقين هنا، ولا في آية الحجر التي نظروا بها: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ بالموت أو البعث. فما يستوي التأويل: كلا لو تعلمو علم الموت، أو علم القيامة. وعطاء الآية: ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ من قوة ونذير واليقين في القرآن التحقق وإزاحة الشك، والإدراك الواثق الذي لا يلتبس بوهم أو ظن أو تخمين أو ارتياب، يطرد هذا ي كل المواضع التي وردت فيها المادة فعلا أو اسما، على اختلاف الصيغ.

﴿واستيقنتها أنفسهم﴾ النمل ١٤

﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ المدثر ٣١

﴿وما قتلوه يقينا﴾ النساء ١٥٧

﴿إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾ الجاثية ٣٢

﴿وجئتك من سبإ بنبإ يقين﴾ النمل ٢٢

ويجئ اليقين في القرآن مضافا إليه علم، وعين، وحق، كما يجئ الاستيقان مع نفي **الإرتياب**، أو مقابلا للظن، مما لايدع مجالا لتفسير اليقين بغير التحقق والإدراك الواثق، وإزاحة كل شك أو لبس أو **إرتياب**.

* * *

ثم إن الاية متلوة بقوله تعالى:

﴿لترون الجحيم (٦) ثم لترونها عين اليقين﴾

وهو ما يجلو مفهوم "علم اليقين" بما لا يغني عن أي تأويل، فهذا بيان لما سوف يعلمون يقينا. وإضافة عين إلى اليقين في الآية الثانية، تأكيد وتجسيم وترسيخ: فالأصل الحسي للعين أنها الباصرة، ولأهميتها بين الجوارح، يكتفي بها أحيانا في الدلالة

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٢٠٤/١

على الشخص فيقال: ما بالدار من عين، أي أحد. كما استعملت في موضع العناية والإهتمام في مثل قوله تعالى: ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي بحيث." (١)

"مقصودا إلى تفخيم أمره بالقسم، خص الليالي التي يظهر فيها ضوء القمر مع تغلب الظلام فيها بعشر فقط، وإلا فقد يكون ظلام في أكثر من عشر من الشهر لكن زمنه قليل لا يليق ذكره بمقام التفخيم! وفي الفجر تفريجه كربه الليل من جهة، وتنبيه العامل إلى استقبال عمله من جهة أخرى، وفي ليالي القمر واستمالتها الأنفس للسمر وتيسير السير في السفر، ثم في قصر بقاء القمر وانتظار هجوم الظلمة وابتغاء الغنيمة (؟) مع الاستعداد للسكون عندما يرخى الليل ستاره، في كل ذلك رغبات للنفس ورهبات، وللهواجس غدوات وروحات، وللأماني فيه دبيب ووثبات، فهو جدير بأن يقسم به".

ولا يخفي ما في هذا التأويل من بعد التكلف وعسر الملحظ، وإلا فالعشر الوسطى من الشهر القمري أسنى وأبهى وأقوى استمالة للسمر! وإذا كانت قلة الظلام مما لا يليق ذكره بمقام التفخيم، فكيف يليق معهذكر الفجر تفخيما له بما يخفف من كربة الظلام وما ينسخ من آية الليل! وفي أقسام القرآن قسم بالصبح إذا تنفس، وبالضحى وبالنهار إذا تجلى، كما فيها قسم بالليل إذا سجى وإذا عسعس، وإذا وقب، وإذا يغشى، وإذا أدبر!؟

ونعود فنقول إن مثل هذا القسم بالواو في القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية عدل فيها البيان القرآني بالقسم عن أصل استعماله الأول للتعظيم، لملحظ بلاغي هو اللفت بالواو إلى واقع حسي مدرك لا مجال للمهاراة فيه، توطئة للإقناع بما هو موضع جدل أو ارتياب، من المعوويات والغيبيات غير المدركة.

وقد سبق بيان لهذه الظاهرة فيما تناولنا من سور الضحى والعاديات والنازعات في الجزء الأول، ثم في سورتى العصر والليل هنا. ونعرض ملحظنا فيها على آيات القسم بالواو في مستهل سورة الفجر، فنراها جميعا لافتة لفتا قويا إلى صور مدركة من التقابل في الأضواء، ما بين نور الفجر وسرى الليل، وفي العدد، أيا كان المعدود، من شفع ووتر.

توطئة بيانية لما يتلو من آيات محكمات فيها تقابل بين الإبتلاء بالقوة وبالغنى والنعمة." (٢)

"والعقيدة والأهواء. وبهذا المعنى جاء الفؤاد في القرآن مفردا وجمعا، ست عشرة مرة، ليس فيها ما يحمل على الجارحة، كآيات:

﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ (هود ١٢٠)

﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (الفرقان ٣٢)

﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ (النجم ١١)

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ (القصص ١٠)

﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ (إبراهيم ٣٧)

﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ (الأنعام ١١٣)

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٢٠٥/١

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ١٣٤/٢

﴿مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (إبراهيم ٤٣)
والزمخشري التفت إلى أن الأفئدة مواطن الكفر والعقائد الفاسدة، كما قال الشيخ محمد عبده إنها موضع الوجدان والشعور.
وبقى أن نلتفت إلى أن هذه المعنويات هي الغالبة كذلك على استعمال القرآن للفظ قلب وقلوب. إذ يأتي اللفظ مع الإطمئنان والسكينة والرحمة والتآلف والخشوع والوجل والفقه والطهر. كما يأتي مع **الارتياب** واللهو والتقلب والرعب والوجل والخوف والاشمئزاز والقسوة والتكبر والجبروت، والزيغ والمرض والإثم والغفلة والعمى.....
وكلها مما لا مجال له في القلب بدلالته العضوية التي تعرفها له العربية في مألوف الاستعمال ومنه في القرآن آية الأحزاب:
﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ .
وإذن يكون إيثار الأفئدة هنا لا لنسق الفاصلة فحسب، ولكنه كذلك لتخليص الأفئدة من حس العضوية التي تدخل على دلالة لفظ القلوب في المألوف من لغة العرب، إذ نستعمل القلب بمعناه العضوي، ولا نستعمل الفؤاد بهذا المعنى قط.
وإسناد الإطلاع إلى نار الله الموقدة، فيه تشخيص لهولها وتقرير لفاعليتها، على نحو ما شخص القرآن الكريم هذا الهول بتقرير فاعلية النار، في آيات أخرى، تأتي النار فيها:." (١)
"معطوف على قوله: ﴿آمنوا﴾ أي هم مع إيمانهم بالله - عز وجل - ويقينهم وعدم **ارتيابهم** يريدون أن يصلحوا عباد الله بالجهاد في سبيل الله، يجاهدون أعداء الله ليرجعوا إلى دين الله ويستقيموا عليه، لا للانتقام منهم، ولا للانتصار لأنفسهم، ولكن ليدخلوا في دين الله - عز وجل - والجهاد في سبيل الله هو القتال لتكون كلمة الله هي العليا، لا للانتقام، فالقتال للانتقام ليس إلا مدافعة عن النفس، أو أخذا بالثأر فقط، لكن الجهاد حقيقة هو أن يقاتل الإنسان لتكون كلمة الله هي العليا، أما الجهاد انتصارا للنفس، أو دفاعا عن النفس فقط، فليس في سبيل الله، لكن لاشك أن من قاتل دفاعا عن نفسه فإنه إن قتل فهو شهيد (رحمه الله١) ، وإن قتله صاحبه فصاحبه في النار كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيمن أراد أن يأخذ مالك قال: «لا تعطه» ، قال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلني، قال: «قاتله» ، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «أنت شهيد» ، قال: إن قتلته؟ قال: «فهو في النار» (رحمه الله٢) ،
فالجهاد في سبيل الله هو القتال لتكون كلمة الله هي العليا، هذا هو الذي حده النبي عليه الصلاة والسلام وفصله فصلا قاطعا، ﴿أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم وعدم **ارتيابهم**، أما الذين قالوا من الأعراب

رحمه الله________________

(رحمه الله١) أخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد» كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله (٢٤٨٠) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم (١٤١) .

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ١٧٨/٢

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في قتال اللصوص (٤٧٧١، ٤٧٧٢) ، والترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد (١٤٢٠، ١٤٢١) ..." (١)

"مات رجل من الأمريكان من الملحدين منهم، مات رجل من اليهود من الملحدين، العنه واشهد له بالنار، نقول: لا يمكن، نحن نقول: من مات على هذا فهو من أهل النار، من مات على هذا لعناه، أما الشخص المعين فلا، ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والجماعة قالوا: لا نشهد لأحد بالجنة أو بالنار إلا لمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم، ولكننا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

﴿قتل الخراصون﴾ ﴿قتل﴾ كثير من المفسرين يفسرها بلعن، واللعن هوالطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولكن الصحيح أنها بمعنى أهلك، لأنه لا داعي أن نصرفها عن ظاهرها، وظاهرها صحيح مستقيم، فمعنى ﴿قتل﴾ : أهلك، و ﴿الخراصون﴾ جمع خراص، وهو الذي يتكلم بالظن والتخمين **والارتياب** والشك، لأنه منغمر في الجهل والسهو والغفلة، ولهذا وصفهم بقوله: ﴿الذين هم في غمرة ساهون﴾ أي في غمرة من الجهل، قد أحاط بهم الجهل من كل جانب، ﴿ساهون﴾ : غافلون، لا يحاولون أن يقبلوا على ما أنزل الله على رسله – عليهم الصلاة والسلام – ومن جهلهم أنهم ﴿يسئلون أيان يوم الدين﴾ ، سؤال استبعاد وإنكار، لو كانوا يسألون سؤال استعلام واستخبار، لعذروا، كما قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: «أخبرني عن الساعة» ، استفهاما واستخبارا، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» (رَحِمَهُ اللَّهُ١)

لكن أولئك الخراصون

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) تقدم تخريجه ص ٦٢..." (٢)

"وأفصحه؛ ولا يمكن أن يخفى على الله عز وجل ما يتضمنه كلامه؛ فيجب عليك أن تفسره بظاهره..

فقوله تعالى: ﴿لا ريب فيه﴾ : ظاهرها أنها جملة خبرية تفيد النفي؛ والمعنى: ليس فيه ريب أبدا؛ وقيل: إن الخبر هنا بمعنى النهي؛ فمعنى: ﴿لا ريب فيه﴾ : لا ترتابوا فيه؛ والذي أوجب أن يفسروا النفي بمعنى النهي قالوا: لأنه قد حصل فيه ريب من الكفار، والمنافقين؛ قال تعالى: ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٥] ؛ فلا يستقيم النفي حينئذ؛ وتكون هذه القرينة الواقعية من **ارتياب** بعض الناس في القرآن قرينة موجبة لصرف الخبر إلى النهي؛ ولكننا نقول: إن الله تعالى يتحدث عن القرآن من حيث هو قرآن. لا باعتبار من يتلى عليهم القرآن.؛ والقرآن من حيث هو قرآن لا ريب فيه؛ عندما أقول لك: "هذا الماء عذب" فهذا بحسب وصف الماء بقطع النظر عن كون هذا الماء في مذاق إنسان من الناس ليس عذبا؛ كون مذاق الماء العذب مرا عند بعض الناس فهذا لا يؤثر على طبيعة الماء العذب؛ وقد قال المتنبي:.

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد ابن عثيمين ص/٦٦

(٢) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد ابن عثيمين ص/١٢١

(ومن يك ذا فم مر مريض، يجد مرا به الماء الزلالا) فما علينا من هؤلاء إذا كان القرآن عندهم محل ريبة؛ فإن القرآن في حد ذاته ليس محل ريبة؛ والله سبحانه وتعالى يصف القرآن من حيث هو قرآن؛ على أن كثيرا من الذين ادعوا **الارتياب** كاذبون يقولون ذلك جحودا، كما قال تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: ٣٣] ؛ فكثير منهم ربما لا يكون عنده **ارتياب** حقيقي في القرآن؛ ويكون في داخل نفسه يعرف أن هذا ليس بقول الرسول صلى الله عليه وسلم وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لا." (١)

"٣٤ – ومن فوائد الآية: النهي عن السأم في كتابة الدين سواء كان صغيرا، أو كبيرا؛ والظاهر أن النهي هنا للكراهة.

٣٥ – ومنها: أنه إذا كان الدين مؤجلا فإنه يبين الأجل؛ لقوله تعالى: ﴿إلى أجله﴾ .

٣٦ – ومنها: أن ما ذكر من التوجيهات الإلهية في هذه الآية فيه ثلاثة فوائد:

الأولى: أنه أقسط عند الله – أي أعدل عنده لما فيه من حفظ الحق لمن هو له، أو عليه.

الثانية: أنه أقوم للشهادة؛ لأنه إذا كتب لم يحصل النسيان.

الثالثة: أنه أقرب لعدم **الارتياب**.

٣٧ – ومن فوائد الآية: العمل بالكتابة، واعتمادها حجة شرعية إذا كانت من ثقة معروف خطه؛ ويؤيد هذا قوله (صلى الله عليه وسلم) : «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» (رحمه الله١) .

٣٨ – ومنها: أن الشهادات تتفاوت؛ فمنها الأقوم؛ ومنها القيم؛ ومنها ما ليس بقيم؛ فالذي ليس بقيم هو الذي لم تتم فيه شروط القبول؛ والقيم هو الذي صار فيه أدنى الواجب؛ والأقوم ما كان أكمل من ذلك؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وأقوم للشهادة﴾ . فإذا قيل: ما مثال القيم؟ فنقول: مثل شاهد، ويمين؛ لكن أقوم منه الشاهدان؛ لأن الشاهدين أقرب إلى الصواب من الشاهد

رحمه الله______________

(رحمه الله١) أخرجه البخاري ص٢٢٠، كتاب الوصايا، باب ١: الوصايا، حديث رقم ٢٧٣٨، وأخرجه مسلم ص٩٦٢، كتاب الوصية، باب ١: وصية الرجل مكتوبة عنده، حديث رقم ٤٢٠٤ [١] ١٦٢٧، واللفظ لمسلم.." (٢)

"الواحد؛ ولأن الشاهدين لا يحتاج معهما إلى يمين المدعي؛ فكانت شهادة الشاهدين أقوم للشهادة.

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٢٧/١

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٤١٧/٣

٣٩ – ومن فوائد الآية: أنه ينبغي للإنسان أن يتجنب كل ما يكون له فيه **ارتياب**، وشك؛ لقوله تعالى: ﴿وأدنى ألا ترتابوا﴾ .

ويتفرع على هذه الفائدة: أن دين الإسلام يريد من معتنقيه أن يكونوا دائما على اطمئنان، وسكون.

ويتفرع أيضا منها: أن دين الإسلام يحارب ما يكون فيه القلق الفكري، أو النفسي؛ لأن **الارتياب** يوجب قلق الإنسان، واضطرابه.

ويتفرع عليه أيضا: أنه ينبغي للإنسان إذا وقع في محل قد يستراب منه أن ينفي عن نفسه ذلك؛ وربما يؤيد هذا الأثر المشهور: «رحم الله امرئ كف الغيبة عن نفسه» (رَحِمَهُ اللهُ١) ؛ لا تقل: إن الناس يحسنون الظن بي، ولن يرتابوا في أمري؛ لا تقل هكذا؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم؛ فربما لا يزال يوسوس في صدور الناس حتى يتهموك بما أنت منه بريء.

٤٠ – ومن فوائد الآية: جواز الاتجار؛ لقوله تعالى: ﴿إلا أن تكون تجارة حاضرة﴾ ؛ ولكن هذا الإطلاق مقيد بالشروط التي دلت عليها النصوص؛ فلو اتجر الإنسان بأمر محرم فهذا لا يجوز من نصوص أخرى؛ ولو رابى الإنسان يريد التجارة والربح قلنا: هذا حرام من نصوص أخرى؛ إذا هذا المطلق الذي هو التجارة

رَحِمَهُ اللهُ______________

(رَحِمَهُ اللهُ١) ذكره العجلوني في كتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس" بلفظ: "رحم الله امرءا جب الغيبة عن نفسه" ١/٥١٣، حديث رقم ١٣٦٧، ولم يذكر أصلا لهذا الأثر.." (١)

"والمقصود بقوله: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا ... نفى الريب عن المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم بنفيه عن المنزل وهو القرآن الكريم.

والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم هو **الارتياب** في شأنه، أو للتنبيه على أن كلامهم في شأن القرآن هو بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح الدلائل الدالة على أن القرآن من عند الله- تعالى-.

وعبر بقوله: وإن كنتم في ريب ولم يقل: وإن ارتبتم فيما نزلنا، للإشارة إلى أن ذات القرآن لا يتطرق إليها ريب، ولا يطير إلى أفقها شرارة من شك، وأنه إن أثير حوله أى شك فمرجعه إلى انطماس بصيرتهم، وضعف تفكيرهم، واستيلاء الحقد والعناد على نفوسهم.

وأتى بإن المفيدة للشك مع أن كونهم في ريب مما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أمر محقق، تنزيلا للمحقق منزلة المشكوك فيه، وتنزيها لساحة القرآن عن أن يتحقق الشك فيه من أى أحد، وتوبيخا لهم على وضعهم الأمور في غير مواضعها.

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٤١٨/٣

ووجه الإتيان بفي الدالة على الظرفية، للإشارة إلى أنهم قد امتلكهم الريب وأحاط بهم إحاطة الظرف بالمظروف.

وقال نزلنا دون أنزلنا، لأن المراد النزول على سبيل التدريج، ومن المعروف أن القرآن قد نزل منجما في مدة تزيد على عشرين سنة.

قال صاحب الكشاف: (فإن قلت: لم قيل: (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؟

قلت: لأن المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وذلك أنهم كانوا يقولون: لو كان هذا القرآن من عند الله، لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة، وآيات عقب آيات، على حسب النوازل، وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا حسب ما يعن لهم من الأحوال المتجددة ... فقيل لهم: إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على مهل وتدريج، فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه، وهاتوا نجما فردا من نجومه: سورة من أصغر السور، أو آيات شتى مفترقات، وهذا غاية التبكيت ومنتهى إزاحة العلل) «١» اهـ ملخصا.

والمراد بالعبد في قوله- تعالى-: على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي إضافته إلى الله- تعالى- تنبيه على شرف منزلته عنده، واختصاصه به.

وفي ذكره صلى الله عليه وسلم باسم العبودية، تذكير لأمته بهذا المعنى، حتى لا يغالوا في تعظيمه فيدعوا

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٩٧.." [١]

"وعبر عن الكتاب بالآيات، للإشعار بأنها في غاية الظهور والدلالة على كونها من عند الله- تعالى-، وأنه ما يكذب بها إلا من غطى الحق بالباطل عن تعمد وإصرار.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد بينت أن من الناس من قابل هذا القرآن بالتصديق والإذعان، ومنهم من قابله بالجحود والنكران.

ثم ساق- سبحانه- أبلغ الأدلة وأوضحها على أن هذا القرآن من عنده- تعالى-، فقال: وما كنت تتلوا من قبله من كتاب، ولا تخطه بيمينك، إذا لارتاب المبطلون.

أى: أنت- أيها الرسول الكريم- ما كنت في يوم من الأيام قبل أن ننزل عليك هذا القرآن- تاليا لكتاب من الكتب، ولا عارفا للكتابة، ولو كنت ممن يعرف القراءة والكتابة، لارتاب المبطلون في شأنك، ولقالوا إنك نقلت هذا القرآن بخطك من كتب السابقين.

ومن في قوله من كتاب لتأكيد نفى كونه صلى الله عليه وسلم قارئا لأى كتاب من الكتب قبل نزول القرآن عليه.

وقوله: ولا تخطه بيمينك لتأكيد نفى كونه صلى الله عليه وسلم يعرف الكتابة أو الخط.

قال الإمام ابن كثير: وهكذا صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة، كما قال- تعالى-:

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.. وهكذا كان صلوات الله وسلامه عليه-

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٧٥/١

إلى يوم القيامة، لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطرا ولا حرفا بيده، بل كان له كتاب يكتبون بين يديه الوحى والرسائل إلى الأقاليم ... » «١» .

والمراد بالمبطلين، كل من شك في كون هذا القرآن من عند الله- تعالى-، سواء أكان من مشركي مكة أم من غيرهم.

وسماهم- سبحانه- مبطلين، لأن **ارتيابهم** ظاهر بطلانه ومجانبته للحق، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لبث فيهم قبل النبوة أربعين سنة، يعرفون حسبه ونسبه، ويعلمون حق العلم أنه أمى لا يعرف الكتابة والقراءة.

ثم بين- سبحانه- حقيقة هذا الكتاب المعجز فقال: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم....

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٦ ص ٢٩٥.." (١)

"أى: ينادى المنافقون المؤمنين نداء كله حسرة وندامة، فيقولون لهم: ألم نكن معكم في الدنيا، نصلى كما تصلون، وننطق بالشهادتين كما تنطقون؟

قالوا بلى أى: قال المؤمنون للمنافقين: بل كنتم معنا في الدنيا تنطقون بالشهادتين.

ولكنكم في الدنيا فتنتم أنفسكم أى: أظللتم أنفسكم بالنفاق الذي هو كفر باطن، وإسلام ظاهر.

وتربصتم والتربص: الانتظار والترقب، أى: وانتظرتم وقوع المصائب بالمؤمنين.

وارتبتم أى: وشككتم في الحق الذي جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم وأعرضتم عنه.

وغرتكم الأماني والأماني: جمع أمنية، وهي ما يمنون به أنفسهم من الباطل.

كزعمهم أنهم مصلحون، وأنهم على الحق، وأن المسلمين على الباطل.

حتى جاء أمر الله أى: بقيتم على الفتنة، **والارتياب**، والتربص، والاغترار بالباطل، حتى جاءكم أمر الله، وهو قضاؤه فيكم بالموت.

وغركم بالله الغرور أى: وخدعكم في سعة رحمة الله الشيطان. فأطمعكم بأنكم ستنجون من عقابه- تعالى- مهما فتنتم أنفسكم وتربصتم بالمؤمنين وارتبتم في كون الإسلام حق.

وها أنتم الآن ترون سوء عاقبة نفاقكم، وإصراركم على كفركم.

فاليوم لا يؤخذ منكم أيها المنافقون فدية وهي ما يبذل من أجل افتداء النفس من العذاب.

ولا من الذين كفروا أى: ولا يؤخذ- أيضا- من الذين كفروا ظاهرا وباطنا فداء.

مأواكم جميعا النار. أى: المكان الذي تستقرون فيه، هو النار.

هي مولاكم أى: هذه النار هي أولى بكم من غيرها. والأصل هي مكانكم الذي يقال فيه أولى بكم.

ويجوز أن يكون المعنى: هذه النار: هي ناصركم، من باب التهكم بهم، على حد قول الشاعر: تحية بينهم ضرب وجيع ... أى: لا ناصر لكم إلا النار.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي   محمد سيد طنطاوي ٤٧/١١

والمراد نفى الناصر لهم على سبيل القطع، بعد نفى أخذ الفدية منهم. «١»

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٦.." [١]

"قال صاحب الكشاف: قوله: هي مولاكم قيل: هي أولى بكم ... وحقيقة مولاكم، أى: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم، أى مكان لقول القائل إنه لكريم.

ويجوز أن يراد: هي ناصركم. أى: لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفى الناصر على البتات، ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر بالجزع. ومنه قوله- تعالى- وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل.

وقيل: هي مولاكم، أى تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

وعطف- سبحانه- الذين كفروا على المنافقين في عدم قبول الفدية، لاتحادهم في التكذيب بيوم الدين، وفي الاستهزاء بالحق الذي جاءهم من عند الله- تعالى-.

والمخصوص بالذم في قوله- تعالى-: وبئس المصير محذوف والتقدير: وبئس المصير جهنم التي هي المكان الذي تصيرون إليه.

فأنت ترى أن المؤمنين قد بينوا للمنافقين، أنهم يوافقونهم على أنهم كانوا معهم في الدنيا.

ولكن الذي أدى بهؤلاء المنافقين إلى هذا المصير الأليم هو: فتنة أنفسهم، والتربص بالمؤمنين، **والارتياب** في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والاغترار بخداع الشيطان.. فما نزل بهم من عذاب إنما هو بسبب أفعالهم القبيحة.

وبعد هذا الحديث المؤثر عن المؤمنين ونورهم، وعن المنافقين وظلماتهم وعن تلك المحاورات التي تدور بينهم.. بعد كل ذلك حرض- سبحانه- المؤمنين، على أن يروضوا أنفسهم على خشية الله- تعالى- وحذرهم من أن ينهجوا نهج أهل الكتاب في قسوة القلب، ووعد- سبحانه- المؤمنين الصادقين بالأجر الجزيل، وبالنور العظيم، فقال- تعالى-:

[سورة الحديد (٥٧) : الآيات ١٦ الى ١٩]

ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون (١٦) اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون (١٧) إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم (١٨) والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (١٩)." [٢]

"رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إذعان واقتناع فقال: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢١١/١٤

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢١٢/١٤

والفاء في قوله فلا للإفصاح عن شرط مقدر.

ولا يرى الزمخشري أنها زائدة لتقوية الكلام وتأكيد معنى القسم، فهي كقوله- تعالى-: فو ربك لنسئلنهم أجمعين. عما كانوا يعملون «١» .

ويرى ابن جرير أنها ليست زائدة، وإنما هي رد على ما تقدم ذكره من تحاكمهم إلى الطاغوت وتركهم حكم شريعة الإسلام فقد قال:

«يعنى- جل ثناؤه- بقوله فلا: أى فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد. ثم استأنف القسم- جل ذكره- فقال: وربك يا محمد لا يؤمنون أى: لا يصدقون بي وبك حتى يحكموك فيما شجر بينهم» «٢» .

وقوله فيما شجر بينهم أى فيما اختلف بينهم من الأمور والتبس.

يقال: شجر بينهم الأمر يشجر شجرا وشجورا إذا تنازعوا فيه. وأصله التداخل والاختلاط. ومنه شجر الكلام، إذا دخل بعضه في بعض واختلط. ومنه الشجر: لتداخل أغصانه.

وقيل للمنازعة تشاجر، لأن المتنازعين تختلف أقوالهم، وتتعارض دعاويهم، ويختلط بعضهم ببعض.

وقوله حرجا أى ضيقا وشكا، وأصل الحرج مجتمع الشيء، ويقال للشجر الملتف الذي لا يكاد يوصل إليه حرج. ثم أطلق على ضيق الصدر لكراهته لشيء معين.

والمعنى: إذا ثبت ما أخبرناك به يا محمد قبل ذلك، فإن هؤلاء المنافقين وحق ربك «لا يؤمنون» إيمانا حقا يقبله الله- تعالى- حتى يحكموك فيما شجر بينهم أى: حتى يجعلوك حاكما بينهم، ويلجئوا إليك فيما اختلفوا فيه من أمور، والتبس عليهم منها. ثم لا يجدوا في أنفسهم بعد ذلك حرجا مما قضيت أى ضيقا وشكا في قضائك بينهم ويسلموا تسليما أى: ويخضعوا لحكمك خضوعا تاما لا إباء معه ولا **ارتياب**.

وفي إضافة الاسم الجليل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله- سبحانه- وربك تكريم للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريف له، وتنويه بمكانته.

---

(١) سورة الحجر آية ٩٢، ٩٣.

(٢) تفسير ابن جرير ج ٥ ص ١٥٨.." (١)

"هو التفتح للحق، والانقياد للهداية، فإننا لو نزلنا عليك كتابا من السماء في قرطاس- كما اقترحوا- فشاهدوه بأعينهم وهو نازل عليك ولمسوه بأيديهم منذ وصوله إلى الأرض وباشروه بعد ذلك بجميع حواسهم بحيث يرتفع عنهم كل **ارتياب**، ويزول كل إشكال. لو أننا فعلنا ذلك. استجابة لمقترحاتهم المتعنتة، لقالوا بلغة العناد والجحود ما هذا الذي أبصرناه ولمسناه إلا سحر مبين.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٠٢/٣

فالآية الكريمة تصور مكابرتهم المتبجحة، وعنادهم الصفيق، وإدبارهم عن الحق مهما تكن قوة أدلته، ونصاعة حجته.

قال الإمام الرازي «بين الله- تعالى- في هذه الآية أن هؤلاء الكفار لو أنهم شاهدوا نزول كتاب من السماء دفعة واحدة عليك يا محمد لم يؤمنوا به بل حملوه على أنه سحر. والمراد من قوله في قرطاس أنه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة واحدة فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا إنه سحر» .

ولو في الآية الكريمة حرف امتناع، أى: أنه- سبحانه- قد امتنع عن إجابة مقترحاتهم لأنه يعلم أن إجابتها لا ثمرة لها، ولا فائدة من ورائها، لأن هؤلاء الجاحدين لا ينقصهم الدليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وإنما الذي ينقصهم هو الاستجابة للحق والاتجاه السليم لطلبه، والاستماع إليه بعناية وتفكير.

وعبر- سبحانه- بقوله: فلمسوه بأيديهم. مع أن اللمس هو باليد غالبا- للتأكيد وزيادة التعيين، ودفع احتمال المجاز. فالجملة الكريمة المقصود بها تصوير فرط جحودهم ومكابرتهم، وإعراضهم عن الحق مهما تكن قوة الدليل وحسيته.

وفي قوله- تعالى- لقال الذين كفروا إشارة إلى أن الكافرين وحدهم هم الذين بسبب كفرهم- ينتحلون الأعذار لضلالهم، ويصفون الحق الواضح بأنه سحر مبين. أما المؤمنون فإنهم يقابلون الحق بالتصديق والإذعان.

وقد حكى القرآن عنهم أنهم قالوا: إن هذا إلا سحر مبين، فأكدوا حكمهم الباطل بطريق النفي والإثبات- أى: أنه مقصور على أنه سحر- وبالإشارة إليه، وبأنه بين واضح في كونه سحرا، وذلك يدل على أن تبجحهم قد بلغ النهاية، وأن مكابرتهم قد كذبت ما شهدت بصدقه حواسهم، وإن قوما بهذه الدرجة من العناد لا تجدى فيهم معجزة، ولا ينفع معهم دليل.

وفي معنى هذه الآية قد وردت آيات أخرى في القرآن الكريم منها قوله- تعالى-

---

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص ١٢.." (١)

"قال الإمام الماوردي في (أعلام النبوة) : (وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء، بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما هو حجة على أممهم، ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم، بما أطلعه الله- تعالى- على غيبه، ليكون عونا للرسل، وحثا على القبول، فمنهم من عينه باسمه، ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه، ومنهم من أضافه إلى بلده، ومنهم من خصه بأفعاله، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره، وقد حقق الله- تعالى- هذه الصفات جميعها فيه، حتى صار جليا بعد الاحتمال، ويقينا بعد **الارتياب**) «١» .

وجاء في (منية الأذكياء في قصص الأنبياء) : (إن نبينا- عليه الصلاة والسلام- قد بشر به الأنبياء السابقون، وشهدوا بصدق نبوته، ووصفوه وصفا رفع كل احتمال، حيث صرحوا باسمه وبلده وجنسه وحليته وأطواره وسمته، ومع أن أهل الكتاب حذفوا اسمه من نسخهم الأخيرة إلا أن ذلك لم يجدهم نفعا، لبقاء الصفات التي اتفق عليها المؤرخون من كل جنس وملة وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى، إذ قد يشترك اثنان في اسم، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف. لكن من أمد غير بعيد قد شرعوا في تحريف بعض الصفات ليبعد صدقها على النبي صلى الله عليه وسلم فترى كل نسخة متأخرة

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٤١/٥

تختلف عما قبلها في بعض المواضع اختلافا لا يخفى على اللبيب أمره، ولا ما قصد به. ولم يفدهم ذلك غير تقوية الشبهة عليهم. لانتشار النسخ بالطبع وتيسير المقابلة بينها» «٢» .

وقال المرحوم الشيخ (رحمة الله الهندي) في كتابه (إظهار الحق) (إن الأخبار الواقعة في حق محمد صلى الله عليه وسلم توجد كثيرة إلى الآن- أيضا- مع وقوع التحريفات في هذه الكتب. ومن عرف أولا طريق أخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر. ثم نظر ثانيا بنظر الإنصاف إلى هذه الاخبارات وقابلها بالأخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى- عليه السلام- جزم بأن الاخبارات المحمدية في غاية القوة) «٣» .

وقد جمع صاحب كتاب (إظهار الحق) وغيره من العلماء والمؤرخين كثيرا من البشائر التي وردت في التوراة والإنجيل خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ومبينة نعوته وصفاته.

ومن أجمع ما جاء في التوراة خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- قال: (قرأت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم (محمد رسول الله: عبدى ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزى بالسيئة

---

(١) الباب الخامس عشر: فصل (بشائر الأنبياء بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم) .

(٢) نقلا عن تفسير القاسمى ج ٧ ص ٢٨٧٤.

(٣) كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي.." (١)

"قال الآلوسى: وتخصيص الإيمان بهما- أى بالله واليوم الآخر- في الموضعين للإيذان بأن الباعث على الجهاد والمانع عنه الإيمان بهما وعدم الإيمان بهما، فمن آمن بهما قاتل في سبيل دينه، وهان عليه القتل فيه لما يرجوه في اليوم الآخر من النعيم المقيم، ومن لم يؤمن كان بمعزل عن ذلك. على أن الإيمان بهما مستلزم للإيمان بسائر ما يجب الإيمان به» «١» .

وقوله: وارتابت قلوبهم صفة ثالثة من صفاتهم الذميمة.

أى: أنهم بجانب عدم إيمانهم بالله واليوم الآخر، رسخ الريب في قلوبهم فصاروا يشكون في صحة ما جئت به- أيها الرسول الكريم-، ويقفون من تعاليمك وتوجيهاتك، موقف المكذب المرتاب لا موقف المصدق المذعن.

وأضاف الشك **والارتياب** إلى القلوب، لأنها محل المعرفة والإيمان. وأوثرت صيغة الماضي- ارتابت، للدلالة على تحقق الريب وتوبيخهم. وأصل معنى التردد: الذهاب والمجيء. والمراد به هنا التحير على سبيل المجاز، لأن المتحير لا يستقر في مكان، ولا يثبت على حال.

أى: فهم في شكهم الذي حل بهم يتحيرون، فنراهم كما وصفهم- سبحانه- في آية أخرى. مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. «٢» .

أى: متحيرين بين الكفر وبين الإيمان.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٩٢/٥

وبذلك نرى أن هاتين الآيتين قد ذكرتا السمات التي بها يتميز المؤمنون الصادقون عن- غيرهم من الذين قالوا آمنا وما هم بمؤمنين.

ثم حكى- سبحانه- بعض المسالك الخبيثة التي كان يتبعها هؤلاء المنافقون لمحاربة الدعوة الإسلامية، وكيف أنه- سبحانه- أحبط مكرهم فقال- تعالى-:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ٤٦ الى ٤٨]

ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (٤٦) لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين (٤٧) لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (٤٨)

---

(١) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ١١٠.

(٢) سورة النساء الآية ١٤٣.." [(١)]

"أى أن هذا الحذر والإشفاق. كما يقول بعض العلماء. أثر طبيعي للشك **والارتياب**، لأنهم لو كانوا موقنين بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم لما خطر لهم هذا الخوف على بال، ولو كانوا موقنين بتصديقه، لما كان هناك محل لهذا الحذر «لأن قلوبهم مطمئنة بالإيمان» «١» .

وقوله: قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون تهديد ووعيد لهم على نفاقهم وسوء أدبهم.

أى: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين المذبذبين بين الحق والباطل، قل لهم، على سبيل التهديد والتبكيت: افعلوا ما شئتم من الاستخفاف بتعاليم الإسلام إن الله- تعالى- مظهر ما تحذرونه من إنزال الآيات القرآنية التي تفضحكم على رءوس الأشهاد، والتي تكشف عن أسراركم، وتهتك أستاركم، وتظهر للمؤمنين ما أردتم إخفاءه عنهم.

وأسند الإخراج إلى الله- تعالى- للإشارة إلى أنه- سبحانه- يخرج ما يحذرونه إخراجا لا مزيد عليه من الكشف والوضوح، حتى يحترس منهم المؤمنون ولا يغتروا بأقوالهم المعسولة.

وقوله: ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب.. بيان للون آخر من معاذيرهم الكاذبة، وجبنهم عن مواجهة الحقائق.

وأصل الخوض- كما يقول الآلوسى- الدخول في مائع مثل الماء والطين، ثم كثر حتى صار اسما لكل دخول فيه تلويث وأذى «٢» .

أى: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عن سبب استهزائهم بتعاليم الإسلام ليقولن لك على سبيل الاعتذار، إنما كنا نفعل ذلك على سبيل الممازحة والمداعبة لا على سبيل الجد.

وقوله: قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن إبطال لحجتهم، وقطع لمعاذيرهم، وتبكيت لهم على جهلهم وسوء أخلاقهم.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٦/٣٠٦

أى: قل لهم يا محمد- على سبيل التوبيخ والتجهيل- ألم تجدوا ما تستهزءون به في مزاحكم ولعبكم- كما تزعمون- سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟

فالاستفهام للإنكار والتوبيخ، ودفع ما تذرعوا به من معاذير واهية.

وقوله- سبحانه-: لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ... تأكيد لإبطال ما أظهروه من معاذير.

---

(١) تفسير المنار ج ١٠ ص ٦١٠.

(٢) تفسير الآلوسى ج ١٠ ص ١٣١.." [1]

"فقال- تعالى-:

[سورة التوبة (٩) : الآيات ١٢٤ الى ١٢٧]

وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون (١٢٤) وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥) أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون (١٢٦) وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون (١٢٧)

والمعنى: وإذا ما أنزلت سورة من سور القرآن عليك يا محمد: تساءل المنافقون عنها في حذر وريبة «فمنهم من يقول» لأشباهه في الكفر والنفاق على سبيل الاستهزاء والتهوين من شأن القرآن الكريم «أيكم زادته هذه إيمانا» أى: أى واحد منكم زادته هذه السورة النازلة إيمانا؟

وهنا يجيء الرد الحاسم الذي يخرس ألسنتهم، من جهته- تعالى- فيقول: فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون.

أى: فأما الذين آمنوا فزادهم نزول السورة القرآنية، إيمانا على إيمانهم، وثباتا على ثباتهم، ويقينا على يقينهم، «وهم» فوق ذلك «يستبشرون» ويفرحون بنزولها لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية.

هذا شأن المؤمنين بالنسبة لنزول السورة القرآنية، وأما المنافقون، فقد صور القرآن حالهم بقوله وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم.

أى: وأما الذين في قلوبهم شك ونفاق **وارتياب**، فزادهم نزول السورة كفرا على كفرهم السابق.." [2]

"إذا قرأ شيئا من الآيات، ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرؤه على أوليائه، ليجادلوه بالباطل، ويردوا ما جاء به، كما قال- تعالى- ... وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ... «١» . وقال- سبحانه-: وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.. «٢» .

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٤٠/٦

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٤٣٠/٦

وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم حرمت عليكم الميتة والدم: إن محمدا يحل ذبيحة نفسه ويحرم ما ذبحه الله. وكقولهم عند سماع قراءته لقوله- تعالى- إنكم وما تعبدون من دون الله. حصب جهنم.. «٣» إن عيسى قد عبد من دون الله، وكذلك الملائكة قد عبدوا من دون الله. «٤» .

والآية الكريمة ليجعل ما يلقي الشيطان على هذا التفسير- أيضا- واضحة المعنى، إذ المراد بما يلقيه الشيطان في قراءة الرسول أو النبي، تلك الشبه والأباطيل التي يلقيها في عقول الضالين، فيجعلهم يؤولونها تأويلا سقيما ويفهمونها فهما خاطئا.

وقوله- تعالى-: فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم بيان لسنته- سبحانه- التي لا تتخلف في إحقاق الحق. وإبطال الباطل.

وقوله فينسخ من النسخ بمعنى الإزالة. يقال: نسخت الشمس الظل إذا أزالته.

أى: فيزيل- سبحانه- بمقتضى قدرته وحكمته ما ألقاه الشيطان في القلوب التي شاء الله- تعالى- لها الإيمان والثبات على الحق ثم يحكم- سبحانه- آياته بأن يجعلها متقنة، لا تقبل الرد، ولا تحتمل الشك في كونها من عنده- عز وجل- والله عليم بجميع شئون خلقه، حكيم في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته.

ثم بين- سبحانه- بعد ذلك أن الحكمة في إلقاء الشيطان لشبهه وضلالته هي امتحان الناس فقال: ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم....

أى: فعل ما فعل- سبحانه- ليجعل ما يلقيه الشيطان من تلك الشبه في القلوب فتنة واختبارا وامتحانا، للذين في قلوبهم مرض، أى: شك وارتياب، وهم المنافقون، وللذين قست قلوبهم، وهم الكافرون المجاهرون بالجحود والعناد.

فقوله- تعالى-: ليجعل.. متعلق ب ألقى أى: ألقى الشيطان في أمنية الرسل والأنبياء ليجعل الله- تعالى- ذلك الإلقاء فتنة للذين في قلوبهم مرض.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١. [.....]

(٢) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٨.

(٤) تفسير الآلوسى ج ١٧ ص ١٧٣.." (١)

"- ١٤٢ - سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

- ١٤٣ - وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليهآ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٢٨/٩

قيل: المراد بالسفهاء ههنا مشركو العرب قاله الزجاج، وقيل: أحبار يهود قاله مجاهد، وقيل: المنافقون قاله السدي، والآية عامة في هؤلاء كلهم، والله أعلم. عن البراء رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله -[١٣٥]- لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت وكان الذي قد مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم (رواه البخاري وأخرجه مسلم من وجه آخر)﴾

وعن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي نحو بيت المقدس، ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ فقال رجال من المسلمين: وددنا لو علمنا علم من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا نحو بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ وقال السفهاء من الناس - وهم أهل الكتاب - ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿سيقول السفهاء من الناس (رواه ابن أبي حاتم)﴾ إلى آخر الآية. وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل: ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ أي نحوه، فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (رواه ابن أبي حاتم)﴾ وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة وحاصل الأمر: أنه قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس قاله ابن عباس والجمهور.

والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهرا، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فأعلمهم بذلك، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر كما تقدم في الصحيحين. وذكر غير واحد من المفسرين أن تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة: فسمي (مسجد القبلتين) وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذا جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة" (أخرجه الشيخان عن ابن عمر) ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود **ارتياب** وزيغ عن الهدى وتخبيط وشك، وقالو: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي قالوا: ما لهؤلاء تارة

يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا؟ فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي الحكم والتصرف والأمر كله لله، ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ أي الشأن، كله في امتثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده، وهو تعالى له بعبده ورسوله محمد صلوات -[١٣٦]- الله وسلامه عليه وأمته عناية عظيمة، إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم خليل الرحمن، وجعل توجههم إلى الكعبة أشرف بيوت الله في الأرض، إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا قال: ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في أهل الكتاب: «إنهم لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها، وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين (رواه الإمام أحمد عن عائشة مرفوعا)»

وقوله تعالى: ﴿كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، يقول تعالى إنما حولناكم على قبلة إبراهيم عليه السلام، واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهدآء على الأمم، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل، والوسط ههنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسبا ودارا أي خيرها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطا في قومه، أي أشرفهم نسبا، ومنه (الصلاة الوسطى) وهي العصر، ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب كما قال تعالى: ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدآء على الناس﴾.

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت؟ فيقول نعم، فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير وما أتانا من أحد، فيقال لنوح من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته، قال فذلك قوله: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ قال: والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم (رواه البخاري والترمذي والنسائي) " وعن أبي سعيد الخدري قال: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم: فيقال من يشهد لك، فيقول محمد وأمته فيدعى محمد وأمته: فيقال لهم هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون نعم. فيقال وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ قال عدلا ﴿لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ (رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعا) " عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل» (رواه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله).

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليهآ إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾، يقول تعالى إنما شرعنا لك يا محمد التوجه أولا إلى بيت المقدس، ثم صرفناك -[١٣٧]- عنها إلى الكعبة، ليظهر حال من يتبعك ويطيعك ويستقبل معك حيثما توجهت ممن ينقلب على عقبيه، أي مرتدا عن دينه ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي هذه الفعلة وهي صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة، أي وإن كان هذا الأمر عظيما في النفوس،

إلا على الذين هدى الله قلوبهم وأيقنوا بتصديق الرسول، وأن كل ما جاء به فهو الحق الذي لا مرية فيه، وأن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله أن يكلف عباده بما شاء وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التامة والحجة البالغة في جميع ذلك، بخلاف الذين في قلوبهم مرض، فإنه كلما حدث أمر أحدث لهم شكا، كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق، كما قال الله تعالى: ﴿وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول: أيكم زادته هذه إيمانا؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم﴾ وقال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفآء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾. وقال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾، ولهذا كان – من ثبت على تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه في ذلك، وتوجه حيث أمره الله من غير شك ولا ريب – من سادات الصحابة، وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هم الذين صلوا إلى القبلتين.
عن ابن عمر قال: "بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء رجل فقال: قد أنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة" (رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر) وفي رواية أنهم كانوا ركوعا فاستداروا كما هم إلى الكعبة وهم ركوع، وهذا يدل على كمال طاعتهم لله ولرسوله وانقيادهم لأوامر الله عز وجل رضي الله عنهم أجمعين.
وقوله: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك، ما كان يضيع ثوابها عند الله، وفي الصحيح عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس، فقال الناس: ما حالهم في ذلك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان ليضيع إيمانكم﴾ (رواه الترمذي عن ابن عباس وصححه)، وقال ابن إسحاق عن ابن عباس: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى، أي ليعطيكم أجرهما جميعا ﴿أن الله باناس لرؤوف ررحيم﴾ وقال الحسن البصري: وما كان ليضيع إيمانكم: أي مان الله ليضيع محمدا صلى الله عليه وسلم وانصرافكم معه حيث انصرف ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها، فجعلت كلما وجدت صبيا من السبي أخذته فألصقته بصدرها وهي تدور على ولدها، فلما وجدته ضمته إليه وألقمته ثديها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه»؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فوالله، لله أرحم بعباده من هذه بولدها».." (١)

"من الناس وإني جار لكم، فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين، وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين، انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته، فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك لنا جار؟ فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب؛ وذلك حين رأى الملائكة. وقال قتادة: وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة، فعلم عدو الله إنه لا يدان له بالملائكة فقال: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله، وكذب عدو الله، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ١٣٤/١

ذلك. قال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾، وقوله تعالى: ﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم﴾، قال ابن عباس: لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركينن وقلل المشركين في أعين المسلمين، فقال المشركون: غر هؤلاء دينهم، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم،

فظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك، فقال الله: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾، قال قتادة: وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا، وقال ابن جريج: هم قوم كانوا مع المنافقين بمكة قالوه يوم بدر، وقال الشعبي: كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلما رأوا قلة المسلمين قالوا: غر هؤلاء دينهم.

وقال مجاهد: هم فئة من قريش خرجوا مع قريش من مكة وهم على **الارتياب** فحسبهم **ارتيابهم**، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: غر هؤلاء دينهم، حتى قدموا على قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم. وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء.

وقال ابن جرير عن الحسن في هذه الآية قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين، وقوله: ﴿ومن يتوكل على الله﴾ أي يعتمد على جنابه ﴿فإن الله عزيز﴾ أي لا يضام من التجأ إليه،

فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان ﴿حكيم﴾ في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك.." (١)

"والسلام وهو (يوسف) عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط، فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي، ولهذا قال تعالى: ﴿فما زلتم في شك مما جآءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ أي يئستم فقلتم طامعين ﴿لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ وذلك لكفرهم وتكذيبهم، ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ أي كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لإسرافه في أفعاله **وارتياب** قلبه، ثم قال عز وجل: ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم﴾ أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى، فإن الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت، ولهذا قال تعالى: ﴿كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا﴾ أي والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته، فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه، فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر﴾ أي على اتباع الحق ﴿جبار﴾ قال قتادة: آية الجبابرة القتل بغير حق، والله تعالى أعلم.." (٢)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ١١٢/٢

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢٤٤/٢

"اتبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذ: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون ﴿ارجعوا ورآءكم﴾ من حيث جئتم من الظلمة فالتمسوا هنالك النور، وروى الطبراني عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترا منه على عباده، وأما عند الصراط، فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نورا وكل منافق نورا، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنآ أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا".

وقوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره فيه العذاب﴾ قال الحسن وقتادة: هو حائط بين الجنة والنار، وقال عبد الرحمن بن زيد: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وبينهما حجاب﴾، وهكذا روي عن مجاهد وهو الصحيح ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ أي الجنة وما فيها ﴿وظاهره فيه العذاب﴾ أي النار، والمراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أغلق الباب، وبقي المنافقين من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وشك وحيرة، ﴿ينادونهم ألم نكن معكم﴾ أي ينادي المنافقين المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات؟ ونصلي معكم الجماعات؟ ونقف معكم بعرفات؟ ونحضر معكم الغزوات؟ ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ قالوا: بلى، أي فأجاب المؤمنون النافقين قائلين: بلى قد كنتم معنا ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني﴾، قال بعض السلف: أي فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وتربصتم﴾ أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت، وقال قتادة: ﴿تربصتم﴾ بالحق وأهله، ﴿وارتبتم﴾ أي بالبعث بعد الموت، ﴿وغوتكم الأماني﴾ أي قلتم: سيغفر لنا، وقبل غرتكم الدنيا ﴿حتى جآء أمر الله﴾ أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت، ﴿وغركم بالله الغرور﴾ أي الشيطان، وقال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار، ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا، وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين * في جنات يتسآءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر﴾؟ فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ؛ ثم قال تعالى: ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا﴾ أي لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه، وقوله تعالى: ﴿مأواكم النار﴾ أي هي مصيركم وإليها منقلبكم، وقوله تعالى: ﴿هي مولاكم﴾ أي هي أولى بكم من كل منزل، على كفركم وارتيابكم وبئس المصير.." (١)

"٢٣ – وإن كنتم فى ريب من صدق هذا القرآن الذى تتابع إنزالنا له على عبدنا محمد، فحاولوا أن تأتوا بسورة مماثلة من سور هذا القرآن فى بلاغتها وأحكامها وعلومها وسائر هداياتها، ونادوا الذين يشهدون لكم أنكم أتيتم بسورة

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٤٥٠

مماثلة له فاستعينوا بهم ولن تجدوهم، وهؤلاء الشهداء هم غير الله، لأن الله يؤيد عبده بكتابه، ويشهد له بأفعاله، هذا إن كنتم صادقين فى **ارتيابكم** فى هذا القرآن.." (١)

"٢٥ – وإذا كان هذا عقاب الفجار الجاحدين، فالجنة مثوى المؤمنين، فأخبر الذين صدقوا بالله ورسوله وكتابه، وأذعنوا للحق دون شك أو **ارتياب**، وعملوا الأعمال الصالحة الطيبة – أخبرهم بخبر يسرهم ويشرح صدورهم، وهو أن الله أعد لهم عنده جنات مثمرة تتخللها الأنهار الجارية تحت أشجارها وقصورها، كلما رزقهم الله وهم فى هذه الجنات – رزقا من بعض ثمارها قالوا: إن هذا يشبه ما رزقنا من قبل، لأن هذه الثمرات التى ينالونها تشابه أفرادها فى الصورة والجنس ولكنها تتمايز فى الطعم واللذة، ولهم فيها أيضا زوجات كاملات الطهارة ليس فيهن ما يعاب. وسيبقون فى هذه الجنة فى حياة أبدية لا يخرجون منها.." (٢)

"٤٩ – ليس هذا الكتاب موضع **ارتياب**، بل هو آيات واضحات محفوظة فى صدور الذين آتاهم الله العلم، وما ينكر آياتنا – بعد العلم بها – إلا الظالمون للحق ولأنفسهم.." (٣)

"٣٤ – لقد أتاكم يوسف من قبل موسى بالآيات الواضحات، فما زلتم فى شك مما أتاكم به، حتى إذا مات قلتم: لن يرسل الله من بعد يوسف رسولا، مثل هذا الإضلال الشنيع يضل الله من هو مجاوز الحد، كثير الشك **والارتياب**.." (٤)

"﴿وما يشعرون﴾: أي وما يدرون أن ضرره عائد عليهم.

﴿في قلوبهم مرض﴾ المراد منه هنا الشك **والارتياب** الذي نشأ عنه النفاق.

﴿فزادهم الله مرضا﴾: شكا **وارتيابا**. والمراد: أنه خلاهم وريبهم، فلم يسعفهم بالتوفيق، لسوء نياتهم، فتضاعف الريب في قلو بهم، وتعاظم أثره من اننفاق.

التفسير

٨ – ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ :

هذا شروع فى بيان صفات الطائفة الثالثة، وهم المنافقون، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون.

وهم أسوأ واخبث من الكافرين الصرحاء.

وقد ابتلى الله بهم كل مجتمع: في كل زمان ومكان. وفي الاحتراز عنهم وعن مكرهم صعوبة ومشقة؛ لأن مظهرهم لا يتفق مع مخبرهم.

وقد ذكر القرآن فى شأنهم هنا ثلاث عشرة آية متتالية – تبدا من هذه الآية – ليحدد أوصافهم وخداعهم، وضرب فيهم الأمثال التي تكشف عن حالهم، وعاقبة أمرهم. وقد ظهر النفاق بالمدينة بعد غزوة بدر الكبرى، وسببه –كما قال ابن

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٧

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٨

(٣) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٥٩٨

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٦٩٩

كثير– أن عبد الله ابن أبي سلول، كان سيد اللخزرج، ركان رئيسا لهم وللأوس قبل الإسلام، ثم رأوا أن يجعلوه ملكا عليهم، فلما جاء الخبر اشلموا واشتغلوا عنه، فبقى في نفسه من الإسلام واهله شيء، فلما كانت وقعة بدر وظهرت شوكة المسلمين قال: هذا أمر قد توجه، يريد بالامر: الملك، ويريد بتوجهه: زواله عنه وقد دفعه يأسه من تحقيق أمنيته، أن يدخل في الأسلام كما دخل قومه، ولكنه دخله مرائيا غير مخلص، ودخل معه آخرون من قومه وغيرهم على مشاكلته، كما حدث مثل ذلك من طائفة من أهل الكتاب، فمن ثم وجد النفاق فئ أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب، والنفاق مرض اجتماعى ينشأ عن الحقدوالضعف النفسى والطمع.

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾:

أي وبعض الناس جماعة منافقون: يظهرون للمؤمنين أنهم جمعوا بين طرفين من الإيمان،

أولهما الإيمان بالله، وثانيهما الإيمان باليوم الآخر: خداعا للمؤمنين، حتى يأمنوا جانبهم،." (١)

"١٠ – ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ... ﴾: الآية.

المرض في الأصل: خرو البدن عن اعتدال مزاجه وصحة أعضائه، فيتعرض البدن للآلام.

ويطلق مجازا على شك القلوب **رارتيابها**. فمرض القلوب هنا، مراد به ترددها في العقيدة، وعدم وصولها إلى الحق، مع قيام الأدلة عليه، فلما عموا عن النور، زادهم الله مرضا. فالنفاق عرض ظاهرى لمرض قلبي هو: الشك والجبن.

والمراد من زيادة المرض: نمو حال النفاق عندهم. ذلك ان المنافق يبتدىء فيكذب على الناس ويرائيهم، فإن استمر على ذلك، صار النفاق من أحواله الملازمة، على حد قوله تعالى: ﴿ ... مردوا على النفاق (ﺭﺿﻲ ﺍﻟﻠﻪ ﻋﻨﻪ١) ... ﴾.

﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾:

أي ولهم عقاب مؤلم في الدنيا، بسبب ما يجره عليهم النفاق من مهانة واحتقار، وعذاب شديد عند الله في الآخرة. بكذبهم على الله والناس بقولهم: ﴿آمنا﴾.

وقد يقال: إذا كان المنافقون أشد خبثا من الكفار، فلم لم يستحل النبي قتلهم؟

والجواب: انهم لما اظهرو االاسلام، عاملتهم الشريعة بهذا الظاهر، والله يتولى السرائر.

﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١) ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون (١٢)﴾.

التفسير

١١ – ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون (١١)﴾

قى الآية بيان لعناد المنافقين، وإصرارهم على الفساد، كلما وجه إليهم الإرشاد من أي

ناصح، ولهذا بق القول للمجهول، فقبل: ﴿وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض﴾. وإفسادهم

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٣٦/١

ﷺ______________

(ﷺ١) التوبة – من الآية: ١٠١." (١)

"ولهذا ذكرت القصة الثانية بين قصتي إبراهيم عليه السلام. قال تعالى:

﴿وإذقال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى﴾:؟

والمعنى: واذكر يا محمد، حين نادى إبراهيم – عليه السلام – ربه، طالبا منه أن يريه – عمليا – كيفية إحياء الموتى.

والسؤال يدل على أنه يؤمن بإحياء الموتى، ولكنه يطلب رؤية طريقة الإحياء عمليا، ليزداد إيمانا ويقينا.

﴿قال أولم تؤمن﴾:؟

أي لقد آمنت .. فلماذا تسأل هذا السؤال؟.

﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾:

اعلم أن الله تعالى عليم بإيمان نبيه وخليله إبراهيم، وليس بحاجة إلى استفهام عنه. لكن الحكمة في ذلك: أن يعلن إبراهيم إيمانه العميق بقدرة الله، حتى لا يتطرق إلى الأذهان، أن إبراهيم حين سأل ذلك – خطر له أي شك في الله.

فالسؤال في الحقيقة: سؤال تقرير.

ولهذا أجابه إبراهيم مؤكدا إيمانه، نافيا عن نفسه أية خاطرة من الشك أو **الارتياب**.

فقال: بلى. آمنت. ثم علل سؤاله لربه بحرصه على الاطمئنان القلبي – عن طريق المشاهدة والعيان، إلى جانب طريق الوحي والبرهان – ليزداد ثباتا فوق ثبات.

والله يثبت إيمان أنبيائه وأوليائه دائما فيقول: ﴿ ... كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ (ﷺ١).

ﷺ______________

(ﷺ١) الفرقان: من الآية ٣٢." (٢)

"٤٠،٤١ – ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون (٤٠) على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين (٤١)﴾:

المعنى: إذا كان الأمر كما ذكرنا من أنه سبحانه أنشأهم إنشاء من النطفة المذرة كما يعلمون ولم يكونوا شيئا مذكورا: فلا أقسم (ﷺ١) برب مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها على قدرتنا البالغة على أن تهلكهم حسبما تقتضيه جناياتهم، ونعيدهم يوم القيامة بأبدان أطوع لله، وأمثل منهم؛ وذلك لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق والتأكيد بالقسم لأن الإعادة أهون من البدء كقوله تعالى: (كما بدأكم تعودون) (ﷺ٢) أي: بالبعث.

أو أن "لا" رد لكلام سبق للمشركين واجهوا به الرسول وأصحابه سخرية منهم، واستهزاء بهم، وطمعا استحوذ عليهم في دخول الجنة قبلهم، ثم استؤنف فقيل: (أقسم برب المشارق) الخ: أي: أقسم بأن قدرتنا العظيمة على البعث حقيقة لا شك

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١/٣٨

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١/٤٤٧

فيها، وقد شاهدوا من بالغ قدرتنا ما هو أكبر منه وهو خلق السموات والأرض، تسخير ما فيها من المخلوقات كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) (ﷺ٣) فحقيق بهم أن يدعوا الجحد والعناد، ويؤمنوا إيمانا لا مرية فيه ولا **ارتياب** بأننا قادرون على أن نبدلهم خيرا منهم، (وما نحن بمسبوقين) بمغلوبين إن أردنا ذلك، لكن إرادتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوبتهم.

٤٢ - ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون (٤٢)﴾:

أي: فدعهم يا محمد غير مكترث بهم وبما يصنعون من تكذيبهم وباطلهم الذي تعودوا اقترافه ولا تبعأ بما يأتون به في دنياهم من أعمال لا نفع فيها، ولا خير منها، وإنما هي لهو ولعب، واشتغل بما أمرت به، والأمر في الآية لتهديد المشركين ووعيدهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية، وفي ذلك فسيلقون عاقبة ما علموا، ويذوقون وباله، ويتجرعون أهواله التي لا تنفع معها توبة ولا يجدي عندها ندم

ﷺ____________

(ﷺ١) على أن (لا) نافية للإقسام.

(ﷺ٢) الأعراف، من الآية: ٢٩.

(ﷺ٣) غافر، من الآية: ٥٧.." [1]

"(وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي: وما جعلنا عدتهم تسعة عشر إلا اختبارا منا للذين كفروا.

(ليستيقن الذين أوتوا الكتاب): أي: ليحصل اليقين للذين أوتوا الكتاب من النصاري واليهود بأن ما يقوله القرآن على لسان محمد عن خزنة جهنم وعددهم إنما هو حق من الله تعالى؛ حيث وافق ذلك ما في كتبهم.

(ويزداد الذين آمنوا إيمانا): أي: ويزداد إيمانهم بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أن عدد الخزنة كذلك، أو بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل.

(ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون): هذا الكلام تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان، ونفي لما قد يعترى المستيقن من شبهة وشك، أي ولا يشك في ذلك الذين أعطوا الكتاب والمؤمنون المصدقون من أصحاب محمد في أن عدة خزنة جهنم تسعة عشر، فإذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس، ولأن فيه تعريضا بمن عداهم كأنه قال: ولتخالف حالهم حال الشاكين والمرتابين من أهل النفاق والكفر.

(وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون) أي: وليقول الذين في صدورهم شك ونفاق من منافقي المدينة الذين سينجمون ويظهرون بعد الهجرة والكافرون بمكة المصرون على التكذيب، ويجوز أن يراد بالمرض: الشك **والارتياب**، لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب.

(ماذا أراد الله بهذا مثلا) أي: ما الذي أراده الله بهذا العدد (تسعة عشر) المستغرب استغراب المثل.

قال الزمخشري: أي: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأي حكمة قصدها في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٥٨٦/١٠

عشرين؟ ومرادهم إنكار هذا الأمر من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص.

أهـ: بتصرف.." (١)

"﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم﴾:

فيقسمان عند **ارتياب** الورثة وشكهم، فإذا لم تكن ريبة. فيصدق الشاهدان، لأمانتهما وعدم **الارتياب** فيهما.

﴿لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى﴾:

أي لا نستبدل بالقسم بالله عرضا زائلا من الدنيا. فلا نحلف بالله كاذبين، ولو كان القسم يحقق مصلحة لبعض الأقارب، طمعا في عرض الدنيا.

﴿ولا نكتم شهادة الله﴾: أي ويقول الحالفان - في يمينهما - ولا نكتم الشهادة التي أمر الله تعالى بإقامتها. كما قال تعالى: ﴿ ... وأقيموا الشهادة لله ... ﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ١). وكقوله سبحانه: ﴿ ... ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ... ﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٢).

﴿إنا إذا لمن الآثمين﴾:

أي: أننا إذا اشترينا بالقسم ثمنا، أو راعينا فيه قرابة. بأن كذبنا في الشهادة - ابتغاء المنفعة لأنفسنا أو لقرابتنا، أو كتمنا الشهادة كلها أو بعضها - كنا من الواقعين في الإثم، المستحقين للعقوبة من الله عليه.

١٠٧ - ﴿فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ... ﴾ الآية.

فإن اطلع - بعد القسم - على أن الشاهدين الحالفين استحقا إثما، بسبب الكذب أو الكتمان في الشهادة، أو الخيانة في شيء من التركة: التي تحت أيديهما - فعدلان آخران من أقرباء الميت: الذين وجب عليهم آداء الشهادة والقسم - وهذان الشاهدان هما: الأوليان بالشهادة والقسم. من سائر أقرباء الميت، لقوة قرابتهما من الميت واستحقاقهما في وصيته. فيحلفان بالله قائلين: لشهادتنا أحق وأولى بالقبول من شهادة الشاهدين الآثمين السابقين وما تجاوزنا الحق فيما شهدنا به، وأقسمنا عليه.

رَحِمَهُ اللَّهُ________________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) الطلاق، من الآية: ٢

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) البقرة، من الآية: ٢٨٣." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

(المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (١))

المفردات:

(الكتاب): القرآن. (الحق): الثابت.

التفسير

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٦٦٨/١٠

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١١٧٨/٣

١ – (المر): تقدم الكلام على أمثالها في أوئل السور: البقرة وآل عمران، والأعراف، ويونس. وهود، ويوسف، وأرجح الآراء فيها أنها تشير إلى أن القرآن الكريم مركب من كلمات ذات حروف كهذه الحروف التي ينظم منها العرب كلامهم، فإن كانوا صادقين في زعمهم أن محمدا تقوله وافتراه فليأتوا بمثله فهم أئمة الفصاحة والبلاغة فإذا عجزوا فمحمد مثلهم لا يستطيع أن يأتى بمثله وإذا كان كذلك وجب الإيمان بأنه تنزيل من حكيم حميد.

هذا إلى جانب ما في بدء الكلام بها من الغرابة الداعية إلى الانتباه واستماع ما يليها من فنون الهدى والرشاد، لعلهم يهتدون ويكفون عن الإعراض عن سماع القرآن العظيم.

(تلك آيات الكتاب):

هذه آيات الكتاب العظيم الغنى عن الوصف من بين سائر الكتب، الجدير باختصاصه باسم الكتاب.

(والذي أنزل إليك من ربك الحق):

أي وهذا الكتاب الذي أنزله الله إليك يا محمد هو الحق الثابت المطابق للواقع فلا مجال للشك **والارتياب** من قومك في صدوره إليك من ربك أيها النبي.." (١)

"والمعنى: قالت الرسل لأممهم مستنكرين شكهم في ربهم: أفي وجود الله شك **وارتياب** حتى تقولوا لنا: "وإنا لفى شك مما تدعوننا إليه مريب". في حين أنه فاطر السماوات والأرض ومبدعهما، أليس لكل صنعة صانع فلا بد للسماوات والأرض من منشئ صانع له القدرة الكاملة، والإرادة النافذة والعلم المحيط.

وجاء هذا الاستنكار والاحتجاج في محاجة الأنبياء جميعا، فكل رسول من الرسل جعل نصب عينيه توجيه أمته إلى التفكر والتدبر في السماوات والأرض، والتبصر في أسرارهما، ليتعرفوا بذلك وجود الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته، واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص.

ويجوز أن يكون المعنى: أفي ألوهية الله وتفرده بوجوب العبادة شك .. ؟ وهو الخالق لجميع الأرض والسماوات المدبر لأمورها، فلا يستحق العبادة أحد سواه.

وربما كان هذا المعنى أولى، فإن أغلب الأمم كانت تقر بوجود الخالق المدبر ولكنها، كانت تعبد معه غيره من الوسائط التي زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، ثم قالت لهم رسلهم: (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى): أي يدعوكم الله إلى الإيمان به وبوحدانيته وسائر صفاته وكمالاته، على ألسنة رسله وشواهد آياته الكونية وكتبه المنزلة، ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وضياء التوحيد، ليغفر لكم بعض الذنوب، ويمحو عنكم بعض ما اقترفتموه من الآثام، وهى التي تتعلق بحقوق الله وحده. وفي ذلك يقول تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف).

أما حقوق العباد فإن الله سبحانه وتعالى لا يعفو عنها إلا برضا أصحابها وعفوهم عنها، ولهذا عبر في الآية بمن في قوله: "يغفر لكم من ذنوبكم". فإنها أفادت التبعيض وهذا البعض الذي يغفر هو ما يتعلق بحق الله تعالى، فإن حق الله تعالى مبنى على المسامحة بمقتضى هذا الوعد الكريم. أما حقوق العباد فإنها مبنية على المطالبة والمؤاخذة، وكما يدعوكم الله إلى

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٥/٤٠١

الإيمان ليغفر لكم من ذنوبكم، يدعوكم أيضا إلى الإيمان لفائدة أخرى، وهي أن لا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل الكافرين قبلكم، بل يبقيكم تتمتعون في دنياكم حتى الأجل الذي." (١)

"المفردات:

﴿تتلوا﴾: تقرأ. ﴿تخطه﴾: تكتبه.

﴿إذا لارتاب المبطلون﴾: إذا لتشكك المعاندون الكافرون الذين مردوا على إنكار كل حق.

التفسير

٤٨ - ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾:

الحديث متصل عن القرآن الكريم، وإثبات إعجازه بعد الإخبار بنزوله.

والمعنى: وما كنت يا أيها النبي الأمي قبل إنزال القرآن إليك تقدر أن تقرأ شيئا من كتاب، أي كتاب، ولا تقدر أن تكتبه، أو تكتب شيئا منه، ولو كنت ممن يقدر على شيء من ذلك أو يتعاطاه إذا لكان لهؤلاء المبطلين المنكرين وجه في **الارتياب** والشك في أنه من عندك مع معرفتهم مدى صدقك ونزاهتك عن الكذب، وإن ظهور هذا الكتاب الجامع لجميع العلوم الشريفة على أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أمر خارق لا يدع مجالا لشك ولا موقعا لريبة لو كانوا منصفين.

وذكر اليمين في قوله - تعالى -: ﴿ولا تخطه بيمينك﴾ زيادة تصوير لما نفى عنه - صلى الله عليه وسلم - من القراءة والكتابة، وتأكيد لهذه الحقيقة حتى لا يبقى مدخل لمجاز، فهو مثل قوله - تعالى -: ﴿ولا طائر يطير بجناحيه﴾ (رحمه الله١) مع ما هو معروف من أنه لا طير إلا بجناحين.

٤٩ - ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .... ﴾ الآية.

هذه الآية إضراب عن **ارتياب** المبطلين لكفرهم، والمعنى: ليس القرآن الكريم مما يرتاب فيه لوضوح أمره، وثبوت إعجازه، وعجزكم عن الإتيان بمثله أو بشيء

رحمه الله________________

(رحمه الله١) من الآية: ٣٨ من سورة الأنعام.." (٢)

"٣٥ - ﴿الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾:

قال الزجاج: المراد بالذين يجادلون: كل مسرف مرتاب وهم يجادلون في الله بغير حجة صالحة للتمسك بها لا نقلية أتتهم من جهته - تعالى - على أيدى الرسل - عليهم السلام - ولا عقلية استنبطوها من الكون.

﴿كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا﴾ هذا من كلام مؤمن آل فرعون، وقيل: ابتداء خطاب من الله - تعالى - وهو تقرير لما أشعر به الكلام السابق من ذمهم، وفيه ضرب من التعجب والاستعظام، أي: كبر بغضا جدالهم في آيات الله بغير حجة

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٥/٤٧٠

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٨/٥

- كبر بغضا عند الله وعند المؤمنين.

﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ أي: كما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذلك يطبع على قلب كل متكبر جبار، فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف **والارتياب** والمجادلة بغير حق، وقرئ بتنوين قلب، فما بعده صفته. ووصف القلب بالتكبر والتجبر؛ لأنه منبعهما.

﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب (٣٦) أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب (٣٧)﴾

المفردات:

﴿ابن لي صرحا﴾ أي: بناء عاليا كالقصر، من صرح الشيء: إذا ظهر.

﴿أسباب السماوات﴾ أي: طرقها وأبوابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل به إلى الشيء.

﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ أي: وما مكره واحتياله في إبطال آيات الله لموسى إلا في خسران وهلاك، يقال: تب الله فلانا أي: أهلكه، وتبت يداه أي: هلكت أو خسرت.." (١)

"وما يقولون ذلك القول وهو قصر حياتهم على الحياة الدنيا ونسبة الإهلاك إلى الدهر، ما يقولونه عن علم صحيح ويقين معتمد على عقل أو نقل ولكن عن ظن وتخمين وتوهم وتخيل.

٢٥ - ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾:

أي: وإذا قرئت عليهم آيات الله واضحات الدلالة على قدرته تعالى على البعث ما كانت حجتهم في رد البعث إلا قولهم ائتوا بآبائنا أحياء في هذه الدنيا إن كنتم صادقين في أننا نبعث بعد الموت، وتسمية القرآن قولهم هذا حجة لسوقهم إياه مساق الحجة، وعلى سبيل التهكم بهم، أي: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة، والخطاب في قوله تعالى: ﴿ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ للرسول والمؤمنين، إذ هم قائلون بمقالته من البعث طالبون من الكفرة الإقرار به، ويجوز أن يكون للرسول وللأنبياء قبله الذين يقولون مقالته.

٢٦ - ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾:

أي: قل - أيها الرسول - لهؤلاء المنكرين للبعث: الله يحييكم ابتداء كما تشاهدون ذلك إذ يخرجكم من النطف إلى هذا الوجود، ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم - لا الدهر كما تزعمون - ثم يجمعكم أحياء في يوم القيامة للحساب، لا شك في هذا الجمع.

ودليل إمكانه: أن من قدر كل الخلق ابتداء قادر على الإعادة، وهي عليه أهون، ودليل وقوعه وحصوله: أن البعث أمر ممكن - كما قدمنا - وتقتضيه الحكمة لإعطاء كل ذي حق حقه، وأخبر به الرسول الصادق، وكل ما هو كذلك واقع لا محالة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون قدرة الله على البعث لإعراضهم عن التفكر في الدلائل، والقادر على البعث قادر على

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٨/٦٣٧

الإتيان بآبائكم، وهو من تمام الكلام الذي أمر به الرسول، أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق، وتنبيها لهم على أن ارتيابهم لجهلهم وعجزهم عن النظر والتفكر.." (١)

"إنا كنا منذرين﴾ [الدخان: ١ – ٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على إعجاز القرآن. ثم قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ هذا القرآن المنزل عليك يا محمد هو الكتاب الذي لا يدانيه كتاب ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في أنه من عند الله لمن تفكر وتدبر، أو ألقى السمع وهو شهيد ﴿هدى للمتقين﴾ أي هاد للمؤمنين المتقين، الذين يتقون سخط الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويدفعون عذابه بطاعته، قال ابن عباس: المتقون هم الذين يتقون الشرك، ويعملون بطاعة الله، وقال الحسن البصري: اتقوا ما حرم عليهم، وأدوا ما افترض عليهم. . ثم بين تعالى صفات هؤلاء المتقين فقال ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ أي يصدقون بما غاب عنهم ولم تدركه حواسهم من البعث، والجنة، والنار، والصراط، والحساب، وغير ذلك من كل ما أخبر عنه القرآن أو النبي عليه الصلاة والسلام ﴿ويقيمون الصلاوة﴾ أي يؤدونها على الوجه الأكمل بشروطها وأركانها، وخشوعها وآدابها قال ابن عباس: إقامتها: إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي ومن الذي أعطيناهم من الأموال ينفقون ويتصدقون في وجوه البر والإحسان، والآية عامة تشمل الزكاة، والصدقة، وسائر النفقات، وهذا اختيار ابن جرير، وروي عن ابن عباس أن المراد بها زكاة الأموال، قال ابن كثير: كثيرا ما يقرن تعالى بين الصلاة والإنفاق من الأموال، لأن الصلاة حق الله وهي مشتملة على توحيده وتمجيده والثناء عليه، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين وهو حق العبد، فكل من النفقات الواجبة، والزكاة المفروضة داخل في الآية الكريمة ﴿والذين يؤمنون بمآ أنزل إليك﴾ أي يصدقونه بكل ما جئت به عن الله تعالى ﴿ومآ أنزل من قبلك﴾ أي وبما جاءت به الرسل من قبلك، لا يفرقون بين كتب الله ولا بين رسله ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ أي ويعتقدون اعتقادا جازما لا يلابسه شك أو ارتياب بالدار الآخرة التي تتلو الدنيا، بما فيها من بعث وجزاء، وجنة، ونار، وحساب، وميزان، وإنما سميت الدار الآخرة لأنها بعد الدنيا ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ أي أولئك المتصفون بما تقدم من الصفات الجليلة، على نور وبيان وبصيرة من الله ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي وأولئك هم الفائزون بالدرجات العالية في جنات النعيم.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – المجاز العقلي ﴿هدى للمتقين﴾ أسند الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب، والهادي في الحقيقة هو الله رب العالمين ففيه مجاز عقلي.

٢ – الإشارة بالبعيد عن القريب ﴿ذلك الكتاب﴾ للإيذان بعلو شأنه، وبعد مرتبته في الكمال، فنزل بعد المرتبة منزلة البعد الحسي.

٣ – تكرير الإشارة ﴿أولئك على هدى﴾ ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ للعناية بشأن المتقين، وجيء بالضمير ﴿هم﴾ ليفيد الحصر كأنه قال: هم المفلحون لا غيرهم.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ٩/٨٨٩

٤ – التيئيس من إيمان الكفار ﴿سوآء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ فالجملة سيقت للتنبيه على غلوهم في الكفر والطغيان، وعدم استعدادهم للإيمان، ففيها تيئيس وإقناط من إيمانهم.." (١)

"المناسبة: لما ذكر تعالى الأصناف الثلاثة «المؤمنين، والكافرين، والمنافقين» وذكر ما تميزوا به من سعادة أو شقاوة، أو إيمان أو نفاق، وضرب الأمثال ووضح طرق الضلال أعقبه هنا بذكر الأدلة والبراهين على وحدانية رب العالمين، وعرف الناس بنعمة ليشكروه عليها، وأقبل عليهم بالخطاب ﴿ياأيها الناس﴾ وهو خطاب لجميع الفئات ممتنا عليهم بما خلق ورزق، وأبرز لهم «معجزة القرآن» بأنصع بيان وأوضح برهان ليقتلع من القلوب جذور الشك **والارتياب.**

اللغة: ﴿خلقكم﴾ الخلق: الإيجاد والاختراع بلا مثال، وأصله في اللغة التقدير يقال: خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس، وخلق الأديم للسقاء إذا قدره قال الحجاج ما خلقت إلا فريت، ولا وعدت إلا وفيت «أي ما قدرت شيئا إلا أمضيته، ولا وعدت بشيء إلا وفيت به. ﴿فراشا﴾ الفراش: الوطاء والمهاد الذي يقعد عليه الإنسان وينام ﴿بنآء﴾ البناء: ما يبنى من قبة أو خباء أو بيت ﴿أندادا﴾ جمع ند وهو الكفء والمثيل والنظير ومنه قول علماء التوحيد» ليس لله ند ولا ضد «قال حسان:

أتهجوه ولست له بند ... فشركهما لخيركما الفداء

وقال الزمخشري:» الند: المثل ولا يقال إلا للمخالف المناوئ قال جرير: أتما تجعلون إلى ندا؟ ﴿وقودها﴾ الوقود: الحطب الذي توقد به النار قال القرطبي: الوقود بالفتح الحطب، وبالضم مصدر بمعنى التوقد ﴿أعدت﴾ هيئت، وأعددنا هيأنا قال البيضاوي: ﴿أعدت﴾ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم ﴿وبشر﴾ البشارة: الخبر السار الذي يتغير به بشرة الوجه من السرور، وإذا استعمل في الشر فهو تهكم مثل ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [الانشقاق: ٢٤] ﴿أزواج﴾ جمع زوج ويطلق على الذكر والأنثى ﴿اسكن أنت وزوجك﴾ [البقرة: ٣٥] فالمرأة زوج الرجل، والرجل زوج المرأة قال الأصمعي: لا تكاد العرب تقول زوجة ﴿خالدون﴾ باقون دائمون.

التفسير: يقول تعالى منبها العباد إلى دلائل القدرة والوحدانية ﴿ياأيها الناس اعبدوا ربكم﴾ أي يا معشر بني آدم اذكروا نعم الله الجليلة عليكم، واعبدوا الله ربكم الذي رباكم وأنشأكم بعد أن لم." (٢)

"تكونوا شيئا، اعبدوه بتوحيده، وشكره، وطاعته ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ أي الذي أوجدكم بقدرته من العدم، وخلق من قبلكم من الأمم ﴿لعلكم تتقون﴾ أي لتكونوا في زمرة المتقين، الفائزين بالهدى والفلاح قال البيضاوي: لما عدد تعالى فرق المكلفين، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات، هزا للسامع، وتنشيطا له، واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها، وإنما كثر النداء في القرآن ب ﴿ياأيها﴾ لاستقلاله بأوجه من التأكيد، وكل ما نادى الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها، ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ، ثم عدد تعالى نعمه عليهم فقال: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ أي جعلها مهادا وقرارا، تستقرون عليها

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٦/١

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣٤/١

وتفترشونها كالبساط المفروش مع كرويتها، وإلا ما أمكنكم العيش والاستقرار عليها قال البيضاوي: جعله مهيأة لأن يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط، وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كروية شكلها مع عظم حجمها لا يأبى الافتراش عليها ﴿والسماء بنآء﴾ أي وسقفا للأرض مرفوعا فوقها كهيئة القبة ﴿وأنزل من السمآء مآء﴾ أي مطرا عذبا فراتا أنزله بقدرته من السحاب ﴿فأخرج به من الثمرات رزقا لكم﴾ أي فأخرج بذلك المطر أنواع الثمار والفواكه والخضار غذاء لكم ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾ أي فلا تتخذوا معه شركاء من الأصنام والبشر تشركونهم مع الله في العبادة، وأنتم تعلمون أنها لا تخلق شيئا ولا ترزق، وأن الله هو الخالق الرازق وحده، ذو القوة المتين قال ابن كثير: شرع تعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه هو المنعم على عبيدة بإخراجهم من العدم، وإسباغة عليهم النعم، والمراد بالسماء هنا السحاب، فهو تعالى الذي أنزل المطر من السحاب في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به أنواع الزروع والثمار ورزقا لهم ولأنعامهم، ومضمونه أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره.

ثم ذكر تعالى بعد أدلة التوحيد الحجة على النبوة، وأقام البرهان على إعجاز القرآن فقال ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا﴾ أي وإذا كنتم أيها الناس في شك **وارتياب** من صدق هذا القرآن، المعجز في بيانه، وتشريعه، ونظمه، الذي أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي فأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن، في البلاغة والفصاحة والبيان ﴿وادعوا شهدآءكم من دون الله﴾ أي وادعوا أعوانكم وأنصاركم الذين يساعدونكم على معارضة القرآن غير الله سبحانه، والمراد استعينوا بمن شئتم غيره تعالى قال البيضاوي: المعنى أدعوا للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى، فإنه لا يقدر أن يأتي بمثله إلا الله ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي أنه مختلق وأنه من كلام البشر، وجوابه محذوف دل عليه ما قبله ﴿فإن لم تفعلوا﴾ أي فإن لم تقدروا على الإتيان بمثل سورة من سوره، وعجزتم في الماضي عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه، مع استعانتكم بالفصحاء والعباقرة والبلغاء ﴾." (١)

"بالأكاذيب والأباطيل قال ابن كثير: هذا إخبار عن الواقع فإن الشيطان يعد أولياءه ويمنيهم بأنهم هم الفائزون في الدنيا والآخرة وقد كذب وافترى في ذلك ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ أي وما يعدهم إلا باطلا وضلالا قال ابن عرفة: الغرور ما له ظاهر محبوب وباطن مكروه، فهو مزين الظاهر فاسد الباطن ﴿أولئك مأواهم جهنم﴾ أي مصيرهم ومآلهم يوم القيامة نار جهنم ﴿ولا يجدون عنها محيصا﴾ أي ليس لهم منهم مفر ولا مهرب، ثم ذكر تعالى حال السعداء الأبرار وما لهم من الكرامة في دار القرآن فقال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيهآ أبدا﴾ أي مخلدين في دار النعيم بلا زوال ولا انتقال ﴿وعد الله حقا﴾ أي وعدا لا شك فيه ولا **ارتياب** ﴿ومن أصدق من الله قيلا﴾ أي ومن أصدق من الله قولا؟ والاستفهام معناه النفي أي لا أحد أصدق قولا من الله قال أبو السعود. والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح قال الحسن البصري: ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ١/٣٥

الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ أي من يعمل السوء والشر ينال عقابه عاجلا أو آجلا ﴿ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ أي لا يجد من يحفظه أو ينصره من عذاب الله ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ أي ومن يعمل الأعمال الصالحة سواء كان ذكرا أو أنثى بشرط الإيمان ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ أي يدخلهم الله الجنة ولا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم كيف ولا والمجازي أرحم الراحمين! ﴿وإنما قال ﴿وهو مؤمن﴾ ليبين أن الطاعة لا تنفع من دون الإيمان، ثم قال تعالى ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله﴾ ؟ أي لا أحد أحسن دينا ممن انقاد لأمر الله وشرعه وأخلص عمله لله ﴿وهو محسن﴾ أي مطيع لله مجتنب لنواهيه ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ أي واتبع الدين الذي كان عليه إبراهيم خليل الرحمن، مستقيما على منهاجه وسبيله وهو دين الإسلام ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ أي صفيا اصطفاه لمحبته وخلته قال ابن كثير: فإنه انتهى إلى درجة الخلة التي هي أرفع مقامات المحبة وما ذاك إلا لكثرة طاعته لربه ﴿ولله ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي جميع ما في الكائنات ملكه وعبيده وخلقه وهو المتصرف في جميع اذلك، لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم ﴿وكان الله بكل شيء محيطا﴾ أي علمه نافذ في جميع ذلك لا تخفى ليه خافية ﴿ويستفتونك في النسآء﴾ أي يسألونك عما يجب عليهم في أمر النساء ﴿قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ أي قل لهم يا محمد: يبين الله لكم ما سألتم في شأنهن ويبين لكم ما يتلى في القرآن من أمر ميراثهن ﴿في يتامى النسآء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي ويفتيكم أيضا في اليتيمات اللواتي ترغبون في نكاحهن." (١)

"والإنجيل﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء من الدين أصلا حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل وتقيموا أحكامهما على الوجه الأكمل، ومن إقامتهما الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ومآ أنزل إليكم من ربكم﴾ قال ابن عباس: يعني القرآن العظيم ﴿وليزيدن كثيرا منهم مآ أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا﴾ اللام للقسم أي وأقسم ليزيدن هذا القرآن المنزل عليك يا محمد الكثير منهم غلوا في التكذيب وجحودا لنبوتك وإصرارا على الكفر والضلال ﴿فلا تأس على القوم الكافرين﴾ أي لا تحزن عليهم فإن تكذيب الأنبياء عادتهم ودأبهم، وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وليس بنهي عن الحزن ثم قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي صدقوا الله ورسوله وهم المسلمون ﴿والذين هادوا﴾ وهم اليهود ﴿والصابئون﴾ وهم طائفة من النصارى عبدوا الكواكب ﴿والنصارى﴾ وهم أتباع عيسى ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا﴾ أي من آمن من هؤلاء المذكورين إيمانا صحيحا خالصا لا يشوبه **ارتياب** بالله وباليوم الآخر وعمل صالحا يقربه من الله ﴿فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي فلا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا بعد معاينهم جزيل ثواب الله قال ابن كثير: والمقصود أن كل فرقق آمنت بالله واليوم الآخر وعملت عملا صالحا – ولا يكون ذلك كذلك حتى يوافق الشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين – فمن اتصف بذلك فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون على ما تركوه وراء ظهورهم ﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أي أخذنا من اليهود العهد المؤكد على الإيمان بالله ورسله قال في البحر: هذا إخبار بما صدر من

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٨٢/١

أسلاف اليهود من نقض الميثاق الذي أخذه تعالى عليهم وما اجترحوه من الجرائم العظام من تكذيب الأنبياء وقتل بعضهم، وهؤلاء أخلاف أولئك فغير بدع ما يصدر منهم للرسول ن الأذى والعصيان إذ اك شنشينة من أسلافهم ﴿وأرسلنآ إليهم رسلا﴾ أي أرسلنا لهم الرسل ليرشوهم ويبينوا لهم أمر الدين ﴿كلما جآءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم﴾ أي كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما يخالف أهواءهم وشهواتهم ﴿فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾ أي كذبوا طائفة من الرسل يقتلون طائفة أخرى منهم قال البيضاوي: وإنما جيء ب «وقتلوا» موضع «قتلوا» على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على أن ذلك من ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رءوس الآي ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ أي وظن إسرائيل أن لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل اغترارا بإمهال الله عز وجل لهم ﴿فعموا وصموا﴾ أي تمادوا في الغي والفساد فعموا عن الهدى وصموا عن سماع الحق وهذا على التشبيه بالأعمى والأصم لأنه لا يهتدي إلى طريق الرشد في الدين لإعراضه عن النظر ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ قال القرطبي: في الكلام إضمار أي أوقعت بهم الفتنة فتابوا فتاب الله عليهم ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ أي عمي كثير منهم وصم بعد تبين الحق له ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي عليم." (١)

"منحناهم من أسباب السعة والعيش والتمكين في الأرض ما لم نعطكم يا أهل مكة ﴿وأرسلنا السمآء عليهم مدرارا﴾ أي أنزلنا المطر غزيرا متتابعا يدر عليهم درا ﴿وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ أي من تحت أشجارهم ومنازلهم حتى عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والثمار ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي فكفروا وعصوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم في الأرض ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾ أي أحدثنا من بعد إهلاك المكذبين قوما آخرين غيرهم قال أبو حيان: وفيه تعريض للمخاطبين بإهلاكهم إذا عصوا كما أهلك من قبلهم ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ أي لو نزلنا عليك يا محمد كتابا مكتوبا على ورق كما اقترحوا ﴿فلمسوه بأيديهم﴾ أي فعاينوا ذلك ومسوه باليد ليرتفع عنهم كل إشكال ويزول كل ارتياب ﴿لقال الذين كفروا إن هاذآ إلا سحر مبين﴾ أي لقال الكافرون عند رؤية تلك الآية الباهرة تعنتا وعنادا ما هذا إلا سحر واضح، والغرض أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات وأظهر الدلائل ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ أي هلا أنزل على محمد ملك يشهد بنبوته وصدقه و ﴿لولا﴾ بمعنى هلا للتحضيض قال أبو السعود: أي هلا أنزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا أنه نبي وهذا من أباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعييت بهم العلل ﴿ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر﴾ أي لو أنزلنا الملك كما اقترحوا وعاينوه ثم كفروا لحق إهلاكهم كما جرت عادة الله بأن من طلب آية ثم لم يؤمن من أهلكه الله حالا ﴿ثم لا ينظرون﴾ أي ثم لا يمهلون ولا يؤخرون، والآية كالتعليل لعدم إجابة طلبهم، فإنهم - في ذلك الإقتراح - كالباحث عن حتفه بظلفه ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ أي لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك قال ابن عباس: لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣٢٩/١

صورة رجل لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور، ثم قال تعالى تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ أي والله لقد استهزأ الكافرون من كل الأمم بأنبيائهم الذين بعثوا إليهم ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون﴾ أي أحاط ونزل بهؤلاء المستهزئين بالرسل عاقبة استهزائهم، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين الساخرين: سافروا في الأرض فانظروا وتأملوا ماذا حل بالكفرة قبلكم من العقاب وأليم العذاب لتعتبروا بآثار من خلا من الأمم كيف أهلكهم الله وأصبحوا عبرة للمعتبرين ﴿قل لمن ما في السماوات والأرض﴾ أي قل يا محمد لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا؟ والسؤال لإقامة الحجة على." (١)

"عن كلامهم والسلام عليهم، فصاروا مرجئين لأمره تعالى إلى أن يتجاوز عن سيئاتهم، فهو تعالى وحده الذي يقبل التوبة ويتوب على العبد دون غيره ﴿إما يعذبهم وإما يتوب عليهم﴾ أي إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا، وإما أن يوفقهم للتوبة ويغفر لهم ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بأحوالهم فيما يفعله بهم، وهؤلاء الثلاثة المذكورون في قوله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ [التوبة: ١١٨] وقد وقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا﴾ أي ومن المنافقين جماعة بالغوا في الإجرام حتى ابتنوا مجمعا يدبرون فيه الشر، وسموه مسجدا مضارة للمؤمنين، وقد اشتهر باسم «مسجد الضرار» ﴿وكفرا﴾ أي نصرة للكفر الذي يخفونه ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾ أي يفرقون بواسطته جماعة المؤمنين، ويصرفونهم عن مسجد قباء ﴿وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي ترقبا وانتظارا لقدوم أبي عامر الفاسق الذي قال لرسول الله: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، وهو الذي أمرهم ببناء المسجد ليكون معقلا له قال الطبري في رواية الضحاك: هم ناس من المنافقين بنوا مسجدا بقباء يضارون به نبي الله والمسلمين وكانوا يقولون: إذا رجع أبو عامر صلى فيه، وإذا قدم ظهر على محمد وتغلب عليه ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ أي وليقسمن ما أردنا ببنائه إلا الخير والإحسان، من الرفق بالمسكين، والتوسعة على المصلين ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ أي والله يعلم كذبهم في ذلك الحلف، وأتى بإن واللام لزيادة التأكيد، ثم نهى تعالى رسوله عن الصلاة في مسجد الضرار فقال ﴿لا تقم فيه أبدا﴾ أي لا تصل فيه يا محمد أبدا لأنه لم يبن إلا ليكون معقلا لأهل النفاق ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ اللام لام القسم أي لمسجد قباء الذي بني على تقوى الله وطاعته ﴿من أول يوم﴾ أي من أول يوم ابتدئ في بنائه ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ أي أولى وأجدر بأن تصلي فيه من مسجد الضرار ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ أي في هذا المسجد رجال أتقياء – وهم الأنصار – يحبون أن يتطهروا من الذنوب والمعاصي ﴿والله يحب المطهرين﴾ أي المبالغين في الطهارة الظاهرة والباطنة، ثم أشار تعالى إلى فضل مسجد التقوى على مسجد الضرار فقال: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ الاستفهام للإنكار والمعنى: هل من أسس بنيانه على تقوى وخوف من الله تعالى وطلب لمرضاته بالطاعة ﴿خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ أي هل ذاك خير أم هذا الذي أسس بنيانه على طرف واد متصدع مشرف على السقوط؟ ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي فسقط به البناء في نار جهنم ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يوافق الظالمين إلى السداد، ولا يهديهم

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣٥٢/١

سبيل الرشاد، والآية الكريمة على سبيل التشبيه والتمثيل لعمل أهل الإخلاص، والإيمان، وعمل أهل النفاق والضلال، والمعنى هل من أسس بنيان دينه على التقوى والإخلاص كمن أسسه على الباطل والنفاق الذي يشبه طرف الوادي أو الجبل الذي أشفى على السقوط؟ ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار أو شك ونفاق، وغيظ وارتياب بسبب هدمه،." (١)

"يحسبون أنهم كانوا في بنائه محسنين، روي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى ذلك المسجد من هدمه وحرقه وأمر بإلقاء الجيف والنتن والقمامة فيه إهانة لأهله، فلذلك اشتد غيظ المنافقين وحقدهم ﴿إلا أن تقطع قلوبهم﴾ أي لا يزالون في ارتياب وغيظ إلا أن تتصدع قلوبهم فيموتوا ﴿والله عليم حكيم﴾ أي والله سبحانه عليم بأحوال المنافقين، حكيم في تدبيره إياهم ومجازاتهم بسوء نياتهم.

البلاغة: ١ - ﴿الغيب والشهادة﴾ بين الكلمتين طباق.

٢ - ﴿لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ الإظهار في مضع الإضمار لزيادة التشنيع والتقبيح وأصله لا يرضى عنهم.

٣ - ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ فيه مجاز مرسل أي يدخلهم في جنته التي هي محل الرحمة وهو من إطلاق الحال وإرادة المحل.

٤ - ﴿عملا صالحا وآخر سيئا﴾ بين ﴿صالحا سيئا﴾ طباق.

٥ - ﴿إن صلاوتك سكن لهم﴾ فيه تشبيه بليغ حيث جعل الصلاة نفس السكن والاطمئنان مبالغة وأصله كالسكن حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا.

٦ - ﴿هار فانهار﴾ بينهما جناس ناقص وهو من المحسنات البديعية.

٧ - ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى﴾ في الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليها البنيان وطوي ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو التأسيس.

تنبيه: كلمة «عسى» من الله واجب قال الإمام الرازي: وتحقيق القول فيه أن القرآن نزل على عرف الناس في الكلام، والسلطان العظيم إذا الشمس المحتاج منه شيئا فإنه لا يجيبه إلا على سبيل الترجي مع كلمة «عسى» أو «لعل» تنبيها على أنه ليس لأحد أن يلزمه بشيء، بل كل ما يفعله فإنما هو على سبيل التفضل والتطول، وفيه فائدة أخرى وهو أن يكون المكلف على الطمع والإشفاق لأنه أبعد من الإتكال والإهمال.

لطيفة: روى الأعمش أن أعرابيا جلس إلى «زيد بن صوحان» وهو يحدث أصحابه - وكانت يده أصيبت يوم نهاوند، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني! قال زيد: ما يريبك من يدي إنها الشمال، فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال فقال زيد: صدق الله ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود مآ أنزل الله على رسوله ... ﴾ الآية، معنى تريبني أي تدخل إلى قلبي الشك هل قطعت في سرقة وهذا من جهل الأعرابي.." (٢)

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٥٢٢/١

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٥٢٣/١

"اللغة: ﴿أحكمت﴾ الإحكام: المنع من الفساد يقال: أحكم الأمر إذا أتى به على وجه لا يتطرأ إليه خلل أو فساد ﴿مستقرها﴾ المكان الذي تأوي إليه في الدنيا ﴿مستودعها﴾ المكان الذي تصير إليه بعد الموت ﴿أمة معدودة﴾ الأمة هنا بمعنى المدة من الزمن أي مدة محدودة من السنين قال القرطبي: والأمة اسم مشترك يطلق على ثمانية أوجه: الجماعة، الملة، الرجل الجامع للخير، الحين والزمن، أتباع الأنبياء الخ ﴿مرية﴾ شك وارتياب ﴿وضل﴾ ضاع وتلاشى ﴿لا جرم﴾ كلمة واحدة بمعنى حقا وهو قول الخليل وسيبويه ﴿وأخبتوا﴾ خشعوا وخضعوا والإخبات: الذل والخضوع ﴿الأصم﴾ الذي لا يسمع وبه صمم.

سبب النزول: ذكر القرطبي عن ابن عباس أن «الأخنس بن شريق» كان رجلا حلو الكلام وحلو المنطق، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب، وينطوي له بقلبه على ما يسوء فأنزل الله ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه. .﴾ الآية.

التفسير: ﴿الر﴾ إشارة إلى إعجاز القرآن، وأنه مركب من أمثال هذه الحروف الهجائية، وعن ابن عباس أن معناه: أنا الله أرى ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ أي هو كتاب جليل القدر، نظمت آياته نظما محكما، لا يلحقه تناقض ولا خلل ﴿ثم فصلت﴾ أي بينت فيه أمور الحلال والحرام، وما يحتاج إليه العباد في أمور المعاش والمعاد ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي من عند الله فصلها وبينها الخبير العالم بكيفيات الأمور، ولذا كانت محكمة أحسن الإحكام ومفصلة أحسن التفصيل ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي لئلا تعبدوا إلا الله ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ أي إنني مرسل إليكم من جهته تعالى، أنذركم بعذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ أي استغفروه من الذنوب وأخلصوا التوبة واستقيموا عليها بالطاعة والإنابة ﴿يمتعكم متاعا حسنا﴾ أي يمتعكم في هذه الدنيا بالمنافع الجليلة من سعة الرزق، ورغد العيش ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي إلى وقت محدد هو انتهاء أعماركم ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ أي ويعطي كل محسن في عمله جزاء إحسانه ﴿وإن تولوا﴾ أي وإن تتولوا عن الإيمان وتعرضوا عن طاعة الرحمن ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ أي أخاف عليكم عذاب يوم القيامة، ووصف العذاب بأنه كبير لما فيه من الأهوال الشديدة ﴿إلى الله مرجعكم﴾ أي إليه جل وعلا رجوعكم بعد الموت ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي قادر على إماتتكم ثم إحيائكم وعلى معاقبة من كذب لا يعجزه شيء، وفي الآية تهديد عظيم ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم." (١)

"الخلاص من هذه المحنة ﴿وجآءوا أباهم عشآء يبكون﴾ أي رجعوا إلى أبيهم وقت العشاء ليلا وهم يبكون، روي أنه لما سمع يعقوب بكاءهم فزع، وقال: ما لكم يا بني، وأين يوسف؟ ﴿قالوا ياأبانآ إنا ذهبنا نستبق﴾ أي نتسابق في العدو، أو في الرمي ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾ أي تركنا يوسف عند ثيابنا وحوائجنا ليحفظها فجاء الذئب فافترسه ﴿ومآ أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ أي لست بمصدق لنا في هذه المقالة ولو كنا في الواقع صادقين، فكيف وأنت تتهمنا وغير واثق بقولنا؟ وهذا القول منهم يدل على الارتياب، وكما قيل: يكاد المريب يقول خذوني ﴿وجآءوا على قميصه بدم كذب﴾ أي جاءوا على ثوبه بدم كاذب، وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه قال ابن عباس: ذبحوا شاة

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٥

ولطخوا بدمها القميص فلما جاءوا يعقوب قال: كذبتم لو أكله الذئب لخرق القميص وروي أنه قال: «ما أحلم هذا الذئب أكل ابني ولم يشق قميصه» ؟﴾ ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾ أي زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وليس كما زعم أن الذئب أكله ﴿فصبر جميل﴾ أي أمري صبر جميل لا شكوى فيه ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي وهو سبحانه عوني على تحمل ما تصفون من الكذب ﴿وجاءت سيارة﴾ أي قوم مسافرون مروا بذلك الطريق قال ابن عباس: جاء قوم يسيرون من مدين إلى مصر فأخطئوا الطريق فانطلقوا يهيمون حتى هبطوا على الأرض التي فيها جب يوسف، وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران ﴿فأرسلوا واردهم﴾ أي بعثوا من يستقي لهم الماء ﴿فأدلى دلوه﴾ أي أرسل دلوه في البئر قال المفسرون: لما أدلى الوارد دلوه وكان يوسف في ناحية من قعر البئر تعلق بالحبل فخرج فلما رأى حسنه وجماله نادى ﴿قال يابشرى هذا غلام﴾ قاله على سبيل السرور والفرح لتبشير نفسه وجماعته قال أبو السعود: كأنه نادى البشرى وقال تعالي فهذا أوانك حيث فاز بنعمة جليلة ﴿وأسروه بضاعة﴾ أي أخفوا أمره عن الناس ليبيعوه في أرض مصر متاعا كالبضاعة والضمير يعود على الوارد وجماعته ﴿والله عليم بما يعملون﴾ أي لا يخفى عليه سبحانه أسرارهم، وما عزموا عليه في أمر يوسف ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة﴾ هذه هي المحنة الثانية في حياة يوسف الصديق وهي محنة الاسترقاق أي باعه أولئك المارة الذين استخرجوه من البئر بثمن قليل منقوص هو عشرون درهما كما قال ابن عباس ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ أي وكانوا في يوسف من الزاهدين الذين لا يرغبون فيه لأنهم التقطوه وخافوا أن يكون عبدا آبقا فينتزعه سيده من أيديهم، ولذلك باعوه بأبخس الأثمان ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه﴾ أي وقال الذي اشتراه من مدينة مصر لزوجته أكرمي إقامته عندنا قال ابن عباس: كان اسم الذي اشتراه «قطفير» وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر «عسى أن ينفعنآ أو نتخذه ولدا» أي عسى أن يكفينا بعض المهمات إذا بلغ أو نتبناه حيث لم يكن يولد لهما ولد ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ أي وكما نجيناه من الجب جعلناه متمكنا في أرض مصر يعيش فيها بعز وأمان ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ أي نوفقه لتعبير بعض المنامات ﴿والله غالب على." (١)

"بتزيين الكفر لقومه وإلقائه في نفوسهم مخالفة لأمر الرسول وكأن الآية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم تقول له: لا تحزن يا محمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان﴾ أي يزيل ويبطل الله ما يلقيه الشيطان من الوساوس والأوهام ﴿ثم يحكم الله آياته﴾ أي يثبت في نفس الرسول آياته الدالة على الوحدانية والرسالة ﴿والله عليم حكيم﴾ أي مبالغ في العلم حكيم يضع الأشياء في مواضعها قال أبو السعود: وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام، وتطرق الورسوسة إليهم ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان﴾ أي ليجعل تلك الشبه والوساوس التي يلقيها الشيطان ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾ أي فتنة للمنافقين الذين في قلوبهم شك **وارتياب** ﴿والقاسية قلوبهم﴾ أي وفتنة لكلافرين الذين لا تلين قلوبهم لذكر الله، وهم خواص من الكفار عتاة كأبي جهل، والنضر، وعتبه ﴿وإن الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ أي وإن هؤلاء المذكورين من المنافقين والمشركين لفي عداوة شديدة لله ولرسوله، ووصف الشقاق بلفظ ﴿بعيد﴾ لأنه في غاية الضلال والبعد عن الخير ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك﴾ أي وليعلم أهل العلم أن

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣٩/٢

القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى ﴿فيؤمنوا به﴾ أي يؤمنوا بهذا القرآن ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ أي تخشع وتسكن له قلوبهم بخلاف من في قلبه مرض ﴿وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ أي مرشد المؤمنين إلى الصراط المستقيم ومنقذهم من الضلالة والغواية ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ أي ولا يزال هؤلاء المشركون في شك وريب من هذا القرآن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي حتى تأتيهم الساعة فجأة دون أن يشعروا قال قتادة: ما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ أي أو يأتيهم عذاب يوم القيمة وسمي عقيما لأنه لا يوم بعده قال أبو السعود: كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام، فما لا يوم بعده يكون عقيما، والمراد به الساعة أيضا كأ نه قيل: أو يأتيهم عذابها، ووضع ذلك موضع الضمير لمزيد التهويل ﴿الملك يومئذ لله﴾ أي الملك يوم القيامة لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع ﴿يحكم بينهم﴾ أي يفصل بين عباده بالعدل، فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار." (١)

"الأحكام، وهدى به الأنام ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ أي تلك آيات القرآن الهادي للمؤمنين إلى صراط مستقيم، والمبشر لهم جنات النعيم، خص المؤمنين بالذكر لانتفاعهم به ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أي يؤدونها على الوجه الأكمل بخشوعها، وآدابها، وأركانها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي يدفعون زكاة أموالهم طيبة بها نفوسهم ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي يصدقون بالآخرة تصديقا جازما لا يخالجه شك أو ارتياب قال الإمام الفخر: والجملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة، فما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق وقال أبو حيان: ولما كان ﴿يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ ما يتجدد ولا يستغرق الأزمان جاءت الصلة فعلا، ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت ومستقر جاءت الجملة إسمية وأكدت بتكرار الضمير ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ وجاء خبر المبتدأ فعلا ليدل على الديمومة، ولما ذكر تعالى المؤمنين الموقنين بالبعث، ذكر بعدها المنكرين المكذبين بالآخرة فقال ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي لا يصدقون بالبعث ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ أي زينا لهم أعمالهم القبيحة حتى رأوها حسنة قال الرازي: والمراد من التزيين هو أن يخلق في قلبه العلم بما فيها من المنافع واللذات، ولا يخلق في قلبه العلم بما فيها من المضار والآفات ﴿فهم يعمهون﴾ أي فهم في ضلال أعمالهم القبيحة يترددون حيارى لا يميزون بين الحسن والقبيح ﴿أولئك الذين لهم سواء العذاب﴾ أي لهم أشد العذاب في الدنيا بالقتل والأسر والتشريد ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ أي وخسارتهم في الآخرة أشد من خسارتهم في الدنيا لمصيرهم إلى النار المؤبدة والجحيم والأغلال ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ أي وإنك يا محمد لتتلقى هذا القرآن العظيم وتعطاه ﴿من لدن حكيم عليم﴾ أي من عند الله الحكيم بتدبير خلقه، العليم بما فيه صلاحهم وسعادتهم قال الزمخشري: وهذه الآية بسط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقصيص، وما في ذلك من لطائف حكمته، ودقائق علمه ﴿إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا﴾ أي اذكر يا محمد حين قال موسى لأهله – أي زوجته – إني أبصرت ورأيت نارا قال المفسرون: وهذا عندما سار من مدين إلى مصر، وكان في ليلة مظلمة باردة، وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ أي سآتيكم بخبر عن

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٢٧٠

الطريق إذا وصلت إليها ﴿أو آتيكم بشهاب قبس﴾ أي أو آتيكم بشعلة مقتبسة من النار ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي لكي تستدفئوا بها ﴿فلما جآءها﴾ أي فلما وصل إلى مكان النار رأى منظرا هائلا عظيما، حيث رأى النار تضطرم في شجرة خضراء، لا تزداد النار إلا توقدا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس: لم تكن نارا وإنما كانت نورا يتوهج فوقف موسى متعجبا مما رأى وجاءه النداء العلوي ﴿نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ أي نودي من جانب الطور بأن بوركت يا موسى وبورك من حولك وهم الملائكة قال ابن عباس: معنى ﴿بورك﴾ تقدس ﴿ومن حولها﴾ الملائكة قال أبو." [1]

"اللغة: ﴿الحكيم﴾ المحكم الذي لا خلل فيه ولا تناقض ﴿يوقنون﴾ اليقين: التصديق الجازم ﴿لهو الحديث﴾ الباطل الملهي عن الخير والعبادة ﴿وقرا﴾ ثقلا وصمما يمنع من السماع ﴿عمد﴾ جمع عماد وهو الدعامة التي يرتكز عليها الشيء ﴿رواسي﴾ جبالا وثوابت، ورست السفينة: إذا ثبتت واستقرت ﴿تميد﴾ تتحرك وتضطرب ﴿وبث﴾ نشر وفرق.

سبب النزول: روي أن «النضر بن الحارث» كان يشتري المغنيات، فلا يظفر بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته «المغنية» فيقول لها: أطعميه، واسقيه الخمر، وغنيه، ويقول: هذا خير مما يدعوك إليه محمد، من الصلاة والصيام، وأن تقاتل بين يديه فأنزل الله ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله. .﴾ الآية.

التفسير: ﴿الم﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وللإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز الذي أفحم العلماء والأدباء والفصحاء والبلغاء منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية «ألف، لام، ميم» وهي في متناول أيدي الناطقين بالعربية، وهم عاجزون ان يؤلفوا منها كتابا مثل هذا الكتابعد التحدي والإفحام، وهذا من أظهر الدلائل وأوضح البراهين على أنه تنزيل الحكيم العليم ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب البديع، الذي فاق كل كتاب في بيانه، وتشريعه، وأحكامه ﴿الحكيم﴾ أي ذي الحكمة الفائقة، والعجائب الرائقة، الناطق بالحكمة والبيان، والإشارة بالبعيد عن القريب «تلك» للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ أي هداية ورحمة للمحسنين الذين أحسنوا العمل في الدنيا، وإنما خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بما فيه، ثم وضح تعالى صفاتهم فقال ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ أي يؤدونها على الوجه الأكمل بأركانها وخشوعها وآدابها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ أي يدفعونها إلى مستحقيها طيبة بها نفوسهم ابتغاء مرضاة الله ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ أي يصدقون بالدار الآخرة ويعتقدون بها اعتقادا جازما لا يخالطه شك ولا **ارتياب**، وكرر الضمير «هم» للتأكيد وإفادة الحصر ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات الجليلة على نور وبصيرة، ومنهج واضح سديد، من الله العزيز الحميد ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ أي هم الفائزون السعداء في الدنيا والآخرة قال أبو حيان: وكرر الإشارة ﴿وأولئك﴾ تنبيها على عظم قدرهم وفضلهم، ولما ذكر تعالى حال السعداء، الذين أهتدوا بكتاب الله وانتفعوا بسماعه، عطف عليهم بذكر حال الأشقياء، الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله،." [2]

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٣٦٩

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٤٤٧

"وارتياب من أمر الحساب والعذاب وقوله: ﴿مريب﴾ من باب التأكيد كقولهم: عجب عجيب.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – الطباق بين ﴿يبسط. . و. . يقدر﴾ وبين ﴿نفعا. . و. . ضرا﴾ وبين ﴿مثنى. . و. . فرادى﴾ .

٢ – المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار ﴿إلا من آمن وعمل صالحا. . والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ .

٣ – الالتفات من الغائب إلى المخاطب ﴿ومآ أموالكم ولا أولادكم﴾ والغرض المبالغة في تحقيق الحق.

٤ – أسلوب التقريب والتوبيخ ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ ؟ الخطاب للملائكة تقريعا للمشركين.

٥ – وضع الظاهر موض الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ والأصل وقالوا.

٦ – الإيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه ﴿ومآ أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه أي ما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا.

٧ – الاستعارة ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان.

٨ – الكناية اللطيفة ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ كناية عن زهوق الباطل محو أثره.

٩ – الاستعارة التصريحية ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ شبه الذي يقول بغير عللم، ويظن ولا يتحقق، بالإنسان يرمي غرضا وبينه وبينه مسافة بعيدة فلا يكون سهمه صائبا واستعار لفظ القذف للقول.

١٠ – توافق الفواصل لما له من جميل الوقع على السمع مثل ﴿إنا بمآ أرسلتم به كافرون، أكثر الناس لا يعلمون، وهم في الغرفات آمنون﴾ .." (١)

"المناسبة: لما ذكر صفات المؤمنين الأبرار، وأردفها بذكر الدلائل الدالة على وجوده سبحانه ووحدانتيه، وكمال علمه وحكمته، ذكر هنا ما يدل على البعث والنشور، من صفحات هذا الكون المنظور، ثم أعقبه بذكر الملحدين في آياته، المكذبين برسله وأنبيائه، وختم السورة الكريمة بيان حال الأشقياء المجرمين، المنكرين للقرآن العظيم.

اللغة: ﴿يلحدون﴾ يمليون عن الحق والاستقامة، والإلحاد: الميل والعدول يقال: ألحد في دين الله أي حاد عنه وعدل ﴿أعجميا﴾ بلغة العجم ﴿وقر﴾ صمم مانع من سماعه ﴿أكمامها﴾ جمع كم وهو وعاء الثمرة بضم الكاف وكسرها ﴿محيص﴾ فرار ومهرب من حاص يحيص حيصا إذا هرب ﴿نأ﴾ تباعد وأعرض ﴿الآفاق﴾ أقطار السموات والأرض ﴿مرية﴾ شك وارتياب عظيم.

التفسير: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ أي ومن البراهين والعلاقات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته، أنك ترى الأرض يابسة جرداء لا نبات فيها، تشبه الرجل الخاضع الذليل ﴿فإذآ أنزلنا عليها المآء اهتزت وربت﴾ أي فإذا أنزلنا عليها المطر تحركت حركة شديدة وانتفحت وعلت بالنبات، وأخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار ﴿إن الذي أحياها لمحى الموتى﴾ أي إن الإله الذي أحيا الأرض بعد موتها هو الذي يحيي الأموات ويبعثهم من القبور ﴿إنه على كل شيء قدير﴾ أي لا يعجزه جل وعلا شيء، فكما أخرج الزروع والثمار من الأرض المجدبة، فإنه قادر على إحياء الموتى. . ثم توعد تعالى

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٥١٥

من يلحد في آياته بعد ظهور الأدلة والبراهين على وجوده فقال ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينآ﴾ أي إن الذين يطعنون في آياتنا، بالتحريف والتكذيب والإنكار لها لا يغيب أمرهم عنا فنحن لهم بالمرصاد، وفيه وعيد وتهديد قال قتادة: الإلحاد الكفر والعناد وقال ابن عباس: هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة﴾ أي أفمن يطرح في جهنم مع الخوف والفزع أفضل أم من يكون في الجنة آمنا من عذاب الله يوم." (١)

"هدى وشفآء﴾ أي قل لهم يا محمد: إن هذا القرآن هدى للمؤمنين من الضلالة، وشفاء لهم من الجهل والشك والريب ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ أي والذين لا يصدقون بهذا القرآن، في آذانهم صمم عن سماعه، ولذلك تواصوا باللغو فيه ﴿وهو عليهم عمى﴾ أي كما أن هذا القرآن رحمة للمؤمنين، هو شقاء وتعاسة على الكافرين كقوله تعالى ﴿وننزل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ [الإسراء: ٨٢] قال في حاشية البيضاوي: إن القرآن لوضوح آياته، وسطوع براهينه، هادإلى الحق، ومزيل للريب والشك، وشفاء من داء الجهل والكفر **والارتياب**، ومن ارتاب فيه ولم يؤمن به، **فارتيابه** إنما نشأ عن توغله في اتباع الشهوات، وتقاعده عن تفقد ما يسعده وينجيه ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أي أولئك الكافرون بالقرآن، كمن ينادي من مكان بعيد، فإنه لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به، وهذا على سبيل التمثيل قال ابن عباس: يريد مثل البهيمة التي لا تفهم إلا دعاء ونداء ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ أي والله لقد أعطينا موسى التوراة فاختلف فيها قومه ما بين مصدق لها ومكذب، هكذا حال قومك بالنسبة للقرآن قال القرطبي: وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك، فقد اختلف من قبلهم في كتابهم، فآمن به قوم وكذب به قوم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم﴾ أي ولولا أن الله حكم بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة لعذبهم وأهلكهم في الدنيا ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾ أي وإن هؤلاء الكفار لفي شك من القرآن، لتبلد عقولهم وعمى بصائرهم، موقع لهم في أشد الريبة والاضطراب ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أسآء فعليها﴾ أي من عمل شيئا من الصالحات في هذه الدنيا فإنما يعود نفع ذلك على نفسه، ومن أساء في الدنيا فإنما يرجع وبال ذلك وضرره عليه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ أي وليس الله منسوبا إلى الظلم حتى يعذب بغير إساءة، فهو تعالى لا يعاقب أحدا إلا بذنبه، ولا يعاقبه إلا بجرمه قال المفسرون: ليست صغية «ظلام» هنا للمبالغة، وإنما هي صيغة نسبة مثل عطار، ونجار، وتمار، ولو كانت للمبالغة لأوهم أنه تعالى ليس كثير الظلم ولكنه يظلم أحيانا، وهذا المعنى فاسد لأنه يستحيل عليه الظلم جل وعلا ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ أي إليه تعالى وحده علم وقت الساعة لا يعلمه غيره قال الإمام الفرخ: أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أسآء فعليها﴾ ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة، فكألأن سائلا قال: ومتى يكون ذلك اليوم؟ فبين تعالى أن معرفة ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله ﴿وما تخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أي وما تخرج ثمرة من الثمرات من غلافها ووعائها ﴿وما تحمل

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/١١٥

من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ أي ولا تحمل أنثى جنينا في بطنها، ولا تلده إلا ملتبسا بعلمه تعالى، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ﴾." (١)

"الدنيا، يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا آخرة، ولا بعث، ولا نشور قال ابن كثير: هذا قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد، ومرادهم ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وليس هناك معاد ولا قيامة، وهذا قول الفلاسفة الدهريين، المنكرين للصانع، المعتقدين أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ﴿وما يهلكنآ إلا الدهر﴾ أي وما يهلكنا إلا مرور الزمان، وتعاقب الأيام قال الرازي: يريدون أن الموجب للحياة والموت تأثيرات الطبائع وحركات الأفلاك، ولا حاجة إلى إثبات الخالق المختار، فهذه الطائفة جمعوا بين إنكار الإله وبين إنكار البعث والقيامة، قال تعالى ردا عليهم ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ أي وليس لهم مستند من عقل أو نقل، ولذلك أنكروا وجود الله من غير حجة ولا بنية ﴿إن هم إلا يظنون﴾ أي ما هم إلا قوم يتوهمون ويتخيلون، يتكلمون بالظن من غير يقين ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ أي وإذا قرئت آيات القرآن على المشركين، واضحات الدلالة على البعث والنشور ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبآئنآ إن كنتم صادقين﴾ أي ما كان متمسكهم في دفع الحق الصريح إلا أن يقولوا: أحيوا لنا آباءنا الأولين، إن كان ما تقولونه حقا، سمي قولهم الباطل حجة على سبيل التهكم ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم﴾ أي قل لهم يا محمد: الله الذي خلقكم ابتداء حين كنتم نطفا هو الذي يميتكم عند انقضاء آجالكم، لا كا زعمتم أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي ثم بعد الموت يبعثكم للحساب والجزاء كما أحياكم في الدنيا، فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة، والحكمة اقتضت الجمع للجزاء في يوم القيامة، الذي لا شك فيه ولا ارتياب ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي ولكن أكثر الناس لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر، لا يعلمون قدرة الله فينكرون البعث والجزاء.

. ثم بين إمكان الحشر والنشر ذكر تفاصيل أحوال يوم القيامة فقال ﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾ أي هو جل وعلا المالك لجميع الكائنات العلوية والسفلية ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ أي ويوم القيامة يخسر الكافرون الجاحدون بآيات الله ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ أي وترى أيها المخاطب كل أمة من الأمم جالسة على الركب من شدة الهول الفزع، كما يجثوا الخصوم بين يدي الحاكم بهيئة الخائف الذليل قال ابن كثير: وهذا إذا جيء بجهنم فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا على ركبتيه ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ أي كل أمة من تلك الأمم تدعى إلى صحائف أعمالها ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ أي يقال لهم: في هذا اليوم الرهيب تنالون جزاء أعمالكم من خير أو شر ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي هذا كتاب أعمالكم يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقصان قال في التسهيل: فإن قيل: كيف أضاف الكتاب تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى؟ فالجواب أنه أضافه إليهم لأن أعمالهم ثابتة فيه، وأضافه إلى الله تعالى لأنه مالكه

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/١١٧

وأنه هو الذي أمر الملائكة أن يكتبوه ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي كنا نأمر الملائكة بكتابة أعمالكم، وإثباتها عليكم قال المفسرون: تنسخ هنا بمعنى تكتب، وحقيقة النسخ هو." (١)

"وأعددت للحرب أوزارها ... رماحا طوالا وخيلا ذكورا

﴿تعسا﴾ شقاء وهلاكا ﴿آسن﴾ متغير ومنتن ﴿حميما﴾ حارا شديد الحرارة ﴿آنفا﴾ الآن، من قولهم، استأنف الأمر إذا ابتدأ به ﴿أشراط﴾ أمارات وعلامات.

التفسير: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ هذا إعلان حرب من الله تعالى على أعدائه وأعداء دينه والمعنى الذين جحدوا بآيات الله وأعرضوا عن الإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول فيه ﴿أضل أعمالهم﴾ أي أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا ثواب لها لأنها لم تكن لله فبطلت، والمراد أعمالهم الصالحة كإطعام الطعام، وصلة الأرحام، وقرى الضيف قال الزمخشري: وحقيقة إضلال الأعمال جعلها ضالة ضائعة، ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الإبل، التي لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها، والمراد لهم التي عملوها في كفرهم بما كانوا يسمونه «مكارم الأخلاق» ، من صلة الأرحام، وفك الأسارى، وقرى الأضياف، وحفظ الجوار ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي جمعوا بين الإيمان الصادق، والعمل الصالح ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ أي صدقوا بما أنزل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا جازما لا يخالجه شك ولا ارتياب وهوعطف خاص على عام، والنكتة فيه تعظيم أمره والاعتناء بشأنه، إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه، ولذا أكده بقوله ﴿وهو الحق من ربهم﴾ أي وهو الثابت المؤكد المقطوع بأنه كلام الله ووحيه المنزل من عند الله، والجملة اعتراضية لتأكيد السابق ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أي أزال ومحا عنهم ما مضى من الذنوب والأوزار ﴿وأصلح بالهم﴾ أي أصلح شأنهم وحالهم، في دينهم ودنياهم، ثم بين تعالى سبب ضلال الكفار، واهتداء المؤمنين فقال ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ أي ذلك الإضلال لأعمال الكفار بسبب أنهم سلكوا طريق الضلال، واختاروا الباطل على الحق ﴿وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ أي وأن المؤمنين سلكوا طريق الهدى، وتمسكوا بالحق والإيمان المنزل من عند الرحمن ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي مثل ذلك البيان الواضح، بين الله أمر كل من الفريقين المؤمنين والكافرين بأوضح بيان وأجلى برهان ليعتبر الناس ويتعظوا. . وبعد إعلان هذه الحرب السافرة على الكافرين أمر تعالى المؤمنين بجهادهم فقال ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ أي فإذا أدركتم الكفار في الحرب فاحصدوهم حصدا بالسيوف قال في التسهيل: وأصله فاضربوا الرقاب ضربا ثم حذف الفعل وأقام المصدر مقامه والمراد: اقتلوهم، ولكن عبر عنه بضرب الرقاب لأنه الغالب في صفة القتل ﴿حتى إذآ أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ أي حتى إذا هزمتموهم وأكثرتم فيهم القتل والجراحات ولم تبق لهم قوة للمقاومة فأسروهم وكفوا عن قتلهم قال الزمخشري: وفي هذه العبارة ﴿فضرب الرقاب﴾ من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل، لما فيها من تصوير القتل بأشنع صورة، وهو حز العنق وإطارة رأس البدن، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله ﴿فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾ [الأنفال: ١٢] ومعنى ﴿أثخنتموهم﴾ أكثرتم قتلهم وأغلظتموه ﴿." (٢)

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ١٧٤/٣

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ١٩١/٣

"قلوب المؤمنين «أهل الحديبية» حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة، بعد أن حصل لهم ما يزعج النفوس ويزيع القلوب، من صد الكفار لهم عن دخول مكة، ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود، فلم يرجع منه أحد عن الإيمان، بعد أن هاج الناس وماجوا، وزلزلوا حتى جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أنت نبي الله حقا؟ قال: بلى، قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى، قال: فلم نعط الدنية في ديننا إذن؟ قال إني رسول الله وليست أعصيه وهو ناصري.

. الخ. ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها﴾ أي ليدخلهم على طاعتهم وجهادهم حدائق وبساتين ناضرة، تجري من تحتها أنهار الجنة ماكثين فيها أبدا ﴿ويكفر عنهم سيئاتهم﴾ أي يمحو عنهم خطاياهم وذنوبهم ﴿وكان ذلك عند الله فوزا عظيما﴾ أي وكان ذلك الإدخال في الجنات والتكفير عن السيئات، فوزا كبيرا وسعادة لا مزيد عليها، إذ ليس بعد نعيم الجنة نعيم ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ أي وليعذب الله أهل النفاق والإراك، وقدمهم على المشركين لأنهم أعظم خطرا وأشر ضررا من الكفار المجاهرين بالكفر ﴿الظآنين بالله ظن السوء﴾ أي الظانين بربهم أسوأ الظنون، ظنوا أن الله تعالى لن ينصر رسله والمؤمنين، وأن المشركين يستأصلونهم جميعا كما قال تعالى ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا﴾ قال القرطبي: ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع إلى المدينة ولا أحد من أصحابه حين خرج إلى الحديبية ﴿عليهم دآئرة السوء﴾ دعاء عليهم أي عليهم ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين من الهلاك والدمار ﴿وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أي سخط تعالى عليهم بكفرهم ونفاقهم، وأبعدهم عن رحمته ﴿وأعد لهم جهنم وسآءت مصيرا﴾ أي وهيأ لهم في الآخرة نارا مستعرة هي نار جهنم، وساءت مرجعا ومنقلبا لأهل النفاق والضلال ﴿ولله جنود السماوات والأرض﴾ تأكيد للانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين قال الرازي: كرر اللفظ لأن جنود الله قد يكون إنزالهم للرحمة، وقد يكون للعذاب، فذكرهم أولا لبيان الرحمة للمؤمنين وثانيا لبيان إنزال العذاب عل الكافرين ﴿وكان الله عزيزا حكيما﴾ أي عزيزا في ملكه وسلطانه، حكيما في صنعه وتدبيره قال الصاوي: ذكره هذه الآية أولا في معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله

﴿عليما حليما﴾ [الأحزاب: ٥١] وذكرها ثانيا في معرض الانتقام فذيلها بقوله ﴿عزيزا حكيما﴾ وهو في منتهى الترتيب الحسن، لأنه تعالى ينزل جنوج الحرمة لنصرة المؤمنين، وجنود العذاب لإهلاك الكافرين. . ثم امتن تعالى على رسوله الكريم بتشريفه بالرسالة، وبعثه إلى كافة الخلق فقال ﴿إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ أي: إنا أرسلناك يا محمد شاهدا على الخلق يوم القيامة، ومبشرا للمؤمنين بالجنة، ومنذرا للكافرين من عذاب النار ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي أرسلنا الرسول لتؤمنوا أيها الناس بربكم ورسولكم حق الإيمان، إيمانا عن اعتقاد ويقين، لا يخالطه شك ولا ارتياب ﴾." (١)

"رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى» ﴿إن الله عليم خبير﴾ أي عليم بالعباد، مطلع على ظواهرهم وبواطنهم، يعلم التقي والشقي، والصالح والطالح ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٢٣] . ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي زعم الأعراب أنهم آمنوا قل لهم يا محمد: إنكم لم تؤمنوا بعد، لأن الإيمان

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٠٣/٣

تصديق مع ثقة واطمئنان قلب، ولم يحصل لكم، وإلا لما مننتم على الرسول بالإسلام وترك المقاتلة، ولكن قولوا استسلمنا خوف القتل والسبي قال المفسرون: نزلت في نفر من بني أسد، قدموا المدينة في سنة مجدبة، وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كم قاتلك بنو فلان وفلان، يريدون الصدقة ويمنون على الرسول، وقد دلت الآية على الإيمان مرتبة أعلى من الإسلام، الذي هو الاستسلام والانقياد بالظاهر ولهذا قال تعالى ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ أي ولم يدخل الإيمان إلى قلوبكم ولم تصلوا إلى حقيقته بعد، ولفظة «لما» تفيد التوقع كأنه يقول: وسيحصل لكم الإيما عند اطلاعكم على محاسن الإسلام، وتذوقكم لحلاوة الإيمان قال ابن كثير: وهؤلاء الأعراب المذكورون في هذه الآية ليسوا منافقين، وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك، ولو كانوامنافقين كما ذهب إليه البخاري لعنفوا وفضحوا ﴿وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا﴾ أي وإن أطعتم الله ورسوله بالإخلاص الصادق، والإيمان الكامل، وعدم المن على الرسول لا ينقصكم من أجوركم شيئا ﴿إن الله غفور رحيم﴾ أي عظيم المغفرة، واسع الرحمة، لأن صيغة «فعول» و «فعيل» تفيد المبالغة.

. ثم ذكر تعالى صفات المؤمنين الكمل الصادقين في إيمانهم فقال ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله﴾ أي إنما المؤمنون الصادقون في دعوى الإيمان، الذين صدقوا الله ورسوله، فأقروا لله بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، عن يقين راسخ وإيمان كامل ﴿ثم لم يرتابوا﴾ أي ثم لم يشكوا ويتزلزوا في إيمانهم بل ثبتوا على التصديق واليقين ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾ أي وبذلوا أموالهم ومهجهم في سبيل اله وابتغاء رضوانه ﴿أولئك هم الصادقون﴾ أي أولئك الذين صدقوا في ادعاء الإيمان. . وصف تعالى المؤمنين الكاملين بثلاثة أوصاف: الأول: التصديق الجازم بالله ورسوله الثاني: عدم الشك **والارتياب** الثالث: الجهاد بالمال والنفس، فمن جمع هذه الأوصاف فهو المؤمن الصادق ﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ الاستفهام للإنكار والتوبيخ أي قل يا محمد، أتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم؟ ﴿والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي وهو جل وعلا العليم بأحوال جميع العباد، لا تخفى عليه خافية لا في السموات ولا في الأرض ﴿والله بكل شيء عليم﴾ أي واسع العلم رقيب على كل شيء، لا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ أي يعدون إسلامهم عليك يا محمد منة، يستوجبون عليها الحمد والثناء ﴿قل لا تمنوا علي إسلامكم﴾ أي قل لهم لا تمتنوا علي بإسلامكم." (١)

"قلوبهم وتلين لمواعظ الله؟ ﴿وما نزل من الحق﴾ أي ولما نزل من آيات القرآن المبين؟ ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي ولا يكونوا كاليهود والنصارى الذين أعطاهم الله التوراة والإنجيل ﴿فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ أي فطال عليهم الزمن الذي بينهم وبين أنبيائهم، حتى صلبت قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة قال ابن عباس: ﴿قست قلوبهم﴾ مالوا إلى الدنيا وأعرضوا عن مواعظ القرآن وقال أبو حيان: أي صلبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعمة والغرض أن الله يحذر المؤمنين أن يكونوا مع القرآن كاليهود والنصارى حين قست قلوبهم لما طال عليهم الزمان ﴿وكثير منهم فاسقون﴾

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٢٠/٣

أي وكثير من أهل الكتاب خارجون عن طاعة الله، رافضون لتعليم دينهم، من فرط قسوة القلب قال ابن كثير: نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى، لما تطاول عليهم الزمن بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم، ونبذوه وراء ظهروهم، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها﴾ أي اعلموا يا معشر المؤمنين أن الله يحيي الأرض القاحلة المجدبة بالمطر، ويخرج منها النبات بعد يبسها، وهو تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر وتلاوة القرآن، كما تحيا الأرض المجدبة بالغيث الهتان قال ابن عباس: يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة، وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة قال في البحر: ويظهر أنه تمثيل لتليين القلوب بعد قسوتها، ولتأثير ذكر الله فيها، فكما يؤثر الغيب في الأرض فتعود بعد إجدابها مخصبة، كذلك تعود القلوب النافرة مقبلة يظهر فيها أثر الخشوع والطاعات ﴿قد بينا لكم الآيات﴾ أي وضحنا لكم الحجج والبراهين الدالة على كمال قدرتنا ووحدانيتنا ﴿لعلكم تعقلون﴾ أي لكي تعقلوا وتتدبروا ما أنزل الله في القرآن ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ أي الذين تصدقوا بأموالهم على الفقراء ابتغاء وجه الله، والذين أنفقوا في سبيل الله وفي وجوه البر والإحسان طيبة بها نفوسهم ﴿يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ أي يضاعف لهم ثوابهم بأن تكتب الحسنة بعشر أمثالها، ولهم فوق ذلك ثواب حسن جزيل وهو الجنة قال المفسرون: أصل ﴿المصدقين﴾ المتصدقين أدغمت التاء في الصاد فصارت المصدقين، ومعنى القرض الحسن هو التصدق عن طيب النفس، وخلوص النية للفقير، فكأن الإنسان بإحسانه إلى الفقير قد أقرض الله قرضا يستحق عليه الوفاء في دار الجزاء ﴿والذين آمنوا بالله ورسله﴾ أي صدقوا بوحدانية الله ووجوده، وآمنوا برسله إيمانا راسخا كاملا، لا يخالجه شك ولا ارتياب ﴿أولئك هم الصديقون والشهدآء عند ربهم﴾ أي أولئك الموصوفون بالإيمان بالله ورسله، هم الذين جمعوا أعلى المراتب فحازوا درجة الصديقية والشهادة في سبيل الله قال مجاهد: كل من آمن بالله ورسله فهو صديق وشهيد ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ أي لهم في الآخرة الثواب الجزيل، والنور الذي يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنآ أولئك أصحاب الجحيم﴾ أي والذين." (١)

"حق المسكين، وقد كان الحسن البصري يقول: يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا جمعتها من حلال وحرام!! ثم أخبر تعالى عن طبيعة الإنسان، وما جبل عليه من الحرص الشديد على جمع حطام الدنيا فقال ﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ أي إن الإنسان جبل على الضجر، لا يصبر على بلاء، ولا يشكر على نعماء قال المفسرون: الهلع: شدة الحرص وقلة الصبر، يقال: جاع فهلع، والمراد بالإنسان العموم بدليل الاستثناء، والاستثناء معيار العموم، ثم فسره تعالى بقوله ﴿إذا مسه الشر جزوعا﴾ أي إذا نزل به مكروه من فقر، أو مرض، أو خوف، كان مبالغا في الجزع مكثرا منه، واستولى عليه اليأس والقنوط ﴿وإذا مسه الخير منوعا﴾ أي وإذا أصابه خير من غنى، وصحة وسعة رزق كان مبالغا في المنع والإمساك، فهو إذا أصابه الفقر لم يصبر، وإذا أغناه الله لم ينفق قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان يحب ما يسره، ويهرب مما يكرهه، ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره ﴿إلا المصلين﴾ استثناهم من أفراد البشر الموصوفين بالهلع، لأن صلاتهم

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٣٠٨

تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها ﴿الذين هم على صلاتهم دآئمون﴾ أي مواظبون على أداء الصلاة، لا يشغلهم عنها شاغل، لأن نفوسهم صفت من أكدار الحياة، بتعرضهم لنفحات الله ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ أي في أموالهم نصيب معين فرضه الله عليهم وهو الزكاة ﴿للسآئل والمحروم﴾ أي للفقير الذي يسأل وتكيفف الناس، والمحروم الذي يتعفف عن السؤال، فيظن أنه غني فيحرم كقوله تعالى

﴿يحسبهم الجاهل أغنيآء من التعفف﴾ [البقرة: ٢٧٣] ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ أي يؤمنون بيوم الحساب والجزاء، ويصدقون بمجيئه تصديقا جازما لا يشوبه شك أو **ارتياب**، فيستعدون له بالأعمال الصالحة ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ أي خائفون على أنفسهم من عذا بالله، يرجون الثواب ويخافون العقاب ﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ أي لأن عذاب الله لا ينبغي أن يأمنه، إنسان، إلا من آمنه الرحمن والأمور بخواتيمها. . إن هؤلاء المصدقين المشفقين قلما تزدهيهم الدنيا، أو يبطرهم نعيمها، أو يجزعون على ما فاتهم من حطامها، فسواء عليهم أخسروا حظوظ الدنيا أم غنموا، إذ أن لديهم من الكفر في جلال ربهم، وذكر معادهم، ما يشغلهم عن الجزع إذا مسهم الشر، ويربأ بهم عن المنع إذا مسهم الخير، ثم ذكر تعالى الفريق الخامس من الموفقين للخيرات وفعل الطاعات فقال ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ أي أعفاء لا يرتكبون المحارم، ولا يتلوثون بالمآثم، قد صانوا أنفسهم عن الزنى والفواحش ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ أي يقتصرون على ما أحل الله لهم من الزوجات المنكوحات، والرقيقات المملوكات ﴿فإنهم غير ملومين﴾ أي فإنهم غير مؤاخذين لأن وضع الشهوة فيما أباح الله من الزوجات والمملوكات، حلال يؤجر عليه الإنسان، لما فيه من تكثير النسل والذرية ﴿فمن ابتغى ورآء ذلك فأولئك هم العادون﴾ أي فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فقد تعدى حدود الله وعرض نفسه لعذاب الله قال الطبري: من التمس لفرجه منكحا سوى زوجته أو ملك يمينه، ففاعلوا ذلك هم العادون، الذين تعدوا حدود ما أحل الله لهم، إلى ما." (١)

"أفيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار؟ قال الطبري: وإنما جعل الله الخبر عن عدة خزنة جهنم فتنة للكافرين، لتكذيبهم بذلك وقول بعضهم لأصحابه على سبيل الاستهزاء أنا أكفيكموهم ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ أي ليتيقن أهل الكتاب من صدق محمد، وأن هذا القرآن من عند الله، إذ يجدون هذا العدد في كتبهم المنزلة ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ أي ويزداد المؤمنون تصديقا لله ورسوله، بما يشهدن من صدق أخبار نبيهم صلى الله عليه وسلم وتسليم أهل الكتاب لما جاء في القرآن موافقا للتوراة والإنجيل ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي ولا يشك أهل الكتاب والمؤمنون في عددهم، وهذا تأكيد لما قبله لأنه لما ذكر اليقين نفى عنهم الشك، فكان قوله ﴿ولا يرتاب﴾ مبالغة وتأكيدا، وهو ما يسميه علماء البلاغة الإطناب ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذآ أراد الله بهذا مثلا﴾ أي وليقول الذين في قلوبهم شك ونفاق والكافرون من أهل مكة: أي شيء أراد الله بهذا القول العجيب، الذي هو مثل في الغرابة والبداعة؟ ولماذا يخوفنا بواسطته من سقر وخزنتها التسعة عشر؟ قال الرازي: إثبات اليقين في بعض الأحوال لا ينافي حصول **الارتياب** بعد ذلك، فالمقصود من إعادة هذا الكلام هو أنه حصل لهم يقين جازم بحيث لا يحصل عقيبه البتة

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٤٢١

شك ولا ريب، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلم من حال قريش أنه متى أخبرهم بهذا العدد العجيب فإنهم يستهزئون به ويضحكون منه، ولذلك بين تعالى الغاية من ذكر هذا الخبر أوضح بيان ﴿كذلك يضل الله من يشآء ويهدي من يشآء﴾ أي مثل ما أضل الله أبا جهل وأصحابه، يضل الله عن الهداية والإيمان من أراد إضلاله، ويهدي من أراد هدايته، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ أي وما يعلم عدد الملائكة، وقوتهم وضخامة خلقهم، وكثرتهم إلا الله رب العالمين، وفي الآية رد على أبي جهل حين قال: أما لرب محمد أعوان إلا تسعة عشر؟ ﴿وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ أي وما هذه النار التي وصفها لكم الجبار، إلا موعظة وتذكرة للخلق ليخافوا ويطيعوا ﴿كلا والقمر﴾ ﴿كلا﴾ كلمة ردع وزجر ثم أقسم الله تعالى بالقمر على أن سقر حق، والمعنى ليرتدع أولئك المستهزئون بالوحي والقرآن عن فعلهم وسوء صنيعهم." (١)

"الطريق الثاني للإثبات وهو: الاعتماد على القرائن:

قال تعالى: ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين * وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين * فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ (يوسف: ٢٦ – ٢٨). وذلك أنه قضى على المرأة بقرينة شق القميص من الخلف، فذلك دليل على إعراض يوسف وجذب المرأة له، والشريعة لم ترد حقا، ولم تنبذ شهادة الفاسق، بل أمرتنا أن نتثبت منها، معتمدين على القرائن، ومن القرائن الاعتماد على الخط المكتوب، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ (البقرة: ٢٨٢)، وذلك أن الله علل الكتابة بأنها أعدل وأبعد عن **الارتياب**، وما ذلك إلا أنه يعتمد عليها. ومن طرق الإثبات شهادة الشهود، والقاضي بصير يمكنه أن يتبين صدق المدعي أو كذبه، قال تعالى: ﴿ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ (محمد: ٣٠) وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ (الحجر: ٧٥).

علاج الجريمة

العقوبة في القرآن: للحفاظ على مصلحة الجماعة شرع الله العقاب، وهو إما دنيوي يكفي لعلاج المذنب، وإما أخروي يردع من تحدثه نفسه بالإجرام، أو يوقع على من فلت من عقاب الدنيا، ونص القرآن الكريم على بعض العقوبات، وعلى المسلمين تنفيذها، وخطط أصولا للتعازير، وعليهم أن ينظموها، وليست قيمة النظام بما يحلل ويحرم فقط، بل بإسعاد الجماعة، والعقاب في القرآن لا لمجرد مخالفة، أمر الشارع مجردا عن مصلحة الجماعة، بل لهما معا، والغرض من العقوبة في القرآن. أنها قبل الفعل زواجر بعده.." (٢)

"فانظر إلى ختام الآية في قوله: ﴿أولئك الذين صدقوا﴾ فهؤلاء الذين صدقوا فيما آمنوا به، وفيما التزموا به من شرائع الله، هذا الصدق يهديهم دائما إلى البر، ولا شك أن هذا البر الذي التزموا به سوف يؤدي بهم إلى دخول الجنة، وإن

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٤٥٤

(٢) التفسير الموضوعي ١ – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٥٤

الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقا، له جزاء الصديقين، والكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ... إلى آخر ما جاء في هذا الحديث.

أيضا يروي لنا الإمام الترمذي بسنده عن أبي الجوزاء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–؟ قال: حفظت من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة))، وفي قوله: ((فإن الصدق طمأنينة)) ما يبين جزاء الصادقين في الدنيا، وجزاؤهم طمأنينة في القلوب، وهذه الطمأنينة يحرم منها أهل الكذب، فهم دائما في حالة **ارتياب** وفي حالة هلع، فهذا إذا هو ما أعد الله للصادقين في هذه الدنيا.

أيضا يروي لنا الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر: ((أن رجلا جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله ما عمل الجنة؟ قال: الصدق، وإذا صدق العبد بر، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة. قال: يا رسول الله؛ ما عمل النار؟ قال: الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل)) يعني: النار.

الصدق إذا هو طريق الجنة، وهو باب البر، وهو وسيلة الإيمان، والكذب بخلاف ذلك، وعن أبي هريرة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: ((لا يجتمع الإيمان والكفر في قلب امرئ، ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا، ولا تجتمع الخيانة والأمانة جميعا)) فهذا الصدق وهذا الكذب لا يجتمعان على الإطلاق في قلب إنسان مؤمن؛ لذلك كان الصدق وسيلة إلى حياة آمنة مستقرة مطمئنة.." (١)

"أهل الصدق في القرآن

نرجع إلى كتاب الله –سبحانه وتعالى– لنرى الآيات التي تختم ببيان أن هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات المعينة هم الصادقون، رأينا سورة "البقرة" وآية البر التي ذكرناها الآن، وفي نهايتها قرأنا قول الله تعالى: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (البقرة: ١٧٧)، فهذا إذا تعريف الصادقين كما ذكرته سورة البقرة، والآية ذكرناها تجمع خمسة عشرة صفة هي صفات أهل الصدق.

نقرأ أيضا في سورة "الحجرات" قول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ (الحجرات: ١٥).

وفي سورة "الحشر" يقول سبحانه في صفة المهاجرين: ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ (الحشر: ٨).

وفي سورة "الحديد" يقول عز من قائل: ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم * والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم﴾ (الحديد: ١٨، ١٩).

وإذا كنا قد عرفنا ما في آية سورة "البقرة" من المعاني على وجه الإجمال، فلنقف عند ما جاء في سورة "الحجرات" من قول

(١) التفسير الموضوعي ٢ – جامعة المدينة   جامعة المدينة العالمية ص/١٢٧

الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ (الحجرات: ١٥) فهنا نجد الصفتين: الإيمان، والجهاد: الإيمان بالله ورسوله إيمانا جازما لا ارتياب فيه ولا شك فيه ولا شبهة،." (١)

"سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (حديث شريف)

.

ألم يعلموا أنه من يحاد الله ورسوله، حتى يكون في جانب والله ورسوله في جانب آخر؟ فإن له نار جهنم يصلاها وبئس القرار قراره، له نار جهنم خالدا فيها وذلك هو الخزي العظيم، والنكال والذل المهين.

والمنافقون مذبذبون بين الإيمان والكفر، شاكون مرتابون في الوحي وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الشك والارتياب يدعوهم إلى الحذر والإشفاق. بل هو لازم له، إذ لو كانوا موقنين بكذب الرسول لما جاءهم الحذر، ولو كانوا مؤمنين حقا لما كان لهذا الخوف والحذر محل، لهذا يصفهم القرآن بقوله: يحذر المنافقون أن تنزل على المؤمنين سورة كاشفة لهم، فاضحة أستارهم، مبينة نفاقهم، كهذه السورة، ولذلك سميت الكاشفة والفاضحة.

يحذرون من سورة تنبئهم بما في قلوبهم! والمراد اللازم وهو فضيحتهم وكشف عورتهم وبيان شكهم وارتيابهم، وتربصهم الدوائر بالمسلمين وإنذارهم بما قد يترتب على ذلك من عقابهم، وقد كان المنافقون دائمى الاستهزاء بالنبي والمؤمنين كما مر إنما نحن مستهزؤن ولذلك يأمر الله نبيه بأن يقول لهم: قل استهزءوا كما تشاءون، وهذا تهديد لهم شديد، ووعيد عليه، إن الله مخرج ما تحذرون إخراجه من مخبئات الضمير، ومكنونات الصدور، وقد حصل ذلك وظهر نفاقهم لكل الناس.

روى عن قتادة: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين: فقالوا: أيرجو هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات!! فأطلع الله نبيه على ذلك فقال: احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا قلتم كذا؟ قالوا: يا نبي الله: إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم هذه الآية

على طريقة القسم للتأكيد، ولئن سألتهم عن أقوالهم التي يقولونها نفاقا من وراء الرسول ليقولن:

إنا كنا غير جادين، ومنكرين بل هازلين لاعبين، وهذا كفر محض فإن من يهزأ بالله ورسوله فهو كافر بها.

قل لهم: ألم تجدوا ما تستهزءون به في خوضكم ولعبكم إلا الله وآياته ورسوله فقصرتم الهزء عليهم ثم تظنون أن هذا عذر مقبول فتتكلمون به بلا حياء ولا خوف،." (٢)

"هكذا أسلوب القرآن يذكر الشيء ثم يردفه بمقابله ليتجلى الفرق ويظهر للعيان بأجلى معانيه، وليعلم المنافقون أنهم ليسوا على شيء من الإيمان إذ صفته ما يذكر هنا من إقامة الصلاة والأمر بالمعروف ... إلخ. أما إيمانهم الظاهر فهو نفاق وخداع لا ينفع أبدا.

المعنى:

---

(١) التفسير الموضوعي ٢ - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٢٨

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٩٠١/١

المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض بالنصرة والمعونة والمساعدة في السراء والضراء، والوقوف بجانب بعض في الشدائد والمكروه، بعضهم أولياء بعض ولاية أخوة ومودة ومحبة وصداقة، فنبيهم صلى الله عليه وسلم

يقول: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» .

ويقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»

هذا هو أساس الإيمان وطبعه لا فرق بين ذكر وأنثى وقد كانت النساء في العصر الأول يقمن بالمعونة والنصرة في الحروب وغيرها على قدر طاقتهن مع التجمل بالأدب والحياء ولبس لباس الدين والعفاف.

وانظر يا أخى في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض وفي وصف المنافقين بعضهم من بعض ترى أن المنافقين لا ولاية بينهم ولا أخوة تبلغ درجة الإيثار والنصرة وفى الحروب، ولكنها أخوة كلام فقط ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون. لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون [سورة الحشر الآيتان ١١ و ١٢] .

فالمنافقون بعضهم يشبه بعضا في الشك والنفاق **والارتياب** ولكن لا صلة بينهم ولا تآلف، إذ الولاية والصلة والأخوة هي من صفات المؤمنين أصحاب العقائد الراسخة، ولذا يقول الله فيهم: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ولاية النصرة في الدفاع عن الحق والعدل والكرامة والدعوة إلى الله يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وبالعكس المنافقون يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ولا غرابة فهاتان الصفتان من أبرز صفات المؤمنين.." (١)

"تذكيرهم بما حصل لهم أيام يوسف [سورة غافر (٤٠) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)

المعنى:

يا قوم تنبهوا، واذكروا ما حصل أيام يوسف الذي أرسل لكم، وتالله لقد جاءكم يوسف من قبل موسى بالآيات البينات فما زلتم، أى: أسلافكم في شك مما جاءكم به، ومتى شك الإنسان في الأمر أعرض عنه ولم يبحثه، حتى إذا هلك قلتم: لن يبعث الله من بعده من يدعى الرسالة، مثل هذا الإضلال والخروج عن جادة الصواب يضل الله كل شخص مسرف في العصيان مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به الآيات البينات، وهذا بيان لمن هو مسرف مرتاب وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير علم ولا هدى ولا حجة ولا برهان إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه «١» كبر مقتا عند الله، أى: كبر مقت

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٩٠٥/١

المجادل في آيات الله وعظم جرمه عند الله، وعند الذين آمنوا!! مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يصدر عنه هذا الإسراف والارتياب والمجادلة بغير حق..

---

(١) – سورة غافر آية ٥٦.." (١)

"كذلك– وقد تكلمنا عن يوم القيامة وعلى من كذب به، وما فيه من مواقف المتقين والمشركين كل ذلك ليثوب المشركون إلى رشدهم ويؤمنوا بالله ورسوله وباليوم الآخر، ولم يحصل هذا– فلا أقسم بما ترونه وما لا ترونه على أن هذا القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم قاله مبلغا عن ربه الذي أوحاه إليه، لا أقسم على هذا لظهوره كالشمس أو هو أوضح، وهذا الرسول الكريم ما لكم تكذبونه، وتدعون تارة أنه شاعر، وأخرى أنه كاهن، وأخرى أنه افتراه على الله، عجبا لكم! أهذا القرآن كلام شاعر؟ وأنتم أعلم الناس بقول الشعر والشعراء! ما هو بقول شاعر لاشتماله على الحقائق والقوانين والقصص العالي، وما فيه من أحكام وشرائع الشعر عندكم خلو من هذا كله، فكيف يكون محمد شاعرا؟ وبطلان هذا ظاهر، وبهتانكم فيه أكبر، فلا غرو أن يوبخكم الله بقوله: قليلا ما تؤمنون! وكيف تقولون: إن القرآن كلام كاهن وأنتم تعلمون أن الكاهن له غرض مادى وليس في نفسه السمو والكمال، ولا يدعو إلى الفضيلة والمثل العليا، وهو إن صدق مرة فيكذب مرارا (وكلام الكهان سجع مصنوع وقول موضوع) على أن الكهانة انتهت بظهور القرآن، يقول: تذكروا وادرسوا القرآن لتفرقوا بينه وبين الكهانة قليلا ما تذكرون والقرآن ليس بالشعر وليس بالكهانة، وإنما هو تنزيل من رب العالمين وفيض من الخالق الرحمن الرحيم، وسرعان وذكر كريم أنزل على لسان رجل صادق مصدق ذي شرف وخلق كما تقرون له بذلك.

وكيف تدعون أنه اختلقه ونسبه إلى ربه، ولو تقول علينا بعض الأقاويل والأكاذيب لأخذناه أخذ عزيز قادر، وقطعنا منه حبل الوريد حتى لا يحيا لحظة واحدة في الوجود لأنه يكذب على الله جل جلاله، وما وجدنا أحدا يرد عنه كيدنا أو يقف منه موقف الناصر والمعين ما لكم كيف تحكمون!! [سورة الصافات آية ١٥٤] .

وإن القرآن لتذكرة وموعظة للمتقين، أولئك الذين صفت أرواحهم وطهرت، وخلت من العصبية الممقوتة أو التقليد الأعمى، وإنه لحسرة على الكافرين فهو يزيد المؤمنين إيمانا وسرورا، ويزيد الكافرين حسرة وارتيابا وظنونا، وإنه لحق هو اليقين، الذي لا شك فيه ولا شبهة، إذا كان الأمر كما عرفت وأن القرآن الذي أنزل عليك من." (٢)

"ذكر العلماء سببين لنزول هذه الآية، فقال قتادة والسدي: نزلت في قصة الأحزاب، حين حاصر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة. نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين من الجهد والشدة، والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الأذى، وكان كما قال الله تعالى: وبلغت القلوب الحناجر [الأحزاب: ٣٣/ ١٠] .

وقال عطاء وجماعة: نزلت الآية تسلية للمهاجرين الذين أصيبت أموالهم بعدهم في بلادهم، وفتنوا هم قبل ذلك. لما دخل

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣/٣٠٣

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣/٧٤٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة، اشتد الضر عليهم، بأنهم خرجوا بلا مال، وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسر قوم من الأغنياء النفاق، فأنزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة..
الآية.
خوطب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه بهذه الآية، حثا لهم على الثبات والمصابرة على مخالفة الكفار، وتحمل المشاق، مع بيان عاقبة الصبر. وكان ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم بقصد استعجال النصر، لا لسبب الشك **والارتياب** في وعد الله وعدله.
ومعنى الآية أتظنون أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة، ولما تتعرفوا على أخبار من مضى من قبلكم من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين؟ فأنتم لم تتعرضوا للمحنة والبلاء مثل ابتلائهم، مستهم الشدة والخوف والفقر والألم والأمراض، تعرضوا للبأساء أي الفقر، وللضراء أي المرض والمصائب، وزلزلوا أي أزعجوا إزعاجا شديدا بأنواع البلايا، حتى اضطرهم الألم والكرب إلى أن يقول الرسول- وهو أعلم الناس بصدق وعد الله، وأوثقهم بنصره- ويقول المؤمنون المقتدون به من غير أي شك بإنجاز وعد الله: متى يأتي نصر الله للمؤمنين؟ فكاد صبرهم ينفد من هول ما لاقوا، فأجيبوا:." (١)
"لكن الذين ظلموا أنفسهم، وعادوا للحق، وتركوا سبيل الحجة الواضحة، ولم يستعملوا منطق العقل المجرد البعيد عن العصبية والهوى، فإنهم ميئوس من إرشادهم وإصلاحهم، وهم من بقي على كفره منهم.
ثانيا- الإيمان بأصول الأديان: يأمرنا القرآن المجيد أيضا أن نعلن إيماننا برسالة الإسلام الشاملة التي تعني الخضوع لله تعالى، وبأن الإله إله الجميع، إلهنا وإلهكم واحد، لا شريك له، وإيماننا بما أنزل إلينا من القرآن، وإليكم من التوراة والإنجيل في أصلهما المنزلين، ونحن عابدون خاضعون لله، مطيعون أوامره، مجتنبين نواهيه.
ثالثا- إنزال الكتب على الجميع: مثل إنزال الله الكتب على من قبلك من الرسل أيها الرسول النبي، إنزال القرآن إليك، فالذين جاءهم الكتاب السابق من اليهود والنصارى إذا نظروا وتأملوا بحق يؤمنون بالقرآن الكريم، ومنهم من آمن به بالفعل، كعبد الله بن سلام اليهودي الأصل، وسلمان الفارسي المتنصر المعروف بسلمان الخير، ونحوهما، وما يكذب بآيات الله ويجحد بمضمونها إلا الذين أوغلوا في قيعان الكفر وركنوا إليه.
رابعا- أمية النبي: ولم تكن أيها النبي قبل النبوة تقرأ شيئا من الكتب، ولا تعرف الكتابة ولا القراءة، ولا تستطيع أن تخط سطرا من الكتاب بيمينك، فأنت خالي الذهن، لم تتشرب بشيء سابق، ولو كنت قارئا وكاتبا، لشك المشركون الجهلة فيما نزل إليك، وادعوا أنه مأخوذ من كتب سابقة، وإذ لم تكن كاتبا ولا قارئا ولا سبيل لك إلى التعلم، فلا وجه **لارتياب** كل من عاداك، فأهل الباطل هم المتمسكون بالضلالات الموروثة، والانحرافات الشائعة.

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٠٧/١

خامسا- القرآن منزل من عند الله تعالى: بل إن هذا القرآن آيات واضحات الدلالة على الحق، وذلك أمر مستقر في قلوب العلماء من أهل الكتاب وغيرهم." (١)

"افتتحت هذه السورة بالأحرف الأبجدية المقطعة للتنبيه والتحدي وبيان إعجاز القرآن، لذا اقترنت هذه الحروف غالبا بالكلام عن القرآن والإشادة به. لقد أنزل الله هذا القرآن من عنده إنزالا لا شك فيه، من غير أدنى اعتبار لارتياب الكفرة، فهو تنزيل من رب العالمين: عالم الإنس والجن، ولا شك فيه، من جهة الله تعالى، وليس بسحر ولا شعر ولا سجع كهان.

بل أيقولون زورا وبهتانا: اختلقه محمد من عنده، بل هو الحق الثابت، أي هو حق من عند الله رب محمد، أنزله إليه لينذر به قوما- أي قريشا ومن جاورهم والعالم كله- بأس الله وعذابه، إن كفروا وعصوا، ولم يأتهم منذر سابق من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لعلهم يهتدون بإنذاره.

والذي أنزل القرآن الكريم: هو الله تعالى خالق السماوات والأرض ومبدعهما وما بينهما، من غير مثال سابق، في مدة ستة أيام، ليست من الأيام المعروفة، ثم استوى على أعظم مخلوقاته: وهو العرش العظيم استواء يليق بذات الله وجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحديد بزمان أو مكان، وليس لكم أيها الناس ولا سيما الكفار ولي، أي ناصر ينصركم، ويدفع عنكم العذاب، ولا شافع يشفع لكم عنده إلا بإذنه، بل هو المالك المطلق لكل شيء، أفلا تتدبرون وتتعظون، فتؤمنوا بالله وحده لا شريك له.

إن منزل القرآن: هو الذي يدبر أمر الكون كله، أي ينفذ الله تعالى قضاءه لجميع ما يشاؤه، ثم يرجع اليه خبر أمره وتنفيذه في يوم من أيام الدنيا، مقداره ألف سنة، مما تعدون في هذه الحياة، لأن ما بين السماء والأرض خمس مائة سنة. والمعنى: أن الأمور تنفذ من عنده، ثم يعود إليه عاقبة أمره.

وذلك المدبر لأمور الكون: هو العالم بجميع الأشياء، يعلم الغائب عن الأبصار." (٢)

"٦- وأذكركم بأن تكذيب الرسل موروث لديكم من الأسلاف، فلقد بعث الله لآبائكم يوسف بن يعقوب بالمعجزات الباهرات الدالة على صدقه، فكذبتموه وكذبتم بمن جاء بعده من الرسل، وما زلتم في شك مما أتاكم به، حتى إذا مات أنكرتم بعثة رسول من بعده، فكفرتم به في حياته وبعد موته، ومثل هذا الضلال وسوء الحال، يضل الله كل إنسان لإسرافه في المعاصي وتجاوزه الحدود، وارتيابه في دين الله. وهؤلاء المرتابون الذي يجادلون في آيات الله الكونية والدينية ليبطلوها، بغير حجة واضحة، كبر أو عظم ذلك الجدل بغضا عند الله وعند المؤمنين، لأنه جدال بالباطل، لا أساس له، أما مقت الله: فهو العذاب والغضب، وأما مقت المؤمنين: فهو هجر الكفار وترك التعامل معهم.

وكما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين بالباطل المسرفين، فكذلك يطبع أو يختم على جميع قلوب المتكبرين الجبارين.

تحديات فرعون وإصرار الرجل المؤمن في الدفاع عن موسى

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي   وهبة الزحيلي ٣/١٩٧١

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي   وهبة الزحيلي ٣/٢٠٤٢

احتدم الجدال بين فرعون والرجل المؤمن من قومه وأتباعه حول شأن موسى عليه السلام، فلجأ فرعون إلى التحدي الحسي، وإقامة برج شاهق في السماء للاطلاع على إله موسى، مقرا به أولا، ثم مكذبا به ثانيا، وصمم الرجل المؤمن على موقفه المدافع عن موسى عليه السلام، ونصح قومه ودعاهم إلى الإيمان بالله وحذرهم من الاغترار بالدنيا، وحثهم على العمل للآخرة لدوامها، وقارن بين دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى طريق النجاة، وبين دعوتهم إياه لعبادة الأصنام طريق الهلاك والعذاب، وهذا في الآيات الآتية:." (١)

"قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ الآية: ٤

أخرج الحاكم من طريق السدي١ عن مرة الهمداني٢ عن ابن مسعود٣ وناس من الصحابة، في قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ قال: هو يوم الحساب ويوم الجزاء٤.

---

١ اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي - بضم المهملة وتشديد الدال - أبو محمد الكوفي، صدوق يهم ورمي بالتشيع، من الرابعة. قال يحيى القطان: لا بأس به، وقال أحمد: ثقة، وقال ابن معين: في حديثه ضعف، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال ابن عدي: هو عندي صدوق، وقال الفلاس عن ابن مهدي: ضعيف. مات سنة سبع وعشرين ومائة، أخرج له مسلم والأربعة.

انظر: الضعفاء الكبير ٨٧/١، الجرح والتعديل ١٨٤/٢، الكامل ٢٧٤/١، الميزان ٢٣٦/١-٢٣٧ رقم٩٠٧، وتهذيب التهذيب ٢٧٣/١-٢٧٤، والتقريب ٨١/١-٧٢.

٢ هو مرة بن شراحيل الهمداني - بسكون الميم -، أبو إسماعيل الكوفي، وهو الذي يقال له مرة الطيب، ثقة عابد، من الثالثة، مات سنة ست وسبعين وقيل بعد ذلك، أخرج له الجماعة. انظر: التقريب ٢٣٨/٢.

٣ هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، ومن كبار العلماء، من الصحابة، مناقبه جمة، وأمره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة. انظر ترجمته في: أسد الغابة ٣٨١/٣، رقم٣١٨٢، والإصابة ١٩٨/٤، رقم٤٩٧٠، والتقريب ٤٥٠/١.

٤ فتح الباري ١٥٦/٨.

أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٥٨/٢، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وليس عنده لفظ "ويوم الجزاء".

هذا الإسناد من أكثر الأسانيد دورانا في كتب التفسير المسندة، وبخاصة تفسير الطبري، ولأئمة الحديث كلام فيه وفي بعض رجاله، وفي هذا التفسير الذي جمعه السدي بهذه الأسانيد، وقد تعرض له الطبري نفسه فقال: "وقد ذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس بهذا الإسناد، فإن كان صحيحا، ولست أعلمه صحيحا، إذ كنت بإسناده مرتابا ... "، ولم يبين علة **ارتيابه** في إسناده، وهو مع **ارتيابه** قد أكثر من الرواية به، ولكنه لم يجعلها حجة قط. =." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٢٧٣/٣

(٢) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ١٢٤/١

"له مخرجا﴾ الآية قال: من كل شيء ضاق على الناس ١.

قوله تعالى: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ الآية: ٤

[٣٠٠١] وأخرج ابن أبي حاتم من طريق يونس عن الزهري قال: **الارتياب** والله أعلم في المرأة التي تشك في قعودها عن الولد وفي حيضها أتحيض أو لا، وتشك في انقطاع حيضها بعد أن كانت تحيض وتشك في صغرها هل بلغت المحيض أم لا، وتشك في حملها أبلغت أن تحمل أو لا؟ فما ارتبتم فيه في ذلك فالعدة فيه ثلاثة أشهر٢.

---

١ فتح الباري ٣٠٦/١١.

أخرجه ابن جرير ١٣٨/٢٨ حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الربيع بن خثيم، به. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تغليق التعليق ١٧٣/٥ حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عمر بن سعد، ثنا سفيان، عن منذر الثوري، عن الربيع بن خثيم. ولم يذكر في الإسناد "الربيع بن المنذر"، وأبوه هو منذر الثوري.

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩٨/٨ ونسبه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

٢ فتح الباري ٤٧٠/٩.

لم أقف على إسناده. قال ابن حجر: وهذا الذي جزم به الزهري مختلف فيه فيمن انقطع حيضها بعد أن كانت تحيض، فذهب أكثر فقهاء الأمصار إلى أنها تنتظر الحيض إلى أن تدخل في السن الذي لا تحيض فيه مثله فتعتد حينئذ تسعة أشهر. وعن مالك والأوزاعي تربص تسعة أشهر، فإن حاضت وإلا اعتدت ثلاثة. وعن الأوزاعي إن كانت شابة فسنة، وحجة الشافعي والجمهور ظاهر القرآن، فإنه صريح في الحكم للآيسة والصغيرة، وأما التي تحيض ويتأخر حيضها فليست آيسة، لكن لمالك في قوله سلف وهو عمر، فقد صح عنه ذلك. وذهب الجمهور إلى أن المعنى في قوله: ﴿إن ارتبتم﴾ أي في الحكم لا في اليأس. أهـ. فتح الباري ٤٧٠/٩.." (١)

---

(١) الروايات التفسيرية في فتح الباري عبد المجيد الشيخ عبد الباري ١٢٢١/٣